كتاب تفسير ابي السعود

وزیر اعظم و سردار اکرم محمد پاشا قوجه نایب احمد بیگ

حسبنا الله تعالی ونعم الوکیل

سورهٔ فاتحه وزهراوین — پس نسا مائده انعام اعراف
٩٦ — ١٤٣ ١٨٤ ٢١٧ ٢٥٤

صکره انفال و برائة یونس — هود و یوسف اوجمیل الاوصاف
٢٨٥ ٢٩٧ ٣٢٤ — ٣٤٥ ٣٦٨

سورهٔ رعد و براهیم و حجر — نحل و اسرا دخی کهف ایته خلاف
٣٨٨ ٣٩١ ٤٠٩ — ٤٢٠ ٤٤٠ ٤٥٧

بعدها مریم وطه صکره — انبیا در پس ازان حج و طواف
٤٧٤ ٤٨٥ — ٥٠١ ٥١٣

مؤمنون نور له فرقان شعرا — نمل در صکره قصص دوزلاف
٥٢٣ ٥٣٤ ٥٤١ ٥٥١ — ٥٦٨ ٥٧٩

عنکبوت ازپس روم ولقمان — سجده احزاب وسبا ای لصاف
٥٨٧ ٥٩٤ ٥٩٧ — ٦٠٠ ٦٠٣ ٦١٢

فاطر وسورهٔ یس شریف — صافاتیله انی قل اعراف
٦١٨ ٦٢٣ — ٦٣١

بعد ازان صاد وزمر پس غافر — فصلت ایلرسک استکشاف
٦٣٨ ٦٤٧ ٦٥٤ — ٦٦١

صکره شوری زخرف له دخان — جاثیه حم حوامیم احقاف
٦٦٦ ٦٧٢ ٦٧٧ — ٦٨٠ ٦٨٣

پس محمد که اکا اولمش در فتح — حجرات پس ازان سورهٔ قاف
٦٨٦ ٦٩٠ — ٦٩٤ ٦٩٧

ذاریات ازپس طور و النجم — پس قمر ایله رحمن الطاف
٧٠٠ ٧٠٢ ٧٠٤ — ٧٠٧ ٧٠٩

واقعه سبح وقد سمع — حشر له ممتحنه صف دمصاف
٧١٢ ٧١٦ ٧١٩ — ٧٢٢ ٧٢٥ ٧٢٧

جمعه دن صکره منافق اولدز — ایده حق بیوزن انلردن صاف
٧٢٨ ٧٢٩

پس تغابنله طلاق و تحریم — خاتمه یی بورده ایله ایقاف
٧٣٠ ٧٣٢ ٧٣٤

جزئی ملك و نباده اولوب
بلمك کمسه دکلدر انصاف

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبيّن له من شعائر الشرع كل جلّ ودقّ انزل عليه اظهر بيانا وابهر حجة
قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا
الى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب
منه الحديد وتميع صم الصخور حقيقا بان تسير به الجبال وتقطع به كل صعب محال معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت
كل مغلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمع الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته
نزّله عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل
وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في مهاوي الردى
وتردى في مهاوي الثبور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار
وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي
ابو السعود بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تخمير نسخة العالم وما كان وما يكون منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم
ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل
سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه مع سلطانه وبهر برهانه وان سطر آيات قدرته في صحائف الاكوان ونصب
رايات وحدته في صفائح الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة
جرى عليها قلم الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع
واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة باوضح
عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الامارات
والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار
القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن مدار
ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا
حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة
خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتأتى
الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية حاويا
لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت

عليه يدور فلك الاوامر والنواهي واليه يستند موقف الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز واحتجبت
طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقائقه الابية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول يرتد عيون العقول
سبحانه وتخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتيسير عويصات مشكلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير
في كل قطر من الاقطار فغاصوا في بحره وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا خرائده في معرض
التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوائد جميلة الآثار اما المتقدمون المتقنون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد
المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام واما المتأخرون
المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابراز خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل اعجازه ويتبينوا
شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن
الرائقة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة تشنف بها آذان الاذهان لا سيما
الكشاف وانوار التنزيل للفئة الوافية بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد اوتي الحظ الوافر من الاعجاز كانه
مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق
الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما
يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما
على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العيالم
الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما تقتضيه
جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل
بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو اليها
احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات
متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار تشتبه فيها الشؤون ومدارك انظار تختلط فيها
الظنون وابرز من وراء استار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس
وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واتحف بها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى
بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الملك
العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم
انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب
الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنى بجيش عرمرم
متراكم الافواج وعسكر كالخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين قطبي الشمال والجنوب
منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة فانتحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه
الميمون حياه الله من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانما قضاء ضربت فيه
خيامه او نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة وقامع
القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية
والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجليلين المحترمين ناشر

القوانين السلطانية عاقد الوية الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور
والخاقان الموفق المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار السلطان
سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء
سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام مترنحة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني
وعزة المرام اين الحضيض من الثريا شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتناء الجوزاء
من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون فابتليت بتدبير مصالح
العباد برهة في قضاء البلاد وانهى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وهجوم
العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف
هاتيك الامور افكر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور وتتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار والطف حينئذ بتوفيق خالق
ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتوجه
شطر الحق في كل موجود فلا في لما فرطت واستعد لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه
بفراغة البال وحضور القلب وفراغ الجنان فبينما انا في تلك الحال اذ بدا لي ما لم يخطر ببال تحولت الاحوال والدهر حول وتحول
بي امر اشد من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالنهار
من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني اي غمر عوارض ما هي بين زيد وعمرو وفاتحت في ضيق المجال وسوء الاحوال
اشهر ممن يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحائح
الى ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات منائح فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت ان الفرصة
على جناح الفوات وشمل الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول واشرفت
شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما ظللت ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى
وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكايدة على وتزاحم المشاق بين يدي متضرعا الى رب
العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل
ما اروجه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله ذخيرة لمعادي وعتادا انتفع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الآمال
والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقائق
اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن
وخذ بنا صيتنا الى الخير حيث كان جئناك على جباه الاستكانة ضارعين وللابواب خشيتك قارعين انت الملاذ في كل
امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

سورة فاتحة الكتاب مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الفاتحة في الاصل اول ما من شأنه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج
بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى
الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كأنه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا
على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يستتبع في خاتمة لان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع

الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في
خاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان
اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح
اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز
اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحققه باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا
واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام
كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ الكتاب على الترتيب
المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فلانه اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما
يقرأ في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة
الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود
وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل
الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة
الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها
في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها نزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن
كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها
فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها
نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي
بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في شأن التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول
ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن
انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب
الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضه انها نزلت مع كل سورة
وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي
رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا
في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا ولا لكونها آية تامة او لا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي
انه قول ابن عباس وابي هريرة رضه وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي
وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول
غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن
في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها
فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا او لا وقيل بين ان يكون آية تامة او لا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد
الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها

من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
عز وجل يقتضي نفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن
لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه • واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان من تركها فقد
ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله • وما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن
بسم الله الرحمن الرحيم • وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين آية واحدة دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث • واما الاول فلانه
لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحد
منها الا ان يلتجأ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل احد به
واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور • واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء
فيها متعلقة بمضمر يبنى عليه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال • والتسمية لكل فاعل عند مباشرة
الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا او اتلو • وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك
نعبد • وتقدير ابدا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل • وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا • وفي تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقديم فعله اذ
لم ينقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يبدا فيه او لم يصدر فيه بابدا • وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم
وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل • ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة • وانما كسرت
ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
• والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون فاذا دخلت عليها عند الابتداء الهمزة لان من دابهم البدء بالمتحرك
والوقف على الساكن • ويشهد له تصريفهم على اسماء واسمي وسمية وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا • آثرك الله به
ايثاركا • والقلب بعيد غير مطرد • واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له • وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو
وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله • ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال
بسم الذي في كل سورة سمه • وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن • او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة
بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء
ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين • وتارة باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا
فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم • ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا لاحتمل المتبادر
من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان تحمل الباء على التبرك وليتعين
ذكر الاسم ما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذلك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل النزاع الا فيه فلا بد من ذكر الاسم ليقطع
احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك • وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء
عوضا عنها • والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وتجردا
عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض
وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد
فيه من نعوت الكمال • والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما

لا بعينه • ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق • واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا • واشتقاقه من الالاهة
والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب • لا على انه صفة منها بدليل
انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد • ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم • ولا يقال شيء كتاب • والفرق بينهما ان الموضوع له
في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى
قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال • ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل
والمفعول • والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعينين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة
ولذلك لم يعمل عملها • وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام • واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله
المشتق من اله بالكسر • وكذا تأله واستاله استشقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر • وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه
لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته • وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به • وآلهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه • وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة • وقيل هو
اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله • ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن
اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك • ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل • وقيل
هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم • ويرده امتناع الوصف به • واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة
التوحيد هو المعبود بالحق فمعناه لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق • وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال
الالف واللام عليه • وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة • وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين • وقد جاء لضرورة
الشعر • الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن والرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما
بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور • وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه
في قولهم هو رحيم فلانا • والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان
او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب • فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات • والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى • وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه
من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه
الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه
الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع من الصرف • وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والآخرة و
رحيم الدنيا • وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
لانه باختصاصه عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى • ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق
بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها • وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة • الحمد لله • الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا
كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت • وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف
في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها • واما الاول
فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه مؤذن بما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له • ونظيره شكرته وعبدته
وخدمته فان تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور • وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا تصور في كيفية
تعلق الفعل اي فعل كان اختلافا اصلا • واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما

يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها
يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء
تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي
واعاد لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء
الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون للفعل الواحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية
او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث
على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات
الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يختلف فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح
الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول او لا اختلاف في مفعول الحمد و
والمدح يعني ان اختلافهما في كيفية التعلق لا اختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا
على حسنه ورشاقة قده واما ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد
فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما مر من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول واما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد
التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى
مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا
يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فمعزول عن استحقاق الارادة هاهنا استقلالا او استتباعا بحمل الحمد على ما
يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على
وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو اعم منها من جهة
واخص من اخرى لنقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشأنها وادل على
مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله عليه وسلم
الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بافعالها
المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين
لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه اصلا لحمله
له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما
ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق
لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية حمد
تعكيس للامر وتمحل لتوجيه المنزل للموازاة بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فانت كلمة الاستعانة
التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى قد تهدمه التنبيه عنادا وما قيل
انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه
فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسى جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدر عن الحامد بحكم ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة
للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اصلا كما ستحيط به خبرا وانما اثر الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان

بنوت

ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في تحية الخليل
للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث
هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني
لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل
تلك الافراد ووجودها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في
ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل
لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية
مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ان اريد الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله
رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ولزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله
لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة
ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك
وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه
على الله سبحانه جاز اطلاقه بالاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس
جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا
العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس
فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم
على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار صيغة
الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود
بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك
بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق
آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به
وان لم يطلق عليها كانها آحاد مفرده التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد
من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال
لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها واما جمعه بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام
لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم اطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا
باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه
بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة
الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد
وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احاط به نطاق الامكان والوجود

من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض
انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الآية مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من
جناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان مليّ وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته
وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه لما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء الا يستحقه بقاء
وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود
بعد تحققه بعلته ما لم يسد عليه جميع انحاء العدم الطارئ لما ان الدوام من خصايص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من
الامور الوجودية اعني علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل
في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها
على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وحكمه
فانما تربيته عز وجل الفايضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية سبحانه سبحانه ما اعظم
سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون
وفي اقامة شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت
نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يعم
على الكل بعد خروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها جسمانيا كان او روحانيا
ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل
بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال
المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول لما انه الى بيان
وجه وفرادها من الحرمين من ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف
الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ
ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي وما لكا بالنصب على المدح او الحال وما لك مرفوعا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع
والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق
الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بحاصل حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام
والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة
من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل
منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين
الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة ساير الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح
وتخصيصه من بين ساير ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها
من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى يوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه
مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته
عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو

اللايق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم
يستمر في جميع الازمنة الآتية لتحققه وتوقعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على
صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك
تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان
تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هذه الصفات الجليلة على الاسم الجليل
لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما يلحق من اختصاص العبادة والاستعانة عليه فان كل
واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحدة منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متضمنتان لطرفه لكونه
تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من
العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت
الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص اياك نعبد واياك
نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام
ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب
يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وعلا الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما
استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرايعة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي
اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق
الثناء بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده
بجلايل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل
الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظاير
القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة
قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود
فضلا عن استحقاق ان يعبد ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة
التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية واياضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف
زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وما ادعاه الخليل من
الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب مما لا يعول عليه وقيل هي الضماير
واياعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة
هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضي به الله
والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي تريد به وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر
والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ
بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة

لمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما
والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير
كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما كان المسئول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة
رسومها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله يستعينه تعالى
في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء
لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا ثم باستدعاء
الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين
في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى
وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الكلمة لما يعقبه من
الدرج ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم
لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور
من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار بكثرة سائر الموحدين له في الحالة العارضة
له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة
المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك
بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديته بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى
مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء
افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة بعينه والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها
آفاقية فاما تكوينية منبهة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف
واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات
التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا
في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه
المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي
عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل
فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة
فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط
الشيء اذا ابتلعه سمي به لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب
من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهو لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع على صرط ككتاب وكتب
وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط
والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد

والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب
الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حاز انواعها
وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز وجل فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى
عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها تنحصر اصولها
في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة
فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء
والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه
والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا
ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المشهورة بالانعام
عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني المغضوب
عليهم والضالين فاكتسبت بذلك نوع تعرف مصحح لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله
وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب
والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد
لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فجعل غير على ابهامه
نكرة مثل موصوفة وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته مما اضيف اليه مما قبله فان مدار كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحقق فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته
الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل
ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح
لوقوعه صفة للموصوف واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل
انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده
الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس
الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك
اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى
كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو
يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم
ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ
ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل مبني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله

ويرحم الله عبدا قال آمينا • وقال • آمين فزاد الله ما بيننا بعدا • عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة
فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها • والمشهور عن ابي حنيفة
رحمه الله ان المصلي يأتي بها مخافتة • وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي • وعن الحسن مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل
وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم • وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا
الضالين قال آمين ورفع بها صوته • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي بن كعب ألا اخبرك بسورة لم ينزل في
التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته • وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية كوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها
تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين
ائمة العربية • وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة • واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام
حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف
جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا
فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست
بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس
هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة
الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة ونحو ذلك مما لا يصدق
المحمول الا على ذات الموضوع لا على اسمائها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب
بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها
الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك
بالمعبر عنه دون العبارة ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان اسامي الكلمات الشريفة
لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك التلفظ بالمسميات
كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي
ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما • ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه
ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة • وهي معربة اذ لا مناسبة
بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل

صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب كقولك هذا
الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا لانحصار تارة فتكون حرفا واخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي
ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لاء • هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار
المحجوبة • روي عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور • وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي • وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال عجزت العلماء عن ادراكها • وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه
وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته • وقيل انها صفات الافعال
الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي • وقيل انها من قبيل الحساب • وقيل الالف من الله تعالى واللام من
جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد • وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث
انها اصول اللغات • وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر • وقيل وقيل • ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور
المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء القرآن والتسمية
بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها
والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غايته الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه
حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج
التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس
واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما
ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت
قدرتهم • وهم فرسان حلبة الحوار • وامراء الكلام في نادي الفخار • دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي
من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب
والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق
لا سيما اذا كان على نمط عجيب • واسلوب غريب • منبئ عن سر سري • مبني على نهج عبقري • بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز
عن ادراكه الباب الفحول • كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها نوعا
بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا وتقريبا كما ينبئ عنه التفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان
من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار • وجلت قدرته عن ان تنالها ايدي الافكار • وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى
الخماسية جريا على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايرادها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من
زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه • وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم
فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست باية • والمص آية • والمر لم تعد آية • والر ليست باية في شيء من سورها الخمس وطسم آية
في سورتيها وطه • ويس آيتان • وطس ليست باية • وحم آية في سورها كلها • وكهيعص آية • وحمعسق آيتان وص وق
ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين • وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها • واما من عداهم فلم يعدوا
شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام • وعلى تقدير كونها

اسماء للسور او القرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن
واما الجر بتقدير حرف حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه الانتظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز
الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ونون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف
ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد كحم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها
مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى
السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان بعدها
من القرآن والقلم محلوف بها وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى
في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب
نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين
ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية
وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة
او القرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق
ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول
هو الاظهر لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار
بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه
والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه
في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه
في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة
لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة لبس ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاولى
بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فلذلك تذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ اما على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان
وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان
المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب
اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس ثم الكتاب الذي هو ضم الحروف
بعضها الى بعض والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء
المخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة قبل ان تناله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم
وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا
حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب
المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن
فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه
على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مراضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى

وان الذي حانت بفلج دماؤهم
صدره

من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في جزء ولا مساغ ههنا لحمل الكتاب على جنس
لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه
جزءا للفرد المعهود لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر كمال الجنس في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم
يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير
الم خبرا لمبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره
ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه و
والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود في الكتب السالفة وهو خلا انه ان كان
المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل
هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته
والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب
فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب
خبره او للمبتدأ المقدر آنفا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك
او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة
للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا
ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا يعول عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية
لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف
صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن
الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول
ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها
ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى
نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى
لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الآية فانه في قوة ان يقال
وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون
الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا
ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها
غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل
هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول
في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير
والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال
توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا

في مفهوم المتعدي وكلا الامرين ممنوع من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه على علم الى ما
من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا • وبهذه المرتبة من الاعتبار
مسلمة بين الفريقين محققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى او لا بد
من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار
الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان
الوصول غاية للتوجه المذكور ينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه
واما توجه الى زيادته • ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول
بحيث كان امرا مستمرا شاملا لما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك
الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا • وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له
واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام
المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فلا
اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما • واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو
الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في
نفسه بل من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم ما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله من
آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مختصة لافرادها باسماء خاصة • فحصل بالقياس الى كل اثر من
تلك الآثار اضافة خاصة متمايزة عما عداه من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائر الآثار وكانت تلك الآثار تابعة له في
التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى فاعله عدت من متمماته • واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله
كالاعماء المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة
بالقياس الى آثاره اللازمة له • وهذا الحكم مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه
تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن موثراتها بواسطة كونه داعيا
اليها بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته
ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة
للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا
فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم تعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة
لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال
والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول لما كان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور
باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة
كذلك يهدي المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اللازم الموجبة
اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعدا من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة
لهما بحسبها داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد المهدي من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة

في مدلولها ان قيل ليس المهدي بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور
والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم
بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف المهدي بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق المتعدي المبني للفاعل
بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود
اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال
والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي
هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى المهدي اللازم والعدم قبوله بل الهداية
الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يوجد في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول
للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الاهتداء مع الهداية
كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل التعلم للمتعلم كما قيل فان العلم ليس مستقلا في
ذلك فضلا عن اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادئ العلمية على المتعلم وسوقه
الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه البعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الاهتداء
الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم
من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للمهدي في مدلوله
الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا
اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف المهدي عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم بحيث لم يكن ذلك تعليما
في الحقيقة فلم يكن الهداية ايضا كذلك ولتحمل تسمية ما لا يستتبع المهدي بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف
التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف المهدي عن الهداية فليس لقصور
من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تمامها بما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية
وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف مقابله وتبيين مسالكه من غير ان يشترط
في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع خروج النظر عن
المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر
فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبيانات التشريعية
الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله
سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين بالتقوى حالا
او مالا وتخصيص المهدي بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان شاملا لكل ناظر من مومن
وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة
والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان الآية • وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله • وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك
ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس • وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة • وعن محمد بن حنيف

انه مجانبة لكل ما يبعدك عن الله تعالى • وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته • وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا
يفقدك حيث امرك • وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان
الجائر • وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة
وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة • وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون
بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر اليه • وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك
للخلق • والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التقوى عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى • والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا • والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق جل جلاله ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته • ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها بحسب تفاوت درجات استعداداتهم
الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين
رياستي النبوة والولاية • وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن
الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية • وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب
هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وما يليها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا
لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اولياء الله تعالى وتفخيم شأنهم وان اريد
به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين • فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة • وان عني بهم اصحاب احدى
الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد
الى التحصيل للمرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز • ولفظ
الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه
فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال • واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه • ومحل هدى الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى
الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي
وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا • وتنكيره للتفخيم • وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل
هذا • والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل ان يكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل
بينها عاطف • فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف
من جنس ما يؤلفون منه كلامهم • وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم تسجيل
على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين • وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة
شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول • فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به
من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة
من مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين • وفي كل منها من النكت الرائعة والمزايا الفائقة
ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما حققه • الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي
فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية • وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ

يكون

يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصول اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام • او مادحة للموصوفين
بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى
تحت اسم التقوى من الحسنات • او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم • واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة
باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل • واما على الوجوه
الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع
على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا
لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها
على شدة الاتصال بينهما • قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب
لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه
من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب • ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك
على هدى الخ لانه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة
عن المتقين وان كلا من ايمانهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة • فما السر في انه جعل في الصورة الاولى
من توابع المتقين • وعد الوقف غير تام وفي الثانية منقطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدأ في الصورة الاولى
لما كان عبارة عن المتقين لكن الجزء الاول لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ اجمالا حسبما حققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد
للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر
في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه
ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات • واما الجزء الثاني فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما
لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما سيحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى
جميعا • والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنته غيري ثم استعمل في
التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق
فان الواثق بشيء صار ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن هنا
وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف
في ذلك او لابد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني
مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه • وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو
فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة • وقرئ يومنون بغير همزة • والغيب اما مصدر وصف به
الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت
لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره • واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما
ابتداء بطريق البداهة • وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل

كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الآخر واحواله والبعث والنشور والجزاء وهو المراد منهما فالباء صلة
للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به • واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به
اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية • واما
عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم • وقيل
المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء ح للآلة وترك ذكر المؤمن به
على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان • واما للاكتفاء بما يجيء فان الكتب
الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به • ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من
فرائضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله • وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا
جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه • وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر
واقامه اذا جد فيه واجتهد • وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود
والتسبيح • والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب • والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة
للفظ المفخم • وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء • وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده • واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه • وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له
في تخشعه بالراكع والساجد • ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ • ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي • وقيل هو
بالفتح مصدر وبالكسر اسم • وفي العرف ما ينتفع به الحيوان • والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل عن ايجاب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا • واصحابنا رحمهم الله جعلوا
الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق • والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في
الغناء من غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله • وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها • والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الذهاب بالكلية دون الاول • والمراد بهذا الانفاق
الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا • ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه • او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها واخته
على ما قبلها من الصلوة • وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي • وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير وهذا ويجوز ان يراد
به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من
قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون • والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول
الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين
تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين
آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة • وقيل كعبد الله بن سلام واضرابه • او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصفهم الاتقاء

للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين
لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار • ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين
ولا يكون توسيط العاطف لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
وقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • للايذان بان كلا واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان
بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يعد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما
تتمة للآخر • وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال
العلم بالعمل • وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتاب من الخلل
كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان • وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المتفرع بما يصدقه من
العبادات مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الناطقة بتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها منعوتا بما قرن به فضيلة باهرة مستقلة حقيقة
بان يذكر والله تعالى اعلم • وقد يحمل ذلك على معنى منهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل • وان يراد بالموصول
الثاني بعد اندراج الكل في الاول نوع خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر كتخصيص جبريل وميكال به اثر ذكر
الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال • والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل
وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى
اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام فالمراد بما انزل
اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما
في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان
الجميع اذ ذاك نازلا • وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة • وعدم التعرض لذكر من انزل اليهم من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز
مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الآية • والايمان بالكل
جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش • وبناء
الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل وقد قرئ على البناء للفاعل • وبالآخرة هم يوقنون الايقان
اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك
والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان
نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا • وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين • والآخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث الادنى
غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء • وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام • وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها
مجرى ضمتها في وجوه ووقتت • ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود • وقوله تعالى اولئك
اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها • وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك
الامور المشاهدة • وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ • وقوله على هدى خبره وما فيه
من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل
حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة

تبعية متنوعة على تشبيه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعله قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب
للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته
الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه • والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما وزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه
التنوين في آراء بعينه وبعضه والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله
هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم ليس من شئون ما يتحوه واستقرارهم على الهدى حسبما تحققه
الاستماع مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال نشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر
من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل لهم احقاق بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام
اصل الهدى الجامع لعقوبه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جارى على سنن الصواب من قال
في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا • واما على تقدير كونها
مفصولا عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وتمام الجملة استئناف وقع جوابا
عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين
فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة • اي الذين هذه شئونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك
كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي •
واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان • واخرى با
عادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذه ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم
وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور
المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما ترى هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل • والثاني مبتدأ • واولئك في حيزه
وتكرار اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح • اولئك
هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة
من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة
الثانية مقررة للاولى • واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان منهما في نفسه اعظم مرام
يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل • وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر اولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في
الآخرة • او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم • وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون
من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى
مكانه والله ولي المجد والهداية والتوفيق • ان الذين كفروا كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة
اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل • وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك مسلك قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنائي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة
شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول

موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة • واما الثانية فمسوقة
لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون
عن ثنية الرشد والسداد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول • وانما اوثرت هذه الطريقة
ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في تضاعيف
تعداد كمالاته • وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها
كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه • والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول
ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه • وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب
بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف • وانها لتأكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك
عبد الله قائم اخبار عن قيامه • وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه • وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه • وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود • او للجنس وقد خص
منه غير المصرين بما اسند اليه قوله تعالى سواء عليهم الآية • والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر قال القائل يكفل عيش اجب الكفار نباته وعليه قول لبيد • في ليلة كفر النجوم غمامها • ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى
السلاح بدنه • وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا
لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتج
المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات
التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم • سواء هو اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم
وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام
لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم • وحرف النداء
في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك
ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ • وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه
على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله
تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم • وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا • وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل
انذارك وعدمه سيان عليهم • والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة
تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار
وعدمه سواء لا بيان المستوي الانذار وعدمه • والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد
التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي • والاقتصار عليه لما انهم ليسوا اهلا للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب
واشد تأثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى • وقرئ
بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين • وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف
حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح • وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن

لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او
او بدل او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم • او خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز
التكليف بما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره
تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر • والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء • والاخبار
بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس مما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن
حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم
ليس معلوما لهم • وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة • واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ • ولذلك قيل سواء عليهم
ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون • وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة • ختم الله على قلوبهم استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان
وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد • والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له
كما في البيت الفارغ والكيس المملوء • والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم
في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا • اما على طريقة الاستعارة
التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال
على منع القابل عما من شأنه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي • واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة
من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه
بالمرة بهيئة منتزعة من حال محرزة لطول لم يكلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله
بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به
على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ
وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي
لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية • واما التجوز
في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم يكن الهيئة المنتزعة من معانيها مدلولا
وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي
هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب • واما المحققون كالشيخ عبد القاهر واضرابه فجعل
التمثيل قسما برأسه • ومن رام تطبيق الاقسام على تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله
فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية • واسناد احداث تلك الحالة
في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى • وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة
عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح
كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك • واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك عدة من
الاقاويل • منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه • ومنها
ان المراد تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب مقدرة ختم الله عليها كما في سال به الوادي اذا هلك

وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته • ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه
ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على
حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتماديهم في الغي والعناد • وتناهيهم في الشر والفساد
ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما بهم • ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه ووقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما • ومنها
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم • وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل
وختم على سمعه وقلبه • وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب • واعادة الجار للتأكيد والاشعار
بتغاير الختمين • وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء
على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهموا بها على حالها حسبما يفصح عنه
قوله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون • والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل
لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة • وتقديم حاله على حال الابصار لاشتراكه بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان جنايتهم
من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية • وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق
بالتقديم وانسب بالمقام • قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر • ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله
نبيا اصم • ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها • وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير
اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل • وعلى ابصارهم غشاوة • الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر
في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة • وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على
رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها • وايثار الاسمية للايذان بدوامها وثبوتها فان ما يدرك بالقوة الباصرة
من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك • واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة
فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية • وعلى رأي الاخفش يرتفع
على الفاعلية مما تعلق به الجار • وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة • وقيل على حذف الجار وايصال
الختم اليه • والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة • وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب • وهما لغتان فيها • وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح
مرفوعة ومنصوبة • وعشاوة بالعين غير المعجمة • ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة • والعذاب كالنكال بناء
ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره
وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض • والعظيم نقيض الحقير • والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم
فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره • ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من
التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي
عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته • اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين
ومن الناس شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر
والعناد بل يضمون اليه ضروبا اخر من الشر والفساد • وتصدير الجنايات بانهم الشنيعة المستتبعة لاحوال هائلة عاجلة وآجلة
واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وعوض عنها حرف التعريف

ولولك لا يمكن دفع بينهما واتماما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الاناس بهم كما
سمي جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ
من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه للعهد او للجنس المقصور على المعرضين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك
والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه
كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي ومنا جمع دون ذلك ومن في قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية
والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي او فريق يقول كقوله
تعالى من المؤمنين رجال على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به
من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال
فياباه جزالة النظم لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس
الجنس مطلقا وكذا امرار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فيحق من يتصف بها
ان لا يعلم كونه من الناس فيتعجب منه واما ان جعل بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المعرضين
واياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان حيزية الظرف تستدعي ان يكون الصفات هؤلاء اولئك الصفات القبيحة المفصلة في ثلث
عشرة آية عنوانا للموضوع وغاية غير مقصودة بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد
في انه يجب حمل النظم الجليل على اجل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله وباليوم
الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء للادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا من طرفيه
وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما
ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هم
لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية
فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية للموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة
في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد
دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع
الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع
الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل
لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان على ما يدعونه للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما
ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا
فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين
آمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون
ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل

وما هم بمؤمنين

متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من
المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوجه المشاركة على ما يريده بصيغة فيجوز فيه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي
اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهم الاقبال عليه فيخرج من باب آخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا
على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريق
الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان نسب اليه تعالى
ما حقه ان ينسب الى الرسول عليه السلام بانه لمكانته عنده سبحانه كما ينبئ عنه قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد
الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما بتجريد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين
آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله سبحانه والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترتبه على اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم
او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لان صورة صنيعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنيعهم معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان للمنافقين لو اعتقدوا ان الله سبحانه يخدعهم لمقابلة خدعهم لم يتصور منهم
التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصور المستهجنة وبيان غائلتها وآيلتها اليهم حيث
لا يحتسبون كما ينبئ عنه قوله عز قائلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون
اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب
فيوقعونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة
بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لاحق بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث تمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني
الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض
والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به
وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خداع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
وحذف المفعول اما للظهور او للعموم اي ما يشعرون بشيء اصلا لحلول الحمق وبان ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا
على مؤوف الحواس مختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله
ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي
الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله عز وجل وما هم بمؤمنين
من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه
لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع
زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا
ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا
ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر
والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الآية حينئذ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الآية كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون

وهم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فيقل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم اي مولم على
الم وهو أليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الألم والوجع حقيقة للمولم و
والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تع بديع السموات والارض بما
كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم
او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان
ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر
بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير
اي لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد بيان
العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ
عنه قوله تع ومن الناس الآية واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للزجر الى كمال
سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى
وان الاقتصار عليه للاشعار بغاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه
مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما
موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية
اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون من كذب الذي هو للمبالغة
للمبالغة كما في بين التبيان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب
الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف
زمن مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقائم
مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح
مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد
والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من
موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستئناف بما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك
ليس توسطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الفساد
في الارض قالوا ارادة للتصحيح ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك فسادا وادعاء كونه اصلاحا
محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على الصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد
مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستأنف سيق لتعديد شناعتهم واما عطف
على يكذبون بمعنى ولهم عذاب أليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه
ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او سبق ذكره صريحا
كما في قوله تع بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او لا يستلزمه استلزاما ظاهرا

كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما
يوجب ضما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تع ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودة وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من
الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة فاذن حقها ان تكون
مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا الا كيف لا وقوله
عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث
سلك مسلك الاستئناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة
الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقق الاثبات قطعا كما في قوله تع اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة
بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف
الخبر وتوسط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تع ولكن لا يشعرون للايذان
بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما
ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد جناياتهم وخصالهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما احتيج الى هذا الباب والله اعلم بالصواب
واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به
لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا ايمانا
مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما يود فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني
الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل
فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك
فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان
انؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه
مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك انفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن
زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المؤمنين
كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام
واضرابه واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين
الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين
لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال
الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه والمؤمنين بذلك عنهم وانت
خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في خلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو
في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب

من الكفر اشنع وفي النفاق ادخل مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى
اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا الكلام محتمل
للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن
السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا او لا نؤمن كايمان الناس حتى نأمن تعرضك مثل ما فعلوا فخاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله تع وجل الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم
وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تع انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير
كما هو رأي الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الفساد اصلاحا كما ترى اظهار منهم للشقاق
وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير او بالاصلاح الذي
يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تع الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين
لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى التوسط ممن يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما
لا سبيل اليه قطعا فان قوله تع ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين
قاصدين للاصلاح وباتيانهم الفساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرون وفيهم الا مضارة للدين
وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب والانكار
الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم و
ارائة لارادة هذا المعنى وهم متوجهون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تع الا انهم هم المفسدون والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف
كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا
لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوطا بالتمييز بين الحق
والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون
من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت
قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتخصص هنا لمشتق الايمان فليس فيه شائبة التكرار روي ان عبد الله بن ابي
واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه
وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله عليه السلام وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن
اني تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم
فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان

اي انفردت معه وخلوت به ويستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت
به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تع والى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اي اذا انهوا اليهم السخرية بهم وانت خبير بان قصد
قولهم لحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم
للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية على انه فيعال من شطن
اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه
هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الباطن بخلاف
معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن
اي في اظهار الايمان عند المؤمنين مستهزئون بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال
ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن
مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد تمسكوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد
لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال
هزأت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف
الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة في اللفظ او لمقارنة
في الوجود او لانه سببه او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله
تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين
الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه
تع هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على
التجدد والاستمرار كما ينبئ عنه قوله تع اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات
من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله تع يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده
اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت واسناده على يديهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء
اختيارهم بما انه يتحقق عند الاستمداد او ما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد
وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء كما قال تعالى ونمد له من العذاب مدا
وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد
في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه
بهم وتاييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو فرع
حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في

في طغيانهم واخوانهم يمدونهم في الغي تحقيق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق الى الله تعالى وان كانت افعال العباد
من حيث الكسب مستندة اليهم • وللمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعاب التأويل • فاجابوا اولا بانهم
لما اصروا على كفرهم خذلهم الله ومنعهم الالطاف فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند الامداد اليه
تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه
اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله سبحانه ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند
فقط • وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه • وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال • ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل الذين اشتروا
الضلالة بالهدى • والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها
وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء • والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير
الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه • والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله
لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير
لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه كما ستعرفه ومنه قوله
اخذت بالجمة راسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمرا جيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا • فاشتراء الضلالة
بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه • ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا لهم قبل العقد
وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى
الحال توجيه ما يجري مجرى الوصفين بمقبول ومبالغة التوجيه ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلال الشامل لجميع اصناف
الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب
على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم • وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى
بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع
الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم و
واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان • وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها
غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في
اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا واما ما قيل من
حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين
في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي • هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم
السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم • واما اذا جعل ترجمة عن جنايتهم اي جنى هي حين اتاهم فالمراد بالهدى ما
كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته صلى الله عليه وسلم في التوراة وقد كانوا على
يقين منه حتى كانوا يستفتحون على المشركين ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة

فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخلة في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها • والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع و
والشرى لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي
هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة • وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة
الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادها اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير
لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك
ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم
راسخة اذ ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رأيت
اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون
مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله • فلما رأيت النسر
عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري • فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر
للتفريخ للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية
للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور
وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم • وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال
مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب
التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين
خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل • فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء
المذكور والاولى عطفها على اشتروا • مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها اثر تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار
بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم
للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الآبي كيف لا
وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي
في هيئة المألوف • والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول
السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جائرا بالتسيير في البلاد وخليقا
بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها
وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل • وقوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشأن • كمثل الذي اي الذين كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا خلا انه
وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين
لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة الى وصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف
لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه
ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح
بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة • او قصد به جنس المستوقد
او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا

طلب وخمودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تع
وعلا هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت
النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على
ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما
علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تع فلما اضاءت حيث لم يقل
فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد
انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تع فلما ذهبوا به
للايجاز والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح
في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تع اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة
كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع
بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير
التفخيمي وما بعدها من قوله لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بما اطفأه الله تع من النار المجازية التي
هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تع كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح
او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث والفساد فاطفأها الله تع وخيب آمالهم
وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن
حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات
بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي
عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تع وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه
من النور به حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تع وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها
الا الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم
آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة لسدادها سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه
ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لانهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا
ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات
التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر والاعتبار واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر
بالكلية وهذا عند محققي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن
الجهول بان له حاجة في السماء لا ان المعتبر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم

هناك قرينة تدل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اخذوها والآية نتيجة التمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق
ولا فقدان منفذ الابصار وقيل الضمير للمستوقد وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية تتمة للتمثيل وتكميل له بان اصابهم
ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات
على طريقة التشبيه او الحقيقة فان تطرق الامور الهائلة ربما يؤدي الى ذلك فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون
ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما وعميا اما على الذم
كما في قوله تع حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون
واما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من
التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيهما من حال الى حال حقيق بان يضرب في شأنه الامثال ويرخى
في حلبة اعتنائه المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة
والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل
تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان
بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع
وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب ولعل الاول
هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغة من جهة
مادته الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه
المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان ونبه بها على ان
انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ا
رض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام
مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه
بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام و
والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل
والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للظل اذ لو قيل او ظلمات فيها صيب لما
لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك
اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصولهما
اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم

في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وعلا وكم من قرية اهلكناها
فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما اقيم مقامه من القرية قال حسان رضه يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والاطلاق ... وايثار الجعل المنبي
عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال للقصد بمجرد الاشتغال من خارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار
الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامل تلك تحجب
كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج
المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل
لها فان الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة
فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى وعلا من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع
وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حذر
الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما
ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر
والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان
الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط شبه شمول قدرته تعالى
لهم اياهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى
معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما
في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر في طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة
والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة
على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع
الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج
قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد والظاهر وقيل لا اعتراض
من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة
وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية به وفرط الاهتمام ببيان المشبه يكاد
البرق استيناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل كيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم
اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه
لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم
وما كدت آيبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل عسى عليها في حذف ان
لما بينهما من المقاربة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء

وفتحها وبنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويتخطف من صيغة التفعل ويختطف من قوله تعالى
ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل نكرة موصوفة معناها
الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيها جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك
الهول أيفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما
لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء مشوا فيه اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة وايثار المشي على ما
فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والتعبير عنه بالاظلام مع ان الاظلام
دائر على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويؤيده ما جاء
في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اي
وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى ان يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ
يعصمهم ويخلصهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا
فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم كلمة لو للتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية
مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه ان
ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لاستحالة تحقق مساواة
انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله تعالى وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك لطالما
لان وجود المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم اللو وضعية فانتفى معلولاهما قطعا ثم انه
قد يساق الكلام لانتفاء الجزاء بانتفاء الشرط في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع الكثير لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع
الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا
فيه كما في قوله عز وعلا لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد
الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين
[illegible] الاول وادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين
بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء
الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود
اي ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع فيتحقق بينهما دوران كلي ولا ريب
في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له اولا فان
اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء
فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا للوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا
ولا ريب في ان هذا الجزاء ممتنع عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة
تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة
فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل

بجامع له ومن ضرورته جامعة اثر بها الحيرة الناشئة من كونها رهيبة ام وهي الناشئة من كونها ابتهاجية من الرضاعة وان لم
معناك يحتمل مواراة بل ينبغي الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة على ذلك اصلاً كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الحيرة على كل حال فلعقه بما
ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله لو كان
الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فان الاجوبة المذكورة تطلب ما يناسبها
ويستدعي نقايضها ايذاناً بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على
طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى وعلى ابصارهم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل التفاصيل في تحرير ما في تفسير قوله او لو كانا حاصلين و
وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بما ان نحو الحياء والاجلال ونحوهما
مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابن ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال
الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المتاعب وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم لا
لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاماً وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان
ومفعول المشية محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون
شيئاً مستغرباً كما في قوله فلو شئت ان ابكي دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لفعل ولكن لم يشأ لما تقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الآية والافراد في
المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستينافية وقيل على كلما اضاء لهم وقوله عز وجل
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء
بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائناً ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول والتفي في ذلك
باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجوداً كان او معدوماً لما تقتضيه اختصاص تعلق القدرة به
لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ
لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود
حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود وابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء
اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل مقدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل او الترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بمقدار ما تقتضيه ارادة
او بمقدار قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى والظاهر ان كلا من التمثيلين وان
احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه
المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين واظهارهم الايمان بالنار وما يتمتعون به في الدنيا من الاموال والاولاد بالاستضاءة وعدم انتفاعهم
التام من الانتفاع به باطفائها ما حولهم وازالة الله باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلة الهدى بالظلمات الكثيفة وبقائهم
فيها وتشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو
سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق
واتقاءهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم
اذا اظلم عليهم لكن حمله على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات

الواقعة في جانب المشبه بحيث تشبه بهيئة اي منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين
واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين بحيثية على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم
المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالاً مع امر زائد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات
مستتبع لهيئة عجيبة حقيقية بان تكون مثلاً في الغاية يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم
وتحزب الناس في شأنه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها
بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق وتحقق كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين
ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم الى الاصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما
في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادي به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد اما لعظمة كقول الداعي يا الله يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصاراً
لنفسه واستبعاداً لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما لغفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه
امر خطير يعتني بشأنه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة
له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلاً اشعاراً بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيداً
لمعنى النداء وتعويضاً عما يستحقه اي من المضاف اليه وكثيراً ما تري من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب
المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك
خطوب جليلة حقيقة بان تتشمر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فحقيق
بكمال المبالغة والتأكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع
واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم بعمومها شائعاً ذائعاً واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب
المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين
من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى يوم القيمة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه
يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية جنسها
بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا
الامر لما ان المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها
ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها
به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضاً لما انها عبارة
عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وقيل معنى
اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا يكون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع مانعاً
الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلاً اذ لم يطلع لاحد منهم بدخوله في حكم
النص وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلاً وتعميم
تخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة

الى غير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل
وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها
اربابا • والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم
بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات
العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم بحذف الخلق واقيم الضمير مقامه
والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تع للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض
لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين
بغاية التخلي وان الحق من حقوا انفسه كما ينطق به قوله تع ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور
بحيث لا يتاتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم • وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما
اقحم ... بين المضافين في لا ابالك او جعله موصوفا بالظرف خبر المبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم
لعلكم تتقون • المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب ويسمى ترجيا او مكروه
ويسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال
لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله
سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع
متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل
ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان شبه طلبه تع من عباده التقوى
مع كونهم متمكنين منها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع
وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب
من الوقوع • واما التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين وطلبه تع اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لما يدعوهم
وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى
ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعني كلمة الترجي • والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا • واما حمل مشيئة ارادته تعالى
في الاستعارة او التمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته سبحانه فالجملة
حال من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين
لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم
لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تع باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه
كثير من اهل السنة • واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان
استتباع افعاله سبحانه لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم
عليها ... فيه • وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المامور وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب
وانما لم يقل تعبدون مع موافقته لقوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها
لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في

الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى
مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها
المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن الاشراك
بالله والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في
التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة
طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه لما براهم مستعدين للتقوى جامعين لمبادئها
الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة • وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا
واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها
على ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا • وقد بين فيها اولا من تلك الآيات
ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لانه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل
لكم الارض فراشا وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح • او في حيز الرفع على المدح
والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف
المبتدأ في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد • واما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شأنا • وجعل بمعنى صير والمنصوبان
بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كون ما بعده من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته
تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من طول لو قدم لفات تجاوب اطراف
النظم الكريم • ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود
عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كريتها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها
وقرئ بساطا ومهادا • والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر
واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء في الاصل مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء • ومنه قولهم بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك
عنه صلى الله عليه وسلم او المراد من السماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن
لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة • واما تقديم الظرف
على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فلما ان السماء اصله ومبدؤه وانما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من
مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة
وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على
المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مبادئ ومواد
كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد

لاولي الابصار عجزا ونزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تع فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها
بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل
من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن
الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج
لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تع كم تركوا من جنات وعيون وقوله تع ثلثة قروء
او لانها لما كانت محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم
او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل
اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان
مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع اسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية
التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تع اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات الجارية عليه تع للنهي او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به
تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا
للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا يكون سببا للتوحيد الذي اصلها ومبناها
وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تع لعلي ابلغ الاسباب فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه
بخلقه وحيث كان مدار النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمني البعيد
وقيل هو متعلق بقوله تع الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا
له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول
في حقه ويرد عليه مع ما فيه من لزوم المصير الى رأي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان
ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار
لما انهم لما تركوا عبادته تع الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة
على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون
له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات و
العزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح
المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال
انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون
انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب
في النهي بحمل المنهي عنه على القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما
تو مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة
العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح

من العالمين

من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق
ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد في آية
التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع شانهم عن الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون
على الطاعة والعبادة حسبما نزل في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل
من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته
ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكر
فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تع لتوضيح الصافية بما ذكر في مطلع صدر السورة الشريفة من النعوت الجليلة اي ان من
جملتها تنزهه عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى
ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما
الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه
على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه
فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تع لا ريب فيه والاشعار بان ذلك
ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك
هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا
للريب في الجملة وحاشاه من ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه
حتى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار
التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم
كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعلوا ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شأن ما نزلنا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية
ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه
والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء
عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة
من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور به
اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور كانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر
فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلث آيات وواوها
اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن مع كونها
في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها
القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء والقطعة منه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة
سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يلائمه

كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل
هذا او على التهكم بهم بايراد ما سبق من تنزيله منزلة الريب كان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه وكذا غير جلي وقيل هي زائدة على ما
هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه حتما لان رجوعه الى
المنزل يوهم ان له مثلا محققا محذورا والامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام
في البشرية والعربية والامية بمعزل من الجلب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد ينازعه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمأمور
لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي ان المنزل عما
فضل من التفوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما نطق به
قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى به واحد من ابناء
جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون
ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة
ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الا
وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية لو للظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم
كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون
عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتوكلين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة
او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في
الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم
اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما
سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه المحافل
وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يأبون ان يرضوا لانفسهم الشهادة الصحيحة ما هو بين الفساد
وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤساء وقيل المعنى وادعوا شهداءكم فتحاجوا بهم وادعوا
والاستشهاد بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه اريد بادعائهم حقيقة ما هم عليه
من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثليته ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد
تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين المثلية وعدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك بالله سبحانه او عند
ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وما ينبض لهم عرق ولا
تبت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل
ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ
ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بتذكير ما زعموا من انها تشفع لهم من الله عز وجل
تنعقهم شهادتهم لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل
اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهتكم وفي الامر ايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية
الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احط منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء لقدام
كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم

لكفاية

للكفاية رائحة الفعل منه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في
المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما فيه من الاشعار بمدار الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فانهم يقولون
بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من على هذا تبعيضية لانهم
يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانها ظرف فان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تلك الجهتين كما تقول جئته
من الليل تريد بعض الليل وقد تحال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة
على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية
اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا
بمعزل من ذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام و
المقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الا الى جانبين كما هو
والتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا
وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء
وايهام انهم تصدوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وتشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم
صادقين اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله
واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية
والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام
لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا
اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب
وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره كانهم علي ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر
الفعل المأمور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل التكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو
ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية الحكم
باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية
من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل
واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون
بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء
والمنع يرشدك الى هذا قوله عز وجل فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من ابيكم فانه
لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر وحي غرضه بالتكليف منه استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال
والسعي في تحصيل المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاد بعينه متعلقا بمفعوله تحصيلا
لمطلبه واما ههنا فحيث كان مقصده ما مر وقيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر
الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وانما
كلمة ان المفيدة للشك على ادائه مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم ولن تفعلوا الكلمة لن لنفي المستقبل
كلا خلا ان في لن زيادة تأكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه وقف للمعنى المذكور

وهو احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقررة لمضمون مقدمها ومؤكدة لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث
اخبر فيه بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فاتقوا
النار جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان
بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية
على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير
المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح
صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار موردة لتهويلها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك والوقود ما يوقد به النار
وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تلبس
شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف
صلة للموصول المقتضية لكون انتسابها الى ما نسبت اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من رسول الله
صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير بها الى ما سمعوه اولا وكون
سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند المخاطب فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون والظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة
الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية اعدت للكافرين اي هيئت
للذين كفروا بما نزلنا وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع
الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة
الآن والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس
دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضمير في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وتحلل صلة بعطف
على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على
المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة
الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال
التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول
للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا عن ان يقتضيا
ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل
لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه
عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق
بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل
ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في جريانها مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل
والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة

الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما
واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به
ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق
على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا
طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس
ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات
والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال
واصحابها تجري من تحتها الانهار في محل النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الآخر
المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء
مجاري او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله تعالى انهار من ماء
غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها
على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا
وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع
ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه
منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا قدم على
المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك
وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل
هذا في الدنيا ولكن لما استحكم التشبيه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غيره ولتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه
قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رحمه الله ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما
فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت
العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب
ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة
والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة
بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة بحسب تفاوتها فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه

في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات لان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب ثواب الطاعات
واتوا به متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تع ان يكن
غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال
المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما
لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت
نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهّرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج
على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج
اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدار به لبقاء الولدية المعتبرة في مفهوم اسم الزوج حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار
الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء
الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله تع خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام
فيه لكن المراد ههنا هو الدوام قطعا لما يشهد به من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد
على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات
متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى
هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها تغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت
حيث كانت في معرض الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا
للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع
في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما
اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضه ان المنافقين
طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضه ان
هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله عز وجل يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة
الى انكار كونه من عند الله مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز مما يتصور فيه التردد فضلا عن التكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن
طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا والتمثيل كما يبرز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود ويحلي المعقول
بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه
في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين المثل والممثل به في مناط
التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات
البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس

وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا
والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص
واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى
اليائين ومنه قوله الا تستحي منا الملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت
في اناء من الورد فكما انه اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله عم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديث بين الكريمين تركه تعذيب ذي شيبة
وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك ما يترك حياء كذلك اذا وقع عنه تع في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى
والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص اللفاظي الذي المستحيى منه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى
رأسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه تع في الجملة فالمراد
ههنا عدم تركه ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتاخذ البواعث اليه اذ الاستحياء
انما يتصور في الافعال المعتد بها للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون
اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار
قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال
السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة
في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل لاعتبار
الاول قطعا وهو مأخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها
تطبيقها بها لكان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم يكن كذلك
بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها كعامة الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها اولا وبعد ذلك كسائر
الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب
واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق فان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب
لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير
تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب
وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال
اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل
من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة
الصدر كما في قوله تع تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين
النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك وعلى تقدير كونها استفهامية
فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر
منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش

ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام صح

فيه تنبيه على ان ما ها هنا الا لا تكون موصولة ولا موصوفة منه عفي عنه

فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير
رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة
لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة
وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثيل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع
بل يعززه ويؤكده والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا
بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله
صلى الله عليه وسلم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كما مثال ما حكي من الخرور فاما
الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه سبحانه والفاء الدالة على ترتب
ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يخفى الى بيان
السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة
مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد يذكر جميعا وقد يقتصر على
واحد منها كما في قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها جزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط
لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بحقية ضرب المثل ومن يكفر بها
لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق من ربهم كسائر ما ورد منه عز وجل والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا
سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية
وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستتر في الحق او من الضمير الراجع الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة
مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم
المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره
المغني عن الذكر واما الذين كفروا ثمن حكيت اقوالهم واحوالهم فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما
يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترقي امرهم في العتو فان جحود علمهم العلم بحقية ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا
وتمهيد السداد ما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شناعتهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم
العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقولون القول مكابرة وعنادا وحمله على عموم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد
تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا
على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت
مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى
اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدأ ذلك والاول

مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته تعالى فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فلا يكون للمعاصي بارادته سبحانه وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله
والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة
هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة الا ابهام
الحكمة في ضرب المثل للقدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه تعالى بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الهذيان
بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل عند الله تعالى فضلا عن قائل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه
ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع المصدر الواقع في الاستفهام مبالغة
في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهام
تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك
الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة
الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم
الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا
يسوؤهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى ذاته
لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة
من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه تعالى مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد
من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء
للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به اي بالمثل او بضربه الا الفاسقين
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك
ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على
البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة عن جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن
في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب الكبيرة التي من جملتها
الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي وهي ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها
والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة
عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامهما والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده وتخصيص
الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان

ممن حكى عنهم بانكار كلام الله تعالى
والاستهزاء به

لجهلهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل وصرف وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق والنقض
فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين
بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور
مستعار له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق
يقال عهد اليه كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد هنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته
وصدق رسوله وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم
عليه الصلوة والسلام بان يقروا بربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على
العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى
الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى الله تعالى فالمراد به آياته وكتبه
وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني
للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من
المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق
وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من
كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر
فانه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب لما انه اثر الشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر المشية وان يوصل
في محل النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع
الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه
ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد هم
الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها و
التأمل في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون
بالله التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام
انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله سبحانه كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه
وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال أتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وعلا وكنتم امواتا الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب
في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الزاجرة عن الكفر من حيث كونها نعمة
عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش
اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها اغذية وعناصر ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة

والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقه على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض
الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان تواردت عليهم في تلك الحالة اطوار
مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء
دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور واياما كان فهو متراخ
من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستقر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا
فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا الا انه في مقارنة بعضها
لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال
البالغة منه وتمام التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه واما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجوع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول
والاماتة فتنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في
القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم و
الايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة من تلك المراتب كما قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وغير ذلك
ويراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته مقتض لذلك وفي الآية تنبيه على ان
الاول هو الالبق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتأكيد له من جهة التذكير بنعمة اخرى متسقة مع
ما قبلها مع اتحادهما في المقصود وابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث
على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم
الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات
لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل
واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة والآمها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو ثم
كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل
من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي يدور عليه انتظام
مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلانه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل
على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصها بالذكر
ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن خلق الله
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك
والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من التراخي والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما
في الارض المتأخر عن وجود دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن والمراد بالسماء اما الاجرام
العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو فسويهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء
مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه

وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى

الى ان لا تتغير فتبين بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماوة او سماءة
وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر ابداع
السموات عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق
مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات من المنافع الدينية ما لا يخفى هذا وان قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل
باذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم
الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق
كل ما يخلقه على الوجه الرائع وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة
للانكار والاستبعاد فان خلق آدم وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان
الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها
وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور
المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل
بفصل صح المبالغة في قوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل انتصابه على المفعولية
بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه
قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم
هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اذكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر
ذلك فحقه سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بموجب الشكر وتنبيههم على المعصية وابن ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم
وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بالسبع مرجح
تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة
في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او بأحياكم مضمرا او فيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر
وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز وجل للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه
من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل
في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل انه مقلوب من مألك من الالوكة
وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله
عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم
الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون

الملهمون

الملهمون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وعند
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كتب بعضهم انه عليه السلام قال اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر
حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا
الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش
التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها
عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة
الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين
هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود
ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبريل الى اين يذهبون فقال جبريل لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا
واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب
فسبحانه من اله اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا
قليلا فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض
وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وأخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان
وقال اكثر الصحابة رضوان الله عليهم انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب على انه
مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل
ذلك لا محالة وهي من جعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة
فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة
ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي اني جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه
كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه
المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما ينبئ عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول
ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول
الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول
وهو ضمير الاموال لدلالة الحال وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه
المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على حذف
عند وقوع المحكي فهو ما سيحكى لو قوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض
خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر
من جواب الملائكة وقد قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت
كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت

ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم اعني مخبث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه كما ظنك
بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التقديم والتقدم كما مر
فح لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تع لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا
وما يكون ذلك الخليفة قال تع يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تع اعلم
والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه واما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم
كما استغني عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلق يخلف منهم عم وغيره من خلفاء ذريته والمراد الخلافة
من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تع الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم
لياقتهم لقبول الفيض بالذات متخصص بالخواص من نبيه واما الخلافة عمن كان في الارض قبل ذلك فنعم حينئذ الجميع قالوا استيناف وقع
جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي
الى اثنين فقيل فيها ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول
ثمة تعويلا على ما ذكر هنا قال تعالى لهم لا تحكمنا على غيرك انا كما قد وسبقنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تحكمن
جاز عين على نوايك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني
بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل صلاحه من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه
من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما
يعقبه بالجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تع واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من كان من شأنه نوعه الافساد
وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما
اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بذت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة
ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا تشككا في اشتماله
على المصلحة والحكمة اجمالا ولا طعنا فيه عم ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تع حسبما نقل من قبل او بتلقي من اللوح او باستنباط عما
ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع
من الصب والاولان مختصان بالدم بل الاول مستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء
لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك وقرئ يسفك على البناء للمفعول
وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب
السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره اتستخدم العصاة وانا المجتهد فيها كانه قيل اتستخلف
من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة والاستفسار عما رجحهم عليهم
مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض
والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير
يحصل بذلك علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما ينوط به امر الخلافة والتسبيح

تنزيه الله تع وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح
اي واسع الجري وكذلك تقديسه تع من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن
الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما انعمت
علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام
واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة
بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر
نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس
باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال استيناف كما سبق اني اعلم
ما لا تعلمون ليس المراد بيان انه تع يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يحتاجوا
الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا
من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا يعلمونه من دواعي
الخلافة وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تع به وغفلتهم عنه تفخيما
وايذانا بابتناء امره تع على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي
عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تع كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه حسن الحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم
غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على تردد منهم في اشتمال هذا الفعل للحكمة وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون
بان ذلك متضمن للحكمة ولكنهم مترددون في انها ما ذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين
سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه
جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما اقتضى بعد الجواب
الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل ظاهرا على ان ما مر من المقاولة انما جرى
بعد خلقه عم بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عم بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل
كما اشير اليه وايراده عم باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم
اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعازر وعابر وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة
او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تع قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك
اختلفت الوانه وذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن
بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها
والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول
الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك
فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عم لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا
فمعنى تعليمه تع اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل

منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات
فيتلقاها حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتنوعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال
ابن عباس رضه وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة
كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تع وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها
وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقالة قبل خلقه عليه السلام
وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي خلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الاسماء ثم عرضهم على الملئكة الضمير
للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها
اي عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تع عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون
انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به
رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد بها ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان
النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق
باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل
من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان خلافه في زعمكم اي
استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا يتعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط
محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استئناف واقع موقع جواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا
سبحانك قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف
والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له فصرفه للضرورة وقيل انه مصدر كغفران
لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك عن الحكم والمصالح وعنوانه
تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهك عن ذلك تنزها
يناسب ذاتك وارادوا به انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يتكلف بما كلفوه وانه الظاهر على ما قدر عجزوا عنه مما يتوقف عليه
الخلافة وقوله تع وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم
المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا
موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان
قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه
خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تع اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة
وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده
كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وهذه الجملة تعليل لما سبق من قصر
علمهم بما علمهم الله تع وما فيهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها
استعداد آدم ما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك

الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة
بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استئناف كما سلف يا آدم انبئهم اي اعلمهم اوثر على انبئني
كما وقع في امر الملائكة مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت
الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء
وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انباهم
باسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار
بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال
والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه
السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من
القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل
لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه وايراد ما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات
والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور
المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سلف ما اشير اليه ههنا كانه
قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها
اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم رأت الملائكة فطرته العجيبة
وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد
الكتمان حينئذ الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان
ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق
المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم
العلم والا لزم التكرار وان علوم الملئكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها و
واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة
على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص
هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية للايذان بان ما في حيزه نعمة
جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال
وكذا اظهار الملائكة في موضع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا

لضمة الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسرة اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن
وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء
لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه
تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود
له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او مثله في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم
الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام
وقوله عز وجل الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة جنسا بينا ولذلك تناول الحكم
الجن كما روي عن ابن عباس رضه وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذا
لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي في
هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته
ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وجل
وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعي ان
يكون ماترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه
وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي
بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير
المتأخر عن خلق المتأخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به
لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى
بينه وبينهم عليهم السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته ام وقوع
ابليس من التبيين باللعن المؤبد لعناده وبعد ما جرى بينهم لذلك كله عيانا وهل هو الا ما تقضيه العقل والنقل والالتجاء في
التفصي عنه الى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال
فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم
له عليهم السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته كما تلك
ما ينطق به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب
وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من
يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب
عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي آثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام
على التأمل في شأنه عليه السلام ليتدبروا في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستنهضوا ما عسى يستبهم عليهم في امره ام لا
على حكمة ابية واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي بحتم الامتثال ويحق عاقوا به

متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة صه

ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السور عند الحكاية لا يستلزم عدم نظامه
فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به
فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وما حكي
بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا من عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صبر الله معه اذا لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع
التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا
وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه
ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا
خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك
ورد الامر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء
بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة
الى آخر الآيات بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم
عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن
خلافة آدم عم من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عم من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف
ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عم وعناد ابليس
وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومطاردة
ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء
تعين انه بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر ابى واستكبر استيناف مبين لكيفية عدم
السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه
مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل
ابى ان يكون مع الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب
ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار
او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع
للمفضول كما ينبئ عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من
العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان كلا من الاباء والاستكبار
كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عم بعد تمام ما جرى بينه
تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره
والنظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما
كان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا اذكر
لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على
الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عم للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث

والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه و[illegible]
زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضه وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تع عليهم ان الله تع لما اخرج ابليس من الجنة
واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع
مكانه لحما وخلق حوا منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت
لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه من هذا قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها
قال حوا قالوا لم سميت حوا قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضه قال بعث الله تع جندا من الملائكة
فحملوا آدم وحوا على سرير من ذهب كما تحمل الملوك والبسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا الخبر يدل على خلقها قبل
دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى
[illegible] امتحانا لآدم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
لما ان خلقه كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما
انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط
الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة موجب التوقف عن
القطع وكلا منها من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بانهما
في مباشرة المأمور به فان حوا اسوة له في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا
واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا تعميم اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة
البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل وبعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله
تعالى ولا تقربا بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتوجهت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب
قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بناء على انه مشتق اي هذه
حاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقرب منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة
او الحبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقري هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتا
تقربا وقري الشيرة بكسر الشين وفتح اليا فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي وايا ما
كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة
والنعيم او تعدوا واحدا من حدود الله تع فازلهما الشيطان اي اصدر زلتهما عنها اي ازلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما
متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه [illegible]
مشعرة بانه لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما خلق من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف
في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام
ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان
ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستها اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من

الكرامة

الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او من اهباط
من السماء وقري بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف
لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لانه وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل
الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع
الى حين هو حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا
او مستأنفتين للاستقرار والتمتع واستئنافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقري
بهما وقري بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تع ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضه قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء الدالة على ان التوبة
حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه ع م للتشريف والايذان بعليته للقاء
الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء الدالة على ترتبه على تلقي الكلمات
المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان آدم ع م
لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواضع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع على عباده
بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري
عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان
مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تع فتاب عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد
قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته ع م
من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رأفة به عليه السلام لما بين الامرين من النوع التغير كيف لا والاول مشوب
بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة
واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان
الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول
من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التنصيص على ان مستقرهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في
الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان
واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما يأتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به
واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل
معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشره النون بني والا اعرب نحو هل [illegible] وتقديم الظرف على الفاعل
لما مر غير مرة والمعنى ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان
لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية

والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او الهدى على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من
ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك
لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا
واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص
خواص المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه
ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب
اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من اتاحة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما قيل
وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الهدى الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما
اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب
للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال
قبح التكذيب اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها
على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكونون كالمعلنين متوجها
الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها … لستة اعوام وذا العام سابع
ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال
خرجنا من النقبين لا حي مثلنا … بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا
واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى
اليه اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة
فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم
بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب
النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف
بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب
النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل
الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل
وقد انعقد الاجماع على ان المراد الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين
للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم كلهم بالنعمة
العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا
اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله
وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرئل
بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال

لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان
مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم
التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء
واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف
بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء
بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في
بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي
في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب
او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة والتأكيد واياي فارهبون فيما تأتون وما
تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على
تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة
على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله وآمنوا بما انزلت افراد الايمان بالقرآن بالامر به
لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهد مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية
مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت
فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة
لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي يدور عليها فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها
المنسوخة حتى يخالفها ناسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام
فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم
لنزل على وفق الناسخ ولو تقدم نزول الناسخ لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا
ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق
التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع
منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل
لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة وتخصيصهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه
فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص
فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او ااول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي اي لا تأخذوا لانفسكم

بولا منها ثمنا قليلا من الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت
لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشتري الذي هو
العمدة في عقود المعاوضة والمقصود منها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي هي اعظم ان ينافس فيها المتنافسون
بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة مقصدا واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب
بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالآية الثانية فخص بالعلماء امرهم فيها بالتقوى الذي هو المنتهى
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي
تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي يكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله
وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء
عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن
مسعود رضه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان
المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال
كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس لادخال التقييد النهي به كما في
قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله
واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر
النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
ابن قريع السعدي: لا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه. اتامرون الناس بالبر تجديد للخطاب وتوجيه له
الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول
جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا
من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل
كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصيته وهم
يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار
الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون
اي وحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير
والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اي تتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح
ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او الا تتاملونه
فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال
الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الضلال سمي به النور الروحاني الذي به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية

لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله
فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق
فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل
مجلسه واحد او اثنان من شدة تاثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه
وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق
فقالت: لتهدي الانام ولا تهتدي. الا ان ذلك لا ينفع. فيا حجر الشحذ حتى متى. تسن الحديد ولا تقطع. فلما سمعه الواعظ
شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله
كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة و
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما
والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة
ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين والخشوع الاخبات
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخضوع بالقلب والخشوع بالجوارح وانما لم تثقل
عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم
من المشاق والمتاعب والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
اي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان
بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين
لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين
فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضه يعلمون وكان الظن
لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال: فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم كرر التذكير للتاكيد والربط بما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام
لكماله اي فضلت آباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين
وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم
لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي شيئا من حقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ
لا تجزئ اي لا تغني عنها شيئا فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة
صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول
ثم حذف كما حذف في قول من قال: فما ادري اغيرهم تناء. وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا تقبل منها

ولذلك قال النبي عم وقرة عيني في الصلوة

شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا
فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجزي مجزاه ولا هم ينصرون
اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها
عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل
وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما
كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها
خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله عز وجل نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء
وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي آباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل
وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم
وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه
وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر
فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد
فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذوا منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها
بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر
فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى
جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك
فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما
فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه
الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياه فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت
احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وتراقى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان
وكان فرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه وافحشه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه
على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميرهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان
فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك
الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك
المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والا[illegible] نجاء
منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على حياتهن
محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار
ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز

ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به البلاء القدر المشترك المتناول لهما من ربكم من جهته بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيره للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء
والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها
اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم
او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير
لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال
بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد به فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم
للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم
تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى
الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم
به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم
واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال وهي نعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة
ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام
ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم
اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين
وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها
تنزيلا لقبول موسى منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا
ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف
وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما قال عفت المنازل اي عفا من بعد احوال
عفاه كل حنان كنه الوبل هطال ومن بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو
بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى
الكتاب والفرقان اي التورية الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة
بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية
وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى
من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص
الشيء عن غيره اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار

بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت
والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات قيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه
طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات
من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع
للايذان بعلية عنوان البارئية للخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وتجويز ان يكون
فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة
بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عم قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل
لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق
المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعدما صدر عنهم ما
صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة او تكليمه
اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتل انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية
لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا
من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تعالى موسى ان يجمع سبعين رجلا ويحضر بهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة
فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى بامره ونهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا
لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا
كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب
المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز
ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء
الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيبة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم
وانتهوا الى الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك ورجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى
عليه السلم موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون

اي نع

اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى
سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى
وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع
وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء
جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه
امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ
لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم
اي واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى
المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على
المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف
من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما حكي
في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم سجدا
اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة
وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء
وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع عند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيئ وسببا لزيادة الثواب للمحسن
واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة
فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه
روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل
غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة
من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد
الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى
رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما
يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج
عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة
واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى

عليهم العطش الشديد • وتغيير الترتيب لما أشير إليه مرارا من قصد إبراز كل من الأمور المعدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكر
ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم أن الكل أمر واحد أمر بتذكره • واللام متعلقة بالفعل أي لأجل قومه فقلنا اضرب
بعصاك الحجر روي أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط
وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثني عشر ميلا أو كان حجرا أهبطه الله تعالى مع آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه
موسى مع العصا أو كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة فأشار إليه جبريل
أن يحمله أو كان حجرا من الحجارة وهو الأظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا
إلى أرض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فيتفجر ويضربه بها إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى
عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى إليه أن لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع
والعصا عشرة أذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أي فضرب فانفجرت
وإما متعلق الفاء المحذوف أي فإن ضربت فقد انفجرت فتحقق حسب جلالة شأن الكريم منه اثنتا عشرة عينا بكسر الشين
وفتحها وهما لغتان قد علم كل أناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على إرادة القول من رزق الله
هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لأنه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه أن المأمور به أكل النعمة
لا ما سيطلبونه وإضافته إليه تعالى مع استناد الكل إليه خلقا وملكا إما للتشريف وإما لظهوره بغير سبب عادي وإنما لم يقل من
رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا إيذانا بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا
في الأرض العثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل إنما قيد به لأن العثي في الأصل مطلق التعدي
وإن غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله • وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام
وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا أنه غالب فيما يدرك حسا وإذ قلتم تذكير لجناية أخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلادهم
إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكي إلى أخلافهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد
لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه التعرض للوحدة بل أرادوا أن
يكون هذا تارة وذاك أخرى • روي أنهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها
وتاقت أنفسهم إلى الشقاء فادع لنا ربك أي سله لأجلنا بدعائك إياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية
لتمهيد مبادي الإجابة يخرج لنا أي يظهر لنا ويوجد وجزم لجواب الأمر مما تنبت الأرض إسناد مجازي بإقامة القابل مقام الفاعل
ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال أي كائنا من بقلها وقيل
بدل بإعادة الجار والبقل ما ينبت الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها
والفوم الحنطة وقيل الثوم • وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال أي الله تعالى أو موسى عليه السلام إنكارا عليهم وهو استئناف
وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون أي أتأخذون لأنفسكم وتختارون الذي
هو أدنى أي أقرب منزلة وأدون قدرا • سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه ما لا خطر له وأصل القيمة
وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة • وقرئ أدنأ من الدناءة
وقد حملت المشهورة على أن ألفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير أي بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الزائل دون الآتي كما
في التبدل والتبديل في مثل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا

على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما من صورة المناوبة اهبطوا
مصرا أمروا به بيانا لدناءة مطلبهم أو إسعافا لمرامهم أي انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
وأصله الحد بين الشيئين وقيل أريد به العلم وإنما صرف لسكون وسطه أو لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده أنه في مصحف ابن مسعود
غير منون وقيل أصله مصرايم فعرب فإن لكم ما سألتم تعليل للأمر بالهبوط أي فإن لكم ما سألتموه ولعل التعبير عن الأشياء المسؤولة
بما للاستهجان بذكرها كأنه قيل فإنه كثير فيه مبتذل يناله كل أحد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة أي جعلتا محيطتين
بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على
الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة وإما لخوف أن يضاعف جزيتهم وباءوا
أي رجعوا بغضب عظيم وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الإضافية أي بغضب كائن من الله تعالى أو صاروا أحقاء به من قولهم باء فلان بفلان أي صار حقيقا بأن يقتل بمقابلته
ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب وأصل البوء المساواة ذلك إشارة إلى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب العظيم بأنهم بسبب أنهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة
الظاهرة على يدي موسى أم مما عدوا وما لم يعدوا ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن
قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق الإيذان بأن ذلك عندهم أيضا بغير الحق إذ لم يكن أحد معتقدا أحقية قتل أحد منهم عليه السلام
وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
أي بسبب عصيانهم وتماديهم في العدوان إلى ما ذكر من الكفر وقتل الأنبياء عليهم السلام فإن صغار الذنوب إذا دووم عليها أدت إلى كبارها
كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كررت الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما أنه بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وتجوز الإشارة إلى المتعدد بالمفرد
بتأويل ما ذكر أو تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • أي كأن ذاك والذي
حسن ذلك في المثنيات والمجموعات أن تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين إن الذين آمنوا أي بألسنتهم
فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر
عنها بالإيمان لا تجديهم نفعا أصلا ولا تنقذهم عن ورطة الكفر قطعا والذين هادوا أي تهودوا من هاد إذا دخل في اليهودية
ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة وإما معرب
يهوذا كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة
والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
فسموا باسمها أو نسبوا إليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين هم
قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان
عربيا فمن صبأ إذا خرج من دين إلى آخر وقرئ بالياء إما بالتخفيف وإما لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان
إلى ما هم فيه أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر أي من أحدث من هذه الطوائف إيمانا خالصا بالمبدأ
والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الإيمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك أجرهم الموعود لهم عند ربهم
أي مالك أمرهم ومبلغهم إلى كمالهم اللائق ومن إما في محل الرفع على الابتداء خبره فلهم أجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله
تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما أن إفراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر إن

والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم عند ربهم متعلق
بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مأمون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة
الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين
آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على
الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين
وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم
اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ
مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه مما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان
حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة
على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من
اهل الكتاب ممن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو
انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير
الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها
قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله
على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع
انتظامهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لآبائهم
اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا
فوقكم الطور كأنه ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها
فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او تنجوا
من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك ووجه تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق
المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضل الله عليكم بالامهال وتأخير
العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع
الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة
الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله
عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها
ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر
يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها

من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق صح

البحر اليها وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبح ما انكم
ما فعلوا ثم لم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير
المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار
يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء
وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن
بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها
وموعظة للمتقين من قومهم او لكل من سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت
عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل
شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل
قالوا أتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي أتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا
او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ
في اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه نفي عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا
له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه بها قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال
وقالوا ادع لنا اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ خبره هي والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا
عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاع في طلب مفهوم الاسم
والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يقولوا
[illegible] لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اي موسى عليه السلام بعدما
دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض وهو القطع كأنها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية
ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين
ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا ما تؤمرون من
جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به فانه حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على
الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استئناف كما مر كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان
الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها قال اي موسى عليه السلام
بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله
عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع
نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفي اسناده الى اللون مع

انهم يبقون بتلك الهيئة فاعتبروا [illegible]
لان جعلها نكالا [illegible]
والمسخ الكامل [illegible]

من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قالوا ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بفقوع اللون تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان المنعوت بالاوصاف المعدودة ليست متعينة للمأمور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي الاشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التاكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي ومآله استثقال استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها وقيل معنى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل ما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر انما وقع ببقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المأمور به آخرا هل هو بعينه ما اريد بالمعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول متمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الخ للمعينة قطعا ومن ضرورته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فيكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فصرفت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم وعينها الله تعالى

تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بعد بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة لا شية فيها قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ورويَ مسندا عن شيخ المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر في نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارء اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي واذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم فيها اي تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهره لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بذنبها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كأنه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب لما ان حاجتهم كانت بمراجعتهم اليه والافتيات على رأيه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ بحذف الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل ينتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده والجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اي لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث

يتصل اثره الى نفسه منحيي بها حيوة طيبة ويتوب عما به يتكيف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال ثم قست
قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي عم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات
والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لان المراد بيان
بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما الان الاستمرار على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد في نفسه حادث
وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تع ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ذكر من احياء القتيل
او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطبين كما هو المشهور
فهي كالحجارة في القساوة او اشد منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية
للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك
احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة
واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها او من عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى
من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة
في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق
اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بمقتضى ما اودعه الله
عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تع والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره
عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء
دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ ما يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
عن متعلقه بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب
عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم
ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب
اباك لا لانكار الوقوع كما في قولك اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار
الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى
الثاني الى الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي انظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول
مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة
عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متماثلون في سننهم الكسبية والاخلاق الذميمة لا يكاد يأتي من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم
وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم
لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان
لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تع وقد كان فريق
منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تع يسمعون
كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على

على منهاج قوله تع وهو لكم عدو بعد قوله تع افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تع حين كلم موسى عليه السلم بالطور وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه
عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما تقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد
ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه دون
اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تع يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا فلا باس وثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال سمعوا كلام الله تعالى وعقلوا مراده تع منه فاولوه تأويلا فاسدا
وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك
على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام فان التورية
وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوته [illegible]
للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله تع فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن
هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه
من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثار لكم على بالله من النكتة وقوله عز وجل وهم يعلمون
جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء
في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون واذا لقوا
جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب
آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود [illegible] خاصة كما قيل بناء على الاتحاد
الفاعل في محلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق
تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا
ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من
اسناد القول الى المباشر خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا ولم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت
النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم اي
بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين منضمين الى بعض آخر منهم و
هم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا النص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون
بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان
فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلوق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة
للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث
دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض
مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن

فعلهم ذلك مما كان مستبعدا له البتة جعلوا اياه عليهم للنص المذكور اظهار الكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه كما
يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون
يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من
حقية ديننا وصدق نبينا اخص فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به لا
يخفى انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله تعالى افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها
هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد
الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم
فيكون ايراد خطاب للمؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي
صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن
والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين
او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ
يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما في آية الرجم وتحريم
بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين
حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون
ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره
وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة
في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته
ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة ونظيره قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء اي ذكر السر على
عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون
الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب
يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من
لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون
النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها
خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم
من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة
مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير
منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة
تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع في الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التوراة كما وقع في الفريقين الاخيرين
اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في

تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا او حمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف
جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما في قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها
على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب
اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من
امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه
من ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده
النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان
المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقيب بيان حال الذين ادعوهم الى
تلك الورطة ويكشف كيفية اضلالهم اياهم ويتعين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح
وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة باضمار من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان صرف بعضها نحو ويلك
وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه
ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى بينها
فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان
الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة
جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله تعالى للذين
يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا اي جميعا على الاول ومخصوصه على الثاني من عند الله روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي عليه السلام المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت هي فيها
حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك
قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لما في التوراة فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا
اشد شناعة من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا
من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا
بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه
فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد وتفريع للتعليل بما قدمت ايديهم
بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه او للتفصيل من
قوله تعالى مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته
او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام
فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله
لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه
من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة

عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوماً مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن
عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود
زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة
فيكملونها قل تبكيتاً لهم وتوبيخاً أتخذتم بإسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وبإظهار الذال وقرئ بإدغامها في التاء عند الله
عهداً خبراً أو وعداً بما تزعمون فإن ما تدعون لا يكون إلا بناءً على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة
منبئة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا أي إن كان الأمر كذلك
فلن يخلفه والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافاً إلى ضميره
عز وجل لما ذكر أو لأن المراد به جميع عهوده لعمومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولاً أولياً وبه يتجافى عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم
وإن كان معلقاً بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعاً أعني اتخاذ العهد أم تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وإنما علق التوبيخ
بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير
فإن التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحاً بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم
له لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت لتحقق العلم بالشق
الأخير كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى وإما منقطعة والاستفهام لإنكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الإضراب
والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل قل
آلله أذن لكم أم على الله تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكي وإبطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلاً
في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالاً وتفويض ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما أن المحاجة والإلزام
من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الإشعار بأنه أمر محقق لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف إيجاب مختص بجواب النفي
خبراً أو استفهاماً من كسب سيئة فاحشة من السيئات أي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب
النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم وأحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه
وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الإضافة
إليه وهذا إنما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم
وابن جرير عن أبي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما أن
الأولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته
على القلب والإدغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك إيذان بكثرة فنون كفرهم فأولئك مبتدأ أصحاب النار
خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وإيراد اسم الإشارة المنبئ عن استحضار المشار إليه بما له من الأوصاف
للإشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية مراعاة
لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب لما أسند إليهم ههنا من
الخلود فإن كسب السيئة وإحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع أي أولئك الموصوفون
بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار أي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الأسباب
التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب ببطلان
مقالهم مثلاً بلى إنهم أصحاب النار لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الإشعار بالتعليل

هم فيها خالدون دائماً أبداً فأنى لهم التقضي عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب
الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل على أن فيه تهوين الخطب في مقام التهويل
والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الإلهية على شفع الوعد بالوعيد
مراعاة لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى وإذ أخذنا
ميثاق بني إسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادي بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ
بإضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع في إيمانهم أو اليهود الموجودون في
عهد النبوة توبيخاً لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم لا تعبدون إلا الله على إرادة القول أي وقلنا أو
لا تعبدون وهو إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه
أن يسارع إلى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا
فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويعضده قراءة
أن لا تعبدوا فيكون بدلاً من الميثاق أو معمولاً له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون إلا
الله وقرئ بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحساناً متعلق بمضمر أي وتحسنون أو أحسنوا وذي القربى واليتامى
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه عن الحراك
وأثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسناً أي قولوا لهم قولاً حسناً سماه حسناً مبالغة وقرئ كذلك وحُسُناً بضمتين وهي لغة أهل الحجاز
وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة هما ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم إن جعل ناصب
الظرف خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات إلى خطاب بني إسرائيل جميعاً بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجريان
ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فإن الخطابات السابقة لأسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا
عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وإن جعل خطاباً لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف
منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولي بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتشديد في التوبيخ أي أعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق
ورفضتموه إلا قليلاً منكم وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام
وأضرابه وأنتم معرضون جملة تذييلية أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وأصل الإعراض
الذهاب عن المواجهة والإقبال إلى جانب العرض وإذ أخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر
من التغليب ونعي عليهم إخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي إثر بيان ما فعلوا بالميثاق
المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهي عن عبادة غيره تعالى هو الأمر
بتخصيص العبادة به تعالى أي واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم في التوراة وقولنا لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم
من دياركم كما قبله إخبار في معنى النهي غير التسبك إليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني
إسرائيل لبعض بالقتل والإجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم بناءً على جريان كل واحد منهم مجرى
أنفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسباً وديناً للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها
كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير أنفسكم للمخاطبين حتماً إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما أن ضمير دياركم للمخرجين قطعاً إذ
المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث إنهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى
من ديارهم وإنما الخطاب لهما باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناءً على تنزيل أنفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد

وكما تقول في عجب الخلان وتقول كيت وكيت صح

التشنيع وأما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين فمفاد الأول كون المسفوك دماء أدعيائه للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونها
حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في إفادة المبالغة فتدبر وأما ما قيل من أن المعنى لا تباشروا ما يؤدي إلى قتل الكم
قصاصاً أو ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه
ثم أقررتم أي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وأنتم تشهدون توكيد للإقرار كقولك أقر فلان شاهداً على نفسه وقيل
وأنتم أيها الحاضرون تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد
واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعدما كان ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه فأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الإفادة
اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب
عنه الجمل الآتية فإن قوله عز وجل تقتلون أنفسكم بيان له وتفصيل لأحوالكم المنكرة المندرجة تحت الإشارة ضمناً كأنه قيل كيف
نحن فقيل تقتلون أنفسكم أي الجاري مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتّلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقاً منكم الضمير إما للمخاطبين
والمضاف محذوف أي من أنفسكم وأما للمقتولين والخطاب باعتبار أنهم جعلوا أنفس المخاطبين والأول أحق لتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين
في ذلك العنوان الذي يدور عليه فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه من ديارهم الضمير
للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضاً بناء على اعتبار العنوان المذكور كما في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجهم من
ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم
تظاهرون عليهم بحذف إحدى التاءين وقرئ بإثباتها وبالإدغام وتظهرون بطرح إحدى التاءين من تتظهرون ومعنى الكل
تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو منهما جميعاً مبينة لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصالة
والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالإثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله أي متلبسين بالإثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم
واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وإن يأتوكم أساري جمع أسير وهو من أخذ
قهراً فعيل بمعنى مفعول من الأسر أي الشد أو جمع أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وقد قرئ أسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم أي
تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً
ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير
حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم
منها ثم إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا مالاً فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم
علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم إخراجهم الضمير للشأن وقع مبتدأ ومحرم
خبره وفيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبراً من إخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محرم خبر لضمير الشأن وإخراجهم مرفوع على أنه مفعول
ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان والجملة حال من
في تخرجون أو من فريقاً أو منهما تماماً بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة هنا بالإخراج مع كونه قريناً للقتل
عند أخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في أمره بسبب قلة خطره بالنسبة إلى القتل ولأن مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم
وتناقض أفعالهم معاً وذلك مختص بصورة الإخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية أو قصاص وهو السر
في تخصيص التظاهر به فيما سبق وأما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع أن حقه التقدم كما ذكره الواحدي فلأن نظم أفاعيلهم
في سمط واحد من الذكر أدخل في إظهار بطلانها أفتؤمنون ببعض الكتاب أي التوراة التي أخذ فيها الميثاق

المذكور والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب
وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والإخراج مع أن من قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله
تع داخلاً في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فإن التقدم يستدعي في المقام الخطابي أصالة
المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتماً وإن لم يكن ذلك ههنا باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعاً لا إيمانهم بالبعض مع كفرهم
بالبعض وإيمانهم بالبعض كما يفيده أن يقال أتجمعون بين الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض أو بالعكس فما جزاء من يفعل
ذلك منكم ما نافية ومن إما موصولة فلا محل ليفعل من الإعراب وإما موصوفة فمحله الجر على أنه صفتها وذلك إشارة
إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان ببعض أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأساري منكم حال من فاعل يفعل
إلا خزي استثناء مفرغ وقع خبراً للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير
إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على أنه صفة خزي أي خزي كائن في الحيوة
الدنيا أو في حيز النصب على أنه ظرف لنفس خزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع أطماعهم الفارغة من ثمرات إيمانهم ببعض
وإظهار أنه لا أثر له أصلاً مع الكفر ببعض ويوم القيامة يردون وقرئ بالتاء أوثر صيغة الجمع نظراً إلى معنى من بعدما أوثر الإفراد نظراً
إلى لفظها لما أن الرد إنما يكون بالاجتماع إلى أشد العذاب لما أن معصيتهم أشد المعاصي وقيل أشد العذاب بالنسبة إلى
ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وإنما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلاً وأشد العذاب يوم القيامة للإيذان
بكمال التنافي بين جزائي النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من أول الأمر وما الله
بغافل عما تعملون من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد أولئك الموصوفون
بما ذكر من الأوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تع الذين اشتروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة و
أعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكام الكتاب إنما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود
إليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيوياً كان أو أخروياً ولا هم ينصرون بدفعه
عنهم شفاعة أو جبراً والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية أو ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية
على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لإظهار كمال
الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التوراة لما نزلت جملة واحدة أمر الله عز وجل موسى
بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها ملكاً فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تع لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل
يقال قفاه به إذا أتبعه إياه أي أرسلناهم على أثره كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا
عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى
بالسريانية أيشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت
لزير لم تصله مريمه وضليل أهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه أي قويناه وقرئ آيدناه بروح
القدس بضم الدال وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك حاتم الجود ورجل صدق وإنما وصف
بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالإنجيل كما قال تع
وروحاً من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البينات
والتأييد بروح القدس لما أن بعثهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيراً من أحكامها ولحسم مادة اعتقادهم

ان طال في حقه عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام أفكلما جاءكم رسول من اوليك الرسل بما لا تهوى
انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي كرضي اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة للاهوآء
والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا
من شانهم ويجوز كون العطف على مقدر يناسب المقام استكبرتم
عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء
للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهما السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وللتشويق
الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايذان بانكم بعد على تلك النية
حيث تحوموا بما لم تنالوه من حجته عليه السلام وسحروه وسموا الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان
قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل
من فضائحهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها للكل من بعضهم لملابستها وقبائحها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها
ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من
القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي
يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى
على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم
بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني لهم ادعاء
العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة
للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل زمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء سببية اللعن لعدم
الايمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده للتشريف
مصدق لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه
مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون
على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي
وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون
من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم
وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب
لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به وايراده بالموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان
كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقب مجيئه للاستفتاح
من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء

جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما
عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به والمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا
من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام
للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه
او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما
اشتروا به انفسهم ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفتها اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا وبابه في زعمهم حيث ظنوا
انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله عز وجل
ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب
للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه
وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا استبدالا وانما هو معلل بما سيأتي من ان ينزل
الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي
الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهلين لتحمل اعباء
الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكرره حسب تكرره
فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي
لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى
كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل
من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا استماع لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا
والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته
له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا
يعنون به التورية وما انزل على انبياء بني اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما
انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم
ايمانهم بالقرآن لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما
في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد
بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم
كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عن الاضمار عما عنوا به
لتعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به
ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان
ان ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة
فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى
مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل

معنى اي احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فهم
الكفر بما آمنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل فلم تقتلون من جهة الله عز
من قبائل بيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية
والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد
والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف
اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء
الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم
وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقدم الجواب على الشرط وذلك
لا ينافي الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات
من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان
والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده
اي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما
صنعوا وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته ووضعها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى
او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل
عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا
قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة
مثل هذه العظمة التي ... وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف
للمضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخل حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا
بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول
لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين من احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما
يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم
العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين
بما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها
قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه
امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في تضاعيف
الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة
بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم

وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي
المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت
خالصة له كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن الاقي الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني
وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتأكيد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر
فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه
وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه
الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن
وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى
عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي
من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم
احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات
مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص
بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص
منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص
الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة
في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على علمهم بمصيرهم
الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم
بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على ان
يكون بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وحكاية
لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود
اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء
زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي يبعده وينحيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر
وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى
او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة
اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم
بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله
بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه الوحي فقال عليه السلام جبريل فقال هو عدونا
ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات وسفيرنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها
انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل [illegible] وقال ان كان ربكم

أخره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان
لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا
لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لشك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره
في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا هو عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء
بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال
عمر رضه إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان
عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر رضه لقد رأيتني
في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبرئيل وجبرال وجبرائل كجبراعيل وجبرايل
كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل ع م
والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته
على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية
كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة
بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو
حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله وهدى
وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليهم محبته فإنه
نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا
كتابهم وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم وزوال رياستهم
وقيل إن الجواب فقد خلع ربقة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب أو فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدو له من كان
عدوا لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره عنادا أو الخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم
وإيذانا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وإنما أفردهما بالذكر مع أنهما أول من يشمله عنوان الملكية والرسالة لإظهار فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر
أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم
الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة
من جهة الله سبحانه وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين أي لهم جواب الشرط والمعنى
من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر
للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة
والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد أنزلنا
إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها إلا الفاسقون أي
المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن
إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضه أنه قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد أي الفاسقون المعهودون

وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا أوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للإنكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملته ما أشير إليه من قوله وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرئ
بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى
عهدا إما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه أو مفعول على أنه بمعنى أعطوا عهدا نبذه فريق منهم أي رموا بالذمام ورفضوه
وقرئ نقضه وإسناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه بل أكثرهم لا يؤمنون أي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من
أن النابذين هم الأقلون وأن من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير
للتفخيم من عند الله متعلق بجاء أو بمحذوف وقع صفة لرسول لإفادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث إنه صلى الله عليه وسلم قررها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما أنزل
عليه أو من حيث إنه جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب أي التوراة وهم اليهود الذين
كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لأن
النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وإفراد النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق
منهم لأنه معظم جناياتهم ولأنه تمهيد لما يتلوه من اتباعهم لما تتلو الشياطين وإيثارهم له عليه والمراد بإيتائها إما إيتاء علمها بالدراسة والحفظ
والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم وإما مجرد إنزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع المضمر
للإيذان بكمال التنافي بين ما أثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله أي الذي أوتوه قال
السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف
وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله وإنما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما
لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا
يستفتحون به من قبل فإن ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كما قيل لكتاب الله الذي جاء به فإن
مجيء الرسول موجب لمجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة التفات إليه كأنهم لا يعلمون جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فإن أريد بالنابذين أحبارهم
فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل النبوة صلى الله عليه وسلم ففيه إيذان بأن علمهم به رصين
لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله أو لا يعلمونه أصلا كما إذا أريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة
في إعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وإن أريد بما نبذوه كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون
هو العلم بأنه كتاب الله ففيه ما في الوجه الأول من الإشعار بأنهم متيقنون في ذلك وإنما يكفرون به مكابرة وعنادا
قيل إن جيل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المشار إليهم
بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه
فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على جواب لما أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة
التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه
والإقبال عليه بالكلية وإلا فأصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولكن

قيل هو معطوف على الجملة الحالية وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون
الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم حتى قيل
ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري
بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما عثر على ذلك مرة توصل
اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد
موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عم وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان
تنزيه لساحته عم عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتنصيص لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عم وكذ
با صنيعه بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون
المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في
الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او
مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استئنافية
واعلم ان السحر انواع فمنها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي
المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية
بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم
واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم
عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض
تدبيرها اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير
الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية
وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد
الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان
يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جري العادة بعض الخوارق
فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك
الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير
مخالفة للاحكام الشرعية ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان
شريرا غير متمسك بالشريعة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع
تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري
مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق
السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه او من الصرف عن جهته للعادة
كما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل
عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار انزل لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تميزا

بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا
يدعون النبوة فبعث الله تع هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار
امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا اللهم سبحانه هؤلاء الذين
اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك
قال تع فاختاروا خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب
فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك
والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت
اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها
وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي
ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم
ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم
فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان
في عهد ادريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول
لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة
فمما لا تعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز
التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين
ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال
ابن مسعود رضه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتأنيث والعلمية هاروت وماروت
عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن قرأ
الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد
من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة
تأكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام
حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة
كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان
ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما
تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء والظاهر ان غاية النهي ليست هي للمقالة فقط
بل كلتيهما التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد
[illegible] فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون او معطوفة
عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين فحملوهم على العمل به اغواء واضلالا او حال
انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تع وما انزل نافية والجملة
معطوفة على قوله تع وما كفر سليمان ايذانا بتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان ما

وماروت بدل من الشياطين على انهما جنيتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان
المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلك فيأباه ان وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس
ما لا يلايمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية
المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الآية
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباستعماله بين المرء
وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد الراء وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا
من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك
وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيغرون الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه
واستعملوه من السحر من احد اي احدا او من مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول
فعل منفي الا انه جملت الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل
من التأثير بالذات وانما هو باذنه تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتماده على النفي او الضمير المجرور في به اي وما
يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور والفصل بين المتضايفين
بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه
ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة
مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي
لا يؤمن ان يجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد
علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب
قسم محذوف وان فيه لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة
من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له
والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل
متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد والجملة ولقد علموا مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا على ما عليه الجمهور
وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها
وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا
فح يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله
لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها
بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشتري متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم
هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله سبحانه بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اي يعملون
بعلمهم فعلوا ما فعلوا غير عاملين بعلمهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
على ان المثبت لهم اولا على التأكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب
لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله او بما انزل الله

من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي
المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك
الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة واللام ابتدائية اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف
اي لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه من فرط الطاعة
لحالهم كيف يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو
كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد
لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره
وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا
وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا وقيل معناه اسمع
لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقاصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة
او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون
عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بحذف الجار والايصال
او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة
الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن به واسمعوا او احسنوا
سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او اسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن
سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه
سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق
فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه
كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه
كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما
يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك
ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا
مزيدة لتأكيد النفي ان ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي وقوله تعالى
من خير هو القائم مقام الفاعل ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله
على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخير عنه لاظهار كمال
العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة
الى ضمير المخاطبين لتشريفهم والعبث بكراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعقدهم باخته وتمنيهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم

من نعمة الحقيقية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان
بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة
عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء
على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه
والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لاسيما في اثناء ذكر ابتلائهم به لزم من نفي ودادهم لما ذكر نفي وداد
المشركين له فزيدت كلمة لا لتأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته
وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار
اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء
وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم
واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة
عليه لاستحقاقه الفائض عليه بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد
اليها من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء
النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على
الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل واحد منهما مستقلة بشانها فان الاضمار
[illegible] مبني على توجيهها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد الوحي
وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود
الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر
اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة
وننسأها من النسء اي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل و
للمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة
والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع
والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة
فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل
الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال
ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه
فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف
عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله عليه والسلام وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد
مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه
بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته

سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة
والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله تعالى سلطانه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة
خبر لان وايثاره على ان لله ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرار الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد
على ما ذكر واما للتعطف ان مع ما فيه حجرا على ما سبق في مثلها روما لزيادة التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما
وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما للتنوير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيها ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه
مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله عز وجل وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب السابق
للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بها لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان
لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى
بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه
تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى
ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور
وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من الاستغراقية واما حجازية ولكم خبرها المنصوب
عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما
قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم
او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي
من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها
الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التأثر من
اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه
الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه
والمعنى بل اتريدون ان تسألوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون
غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية
الى النسخ وقيل سأله قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون
عليها المأكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي
سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سألوا موسى
لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى يشبه بمسؤولية
موسى عليه السلام ولعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر
في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل

به للتأكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه بالايمان
بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور واراده وحاصله
ومن ترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض وتحكم واقترح غيرها
فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى و
وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني
عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يجعل من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية وما للمبالغة في الزجر والايعاد
في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الصفة الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء
على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل خطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة
الدعوة ويجيء تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرفه الى ... مع تمكنهم من ذلك واياهم حكم الكفر عليه ود
كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة
بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن
اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن
اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما لو
يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن ومحل نزلة ... ان الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ارتدادكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره
لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير
اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن
البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد
الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين ولاستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه
بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته
واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اي بمعنى
جمع اي حاسدين لكم وتوحيد الاسم على ... من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم
لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى الغاية من بعد ما
تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم متمسكون بالباطل
فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى ياتي الله بامره الذي
هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ باية السيف
ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لاحتمال ان لا تعلم الامة غايته ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى
ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا

انفسكم

لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا
ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين
وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن
يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما
الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف
على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل
جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك
امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار
صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربكم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالمطالب ما يطالبه البرهان
ولا ما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم هذا ما تقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل
الدخول الذي تتضمنه دعوى الاختصاص فان قوله تعالى بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مسلم لنفي ما اثبتوه وليس
الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون النفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول
كما ستعرفه باذن الله تعالى فظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم
به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية ما لهم مما علقوا به اطماعهم
واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان ما لهم من الاختصاص بالدخول بعجزهم عن اقامة البرهان على ما لا يتصور ما لهم
من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت ما لهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص ابعد وعن
اثباته اعجز واما الفائز به من انتظمه قوله من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته
الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان
الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل فيه دخولا
اوليا ما كان وتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل
فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار
مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر
اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام
والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص به بالمرة ولا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون
والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى

ولا يخافون

على شيء بيان لتفصيل لكل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله لكل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء او يعتد به من الدين او على شيء ما
منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور
وكفروا بموسى والتوراة لا انهم قالوا ذلك بناء على الاعتقاد بمنسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي
قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما
ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت
لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة
الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وانما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال
عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف
واما مفعول ... اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض
لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده
والاخير ... المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم
النار ... الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الآي لا للقصر ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار
... احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها
... والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان كان المراد به حتما انه اكرم من
كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا حكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة
معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان
الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان ططيوس الرومي ملك النصارى
واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف
وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع
هو الناس لان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه حالة ... وتعلق الآية الكريمة
... من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان
... ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك
... الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها
... وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد
... من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم او ما كان لهم في علم الله
... الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاصها ... استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد
... روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول

في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم اي
لاولئك المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم
في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف
في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن
عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق
والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث
المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اي
ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله اي ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف
سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان
التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك
وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهوا
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له
الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف
آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة من كان ... من الجملة المعترضة
الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين
قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل
فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة
له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي
انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن
جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا
ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقادا ذكره في عما لا يليق به لا اثباتا له
وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما تقتضيه مقالتهم الباطلة
من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان
والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها
عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح كل التنوين
عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء
منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون
للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له مقرون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين

يوعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع
كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كما ابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره
ونظيره السميع بمعنى المسموع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على
تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سماواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال
مقالة الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه
عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع لما وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه
من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد
كقوله تع انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه
البتة وقيل الامر ومنه قوله تع وقضى ربك فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد
به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تع وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب
من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من
يفتقر في تحصيل مراده الى مواد يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا
يعلمون حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم
او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تع فليأتنا
باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا نزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا
ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار
الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم
من البينات الباهرة التي تخر لها الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع
الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة و
قالوا لن نصبر على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك الاية وقالوا اجعل لنا الها تشابهت قلوبهم اي قلوب
هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اي نزلناها بينة بان
جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يو
يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفي تعريف الايات
وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة
ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور
البطلان بحيث لا حاجة الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقران كما في قوله تع بل كذبوا بالحق لما جاءهم او
كائنا قوله تع احق هو وقوله تع بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقران حال
كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب
ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا الا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي

ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع
ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار
وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان
قطعا وقوله تع ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة
اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت ولا لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر
من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى
اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة
بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام
ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه عليه السلام ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم
اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك
وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه
فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم
مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيها كقوله تع وعلا حكاية عنهم كونوا هودا
او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى هو الهدى كله ليس
وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تع ولئن اتبعت اهواءهم اي اراءهم
الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرع الله تع
لهم من الشريعة على لسان الانبياء عليهم السلام وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم
اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه
وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والا فاني
يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطاه اللام واكتفى به عن جواب الشرط الذين اتيناهم
الكتاب وهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر
في معانيه والعمل باحكامه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين
باتيان الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين
فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون
بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام
واني فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم
واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء
او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير
للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله تع عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي عم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عم وان ما عليه

أهل الكتاب من آبائه وأن ما يدعونه من أنهم على ملته أمر فرية بلا مرية ببيان ما صدر عنهم وأبنائه الأنبياء عليهم السلام
من الأقوال الناطقة بحقية التوحيد والإسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه
إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فإذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي أو بنو إسرائيل
أي واذكر لهم وقت ابتلائه ليتذكروا بما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا
ما هم فيه من الباطل وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات قد مر وجهه في
أثناء تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة الخ وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر أي وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء
من قوله تعالى قال والأول هو الأليق بجزالة التنزيل ولا يبعد أن ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل
ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون إلى ملته من إبراهيم وأبنائه عليه السلام من الأقوال والأفعال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم
والابتلاء في الأصل الاختبار أي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالبا فعله أو تركه وذلك إنما يتصور
حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من العليم الخبير فلا يكون إلا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين قبل أن يرتب
عليه شيئا هو من مباديه العادية لكن بحكم خبرته ليتعرف حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وإبراهيم اسم أعجمي قال
السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق أو التقارب بين السرياني والعربي ألا يرى أن إبراهيم تفسيره أب راحم ولذلك جعل هو وزوجته
سارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا أن
النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس وتقديم مفعول مقدم لإضافة فاعله إلى ضميره
والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وإيذان بأن ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لأمر خطير والمعنى عامله
سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه أوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى
وتحمل أعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لإرشادهم إلى طريق إتقان الأمور ببنائها على التجربة والابتلاء
بأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه التام للنبوة العامة
كيف لا وهي إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بأنه
يأباه الفاء في فأتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب وأول
من اختتن وأول من قلم الأظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه
الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الخ
وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة أشياء
بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى الكل وقيل هي محاجة قومه والصلوة والزكوة
والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي
قوله الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل إنما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لأنه يقتضي سابقة
الوحي وأجيب بأنه مطلق الوحي لا يستلزم البعثة إلى الخلق وقرئ برفع إبراهيم ونصب ربه أي دعاه بكلمات من الدعاء
فعل المختبر هل يجيبه إليهن أولا فأتمهن أي أتم القيام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله
تعالى وإبراهيم الذي وفى وعلى القراءة الأخيرة فأعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات

بما سأل إبراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وعلا قال على تقدير انتصاب إذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال
نشأ من الكلام فكأن الابتلاء تمهيد لأمر عظيم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الإحسان إليه فعند حكايته تترقب النفس إلى وقوع
بعدها كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال إني جاعلك للناس إماما أو بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي
من جعل الكلمات عبارة عما ذكر إثره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب إذ بقال فالجملة
معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو من الحكي داخلة على قال أي وقال إذ ابتلي الخ والجعل بمعنى التصيير أحد
مفعوليه الضمير والثاني إماما واسم الفاعل بمعنى المضارع وأوكد منه لدلالته على أنه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك أي لأجل الناس أو بمحذوف وقع حالا من إماما إذ لو تأخر عنه لكان صفة له والإمام
اسم لمن يؤتم به وكل نبي إمام لأمته وإمامته عليه السلام عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته
قال استئناف مبني على سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال إبراهيم عليه السلام فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف
ومن تبعيضية متعلقة بجاعل أي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك أو بمحذوف أي واجعل فريقا من
ذريتي إماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي
والذرية نسل الرجل فعولة من ذرو أو ذري والأصل ذرووة أو ذروية فاجتمع في الأول واوان زائدة
وأصلية فقلبت الأصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء
وأدغمت الياء في الياء فصارت ذرية أو فعيلة منهما والأصل في الأول ذريوة فقلبت الواو ياء لاجتماعهما
وسبق إحداهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فأدغمت الياء في مثلها فصارت ذرية أو فعيلة من الذرء
بمعنى الخلق والأصل ذريئة فخففت الهمزة بإبدالها ياء كهمزة خطيئة ثم أدغمت الياء الزائدة في المبدلة أو فعلية من الذر
بمعنى التفريق والأصل ذريرة قلبت الراء الأخيرة ياء لتوالي الأمثال كما في تسري وتقضي وتظني فأدغمت الياء في الياء كما
أو فعولة منه والأصل ذرورة فقلبت الراء الأخيرة ياء فأدغمت وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ أبو جعفر المدني
بالفتح وهي لغة فيها قال استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين
ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل إجابة خفية لها وعدة إجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته بنيل عهد الإمامة حسبما وقع
في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فإن التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل
من ذلك التمييز إذ ليس معناه أنه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما أشير إليه ولعل إيثار هذه
الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الإمامة من ذريته إجمالا أو تفصيلا وإرسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالأئمة
من الأمة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الإطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة
الذين يتمنون النبوة وقطع أطماعهم الفارغة من نيلها وإنما أوثر النيل على الجعل إيماء إلى أن إمامة الأنبياء
من ذريته عليه السلام كإسمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وأيوب ويونس
وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن إمامة إبراهيم
تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على أن عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما و
رعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر على الإطلاق وعدم صلاحية الظالم للإمامة
وقوله عز وجل وإذ جعلنا البيت أي الكعبة المعظمة غلبت عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على إذ ابتلى على أن
العامل فيه هو العامل فيه أو مضمر مستقل معطوف على المضمر الأول والجعل إما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة أي

وقد جوز أن يكون فعلية منه على أن الياء للنسبة وضم الذال مبدل من الفتح كما قالوا في النسبة إلى الدهر دهري وإلى السهل سهلي بضم الدال والسين مسموعة بجلال العارف رحمه الله عليه

مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني وانا بمعنى الابداع
فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا
اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد النائبين وامنا اي امنا كما في قوله تعالى وما آمنا على ايقاع المصدر
موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن اي مامنا من يحجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من
دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما
كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتبر فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو
يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على قول هو عطف على جعلنا او حال من
فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي تضمنه قوله تعالى وجعلنا مثابة للناس كانه
قيل ثوبوا اليه واتخذوا وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام والامة
والاول هو الاليق بالنظم الكريم والامر فيه كان او معنوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم لمكان
وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت
وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام
ابرهيم فقال عمر رضه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر رضه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما
قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله
تعالى عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به
واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية
حذف عنها الجار فان مدار الجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها
فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء
ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي
والاستقبال او اي طهراه على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير اليهما
عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ
بوانا لابرهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام
البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض
وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة
والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب
الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او لا خلاصه لهولاء لئلا يعتاده غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة
غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابرهيم عطف على ما قبله من قوله واذ
جعلنا اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة نائم
اي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي

انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا
البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى
على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابرهيم ان حمل
على تعدد السؤال لما انه عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته
المقدر له لما تقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا البلدية
ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول
اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد
الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية
كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء
عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل
وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضه ان الطائف
كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم ام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري
انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر
بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة
لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب
قال استئناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر
وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره وانما دخلته الفاء تشبيها له
بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من
آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه ام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية
شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتعه وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعه به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه
قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابرهيم ام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه
للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان
وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت عطف على ما قبله من قوله تعالى واذ قال ابرهيم على احد الطريقين المذكورين في اذ جعلنا وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنها لما التأمت بها صارا شيئا واحدا فكانها ارتفعت
وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه ويرفعها بناؤها بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانتها

البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله تعالى انزل البيت
ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملئكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج
آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابرهيم ثم امره سبحانه ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وقيل بعث الله السكينة
لتدله عليه فتبعها ابرهيم ثم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها الى ان وقفت بمكة المعظمة
فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان
والجودي واسسه من حراء وجاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان
وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد
الحرام والذي تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة ذكره النووي في تهذيب الاسماء
واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروي
فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله تعالى جبرئيل الى آدم عليهما السلام فقال له
ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبرئيل وجعل آدم عليهما السلام يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم
فلما بنياه اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه
ومنها بناء بني آدم بعد ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا
من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب
بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص وداني ومنها بناء العمالقة ومنها
بناء جرهم ذكره الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب
النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء
لكلها بل للجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث
عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابرهيم
واسمعيل تبع له وقيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول
اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير
ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل
في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم القواعد حال كونه
وحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء للتعميم اي الدعاء
وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت
السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة
تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه

تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي
السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى
من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه
ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك
مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى
ومن كفر فامتعه فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم عليه السلام لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام
ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد ما كان فالمطلوب الزيادة
والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان
التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين
العاطف والمعطوف كما في قوله عز وجل ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية
بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية
العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة
من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكاية عنهما لترغيب الكفرة في
التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم
وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه
وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان
قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء و
اسمعيل تبع له عليهما السلام يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية
الكتاب اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية
اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل
الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور
التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار واستبعاد
لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء احد الا من
سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل
من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب

عيش • احب الظاهر لعبس لدى سنام • وقوله وما قومي بثعلبة ابن سعد • ولا بفزارة الشعر الرقابا • وذلك لانه اذا رغب
عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة
روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني
باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر فنزلت • ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة
الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله
لقد اصطفيناه وقوله عز وجل وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير
والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما قررته ولا حاجة الى جعله اعتراضا او حالا مقدرة فان
من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بجهل والاعراض عن النظر والتأمل • وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين
لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور
التي تشاهد آثارها • وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة
عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله • ربيته حتى اذا تمعددا • كان جزائي بالعصا ان اجلدا • او
بمحذوف من لفظها اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظها اي اعني في الآخرة كما في لك بعد رعيا • وقيل هي متعلقة
باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ
قال له خلاف العطف لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان الاصطفاء في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق
بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين
قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله الدلائل
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام
والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة
اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال
قوة اسلامه حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به • ووصى بها
ابرهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تأكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام
والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله
وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل
الكلمة كما في قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ
اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني
على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله • رجلان من ضبة اخبرا
انا رأينا رجلا عريانا • فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو بمعنى القول وقرئ
ان يا بني • وبنو ابرهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين

وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي وشيوذا وزبولون ودوانا ونفتونا وكودا
واوشير وبنيامين • ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان
ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود
الامر بالثبات على الاسلام حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع
وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه
غاية الحذر • ونظيره لكن لا في ايجاب الدوام مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة
مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابرهيم ع م وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر
واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية
وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابرهيم ع م الى توبيخهم
على افترائهم على يعقوب ع م باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه
تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابرهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع
الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره
عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون
رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام
اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن
الا وانتم مسلمون وما يسأل به كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل
عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب • فقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال
يعقوب ع م كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق
حسبما كان مراده ع م بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه
تغليبا للاب والجد او لقوله ع م عم الرجل صنو ابيه وقوله ع م في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو
والنون كما في قوله • فلما تبين اصواتنا • بكين وفديننا بالابينا • وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم
عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية
كاذبة • وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك
امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها
ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض
التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في
خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها
فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة
على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم كسبكم لا

لا ما كسبه غيركم فإن تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند إليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين أي ولي ديني لا دينكم وحمل
الجملة الأولى على هذا القصر على معنى أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام إذ لا يتوهم متوهم
انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج إلى بيان امتناعه وإنما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بأن أعمالهم الصالحة
مخصوصة بهم لا تتخطاهم إلى غيرهم وليس لهؤلاء إلا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما ينفعهم اتباعهم في الأعمال كما قال
عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون إن أجري السؤال على
ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما تم من الجملتين تقرير الظاهر وإن أريد به مسببه أعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة
له وأياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع أطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الأمة الخالية وإنما أطلق العمل لإثبات
الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل أي لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون عن كسب السيئات فمن أين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر بيان
ضلالهم في أنفسهم والضمير لأهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستجلاب حالهم لإبعادهم عن مقام المخاطبة و
عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم أي قالوا للمؤمنين كونوا هودا أو نصارى ليس هذا القول مقولا للكل أو لأي طائفة
كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص تعينه حالها مغنيا عن التصريح به أي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى
كونوا نصارى فصل بالنظم الكريم كما فصل في قوله وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى اعتمادا على ظهور المرام
تهتدوا جواب للأمر أي إن تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان
ما هو الحق لديهم وإرشادهم إليه بل ملة إبراهيم أي لا نكون كما تقولون بل نكون أهل ملته وقيل بل نتبع ملته وقد جوز أن
يكون المعنى بل اتبعوا أنتم ملته أو كونوا أهل ملته وقرئ بالرفع أي بل ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته أي أهل ملته حنيفا أي
مائلا عن الباطل إلى الحق وهو حال من المضاف إليه كما في رأيت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
إخوانا وما كان من المشركين تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع إشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الإجمال وإرشاد لهم إلى طريق التوحيد والإيمان على ضرب
من التفصيل أي قولوا بمقابلة ما قالوا تحقيقا وإرشادا ضمنيا لهم آمنا بالله وما أنزل إلينا يعني القرآن قدم على سائر
الكتب الإلهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للإيمان بها وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط الصحف وإن كانت نازلة إلى إبراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها
جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلا إلينا والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام أو أبناؤه
الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم وإسحق وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الباهرة
الظاهرة بأيديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وإيراد الإيتاء لما أشير إليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى
وما أوتي النبيون أي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرة لا نفرق بين
أحد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وإنما اعتبر عدم التفريق بينهم مع أن الكلام فيما أوتوه لاستلزام
عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب
يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في
قوله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع وإما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد

وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين أحد منهم وبين غيره كما في قول النابغة
فما كان بين الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل أي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين
كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل
ونحن له مسلمون أي مخلصون ومذعنون حال أخرى منه أو عطف على آمنا فإن آمنوا الفاء للترتيب بما على
قبلها فإن ما تقدم من إيمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لإيمان أهل الكتابين لما أنه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما
آمنتم به أي إيمانا مثل إيمانكم به على الوجه الذي فصل على أن المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويعضده
قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم به ويجوز أن يكون الباء للاستعانة على أن المؤمن به محذوف
لظهوره مر آنفا أو على أن الفعل مجرى مجرى اللازم أي فإن آمنوا إيمانا مفصلا أو فإن تحلوا بالإيمان بشهادة مثل شهادتكم
وأن يكون الأولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم بما ذكر مفصلا وأن يكون للملابسة
أي فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به أو فإن آمنوا إيمانا ملتبسا بمثل ما آمنتم إيمانا ملتبسا به من الإذعان
والإخلاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم السلام فإن ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك
مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فإنه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم
وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى فإن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا
فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه أن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه لا يلائم تجويز أن يكون له
طريق آخر وراءه وإن تولوا أي أعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض
وكفروا ببعض كما هو دينهم ودأبهم فإنما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف
والمعاداة والعداء من العدوة أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر صورة ومعنى ويوليه خلفه ويأخذ
في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد عن الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال
الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة إما جواب الشرط كما هي على أن المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم
عن الإيمان بجواب الشرطية الأولى وإنما أوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وإما
فاعلموا أنما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا إلى آخره
من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وإذ لا إمكان له فلا إمكان لاهتدائهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم ولما دل تنكير
الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتوح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والإعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل
فسيكفيكهم الله أي سيكفيك شقاقهم فإن الكفاية لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال وقد أنجز وعده الكريم بقتل
قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه
الأصل والعمدة في ذلك وللإيذان بأن القيام بأمور الحروب وتحمل المؤن والمتاعب ومقاساة الشدائد في مناهضة
الأعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام أتم وأكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق
من الوعد وتأكيد له والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك
أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق

فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان
بما ذكر على الوجه الذي حصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان
شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله تعالى وجل مع استناده وما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانها حلية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد كقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب
وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما وسط بينها الاغراء
وما بعدها اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء او مسارعة الى تسليته عليه السلام ومن احسن من الله مبتدا وخبر
والاستفهام للانكار والنفي وقوله تع صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا او النظاهر ومن صبغته احسن من صبغة تعالى
فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله
تع ومن اظلم ممن منع الخ حيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقي والاضافي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون
في صبغة غيره حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا
تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه
تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على محل الخ او بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون
فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة يجري مجرى التعليل قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميم الكلام الواقع في
الامر الوارد بخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف وهو الزام الكفرة وتبكيتهم خاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون
والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة
والاهتداء عليها وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا
وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي تجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تع ربنا اي مالك امرنا
وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره المؤدية الى الجنة ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه المؤدية الى النار ونحن له مخلصون
مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوى ان الذين
وكلمة ام في قوله تع ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تع اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة
وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ان ذكرا ما المستتب بذيل التقليد والافتراء على الانبياء ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما • واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة
دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام • وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة
فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا وما
قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله تعالى واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا
الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ويعضده قوله تع وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى
بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تع على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له
مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملايمته لسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال

من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين
المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب
قل انتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا
بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد اضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا
عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها
المرسلون • وقوله عز وجل قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين
والموسطة بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما للمخاطب متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما
مر في موضعه اي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث
قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تع وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون
عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحانه وتعالى عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد
اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما
تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله
عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة
الترقي من الادنى الى الاعلى • والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر
من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة
البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالآية حكمها عدم اقامتها في المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب
على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي
صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه
وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب
وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب • وقوله تع ومن اظلم الى آخر الآية
مسوق من جهته تع لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق
لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود
سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب
سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء
هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رضه ومجاهد ره قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته
عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله تع الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء
والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما قالوه
كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم
ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تع من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول
المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل من اشقائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد

وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لتخصيص
تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم إياه بل علمهم التفوه بالقدح مطلقاً أو بالعبارة المحكية ما ولاهم أي أي شيء صرفهم
والإنكار للنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة
للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة إذا لم يهتد لجهة أمره غلبت على الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة والمراد
بها ههنا بيت المقدس وفي إضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها أي ثابتين مستمرين على التوجه
إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الإنكار فإن الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه
فإن أريد بالقائلين اليهود فمدار الإنكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن
في الدين والقدح في أحكامه وإظهار أن كلاً من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع إليه لا لكم أحكمهم الانصراف عنها أو التوجه
إلى مكة وتعليق الإنكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما أن ترك الدين القديم أبعد عند العقول
وإنكار سببه أدخل في الإنذار بأن المنكرين هم اليهود بناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي
هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى خصوصية قبلة أخرى أو هم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه
الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه حق عندهم فإنه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من أحد الطوائف القائلة والإخبار
بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه
على النفس أشد وأشق والجواب العتيد لشغب الخصم الألد أرد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل لله أي لله تعالى ناحيتا الأرض أي الجهات كلها ملكاً وملكاً والمراد فلا اختصاص لناحية
منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء أن يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية
التي لا يعلمها إلا هو إلى صراط مستقيم موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس
تارة وإلى الكعبة تارة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الأبية والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه الخطاب إلى المؤمنين
بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم
لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لأن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه
في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على المصدر وحق
الأصل التقدير جعلناكم أمة وسطاً جعلاً كائناً مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك الجعل البديع جعلناكم أمة وسطاً أي خياراً أو عدولاً وهو في الأصل اسم لما
تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار
والأوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث
حتى أصبحت طرفاً فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملابسة بينها وبين أهلية الشهادة التي هي
غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة التي طرفاها
الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية
متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها
وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي يوصف بها وقد روعي

وفيها نكتة رائعة هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته إلى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي
الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب فإنا إذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم
إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة كون الأمة المهدية إليه أمة وسطاً بين
الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خياراً وعدولاً مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس
بأن الله عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وأنذروا ما هو من مؤكد وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة
كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة
الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة الملكية المشار إلى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً
كان المتصف بها واقفاً على الحقائق المودعة في الكتاب المبين على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاوياً لشرائط
الشهادة عليهم روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام فيطالبهم الله بالبينة وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين
وزيادة لخزيهم بأن كذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال
أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وجل ويكون الرسول عليكم شهيداً وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى
الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الأخيار وتقديم الظرف
للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزاً
إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأن يختص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل
وما قيل من أن الجعل تحويل الشيء من حالة إلى أخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفاً فينبغي
أن يكون المفعول الأول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق
يهدي إلى العكس فإن المقصود إفادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة
دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها أولاً ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود أو هي
الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
وعلى هذه الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة وأما الصخرة فيجوز أن يراد بها على الروايتين والمعنى على
الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها أخيراً وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا التي كنت عليها قبل هذا
الوقت وهي الصخرة إلا لنعلم استثناء مفرغ من أعم العلل أي وما جعلنا ذلك لشيء من الأشياء إلا لنمتحن الناس أي
نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة والالتفات إلى الغيبة مع إيراده
عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الإسلام أو لا يتوجه إلى القبلة
الجديدة أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ما رددناك إلى ما كنت عليه
إلا لنعلم الثابت على الإسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي أي ليتعلق
علمنا به موجوداً بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه أو لتمييز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء
المجهول من صيغة الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو معلق بما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب أي لنعلم
من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة أي شاقة ثقيلة وإن هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ

المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى
الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية
او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان هي
كبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم
المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عم وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان
يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه
الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بخبر المقدر لكان كما
هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع كما في توجيه النفي الى ارادة الفعل
تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها
كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز
وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه كما هو
وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعمة
الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتاكل وقرئ لرؤف بغير مد كندس قد نرى
تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها متطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفا للدلالة على سببية
ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينها ولنمكننك من
استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار
اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله تعالى وحكمته فول
وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية الى الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لانه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن
اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو منتصب على الظرفية بمفعول ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل
الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر و
والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة
الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل
قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب
للمؤمنين مع التنصيص لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحيثما لازمة
على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها ويكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون

انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة
ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول باثبات الكتاب
وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله
بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما في عندهم من الكتاب الناطق
بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك
جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى
وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي
هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع
الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما
جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات
على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى
فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما
ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان
حقها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر
لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما
لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في اثباته ووضع الموصول
موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم
والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا
في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون
من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير
اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم
اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما
يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم اقرب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا والحق والاقرون
هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما جهلتهم فليس لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه كما هم

بقصد الاظهار ولا بقصد الكتم وانما كتموه على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تع من ربك خبره واللام للعهد و
والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تع كالذي انت
عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تع من ربك اما حال او خبر بعد خبر و
وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون وفي التنصيص بوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار
اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به او في انه من ربك وليس المراد
نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف
اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة
للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي فتسابقوا
اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم آل وهب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مائل وهو ابلغ من الامر
بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا
من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلوتكم كانها صلوة الى جهة واحدة
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم
التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تع فول او بمحذوف عطف عليه اي من اي
مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت
اليه فول وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك
احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في
اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيثما
كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يوجبه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين
المنتشرين في الآفاق من حاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول خطاب للمقيمين في الاماكن المختلفة من حيث
انه امرهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري
ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى
فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعل ذلك لئلا والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
في التورية من اوصافه انه يتحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء
حجة مع انها الحشو الاباطيل من حيث انها في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة
بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف
فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة
لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرت لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادة اهتدائكم لما انه امر مستتبع
مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل
الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة
اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تع فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية
والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة
لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة اتماما كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم
فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني
الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم اياتنا صفة ثانية
لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة
اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة
على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن
القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة
عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعمة في مقام تعيينه كما في قوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ عقيب قوله تع نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شأنهم ان يعلموه بالفكر
والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي
اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم
ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امركم به يا ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه وتعقيبه تنشيطا لهم
وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون وتذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي
من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت
عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يعلق الامر بالاستعانة بها الى
التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصر واجابة الدعوة وادخال مع على الصابرين لما انهم المباشرون
للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا العطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للامور
ان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء
بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية

وأما هي أرواح لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع رأيت في المنام
حبور شهداء أحد رضي الله عنهم وأنا أتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران وأرددهما متفكرا في أمرهم وفي نفسي أن حبورهم روحانية
لا جسمانية فبينما أنا على ذلك إذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر
ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر فلاح إلى العلم يقينا أن ذلك أيضا كما ظهر وأما لا
يظهر لكونه عورة فخطرت إلى وجهه فرأيته ينظر إلي مبتسما كأنه ينبهني على الأمر بخلاف رأيي فسبحان من علت كلمته وجلت
حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات والسنن
وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب
من الله عز وجل ولنبلونكم لنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف
والجوع أي بقليل من ذلك فإن كل ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وإنما أخبر
به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم حسبما أخبر به وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة
ونقص من الأموال والأنفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله
والجوع صوم رمضان والنقص من الأموال الزكوة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل أقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا
في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق له وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى
أن ما بقي عليه أضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده أولئك إشارة
إلى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للإيذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم
الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى
رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار مزيد العناية بهم أي
أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك أمورهم ومبلغهم إلى كمالاتهم اللائقة
بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وأولئك إشارة
إليهم إما باعتبار السابق والتكرير لإظهار كمال العناية وإما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار
الأول فعلى الأول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع
والاستسلام خاصة لأنه متقدم عليها فلا بد أن يكون متأخرا عنهما منتجا لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كأنه
قيل أولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء
والفوز بالمطالب والمعنى أولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فإن من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب
إن الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة

فمن حج البيت أو اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين
كالبيت والنجم في الأعيان وحيث أظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا جناح عليه أن يطوف بهما أصله يتطوف
قلبت التاء طاء فأدغمت الطاء في الطاء وفي إيراد صيغة التفعل إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف في الطواف ويبذل
فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمه الله أنه ركن وإيراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لأنه كان في عهد
الجاهلية على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا إذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الإسلام
وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف
بهما ومن تطوع خيرا أي فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف ونصب خيرا على أنه صفة
لمصدر محذوف أي تطوعا خيرا أو على حذف الجار وإيصال الفعل إليه أو على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع وأصله يتطوع
مثل يطوف فإن الله شاكر أي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان إلى العباد عليم مبالغ في العلم
بالأشياء فيعلم مقادير أعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من أجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل
ومن تطوع خيرا جازاه الله أو أثابه فإن الله شاكر عليم إن الذين يكتمون قيل نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا ما في
التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأحكام وعن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع
والأصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من أحكام الدين لعموم الحكم للكل
والأقرب هو الأول فإن عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة إليه
وتحقق الداعي إلى إظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء
ما أنزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى أي والآيات الهادية إلى كنه
أمره ووجوب اتباعه والإيمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للأصل وهي المرادة بالبينات أيضا والعطف لتغاير
العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى وقيل المراد بالهدى الأدلة العقلية ويأباه الإنزال والكتم من
بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في
قوله تعالى في الكتاب فإن تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه أو الأخير متعلق بمحذوف وقع
حالا من مفعوله أي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وإيضاحه بحيث يتلقاه كل أحد منهم من غير أن يكون له فيه شبهة
وهذا العنوان مفيد لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم أو تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والأول أنسب بقوله تعالى
في الكتاب والمراد بكتمه إزالته ووضع غيره موضعه فإنهم محوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز
وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ أولئك إشارة إليهم باعتبار ما وصفوا به للإشعار بعلية ما حاق بهم وما فيه من
معنى البعد للإيذان بترامي أمرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله أي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات إلى الغيبة بإظهار
اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة جلاله
المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون أي الذين يتأتى منهم اللعن أي الدعاء
عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله
عز وجل إلا الذين تابوا أي عن الكتمان وأصلحوا أي ما أفسدوا بأن أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه
عند التحريف وبينوا للناس معاينه فإنه غير الإصلاح المذكور أو بينوا لهم ما وقع منهم أولا وآخرا فإنه أدخل في إرشاد
الناس إلى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا أوقعوهم فيه أو بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم أضرابهم

وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تع فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول
وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تع وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله
والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا اي في تعليله تعالى السابق واللاحق
ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين
حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان
وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين
استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك
الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها
بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على
محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم
الله والملئكة اما قيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر
تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من
حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف
ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي والاستمرار اي لا يمهلون او لا
يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة
اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض
واياما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران
للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تع حيث كان مولى لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان
سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحقق وحدانيته بلا ريب واختص استحقاق العبادة
به تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما
فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق
دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل واحد منهما خلفا للاخر كقوله تع وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر
عطف على ما قبله وتأنيثه اما بتأويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر
والثانية في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع
او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل
وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم
على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان
فتأخيرها لما مر من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب فاحيى به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من

او جهة العلو

من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها المقتضية طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء و
وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى
فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيى
بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم تتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها
ولكن على من صبه الله علقم وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض ان لم يقدر الخير قادره على معنى فاحيى بالماء
الارض وبث به فيها من كل دابة فانهم ينمون بخصب ويعيشون بحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها في
مهب الى اخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة
سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله
تع سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تع ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب
في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور
المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لايات
اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة
والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول
وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم اية تصدقه في قوله تع والهكم اله واحد وتسجيل عليهم
بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته
الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تع واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه
خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا
عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه
مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع
المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير
وحدانيته سبحانه وتحرير الايات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه
شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل
في قوله تع ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ
من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه
بالصفات اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي
كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبرؤ من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا
يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من حببته اذا اصبت
حبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على حذف الزوائد لكن الاستعمال المستفيض
على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته
او ارادة توقيره وتعظيمه والاعتناء بتحصيل مراضيه ومعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا
او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي حبا

لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن تحقيقه كونه مبنيا للفاعل على كونه ايضا كذلك والظاهر اتحادهما فانهم كانوا يقرون به تعالى
ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل
الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه
كما او كيفا لما بينهما من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى
عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما سلف
في تفسير قوله عز وجل كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف
وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتداة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة
حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المؤمنين اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم ومآله ان اولئك لهم حب
اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه دلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل كما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله
تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بجهل فاسدة
ومبادي موهومة تزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما
اياما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك
اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال
كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار
في موقع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود
اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي
في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العقاب
عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب
لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه
واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ راوا العذاب
قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله تعالى جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما
لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فالجواب لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب
على الاستئناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين
اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا
عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من
الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين
جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ او توسيط الحال بينهما
للتنبيه على علة التبرؤ وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرأ الرؤساء منهم وندموا
على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هنالك كما تبرءوا

منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات
عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤمله واشتقاقها من
قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يري ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم
بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة
امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا يا ايها

الناس

كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من صنوف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث
والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم
ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا
او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاولين قوله طيبا فانه صفة له
ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال
على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة
المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انه جمع خطوة
وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته
وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة
اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تعالى
بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى
لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح و
الشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما
لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه
الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله
الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا
والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما

من آبائنا

انزل الله فيه من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة تحذيرا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان رايهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله عز وجل اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد فان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحال المذكورة واما تقرير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مماشاة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا ينسبوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلة المر فيكبوا من العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والمعنى ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم عاقلين ومهتدين وحال كونهم جاهلين ضالين انكارا لما افاده كلاهما من الاتباع على اي حالة كانت من حالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على التحاشي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي يتعلق به الانكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الآخر اي ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عموم الغنى هو عدم الاعطاء لا الغنى فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لانه هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلا اختلاف بينهما قلت لان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباحه بعد تمامه كما في صورة النهي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى

اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما بعده عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله في حقيقة لمواعينها بان يسمى مثلا ويسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا الصوت الراعي وتحفظه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مسوقة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة او التامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة الحجج الواضحة والمقاومة معه من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما وبكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثنيا بالشرع والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر حرمته على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وفي التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله عز وجل اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار وتلبسها فكانه عين النار واكلها اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون

في الحال يوم القيمة عين النار عقوبة علي اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفايدته تاكيد الاكل وتعريض بيان
ملء الاكول وقيل معناه ملا البطون كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم
لا التعليق بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديره علي حرف الاستثناء والا فتعليقه بياكلون يؤدي الي حصر ما
ياكلونه الي الشيء علي النار والمقصود حصر ما ياكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض
بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم
مولم اولئك اشارة الي ما اشير اليه بنظيره بالاعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم المنطبقة اذ لا دخل لها في الحكم
الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة شنيعة تشمئز منها الطباع والاستيقاظ ما عاقل الصلاة
ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابداء فظاعة بشاعته وهو مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله
عز وجل ثمنا قليلا ليسوا المشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الي الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان
يشتري قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الي الآخرة العذاب
الذي لا يتوهم كونه مما يشتري بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم علي النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم
بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شر في
شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين علي النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم علي
النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم علي النار او شيء اصبرهم علي النار امر عجيب ذلك العذاب
بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن الجهل والغواية
مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى
وكفروا ببعضها او في التورية بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المشتملة علي امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
لفي الاختلاف المتخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم انه
اساطير كما حكي عن القرآن لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب البر اسم جامع لانواع الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين
حولت الي الكعبة وكان كل واحد يدعي حصر البر التوجه الي قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق علي المغرب مع تاخر زمان الملة
النصرانية انما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع علي ترتيب الشروق والغروب واما الان توجه اليهود الي المغرب ليس لكونه مغربا
بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما انتم عليه من التوجه الي تلك الجهتين علي
ان البر خبر ليس مقدما علي اسمها كما في قوله ● سلي ان جهلت الناس عني وعنهم ● فليس سواء عالم وجهول ● وقوله ● اليس عظيما
ان تلم ملمة ● وليس علينا في الخطوب معول ● وانما اختير ذلك لان المصدر المؤول احق من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا
ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم
وقرئ برفع البر علي انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل واحد يدعي ان البر هذا المنحصر ان يكون الرد موافقا لدعواهم
وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله خبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق
للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر
المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود
والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي علي ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم

الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه
الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر تعقيب بنفيه عن التوجه الي المشرق والمغرب من حوالة ما الاخير كانه قيل ولكن
البر هو التوجه الي المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملئكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون
بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه
وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة
بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحي وبين النبيين واضح وسياتي في قوله تعالى كل آمن
بالله وملئكته وكتبه ورسله وآتى المال علي حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا علي حب المال كما في
قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه
كائنا علي محبته تعالى لا علي قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض بما ذكر من الرشى واخذهم علي التغيير التورية وقيل للمصدر اي كائنا علي
حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه
طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى
اي المحاويج منهم علي ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم
السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الي الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته
اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجاتهم الحاجة والضرورة الي السؤال قال عليه السلام اعطوا
السائل ولو جاء علي فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى
وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم ايذان بعدم
قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق
والحاجة لما ان في للظرفية المنبئة عن تحليتهم لما يؤتى واقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة علي ان المراد
بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم علي الفريضة مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف
والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف علي من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم
وايثار صيغة الفاعل للدلالة علي وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين
الناس وقوله عز وجل اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب علي الاختصاص غير
سبكه عما قبله تنبيها علي فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف علي ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح
او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل علي زيادة
ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما في صدر السورة وقرئ والصابرون كما قرئ والموفين في الباساء
اي في الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين الباس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب
وزيادة حين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الي المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت
الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه علي علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق و
تحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة
لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الي انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها

...ها وتشعب شعبها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس
الى الاولى بالايمان ... والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحايزون لها بالصدق
نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول
الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا ينافي قدرة الولي
على العفو ... بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله
عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأمرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد ...
ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد ظهر الوجه ههنا وانما تمسك
في ذلك بما ... على رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده

[illegible]

ووضع للموصول به موضع الضمير الراجع اليه من تاكيد الايذان بعليته لما في حيز الصلة الاولى وان الراجع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او
كثرتهم افرادا او الايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص جنفا اي ميلا بالخطا في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح بينهم اي بين
الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور
رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب
والفرس اي امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا
مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا
كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه
نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه
مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه
وتطييب للنفس للمخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار
كما روي ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فتركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فيه فرعون
وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشورا واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا فيه حرا شديدا فاجتمعت آرا علمائهم
على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتا فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا ثم مرض ملكهم او وقع فيهم
موتان فزادوا عشرة ايام اخرين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه
بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء
الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا او ثلثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل باضمار
عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للكتب
فلا يتحقق الظرفية والمفعولية لشبهة عليها الاتساع فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه
تلويح بان من سافر في اثنا اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضاف فان ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة رضه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطا فدية وهي طعام مسكين
وهي نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم
الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه
ويطوقونه بادغام التا في الطا ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل
وتفيعل من الطوق فادغمت اليا في الواو بعد قلبها يا كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى
يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلا الافطار والفدية وهو على هذا الوجه غير منسوخ
ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير

الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم او المرخصون في
الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات في الخطاب
للتهيج والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه
او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا ما سياتي خبره او
خبر لمبتدا محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار
صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان
الحديث وارد على حذف المضاف للامن والالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسما الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر للمبتدا على الوجه الاول
وصفة للشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى
السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل
لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل حال
كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفا للتفريع و
او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كانه
قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور اتساعا وقيل
من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كما قيل ومن
كان مريضا او كان حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر
ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية
رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة
الفطر فقوله تع لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير و
تعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفا على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تع يريدون ليطفئوا
والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثنا عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدرية والموصولة
اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني في تلوين الخطاب
وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى تشريفه ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال
علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له
ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات

علي ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تع بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم علي القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة علي انه تع خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم علي اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الي نسائكم روي ان
المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الي ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء
فندم واتي النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح
منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالي لتضمنه معنى
الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف علي القائم مقام
الفاعل لما مر ان التشويق لبيان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة
وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما علي الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت وكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف
آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف علي علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن
لما نسخ التحريم باشروهن واصل المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل علي جواز نسخ
وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان غرضه الولد فانه الحكمة
في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفي ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر
عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الي التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الي خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الي وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس علي بعضهم وفي تجويز المباشرة الي الصبح دلالة علي جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح
جنبا ثم اتموا الصيام الي الليل بيان آخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد
بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الي امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل علي ان الاعتكاف
يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطئ فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود حدها الله تع لعباده فلا تقربوها نهي ان يقرب الحد الحاجز
بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تع محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين المبين يبين الله آياته الدالة
علي الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي
عن اكل بعضهم لاموال البعض علي خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم
مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تع وبينكم نصب علي الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الي الحكام عطف علي المنهي عنه

او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الي الحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم
بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم
بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعي علي امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف
امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الي
عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له علي نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما
حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت
للناس والحج فانهم سألوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة
الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مما يحتاج فيه اداء وقضاء وكذا في
معاملاتهم علي حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الي منتهاها والزمان مدة مقسومة الي الماضي والحال والمستقبل والوقت
الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر ولكن
البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
للحج ذكر عقبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث
لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوه
تنبيها علي ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه علي تعكيسهم في السؤال كونه
من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ علي مثله
وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه او
في جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر هو التقوى اظهارا لزيادة اعتنائه بشأن التقوى وتمهيدا لقوله عز وجل
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم
الظرف علي المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشائخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي
ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه علي ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها
الله تع ثلث ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وعلي هذا
يكون ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة او بالمثلة
وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير و
تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء
علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الي خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة
التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم
لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم ثم فاقتلوهم فيه [illegible] وفي العدول
عن صيغة المفاعلة التي يجاوز دالنهي والشرط علاوة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال
والكفر بعدما رأوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي
فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكرهوا
القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب ان يحافظ
عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شأن الانتصار واحذروا ان
تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر
بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه
يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى
لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد
اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة
لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض
المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه
بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب
الحج بقوله ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب
العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر
للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك
بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما
فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية

وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان
فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنه قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت
لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فاهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فمحمول على افادة الوجوب
مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله صلى الله عليه
وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه
مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنه لا حصر الا حصر
العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر
من الهدي او فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل
بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء
اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث
الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما
واقتصارهم في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذي الى اسفل
مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على
تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي
ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام
او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك
هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة
اصوع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى
بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي
وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام
الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر
وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وهو احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ سبعة
بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة كاملة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يحسن الحساب وان المراد بالسبعة
هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد
او مبينة لكمال العشرة فانها عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من
الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج

اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي
وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر
اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء فمن فرض
فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من
الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم
والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة
البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي اثناء الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير
اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال
والتثقيل على الناس واتقوا يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك
خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض
لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي
قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرائيل عليه السلام كان يدور به
في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله
ثم افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر
غير واجب والامر به مطلوب فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه

كما هداكم اي علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين بغير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كما في قوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما
بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من
عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر و
ينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم
اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا
على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم
اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من
يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا
اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا
وبيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق وبيان لحاله في الدنيا وتأكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هي الثواب
والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي رضي الله عنه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحوراء وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق
الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نصيب
من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال
والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شانه
او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا
الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق
فمن تعجل اي استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر
واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتأخر كما في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم
عليه بتعجله ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه
بتأخره من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية
حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن

الحوراء وعذاب النار المرأة السوء
وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الآخرة الجنة

عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع
اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والمتخلقين واحذروا
الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى
الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له اليه عليه السلام وهو كلام مبتدأ مسوق
لبيان تحزب الناس في شأن التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه ظاهر في قوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد بديعه
من ملاءمة النحوي ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما تعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في الحيوة الدنيا ومعادها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله
عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في
الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله
فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه فيها الا
القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني
وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله والمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضه والله يشهد على ما في قلبه
على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة
للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب
وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام
والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين
واذا تولى اي من عندك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس
بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله
بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح
اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض
تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته اخذته
العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته
اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه لسده مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده
على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ
وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث
ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم

لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشري حينئذ بمعنى يشتري لجريانه مجرى الحال على صورة الشري
والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة
حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله فجئت بها تمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرجل وهي في الاصل
اسم لجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب
كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا
في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم
او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة
التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب
اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او مخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل
للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات
الحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم
حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من المؤاخذة بالجرم المستعصين على امره هل ينظرون استفهام انكاري
في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه
الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات
الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كأنهم طالبون لها مترقبون
لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال جمع قلة من الغمام اي في السحاب
الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان
الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة
فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا
من جنس ما يلائم الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد
وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار
وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء
الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء
للفاعل بالتأنيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الكتاب
والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء
عليهم السلام وآية ناطقة بحقية الاسلام المأمور بالدخول فيه وكم استفهامية او خبرية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى

الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او بتحريفها وتأويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت
اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها
كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم
الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه
شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم
واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله
سبحانه كما ينبئ عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا
من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على العقبى ومن ابتدائية كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى
للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم
في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة
فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء
اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله
النبيين اي فاختلفوا فبعث الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وحذف تعويلا على ما ذكر عقيبه مبشرين ومنذرين
عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن
ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين
فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له
كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم
وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله
عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه او كل واحد من النبيين بين الناس اي
المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه في اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف
على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف
سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه
الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الا ... وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة
بغيا بينهم متعلق بما تعلق به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب
لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما او في الجملة اولا وتغيره ثانيا ما الا ...
باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر

ذكر في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا

لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات
والمصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل احوالهم
وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها
للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من
المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو
متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم
البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من
الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول
الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره
متى اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية
حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات
والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله
قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية
المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما
انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان
بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا
عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه
قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف
اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق
من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل
فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه
موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب
اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف
كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب
عليكم القتال بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال
وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره
مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او
على انه بمعنى الاكراه مجازا كأنهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهي جميع
ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا
لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب

والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما
فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا بأمره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته
على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام
على ان قوله تعالى قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام
لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى
للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز
وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة اي قتال كائن فيه واما بالعمل
ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان روي عن عطاء
انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت
واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص
بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد داخل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى
وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على
سبيل الله لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهم النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اي كبائر
السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع و
المذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل
اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن
دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تأكيد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا
اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد
اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد
الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت
حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها
حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار
اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية
لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد
بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة

يرجون بما لهم من الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل
غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور [illegible] مبالغ في مغفرة ما
فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر
توارد في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون
يشربونها ثم ان عمر رضه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت
هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم احدهم فقرأ قل يا ايها
الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن
ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه
موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [illegible] اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل
انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة
لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيها الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا
هو الايمان والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد
لتغطيتها العقل والتمييز كما انها تسمى سكرا لانها تسكرها اي تحجزها والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد
والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب
وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح و
السفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة
هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي الخريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا
فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور ومع ذلك و
وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم
ومن حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين
المشئومتين فانهما ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى
يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين
والدنيا مع كون كل واحد منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع
وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة
على غلبة الاول ما لا يخفى على الناظر به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه
وقرئ اقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء
ينفقون قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا من اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع
الاجناس سأل ثانيا من اي اصنافها ينفق أمن خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب
اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو
قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة

وبطرا والسترى وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلاً
اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مراراً حتى قال عليه السلام
مغضباً هاتها فاخذها فحذفها حذفاً لو اصابته لشجته ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد
المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان
الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسولة الثلاثة يبين لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بياناً
ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى
يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا
على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة
الآيات واما بمحذوف وقع حالاً من الآيات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل
لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة
في اجوبة الاسولة الثلاثة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وتأخير التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام
الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فكذلك اشارة الى ما مر من البيانات كلاً او بعضاً لا الى مصدر
بعده فانه فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد
في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما
يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره
روي انه لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك
فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء
وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن
حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم
بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في اموركم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد ومن الذي
يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلاً منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد ولو شاء
الله لاعنتكم اي لو شاء ان يعنتكم اي يحملكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره
لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله تعالى حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه
الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات
اي لا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات
ايضاً حسبما يقتضيه التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما
يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهو ثابتة وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها
عناق فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى

النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات
صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذفت لامها
على غير قياس وعوض عنها تاء التأنيث ودليل كون لامها واواً رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا
اذا تداعى بنو الاموات بالعار وظهورها في المصدر يقال امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ
لما فيها من لام الابتداء والوصف ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من
مشركة اي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن ولو اعجبتكم فان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست
لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى
على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداها من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة
لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كأنه قيل لو لم
تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل والأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها
وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر
على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيهاً على انها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل
اعتراضية وليس بسديد وهي انما عاطفة مستتبعة في الاعتبار اللطيف ثم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مقررة
لمضمون ما قبلها ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات
سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من
مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك ا
استئناف مقرر لمضمون التعليلين الآتيين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم
ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو
بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة
على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو ملتبساً بتوفيقه
الذي من جملته ارشاد المؤمنين لهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام
الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي كي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة
والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تشريفاً لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله
يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعياً لاتحاد مرجع
الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبراً للمبتدأ لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين
قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما وجهناه اولاً وايراد التذكر هنا للاشعار بانه واضح لا
يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسولة
الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة

والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجئ والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونهن كفعل
اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله عليهم فنزلت قل
هو اذى اي الشيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن
في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه
على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة فان كان ذلك في اكثر المدة
حل القربان كما انقطع والا فلا بعد الاغتسال او مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة
بالتشديد ويدل عليه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فأتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم
وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس ما نهوا عنه وتكرير الفعل
لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور
من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فأتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو
بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون
ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها
ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا التحصيل ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين
تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من
الامور التي تنشرح بها الصدور وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة تشريف
المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول
كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني
عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لتعلقها
بها كما في قوله عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله
فهو ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما فيه الحلف عبارة عن الامور المحلوف عليها
واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة
اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعرض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى
على تركها وقد جوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه
يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان

ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون
بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم اللغو الساقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم واختلف فيه فعندنا هو ان يحلف
على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه لانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله
مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا
انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم
الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان وحده والله
غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشيا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر
لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم
دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون
متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم
وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطي ان امكن او بالقول
ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمه كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة
والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان
فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا
لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء
من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع لما يجري بينهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة
التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات
الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر
وان عدة الامة قرآن او شهر ونصف يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بان المأمور به مما يجب ان
يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فهو يخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدأ مما زاده فضل تأكيد
بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك
لما فيه من الانباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان
بالمأمور به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء
وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم
ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن
وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع
وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة و

ووضع حمل

وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما
قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن
البعولة جمع بعل في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن
الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن في
ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل ان اراد الرجعة والمرأة تأباه وجب ايثار قوله على قولها لا ان
لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به
شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الاضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف
من الحقوق التي يجب مراعاتها وتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن
في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوامون عليهن وحراس لهن وبما في ايديهن يشاركونهن فيما هو
الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه
على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق اولى به حكمه ولما روي انه صلى الله عليه
وسلم سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي
يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا
مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف
اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة
فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة
والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله
تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم كأنه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فالامر لكم
احد الامرين ولا يحل لكم ان تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي الصدقات وتخصيصها بالذكر وان
شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه
عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا
والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما
يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن ان لا يقيما
حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات
والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان
جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انا ولا ثابت لا يجمع
رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء
فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك
اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون وايراد الجمع باعتبار
معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موضع الضمير

لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين
فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي
الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك فبمثله يجوز الزيادة على الكتاب
وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين
لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمرأة
ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق
ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد
وتلك اي الاحكام المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سيأتي بناء
على ان المضارع للحال زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون
بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه
اتساعا وهو المراد هنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق
بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا اعادة للحكم في بعض
صوره اعتناء بشأنه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تأكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه
وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل
يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها المدة فنهى عنه بعد ما امر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحالية اي لا تمسكوهن مضارين
او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من
الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن
بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا
اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود ومن ههنا قيل لمن لم يجد في الامر
انت هازئ كأنه نهي عن الهزؤ بها واريد به ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها
والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آية الله
بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزؤ وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول كنت العب فنزلت ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم
الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم
او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام
لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح فيه كلمة تاء التأنيث لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة

ان يقيما الاحكام المذكورة ... حدود الله

عشقا بك قد كانوا اتن كالموارد • وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من
الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى
الملك القرم وابن الهمام • وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى • وفي افراده بالذكر مع كونه اولا داخلا في النعمة المأمور بذكرها
تعظيمه ومبالغة في البعث على رعايته ما ذكر تحته من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا
الله في شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم
بانواع العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم
ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل
بنت عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التنصيص لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول
قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل
[illegible] النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج
الذين كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد فعل
البعض منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء
او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون
عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء
والجر عند الخليل على خلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن
ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير اذا تراضوا
ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام
التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بجميل عند الشرع مستحسن عند
الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب
العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المطلقين كما فيما بعده
والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل والفوج واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له
وخوفا من عقابه • وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عمله في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا
من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع واطهر من ادناس الآثام
واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم
من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه في كل ما تأتون
وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا
وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بما اذا لم يقبل الصبي

ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لتحريك عطفهن نحو الاولاد وهو حكم
عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير
تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استئجار الام
وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا
تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف
كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين
لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا
على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له
رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي
هو وارث الاب وهو الصبي اي ثمن المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن
للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان
بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما من الوالدين
لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور
في شأن الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي
من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار
رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما
على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف
المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها
اياه • وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف
حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب
ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فا
ذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله
عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه • وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي
بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب

لا ما هو الابلغ والاولى فان الارضاع اذا انجلين ما قدر لهن نادرا ابدا فكان ذلك اخل في استصلاح شئون الاطفال
واتقوا الله في شأن مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير حيث يجازيكم بذلك واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج
الذين يتوفون منكم اي تقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته
منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون
يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد
عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم
ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله تعالى واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما
فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه
اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما
امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب اي الشأن الذي له خطر لما انها شأن من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب
لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن ان يقول لها
انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح
بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر
لسببه الذي هو الوطء لما انه مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة
في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة
بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة
معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء
الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا
عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي
لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله
اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نفيا

عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالكف
عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور رحيم لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا
تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح
عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي
عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون
من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا
الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اظهر من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان
المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان
المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يعتبر كمال الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى
تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية
ويجوز ان يكون مصدرا وصيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في
حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه
في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى
ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب
المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا
واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من
يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص
من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق
ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف
وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل
طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما وفرض الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان
قارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف
المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا
صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا النصف مما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية
مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت
مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهار ان لا شيء له
متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال

عفو عن حقه لسقط ذلك في بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وأما الوضع في الاعتبار والتحقيق فالواو
في الأولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن تأثيره فيما عطف عليه
من قوله تعالى أو يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح أي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه
من نصف المهر الذي ساقه إليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فإن ترك حقه عليها عفو بلا شبهة أو سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق
مشاكلة أو تغليبا لحال السوق على عدمه فخرج الاستثناء مخرج المنع الزيادة في المستثنى منه كما أنه في الصورة الأولى إلى منع النقصان عن
أي فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان في جميع الأحوال إلا في حال عفو الزوج فإنه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الأول
أما على التفسير الثاني فلا بد من المصير إلى جعل الاستثناء منقطعا لأن في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وهو
القول القديم للشافعي وعنه أن المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا أن الأول أنسب بقوله تعالى
وأن تعفوا أقرب للتقوى إلخ فإن إسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل
الدخول وأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على
بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب إن الله بما تعملون
بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والإحسان حافظوا على الصلوات أي داوموا على أدائها لأوقاتها
من غير إخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج
والأولاد قبل إتمامها للإيذان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن
أنفسهم أيضا كما نفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المتناسبة
الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى أي المتوسطة بينها أو الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الأحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلوة التي شغل عنها
سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل هي صلوة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم لما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت أفضلها لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات أحمزها وقيل هي صلوة
الفجر لأنها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة
المغرب لأنها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص
في السفر وقيل هي صلوة العشاء لأنها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي
أنه عليه السلام قرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون ح إحدى الأربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادها في الفضل
وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله أي في الصلوة قانتين
ذاكرين له تعالى في القيام لأن القنوت هو الذكر فيه وقيل هو إكمال الطاعة وإتمامها بغير إخلال بشيء من أركانها و
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فإن خفتم أي من عدو أو غيره فرجالا جمع راجل
كقيام وقائم أو رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد أيضا وقرئ فرجلا أي راجلا
أو ركبانا جمع راكب أي فصلوا راجلين أو راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما أمكن الوقوف في الجملة
وقد جوز الشافعي أداءها حال المسايفة فإذا أمنتم بزوال الخوف فاذكروا الله أي فصلوا صلوة الأمن عبر عنها
بالذكر لأنه معظم أركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف أي ذكرا كائنا كما علمكم أي كتعليمه إياكم ما لم

ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه أن تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وإيراد ما
بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام التي من جملتها
كيفية إقامة الصلوة حالتي الخوف والأمن هذا وفي إيراد الشرطية الأولى بكلمة إن المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته
وتصدير الشرطية الثانية بكلمة إذا المنبئة عن تحقق وقوع الأمن وكثرته مع الإيجاز في جواب الأولى والإطناب في جواب الثانية
المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به منزلة مقام الأمر تنزيلا مستدعيا لإجراء المقتضي للمقام الأول في كل منهما
مجرى المقتضي للمقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لأولي الأبصار والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا
عود إلى بيان بقية الأحكام المفصلة فيما سلف إثر بيان أحكام وسطت بينهما لما أشير إليه من الحكمة الداعية إلى ذلك وصية
لأزواجهم أي يوصون أو ليوصوا أو كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لأزواجكم
وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ أو الخبر أي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون
أهل وصية لأزواجهم أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرئ متاع لأزواجهم بدل وصية متاعا إلى الحول منصوب بيوصون
إن أضمرته وإلا فبالوصية أو بمتاع على القراءة الأخيرة غير إخراج بدل منه أو مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول أو حال
من أزواجهم أي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة
والسكنى وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى أربعة أشهر وعشرا فإنه وإن كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فإن خرجن عن منزل الأزواج باختيارهن
فلا جناح عليكم أيها الأئمة فيما فعلن في أنفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض
للخطاب وفيه دلالة على أن المحظور إخراجها عند إرادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير أن يجب عليها ذلك
وأنها كانت مخيرة بين الملازمة مع أخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على أمره يعاقب من خالفه
حكيم يراعي في أحكامه مصالح عباده وللمطلقات متاع سواء كن مدخولا بهن أولا متاع أي مطلق المتعة الشاملة للواجبة
والمستحبة وأوجبها سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول
بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين أي ما ثبت لكم ذلك أي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله
لكم آياته الدالة على أحكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم
من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجيب من شأنهم البديع فإن سماعهم بها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلمية أو لكل واحد ممن
له حظ من الخطاب إيذانا بأن قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها
وإن لم يكن ممن رآهم أو سمع بقصتهم فإن هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما أنه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال
الرائي له بناء على ادعاء ظهور أمره وجلائه بحيث استوى في إدراكه الشاهد والغائب ثم أجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا
إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بإلى في قوله تعالى إلى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الإبصار
باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها إدراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى ألم ينته علمك إليهم وهم ألوف
أي ألوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلثون وقيل سبعون ألفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله تعالى حذر الموت
مفعول له روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا
ويعلموا أن لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم نبي بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم
فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى من أمرهم فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فإذا هم قيام يقولون سبحانك

اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وقوله تعالى فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب
وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمأمور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم
عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم واما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى
واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة والموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه
الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس كافة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا
بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار
لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله
لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز
وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا او شرا
فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول
صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة
عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرض
وقرئ بالرفع اي فهو يضاعفه وجعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة
للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان لتضمين المضاعفة معنى
التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر وجمعه للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض
ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء
وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب لمن سمع
قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني
اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم
يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن للتبعيض وما في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية والعامل فيها مقدر
وقع حالا من الملأ اي كائنين من بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد حرفي الجر لفظا عند اختلافهما معنى
اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف
عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بالي بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل
قاله مقاتل وهو من نسل هارون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين
القتال او استئناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء جزما ورفعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم

القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان
المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوا بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر
كتابة القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عزيمته اولى ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال
هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق ومالنا ان لا نقاتل اي اي داع لنا الى
ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من
من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت
رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين نفسا وضربوا
عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام وبعث الملك تولوا اي اعرضوا
وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا
لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي
اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه وبينهم من الاقوال والافعال
اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي
بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استبعادا لتملكه عليهم انى يكون له الملك علينا اي من
اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة
جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال
وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب
عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد
بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه
بسقوط نسبه وفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة
الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله تعالى وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به
وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان
الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت
فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط قوله بين قوليه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال
احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه آية تدل على انه تعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق
وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورحموت

والمشهور ان يوقف على آية من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل
بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان
آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول
ابن عباس رضي الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان
من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل
الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى فكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت
تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فكلمهم و
يحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون
العدو وكانوا اذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله تعالى عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت
وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير
وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران
يسيران ووكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم ان آية
ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة
من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل
وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان قد
رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والآل ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من
التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم الثورين
حاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء
كلام من جهة الله تعالى جيء به قبيل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التفسيرين بتأويل الفريق
او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه
من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله و
قيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اكثر فاعله ومفعوله شاع استعماله
محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف
وقوفا ووقفه وقفا وصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي مصحوبا
بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها
ولا يتبعني الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري
الله لهم نهرا قال لهم ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر
بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي
واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من

طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية
بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف
او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا
منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم
فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واضرابا عن رعاية اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه
في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال
الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على
الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول
كأنه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى من عداهم بمعزل من الايمان
قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان
يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال مخاطبهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اي يخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم
بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقي فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمنخذلين عنهم كأنهم قالوه اعتذارا عن
التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها
على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الابتداء
خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على
مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث جعل
اطائف بغية كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال
ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث
اليأس من الغلبة ولا التوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول لا
اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقاء الله تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره
تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته بنصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه
انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق
له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون
او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تحققه وتقرره ولما برزوا
اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن حرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم
عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا اي في
مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ الموهب

عن الكثرة وتنكير الصبر للتفخيم من جزائه ما لا يخفى وثبت أقدامنا في مداحض القتال وموارد الزلزال وثبات القدم عبارة عن كمال
القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم
ووضع الكافرين موضع الضمير العائد إلى جالوت وجنوده للإشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً حيث
قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو غاية المقصود فهزموهم
كسروهم بهم بإذن الله بنصره وتأييده إجابة لدعائهم وإيثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا
للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة بإذن الله وقتل داود جالوت كان إيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة
أحجار قال له كل منها احملني فإنك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل للأبطال وعلى أبيه خبر إخوته في المصاف أرسل داود إليهم
لينا فيه بخبرهم فأتاهم وقد وضع القتال وقد برز جالوت بنفسه إلى البراز ولا يكاد يبارزه أحد وكان طالوت ملكاً فقال داود لإخوته
أما فيكم من يخرج إلى هذا الأقلف فزجروه فخرج ناحية أخرى ليس فيها إخوته وقدم به طالوت وهو يحرض الناس على
القتال فقال له ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف قال طالوت أنكحه ابنتي وأعطيه شطر مملكتي فبرز له داود ورماه
بما معه من الأحجار بالمقلاع فأصابه في صدره فنفذت الأحجار منه وقتلت بعده ناساً كثيراً وقيل إنها كانت الأحجار عند رمي
جالوت في المعركة فأنجز له طالوت ما وعده وقيل إنه حسده وأخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه إلى أن قتل
وملك داود وأعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك أي ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة
ومغاربها والحكمة أي النبوة ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة قبله إلا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط
آخر وما اجتمع قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء أي مما يشاء الله تعليمه إياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لأن معظم ما علمه
تعالى إياه مما لا يكاد يخطر بالبال ولا يقع في أمنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالآية الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك
الأمور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى
من القتل كما في القصة المحكية أو غيره وقرئ دفاع الله على أن صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أو لو لم
يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على
العالمين كافة وهذا إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا أنه قد وضع موضعه ما يستتبعه
ويستوجبه أعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين إيذاناً بأنه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى
غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وينتظم به مصالح العالم وتصلح
أحوال الأمم تلك إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وتمليك طالوت على التفصيل المحكي وما فيه من معنى البعد للإيذان
بعلو شأن المشار إليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك أي بواسطة جبريل إما حال
من الآيات والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستقلة لا محل لها من الإعراب بالحق في حيز النصب على أنه حال من مفعول نتلوها
أي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم أو من فاعله
نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب أو من الضمير المجرور أي ملتبساً بالحق والصدق وإنك لمن المرسلين أي من جملة الرسل
المرسلين إلى الأمم لتبليغ رسالاتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فإن هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فيكون شاهداً
منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم إثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام جاحدين بها تلك الرسل

استئناف فيه رمز إلى أنه صلى الله عليه وسلم من أفاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم
والإشارة إلى جماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واللام في الكل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو
طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل إلى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل إلى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا
بعضهم على بعض في مراتب الكمال بأن خصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله
تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب
وقرئ كالم الله من المكالمة فإنه كلم الله تعالى كما أنه تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلع التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس
من التفاوت ورفع بعضهم درجات أي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل في مدارج الفضل درجات كثيرة وآيات
نائية وتغيير الأسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ
عنه الإخبار بكونه عليه السلام منهم فإن ذلك في قوة بعضهم فإنه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه وللإشعار بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل إنه
إبراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل إدريس عليه السلام حيث رفعه مكاناً علياً وقيل أولو العزم من الرسل عليهم السلام وآتينا
عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات
أو الإنجيل وأيدناه أي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق
وهي روح عيسى وإنما وصف بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام
وقيل بالإنجيل كما مر وإفراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه من التفريط والإفراط والآية ناطقة بأن الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الأقدار يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
أي جاؤوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة
على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعاً ما
اقتتلوا وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة أولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة
على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سننهم المؤدي إلى الاقتتال ومن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا
استدراك من الشرطية أشير به إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع
فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للإيذان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل
ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً فمنهم من آمن أي بما جاءت به أولئك الرسل من البينات
وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفراً لا ارعواء عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم
ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما
اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن
اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار
في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد
أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئة عدم اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما
يريد حسبما يريد من غير أن يوجب عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيراً

كان أو شرًّا إيماناً أو كفراً يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم أي شيئاً مما رزقناكموه على أن ما موصولة
حذف عائدها والتحضيض لوصولها منه ثم الحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق
الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بالفعل به احتها
ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون
على تلافي ما فرطتم فيه إذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاؤكم أو يعينوكم
عليه ولا شفاعة إلا لمن أذن الرحمن ورضي له قولاً حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وإنما رفعت الثلاثة
مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون أي والتاركون
للزكوة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللإيذان بأن ترك الزكوة من
صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون أي الذين ظلموا أنفسهم
بتعريضها للعقاب أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى غير وجهه الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غير
وفي إضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء
وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من لا إله إلا الله أو بدل من الله أو صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح
لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالأمر إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا
تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لأنهما قاصران بالنسبة
إلى القوة الإلهية فإنه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل لحمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة
قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظان لا تغلبه سنة ولا نوم وإنما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود
الخارجي وقيل هو من باب التكميل وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الآية وإنما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الأخذ فلمراعاة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمن يعرضانه إنما يكون بطريق الأخذ
والاستيلاء والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً فإن من يعتريه أحدهما يكون مؤوف الحيوة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل
استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته تعالى
واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أن يكون داخلاً فيهما أو من الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما
من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة
وضراعة فضلاً من أن يدافعه عناداً أو مناصبة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل
المستقبل مستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما
في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء عليهم السلام
ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموه وعطفه على ما قبله لما أنهما جميعاً دليل على تفرده تعالى بالعلم
الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والأرض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكأنه منسوب إلى الكرس الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة
علمه بالأشياء قاطبة على طريقة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه أخذاً من كرسي العالم وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم يكون
عظمة القاعد أكثر وأوفر عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية وقيل
هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون مع الكرسي إلا كحلقة
في فلاة كفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري أنه العرش
ولا يؤوده ولا يشق عليه حفظهما أي حفظ السموات والأرض وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما لأن حفظهما مستتبع لحفظه وهو
العلي المتعالي بذاته عن الأشباه والأنداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على
أمهات المسائل الإلهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالألوهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه
وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح مالك الملك والملكوت مبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده إلا من أذن له فيه العالم وحده بجميع الأشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه
أن يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما يناله الأوهام عظيم لا يحيط به الأفهام
تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها أخواتها قال صلى الله عليه وسلم إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي
من قرأها بعث الله ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية
في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك و
جيرانك فما نزلت آية أعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والأبيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس
سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن
سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في أثناء تعداد السادات
الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الأخبار المستفيضة وانعقد عليه الإجماع من سيادته عليه السلام لجميع أفراد البشر لا إكراه في
الدين جملة مستأنفة جيء بها إثر بيان تفرده سبحانه وتحليه بالشئون الجليلة الموجبة للإيمان به وحده إيذاناً بأن
من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي أي
لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا
أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل بعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما
المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد
من الغي استئناف تعليلي مصدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذراً أي قد تبين
بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الإيمان الذي هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية من الكفر
الذي هو الغي المؤدي إلى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت و
قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وإنما جمع وأنث
لإرادة الآلهة وهو رأي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث
أي فمن يكفر بما تهواه من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عبد

من دون الله تعالى او صدّ عن عبادته تعالى طاغياً لكونه مُظهراً من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد
نعوت جلاله المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى
لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به
يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء
الثاني بالاولوية والجملة استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر
في الوثقى ولها خبرها اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل
النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في
المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه
كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيح للاستعارة الاولى والله سميع
بالاقوال عليم بالنوايا والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد
الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير
للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات
الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في كل مرتبة من
مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد
منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا
اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم
مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الاولى صلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة
الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم
بالوسوسة وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها
من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت
لا يقدح في استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه
من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله
بامر عجيب حقيق بان يصدّر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته
ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة
ابراهيم فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير
المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور
الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب
فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده

في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح
وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة
على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي
ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال
ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال في محاجته
هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال
ابراهيم استيناف كما سلف كأنه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه الرتبة من الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله يأتي بالشمس
من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال
مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل
الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول
مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي
القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول
الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته
تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه
من اول الامر والكاف اسمية جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي
مثل نصر وانما زائدة كما اختاره الاكثرون والمعنى او الم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه واخرجه من ظلمة
الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رأيت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا
وانما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج اي انظر اليه وتعجب منه وفي الثاني او ارأيت
مثل الذي مر اي انظر الى حاله واعجب منها بحيث لا يرى له مثل كما يستدعيه راي الجمهور فيخل بنظم التنزيل
ونظامه الجليل كما تعرف والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك و
والسدي وقيل هو ارميا ابن حلقيا من سبط هارون قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان
المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال
الكلبي هو دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر
والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد سلط الله تعالى عليهم بختنصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية
حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم
سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان
عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله
عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط
او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي
تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه البلدة وهي على ما يرى من الحالة العجيبة
المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل او انى

نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وامّا ما كان فالمراد
استبعاد عمارتها بالبناء والسكان ممن تعاطيا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبّر عنها بالاحياء الذي
هو علم في البعث عن الوقوع عادةً تهويلاً للخطب وتاكيداً للاستبعاد كما انه لاجله عبّر عن اهلها بالموت حيث قيل
بعد موتها وحيث كان هذا التعجب موهماً لاستبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله تعالى آية في ابعد الامرين
في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحاً مبالغةً في ازاحة ما عسى يختلج في خلده وانما حمل احياءها على احياء اهلها فياباه
التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراباً وعظاماً مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته
للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبراً
فاماته الله والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف بها ولم ير بها احداً فقال ما قال
وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب
وامات حماره وبقية تينه او عنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون
سنة وجه الله تعالى ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان
ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى
بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا احسن ما كانوا عليه فلما مضت
المائة من موته احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري
تعالى كأنه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال قال كم لبثت استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشئونه تعالى وان احياءه
ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه ليس موتاً في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على
امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهراً طويلاً من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية
مميزها محذوف اي كم وقتاً لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت
بعد الموت قال لبثت يوماً او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصاراً لمدة لبثه واما ما يقال من انه مات
ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوماً فالتفت اليها فرأى منها بقية فقال بعض يوم على وجه الاضراب
فمعزول عن التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولكونه بناء على حسبان الغروب ليتحقق النقصان من اوله قال استئناف
كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين ابتداء من دلائل قدرتنا
الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه او
عنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء وافراد الضمير لـ
جريانهما مجرى الواحد كالغذاء وامّا من الآخر اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك
لم يتسنن والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه بل
اي هو بحاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسّه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
وتفتت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله تعالى ولنجعلك
آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من

احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان
يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر
اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك فُرّق بينه وبين
الامر بالنظر الى حماره وكرر الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام حماره ايضاً لما ان المأمور به اولاً هو النظر اليه
من حيث دلالته على ما ذكر من اللبث المديد وثانياً هو النظر اليها من حيث يعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار
لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعدما شاهدت بعضه في نفسك كيف ننشزها بالزاء المعجمة [illegible] اي نرفع
بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيباً لائقاً بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ونعل من قبره
بتحييها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى
ثم نكسوها لحماً اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما
قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها مركبة مكسوة لحماً او بدل الاشتمال اي وانظر الى العظام
كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام
البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهبت بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل
وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والرأس بموضعه ثم الاعصاب
والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر
بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه
عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
كأنه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحماً فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحاً تاماً قال اعلم
ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر
من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظراً الى اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه
وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاماً للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول
اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وقرئ فلما تبين له على صيغة
المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر المنازل
فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها هذا منزل عزير قالت
نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاءً شديداً قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك
قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيراً كان مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا
ربه ومسح بيده عينيها فصحّتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال
فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في اندية لهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ
مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا اني بدعائه رجعت
الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا
هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التورية اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية
ولا احد يعرف التورية فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفاً فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت

بيت المقدس بعد مهلك بختنصر فقال حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي
اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد
فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابرهيم دليل اخر على ولايته للمؤمنين واخراجه اياهم من الظلمات
الى النور وانما سلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب ارني بان ذكر عليه السلام في اثنائه
للحاجة ولانه لا دخل لنفسه في اصل الدليل كواقعة عزير عليه السلام فانه علم في عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد
على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله ام وما وقع
حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى وحمل المتعقب على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت
دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصود بالتذكير لما ذكر ثمة من المبالغة في ايجاب ذكرها لان ايجاب ذكر
الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها
بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء
مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية
المعلقة لها فانها تعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا كيف تحي الموتى بان تحييها وانا انظر اليها كيف في محل
نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي
الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول فالاستفهام هنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند
السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله ام ليترقى ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمينانا على اطمينان واما ما قيل
من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ابرهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته
فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمينان قال
استيناف كما غيره اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى
تسألني اراءته قاله عز وعلا وهو اعلم بانه ام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا
للسامعين قال بلى علمت وامنت بانك قادر على الاحياء على اي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمين
قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازدياد البصيرة بمشاهدة على كيفية معينة قال فخذ الفاء لجواب شرط
محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل
هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة
اي اربعة كائنة من الطير قيل هو طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الطاوس وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب
الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزية والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره
يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها
وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتأملها وتعرف
شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه ام امر بان يذبحها و
ينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزءا منهن وقد ادخل ابرهيم على ما بحضرته من الجبال وقيل كانت اربعة اجبل وقيل
سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الو

ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك في محل الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون
جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية امره عز وجل من غير تعرض
لامتثاله ام ولما ترتب عليه من عجائب اثار قدرته تعالى كما روي انه ام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن
يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه
من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر
اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه تعالى ما سأله
في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره
لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق
للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل
كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل
اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن
في الاراضي المغلة بل اكثر واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة
بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها
لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى
المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك حقا عليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه
وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف
قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي
صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والاذى لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في تمثيل
وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى
وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن
والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام
الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب
من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف
وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته
واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر
لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها
بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسئول خير اي للسائل من صدقة يتبعها اذى

لكنها مستوية بتزرا بتبع وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى تخيير للنفوة بنيل
مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخبرية بالنسبة الى المسؤل تؤدي الا ان يكون في الصدقة والموصوفة
بالمن [illegible] لحقها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم
لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر
لاعتبار [illegible] يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب
العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت
لمصدر محذوف اي ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا
تبطلوها مشبهين الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه
علة لينفق او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان
اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار
اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من
يشبههم من اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا
[illegible] او الجميع كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير
والرشاد والجملة تذييل [illegible] ما جملة وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان
يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي وتثبيت بعض انفسهم على
الايمان فان [illegible] من عطفه او حك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبتت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى
حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده
قراءة من قرأ وتثبيتا لبعض انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل
خطيئة كمثل جنة بربوة [illegible] الربوة بحركات الثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان
كائن بمكان مرتفع [illegible] مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا
وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات
بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان
لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فالذي يصيبها طل [illegible] لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي
[illegible] والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها
من الاحوال [illegible] ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها
من المطر الكثير والقليل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى
زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير

من الربا

من الرياء ونحوه ايود احدكم الهمزة للانكار والود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة للانكار الوقوعي كما في قوله اتضرب ابي لا
للانكار الواقعي كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما تبعها
من الاحتراق ان تكون له جنة من نخيل واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين
الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة
[illegible] كان [illegible] من التواضع تستر جنة بشجرها وعلى الارض المشتملة عليها والاول انسب بقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها [illegible] من جعل اسناد الاجراء اليها مجازا
والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها
لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتدأ قائمة مقامه
اي له فيها رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له [illegible] وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو
التكثير [illegible] واثبت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن
اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية
صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في
الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل
لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا
[illegible] وتحسر عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري
في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا
بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته
اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات
ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا الخبيث ان اصله لا تتيمموا وقرئ بضمها و
وقرئ ولا تؤمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الرديء الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة التي لا يذكر
موصوفها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا
الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق
الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل
متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كأنه في الجلد
توليع البهق [illegible] وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال مقدرة من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا
الخبيث كائنا منه او مما كسبتم وما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل
من وجهي تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان
تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض
بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا
وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع
منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكأنه قيل أمنه تنفقون الخ واعلموا

ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من
اعطاء الخبيث [illegible] ايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تع فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج
اليه بالخطيئة بل [illegible] حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو
الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله
الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يصرح
بالفقر اي بجهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقيق مجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او للوقوع في
مقابلة وعده تع على طريق المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اي الخصلة الفحشاء اي
ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
[illegible] عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والشيا والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة
[illegible] متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنكير اي مغفرة اي مغفرة كائنة
[illegible] لدلالة المذكور عليها كما في قوله تع فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي وفضلا كائنا منه تعالى
[illegible] في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به
[illegible] عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا
[illegible] المضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن عباس
[illegible] وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل
[illegible] الصحابة وعن مقاتل انها تفسير القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن وتارة بما
[illegible] بالعلم والحكم وتارة بالنبوة وتارة بالفهم ... يعلم الاحكام المبينة في تضاعيف الآيات
[illegible] الاولين [illegible] ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم بها اي يعينها او يوفق للعلم والعمل بها من يشاء
[illegible] بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه في تضاعيف الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك
[illegible] العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون
[illegible] الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار
[illegible] والاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي وما يتعظ
[illegible] الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى
[illegible] المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق بالكلية والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم
[illegible] لجميع انواع النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية
[illegible] الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة
[illegible] والنزاهة [illegible] من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بمال
[illegible] الصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد
[illegible] المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته والاقبال اكرمتهما
[illegible] ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المتقدم رعاية للاولية كما في قوله تع واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما

[illegible] الكلام على تأويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قوله تع والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف فيه
[illegible] مستغنى عنه ثم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة تحقيق
الجزاء اي فانه تعالى مجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه من ترغيب وترهيب وعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر
في المعاصي ومنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم
الذي هو وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه
[illegible] صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة [illegible]
[illegible] من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع
[illegible] الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن
[illegible] بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة
[illegible] الصدقات للعوضة وانما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله عز وجل وان تخفوها اي
[illegible] تؤتوها الفقراء والعل التصريح باتيانها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه
[illegible] الفقراء او يقوم على قبول الصدقة سرا او لا يفعل ذلك عندان سر فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم
[illegible] التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس ليرفع التهمة عن ابن عباس صدقة السر
[illegible] بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
[illegible] اي شيئا من سيئاتكم كما ستر تموها وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالنون مرفوعا او مجزوما على
[illegible] بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها
[illegible] فاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لكونه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار
[illegible] خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا
[illegible] والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر
[illegible] من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء
[illegible] يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على
[illegible] بتدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية
[illegible] نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على
[illegible] اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات
[illegible] للعهود من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تع وما تنفقوا من خير على الاول التفات
[illegible] المكلفين لزيادة حثهم على الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة
[illegible] لها اي اي شيء تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا
[illegible] ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من

من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم
لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
الذي لا يوجه مثله الى الله تع وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما
فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف
اليكم بالخلف وهو من نتايج دعايه عم بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها
تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب واما في الواجب فلا يجوز صرفه الى الفاجر وان كان ذميا الا صدقة الفطر عندنا وانتم لا تظلمون
لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف بناء على ان الكلام كما في قوله عز وجل في
تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد
لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله
تعالى عليهم كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من
اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا
اي الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا
وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اي لا
لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة قيل
نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه
المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق
عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون
الربوا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لانه معظم ما يقصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم
الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها و
زيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء
من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق
بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقومون او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون

لهم سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك
واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا
الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمساس
الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تع لتسويتهم وابطال للقياس
لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه
موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ
وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتدا
ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول
للموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد
والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب
النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه عليه
الصلوة والسلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب
اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله
ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات
لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا
لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد
لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين
على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم فاتقوه وذروا الخ
روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء
وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم وقيل هو من
الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من حرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تع ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس
اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير
في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص
ومن ضرورة تعلق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب

في حال الردة فيء للمسلمين عند الحنفية وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وان كان مع الاعتراف بحالها فان لهم شوكة فهم على
شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا يستتاب
والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرف في
من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من
وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم او فليكن نظرة وقرئ
فناظرة اي فالمستحق ناظرة اي منتظرة او فصاحب انظرة على طريق النسب وقرئ فناظره
فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين
عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد
الصاد اي وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة
ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء
به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدايد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل
من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وقرئ تصيرون الى الله لحساب
اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كاملا ما كسبت اي جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كان ما يصيبهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقص ثواب
في ذلك كانه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد انسب بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاملات الجارية فيما بينهم
بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا
كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على
بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام والاشهر ونحوهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة
لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على
عباس رضي الله عنه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية
الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل
الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى
بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي ليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية
من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع
ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي ليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس

بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي
عن ابائها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل
الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه هو المقر المشهود عليه وليتق الله
جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه
اي من الحق الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه
النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء
والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان
الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل
مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل
او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص
ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما
ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من
رجالكم من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في
موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا
اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي
اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا في غير الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي
ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور
مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل
بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله واستشهدوا فيلزم الفصل بين
اشتراط الرجلين وبين تعليله وقوله تعالى من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول
اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا
له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة
بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتأكيد المبالغة في الاحتراز عن توهم
اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او للتحمل وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر
من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة
المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء
في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين

القسط اي اعدل عند الله في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط و
اقام فانه قياس عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم انما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان
لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا
بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم
كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن
المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في
الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمتهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع
على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا
الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد
يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها
بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين
او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم
او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك
لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور
على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء
تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان
اومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد
الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على اداء امانته اي دينه وانما سمي
امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة
لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير
ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه اثم
خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب
لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك
بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه
اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة
في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه
من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان

يكتموه

يكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ
التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء وفي عكسه في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق
بما في انفسكم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا
وعلمه تعالى بمعلوماته متعال من ان يكون بطريق حصول الصور بل بوجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء
يبدو الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر
في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله
لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على
التعذيب لتقدم الرحمة على الغضب وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم بغير فاء على انهما بدل من الجواب بدل
البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته
سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى
الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان
به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها
اذ ليس فيما ذكر حينئذ الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرع في اقتصاص خبائث كل
الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك مما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها ان المتصفين بها وحكم با
باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره
هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان
فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه
فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من
قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه
حقيقة بتحقيق الكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتضمين لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع
ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان
بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عليه السلام
واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا
في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى جعل الكلام عن جدوى
وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي
ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير
اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه

عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمان الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما
متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي
من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته
اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم
ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل من اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما ينبئ به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث
مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق على ان كل واحد من تلك الكتب
منزل منه تعالى الى رسول معين فان اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية
ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم
ومستند اليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها
معتبر بالاضافة اليها بل على ان كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن
من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر هنا الايمان باليوم
الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه
على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق
بينه وبين الجمع انه شايع في افراد الجنس والجمع في مجموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل
بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف
طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال
في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من جلائل
الحقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها
مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون
معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون
بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الى آخره خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف
اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شانه عليه السلام
وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات
ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشان آحاد الامة كان ذلك
لرتبته العلية عليه السلام واما حملهما على ما يليق بكل واحد من الآحاد ممن نسبا اليه ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام
اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون
لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل

الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم
بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم لمن آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة
اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعلم
منه نفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين
هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ باليا على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى
كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين والجملة بنفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما في قوله المقدر فلا بد من اعتبار الكلية
بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في صحة احد في دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق
بين احد منهم وفيه من الدلالة على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم
اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات
الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي
فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك
ربنا اي اغفر غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم
ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر
للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر
حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال
كما سيجيء بيانه وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام
والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير تشويقا لهم الى الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء
ثم انزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم
الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي
سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى
ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير
عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة عليها
تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي
الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا
لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين

المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي تخلف تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ عن اعتناء
النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت
التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم
فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن
عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمة كما ينبئ
عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم
بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا
تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه
والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا
او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس في التوبة وقطع موضع
النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم
من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله
ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت
بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي
الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء
عما يؤدي اليها التفريط من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها لكنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف
ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول
وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا
على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا اي امح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على
طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله تعالى
والجهاد في سبيله غاية مطالبهم ولما في تضاعيف السورة الكريمة رُوي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عند كل دعوة قد فعلت • وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من
قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل • وعنه عليه السلام من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره
ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة • والحمد لله
وحده • وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين • الطيبين الطاهرين • وصلى الله على جميع الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
اجمعين • تم التسويد يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم الحرام سنة ٩٦٦ انتهى الكتابة والتحرير من نسخة المؤلف يوم الثلاث السابع والعشرين من جمادى الاولى

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنا لمفرد كحاميم و
طاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد كما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية
فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف
قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة
فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما كما في حكم الثابت
المبتدأ به والميم بكونها حركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم والتخلص بالتحريك غير معهود في الكلام وقيل هي حركة
لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط الهمزة بما انها جرت بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد
عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في حروف والاسماء المبنية
على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وصفا واستعمالا فتسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين
ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها الرفع على انها
خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء والنصب بتقدير فعل القسم
او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده
خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي
القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم
قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين
اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم
وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب
مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه
واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه
فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل
تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم
هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز
واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم

وقرئ الحي القيام

ثياب حبرات جبب واردية فاءة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت
صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة
الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تع فعلنا وقلنا
ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام
كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تع ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد
الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام
الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا
لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تع لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام
فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء
وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة
ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا
بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف
وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك
الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بان
يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسم التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التفخيم
وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق بالمؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي
الخبر وقوله تع لا اله الا هو اما اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده
بالحق حال من الفاعل او من المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره
التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه من وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تع من الحجج البينة مصدقا حال من الكتاب
بالاتفاق على تقدير كون قوله تع بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال
بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند غيرهم فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في
الجار والمجرور لانه لما تحمل ضمير القيامة مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهو حال مؤكدة وفائدة
تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما
يصدقه حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل كما مر فقال لما بين يديه اي مصدقا لما قبله من الكتب
السالفة وجعله اياها الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد
وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في
نزوله على النعت المذكور وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع
المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات
الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة

محله تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا ويتمكن
ويتقاعس حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة
على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر المنزل عليه في الكتابين لان القصد الى المنزل وهما اسمان اعجميان الاول
عبري والثاني سرياني وتعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما
من الوري والنجل تعسف من قبل متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور
الامر للمبالغة في البيان هدى للناس في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس
او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى للناس والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة
او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس
الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس
على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقها القرآن فيهما ومن جملتها البشارة بنزوله
وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة وانزل الفرقان الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق
على الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق
التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله تع وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تع وفاكهة واما
نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا
للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرادعة
والزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام
والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن بعينه ذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمحله
او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه وقرينته اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله
الدفعي الى السماء الدنيا واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل ان الذين
كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة
الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك
الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة
بجملتها بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها
بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما او
ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وغيرها لهم بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر لان والتنوين
اي اي عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة
الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم

منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء استئناف
كلام مسوق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق
سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى
بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر من عدم خفاء شيء عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شأنه ان
يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة
المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه
في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية
منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال
اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب منا والبعد عنا المستدعيين
للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام
قيوميته تعالى وبيان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان
لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على مشيئته
قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام
مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم كائنا على مشيئته تعالى اي مريدا
او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا
ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات
وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه
الاطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم
المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع هو الذي انزل عليك الكتاب
شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص
الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته فان وفد
نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا
ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية
ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد
وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته صلى الله عليه وسلم بتشريف الانزال عليه ومن التشويق
الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها
عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه
في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود
الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب

اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على
الفاعلية محكمات صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب
اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها والمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي
الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبله او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لان المراد
بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل المعنى
بالموضع الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها
واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
او من آخر متشابهات اي محتملات لمعان متشابهة لا يتميز بعضها عن بعض في استحقاق الارادة بها الا محتملات
صفة لاخر وفي الحقيقة صفة لمحذوف ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني
وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يعجز العقل
عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل لما
دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك
كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من
الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا
بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت
آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها
على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى
وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب
الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم
على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل
لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التأويلات
الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال
من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال ان التأويل مخصوص به تعالى وبمن وفقه له
من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء
تأويله دون نفس التأويل وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء
وان ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله
عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة
ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة
على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند
ربنا من تمام المقول مؤكد لما قبله ومقرر له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة

بينهما او آمنا به وبحقيته علي اراده تعالي وما يذكر من التذكر الا اولوا الالباب اي العقول الخالص عن الركون الي
الاهواء الزايغة وهو تذييل سيق مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الي ما به استعدوا للاهتدا
الي الويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب لما تشبث به النصاري من نحو
قوله تع وكلمته القاها الي مريم وروح منه علي وجه الاجمال وسيجي الجواب المفصل بقوله تع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال لكن قد يكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الي اتباع المتشابه
بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه علي الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الي الحق والتاويل الصحيح او الي الايمان بالقسمين وبعد نصب
بلا تزغ علي الظرف واذ في محل جر باضافته اليه خارج عن الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من
من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات
نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون وكذا الدي وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الي صريح
الزمان كما في قوله تنقض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الي العصير وتقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف
الي المفردات وقد تضاف الي ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلاما من لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا اخو مسلم
اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الي الجملة الاسمية كما في قوله خلاليك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في
البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات علي الحق وتاخير المفعول الصريح
عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الي المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال
او للمسؤول وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة
علي ان الهدى والضلال من قبله تع وانه متفضل بما ينعم به علي عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس
ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب
فيه اي في وقوعه او في وقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الي الرحمة وانها
المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله
لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات
لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب
الانعام كما سيجي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تع
لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم
العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد
وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال
من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة و
النضير او مشركو العرب لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال
الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون

في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقتهم في كشف
الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء
وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تع ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل
الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تع وما اموالكم ولا اولا
دكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته
مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل ما يدهمهم والانسب بما بعده
من قوله تع واولئك هم وقود النار ومن قوله تع فاخذهم الله اي اولئك الموصوفون بالكفر حطب النار وحصبها الكل
مشتعلة به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم
وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة علي كمال ملابستهم بالنار
ما لا يخفى وهم يحتمل ان يكون ضمير الفصل والجملة مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان وايا ما كان ففيها تعيين للعذاب
الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها
كداب آل فرعون الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة
ومحل الكاف الرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير
كون من بمعنى البدل كما هو راي المجوز ولا لايقاد النار فيحمل على التقليل وهو خلاف الظاهر مع انه يلزم الفصل بين العامل
والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تع واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استئنافا لا عطفا فالحق
فالوجه هو الرفع على الخبرية اي داب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله وعذابه كداب آل فرعون والذين
من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله كذبوا بآياتنا
بيان وتفسير لدابهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا بآياتنا
فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي فعل بهم اي فاخذهم وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تع محيصا فداب هؤلاء الكفرة
كدابهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم باضمار قد اي داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا
الخ وقيل كونه خبرا للموصول كما قيل مما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الي التكلم اولا للجري علي سنن الكبرياء والي الغيبة
ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا
لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة علي انهم اخذوا وهم
ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع
وسميت الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل
للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى عليه السلام وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى ننظر الي وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي مدة فنقضوه وانطلق
كعب بن الاشرف في ستين راكبا الي اهل مكة فاجمعوا امرهم علي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير و
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا يوم بدر ورجع الي المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم

ان نزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا
نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول
عبارة عن مشركي مكة والى ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيبعد
انقطاع الآية الكريمة عما بعدها ماله وله بعد وتحشرون اي في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه امر ان
يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل أدِّ اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استئناف
لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي هو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه
والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة والتوسطها بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله الخ
امرأة منكم واحدة بعدي وبعدك في الدنيا المثور على ان التانيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان
على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي والله قد كان لكم ايها اليهود
بعدادهم ووعدهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين
فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بها فاصابها ما اصابها ما سيصيبكم ومحل الظرف الرفع على
صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر
على انه صفة لفئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احداهما فئة كما في قوله
اذا مت كان الناس صنفين شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت وآخر مثن
وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية
وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق
بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية وهو رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل بتاويل الفئة
بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت
والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التنويع لنفس الشيء المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر
المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لهم عن درجة الاعتبار
وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما
بعدها صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منها تقاتل الخ
وفئة اخرى كافرة وجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدها خبرا اي فئة منها تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما
مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد قرر انه لا بد
من ضمير عائد الى المبدل ويسمى بدل التفصيل كما في قول كثير عزة وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها
الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة
فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك رأيت زيدا رجلا صالحا يرونهم
اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة
والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا
من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان

وابو جهل وكان فيهم من الخيل والبعير مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات
انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون
علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا
من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة
الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد
وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا
لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترؤوا
ولا يهربوا من اول الامر حين يخبرهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا
ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متحققة
من جانب المؤمنين بل وقعت رؤية المثل بل اقل ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين
فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأوهم
عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل عددهم في
نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم
مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بارائهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب
في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم
الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين
فاعلا والابعد مفعولا سواء جعلت الجملة صفة او مستأنفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه حالة النزل على قراءة الجمهور
وجعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما هو صوابه فخطابه لا يشعر به واما ان جعل عبارة
عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وبموصوفة
اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهم مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه
وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فخطابها وان اقتضى توجه الخطاب
الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين ليست
بمنزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد
والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لوجه مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب
في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين
مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين
والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر
وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم

العلاوة على الكبر الساكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور
كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كائنة لأولي الأبصار لذوي العقول
والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو إما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل وإما وارد من جهته تعالى تصديقا
لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها
وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة
نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا بالشهوات المشتهيات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات أو إيذانا بانهماكهم
في حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالا لها لأن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم
والمزين هو الباري سبحانه وتعالى إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم كما قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة
المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لأن مساق الآية الكريمة على ذمها
وفرق الجبائي بين المباحات وأسند تزيينها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها إلى الشيطان من النساء والبنين
في محل النصب على أنه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن
في معنى الشهوة فإنهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال
الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون ألفا وقيل أربعون ألف مثقال وقيل ثمانون
ألفا وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألفا دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل
دية النفس واختلف في أن وزنه فعلال أو فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة
المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان
للقناطير أو حال والخيل عطف على القناطير قيل هو جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده
خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة أي المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها إذا أرسلها وسيبها
للرعي أو المطهمة التامة الخلق والأنعام أي الإبل والبقر والغنم والحرث أي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك
أي ما ذكر من الأشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا أي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا أياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده
حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على أن ليس فيما عداه عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد بجعل الجلالة مبتدأ وإسناد جملة
الظرف إليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها
الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم إثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالا أمر النبي صلى الله
عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل
من تلك المستلذات المزينة لكم وإبهام الخير للتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات
استئناف مبين لذلك المبهم على أن جنات مبتدأ والجار خبره أو على أن جنات ترتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط
في ذلك الاعتماد والجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما ينبئ عنه
النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند
على الحالية من جنات أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات

خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى أن تعليق الأخبار والبيان
بما هو خير لطائفة ربما يوهم أن هناك خيرا آخر لا لهؤلاء تجري في محل الرفع أو الجر صفة لجنات على حسب القراءتين
من تحتها الأنهار متعلق بتجري فإن أريد بالجنات نفس الأشجار فجريانها من تحتها ظاهر وإن أريد
بها مجموع الأرض والأشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما هو تفصيله خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في
للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وأزواج مطهرة عطف على جنات أي مبرأة مما يستقذر من النساء
من الأحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة
لما أفاده التنوين من الفخامة أي رضوان وأي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير
بالعباد وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه إشعار بأنهم
المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا إننا آمنا في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك
المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ أو النصب على المدح أو الجر على أنه تابع للمتقين نعتا
أو بدلا أو للعباد كذلك والأول أظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وفي تأكيد الجملة إظهار أن إيمانهم ناشئ من وفور
الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الإيمان دلالة على كفايته
في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح بإضمار
أعني وأما على تقدير كونه في محل النصب أو الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء
والضراء وحين البأس والصادقين في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين
على العبادات والمنفقين أموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالأسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي
أي المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا وقال
نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الأسحار
بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لا سيما للمتهجدين
وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين
بها شهد الله أنه بفتح الهمزة أي بأنه أو على أنه لا إله إلا هو أي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق
والأنفس وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذانا بقوته في إثبات المطلوب
واستشعارا بإنكار المنكر وقرئ إنه بكسر الهمزة إما بإجراء شهد مجرى قال وإما بجعل الجملة اعتراضا وإيقاع الفعل على قوله تعالى
إن الدين الخ على قراءة أن بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه حال من المذكورين أو على المدح
وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم شهداء الله وهو إما جمع شهيد كظرفاء جمع ظريف أو جمع شاهد كشعراء جمع شاعر
والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز أي أقروا
بذلك وأولو العلم أي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الأنبياء
عليهم السلام وقيل المهاجرون والأنصار وقيل علماء مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل جميع علماء
المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الأخيرتين قيل بالعطف على الضمير
في شهداء لوقوع الفصل بينهما وأنت خبير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي إلى تقييد حال المذكورين بشهادة

الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا
العلم شهدوا بذلك كذلك ان يحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا في تحسين العطف على المستتر على كل حال بقوله تعالى قائما بالقسط
اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى
وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء به
ورعاية المحاكمة وهو الشرع بتقريره على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة
او على المدح وقيل انه صفة للمنفي اي لا اله قائما بالقسط الا هو والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة
او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو ولم الفصل بينهما كاف في الصفة او على
انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به
بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم
بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ محذوف وقد روي في فضلها انه عليه السلام
قرأ يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون
صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان
فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد
قالا انا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال اسألا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في
كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة
للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان
لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين على انه بدل
من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه
على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا
الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة
تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد
ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت
من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات
الباهرة وفيه من الدلالة على تراقي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر
عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن
يكفر بآيات الله اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او بآية آية كانت
من آياته تعالى على انه يدخل فيها ما ذكر اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته

مثال

تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة
لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كونهم
كفروا بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك
اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجة فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي
وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة
وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات
والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل اي
اي واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى ووضع الموصول موضع الضمير لرعاية
التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم متبعين لي
كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقال
لمن لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون
اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة
وكلالة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب
اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال وان تولوا
اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك
الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بآيات الله اي اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا
اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا
وكانوا قاتلهم الله حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال
وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت
عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن
منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون
الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا
وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله
فوالله ما فارقكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما تغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب
سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة كما في قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه
من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك
المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في

ارأيت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية
على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم
لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله
فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ
الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا

في الدارين بل يبقى لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه
في الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تع وما للظالمين من
انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير
لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التعجب ح بكون التورية من جملتها
لان مدار التشنيع والتعجيب انما اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها
من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه
بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح
حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته
الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر
الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تع وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا
اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه
وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف فيما بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم
يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي
يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل
ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا
النار بارتكاب الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم
على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا
الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك
ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم
من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه
روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم
الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب
موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان
المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها
وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او نقص ثواب بل يصيب
كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل
كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به
فحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا

يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند
سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق
لاختصاصها به تع حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك
المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام
ومملوكية حقيقة والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان
منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء ان تعزه في الدنيا او في الآخرة
او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير
تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا
حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو
متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب
او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من
اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون فقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق
لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار
على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر
وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء
بغير حساب قال ابو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه وفيه دلالة على ان من قدر
على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه
العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب
وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم
الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك
قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته
في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته
من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي
فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء حتى لا يكون حبهم
ولا بغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال أي متجاوزين
المؤمنين إليهم استقلالا أو اشتراكا وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة
ومن يفعل ذلك أي اتخاذهم أولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار أو لإيهام الاستهجان بذكره فليس من الله
أي من ولايته تعالى في شيء يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فإن موالاة المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع
قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى إلا أن تتقوا
على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كأنه قيل لا
لا تتخذوهم أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الأحوال إلا حال اتقائكم منهم أي من جهتهم تقاة أي اتقاء أو
شيئا يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع المفعول فإنه يجوز إظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة
والبغضاء وانتظار زوال المانع من قسر العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا وأصل تقاة وقية ثم أبدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء ألفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه
أي ذاته المقدسة فإن جواز إطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين
وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد الذات إلا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس
للإيذان بأن له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة وإلى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه
حتما قل إن تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة أو تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم
بذلك عند مصيركم إليه وتقديم الإخفاء على الإبداء قد مر سره في تفسير قوله تع وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
وقوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الأرض كلام مستأنف غير معطوف
على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على
عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتهويل
الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تع ويحذركم الله نفسه بأن ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات
المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية
الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس أي من النفوس المكلفة
ما عملت من خير محضرا عندها بأمر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت
والإحضار معتبر فيه أيضا إلا أنه خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات
الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها
لو أن بينها وبينه أي بين ذلك اليوم أمدا بعيدا لغاية هوله وفي إسناد الودادة إلى كل نفس من حيث
كان لها عمل سيء أو لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه
ما لا يخفى اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ويجوز أن يكون انتصاب يوم على المفعول بإضمار اذكروا وتود حالا
حال من كل نفس أو استئناف مبني على السؤال أي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير أو شر
محضرا وادة أن بينها وبينه أمدا بعيدا أو كأن سائلا قال حين أمروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون
إذ ذاك فقيل تود لو أن بينها الخ أو تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر لما عملت من سوء وضمير بينه

لما ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية حال
ماضية وأوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق وإعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لإفادة
ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة أو أن
رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع
تحققها أيضا كما في قوله تع يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الأول اعتراض وعلى الثاني حال
وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته
فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله عز وجل وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره
فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة
بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله أي يرض عنكم
ويغفر لكم ذنوبكم أي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه
بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة والله غفور رحيم أي لمن تحبب إليه بطاعته وتقرب إليه باتباع نبيه صلى الله
عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع المضمر للإشعار باستتباع وصف الألوهية
للمغفرة والرحمة روي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا
إنا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه السلام أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا لقولهم
مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في
المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام فقالت قريش إنما نعبدها حبا
لله تعالى ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل إن كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون
الأصنام لتقربكم إليه فاتبعوني أي اتبعوا شرعي وسنتي يحببكم الله فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم قل أطيعوا الله
والرسول أي في جميع الأوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا أوليا وإيثار
الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلتها فإن الإطاعة المأمور بها إطاعته
عليه السلام من حيث إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من حيث ذاته ولا ريب في أن عنوان الرسالة من موجبات
الإطاعة ودواعيها فإن تولوا إما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين
أي تتولوا وإما كلام متفرع عليه مسوق من جهته عز وجل فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة كما في قوله
تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم فإن الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي
أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب
كفرهم والإيذان بأن التولي عن الطاعة كفر وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين لما بين عز وجل أن الدين المرتضى عنده هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف
أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع
في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم السلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ
أمر عيسى وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقا للحق وإبطالا لما عليه أهل الكتابين في شأنهما من

من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم ع م وادعائهم الانتماء اليه ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية
ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او
غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سياتي تفصيله وتخصيص آدم
عليه بالذكر لانه ابو البشر ومنشا النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب
المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه
من زمرتهم مع ما فيه من التنبيه على كونه ع م عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم
في آل ابرهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الآل
الاوفر ادل على تحققه في الآل ع وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء
اخذ ما صفا من الشي كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكوت
الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه منهم كما
في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه جنته واصطفى
نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واجابة
دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من
جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان
بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة
عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن رب بابل بن ساليان بن يوحيا بن اوشيا بن امو
اموذ بن ميشك بن حازقا بن آحاذ بن يونام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا
بن راجيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن
عميا ذب بن رام بن حضروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاؤهما
عليهما السلام ح بالاندراج في آل ابرهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما
السلام بالانتظام في سلك آل ابرهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي
اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد عرفت بيان اشتقاقها
في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال
كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التنصيص لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض
في الدين فالاستثناء على الوجه الاول توقيفية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم
البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرات عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر
على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها وقد مر اوجه توجيه

التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها
المحكي عليهم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل اصطفى آل عمران اذ قالت الخ
فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت
فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس كذلك
فان محسنة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه ع م كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة
ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق
على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب
على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت
ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات
يوم في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل
وحينئذ فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق
الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها وانما عبر عن الولد بما لابهام امره
وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية
من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في
بطني والانحى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها
فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشي على وجه الرضى وهذا اي طلب التقبل استدعاء للولد اذ لا يتصور المقبول بدون
تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم
بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها
عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد
الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تع لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها
عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي
ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على
وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول
بالجملة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شي مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله
تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل بالجملة
او النسمة فالحال ح مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد
ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته
تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره والله اعلم بالشي الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور
وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي
انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم

مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهار المغايرة الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود
لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ح ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر
للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا افضل ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة
علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على تفسير الآخر للقراءة الاخيرة فمعناه
وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى
في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني
وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فاني
التوطئة معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها وان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس
فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك
وذريتها عطف على ها وقرئ بفتح يا المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف آتوني افرغ
الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان
الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها اي مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من التشريف ما لا يخفى بقبول حسن
قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها تقبلا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان
بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على
خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشي
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد به وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها
من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام
في الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى النهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسب اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي
قبول اي بامر ذي قبول وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضي بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول
امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور
بحذف الزوائد وقيل بل للفعل المضمر الموافق له في التقدير فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا
لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم
وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها
ورفع زكريا ممدودا وقرئ فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها
يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد

اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم
تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا
المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما مصدرية
والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله
عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها
في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال زكريا عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين يجي لك هذا الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة
عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها بذلك مع كونها بمعزل عن رتبة الخطاب
لما علم بمشاهدة انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم
وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله
يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله
اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عنهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام
كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة
الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل
بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك
المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه
لما راى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة
والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز
ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى
ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام
وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب
هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض
قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من
لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد فان في تانيث الصفة لتانيث
لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد
معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع
الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة

من هؤلاء فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله الا فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء
من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فا
سند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ ناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده
الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة
كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله في المحر
اب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء
فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول
او لان النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من البشارة ويبشرك من الابشار واياما كان فلا ينبغي ان يكون هذا
الكلام الى آخره محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما
وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك
من النداء والتبشير وما ترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو
المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان
قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير
لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن
من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة
منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله تعالى وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت
يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى
مصدقا بكلمة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلث سنين
وقتل قبل رفع عيسى عليه السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لان
مريم ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل
كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس
قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس
وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا
عطف على ما قبله مترتب على ما عد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام
او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح
الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب
لم يخاطب الملك الذي ناداه مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج
دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان

علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال
وان لم يتوقف عليه في بعضها انى يكون لي غلام وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى ما اخر وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها اي كيف او من اين يحدث لي
غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى
واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن
واثر في كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان
لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمانون وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر و
وهو ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال اني وامرأتي على
حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما
بعد مشاهدته للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا
له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد
وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل
الله يفعل ما يشاء اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالجلالة مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل
النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع
الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه
واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على
انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اي
على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف
اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول
ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ
به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة
كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المحاورة بين
زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عرفت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما
مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق لما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما
آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالها بعد ورود
الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلثة ايام اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم
ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة
كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اي اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان

الاشارة ليست من قبيل الكلام او منفصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المراد ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ
رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متيما
تلقني وذين ترجف • روادف الينك وتستطارا • واذكر ربك اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضيل والانعام كما
يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اي سبحه الله تعالى او اخمل التسبيح بالعشي
اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي
وقرئ بالابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر وسحر واسحار واذ قالت الملئكة شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران
اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى وعليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير
الفعل والمراد بالملئكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة
وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى واذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فقدر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم
وقت قول الملئكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها
عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية
المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل
الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك
من رزق الجنة وخصك بالكرامات وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل
واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية
للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى لما تقرر من التنبيه على ان كلا منهما
مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد
والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل ح الاصطفاء على ما ذكر اولا ويحمل
المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها
مجتهدة فيها منقطعة الى الله تعالى اي متبتلة اليه منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان
المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان لتمهيدا لتذكره وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في
الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بامره مع ما فيه من التأكيد
الاصطفاء واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة
كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب
الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما لتقترن اركعي بالراكعين
للاشعار بان من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد
الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد حصل ذلك حيث قيد به الركن الاول منها
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت
دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل

وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى
نوحيه اليك وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه من انباء الغيب
او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي
عند الذين اختصموا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت
بجانب الغربي الآية • وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات
اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف
للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفل وما كنت
لديهم اذ يختصمون اي في شأنها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف
اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة
على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة
على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له اذ قالت الملئكة
شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملئكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها
على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب
وايذانا بتقارن الخطابين في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت
حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الاختصاص استشعارا باحاطته
عليه السلام بتفاصيل احوال مريم من اولها الى اخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير
الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان
وقيل خبر او قيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار اذكر مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى فان المراد
بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر مجموع الثلثة اذ هو المميز له عمن عداه والمسيح لقبه عليه السلام
وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي
لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه مسح بالبركة او بالطهر من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض
ولم يقم في موضع وكان لم يمسح ذا العاهة فيبرأ او بانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء
وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء
العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها
وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم
على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه
الى السماء وصحبة الملئكة وهو عطف على الحال الاول وكذا عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم
حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا
والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال رابع

من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت حين
قالت لها الملئكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون ومن اين يكون لي ولد على وجه
الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج
او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز
ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تأخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف وقع
كما مر او خبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة
منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء
الكلام فيه اعرابا كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان
يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان يخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من يفعل
ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه
قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات
حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر
على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه
الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افردهما بالذكر
على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها
او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير
زواج وقرئ بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا
الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ
وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى
اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف
على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم
الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ
وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة
والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله
تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم
او اتيتكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد ايجاب الامتثال
بما سيأتي من الاوامر وقوله عز وجل اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم
محله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب
بفعل مقدر اي اعني اني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني الخ وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف
اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف

اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير
فانفخ فيها فيكون طيرا اي حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه من الله
تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا
وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب
عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان
له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في
ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من
الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها
منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيا الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام
فاراهم الله تعالى معجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم
يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه
اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش
وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر
احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة
فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب
رأسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول
اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته
لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن بعضهم
وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله تعالى
وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال
والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة
رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها
او ان كنتم ممن يتأتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف
على المضمر الذي يتعلق به قوله تعالى بآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين يدي او على رسولا على الوجهين
فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او ويقول ارسلت رسولا باني
قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا
الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل
الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل
الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف
على بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ

حرم علي تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حَرُم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وتأخير المفعول مع الجار والمجرور
لما تحرر امن المبادرة الي ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الي ما آخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي
وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك
الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل فاحاجة فيكون
آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء
الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني
لتقريبها الي الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا
الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش الآية
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الي استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الي استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان ما آل احواله عليه السلام
اثر ما اشير الي طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام
وخروجه من القوة الي الفعل حسبما شرحه كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة
وايذانا بعدم التخلف وثقة بما فصل في المواضع الأخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك النقل فلان الكل عين
بابها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته للمكايد والاحساس
الادراك بالقوى الجارية مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام
كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواضع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله تعالى
فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس
من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الي المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله
تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بصحيح في توجيه الخطاب الي الكل بل لا يعني فيه بلوغ الدعوة
من انصاري جمع نصير كاشراف جمع شريف الي الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري
متوجها الي الله ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم
الي الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الي بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع
قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون
جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة

وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى
عليه السلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت
قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك
يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني
صرتم بحيث تصيدون الناس جميعا بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز
وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة
من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل
كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها
لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا
قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل
ان امه سلمته الي صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة
قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في جب واحد وقال
كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب فقال قم فانظر فجعل
يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الي ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به
عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم
من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى
عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله آمنا بالله استيناف
جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان بالله تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد
بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك
يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا آمنا بما انزلت
تضرع الي الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل
ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين
يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس
قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله
غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب
بها غيره الي مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل
لما قصد قتله عليه السلام امر جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليهما السلام من تلك الروزنة الي السماء
فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه
ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح
الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان ادلكم
على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفعه الي السماء فاخذوا

وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ام عيسى وامراة ابراها الله تعالى
من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليهما فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا
عليك فقال ان الله رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع
عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل
ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم
وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء
بعده ملك آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليهما السلام
وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض
بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين
وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث
لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل متمم لما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله
او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم
او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافعك الى الان او مميتك من الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا
نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله
عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود
وركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة
فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقي عليه شبه عيسى عم
فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم
والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق
فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله
ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء
هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم
وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه
من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به ومن
يسير سيرتهم من اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالقوة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فيتبعهم ان يحمل فوقيتهم على

فوقية المسلمين بحكم الانقياد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا
فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل
او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى
بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى
عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير
والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه
لرعاية الفاصلة فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية
ببيان حال الكفرة لان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد في الدنيا والاخرة متعلق باعذبهم
لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحداثها يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل
ان المراد اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود ولا عن
الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك خلعة لزم تاخر الخلع عن العارية
لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر
واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها
كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الاجلال
والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية
في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر
مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقررة لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عم وما فيه من
معنى البعد للدلالة على عظمة شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة
المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله تعالى نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الايات
حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر ذلك
ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم
اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل
هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه
كمثل آدم اي كحالته العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل
وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عم
بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب ولا ام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن
اي انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا
لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال
وما اقول قالوا تقول انه عبد قال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا
فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم ما كان له اب ولا ام
ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق

اي ما قصصنا من نبإ عيسى وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل هو مبتدأ
وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه والايذان بان تنزيله
هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما
للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه
من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم
المتصدون للمحاجة فيه اي في شأن عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشأن المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه
ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي
هلموا بالرأي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم
على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان
بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بان لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه
عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل
اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها
بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما
خلوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم
والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا
بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى
على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت
على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا
قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
ان هذا اي ما قص من نبإ عيسى عليه السلام وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
اللام لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو
مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم و
وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في
الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة
فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه

بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل
بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا
نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا
من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي
بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم فقال نعم قال
عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم بانا مسلمين تعريضا لهم
بانهم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة
في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تواردت عليه من الاطوار المنافية
للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر
عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم
تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل منهم انه منهم وترافعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى والانجيل على عيسى
الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن
ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه
ها انتم هؤلاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص
الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا
ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب
قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا
من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا
اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام و
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام
ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم في اكثر
ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم
الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال
ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون اي
باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطق به التورية والانجيل ودلت

علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في
الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابراز الباطل في صورته او
بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس
ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب
وبهم او ساوسهم ونقله وهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار
اي اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر آخره في اواخره لعلهم يرجعون لعلهم يظنون انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم
علي خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الي الكعبة وصلوا اليها اول النهار
ثم صلوا الي الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثني عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان
يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلي الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد
في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم
وجه النهار الا لمن كان علي دينكم من قبل فان رجوعهم ارجي واهم قل ان الهدي هدي الله يهدي من يشاء الي الايمان ويثبته
عليه ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتي احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا
اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الي المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الي المشركين لئلا
يدعوهم الي الاسلام وقوله قل ان الهدي هدي الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد بطائل او خبر ان علي ان هدي الله بدل
من الهدي وقرئ أأن يؤتي علي الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي ألأن يؤتي احد دبرتم وقرئ ان علي انها
نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتي احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف علي ان يؤتي علي الوجهين الاولين وعلي الثالث معناه حتي يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في
معني الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة
الباهرة يختص برحمته اي يجعل الرحمة مقصورة علي من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه
ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع
علي الابتداء حسبما تحقيقه في تفسير قوله ومن الناس من يقول في خبره قوله من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك علي ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كأنه قيل بعض
اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده
وقيل المأمونون علي الكثير النصاري اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب
فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اي لا يؤده اليك في حال من
الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك علي رأسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الي ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالي لا يؤده وما فيه من معني
البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شأن
من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون علي الله الكذب بادعائهم ذلك وهم

يعلمون انهم كاذبون مفترون علي الله تعالي وذلك بانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم
حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك
في كتابهم وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا
الامانة فانها مؤداة الي البر والفاجر بلي اثبات لما نفوه اي بلي عليهم فيهم سبيل وقوله تعالي من اوفي بعهده
واتقي فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلي مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالي وعموم المتقين ناب
مناب الراجع من الجزاء الي من واشعر بان التقوي ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلي الله عليه وسلم والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك
الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من
السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالي وآياته والظاهر
انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالي من ذلك لقوله تعالي ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط
عليهم متفرع علي الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتي صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعني الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر
ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب
اليم علي ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم واخذوا الرشوة علي ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل
نزاع في بئر فاختصما الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي
فقال صلي الله عليه وسلم من حلف علي يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الي المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلوّون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها علي ما قبلها من الساكن لتحسبوه
اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالي يلوون وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالي وما هو
من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من
اللي والتحريف علي طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله تعالي وما هو من
عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالي في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم
وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفي واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول
ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون علي الله تعالي وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب علي الله تعالي
والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا الي كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلي الله
عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تبيان لافترائهم علي الانبياء عليهم السلام حيث قال
نصاري نجران ان عيسي امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم علي الله سبحانه وابطاله اي ما صح
لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق

الا و بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم اي الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعدما شرفه الله
عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي لجاز متعلق بيقول وصفه
عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحمل حالية
لتخصيص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل
ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله
ان نعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين
يا رسول الله نسلم عليك كما نسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى
لكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب
وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان حصول ذلك كان جزما (?) للاستمرار
التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم
التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين
وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا
بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول
ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه او يامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق
صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي بمضادة ما ذكر من توسيط الاستدراك بين
الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان
انتفاء الامرين قصدا لا انتفاء الاول لانتفاء الثاني وتعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجويز الحالية بتقدير
المبتدا اي وهو لا يامركم الخ بمعزل من السداد لما فيه من انتفاء وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له صلى الله عليه وسلم واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى
واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او
سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق
اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى
حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله

بعدما اخذ الميثاق أأقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة
فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا
اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب
فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين
لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك
الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ومعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار
اللفظ (sic) وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الكفر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون
بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من
كان متجاوزا عن حده افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود
بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات
والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها
منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه
ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط
تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة
قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم
والايذان بانه صلى الله عليه وسلم اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من
فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى
الى قوله تعالى بما انزل اليك وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والمعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد به حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى
من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهم السلام اي وبما اوتي النبيون من
المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض
وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل احد منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب
لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله والهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال
بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف
قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة ٭ فما كان بين الخير لو جاء سالما ٭ ابو حجر الا ليال قلائل ٭ اي

بين احد منهم ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بان اهل
الكتاب فانهم بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كالمشركين صريحا والمنافقين
تلويحا كاهل الكتابين دينا يتخل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال من دينا لما كان صفة
له فلما قدم عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه
ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين من الخاسرين
اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطلاق
بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا
ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له
منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم
باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال
من كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حال
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله
جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر اولئك وهذا يدل
بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون
عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف
الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله
غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين
ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه جلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار
عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند
اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه و ذهبا

وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو
افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى
من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم
مؤلم اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمقابلة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا
البر من ناله يناله اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما
لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا
بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة
فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة
اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها
من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف
رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب
افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى
فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز
كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها
وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي
عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال
واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى
فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا
من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء
تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء
تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان
او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل
انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا

لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عم على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا يأكل
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول
كان ذلك باذن من الله عز وجل فهو كتحريمه من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء
بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عم بقبلية نزول التورية ليس فيه كثير فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية
مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وفي قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت
لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا
بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا
معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر
ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم
انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم
الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى
الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه
بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار
التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة
والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة
من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل في محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية
قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا او صدق
في كل شأن من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم عم فانكم ما كنتم متبعين ملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي
اضطرتكم الى التحريف والتلفيق والاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عم ومن تبعه
والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها
وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه
وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول لانه لا يدعو الا
الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس
شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عم روي ان اليهود قالوا بيت المقدس
اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على

الفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بما بين الاضافة
والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب
تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد
راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وقيل هي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس
بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل
لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل
مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله للذي ببكة روي انه عم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه
من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف
دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما
قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ
حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع
الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام
ابرهيم اي اثر قدميه عم في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه
على ما روي انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا
الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر
قدميه عليه وهو اما مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده
باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عم كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة
قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض
الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده
القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها
في قوة ان يقال وامن من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من
الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله
امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عم
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل
الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم
لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها
يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون
الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة

من مهابة بتباعدت منه جهنم مسيرة ما يجي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على
الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار
ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على
الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او
حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجه قصده للنسك
على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل
من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد
بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع اليه وقيل في محل النصب
بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا
فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بسبيلا قدم عليه
اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال الى
وهو عبارة عن الوسيلة من المال والخبرة فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى
ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة
بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رحمه الله اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على
الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم توصيفه عليه السلام بصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل
الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته
لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا
قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال في خطبته
ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا
او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك
عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد
على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار
على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم
ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا يتبع
وراءه وجعل جزاؤه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد يضرب عنه صفحا
اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب
هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت
في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل فقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه

تنوين التاطرة عبارة عن الاعمال بالعقوبة
اي لا ابناطر معهم بان يعمل لمن تركتم الحج
بل يهلكون ...

قد تم يهدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت
قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا
اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم
مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب
وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج
وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد
التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد
وكلمة ما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال
انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه
بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله على تقريعهم وتوبيخهم وترك
عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان فصل قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد
من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتوبيخ وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد
الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه
فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام
وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن
مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول
فيه بجهدهم ويقولون ان صفته ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج
فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها عوجا على اسقاط الجار وايصال
الفعل الى الضمير كما في قوله فتنادى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم
السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله
عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل
تصدون باعتبار تقيده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله
لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنه اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التورية ان دين الله
الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور
وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة
بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية
السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان
بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير
عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا كما ان تعميم التوبيخ
فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا

يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راي منهم من تالف القلوب واتحاد
الكلمة واجتماع الراي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنان فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتنازع
القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الامام الواحدي اصطفوا على القتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين
فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق
بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة
آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل
في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة
سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال
شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم
الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون
للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد
الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده
على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم
تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من
الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها
فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق
وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال
كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى
قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى
الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا
وهذا وان كان هو دين الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان عنوان الاخير
مما ينافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير للخطاب بعنوان الايمان تشريفا اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال
من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب
والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر
ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه

اوابنه

اوابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله هدى للمتقين
والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد واصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله تعالى لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه
كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان
نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده
الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت
وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما
لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده
قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة
وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى
صراط مستقيم واما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع
بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب
والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا
اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او
بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا
عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف
بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معناه فاصبحتم فدخلتم في الصباح
فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على
شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك
الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو
قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك
التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي

شيئا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظوا على حقوقها وحدودها ويذكروها الناس كافة ويزجرهم عن
الاخلال بها وجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف
وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها
ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن امة منكم داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد
الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين
ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية
ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من
لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار
الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من كان التامة
والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين
فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص
على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح
من الافعال الثلثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان
يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد الكاف اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب
واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال
الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم
وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم
لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله
غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره
الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما وفي التوبيخ في
قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم
تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج
التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات
تذكير الفعل لما بينه وبين فاعله من الفصل اي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي
متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز

وجل

وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية
وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع
لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى
المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية
لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد
في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد
وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم
اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات
وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل
باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان
هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال
المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من
حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم وايمان انفسهم به
قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل
الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وجل فذوقوا العذاب اي العذاب
المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم
تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه
في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار
ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى
نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات
الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل
الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين
او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم
بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم
بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم فان وصف الالوهية يستدعي نفي الظلم مطلقا لبيان
كمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات

فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة
المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى
التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا
احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام
بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما
وعد له واوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة
لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت
المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في
الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى
او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة قوله اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة
باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم
ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس
تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال
فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى
الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم
تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وظاهره ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون
اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا
بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنهم فقالا لهم نحن افضل
منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وروى الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله
المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم
يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك
كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه
عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل
الكتاب لكان خيرا لهم اي لو آمنوا ايمانا كما ينبغي لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازداد
رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية اما

هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب
الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به لتوهم او لما يحتمل ارتيابهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات
ذلك منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كأنه قيل
هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا
ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا
من قتل واسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا
وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان
يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل
وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم
كتوليه الادبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة
لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة
والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل وذل التمسك بالباطل
اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب
القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وعلا وضربت عليهم المسكنة
فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين او النصارى ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك
الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات
القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم
لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من
الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار
فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا في حق المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن
مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم
خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف
بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع
اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب
امة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف

الآية مبين لقوله تع كنتم خير امة اه ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقق ما به الاشتراك بين الهم بعاين و الانداء
بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى
استقام وهم الذين اسلموا منهم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبد الله واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل
نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم
عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا
موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه
يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل
فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبر الامة والمراد بآيات القرآن وقوله تعالى
آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة معا او انى بزنة ظبي او انى بزنة نحي او انو بزنة
جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا او ساجدا
وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخشوع والتضرع بلا وتهم آيات الله في الصلوة
مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تقبيح المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وسوء
التشنيع تقدم بعد النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة
وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس للتباعد
منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد فان الفعل مسند
الى فاعله ثم الجملة مسندة الى الضمير لتقوية الحكم وتاكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي
مستانفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله تعالى
كما في قوله تع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض
يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع
والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا ما يزعمه اليهود الى عزير والتعريض بان ايمان
اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما
في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر
بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم
عن سبيل الله ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة
في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة
في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في
على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة
في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت

بجملته وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل واشاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك
المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله تع وحازوا واستحقوا رضاه
وثناه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب
بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع من القبايح وتعديته الى مفعولين
بتضمين معنى الحرمان وقرئ بصيغة البناء للمفعول الجاري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم
بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة
وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المطوي على الخصائص
السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن
قال ابن عباس رضه هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان
كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال
والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي
مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم
التي كانوا يعولون عليها في جلب النافع ودفع الضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها
اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح
فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بالغضب من الله تعالى
وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا
في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة ما بوجه من الوجوه وهو
من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون
الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون
وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول
لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا
انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له صريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم
اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما على تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه
لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة
الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار قال ابن عباس رضه كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف
فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده
قوله تع واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ صفة المنافقين وايا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة من

دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا
يالونكم خبالا لا يقال الالي الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدي الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا
على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم
استيناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف او مفيد لزيد
الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان
ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء والدليل على ذلك جمعه على افواه
وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم
من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة
من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له
او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب
كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم
تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قيل هو امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم
من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك

ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابكم من ضر وشدة وان تصبروا اي
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي
دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة
المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد
محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ
غدوت كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع
لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع
عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك
ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها
واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه عليه السلام الى احد

وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة

وكان

وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين
اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على
انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة و
ما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه
وقت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم
وتزايلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا تبين خلل راي من احتج به على جواز صلاة الجمعة قبل
الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة
ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى
في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ابن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله
واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا
قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته
هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري يا رسول الله
لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا
به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح الشعب
من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح
ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله
سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي
صدوره اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع
بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت
الخ معنى قولك ضربت او اكرمت زيدا ان زيدا منصوب بها وانها تسلطت عليه طائفتان منكم ان تفشلا
متعلق بهمت والباء محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج
وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين
ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة آلاف انخزل عبد الله بن ابي
بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى
في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمت الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان يرجعوا فعصمهم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة
وحديث نفس فان النفس قلما تخلو عنه عند الشدائد والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون
حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله
وليهم كما في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون في جميع
امورهم فانه حسبهم واظهار اسم الجليل للتبرك به وللتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه واللام في المؤمنين
للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم
الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر
وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه
وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم للموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر
من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان
باتصافهم بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا
وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة فاتقوا الله اقتصر على
الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه
الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر
كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم
فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول
تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته واذ ظرف
لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره
تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر
الحنفي يريد ان يمد للمشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم حكي ههنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق
التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب
مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية معها وبما سيأتي
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم وللاشعار بعلة الامداد وفي الانكار عدم كفاية الامداد بذلك
المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم
من الملائكة بيان او صفة لالاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف
وقيل حال من الملائكة وقرئ منزّلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى

يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا اي على لقاء العدو
ومناجزتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في
الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حال لا ريث فيها اصلا ووصفه
بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين لوجوده
وعدا على الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه
على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان
هجوم الاعداء سواء اسرعوا او ابطأوا او اتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق
الامداد بانه حيث يتحقق مع ما فيه عادة فلأن يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة
تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايديهم وشدادهم لم يتأثر منها قطعا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم او
خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن
العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم
قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن
في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ
مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله
الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير
وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وأماراته معطوف على فعل
مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه
على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه قطعا لكن لم يصرح
به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل اضرابا عن شائبة التكرير
او عن ايهام احتمال خلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
فامدكم بهم وما جعله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور
اعني قوله ان يمدكم او على المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فبمعزل من جزالة التنزيل لان العلية
البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده
في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والموضوع لمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى
لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة الاف
والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل ولكون الخطاب لتشريف
المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوضيح الاسباب الظاهرة وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم غني عنه بماله من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء الا للبشرى لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية
للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على

بيض

حالة لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية والسببية في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الاسناد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين
بتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى استثناء من
اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن
قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا
من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود
الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا
يغالب في حكمه وقضيته وايراد الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة
ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفيته ونوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان
انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله
عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو
الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر وانما لم يتعلق بنفس النصر كما قيل لما فيه من الفصل
بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر فخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من
جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة
الا ثابتا من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث
قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ
او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل صرع
للوجه واليدين فان التاء غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم
بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف
عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصور اثر بيان ان لا تأثير للناصرين
وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى
وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر
مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله
عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت
عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب
الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة
عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة
على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل
ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم
مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزل ليس لك

من الامر

من الامر الآية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن
فقوله تعالى او يتوب عليهم ح معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى
ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان
بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على ان
الامر كله بالله تعالى ومبني على سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ
غدوت وان ما يحكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة
الآف لا بثلاثة الآف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم خيبتهم
وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه
مما لا ينبغي سماعه واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الا الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق كيف
يتبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلما لم تفعلوا
ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه
قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من
عنده تعالى وجعله استثناء من مقدر العدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا نصر من
من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى
ليقطع طرفا الآية متعلق ح بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه
بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد
في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما يحكى في اثنائه
الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون
تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات
وما في الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان
اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء
ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له
مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص
المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه او بانها من مقتضيات الذات دونه فانه
من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر
لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا
ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى
والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد

انحى طلب الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فما اهم فيه من جهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناط الفوز
في الدارين على الاطلاق معدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
وطاعة الرسول لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء
الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طريق الاكتساب
ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات
مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله تعالى اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة
توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا
عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز
عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة
للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره و
نواهيه لعلكم ترحمون راجين الرحمة اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار
بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم
يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا
الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء
جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما ذكر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على
الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص
العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب
على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون
محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قوله يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء
والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في وقت ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تأويله
انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا
من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين
الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وند

بهم الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين
مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين
ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل
لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى
والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة
هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنوا
اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره اجدع انفك افعل
كذا فنزلت هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت
اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل في شأن رجل من الانصار وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة
فندم الانصاري وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم
وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه او عقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء
للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب
جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور
غفرانها من غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان
دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل واحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء
فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه تعالى بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال
وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره
عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب
ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او
فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه
والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين
آنفا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو
مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل الاشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر
لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة
الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين

المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مقابلته الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص
الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى
من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في اولئك لانه مفعول به في المعنى لانه
في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان
كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات
والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات
والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك به مشعرا
دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين الذي شتان بين المحسنين الفائزين بجنة الله عز وجل ومن
العاملين الحائزين لاجورهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد
والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت
او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله
عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او الامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم
لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله
قد خلت الى آخره بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة
له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان
خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم
من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة
بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان
يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء مغبته وهداية
لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة
ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين
مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة هلاك آثار اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة
الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري
عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصود الاصلي ويجوز ان يكون
تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا
اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان
وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مؤكدا لمضمون ما وقع في خلاله
ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان

زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يلائمه ما بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية
عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن
عمير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة
ومن الانصار سبعون رجلا رضي الله تعالى عنهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل
منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير
امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم
المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا
فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم
الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود
تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم
مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان
كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد
والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا
وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة
خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما
صفة او بدل منه او عطف بيان له ونداولها خبره او خبر مبتدا ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر
بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم
قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا اما من باب التمثيل اي
ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم
السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز
الخبيث من الطيب او على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم
الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى الاسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار
بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشإ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشإ الآخر والجملة علة
لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي ينطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين

وفي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او
بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة
المذكورة عليها لكونها من مبادئها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور احوالهم وخروجها
من القوة الى الفعل من مبادي تميز بعضهم عن بعض ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب الملك
واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عد من الامور وان العبد يسوؤه ما يجري عليه من النوائب ولله
تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم
وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية
فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر
افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت
وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد
والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك
ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد ومن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف
وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد
وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون
المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبي عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى
والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى
لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتنبيه من حيث ان البغضة تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين
للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتنبيه من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانه تحقيقه
بل لما يترتب عليه من الفوائد العائدة الى المؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا اي ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت
في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين
او ليقترن بقوله تعالى ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب
قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستاصله وهذه علة للمداولة
باعتبار كونها على الكافرين وهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم
الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تعليلها
وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار ثمرة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من معنى
بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة
للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول
وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون

علمه به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار
الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يجاهد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين
مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما تجاهدوا لكن به عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان
انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار
وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى منكم
حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا
يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما
وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل
مجزوم معطوف على المجزوم قبله حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على
ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف
اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تتمنون
الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف
ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله
وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم
تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة
كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم
وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة
بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب
من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت
من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه
يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام
لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور
على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته
عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام خرج على خلاف مقتضى الظاهر
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو
الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد
وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين
فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى
بالوقوع واللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي

٦ فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم ٦

ناله الفتنة وعظم فيه المحنة لما أن الموت مع شرف الوقوع غير مخرج للناس عن الانقلاب عنده وحملهم عليه هناك اتجه ولأن
الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة في نفر من المسلمين
على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبي وقاص
فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة إليهم ورأوا أنهم قد انهزموا أقبلوا على النهب [illegible]
بن جبير فلم يبق عنده إلا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين [illegible]
من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف أقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم [illegible]
عليه وسلم وقاتلوهم حتى أصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كلهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك
الفداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قميئة بحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير رضه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يزعم أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله
فقال كعب بن مالك كنت أول من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن
أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال
أنس بن النضر وهو عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء
وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه وتجويزهم لقتله مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس
لما أن كل آية ليس سمعها كل أحد ولا كل من سمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضه
عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله
توفي فقال رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن
رسول الله ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر
رضي الله عنه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكأن الناس
لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها وقال عمر رضه والله ما هو إلا أن سمعت
أبا بكر رضه يتلوها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ومن ينقلب على عقبيه بإدباره
عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا
ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا أي شيئا من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
وسيجزي الله الشاكرين أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعزها وفي تسميتهم بذلك لأن الثبات
عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضه أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين
والأنصار وعن علي رضه أبو بكر والصحابة وعنه رضه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل
في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم وما كان لنفس أن تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم
فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله تعالى لا يكاد يقع

بدون تعلقها به وإن خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وقد أشير بذلك إلى انحصار تعلقه بموتهم
في الوقت الذي حددوه فيه ولذلك لم يقتلوا لا لإحجامهم عن مباشرة القتال وكان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها
الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى إلا بإذن الله استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلا
لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئة الله تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت
في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية التي لا يتأتى
للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى أو بتنزيل إقدامها على مباديه أعني القتال منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة
في تحقيق المرام فإن موتها حيث استحال وقوعه عند إقدامها عليه أو على مباديه وسعيها في إيقاعه فلأن يستحيل عند عدمه
أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي كتبه الله تعالى كتابا مؤجلا مؤقتا
بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق أن مدار
الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلا أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على
إراداتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية فقيل ومن يرد أي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة
على طريق الالتفات منها أي من ثوابها ما نشاء أن نؤتيه إياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ومن يرد أي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها
ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين ما
آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا والمراد بهم
إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه
البيان ما لا يخفى وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن
الربانيين المجاهدين في سبيل الله تعالى مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها
بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي أحدها
والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيأن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما
قبلها والخامسة كأن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله من نبي تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء
وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكائن آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون
كثير خبر لها على أن مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي
منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة
وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف
متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخريين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا
أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري
وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط
هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون
كثير وأما على القراءتين الأخريين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم لما

للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على
قاتل على ان المراد بعدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد
ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب التحقيق صنع جديد صحيح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي
فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي ثم بينوا بعلته قوله تعالى في سبيل الله
فان كون ذلك في سبيله تعالى وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة
عما عدا القتل من جراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ
المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع اعتراء ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة
المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فما عبارة عن ما للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير
النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهي للباقين ايضا ان
اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين
وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار
عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على
مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار
في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما
قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم
بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم
عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الاهوال والشدائد شيئا من الاشياء الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف
الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم
الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب
بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان
الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء
من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما
لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي وما كان قولهم شيئا من
الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى احق بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لان الاخبار
بكون قولهم المطلق خصوصيته قولهم المحكي عنهم مفصلا كما يفيده قراءة النصب اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور
قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا
على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك هنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما
يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا فكان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية

ويجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في البيان واما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان
فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان مع ما في حيزها لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث
انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا
اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به
للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن
رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم
من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين
في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا
والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه
لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين
بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك وقصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة
ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا
خاسرين اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما وواقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس
الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين
ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له
عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استماعهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه
والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة الى تقدير
الى ما مر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا
غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه
صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن
الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ
بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة
والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون
ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب
او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما
مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب
ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها وحدتها ونفوذها وذكر
عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه
ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم
في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس

متوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم
فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده
نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحاً وقيل بنزع الخافض اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة
من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا
مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية انه قال لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان
وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
يقتلونهم قتلاً ذريعاً وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشياً من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله
تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وفيه
تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود فيما ذكر الامداد بخمسة آلاف وجعل بانزال الملائكة ولم وتقييد صدق وعده تعالى بوقت
قتلهم باذنه تعالى يرجح ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعدهم بقوله سنلقي الآية وفيه
بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال او رجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في طريق على اختلاف الروايتين واياً ما
فلا سبيل الى كونه منتهياً بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب
وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلاً وضرباً فما موقفنا ههنا
بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضه لا تخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه
ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون
ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب
على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب
ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية
داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى
صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك
وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت
الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف من المسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على
الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل
عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضاً رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار
في موضع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً اولياً اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل
وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون
الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفاً وقرئ يلوون

كيصعدون

كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وايراده
عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته كانت بطريق الرسالة من جهته تعالى اشباعاً في توبيخ المنهزمين في
اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غماً موصولاً بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة والتنكير للتكثير او غماً بمقابلة غم
اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا
على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح
والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه
ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيساً عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما
تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقاً من بعد الغم
الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا الآية امنة اي امناً نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاساً بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له
او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه
جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء
بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا
كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس
قال ابن عباس رضه امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضه كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه
الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضه رفعت رأسي يوم احد فجعلت لا ارى احداً
من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي
فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى يغشى
طائفة منكم قال ابن عباس رضه هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل
النصب على انها صفة لنعاساً وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان
وان لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همي وقصدي
والقصر مستفاد من فحوى الكلام وطائفة مبتدأ وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال
كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى
من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر محذوف اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة
وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياً ما كان فالجملة اما حالية
لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم
واما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله تعالى يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها
بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اي يظنون

تعالى غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة
كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء اي هل لنا نصيب قط
او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او ان التدبير كله لله فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تع يخفون في انفسهم
اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تع قل ان الامر كله
لله اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب
وقوله تع يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول
بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد من ان الغلبة لله تع ولاوليائه وان الامر كله لله او
لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا هاهنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع
الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما رآه ابن ابي وغيره ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى
قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ
بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم اي مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة
على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل
كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس
نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا فقال سليمان هو ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رأيت منه
مرأى هائلا فامر بها فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت
امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح
الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله تعالى في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب
القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم
معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها
اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ او جعلها علة للبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام
بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل
لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور
ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور
بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال ان الله تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه
وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد جماعات [illegible] انما استزلهم الشيطان
اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر الرسول
صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب

تقدمت لهم فان المعاصي تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج
من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة
تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا
وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين
وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي
حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا
المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي يدور عليه استحضار الصورة قال الزجاج
اذ هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي
باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اخوانهم حين ضربوا او كانوا غزى جمع غاز
كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على
حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب
في الارض توطئة له وتقليله لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا
للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا
عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في
الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه
والحكم بموجبه كانه المنكر على قائليه الآتي الى قوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا
واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم
بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تع ليكون لهم عدوا وحزنا
اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك
اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم
خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل
عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده
من غير ان يكون للاقامة او للسفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد
الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء
على انه وعيد للذين كفروا وبما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشئه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك
من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء
الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون
ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تع ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تع لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب

الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لمغفرة ورحمة كائنة من الله
بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض
ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على خيرتها من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان
بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخلف منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لابد من حذف اي لمغفرة لكم من الله الخ وفي ايثار كون
اي للمغفرة على الصفة دون الخبر بنحو ما ذكر مثل دعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا
المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد وبيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة
والرحمة ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية لالى
الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم
والكلام في اللام كما في الجملة كما تقدم في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء
لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته
والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة
من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بحيث اغتممت لهم
بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا
وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في
القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى والفاء
في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو او الامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله
عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود
او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم
في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح
فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا
تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع
للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل
عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم
عليه تعالى وحثهم على اللجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لجميع
افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي
مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه قطعا هو نفي المساواة واثبات الغالبية
كما اذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا مطرد في جميع اللغات
ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
في مواقع كثيرة من التنزيل وكما هو نص قاطع فيما ذكرنا وما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من الخذل فمن
ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه

تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى
والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على العدو بنصرة تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك
مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات
وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما
يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة
تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا
فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم
امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى
ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا
واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما
غل يوم القيامة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه قال الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بما احتمل من
وباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا
للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب
مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان
فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين يوفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن
لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة
عقاب او نقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات
كالنبي ومن سيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه
والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بما يخص له
وصف به الآخر فهو بل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة
بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل
سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستأنف
مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما
كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق
بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار
المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات
مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها

فيجازيهم بحسبها لقد منّ الله جواب قسم محذوف اي والله لقد منّ الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به
وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف
قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ بعث الخ او على ان اذ
في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر
من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة رسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم آياته
صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس
الطبايع وسوء العقايد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب
القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه
باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف
في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه
ضلالا وان هي المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق
بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما
كانوا من قبل الا في ضلال مبين واياما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة
لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة
والاقاويل الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما
ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
والمراد بمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق
به بينه وبين الهمزة مع ان المقصود انكاره وللعطوف بالواو وحقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح
والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا
وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا
اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم
ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم لحدوثه مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى
هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في الملحمة من حيث هو
هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم انما نشأ من
تركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم
الله وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر وخفف جناياتهم منه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم

الله تعالى بالشهادة يومئذ وابن عمر من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر
الاقوى وربما يعضده توسيط الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم من خطابين للمتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام
فان توبيخ الفاعل على الفاعل احق ممن عفا عنه كان استئنافا ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان
عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب
المؤمنين انه خطابه ام السر تقريره وارشادهم الى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله
تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى
يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك اذنا لكونها من لوازمه
وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم
الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان
باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في
ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث ما اصابكم يومئذ فهو كائن
ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان
تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي ادفعوا
عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله وترك العطف
بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون
قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا بنفي العلم عن القتال
بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم
بصدده ليس بقتال وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة
دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد
او بدليه انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى
عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تتعلق بجارين به تشبيها بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا
منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين
وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة
مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول
والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا
واما القول الملفوظ فقط فالمنفي منشأه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال
اي يتفوهون بقول لا وجود له ولمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين

ليس في قلوبهم شيء منها أصلا أما علم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم وقد كذبوا فيهما كذبا بيّنا حيث كانوا عالمين به غير
ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله أعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكذبهم
ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم من فنون الشر والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن
بعض ما يكتمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الإجمال والله تعالى يعلم تفصيل
ذلك وكيفياته المخصوصة بالعلم الإلهي الذين قالوا مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون أو خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل
فادرءوا والجملة العائد محذوف تقديره قل لهم الخ أو منصوب على الذم أو على أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل
من ضمير أفواههم أو قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه لإخوانهم أي لأجلهم ومن
قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال
بالانخذال لو أطاعونا أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه إيذان بأنهم
أمروهم بالانخذال حين انخذلوا وأغووهم كما غووا أو حمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عند المشاورة من الإقامة بالمدينة
ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها تستدعي مقارنة القعود للقول مع أن ابن أبي
ليس من القاعدين فيما ذكر من المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم ينادي باختصاص الأمر والنهي بهم فيتحتم أن يحمل
على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل فادرءوا عن أنفسكم الموت جواب لشرط قد حذف لدلالة
ما بعده عليه من قوله عز وجل إن كنتم صادقين أي فيما ينبئ عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا
عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان
المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن
مكتوبا عليكم لا لسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع تمكنه عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة
والقعود مؤديا إلى الموت روي أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل المراد إن كنتم صادقين في مضمون
الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن أنفسكم الموت ح
استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب
الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه
ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يغني
ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير و
عثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل أحد له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الإسناد إلى ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب وقيل إلى الذين قتلوا والمفعول
الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي لا يحسبن
الذين قتلوا أنفسهم أمواتا على أن المراد من توجيه النهي إليهم تنبيه السامعين على أنهم أحقاء بأن يسلوا بذلك ويبشروا
بالحياة الأبدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتل إذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى
لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل أحياء أي بل هم أحياء
وقرئ منصوبا أي بل احسبهم أحياء على أن الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا إذا ما المرء
أصبح ثاقلا أو على أنه وارد على طريق المدح كلمة عند ربهم في محل الرفع على أنه خبر ثان للمبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو

في محل النصب على أنه حال من الضمير في أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي
التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون أي من الجنة وفيه تأكيد
لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الإمام الواحدي الأصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن
أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أصيب إخوانكم
بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وروي ترود أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت
وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على أن روح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن
ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد أن نفوس الشهداء
تتمثل طيرا خضرا أو تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد أنها تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة
كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم
المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله
فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم أو بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا
أي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين
لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أي
يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف
وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التي يجب أن يرغب فيها
فضلا عن أن تخاف وتحذر أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام
انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فإن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن
بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقا بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم
بيانا لبعض ما أجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما أفاده التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة من الله تعالى وفضل أي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بفتح أن عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير
عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت
توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الأخوة في الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض دال
على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث
على ازدياد الطاعة وبشرى للمؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين
أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود
من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة
فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا
حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب

المشركين لما ضعفوا اخرت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثوب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب
واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة
حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل
بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا
[illegible] فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله
[illegible] ابرهيم حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله
[illegible] انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام
[illegible] وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة [illegible]
[illegible] قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
[illegible] وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى
[illegible] في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف

[illegible]

من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعدّيه الى غيرهم اصلاً كيف لا وهو علم في خسران الكلي والحرمان الابدي دالٌّ على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة اولياء الله تعالى وهو اتم من الابقى الوكد وامنع من عقاب النجوم وان اريد بالموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلاً عما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها بتقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوّز كون الموصول الاول عاماً للكفار والثاني خاصاً بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة لا يليق بفخامة التنزيل لان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لم يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي الحزن مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبيّنة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل علامات العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصوفة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائنا لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول عليه السلام عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجاً اولياً واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الرائية بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهراً طويلاً فان المقارن له دائماً انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور لكونهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصداً الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما في جانبه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا وان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفصيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا تحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الآخرة عذاب مهين اي لهم الايمان والتمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاء وفاقاً والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثماً معداً لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق

نفيه النفاق في ضمن التكوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والاختلاط مشتركة بين المؤمنين والمخلصين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما هو من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى النوعين معاً يجوز نسبته الى كل منهما الا الكفر والنفاق كما قيل كان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما ترى والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلية الحكم والمراد بما هم عليه ما عبر عنه والاول هو الانسب والاصح والمحققون من اهل التفسير لكونه صريحاً في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين حيث هو مشترك بينهما بخلاف الاولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وليس فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معاً وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة اي ما كان الله مريداً او متصدياً لان يذر المؤمنين ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها لكمال القوة زيادة في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفيهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال في مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفاً لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من شرهم كما وسوأ جوارحهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شأنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم الصلوة والسلام وتعميم الامر في قوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني

والاستعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عم والمامور به الايمان
بكل ما جاء به عم فيدخل تحته تصديقه عم فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان
يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم
كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم
ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاظهار
باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضلهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار
تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان يكون
مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك
الى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم وعمل
فيهما من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم
لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته
حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات
بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه
وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم الفاقه
وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر
كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته
لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان
لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال
المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة
وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره
استقلالا او اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها
اهل السموات كالملك والولاية والاحوال التي تنتقل من واحد الى غيره ولا يعتز بالشرع مالا ولعل اهل السماء ايضا مثل ذلك فما لهم
يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة
والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة
والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي
انه عم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من
العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك
والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاء والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث

لا يرضى

لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة
الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه
واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى
وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء
لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا
من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء
للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة
الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه
من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة الافاعيل تزاول بهن ومحل ان
في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي
والامر ان الله تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما
تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة
المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب
من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم
مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب
بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان
المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن صيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية
واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب
بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل
ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى
قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات
الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم
من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا عم ويحيى عم وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما يحزنه من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك

مقابلين لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ او من متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاءوا
بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته
وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اي التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن
ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على
مغايرته بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين
وعدمه كما في قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم
قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة
فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها
الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها
الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا
للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون
الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما
يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار
احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون
اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التأكيد اما تحقيق معنى الابتلاء
للمخاطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من
ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاسعاف (?)
لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد
ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتائكم
القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى
الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الخ والتصريح بالغلبة لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيدهم به
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة
من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي
تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة
الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من
المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها
التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به

يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا
وتتقوا فهو خير لكم او فاصبروا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم
فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام
مسوق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين الخطاب اثر الخطاب الشامل له عم وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة
به عم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر
بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب
وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب
وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي
من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب
وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل النهي ابان كيد في الاول لانه تأكيد له
وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو
على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب
المأمور به واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عم وبالكتمان المنهي عنه القاء التأويلات
الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه اي الميثاق والنبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق
بفنون التأكيد وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة
به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين
واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية
الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله
سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن
محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضه ما اخذ الله على اهل
الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر
الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الاشتراء على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عم ونحوها لان ذلك
كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة
واستجرار العقاب كما في قوله عز وجل وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء استعارة لاستبدال متاع الدنيا بما كلفوا
اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة
بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في
العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون
مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها
الدنية والتحقير على التعريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه
فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة مفسرة للفاعل ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه

ذلك الثمن لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى
انه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التوراة
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته صلى الله عليه وسلم واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول
عبارة عن المذكورين اوضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي
اثر بيان قباحتها وقد ادرج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان
يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان يكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب
ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل
هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله عز وجل ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان المشهور انهم كانوا يفرحون بما فعلوا
من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة
المؤمنين وهم في الغاية القصوى من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين
كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان
يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى
فلا تحسبنهم تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان
المفازة مصدر ميمي ولا يقدح فيه تاء التأنيث لانها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك و
رهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها
اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه
خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء
فيهما على ان الفعل للرسول او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول
والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى
فلا تحسبنهم تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي
الثاني عليهما على عكس ما في قوله ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على
ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني
عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه ام ومفعولاه الضمير المنصوب
وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون
انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم
فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم
من مطلق العذاب صرح ان لهم نوعا منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله
اي خاصة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا
واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها

وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه قادرا على الكل
بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى
واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وهذا نوع
لازم من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان
شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات
جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه عز وجل بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق
مضمونها اي في انشائهما على ما هما عليه في ذاتهما وصفاتهما من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا
وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها
التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف
حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة
من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية
الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير
ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة
وهو جمع غريب كأنهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب
وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل لان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها
والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك
العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لان
المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فالمقصد
في ضمن بيان اختصاصه عز وعلا بالالوهية بيان اتصافه بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد
فان ما فصل هناك من آيات رحمته كما انه من آيات الوهيته ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة الخالصة
عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق البدنية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في احوال الخلائق واحكام النفوس
المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمة الملك الودود الحق في الانفس
والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتحققين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكره
غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مطالع الابداع
وحضر في محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع
واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم تارة بالتصريح
بعبارته ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار ابهامهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
فتأمل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هل لك يا عائشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك
قد اذنت لك فقام الى قربة ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع

جفونه ثم جلس رحمه الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلّت الارض فاتاه بلال يؤذنه بالصلوة
الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا اكون عبدا شكورا ثم قال
ومالي لا ابكي وقد انزل الله تع علي في هذه الليلة ان في خلق السموات الآية ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها
بين فكّيه ولم يتأملها وعن علي رضه ان النبي عم كان اذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب
على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تع ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما
لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تع في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق
سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم والآفاق الا واليه يشير بقوله عز وجل
قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا في الآفاق واليه يشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شئونه تع فالمراد به ذكره تعالى
مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة
بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تع يذكرون الله
قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به
التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة
كما قال عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما
لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية
من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين
على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال
المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل
له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بذاك وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه
اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي تؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به الرسل
وآيات الكتب كما ان تلك الآيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية
مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية وداعية الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع
غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تامل في تفاصيل
خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تع بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية
والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال
يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم
المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم
المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افراده لان لكل من القلب والقالب
عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى
التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عم كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واما طريقها النظري فيما ذكر

تعالى وقد روي عنه عم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان
ذلك التفكر في امر الله تع ولذلك قال عم لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه يستتبع تحقيق ما جاءت به الشريعة والاعمال
فسّر النبي عم قوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تع فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة
مع تصادق الآيات التكوينية وتواضح الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية
للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية
ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره
فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه
واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب
والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة
بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت
هذا باطلا حكاية هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تع ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد
محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ
عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدار المعاش
للعباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة
بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استيناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول
الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى
والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا
يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية
الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما
اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على
الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي
الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال
المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير
كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من
مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم
وتردد في ذلك وقوله تع سبحانك اي تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض
مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية
الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك
والثاني الاستعداد لقبول الدعاء والفاء لترتيب الدعوة المحكية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا

من وجهين احدهما الوقف على فقنا عذاب
فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر

ستركه واطفاء حرك ونزهتك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته من شرطية دخلت على فعلها المجزوم بها ما لها صدر الكلام والجملة في محل الرفع خبر لان مبالغة في استدعاء
الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتاكيدها لاظهار كمال التعين بمضمونها والايذان
بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته
قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي
لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله وما للظالمين من انصار
تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين
موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين
اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد
بالظالمين هم الكفار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية
دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان
بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى
الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة
وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت
وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعولا ثانيا لسمعنا عند الفارسي واتباعه وفيه
اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله وتحقيق
صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت
متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا
اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان
ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته
مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي
المغفرة والدعاء بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن
مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مختلطين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود
الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع
صفة للمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
ولا يخفى ان تقدير الافعال خاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وحده لما ان دعوته لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام
كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على

لسا

لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة
قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم
يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وتكرير الدعوات وما في تضاعيفها من كمال
الضراعة والابتهال ليس لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة
والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس انه البعث بعد الموت وفي الآثار
عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله تعالى مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم
الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل
في سورة يونس ثم قيل للذين ظلموا الآية عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة
الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد لهم كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما
صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي هاهنا للايذان بتحقق الاستجابة
وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتي ويجوز
ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون
باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من
اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون
الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي الحكم
على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا
قرأ ابي به والباء السببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك
والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها
ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب
لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم
من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في
معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فلا التفات حينئذ وقرئ لا اضيع بالتشديد
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم
من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط
الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا الخ تفصيل
لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر
للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار
واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار

في سبيل الله تع وقاتلوا واستشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لان الواو لا تدل على الترتيب او لان المراد فقتل بعضهم وقاتل
آخرون او ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل اتصاف الكل بالكل
بجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق
التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل
لكان قد ضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ وقتّلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن
والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله
متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه او لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية
من الشرف وقوله تع والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده
وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا
الاول والعندية عبارة عن اختصاصه به تعالى مثل كونه بقدرته تع وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة
احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا وفي تصدير
الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان
المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة
شانها وسوء عاقبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد
تثبيته على ما هو عليه كقوله تع ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم
والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه
الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين
كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من
ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي
وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه ثم مأواهم جهنم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها
وقوله تع وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف
اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال
حسن حال المؤمنين عقيب بيان وتكرير للاثر تثبيتا مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم
يتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به
الاتقاء من الشرك والمعاصي والموصول مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف
خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام او شراب
وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال

من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء
من عند الله تع وما عند الله مبتدا وخبره قوله تع للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تع من الامور المذكورة
الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات
المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير
ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من نجران واثنان وثلثون
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليهما
السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت
لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن
وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما
فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن وتعلق
ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن وجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبلها او
بيان لسلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه
وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد
منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا خبره قوله تع لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك
وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو
عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين
في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات
وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى
وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين
للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مجامع
اموره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين
الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا
على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والحمد لله رب العالمين
في اواخر المحرم الحرام سنه ٩٦٢

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المخاطبين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين ح والحادثين بعد ذلك
الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف
الا عند الحنابلة بل بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد
على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عم حلالي جار على لساني الى يوم القيامة وحرامي جار
على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر
والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عدا اهما مماله دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب
فستعرف حاله والناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما تعميم المذكور في قوله عز وجل اتقوا ربكم فوارده
على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر والنهي بما ذكر من الدليل الخارجي
وان كان فيه رعاية جانب الصيغة لكن يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى
التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك واما التقوى فيما يتعلق بابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره و
نواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب ووصف
الرب بقوله الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع
التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم
الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات
الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل
بالمامورين بناء على تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به
تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عم حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه
من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن
لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد الحق به قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح
في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك
الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة
المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه
في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول
بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عم روي انه عز وجل
لما خلقه واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه
وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر

بالتقوى

بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئية آدم لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر وايرا
دها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق
التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد
قيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور
على ذكورا وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث
على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات
الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسالك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي
الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية
المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى
التاءين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة
الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وتراءيناه وفسر عم تسالون
على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون
اسالك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول
مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ
بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به
ولقد نبه الله سبحانه حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله تعالى ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم
رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا
مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر
ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى
اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما
يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض
الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى
مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع على يتامى والاشتقاق
يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا
لتعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفاسدة
عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اخذها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى ياتيهم ويصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما
بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى
حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد
ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه

لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة وآتامن هي عليه اليتيم في الجملة مجاز الاعم من ان يكون
كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل للاولياء الذين يقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموال اليتامى والتحفظ عن اضاعتها مطلقا
واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الآية وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل
اطلاق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتيم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموال اليتامى اليهم اول ما بلغوا
ان يزل عنهم اسم اليتيم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وما كما سيأتي من قوله تع وابتلوا اليتامى الآية من الامر
بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فحاصله كما هو تحقيق القولين واما تعميم الاسم للصغار
والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا ومآلا وتعميم الخطاب للاولياء فكلا الفريقين على ان يكون منهم
قوله مأمور بالدفع اليه بالفعل وان لم يبلغ بعد فقوله مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا كما سبق تكلف لا يخفى
ما تقدم من حال ايتاء اموال اليتامى على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد
الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فمخرج في ذلك لما ان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني
عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول
يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تع ومن يتبدل الكفر بالايمان الآية وقوله تعالى اتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تع وبدلناهم بجنتيهم جنتين الآية واخرى
بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه
بنفسه كما في قوله تع يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال
مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله
مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه
وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء
الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة
لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديل له او تبدل الطيب بالخبيث فلا بد ان يأتي الاولياء
ان يكونوا في المعاوضة عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المطلوب اليه مشتري كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام
وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما وقرئ
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل
المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاقساط العدل وقرئ
بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تع لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال
اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تع فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه
الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا الخائف و
وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم

خاصة

خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول وتنزيله منه منزلة المركب من المفرد وذلك المركب من المفرد
وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة
والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها
ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن
من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضها واما ما قيل اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل
حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ
فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم
بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة وما بعدها صلتها او صفتها واوثرت
على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجري مجرى
غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النساء بيانية وقيل تبعيضية
والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن
على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما
منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك
للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح
المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محذورية
المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحذورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحلال اي ما حل لكم
شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه
لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل
التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا وليس جعل قوله تع حرمت عليكم الخ دالا على تفصيل ما نحن فيه على
تقدمه في التنزيل كما جعل دالا على تخصيص مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين
عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع
على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن
والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم
وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه
تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية
الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب
بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن
فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقد كانوا لا يتحرجون من الزنا
وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول

اليتامات ولا يخفى انه لا يساعد اعادة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور
توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا
فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد
فواحدة اي فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بمعنى
التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين على
ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين
وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم
بينهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار
الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اي جار والمراد
ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا
محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور
متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر
عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل
بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن
صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس رضي الله عنه وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى
لانها مما فرضه تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال
كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي
نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا
اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج
لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها
فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى
المتعدد كما في قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين
قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كأنها وان اردت
السواد والبلق ينبغي ان تقول كأنهما قال لكني اردت كأن ذاك او للصداق الواقع في موقعه صدقاتهن
كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فأصدق وأكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل
فأصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي

طاب

كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب نفسا والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن
لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم
وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها
عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه
التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل
والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما يساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمرء الطعام فيه
اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء
مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ
وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا
مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل
فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة
بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم
مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا لانها اموالهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف
الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي
مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة
في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا
لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول
فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيف
الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام
به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك
بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى و
اموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي
وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء ومصدر قاوم وقرئ
بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم
من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له
من نسائه واولاده وخدمه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما
لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم
اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر
وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه
عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط
المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا و

وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين
لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ
احستم بمعنى احسستم كما في قوله خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس منهم رشدا اي اهتداء
الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتداد بمبدئيته
والتنوين للدلالة على كفاية رشد ما في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ
وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان
حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية
للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم
بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف
ومحمد وقال ابو حنيفة رح ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير احوال الانسان لما قاله عم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق
كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا
فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق
اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية
واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي عم
ان رجلا قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله
وعن ابن عباس رضه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها
يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه
وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى
وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه
فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة
العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة
وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى
وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاولاد
المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك ويجوز تعلقها
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم
بان يقال للرجال والنساء للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر

الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث
من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة
او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله عم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت
فارسل اليهما ان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات
الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة
الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض
الاموال ببعض الورثة كالخيل والات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما
ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل
على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث
عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف النظم الكريم اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون
من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من الضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما
في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي
ترتيب الامر عليه اشارة الى ان المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني
ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة
ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استيناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر
والنواهي انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها عن ابي بردة انه صلعم قال
يبعث الله قوما من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ
بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها
والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه
وانفه واذنه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا

فاخبر زواجر مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل
احكام المواريث المجملة في قوله تعالى للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
وهؤلاء ستة والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد كل واحد منكم اي في شأن ميراثهم بدأ بهم
لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد الموت للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية
وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فانه يجري ما كان
بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية
وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم
وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والمراد
بيان حكم الذكور لاظهار مزيته على الانثى كما انه المقصود في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكرا اولا من الرجال
والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا
كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر او
قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها اخ و
وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق
فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق
كل واحد منهما السدس وتأكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك
المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعدما
اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب
فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع ان حاله
بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر لان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما
احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي من فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي
الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب
فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء
كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا
محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي يحجبونها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور و

وعند ابن عباس رضي الله عنه انه لهم على كل حال فلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه
بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء
للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف
الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت
بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين
او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها
ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدأ وابناؤكم
عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب
لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم
الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم
عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير
رجحان احدهما على الآخر كما في قوله عم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التأكيد المذكور
والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير
الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب
الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال
وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر
مدة ما بينهما من حيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاذه وفنائه ابعد واقصى وجعل الخطاب للمورثين على ان
لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا في شأنهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض
وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته
او قيل الجملة الاعتراضية مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة
النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله
فانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة
دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال
مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى
واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات وغيرهم و
ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير
عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية
متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في
الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو
لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية
بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض

والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من
المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظائره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة
كما في النسب لمزية عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب
ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام
القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت في قوله تعالى يورث على البناء للمفعول
من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعير
للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد
من المخلفين بمعنى ذوي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على
انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان
ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا
ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما
على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها
عن ذكره اي حيث لم يقل وان كان رجل او امرأة يورث كلالة للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه تأكيد
للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد ما جرى ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام ويؤيده قراءة ابي
كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير
يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وذكر الكلالة ليتحقق جريان الحكم المذكور وان
مع ذكر من ورثته اولي بطريق الكلالة وايذانا بانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل
واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان
كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او بالكثرة والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع
لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالتسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز
ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل
يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخته
او واخيه السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع لا
لا يزاد عليه شيء فمعزول من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث
من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسألة وانما المعتبر بينهما الوراثة
بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيب الاخ وشريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها
بالاخوة للام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا
ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة للام خاصة حسبما شهدت به القراءة
المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون
الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك
والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم واما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة واين

العلامة الزمخشري والقاضي ومن يقتدي بهما رحمهم الله

بان ذلك

بان ذلك في صورة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة
للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط اذ هو المذكور من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان
حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ مبهما وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك
عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث
وجعل غيره بمعزل عنه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد له من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي
في نظائره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه للاتفاق على اعتبار
عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كأنه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من
فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل
اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار
بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم
وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية
اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام
المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت
كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في
المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط كما قيل اذ لا علاقة
لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى
تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار
بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة
في الزجر عنها بانه اجاج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونها يقتضي ان يكون
غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف
على وصية مع انه لا يحسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته
فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي
تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع
الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات
نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب
انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر
الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد
للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ووصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او
باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد
فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي

معنى ومن يكون بقسمة المواريث ويتعد حدوده استقلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر والتهويل
وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة
نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار
الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة
الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو
العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الاحكام
المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير القياس
والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها
وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل
يأتين اي اللاتي دخلتم بهن ... فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان
شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت
الى ان يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتوفى ويقبض الارواح ويتوفيها او يتوفاهن
ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا
مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم اي الزاني والزانية بطريق التغليب قال
السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني
المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لانتفاء الشركة في المناط فآذوهما
فآذوهما اي بالتوبيخ والتعنيف وقيل بالضرب بالنعال ونحوهما ان هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره
معولا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء
واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب
وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع
الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الزناة المذكورين في اوائل الاسلام
على ما ذكر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي عليه السلام قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم
والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزنا مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم
وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت
مع اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم
وقال ابو مسلم وقد نسبه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة
والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى
التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان
الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله
استئناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما

بل هو ما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق
بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا
من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر
كما سبق في تفسير قوله تعالى على الناس حج البيت واياما كان فالمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على
للتحقيق البتة بحكم سبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من
وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها
وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله للذين متعلق بما تعلق به
او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي
الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان
اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الى قوله عز وجل وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من
فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب
الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل
قال قتادة اجتمع اصحاب رسول الله عليه السلام فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من
عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية
ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا
حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن
عباس رضي الله عنه قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ
بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل
موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه
في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين
وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك
اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بالقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد
لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله
عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ للاتصاف بجميع صفات الكمال
وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له
ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع
انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية

...بما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم اني تبت الآن ولا الذين
... وانما قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسمية توبة ولا الذين يموتون وهم كفار
... الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهولاء ولا لهولاء وانما ذكر هولاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم
... للمسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم
... الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم
... كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية للتغليب ويجوز ان يراد
... الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة او في اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم

الى ما عاد اليه بحرمته وساء سبيلا تمييز والجملة استئنافية لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر ان محكية بقول مضمر هو المعطوف
في الحقيقة بتقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلث
القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبح العقلي وقوله تعالى ومقتا
مرتبة قبح الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبح العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع
ورود النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له رأسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في المعطوف عليه
على التقدير المحض فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محليتهن للملك لا بعبارته بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه
واما ما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد
النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت محليته لملك النكاح
فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا واما مورده الرقبة الموجودة في كل نوع من انواع تحقق محليته فثابتة من انواع
العتق في المواد المذكورة وبقي في البواقي على حاله مستتبعا
للمقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام بلا خفاء عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات
وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات تنتظم الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات
والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت
تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع
وبعده فهم اخوته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد
من ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على
عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة
حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة لاب الاخرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة
ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان المحرمات
من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق
سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها
قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن حصين ان الام
تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضه ابهموا ما ابهم الله خلافا لما روي
عنه وعن علي وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن
سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل
اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه
المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم
اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيلة بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه
يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن

في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة
في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم
وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم
بالفعل كما روي عن علي رضه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه واقع
صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من الامهات
او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا مرية فيه ولا معها ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي
كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها ابتدائية مسوقة لمعنى الابتداء والبيان
او جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سمعي في اشتراط
نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءات فضعيفة الرواية وعلى الصحة
محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب
وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب
وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه
وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن
من بناتهم ومن بحكمهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد
والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما
قبله من المحرمات والمراد جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة
لاتحادهما في المدار ولقوله ع م من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين
فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها فلو وطئهما
لا تحل له وطء احديهما حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب لكونه جامعا للموطوءة لا يحل له وطء احديهما حتى يحرم عليه الاخرى
لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم
للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويندرج
في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك
متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله ع م لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على
ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا
ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما
فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال
عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عم فانه قد جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف عم ولا يلائمه
التعليل لان ما فعله يعقوب عم كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضه كان اهل الجاهلية يحرمون
ما حرم الله تعالى الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية
يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله

ع الا ما قد سلف وهذا اشارة الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين والمحصنات عطف على المحرمات
وهي ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعفهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل
فانهن احصن فروجهن من غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد
محمول على الشذوذ كما في نظيره ملقح ومسهب من الفح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان
التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن ومحل عطفه على المحرمات السابقة وجوز
تع من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها كما
بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي ما ملكتموه
واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لاسيما في اناثهم وهو
المراد ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور رتبة
العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ح لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول المستلزم لاخراج
بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن لسن من المحرمات على الاطلاق بل
فيهن سبب للتحريم نكاحهن في الجملة وهي المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الروايتين واما خاصة بالمذكورات
فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك
اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات
المعدودة بحكم ملك النكاح واما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري بالآية تعرف
بعضي فيه الاستثناء قطعا واما حل بعض من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على
اختلاف الرأيين فثبت على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الآية الى ما روي عن ابي سعيد الخدري
رضه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي عم وفي رواية فقلنا
يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن
وفي رواية ابي داود عنه ونادى منادي رسول الله عم الا لا توطؤ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فابيح وطؤهن بعد الاستبراء
وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة بل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها اياه
بوجه من الوجوه الثلاث كما لا يخفى على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضه انه قال الحالات
من نساء كن يهاجرن الى رسول الله عم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن
فالمحصنات عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان
والنهي لتحريم المحقق وتوقف حال المتوقع والا فاعداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وقد
انقطع العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه
قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله
مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله
وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور
عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس

بحده ونكاحه وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف
على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل
فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بالله
تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لاستنادهما الى الكلمة الاولى بمآل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة
الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه
وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن
لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف
وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها
بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق
الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة
وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل
ان يتعلق ههنا بما تعلق به حرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بما
بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار كنههما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة
واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء
باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان
العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح
الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين
الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن عبارة
عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما
كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط وجوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها
موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد
الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية
من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن
اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها
عبارة عما يتعلق بهن ففي ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به
من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن
لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم
فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه الخ وقوله تعالى وآتوا
النساء صدقاتهن وقوله تعالى الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانه لا يتصور الجناح
الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوج وقيل فيما تراضيتم به من نفقة

ونحوها وقيل من مقام او فراغ وطلب اعزه من بعد الفريضة اذا لا تعلق لهما بالنفقة الآن كون الواو
نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة و
استمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روى انه صلى الله عليه وسلم اباحها
ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي كانت
ابيح مرتين وحرم مرتين روى عن ابن عباس رضه انه رجع عن القول بجواز عقد المتعة وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي
بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة
بحالكم ومن لم يستطع منكم محل ما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة وما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا
من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول يستطع
وقوله تعالى ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شايع ذايع كما في قوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير في او الى اي ومن
لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن
على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف
الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما
مفعول يستطع وطولا مصدر موكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن
او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد
بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان
وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما
موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المقدر و
من تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم
وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر
على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن للابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي
فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر وما
ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا
كما هو رأي اهل الحجاز وقد جوزها ابو حنيفة مستدلا بالعموم حاملا الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد
روى عن ابن عباس رضه انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان
موسرا او معسرا والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جى بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه
ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله تعالى يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم
منكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية
والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان
لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد لما قبله

من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا
جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتنبيه على انهم من المسلمين كالمخاطبات ان بعضهم بعض للترغيب في نكاحهن اي اذا
دابا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب
في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن
مواليهن ولا ترغبوا عنهن وفيه اشتراط اذن المولى دون مباشرته في العقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن
اي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن من غير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللزم حسبما تقتضيه
الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون
المهور لهن وقيل اصله آتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول
فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان
عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة
والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان
اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اي بالتزويج
وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن وازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن
فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحرائر والابكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه
خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن باحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء
في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك
اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي
يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله و
لا ضرر من مواقعة الاثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق
بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما
من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضه ايما حر
تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص
خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج
واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة
بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه الصلوة والسلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور
المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف
مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم
يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة
السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول
يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه

وقيل ان اللام عينها ناصبة للفعل من غير اضمار أن وهي وما بعدها مفعول للفعل المقدم فان اللام قد يقام مقام ان
في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا
نور الله وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آية وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا
ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار أن اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل تأول الفعل الذي
قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويجري هذا الرأي الى
بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا اتبعتم
تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفكم به من الشرائع فان المكلف قلما يخلو عن تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة
ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع
المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في
العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم راع في جميع الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة
مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تع لتوبته عليهم حتى يكون
من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله ويريد
الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما في قوله
تع الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع
من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس كانوا يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تع قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة
والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات او تكونوا زناة مثلهم وبالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى
ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص ما في عهدتكم من مشاق التكاليف
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه
وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن ان المراد ضعف الخلقة
ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية
مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن
وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى
عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضه وخلق الانسان على
البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب
بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود

الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع
وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي
اذا كان اليوم يوما او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة
عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها
واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروءات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت
الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من المؤمنين
فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد
يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فان القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل
الحرام فيكون مؤكدا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات
وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عم وقرئ لا تقتّلوا بالتشديد
للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء
فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة
والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هي في معرض التعرض لهم بحفظ
اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا
لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من الاكل والاهلاك او بما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو منزلته في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او
للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه ومنه شاة مصلية ويصليه والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب
وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الدواعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم
الشرع عنها مما ذكر هاهنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء
بالاسناد اليه تع والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها
عنكم قال المكفرات الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن
النبي عم انها سبع الاشراك بالله تع وقتل النفس التي حرم الله تع وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار عن الزحف
وعقوق الوالدين وعن علي رضه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن
ابن عباس رضه ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا كبيرة
مع الاصرار ولا صغيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وحسب ما عليها بل الاوقات والا ماكن ايضا فاكبر الكبائر
الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا

لا يمالك نفسه فكفها عن اكبرها كفروا عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان
هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر
مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم يدع فلم يبق الا مسحتا الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة
بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي
اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل لما نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم
الظاهرة والباطنة والمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها
فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكمة القدر المؤسس على الحكم
البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتي من الامر بالسؤال من فضله
تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل
حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش
منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين
في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة
التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه
بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسالوا الله من فضله عطف على النهي
وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه
المكتسب له واسالوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسالوه ما تريدون
فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسالوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسالوا الله فضله وقد جاء
في الحديث لا يتمنى احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر
الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بحمل سبب النزول على ما روي ان ام سلمة رضه قالت ليت الله كتب علينا
الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص
من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما
يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النساء خصوصية اجر الرجال وليسالن من خزائن رحمته
تعالى ما يليق بهن من الاجر لا يساعده سباق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله
كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم
الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة
مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب

استحقاقهم

استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في
قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني اغير او
ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدا وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا
من رزق الله اي حظا منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم
فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم ويصحح
الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول
الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رح اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله
ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم
فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم والموصول مبتدا
متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي
ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون
على النساء كلام مستانف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم
اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام
عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض
الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي
قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى اياهم ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار
بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات
كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة
والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم
الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة
بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او وبسبب ما انفقوه من
اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضه نشزت عليه امرأته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عم وشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال عم
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن
بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج
حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال
عن النبي عم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها

وعلا الآية وقيل للاسراحهم واضافة المال اليهم للاشعار بان ماله في حكم ماله كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم الآية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب وحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة
اي بالذي حفظ الله لهن عليهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف
اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن
للازواج وارشادهم على طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او توقعه او عن الظن
او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن
فانصحوهن بالترغيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
وباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المباشرة اي لا تباشروهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن
ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم فاتركوا التعرض لانه منتهى ما يعذر به
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب
عن الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو
شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى وكبرياء لم يكلف
احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يجعل او ينقص حقه بل الذي
يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من آثار ما هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة
عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما للموجب للخلاف وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت
عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان
كلا منهما في شق اي في جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنه وجزم بوجود الشقاق لا ينافي
بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري
ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليل او مجرى الفاعل كما في
قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين
لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما من اهلها على صفة
الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا
من الاجانب جاز وقيل فوض اليهما امر الجمع والتفريق ان رأيا ذلك صلاحا وهو المروي
عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان
الصلاح فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي ان قصدا الاصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين للموافقة والالفة ويلقي في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم
ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع
صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم
ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة مبنية عن دوران عدمه على عدمها وقيل
كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي
ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه

الله تعالى لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان
الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله تعالى التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين
بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه
مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى
اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي
قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب
وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التامة بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل
هو المسافر او المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه
وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم الباء
وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
اي من المال والغنى او من نعوته عليه السلام التي بينها لهم في التوراة وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها
ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن
كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار
بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه
الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق
فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير
الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله تعالى الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف
يدل عليه قوله ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل المنافقون ومن
يكن الشيطان له قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس
واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يكون قرينهم في النار وماذا عليهم اي على من ذكر من الطوائف لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا
مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله تعالى ولم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه
يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او واي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله
والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر
لتحصيل الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا

وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان
حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد

فكيف اذا كان وجه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بها لا يتهيأ في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم
رئاء الناس على عدم ايمانهم بها مع كونه المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله
من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او بما حكاه لهم المنوه فهو بيان
لانابته تعالى اياهم لو كانوا اقروا آمنوا وانفقوا الخ ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار
من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص
من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اي لا يظلم ظلما مقدار
ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الابلغ في مقام المبالغة فان جعله في الثقل مثلا في قلة
النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك
حسنة اي وان تك مثقال ذرة حسنة وانث لتأنيث الخبر او لاضافته الى المؤنث وحذف النون من غير قياس
تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف
ثوابها جعل مضاعفة نفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد و
نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة فقال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه
تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف فكيف حالهم اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه
بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو رأي الاخفش اي كيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
او غيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيامة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد
وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر
من هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم
بذكر شهيد شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى الكفرة المستفهم
عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها
بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لذمهم بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم
بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة
تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم
دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي عليه السلام انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر
قدره وقوله تعالى وعصوا الرسول عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين
الكفر والعصيان الرسول لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا في الارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا

فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو
ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم
فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية
ويقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف
عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي
وتوجيهه الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله
صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا
قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلاة يستدعي
تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل التعلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة تطويل
بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤون حينئذ يكون عاريا عن الداعي
وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد وخصالها بل انما هو
مع بقاء المقيد على حاله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فكانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلاة
وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا
وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل ولا تقربوا
الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري
سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى
والعامل فيه معنى النهي اي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على ان في حالة السفر ينتهي
حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفي ولا على بقاء
خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة بل انما يشير الى ان
حكم ما بعده مخالف لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك
انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن
حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون
الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فلم يرخص
لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان
حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقريره في الاذهان
وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يليق بذي رتبته الزكية
عند امتثال اعمالها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار

والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركته الباقي له في حكم الرخصة للاشعار بان العذر الغالب المبني
على الضرورة التي يدور عليها امر الرخصة كما قيل ولا جنبا الا المضطرين والمراد مما قبل من انه جعل عابري سبيل كناية
عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله
او على سفر عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم
الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه معول في الدلالة على ثبوته ضمنا لا على كيفيته وتقديم المرض عليه
للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط
هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس
واسناد المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك
ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة
والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو
السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل
او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب [illegible] وتخصيص ذكره بالصور
مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم
من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان
كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه
في حق المريض مغن عن ذكره لفظا واما ما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان وجوب التطهير ثمة بالنسبة الى من جاء من الغائط
والملامسة معتبر في الكل فمما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال
الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره
وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين
لما روي انه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص
والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هي كناية
عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام
مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه
ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل
من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من حالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى
لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم
عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتب الالهية المنتظمة لها انتظاما اوليا
تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه
وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال

ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه
بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو اجل الاعواض
وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا
من الكتاب وقوله تعالى يشترون الضلالة قيل حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور
في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم لها وانت خبير بانه خال عن افادة ان
مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط
التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما
بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا
عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي
يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صور حالهم بصورة
ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء المنبئ عن [illegible]
بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي عم وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به
في التوراة ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف
على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم
اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته
ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم
بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة
وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا
تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال
الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لاسيما في الثاني لتقوية استقلال الجملتين
للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتها فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين
هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض
الذي حقه العموم والاطلاق والانتظام بما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين
هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من التحجير والتضييق لسعة نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير العدا
لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه
صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الوصف السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق
لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول لاهل الكتابين
وما وسط بينهما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم
والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور
وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير وتعيينه

حال والكلم اسم جنس واحده الكلمة ككتم ونمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعه في مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة بتخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه وما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاصلح للارادة تلك الكلمات خاصة بان يحمل عطف قولهم ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطفا تفسيريا كما ستقف عليه فان اريد به الاول فما هو راي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم نعت النبي صلعم اسمر ربعة ازاله الله تعالى فيه مطلقا وعلى ما الاصح له بان وتاويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به سواء كان ذلك بتعيينه سبحانه صريحا كمواضع ما في التورية اليحيين العقول الزين كمواضع غيره واياما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التورية فان من لا يشفق تلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل بذكر جنابته والاجمال على ما قالوه في مجلس النبي عم من القبائح فانه يستدعي فيه حكم الشرطية الآتية وما بعدها بعبارته من غير توجيه لتحريفهم التورية مع انه معظم جنايتهم المعدودة ومرجع اكثرها عن اثبات لك الشر للوعود فتامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي عم او لا بلسان المقال او بلسان الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقولهم واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له عم هذا ايضا يريدون كلاما من العظائم الثلث في مؤداها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بان يجعلونه اي يحملونه او بايحائها ويجري ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبون بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الآخرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول فما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما لما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا اي ولو ثبت انهم قالوا بلسان الحال والمقال عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم واتما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد وادعهم بحكاية العلام ان عصينا لم يكن للرد بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي قالوا عند مخاطبة النبي عم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي لو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم ا

عدل واستر في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همتهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فانهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بجميع الاطماع الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من امن بعد ذلك لكن لا يجعل مستثنى من ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القضاء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعل من ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها للتوجيه لكل من المقامين حقه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اوتوه بالكلية فناسبها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته بحيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بالمصدق والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى عرضهم مخاطبة وهو الاظهر واما تفصيلها فصل لما كان من منطات اقلاع كل من الاربعين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفة لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق الناسخ ولو تقدم نزول الناسخ لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال والتحذير عن المخالفة بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها كما قال ابن عباس رضه نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة

وقال قتادة والضحاك نعميها كعيونها فيعمي عينيهم وقيل تجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها
على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها والفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها
وقد اكتفى بذكر اشدها والفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال
الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه تسبيح الوجوه [illegible]
في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام
وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك
حتى يتحول وجهي الى قفائي وكذا روي انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه
قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان تصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد
من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد ومنه ان انحراف العذاب للوعد على اوائلهم وهم الذين شهدوا الاسباب ونزوله [illegible]
حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله ص فكذبوها وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب
المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدهم بمئات من السنين من اعقابهم الضالين بضلالهم العاملين بما عهدوا امر [illegible]
الغواية بعيد عن حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكورين واضرابهما فلم يقع وكيف
اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لعدم نزول العذاب على الباقين لشدة نكيرهم والعناد بعد ازدياد الحجج ووضوح الحجة
عليهم بشهادة امثالهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لصرفه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون
بكل لسان في كل زمان والتعبير اللعن بما عبر [illegible] وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو اللعن [illegible]
وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه يغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به
لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد تحذيرا لهم ليكون عبرة عن مخالفة الامر بعد انه وقع عليهم اللعن بهذا الوصف اي الواقع
عليهم بما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي [illegible] وهو [illegible] من صلاحيته ان يكون حكما للوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة
عند الحشر ويسع فيها الامالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط
اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل [illegible] المقام هو الاول لانه [illegible]
وعليه يبتني ما روي عن الحبرين لكن ما قال [illegible] وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم وكان امر الله [illegible]
من بين العقوبات واعادة الكلمة بينهما وبين ما اوجبها من جناياتهم [illegible] والتعبير والله هو العليم الخبير وكان
امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به
دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم
ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال
بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد
بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف
الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قاله مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم
بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشرك من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به

بلا توبة ولا ايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي
انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له الايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك
اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في الغاية من القبح اي ويغفر ما دونه في القبح
من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف
به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما للمتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة
المعاصي من غير توبة لاهل الايمان من تمامات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن على ما قال تنازعية بين الفعلين وقيل مفعول
الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب وفيه ضل سبيل الصواب كيف وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة
الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع
على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله
اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى
واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب
من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود
جاؤوا باطفالهم الى رسول الله ص فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم
او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله
يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء
تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما
هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على
دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص
من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف
او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه تتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه
الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب اثر
تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم
على الله تعالى فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضائه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون
هذا اشنع من الاول جيء به والعظم في التعجب لما فيه من نسبته تعالى الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة
كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم و
وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل الكفار اثيم او في استحقاقهم
لاشد العقوبات [illegible] وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فقط الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتائهم نصيبا من [illegible] لما ان ما صدر عنهم من القبائح [illegible] يؤمنون

بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون
والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدلت السين تاء وقيل الجبت السحر والكهانة
والطاغوت الشيطان وهو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ﷺ فقالوا انتم اهل كتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم
سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون
لا نعلم فأينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا
نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة
وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم
بأقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن
الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم
مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد ممن يتأتى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان
المبني على سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك
شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها
مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وتخطئتهم في ذلك وشتمهم بالبخل والهمزة للانكار ان يكون لهم نصيب منه
وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحالة
اعطائهم منه لسبب اتصافهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من
اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون
الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه
حالهم واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان يكون الهمزة لا لانكار الوقوع بل لانكار
الواقع والتوبيخ عليه اي الجحود منكر الاقرار بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى المجموع المعطوفين على معنى ألهم نصيب وافر
من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما هو المعقول
لغني لا يرى اباه الكف عن العطاء من المال فلا ينفع على ابيك شيئا وفائدة اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت
النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا
بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي
هو شر الرذائل وابغضها لاسيما على ما هم بصدده من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله ﷺ والمؤمنين
وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه حديث آل ابراهيم فان ذلك
لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا
يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل أيحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله

يعني النبوة والكتاب وازديادا العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم
وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا
عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان
فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد ﷺ وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة
وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته ﷺ ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام
التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد بالايتاء الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام
خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما هو اعم من الايتاء بالذات وبالواسطة فهو الانسب بالمقام والاوفق
لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف
للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام
وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم والذي عليه جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من
صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين
وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فمستبعد من سياق الآية
الكريمة فما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان
والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله ﷺ اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على
حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك
ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل أيحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتيناهم فمنهم من
آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفي الجملة تسلية لرسول الله ﷺ وكفى بجهنم سعيرا اي نارا مسعرة
يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله ﷺ فالمراد بالآيات اما القرآن
او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم جنس الكفرة فالمراد بالآيات ما يعم كلها
وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم السلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها
السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت والكلام
زمان والعامل فيها بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم
مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود
احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد
اي كلما نضجت فيها جلودهم ومعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله تعالى
وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضاء
كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقاري اعدها فاعادها وكان عنده معاذ
بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله ﷺ
وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة رضي الله عنه

عن النبي عم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضه انه قال قال رسول الله عم ضرس الكافر
او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم
بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب
مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل
الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس
ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها
عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها
من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان
الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين
تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها
ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وجل لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة
البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات
بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا
ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم
بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق
واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه
وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت
فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي عم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضه اكرهت
وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله عم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد
الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب ونحوها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به ههنا
مخصصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى
ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه
عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع
حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة [illegible] به او مرفوعة موصولة

به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء
الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء
لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما
ذكر آنفا مع تأكيد الكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات
والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله حيث قيل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء
الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عم في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر عند موافقته لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول عم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة
اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل
به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو
المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت
بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد
في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الى آخره فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان
باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تأويلا
اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما ان نظرهم يتعلق بانفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية
الكاملة وبحسن المآل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
عم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر الحتم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن
وبما انزل من قبله اعني التورية لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما
صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان
محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضه ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله عم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عم
فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضه فقال اليهودي قضى لي رسول الله عم فلم يرض
بقضائه فقال عمر رضه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج
فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وهبط جبريل فقال
ان عمر رضه فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله عم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه
في الطغيان وعداوة رسول الله عم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي عم
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق
دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون

من الله يقين الى النبي ام وابى المنافقون منهم الا التحاكم الى ابى بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاتصال

والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه ووقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب

بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتورية فانه

لادعاء الايمان بالتوراة

صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب ودل عليه كتبنا او احد
مصدري الفعلين الا قليل منهم اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو
امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب
على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به
ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا لثواب اعمالهم واذن لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب سؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل
واذن لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح
لهم ابواب الغيب قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف فيه فضل ترغيب
في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق
مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد
التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف
وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه
من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعيتهم لسائر الانبياء عم مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عم لجريان ذكرهم
في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار
روي ان ناسا من اصحاب رسول الله عم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك
وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله عم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله
بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون
حتى اراك وذكرت موتي وموتك فعرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك
فلم يرد النبي عم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله عم كان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله عم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان
ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال عم والذي نفسي بيده
لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم وروي ان ناسا قالوا يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عم المرء مع من احب
والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب
الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله واعلاء
كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك
في صفة دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة

وحسن اولئك رفيقا الرفيق كالصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا
فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على انهم وصفوا
بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لانه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد
او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن
بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى
التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة
الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم
من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر كائنا
من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ
حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فا
نفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها
في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان وقيل اشتقاقها من ثبا
يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف
من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا
فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب
لعسكر رسول الله عم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره
وليثبطنه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد واللام الاولى للابتداء
دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان
منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علي
اي بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها
فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم
فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة للفضل اي فضل كائن من الله عز وجل ونسبة اصابة الفضل الى جناب
الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى
لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته
وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله
الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه ان تمنيه المعية للمؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما
يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل
الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو وحتى

الفوز ابا فاز يا ليتني كنت معهم وتمنيه القاء العداوة بينهم وبينه وتاكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف
وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني
فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون
فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق ويعقبوه بالقتال
في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر
قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث
اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى
لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة
وما لكم خطاب للمؤمنين المامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله
عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء
لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم
عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم مبالغة
للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لآبائهم واهانة لهم
وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على
القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق
الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل
فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار
الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده
ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا
فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا
من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا
وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم اي تولي ونصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم و
نصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه
للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال و

وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله
عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا
ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان
للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله تعالى لما ان قتالهم في سبيله
وذلك كله لتأكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان
مثل في الذلة والضعف كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان
كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا
بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التأكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان
منذ كان كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم
كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم
بصدد بسطها الى العدو وبحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم
وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله تعالى ولان المقصود بالذات والمعتبر في
التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه
وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصيته للآمر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة
فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة
عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال
الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ به يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور التعجيب كأنه
قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما
على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجأة لبيان مسارعتهم الى الخشية
آثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية
عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول
محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية
او خشية اشد خشية من خشية الله واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم
اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم
يقول انهم مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون
هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملون بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا
فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان

او على انه مصدر مؤكد على حذف مضاف اي خشية مثل
مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية
خشية الله صح

وان اخرتم الي ذلك الاجل والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته
وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون
فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شان
القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ لا يظلمون بالياء اعادة للضمير الي ظاهر
من اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين
اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الآخرة بواسطته صلى الله عليه وسلم فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت
القول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود
على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدا واينما تكونوا متصل
بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة
في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي هي بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ
مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو
الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى
مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة كما في قولك اعط السائل ولو كان
على فرس فان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في
قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولون هذه من عند الله كلام
مبتدا جيء به لتعيين ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في الاشتمال على الاسناد وما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم
بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا
امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب
وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة
امر الله تعالى عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا
من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية
بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما
طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى
يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح
حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل
فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا
حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما لهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او كيف لا
يتعجب فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا ان

هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى
بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي
وفي الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا اجزاءه الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المامور به
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد
الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه
الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية
بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب
لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجو كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة
الحياة المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل
الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك
اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة
كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده
لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم
لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا
بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه صلى الله عليه وسلم بناء على جهلهم بشانه
الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي رسولا للكل لا
لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس والتعرض للفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا
مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على
رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة
اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي
في الحقيقة هو الله تعالى وانما هو مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله تعالى سبحانه روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله تعالى فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله
ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون
طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته صلى الله عليه وسلم بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان
الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ومن تولى
فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك
رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق
به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظها ويقولون شروع في بيان معاملتهم
مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا طاعة وشاننا طاعة او منا طاعة والاصل
النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام واذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من

الى القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها من الطاعة
والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه
وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقربهما في المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون
له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما
يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم
فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم فالفاء
لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وتذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار
بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما ذكر والتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات
الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف
على مقدر اي ايعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها
هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان
كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره
المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين
كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ويخبره بها
مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك
علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة
بان يكون بعضه في الاعلى معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا
يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب فقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو
كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم
على معنى الكلام لا لتخالف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم
الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه
ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك
منشا لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي فوضوه على انه
ام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة اليه
صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم لعلمه اي لعلم المراد من معناه وتدبيره
وانما وضع موضع ضمير الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه

وايضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول صلى الله عليه
وسلم واولي الامر من صحابته رضوان الله عليهم ولما ضلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف
وقيل يعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها كما حكي من ان ناسا منهم بالمدينة وقيل كانوا
يقفون من رسول الله عليه السلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء
فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه منهم
كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة
فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم
هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر
اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فمساق النظم الكريم لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان
جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات
اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول واولي الامر
لاتبعتم الشيطان وعملتم بآراء المنافقين فيما تاتون وتذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون
على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا منكم قد تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق
والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نوفل وامرابهم فالخطاب للكل والاستثناء
متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي لولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان
وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين
على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل
في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم
الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك
غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه
عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره ولا يؤاخذ به وقيل هو حال
من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي
لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر بالقتال داخل
في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه
وترغيبه فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم
واقتصر في شانهم على التحريض عليهم لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه سبحانه محققة الانجاز بكف شر الكفرة
وكف باسهم فان ما صدر باطماع الكريم وعسى مؤذن الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله عليه السلام واعد ابا سفيان
بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله
في سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله
عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد باسا

اي من وتيش واسند تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبلها والاظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عم فيما امر من تحريض المؤمنين حظا و
وافرا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك
من الشفاعة كان للمشفوع له كان وذا الجملة الشفيع شفعا وحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله
تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما حصل للمؤمنين بتحريضه عم على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية
واعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية
والصلوة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك والنصيب
للوعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها
في القدر من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من
افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع
وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل
الاصل تحيي بثلث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى
ما قبلها اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك
الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام
وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لانه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي
مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله و
مزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان
قال السلام عليكم وان قال الاول بان تقولوا وبركاته اذ تجمعها اقسام المطالب وهي السلامة عن المضار ونيل المنافع
او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا
ورددت عليك مثله وجواب التسليم واجب واما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب
النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية
والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل
على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رح لا يجهر بالرد يعني الجهر الكبير وعن النبي عم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك
ومن اصحابنا انه يجوز ان يقال للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها

عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية
فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف اي والله
ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان
للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر
اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته
لما فيه من الكذب المحال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما
فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم و
شأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في
المنافقين وفئتين حال من ضمير لكم والعامل فيه الاستقرار او معنى الفعل اي تتفرقون فئتين او تصيرون فئتين وقيل انه خبر كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين
[illegible] والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم
واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق او في الحقيقة
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا
الا الاجتواء والاشتياق الى بلدنا وقيل هم اناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليتهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح
وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة في السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وقتلوا
بالمثلة والقتل ولم ينقل اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق
واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود الصارف بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اتتفرقون فيهم
والحال ان ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا اي بسبب ما كسبوه من الارتداد
واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم
نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم بالتشديد وركسوا ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا
من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال
الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها وجمع
الموصول مع افراد الضمير العائد اليه لتأكيد الانكار وتأييد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها
بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه والمراد بالاضلال ها هنا الحكم بها
بايه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل
فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد وكلمة من
وصلة من تقدير ذلك المضمر وقضاء وتقاضيه بالضلال تخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين
للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واما اعتراض تذييلي

متعلق بالإنكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية ويجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح له من المخاطبين ودّوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوّهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم ... عن الجواب وهي مع ما بعدها بنصب على المصدرية أي ودّوا أن تكفروا ... أي كفروا مثل كفرهم أو حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه فتكونون ... تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها ... لو تكفرون كما كفروا لسرّوا بذلك فلا تتخذوا منهم أولياء الفاء ... المخاطبين فكان المراد نهي أن يتخذ أحد من المخاطبين وليا لواحد منهم ... حتى يهاجروا في سبيل الله أي حتى يؤمنوا ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله ... فإن تولوا أي عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم أي إذا ... فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ... هجرة أبدا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من ... ينتهون إلى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الأسلميون كان رسول الله عم ... على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار ... وقيل هم خزاعة أو جاؤوكم عطف على الصلة أي أو الذين جاؤوكم كافين ... قتلهم ويقال أحد صحابه اتركوا المحاربين وعليكم بالمعاهدين والآية من ... قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو إلى قوم كافين عن القتال ... أن اعتزلوكم الخ فإنه صريح في أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض ... صفة أو بيان ليصلون أو استئناف حصرت صدورهم حال بإضمار قد ... صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤوا أي جاؤوكم قوما حصرت ... وهم بنو مدلج جاؤوا إلى رسول الله عم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ... يقاتلوكم أو لأن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة ... من حكم الأخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الأولى الجارية مجرى المعاهدين ... أي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ... جواب لو على التكرير أو الإبدال من الأولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ... علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالأسر أو القتل فإن مكافتهم عن قتالكم وإن لم يقاتلوا قومهم أيضا وإلقاءهم إليكم السلم وإن لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من بني أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا إلى الفتنة أي دعوا إلى الكفر وقتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو وشرير فإن لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا إليكم السلم أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم ويكفوا أيديهم أي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي تمكنتم منهم

منهم وأولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في أخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن أي وما صح له ولا لاق بحاله أن يقتل مؤمنا بغير حق فإن الإيمان زاجر عن ذلك إلا خطأ فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه إما على أنه حال أي ما كان له أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا حال الخطأ أو على أنه مفعول له أي ما كان له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ أو على أنه صفة للمصدر أي إلا قتلا خطأ وقيل إلا بمعنى ولا والمعنى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفا من أهله وذلك قبل هجرة النبي عم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله عم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فموجبه تحرير رقبة أي إعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مسلمة إلى أهله أي مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله عم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها إلا أن يصدقوا أي يتصدقوا أهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القاتل فإن كان أي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة أي فعلى قاتله الكفارة دون الدية إذ لا وراثة بينه وبين أهله لأنهم محاربون وإن كان أي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق أي عهد موقت أو مؤبد فدية أي فعلى عاقلته دية مسلمة إلى أهله من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل هذا الحكم بها مع تأخرها فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل إفراده بالذكر لاندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الآية لبيان أن كونهم معاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونهم محاربين وقيل المراد المقتول الذمي أو المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وفيه أن عدم لزومها مختص بالحر ... الرقبة ليحررها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها من الثمن فصيام أي فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين منهما إفطار توبة نصب على أنه مفعول له أي شرع لكم ذلك توبة أي قبولا لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أي تاب عليكم توبة وقيل على أنه حال بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بالمحذوف وقع صفة لتوبة أي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الأشياء التي من

حاله حكمها في كل ما يستتبعه من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرع في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اثر بيان حكم القتل خطأ
وفصل احكامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا واعلان حكمه الدنيوي كما بين في سورة البقرة اكتفي بها عن حكمه
الاخروي روي ان مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتي رسول الله صلعم وذكر
القصة فارسل صلعم معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الي بني النجار يامرهم بتسليم القاتل الي مقيس ليقتص منه ان علموه
وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالي ولرسوله صلعم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا
راجعين الي المدينة حتي اذا كانا ببعض الطريق اتي الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك
اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها
الي مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الي الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلعم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله
تعالي متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته
جهنم وقوله تعالي خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها
وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه ولموافقته صيغة له ولا يخفي
ان ما يعتبر للحال او المعطوف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون
جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتي يقدر جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالي وغضب
الله عليه فمعطوف علي مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله
بان جزاؤه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف علي الخبر بتقدير
ان وحمل الماضي علي معني المستقبل كما في قوله تعالي ونفخ في الصور ونظايره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه واعد له
في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره وما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت
بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلعم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله صلعم لو ان رجلا قتل
بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله صلعم من اعان علي قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس
من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم
بها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو راي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد حسبما مر
حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان
عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضه انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل
العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول علي الاقتداء بسنة الله تعالي في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رضه
ان النبي صلعم قال ابي الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضه ان رجلا ساله الاول القاتل
للمؤمن توبة قال لا وساله الآخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان
لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة
بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالي فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان
لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل

في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلعم في حديث انس رضه
انه قال من وعده الله علي عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده علي عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الي التوفيق بما ذكر علي الاصل
المذكور لانه اخبار منه تعالي بان جزاؤه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالي يجزيه بذلك لعارضه قوله
تعالي ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اثر بيان حكم القتل بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي
اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو وما في اذا من معني الشرط صدر قوله تعالي فتبينوا بالفاء
اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثبات الامر وقوله
عز وجل ولا تقولوا لمن القي اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين
وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القي اليكم مقاليد الاستسلام
والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح
اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار علي ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولي مع كونها
مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه علي كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية
الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بها وقوله تعالي تبتغون عرض
الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم علي العجلة وترك التأني لكن لا علي ان يكون النهي راجعا الي القيد فقط كما
في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله
تعالي فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها
فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالي كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه من
نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به
كما في قوله تعالي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكيد المشابهة
بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الي الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف علي كنتم اي مثل الذي
القي اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله
عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالي فتبينوا فصيحة اي
اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر
الحال من غير وقوف علي تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل
ومن حسب ان المعني اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع علي مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم
اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا انه تعوذ بعد ما
لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب علي ما فيه المانعية به وعليهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة
واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفي ان ذلك انما يتأتي بجعل منه
تعالي عليهم المترتب علي كونهم مثله في تحصين دمائهم واموالهم بما ذكر لا بمجرد عندهم ووجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة
فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل صرح بما فسر به المن في النظم الكريم بما يدل علي ترتب تحصين دمائهم واموالهم علي ما ذكر كيف
اين له ان يقول حصنت دماؤكم واموالكم حتي يتأتي البيان وارتكاب تقديره بناء علي اقتضاء ما ذكر للتفسير لا يأباه بناء

على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا متنوعا على ان فيه ما نعه مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد ان فيه
في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحسين المذكور حتى يستحق ان يعبر عنه له ولابا وله دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه
ونطقه في سلك ما فرع عليه بقوله فضيلكم ان تفضلوا وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثلهم في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم
بهذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله نظرا الى حالكم بهذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالكم السابقة ... [illegible]
اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم
ولم يسلم من قومه غيره ... رسول الله ... غالبين ... [illegible]
في جبل ... [illegible] لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد ... [illegible]
غنمه فاخبروا رسول الله ... [illegible]
[illegible]

[illegible]

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت
نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفي عبارة اخرى ان في المدينة لاقواما
ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا
هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله
وقيل القاعدون الاول الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من
غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من
المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم
يحتمل ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذفت منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية
الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على
الانفصال وان كان متصلا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة
وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين
فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة للمتوفين تقريعا لهم
بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم
قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا منهم فقيل عدلوا عن الاقرار الصريح بما هم فيه
من التقصير معللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين
فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة
امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك
فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للعجز او لسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون
بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة
قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فضربت
الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وانتظامهم
في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم
كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأواهم اي في الاخرة
جهنم كما ان مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة
خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطها او هو الخبر والعائد
منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه وساءت مصيرا اي مصيرهم
او جهنم وفي الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي عم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة
والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال
والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم

المماليك

المماليك والمراهقون فظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين
لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان
قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان
ما فيه من اللام للجنس او للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف والاستطاعة
حيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها والاهتداء للسبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة
الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد
الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله
عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي
يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير
والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة
وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو كحركة الهاء نقلت الى الكاف
على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله عم لما بعث الآيات المتقدمة
الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سريره متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب
رسول الله عم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله عم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب
التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض
شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تأكيد لعزيمة المهاجرة على المهاجرة وترغيب
لهم فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بالمهاجرة فليس عليكم جناح
اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه
او اوصافه فمتعلق القصر انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة
ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان يكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو
رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحذف يقال حذف الشيء
اذا جسه او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي ليس عليكم جناح ان تقصروا بعض الصلوة
بتنصيفها وقرئ تقصروا من اقصر والقصر ثابت في ادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند الحنفية مسيرة ثلثة ايام ولياليها
سير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رح مرحلتان وما روي عن النبي عم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت
تتم وتقصر وما روي عن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويصوم وعند ابي حنيفة القصر لازم لا الاتمام [illegible]

معنى قصر الصلوة

اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن انس رضه خرجنا مع النبي عم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين
ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين
وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وعن ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات فاسترجع ثم
قال صليت مع رسول الله عم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضه بمنى ركعتين فليت حظي
من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن تمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه
ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر
وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فقصد نفي الجناح عنهم
ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك
الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحه وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله
عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلوة
الخوف المؤداة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيله
وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى ابن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله تعالى فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضه عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله عم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك
اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل
على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا بقي على حاله
لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل
على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوة
وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الآية متعلق بما
بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم
في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله عم بعد حول فنزل ان خفتم الآية اي ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الآية وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل
شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم اي فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على الفتنة وقوله تعالى
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلقه بما ذكر او لما فهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان
كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما اجمل من النص المجمل الوارد في مشروعية
القصر بطريق التنويع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق

السنة لمزيد حاجتهم اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي الصورة
وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله عم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده عم
ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عم قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عم كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله عم فقام حذيفة
بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي عن الحسن
انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا
اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها
كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو
للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما
قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك
بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة كما
في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة
الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر
بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي عم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم
قائمين للحرب وتكليف كل طائفة بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة
لهجوم الكفرة كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه
استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا
فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
استصحابها بسبب مطر او مرض وامر مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم
غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله عم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم
وخرج رسول الله عم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عم وبين اصحابه فجلس
رسول الله عم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف
فلم يشعر به رسول الله عم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن
فقال رسول الله عم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله عم فاخذه ثم قال يا غورث
من يمنعك مني الآن قال لا احد قال صلى الله عليه وسلم تشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله واعطيك سيفك
قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله عم سيفه فقال غورث والله لانت
خير مني فقال رسول الله عم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي
فقطع عليه رسول الله عم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وهو قوله عز وجل ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر بالاخذ

حذرا أي أعد لهم عذابا مهينا بأن يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم وقيل
لما كان الأمر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فإذا
قضيتم الصلوة صلوة الخوف أي أديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم أي فداوموا
على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى إذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فإذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعدما وضعت الحرب أوزارها
فأقيموا الصلوة أي الصلوة التي دخل وقتها أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الأحوال الثلثة
الصلوة فيها أي فإذا أردتم أداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح فإذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رحمه الله وفيه
من البعد ما لا يخفى إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم
فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد
أن تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم أي في طلب الكفار بالقتال
والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
تعليل للنهي وتشجيع لهم أي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم إنهم يصبرون على ذلك فما
لكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب في الآخرة ما لا
يخطر ببالهم وقرئ أن تكونوا بفتح الهمزة أي لا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله تعالى فإنهم تعليل للنهي عن الوهن
لأجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم أعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا
في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق روي أن رجلا من الأنصار
يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر
الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا
بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزلت
وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم
من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فأخذ ليقتل فقيل دعوه فإنه
قد لجأ إليك فتركه وأخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فأخذوه
ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فأخذوه وألقي في البحر لتحكم بين الناس
بما أراك الله أي بما عرفك وأوحى به إليك ولا تكن للخائنين أي لأجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه
أو هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء أي لا تخاصم اليهود لأجلهم والنهي معطوف على أمر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل احكم
ولا تكن لهم واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم إن الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة
لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم
جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها إليهم والمراد بالموصول طعمة وأمثاله وإما
هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فإنهم شركاء له في الإثم والخيانة إن الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة

مصرا عليها أثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والإثم ليس لتخصيصه به بل لبيان
إفراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله أي لا
يستحيون منه سبحانه وهو أحق بأن يستحيا منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه
ويؤاخذ عليها إذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون من الأعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها أنتم هؤلاء تلوين للخطاب
وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات إيذانا بأن تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى
جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة
أشد المخاصمة والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم يومئذ
عند تعذيبهم وعقابهم أم من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به
غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك
وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه
وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة
ومن يكسب إثما من الآثام فإنما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب
والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر
أخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة أو ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين وأصله
يكتسب أو إثما كبيرة أو ما كان عن عمد ثم يرم به أي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره
لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم بأحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم
للتراخي في الرتبة بريئا مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل أي بما فعل من تحميل جنايته على البريء
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه وإثما
مبينا أي بينا فاحشا وهو صفة لإثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره وإثما
مبينا على أن وصف الإثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لأنهما عبارة عن أمر واحد وهو رمي البريء بجناية نفسه
وقد عبر عنه بهما تهويلا لأمره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فإن رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت
أو إثما بهتان وإثم في نفسه أما كونه بهتانا فظاهر وأما كونه إثما فلأن كون الذنب بالنسبة إلى من فعله خطيئة لا يلزم
منه كونه بالنسبة إلى من نسبه إلى البريء منه أيضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الأديان
فهو في نفسه بهتان وإثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام
جنايته المكسوبة إلى رمي البريء وإلا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء وإيقاع
عقوبتها عليه كما ينبئ عنه إيثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الإيذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الإشعار
بثقل الوزر وصعوبة الأمر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وبراءته لنفسه إلى رمي البريء يزداد جناية قبحا لكن تلك الزيادة
وصف للمجموع لا للإثم ولولا فضل الله عليك ورحمته بإعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة
والعصمة لهمت طائفة منهم أي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير
راجعا إلى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله ﷺ وقالوا جئناك لنبايعك على أن لا نكسر أصنامنا

على براءة نفسه خاطئة والا لكان الرمي بغير جناية
مع براءة نفسه كذلك لأنه في العظم لا لاشتماله

ولا نفشتنا فرد لهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا
وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره قطعا ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه
حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم
لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار
والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة
باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل
المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع
ما لم تكن تعلم ذلك قبل وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير
في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر اي الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون
بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة
الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هاهنا
واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة
بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له
اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم
قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلثة
بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله
عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى المتعدد بتاويل المذكور
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها
لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه
حسن المامور به وقبحه حيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تخصيص للامر بها على فعلها او اشارة
الى الامر بها فانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعله كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها الاجر العظيم
هو بكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر
عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة
وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير
سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه
من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضه
ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله عم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به

ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى
اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا يعني اللات والعزى
ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم يقولون
في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة
لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت
الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتهم وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ
على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع اناث ككثيب وكثب وجمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن
كقولك اسد واسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا كاجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي
لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه
عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه
ثلثة الاول انه منهمك على الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون
لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا
شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولا
منينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
اي فليقطعنها بموجب امري وليشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله في البحائر والسوائب
ولامرنهم فليغيرن ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد
والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن
اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا
مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي لا يكاد ينجزه ويمنيهم اي الاماني الفارغة
او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير جمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه
وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان
يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى ماويهم مبتدا ثان وقوله تعالى جهنم خبر الثاني والجملة
خبر الاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وقيل خلاص ونجاة وقيل المحيص هو الروغان بنفور

وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما
اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره قوله تع سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء وحسرة اولئك وعد الله
حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب
الموصول بفعل يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعا سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تع الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال
وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها
دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل باماتيكم ايها المسلمون ولا باماني
اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين اصلاحا
في قوله تع ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل
ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن
لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة وقيل
الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر
كما يزعمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تع من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا
لما روي انها لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله ص اما تحزن او تمرض اما يصيبك اللأواء قال
بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب
عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع
الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران
العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان
والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا
حقيرا من ثواب اعمالهم كان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى
كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل احسن عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تع وبناء الانكار
على الاستفهام دلالة ان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب منبئا الا انكار الاول
ونفيه بل لان يستعمل فيه العرف المطرد والاستعمال الشائع فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد
به انه اكرم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تع ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول
من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على

ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو
حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو
حال من فاعل اتبع او من ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل واظهاره في موضع الاضمار لتفخيم شانه
والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
متوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض الحث على الترغيب في اتباع ملته ص فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته
خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم قيل انه ص بعث الى خليل له بمصر في
ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب
الناس من الشدة فرجع غلمانه فاجتازوا ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس وجاءوا بها الى منزل ابرهيم ص والقوها
عنه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم القصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه
وعمدت سارة الى الغرائر فاذا هو اجود ما يكون من الحواري وخبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابرهيم فقيل خليل الله عز
وجل فسماه الله تعا خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته تع على اهل السموات
والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تع خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا
وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابرهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو داب الآدميين فان مدار
خلتهم افتقار بعضهم الى البعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه
للخلة بمحض مشيئته اي له تعا ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقوله تعا وكان الله بكل شيء محيطا تذييل لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة
فان احاطته تع علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك
في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه ص كان سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق
بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعا قل الله
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تع والى ما تلي من الكتاب
فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار
والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا
من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة
معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها فما يتلى ح متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم
فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تع يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله
لفظا ومعنى وقوله تع في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الآخرين بدل
من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى نفسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل
حال من فاعل لا تؤتونهن [illegible]

بالكتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق
وذلك لما روي عن عايشة رضي الله عنها من انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة
نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك لما روي عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب
وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشركها
في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على
الوجه الاول والآخر الميراث وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوها من النصوص
الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم
كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة ابن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرنا انك
تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلعم كذلك امرت وان تقوموا
لليتامى بالقسط عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ونحو ذلك مما لا يعاد لحكم هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا
على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا او يجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا
في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان
به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يتبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امراة
من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها ومؤانستها لما
ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم فوهبت يومها لعايشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ
يصالحا من يصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوايد وقد
يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا
وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح
من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور
فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك
عنه ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل
منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل
وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المراة على بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل
الرجل على ان يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا اي العشرة وتتقوا النشوز و
والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل
شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا
خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن
بالاحسان ولفظ التقوى المنبي عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب

في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة
واثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلعم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت
وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت
فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احديهن في شان من الشئون
البتة وقد كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك
وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعايشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا
كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها
لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة ما
وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان
يتفرقا وقرئ يتفارقا اي لا يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن
الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما
لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي
من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة مبنية على كمال سعته وعظم قدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام
في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان
اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الآية وعلى تقدير كون
ان مصدرية مبني الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها
هذه الامة وايا ما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله
ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وساير النعم المترتبة عليه لا يستغنون عن فيضه
طرفة عين فهو غني عن ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم
حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا تضره كفرهم ومعاصيهم كما لا ينفعه شكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته
لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت
القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة
وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشا يذهبكم ايها الناس
اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس
ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشا افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه
من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك
علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط

[illegible] وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله ﷺ من العرب أي إن يشأ يفنكم
ويأت بآخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ويروى أنها لما
نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أي فعنده تعالى ثوابهما فما له يطلب أخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب أشرفهما فإن من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة
وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المتعلقة
بمراداتهم اندراجا أوليا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور
مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على أنفسكم
أي ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها على أن الشهادة عبارة عن الإخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو
على غيره أو بأن تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه أو الوالدين والأقربين أي ولو كانت
على والديكم وأقاربكم إن يكن أي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه أو فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ إن
يكن غني أو فقير على أن كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله أولى بهما عليه أي فلا تمتنعوا عن إقامتها طلبا لرضا
الغني أو ترحما على الفقير فإن الله تعالى أولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ
أولى بهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي مخافة أن تعدلوا عن الحق فإن اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه أن يخاف ويحذر
وقيل كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أي ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل بأن
تأتوا بها على غير وجهها وقرئ وإن تلوا من الولاية والتصدي أي إن وليتم إقامة الشهادة أو تعرضوا أي عن إقامتها رأسا فإن
الله كان بما تعملون من لي الألسنة والإعراض بالكلية أو من جميع الأعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو
وعيد محض وعلى القراءة الأخيرة متضمن للوعد يا أيها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه
وازدادوا طمأنينة ويقينا أو آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على أن إيمان بعضهم إجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب
السماوية وكتبه وبالإيمان به الإيمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لإرشاد أمته إلى ما
شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن مدار الإيمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على
أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن الإيمان بالكل مندرج تحت الإيمان
بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود ما نسخها وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام
ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وأنزل على البناء
للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني أهل الكتاب لما أن عبد الله بن سلام وابن أخته سلاما وابن أخيه سلمة وأسدا وأسيدا ابني كعب
وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت
فآمنوا كلهم فأمرهم بالإيمان بالكتاب المتناول للتوراة مع أنهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالإيمان ما يعم إنشاءه و
الثبات عليه ولا لأن المأمور به حقيقة هو الإيمان بما عداها كأنه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لأن المأمور به إنما هو الإيمان بها في ضمن الإيمان

بالقرآن

بالقرآن على الوجه الذي أشير إليه آنفا لا الإيمان السابق ولأن فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل
فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لأهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وأمر كل طائفة بالإيمان
بكتابه في ضمن الأمر بالإيمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه
وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أن بالكفر بأحدهما لا يتحقق الإيمان أصلا وجمع الكتب والرسل لما أن الكفر
بكتاب أو برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل
لأنهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في إنزال الكتب إن الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم
العجل ثم آمنوا عند عوده إليهم ثم كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد وأصروا على الكفر وازدادوا
تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا فإنه يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم قد ضربت
بالكفر وتمرنت على الردة وكان الإيمان عندهم أهون شيء وأدونه لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان
محذوف أي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يدل على أن المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر وكفروا
في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع أنذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء في محل النصب
أو الرفع على الذم بمعنى أريد بهم الذين أو هم الذين وقيل نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون أي
يتخذون الكفرة أنصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد ﷺ فتولوا اليهود أيبتغون عندهم
العزة إنكار لرأيهم وإبطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لأطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها أي أيطلبون بموالاة الكفرة
القوة والغلبة قال الواحدي أصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى فإن العزة لله جميعا تعليل
لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فإن انحصار جميع أفراد العزة في جنابه عز وجل بحيث لا ينالها إلا أولياؤه
الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع
به وقيل هو جواب شرط محذوف كأنه قيل إن يبتغوا عندهم عزة فإن العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده
على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ
مبنيا للمفعول من التنزيل والإنزال ونزل أيضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون أيضا مفيدة لكمال قباحة حالهم
ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح
عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على أبلغ وجه وآكده إثر بيان انتفاء ما يدعوهم إليه بالجملة المعترضة كأنه قيل تتخذونهم
أولياء والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب أي القرآن الكريم أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و
يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وأن هي المخففة
من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ
بها عطف عليه داخل في حكم الحالية وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها وتهويل أمر الكفر بها أي نزل عليكم
في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها مستهزأ بها وفيه دلالة على أن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وإن خوطب به
خاصة منزل على الأمة وأن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية وأخرى بالسماع وأن
المراد بالإعراض عنهم إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها

ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين
المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه
كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل
هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر
ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم
بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد
على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما في جملة الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد آخر من جنايات المخاطبين
وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون
امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم
مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي
مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي
الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا اليهم ما ضعفت به قلوبهم
ووهنوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما
للكافرين نصيبا لتعظيم شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق
بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل لهم ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا
على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ مسوق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم
اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا
معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون
على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمع كسلان يراؤن الناس
ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة المفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة
اما استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن او حال من ضمير قاموا
ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة
الى الذكر بالقلب او الا زمانا قليلا اي لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل
وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب
على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان
وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم
او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة
وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين
الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او

وتقريره ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه
اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا
عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق
او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل
امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا
الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله تعالى ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع
دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد
لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر
واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا
لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون
اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو
كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل
الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني
المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان
لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم
فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده
واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب
الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك
غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء
وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة
تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ
لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق
التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو
مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام

فضليكم ان تعفوا والسنه الله تع وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا لمن عفا قديرا على
ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما
ينبي عنه قوله تع ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تع ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان
به تعا وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن
ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتورية ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعا ورسله وتفريق
بين الله ورسله في الايمان لانه تع قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا
صلى الله عليه وعليهم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تع ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا
بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق
الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا
اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين
كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم
او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله
على الوجه الذي بين في تفسير قوله تع يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم
ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم والتصدير بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلعم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او
كتابا الينا باعياننا انك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن لو سألوه لكي يتبينوا
الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان
صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان
ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والجملة
تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من
بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها لم تنزل
عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك
الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا على
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه وذلك
انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع
الله عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله تع واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان

موسى عم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نتحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا و
قيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عم سجدا اي متطامنين
خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح
العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء الاولى في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين
واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذه الله تع عليهم في التورية قيل انهم اعطوا
الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعا يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة
تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ
وغيرها من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عم فلعنوا ومسخوا قردة وقيل
متعلقة بحرمنا على ان قوله تع فبظلم بدل من قوله فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا
المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم
قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تع وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن
او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عم وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية
لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عم او هو تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية العلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره
قاله ابن عباس رضه وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته
ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم
وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما
زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم
اي بعيسى عم وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه
من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد
عليهم الصلوة وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بمنزل وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه
لابتهاجهم بقتل النبي عم والاستهزاء به فان وصفهم له عم بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولانبائه عن ذكرهم له عم بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته
تع مدحا له عم ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه
وما صلبوه حال واعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عم وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تع قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تع بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عم فلما ارادوا
قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عم فرفع عم والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عم
وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تع عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عم فاخذ وقتل
وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عم فرفعه الله تع الى السماء خاف رؤساء اليهود
من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا

بوقوعه الا باسم لعدم مخالطته ام لهم الا قليلا و شبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في
الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمه مقتولا
وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى عم والبدن بدن
صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله تع ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره
فالاستثناء متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا
من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم للاشعار بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية
بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله
فيدخل فيها تدبيره تعالى في امر عيسى عم دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تع الا ليؤمنن
به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عم اي وما من اهل الكتاب احد
الا ليؤمنن بعيسى عم قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ
ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رض انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه
رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم
بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه
الآية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهود اذا حضره الموت
ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه وكان متكئا فاستوى جالسا
فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين
صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل
كلا الضميرين لعيسى عم والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عم احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه
عم ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويهلك الله تع في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى
وقيل الى محمد عم ويوم القيمة يكون اي عيسى عم عليهم اي على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا والعدول عن ذكرهم بهذا العنوان
للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة
ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال
صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي
التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك

يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر
الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تع كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عم لما كلفهم اخراج التورية لم
يجسروا على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا
اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل
على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين
على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون
في العلم منهم استدراك من قوله تع واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم
المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم
وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا لاختلاف
العنوانين منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تع يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنين مبينة
لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تع وجل والمقيمين الصلوة نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين
الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب
وبالانبياء او الملائكة قاله مكي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تع يسبحون الليل والنهار لا
يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء
وقيل على الضمير المجرور في منهم اي ولكن الراسخون في العلم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون
بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين فان قوله تع والمؤتون
الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تع والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد
بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم
انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها
من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية
ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا
بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون
باليوم الآخر وقوله تع اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تع سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون
وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا التفسير انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون
بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تع واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم
اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تع يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل
الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لنظم قوله تع والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله عم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا
من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والطائفة

في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه
اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الى نوح ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي عذب امته وقد
اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب ع م وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان
خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال
والتصريح بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي واتينا
داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء
على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي
وكما آتينا داود زبورا وايثاره على اوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء
ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل
معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي قصصنا رسلا كما قالوا
وفرعوا عليه ان قوله قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه
لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير
اوحينا الى نوح والى رسل اه والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه عم وبين
شئون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال كان قوله انا اوحينا
اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك ايضا كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم
ومن بعده وآتيناك الفرقان مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك رسولا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة
يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل ام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا
على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي يدور عليه فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء
والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان النظم
في رسلا يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك ادعى الى الاستحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ
على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما
باي طريق وصل ما لم تؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف
القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم
بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول
التورية عليه جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك
من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك
ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم ع م رسلا
مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا

الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون
بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات
المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء
للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي عم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه
المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا
وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله
او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر
لا يتقدم على المصدر قوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان
الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته
الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل
والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت الامم في الاحوال التي عليها
يدور فلك التكليف كما انه سبحانه وتعالى خلقهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك بعثهم بما
يليق بشأنهم ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية
وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب
الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون
ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول
والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم يعجز
عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الامور القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موضع التفسير لما قبلها او حال
نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله والملائكة
يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا اي على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية
على الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا
والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد
في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا وظلموا اي محمدا
عم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن
الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال

الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية الى جهنم عند صرف قدرتهم
واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء
منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها
الا وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا
لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل
تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشئون من يعترفون بنبوته من
مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملئكة امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا
مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد بنيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر ما في عدم القبول وقوله عز وعلا
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القران الكريم والباء متعلقة بجاءكم اي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول
اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من جهته
تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا
لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وجل فامنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فامنوا به وبما
جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راي الخليل وسيبويه اي اقصدوا
او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راي الفراء اي امنوا ايمانا خيرا لكم
او على انه خبر لكان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط المحذوف وهو راي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم
وان تكفروا اي ان تصروا على الكفر فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت
داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم
المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم
لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه
ويتقونه دون لاه وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم بجميع اعماله التي من جملتها تعذيبه بما اتيتم بكفركم يا اهل
الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط
في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك
فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد
بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة ال عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على
صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه
عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله عز وجل رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل
المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاه وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته
وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام
وقيل اعلمها اياها واخبرها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل
الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه

قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا
لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له
ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرا الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم
ان يكون جميع الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي
متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى وجعلت منه تعالى وان كانت من جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي
روحا لاحياء الاموات وقيل لاحياء القلوب كما سمي بها القران لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل
اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا
انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مال ما يحتمله وسد باب التاويل الزائغ فامنوا
بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة
ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان
صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات
وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات
منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه
تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله
وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه
وتقريره اي له ما في السموات وما في الارض من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام
فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي
هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من
التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون
عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى
مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه حاله ويفصح عنه اقواله الا
ترى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه موقع الجواب عما قاله الكفرة
روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول
انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا لله
تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية
لان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته
تعالى كما يشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف
عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون
ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام
وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون

عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه
عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عليه السلام عدم استنكاف
من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات
العلى ولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وإنما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبأن الآية
للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضا فلا اتجاه لما قالوا وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار
التكثير دون التفضيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن سلم إرادة التفضيل ففيه
الآية الدالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الأنبياء
عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا وهذا النزاع الآفي ومن يستنكف عن عبادته أي عن طاعته فيشمل
جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف ههنا عبارته تعالى لا للتسوية لتغليظ الوعيد بوصف ... الثبوت للكفرة فإن
عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم إلى إنكاره ... به أن قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له بالاستنكاف عنها مع أن ذلك منهم كان
بطريق إنكار كون الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلت لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله عليه السلام وهل هو
إلا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل إذ لا أمر ولا نهي سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ويستكبر الاستكبار الأنفة عما
لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده
وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك الطلب في قوله تعالى يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا فإنهم كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها معوجة
ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف
المبني على توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم إليه جميعا أي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم الاستنكاف
المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصل تعويلا على إنباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر
ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا
على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه أن
بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل والإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة
بطريق الالتفات فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الإجمال وقدم على بيان حال ما يقابله
إبانة لفضله ومسارعة إلى بيان كون حشره أيضا معتبرا في الإجمال وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف
المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم أجورهم من غير أن ينقص منها شيئا أصلا
أصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها أضعافا مضاعفة وبإعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأما الذين
استنكفوا أي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا أليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون
لهم من دون الله وليا يلي أمورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا أيها الناس تلوين للخطاب
وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر
لها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن الحجة قد لزمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر
لمعتذر قد جاءكم أي وصل إليكم وكنتم في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم إلى الإنكار برهان من ربكم البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد
القرآن الدال على صحة نبوة النبي عليه السلام المثبت ما فيه بين الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أنبأت عنه الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هو المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي جاء
به وقوله تعالى من ربكم إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من لابتدائية الغاية مجازا أو قد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف أي كائن
من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه إليهم لتربيتهم وتكميلهم
وأنزلنا إليكم نورا مبينا أريد به القرآن أيضا عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه وأخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره إيذانا بأنه بين بنفسه مستغن
في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعارا بهدايته للخلق وإخراجهم
من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة
المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند إليه المنبئ عن كمال قدرته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه
من غير أن يجيء به أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى بالإنزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توقيرا له باعتبار كل واحد من
عنوانيه حقه اللائق به وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن
العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول عليه السلام أو عن المعجزات الظاهرة على يده أو عن الدين الحق فالأمر بين وقوله تعالى
إليكم متعلق بأنزلنا فإن إنزاله بالذات وإن كان إلى النبي عليه السلام لكنه منزل إليهم أيضا بواسطته عليه السلام وإنما اعتبر حاله بالقياس إليهم
دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار كمال اللطف بهم
والتصريح بوصوله إليهم مبالغة في الإعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق
إلى المؤخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة فأما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي أتاهم واعتصموا به أي عصموا به أنفسهم مما
يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن إفاضة الفضل بالإدخال على طريقة قوله علفتها تبنا وماء باردا
وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم إليه أي إلى الله عز وجل وقيل إلى الموعود وقيل
إلى عبادته صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية
إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي وانتصاب صراطا على أنه مفعول
لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك أي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى
قل الله يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه روي أنه أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده
رسول الله عليه السلام فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه أنه قال دعاني رسول الله عليه السلام وأنا مريض لا أعقل
فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني كلالة فنزلت قوله تعالى إن امرؤ
هلك استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل حال من المضمر في هلك ورد
بأنه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن
عدم الوالد أيضا معتبر في الكلالة لظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله أخت عطف على قوله تعالى ليس له ولد
أو حال والمراد بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما
ترك أي بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد إن لم يكن له عصبة وهو أي المرء المفروض يرثها أي أخته المفروضة إن
فرض هلاكها مع بقائه إن لم يكن لها ولد ذكرا كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع مالها إذ هو المشروط بانتفاء الولد

بالكلية للارث لسهامها الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت
على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك
الضمير لمن يرث بالاخوة وان تأنيث والتثنية باعتبار المعنى وقيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية
على الاثنينية على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة
رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر على الانثى فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ
الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتابه تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته
ان الآية التي انزل الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام
والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في
اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين
صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج
هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي حديث
ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكرا من الآية والحديث
نصا فيما ذهب اليه الكسائي واتباعه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل بذلك حذف ولا
وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحذروا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك
انما يليق اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله
بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم انتهى في السادس عشر من شوال سنة [illegible]

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل
ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اجمالا
على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ بما يتعلق بضرورة معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة
الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب خز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المراد
بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة كأنه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين
احلالها فيما سبق لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده
فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت
عليكم الميتة ونحوه والا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية

من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تنزيههم منه عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون
حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الانعام
وما يماثلها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كأنه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول
ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره
حينئذ كأنه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي
اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان
وتنوير للحاجة ببيان علتها القوية فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا
مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل
فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا وفي الايفاء بها جريان على موجبها عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات
وتحليل بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال
الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقبت ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله تعالى لتشريفها وتهويل الخطب
في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى
والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها
ويحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله
وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء
والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له
بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية ولا القلائد هي جمع قلادة وهي ما
يقلد به الهدي من نعل ولحاء شجر ليعلم بانه هدي فلا يتعرض له والمراد به النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن
وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بشأنها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة كأنه قيل
والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن
ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا
قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم آمين
له وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين
لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم
وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه
بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للتشريف والاشعار بحصول مبتغاهم
وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان ما ينافي حالهم المنهي عنه لا تقييد النهي
واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي
والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها
منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم

دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثبتت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى
المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي عم وحده وقد وعده ان يأتي باصحابه ويسلموا ثم خرج من عنده عم فمر بسرح المدينة فاستاقه
فلما كان في القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فسأل المسلمون النبي عم
ان يخلي بينهم وبينه فأباه النبي عم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وتفسير ابتغاء الفضل بطلب الارباح
بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم
وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم
عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا
ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون لما روي عن ابن عباس رضه ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله
المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله
تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فالمراد
في تناول الآمين المشركين قطعا انما هو استقلالا واما اشتراكا فكما سيأتي من قوله تعالى لا يجرمنكم شنآن قوم الخ
فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا يبعد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فضل ابتغاء الفضل اي الارباح
للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا
وتخصيص ابتغائه بالمؤمنين فاذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها
والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء
بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به لان الكلام في النهي عن احلال
الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول
واحد واثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب
في ايثاره ههنا على الثاني وحقيقة نقل الاول من كل واحد منهما بالهمزة الى معنى الثاني فحقيقة اجرمته ذنبا والمسنة اياه وعليه
قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى
فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد
الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم الآمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغني عن جوابه
لا يجرمنكم فقد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض
والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء
عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منعه وقوعه على القوم [illegible] واعانة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة
بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن
عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية
اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا اريتك
ههنا يراد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان
بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية
وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا

بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل
فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله
تع ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف
منه احدى التائين تخفيفا وايثار النهي عن الامر مع تقدم التخلية ومسارعة الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك
التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تع واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي
من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل بقوله تع ان الله شديد
العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة و
وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تع الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تع او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون
لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى و
والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذه اذا ضربه والمتردية اي التي
تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع
اي وما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصادته
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما
كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي
الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا
قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج
الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانية فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما
قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام
ومعنى البعد في الاشارة لبعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه
وافتراء على الله تعالى ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول
المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية
والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء
فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا
من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل
وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشوني اي واخلصوا
الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول
الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ولمصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح
لك صدرك وعليك في قوله تع واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر واتمامها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك [illegible]

وطوائف الكتابيين او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق فيه واتممت عليكم نعمتي بانجازي لكم وعدي بقولي
ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضه
ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال
اي آية في كتابكم تقرؤن قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية فقال عمر رضه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي
انزلت على النبي ع م وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضه الى ان ذلك عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضه فقال النبي ع م
ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال ع م صدقت فكانت هذه الآية
نعي رسول الله ع م فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر
الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم غير مائل ومنحرف اليه
بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينزعها من مضطر آخر كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه
بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم
سألوا عنها عند بيان اضدادها وتضمين السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون
بلفظ الغيبة فانه كما يعبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤل ما احل لهم
من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه
او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخله الفاء
تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب البهائم والطير وقيل
سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومغريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التاديب اكثر ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله ع م في عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي ع م اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب
لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما
امسكن عليكم وقد مر ما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مبتدأ
خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو
المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله
فاصل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او
موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا البعض مما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما اكلن منه
فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله ع م لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال
بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا
وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضه عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم

الله عليه الضمير لما في ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكنه اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان
الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم
سريعا في كل جليل ودقيق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد
بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسبما ذكر والمراد بالطيبات ما مر وطعام
الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا
منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رضه انه سئل عن
ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رح واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب
عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء
ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله
ع م سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف
وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رح خلافا للشافعي رح والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضه لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها
اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين
وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى وهو ايضا مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين
باعتبار اوجه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي ومن ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع
عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي الآخرة متعلق
بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف
لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعدد كان
جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة
اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالمسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه
على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على
الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه
وقد روي ان النبي ع م صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال ع م عمدا فعلته يا عمر
يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال
واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي ع م والخلفاء من بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا
يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه ع م من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم
بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله ع م المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها

وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل الى انما تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة
لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في قوله حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول
والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها
احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا
برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم
واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله حيث
مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب
يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدة التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من
المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فا
طهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى
اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على
سفر اي مستمرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فأتوا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في
سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر
بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب
فان الوضوء مكفر لها او بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته
الآية الكريمة مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار
الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه
الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا
من الضمير المجرور في به او من ميثاقه كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته وقبولهم والزامهم بالمحافظة
عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو
الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه عم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عم واتقوا الله
في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور
اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل

الامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع
المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء
بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل
فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى
الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار
بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب لها اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك
الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في
اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر آنفا وحيث كان مضمونها منبئا
عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها
العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استيناف مبين له وقيل الجملة في موقع
المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص
الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة
من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق
بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل
الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم
ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حالا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل
هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي
اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موضع الاضمار لزيادة
التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن
مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله عم
والصحابة بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عم قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون
الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله عم اتى بني قريظة ومعه
الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه عم نزل منزلا وتفرق الصحابة في العضاه يستظلون بها فعلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى فاسقطه جبرئيل
عم من يده فاخذه رسول الله عم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله
عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله

اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل
مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان
بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل
على ذكر ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة
حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما
من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل
الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تعالى وجل وبعثنا منهم اثني
اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عم كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد
سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا
بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة
عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عم عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن
يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عم قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق
وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة آلاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم
في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي
فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال وار بعة فلما خرجوا
قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان يحكمان
رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عم وكانوا معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا العهد وجعل كل منهم ينهى
سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى عم فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل
فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانتقبت
فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عم وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فنزا في السماء عشرة اذرع فما اصاب
العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل انما هم المحتاجون الى ذكر
من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة
والنصرة لا النصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال
بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد
بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يتفقدون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي
واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب

بعض

بعض الرسل عم ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وجل وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم
والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة
وقوله تعالى قرضا حسنا مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام سادّ
مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في
الحصول ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على
حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفرهم عن حيز الاحتمال او اسقاطهم
من كونهم في رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك
فلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان
استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا
واخطاه خطاء فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما
لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حق
ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة
على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم
قاسية بحيث لا تتاثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف
حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا
له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه
لا مرتبة اعظم مما يصح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال
من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد عم وقيل [illegible]
وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء
للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خيانة
او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم
بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه
كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه
الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان
تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر
وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا والتقدير واخذنا من الذين

تعقيب

[illegible] النعلي تفسير [illegible]

تفصيل

عوج بن عنق

قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال
الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت
صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه
الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله
وبالرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون الله تعالى ومن النصارى ايذانا بانهم
في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء واظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان
التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب
اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في الانجيل من الايمان بالله تعالى وغير ذلك ومن جملة ذلك
هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد عليه السلام فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية
وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله
تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا يجعل
الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون
ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلثة المذكورة بينهم وقيل
بينهم وللبهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد لهم
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان
الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد
الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه
من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها
يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالها
من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب
من موجبات رعاية والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام ونحو ذلك مما اخلوا به من الكتم والتحريف ما ضلوا وهم يعلمون قد
جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية
على الاسمية للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب اي التورية والانجيل كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التورية وكبشارة عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتأخير كثيرا
عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر
لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في
المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية
وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف وجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب
الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة
الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية

داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء
الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف
وقع حالا من نور واياما كان فهو تصريح بما اشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان
كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك
والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل
المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد
بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انه صفة ثانية لكتاب او النصب
على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من
العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهي شريعته التي شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه
بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال
الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو او به الى الله ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية
الى سبيل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية
القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد
اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر
والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم
ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان
يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به
ولا بشأن من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها به
فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب
واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل
تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح
فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق
البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزمة لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة
الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التضييق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا
عن دفع ما اريد بغيره والايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها في العجز
وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك

من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال البقية
من فرض اهلاكه كانه قيل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ومن في الارض وقد اهلك امه فهل منعه
احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين
وجه الارض وفلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل
تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها
عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم
من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع
الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق
من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من
الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى ع او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط
شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى ع معجزة له ع واحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت
اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله
بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رض ان النبي ع دعا جماعة من اليهود
الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون
في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله عز وجل كالاب لنا في الحنو والعطف
ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك
وقيل لرسول الله ص قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل
والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر
عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي
من جنس خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله
ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات
لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء
واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي
كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب
بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اي
يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم
الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسول انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان

ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين وانما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
كما قيل فيمنع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان
الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله عز وعلا واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك
سليمان اي جاءكم على فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا
من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل
متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتداة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان
على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في رعاية احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد طمست
آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا الكلام
يقتضي بان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيف ما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى
فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام
كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة
سنة وتسع وتسعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من
التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي
ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن
غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل
كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي ص ببيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا
الآية ومن حيث ان فيه ما يدل على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي ص بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن اهل الكتاب ليعددوا عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا
لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة ان جعلت
مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى
اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم
او من ابائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شان خطير لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف
تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما
لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة مع ما فيه من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان
ينسب ولو بمجاز الى غير من اصطفاه الله تعالى وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله تعالى فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن
واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخادم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا

من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحو ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح ان تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا الى مصر ولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي وخسران الدين والدنيا لاسيما دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقهرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسامهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استيناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من

ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله عليه السلام وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال اي موسى عليه السلام لما رأى منهم العناد على طريق البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد حيث نكصوا على ادبارهم وتمردوا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة اي جعل ظرفا للمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشي مع ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة والاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استيناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا في اثني عشر فرسخا وروي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن ذلك لهما روح وسلامة كالنار لابراهيم عليه السلام وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده نظام النظم الكريم فانه عليه السلام بعد ما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان يجيء لبعض المدعو عليهم او ذراريهم ويعذر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى عليه السلام وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة العقبة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما تقبل

تزوجها فخفصلا فقربت نار على قربان هابيل فأكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسداً وسخطاً وفعل ما فعل بالحق
متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا
انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين إذ قربا قرباناً منصوب بالنبأ ظرفا له اي اتل
قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ
لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم
لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قرباناً فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان
هو صاحب ضرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من
سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه
عند الله عز وجل لأقتلنك اي والله لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله اي
قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه إنما يتقبل الله اي القربان من المتقين
لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبل نفسك لا من
قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذاراً من تهييج غضبه وحملاً له على التقوى والاقلاع عما
نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غضبه لو كان له عقل
وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك حيث
صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذاناً من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته
اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد
النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما
هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك
السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي
لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك
ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله إني أخاف الله رب العالمين
وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كأنه قال إني أخافه تعالى ان بسطت يدي اليك
لأقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى
بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لان القتل للدفع
لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تحرياً لما هو الافضل حسبما قال النبي ﷺ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل
بالمخوف منه الآن يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى إني أريد أن
تبوء بإثمي وإثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف
عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع بإثمي
اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وبإثمك ببسط يدك الي كما في قوله ﷺ المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
اي على البادي عين اثمه ومثل اثم صاحبه بحكم كونه سبباً له وقيل معنى بإثمي اثم قتلي وبإثمك الذي لاجله
لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ولعل مراده بالاثم انما هو عقوبته

للإثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالإثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه
قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالإثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب
عليها العقوبة النارية يرده قوله عز وجل وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة وبالترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا
الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل أخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما
حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضاً كما يفصح عنه قوله لأقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية
وان كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن
حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته
له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ما سولت نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام
عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له ابليس واخذ طائراً ووضع
رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل
يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل [illegible] ولما قتله تركه بالعراء
لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوماً وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر
متى يرمي به فتأكله فأصبح من الخاسرين ديناً ودنيا فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه روي
انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فألقاه فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام
على الاول متعلقة ببعث حتماً وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضاً وكيف حال من ضمير يواري [?] والجملة ثاني مفعولي يري والمراد
بسوءة اخيه جسده الميت قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب
فقيل قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة
الهلكة أعجزت أن أكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى
اليه الغراب وقوله تعالى فأواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فأصبح من النادمين اي على قتله
لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل هابيل هرب
الى عدن من ارض اليمن فأتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضاً حصل مقصودك
فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من أجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات
بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل
له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفاً من عقابه وبيان استتباعه
لتحمل القاتل لإثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو
وشدة الشكيمة وقساوة القلب والأجل في الاصل مصدر قولك أجل شراً اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم
من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل
بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني إسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ
الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفساً واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب

الا قصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على المضاف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا
كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار
الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس
اختلاف حال المضاف اليه غير في الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي
على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد انتفاء احدهما فقط اذ ليس
قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحققه بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض
كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي
كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني
بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما كان نقيضه في قولك
من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي
على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فافهم تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور
ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا
تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما في قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم مشروطا
بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور
وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي كما مر ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل
والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة فكانه قيل من قتل نفسا
بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا لما تلق له تفسيره او بغير فساد ونقل البعد عن توجيه النظم الكريم حقه وما في كانما كافة
مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة
الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه
ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها
من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيى الناس جميعا ووجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء
بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته
وتبادره الى الاذهان عن ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له
خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا
اليهم رسلنا للتنبيه بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم
بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاكيد العزم على المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد
ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان
بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في عظم
الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المقدم ولا يمنع
منه توسط اللام بينه وبينها لان اللام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر لمكان ان وهي في حيزها

الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما
كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان ابلغ الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام تشنيع
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال
ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل
قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين
محاربة له عم فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق
خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة الله
تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا عطف على يحاربون والجار والمجرور متعلق به وقوله عز وجل فسادا اما مصدر وقع
موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر
من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله عم على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله عم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة
يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت
في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله عم عهد فنقضوا العهد وقطعوا الطريق وافسدوا
ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون الاخذ ومن القتل مع الاخذ ومن الاخذ بدون قتل
ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل رتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا
من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة
او لا او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام
مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير
وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم
او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم
فلاخافة الطريق بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه
نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرة منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي هو النفي من بلد الى بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع
وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما فصل من الاحكام والاجزية وقيل هو مبتدا وقوله تعالى لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدا
وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك
ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي
الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر
وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم واما ما هو
من حقوق العباد كالقصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما سقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه

وعن علي رضي الله عنه ان حارثة بن بدر جاء تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين بان
يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من
زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه الى ثوابه
والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب
اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما
انه ذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا
اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة
للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة
لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة
وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة باقوى
الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت
لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر
منافعها وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف فلانه عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على
المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت
كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كان ما في الارض لهم ثابت عند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل
مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف
وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال
فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق
به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا
نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء
والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله كأنه في
الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المفعول معه اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله
فاني وقيار بها لغريب اي وقيار بها غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو
توزيعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه واعترض بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان الرافع للفاعل
على اعتبار المعية هو ما في الارض ومثله في الكينونة لهم في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لعمل ناصبه الاستقرار المقدر
في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله
هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة متعلق بالافتداء ايضا
اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو
وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل الافتداء به من غير ذكر الافتداء بان يقال فافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب
عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى النص تحتم ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد

وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه فلما
الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان
الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر
ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو كلمة الشهادة
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته ومحل الجملة النصب على الحالية او
الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف
مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل كيف يكون حالهم وماذا يصنعون
فقيل يريدون وقد تبين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار
ويرفعهم الى فوقها فحينئذ يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل كادوا يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم
وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار
الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في حيزها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار
عدم الخروج منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام
كما في قوله تعالى وما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه من عدم تناهي
مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت
اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع
ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء
بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق
والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل
والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الآخذ مكلفا والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شرائط
فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا
ايمانهم ولذلك وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء
نصب على انه مفعول له اي فاقطعوها للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما وقوله تعالى بما كسبا
على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب الذي كسباه
من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل
القطع معلل بالجزاء والجزاء معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فان علة الجزاء علة
للقطع كما اذا قلت ضربته تأديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتأديب والتأديب معلل بالاحسان
وقد اجازوا في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له
ناصبه ان يكفروا وان قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف شاء حكيم في شرائعه

ولا صفة بما نفعه حكيم في شرائعه لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح
فمن تاب من السراق إلى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع أن التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى
بتذكير عظم جنايته وأصلح أي أمره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة إليها فإن الله يتوب
عليه أي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة وأما القطع فلا يسقط بالتوبة عندنا لأن فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي
في أحد قوليه إن الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله وإظهار الاسم الجليل
للإشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض
فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وهي
مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله أو بطريق التلوين
وقيل لكل أحد صالح للخطاب والاستفهام الإنكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي
من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتةً إلى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
يعذب من يشاء أن يعذبه ويغفر لمن يشاء أن يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة
ما بين سببيهما من الترتيب والجملة إما تقرير لكون ملكوت السموات والأرض له سبحانه أو خبر آخر لأن والله على كل
شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والإظهار في موضع الإضمار لما مر مراراً والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب به النبي عليه السلام بعنوان الرسالة للتشريف والإشعار بما يوجب
عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وإيثار كلمة في على كلمة إلى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة
من ربكم وجنة الخ للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها
كإظهار موالاة المشركين وإبراز آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات
فإنهم مستمرون على الخير مسارعون في أنواعه وأفراده والتعبير عنهم بالموصول للإشارة بما في حيز صلته إلى مدار الحزن وهذا أو
وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة
على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقد يوجه النهي
إلى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من أحزنه
منقولاً من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعاً فالإحزان والإقبال بهما فيهم في الكفر
بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بأفواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يسارعون
وقيل من الموصول أي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير
قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في
الكفر بتقسيمهم إلى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع إلى الفريقين
أو إلى المسارعين وأما رجوعه إلى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومبادئه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله
ومن الذين هادوا خبراً على أن قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف أي ومنهم قوم سماعون الخ لأدائه إلى اختصاص عقد القبائح
وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والأخروية بهم فالوجه ما ذكر أولاً أي هم سماعون واللام إما لتقوية العمل وإما لتضمين
السماع معنى القبول وإما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما يفتريه أحبارهم

من الكذب

من الكذب على الله تعالى وتحريف كتابه أو سماعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير
أو أخبار الناس وأقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر
بهم وأياً ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء أمورهم
على ما لا أصل له من الأباطيل والأراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون لظهور
بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب كما ستأتي وقرئ سماعين للكذب
على الذم وقوله عز وجل سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين لما هو المراد بالكذب على
الوجهين الأولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع إلى معنى من أي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام
قوم آخرين وأما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منك لأجل قوم آخرين وجهوهم عيوناً ليبلغوهم ما سمعوا منك أو
كونها متعلقة بالكذب على أن سماعون مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يساعده سياق النظم الكريم
أصلاً وقوله عز وجل لم يأتوك صفة أخرى لقوم أي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً أو إفراطاً في البغضاء
قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة أخرى لقوم وصفوا أولاً بعنوان
للسماعين تنبيهاً على استقلالهم وأصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول إيذاناً بكمال طغيانهم في الضلال
ثم باستمرارهم على التحريف بياناً لإفراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعييناً للكذب الذي
سمعه السماعون أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إما لفظاً بإهماله أو تغيير وضعه وإما حملاً على غير
المراد وإجراء في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف
راجع إلى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة وتجويز أن يكون حالاً من ضمير يحرفون وأما تجويز كونها صفة
لسماعون أو حالاً من الضمير فيه فمما لا سبيل إليه أصلاً كيف لا وأن مقول القول ناطق بأن قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله
عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن أن يقوله السماعون المترددون إليه أو لمن لا يحوم حوله أو قطعاً وادعاء قول
السماعين لأعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والصحيح الذي لا محيد عنه أن المحرفين والقائلين هم القوم
الآخرون أي يقولون لأتباعهم السماعين لهم عند إلقائهم إليهم أقاويلهم الباطلة مشيرين إلى كلامهم الباطل إن أوتيتم من
جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فإنه الحق وإن لم تؤتوه بل أوتيتم غيره فاحذروا أي فاحذروا
قبوله وإياكم وإياه وفي ترتيب الأمر بالحذر على مجرد عدم إيتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي أن شريفاً من خيبر زنى
بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم
فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شاباً أمرد
أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران
في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم فقال النبي عليه السلام أنت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام أنت أعلم
اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله عليه السلام أنشدك الله الذي لا إله
إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل
عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن يحرقني
التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام إذا شهد أربعة رهط عدول

انه دخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهم الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة
على موسى عم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلعم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه
فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب
المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته وفضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك
للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تع الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم
فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم
ثانيا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تع ابتداء
لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك استارهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية
والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر
وكذا الحال في قوله تع ولهم في الآخرة عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود
جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من
تفصيل احوالهم واعمالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ
المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تع اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم او سماعون
ان المراد بالكذب ما يفتعله [illegible] عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو
الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم
وسائر احكامه الرابعة وهو المشهور او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام
المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي
صلعم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك تفاصيل امورهم [illegible] واحوالهم المحكية الموجبة لعدم المبالاة بهم
وبانقطاعهم [illegible] ام بعض ما يبتني عليه الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان
جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وعند [illegible] تخييره
صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو خاص فيما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير [illegible]
واحد ونصف [illegible] اذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل
واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم
الحر منا فاقض بيننا فجعل صلعم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي
والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والحسن وعكرمة قال ابن عباس رضي
لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تع اقتلوا المشركين وقوله تع فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره
عم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عم الا
لابتغاء الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عم فأمنه الله تعالى بقوله

فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت
بالرجم ان الله يحب المقسطين فيحفظهم عن كل مكروه ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم
الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وقوله تع وعندهم التوراة حال
من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها
المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تع من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح
بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم هم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله وما اولئك
بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح
ايماء الى علية الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق
له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة
ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين
محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تع فيها هدى ونور
حال من التوراة فان فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن
حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تع يحكم بها
النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز
كونها حالا من التوراة فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى
ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر
ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تع الذين اسلموا صفة اجريت على
النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا على ان القصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون
وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل تنويها بشأن الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن
عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عم ولذلك قيل اوصاف الاشراف
اشراف الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عم لا سيما
مع ملاحظة ما وصفوا به وقوله تع للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من
ان يكون لهم او عليهم كأنه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم
به وانقيادهم له كأنه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل بتقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه
وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف صفة لهما اي هدى ونور كائنان
للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر
بالفتح والكسر والثاني افصح وهو رأي الفراء مأخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون

اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون
وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة
النبيين وهو التورية حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم استخلاف لهم
واجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ايجابها الالتزام بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها واضافة
وتأكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء
الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها بل على انها سببية
على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم
ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول
مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى
يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه
من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر
من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء
والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء
وقوله تعالى وتقدس فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين
فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشأنها
فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب
عن الاخلال بوظائف رعايتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرائتهم على ذلك
خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شأنها كذلك فلا تخشوا الناس كائنا
من كان واخشون في اضاعة احكامها وحفظها لمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق رعايتها
فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما
قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطي ونبذه كما فصل في
تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها عنها او تتركوا
العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة
في نفسها لاسيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود
الاصلي بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات
والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة
الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك
مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناه
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ وما بعده خبره والجملة
خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث
علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لاسيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه

ووضع غيره موضعه وادعاء انه من الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اي على الذين هادوا
وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التورية ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ
بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما
والسن تقلع بالسن المقطوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن
ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل ان
النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس
بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين
به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق
يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه لا ينقص منها شيء وهو تعظيم
لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا
بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون
البالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة
وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي آثار
النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه وحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم
بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى ع م وآتيناه الانجيل عطف على قفينا
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كأنه قيل
مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته ع م ومصدقا لما بين يديه من التورية
عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا
منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث جعل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة
بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من
الامور التي من جملتها دلائل رسالته ع م وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس
الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة
ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب
لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي
وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كأنه قيل وآتيناه
الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم اهل الانجيل بما
انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه
اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون
عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل
على الاحكام وان عيسى ع م كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة ويحمله
على معنى وليحكم بما انزل الله فيه مثل ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق

بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته لجميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام
للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق
وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما
من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي
والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة
لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه
المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المنافي وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق
بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله عز وجل من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي
وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان
لا يتعين الا بخصوصية الفردية بل بخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب ومن مطلق الكتاب السماوي ايضا حسبما يعود
القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما
من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب
في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عن الحسن من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة
المفعول اي هومن عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في قوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله عز وجل فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به اي اذا كان شأن القرآن
كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في
الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات
باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع
على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم
عادلا عما جاءك من الحق وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة
من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل
الكتابين من معاصريه صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه بما انزل الله من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره
من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات
للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض
لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والاضمير في توسيط جعلنا بين الصفة والموصوف
كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة
ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام
شرعتهم التوراة والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس الا
فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب الحيوة الابدية كما ان الماء سبب
للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين وقيل فيه دليل على انا غير متعبدين بالشرائع التي قبلنا

والمعنى انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة
على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف
تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم
معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى
المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة
بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف
على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم
في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل ففيه من تأكيد
الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله عز وعلا الى الله مرجعكم جميعا استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق
الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل
او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفصل بكم من اجراء الفاصل بين المحق والمبطل
ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة
الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتنصيص بعنوان
انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلنا بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له
وتمهيد لما يعقبه من قوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل
بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر وتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة
ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير وتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه
فذهبوا اليه وقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله ذلك فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى
واراددوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب تولّيهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان
لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون
عن الحدود المذكورة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار
والتعجيب لان التولي عن حكمه عليه السلام وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي
هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي
هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي
ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله عليه السلام في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان اهل الجاهلية عليه
من التفاضل فقال صلى الله عليه وسلم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون
خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى وجل اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب

اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحكاما كحكام الجاهلية يبغون
ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض
لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم او اللام
كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام
واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي
ووسمهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم
اولياء بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر
الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون ويذرون
ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة
وقوله عز وجل ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم
ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي هو عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن يكون ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون
ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله
عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون
في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء
في غير موضعه وقوله عز وجل فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء
للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول ﷺ بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد
تشنيع للتشنيع اي لا يخفى حالهم بل يراه وشاهده كل راء الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان
ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله عز وجل يسارعون فيهم
حال من الضمير ... والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم
مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة
على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في
الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى
بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على
حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذف ان
انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايها الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه
الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون
ان يصيبهم صروف الزمان وذلك قوله عز وجل يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة
من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب

الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض
روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ ان لي موالي من اليهود كثير عددهم واني ابرأ الى الله تعالى
ورسوله ﷺ من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود
بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان
يأتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد
محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش
او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة
قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل
بنصره ﷺ على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون
المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان ما فيها من معنى السببية مغنية
عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر
والشك في امره ﷺ وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم
عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال
الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول
بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول
اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين
آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم
المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون
به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتوبيخا لهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة
كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى المقصود انكار ما فعلوه واستبعاده
وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم والخطاب
في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب
لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه
على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونه معرفة لانه مؤول بنكرة
اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة
الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر
والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم
فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن لهم دولة فينتفعوا بما
صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض
المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق والاخلاص اهؤلاء الذين

اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وكانت حبط
بان ذلك الكلام من المؤمنين وانا نبيي بالواظهر المنافقون في خلاف ما كانوا عليه ويقيمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم
على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم
يومئذ اشد ادعاء واكثر اجتهاداً منهم قبل ذلك فضلاً عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا
وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كذبهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة
خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم كما هي في سليقتهم
عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في
بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة
فرقة ثلث في عهد رسول الله صلعم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده
واخرج عنها عمال رسول الله صلعم فكتب صلعم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله
واخبر رسول الله صلعم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض صلعم من الغد واتى خبره في شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب
تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله صلعم اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
ابو بكر رضه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي
شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم
وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن
عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها
يقول ابو العلاء المعري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث
ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضه وفرقة واحدة في عهد عمر رضه غسان قوم جبلة بن الايهم
نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي
فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة جر على انها صفة لقوم وكذا قوله عز وجل
ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي انه صلعم اشار
الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضه وقيل هم الفرس لما روي انه صلعم سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة و
ثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين
ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما
وفيه دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم
من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوز من ان قوله تعالى يحبونه كلام معترض وان مبارك
خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من محدث تكلف للتخلص وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحالية

من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة
ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض
بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل
هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا
او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم
من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف
بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار
بالعلة او تاكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم
اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم
اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد
الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته صلعم وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا جرى مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال
من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم
اليه وروي انها نزلت في علي رضه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجاً في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل
يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله رضه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول
الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو من باب وضع الظاهر موضع
العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيماً لهم واثباتاً لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول
هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً روي ان
رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي
على وصف يعمهما وغيرهما تعميماً للحكم وتنبيهاً على العلة وايذاناً بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان
ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين خصوا به لتضاعف
كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل
هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفاً على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضاً من جملة
المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم
دخولاً اولياً ان كنتم مؤمنين اي حقاً فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة
او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزواً ولعباً بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين
على الاطلاق اظهاراً لكمال شقاوتهم روي ان نصرانياً بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمداً رسول الله يقول احرق الله الكاذب
فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعاً ذلك اي الاستهزاء المذكور
بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤوا على تلك العظيمة

قل يا رسول الله أم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بأن يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح
صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر أي قل لأولئك الفجرة يا أهل الكتاب وصفهم
بأهلية الكتاب لمزيد التبكيت والإلزام من تبكيتهم وإلزامهم بكمال كونهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه
وبقيه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهو لغة أي ما تعيبون وما تنكرون منا إلا أن آمنا بالله
وما أنزل إلينا من القرآن المجيد وما أنزل من قبل أي من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية
وأن أكثركم فاسقون أي متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو
عطف على أن آمنا على أنه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة
واضحة فإن اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه والنكارة والإيمان بما فصل عين الدين الذي ينقمونه فلا أنه أبرز في معرض
علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء
استثناء من أعم العلل أي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل
ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد
الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول تنقمون لكن لا على أن المستثنى
مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما وهو المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون
عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أي ما تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أي لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو
بمعنى مع أي ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن
أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم معلوم أو ثابت والجملة حالية أو معترضة
وقرئ إن بالمكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين متمردين قل هل أنبئكم بشر من ذلك أمر
بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم أيضا وكونهم بما هو مسلم
لهم أحرى بحقيقة بأن يكتنهم ببيان أن حقيقة ما بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وبعي عليهم في ضمن
البيان جنايتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن
المكابرة والعناد وخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية
المشوقة إلى الخبر والتنبئة المشعرة بكونه أمرا خطيرا لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط
النقم شرية المنقوم حقيقة أو اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك
تحقيقا للشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل إنما قال ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود
فسألوا رسول الله عن دينه فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى قالوا
لا نعلم شرا من دينكم وإنما اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد
على كمال شريته ليثبت أن دينهم شر من كل شر أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وإن كان في نفسه خيرا محضا
مثوبة من عند الله أي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة ومخصصة بالخير كما أن العقوبة مخصصة بالشر
وإنما وضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله و
غضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف

قبلها مناسب لمن أي بشر من أهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية
إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسباق النظم الكريم وإما باعتبار التقدير فيها فكأنه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين
من لعنه الله أو قيل من الذي هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
لتربية المهابة وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وما يتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم
بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير أي مسخ بعضهم قردة وهم أصحاب
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم
خنازير وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في منهم باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه وإيثار صيغة موضع ضمير
الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الأمور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه
من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وإفراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء
للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع إلى الموصول محذوف على القراءتين أي عبد فيهم أو
بينهم وتقديم أوصافهم المذكورة بصدد إثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع أنه الأصل المستتبع لها في الوجود وأن دلالته
على شريته بالذات لأن عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية
ما يوجبها من الاعتقاد والعمل إما للقصد إلى تبكيتهم من أول الأمر بوصفهم بما لا سبيل لهم إلى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم
به وإما للإيذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد
الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه لربما فهم أن علة الشرية هو المجموع وقرئ وعابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت
بالإضافة على أنه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالإضافة على أنه جمع عابد كخدم أو
على أن أصله عبدة فحذفت تاؤه للإضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من
بناء على أنه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل إن من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وأنت
خبير بأن ذلك مع اقتضائه إخلال النظم الكريم بالمزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل إليه قطعا ضرورة أن المقصود الأصلي ليس
مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مقدمة سيقت أمام المقصود لتنبيه المخاطبين وتوجيه أذهانهم نحو تلقي ما يلقى إليهم عقيبها بجملة
خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود إفادته وعليه يدور فلك الإلزام والتبكيت حسبما شرح فإذا
جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فأين الذي يلقى إليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها السؤال
ليحصل به الإلزام والتبكيت وأما الجملة الآتية فمعزول عن صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ
من الجملة الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة الخبر عنه لا خبرا كما في الجملة
المذكورة وستحيط بذلك مزيد اتضاح بإذن الله عز وجل والمراد بالطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه في
معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى أيضا ويتضح وجه تأخيره عبارة عن العقوبات المذكورة إذ لو قدمت عليها
لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ذكر بصدد التبكيت أن ما هو شر مما نقموه دينهم وأن من
شر من أهل ما نقموه أنفسهم بحسب ما يقدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة
الإثبات لدينهم أو لأنفسهم عقب ذلك بإثباتها لهم على وجه يشهد بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة
مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الأمر تأكيدا للإلزام وتشديدا للتبكيت
فقيل أولئك شر مكانا فاسم الإشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم القبيحة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد

منزلتهم في الشرارة أولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم
مكانا أي منصرفا وأضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له أي أكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون بعضهم
شرا محضا بعيدا عن الحق لأن ما يسلكونه من الطريق دينهم فإذا كانوا أضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الكفر
للزيادة مطلقا بالإضافة إلى من يشاركهم في أصل الشرارة والضلال وإذا جاءوكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا
يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الإيمان نفاقا فالخطاب للرسول أو الجمع للتعظيم له أو له مع من عنده
من المسلمين أي إذا جاؤك أظهروا الإسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به أي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا
لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي
عن الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضا بما فيها من معنى التوقع أن أمارات النفاق كانت لائحة وكان رسول الله ع م يظنه ويتوقع أن
يظهره الله فيه ولذلك قيل والله أعلم بما كانوا يكتمون أي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله ع م أو لكل أحد
ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم أي من اليهود والمنافقين وقوله عز وجل يسارعون في الإثم حال من كثيرا وقيل مفعول
ثان والرؤية قلبية وهو الأنسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وإيثار كلمة في على إلى للإيماء
في قوله عز وجل وسارعوا إلى مغفرة إلى ما ذكر في قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم والمراد بالإثم الكذب على الإطلاق وقيل الحرام
وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام والعدوان أي الظلم المتعدي إلى الغير أو مجاوزة الحد
في المعاصي وأكلهم السحت أي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الإثم للمبالغة في التشنيع لبئس ما كانوا يعملون أي لبئس شيئا
كانوا يعملونه وجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والأحبار قال الحسن
الربانيون علماء الإنجيل والأحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم أفناؤهم ويعلمون قباحة ما هم
عليه وسوء مغبته على نهي أسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الإثم وأكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم
لمباشرتهم لها لبئس ما كانوا يصنعون وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لأن العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه
ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا
كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرا بأبلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي
أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة
والضحاك إن الله عز وجل كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى في محمد ع م
وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به
نسبت تلك العظيمة إلى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل أحد منهم وأرادوا بذلك لعنهم الله أنه سبحانه ممسك يقتر
بالرزق فإن كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل وبسط ألا يرى أنهم يستعملونه حيث
لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده وقد جعل لبيد للشمال يدا
حيث قال وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها فإنه إنما أراد بذلك إثبات القدرة التامة للشمال على التصرف
في القرة كيف ما تشاء على طريقة المجاز من غير أن يخطر بالبال أن تثبت لها يد ولا للقرة زمام وأصله كناية فيمن يجوز عليه إرادة المعنى الحقيقي كما
في قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل أرادوا ما حكي عنهم بقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن
أغنياء غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل النكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا
ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره

ولعنوا بما قالوا عطف على الدعاء الأول أي أبعدوا من رحمة الله عز وجل بما قالوا أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل
كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام أي ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود وإليه أشير بتثنية اليد
على أقصى ما ينتهي إليه همم الأسخياء أن يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية على منحة النعم في الدنيا والآخرة وقيل على إعطائه
إكراما وعلى إعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به
من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة إلى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى أن ذلك ليس لقصور في فيضه
بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته على الحكم التي يدور عليها أمر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق
عليهم كما يشير إليه ما سيأتي من قوله عز وجل ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب
على الحالية من ضمير ينفق أي ينفق كائنا على أي حال يشاء أي كائنا على مشيئته أي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن
كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما أنزل إليك من ربك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به
وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بأنزل كما أن إليك كذلك وتأخيره عنه مع أن حق
المبتدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليه ع م كما في قوله عز وجل
وأنزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ع م لتشريفه ع م طغيانا وكفرا مفعول ثان لليزيدن
أي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين إما من حيث الشدة والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما نزلت
آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد للمرضى مرضا وألقينا بينهم أي بين اليهود
فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق أقوالهم
والجملة مبتدأة مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين وقيل العداوة
أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس كلي إلى يوم القيامة متعلق بألقينا وقيل بالبغضاء كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله
تصريح بما أشير إليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه إلى المسلمين أي كلما أرادوا محاربة الرسول ع م ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك
كل صعب وذلول ردهم الله عز وجل وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم المجوس
ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا أو متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا أي كائنة للحرب ويسعون في
الأرض فسادا أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفسادا إما
مفعول له أو في موقع المصدر أي يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك أطفأ نائرة فسادهم
واللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وإما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الإفساد
ولو أن أهل الكتاب اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وإنما ذكروا بذلك العنوان
تأكيدا للتشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل قبيح وأشنع
من كل شنيع ومفعول قوله تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل
إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الآية أي لو أنهم مع ما عدد من فنون
الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعى عليهم الإيمان به فيندرج فيه فرضا إيمانهم برسول الله ع م وإنما أراد إيمانهم به إذ لا حاجة
في باب المقام لأن ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به ع م إنما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم أيضا قصدا إلى الإلزام والتبكيت
ببيان أن الكفر به ع م مستلزم للكفر بكتابهم وحمل الإيمان هنا على الإيمان به خاصة مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم واتقوا
ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وإن كانت في غاية العظم ونهاية

الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم
وأن الإسلام يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل بمراعاة ما فيهما
من الأحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي عم ومبشرات بعثته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما
من الأحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء وما أنزل إليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم
وإيراده بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله إلى بني
إسرائيل وتقديم إليهم لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم
كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعياء وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالبشارة ببعثته عم لأكلوا من فوقهم
ومن تحت أرجلهم أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو بأن يكثر ثمرات الأشجار وغلال الزروع أو بأن
يرزقهم الجنات اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الأشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد المبالغة
في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كأنه قيل لأكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل
كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي تمامية الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الإيمان
والتقوى والإقامة بالموعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الإخلال به بما ذكر ببيان إفضائه إلى حرمانهم عنها وتنبيههم على
ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم أمة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على
سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة
من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم مصرون على عدم الإيمان أو فيهم من آمن فقيل منهم أمة مقتصدة إما على أنهم مبتدأ وباعتبار تضمنه
أي بعضهم أمة وإما بتقدير الموصوف أي بعض كائن منهم كما في قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي طائفة
معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم أمم في عداوة رسول الله
عم وكثير منهم مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره ساء ما يعملون أي مقول في حقهم هذا القول أي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب
أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة وهم الأجلاف المتعصبون ككعب
بن الأشرف وأشباهه والروم يا أيها الرسول نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا وإيذانا بأنها من موجبات
الإتيان بما أمر به من تبليغ ما أوحي إليه بلغ ما أنزل إليك أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وقوله
من ربك مالك أمرك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عم وكلاءته أي بلغه غير مراقب في ذلك أحدا ولا خائف
أن ينالك مكروه أبدا وإن لم تفعل أي ما أمرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فإن
ما لا يتعلق به الأحكام أصلا من الأسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أي فما بلغت شيئا من رسالته واستحقت
ما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها
جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولأن
في أن الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن
غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعا من حيث إن كتمان البعض
والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضه إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله عم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي
العصمة فقويت وذلك قوله عز وجل والله يعصمك من الناس فإنه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضرر

بروحه العزيز باعثة له عم على الجد في تحقيق ما أمر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضه أنه عم كان يحرس حتى نزلت
فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله عز وجل إن الله لا يهدي القوم الكافرين
تعليل لعصمته تع له عم أي لا يمكنهم مما يريدون بك من الإضرار وإيراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب
لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول عم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم
ولذلك أعيد الأمر فقيل قل يا أهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء أي دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه
ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التوراة والإنجيل أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من
الأمور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول عم وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست
من إقامتهما في شيء بل هو تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها
شهادة بنسخها وبخروجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي عم الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فإذن إقامتهما
بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الأحكام كما ينبئ عنه قوله تع وما أنزل إليكم من ربكم أي القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة
الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة
الشقاق وإيراده بعنوان الإنزال إليهم لما مر من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي إضافة
الرب إلى ضميرهم ما أشير إليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل كما مر وقيل الكتب الإلهية فإنها بأسرها
آمرة بالإيمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضه أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله عم ألست تقر أن
التوراة حق من عند الله فقال عم بلى فقالوا إنا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك
طغيانا وكفرا جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم
لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الإنزال إلى رسول الله عم مع نسبته فيما مر إليهم
للإنباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين أي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم في الطغيان
والكفر بما تبلغه إليهم فإن غائلته آيلة إليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر إن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب في الإيمان والعمل الصالح أي الذين
آمنوا بألسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل أعم من أن يواطئها قلوبهم أولا والذين هادوا أي دخلوا في اليهودية والصابئون
والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تع والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف لدلالة
خبر إن عليه والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون
كذلك كقوله فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا أنه وسط بين اسم إن وخبرها
دلالة على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الأديان كلها حيث قبلت توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح
فغيرهم أولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر إن مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي
مختلف وقيل النصارى مرفوع على الابتداء كقوله عز وجل والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بإن ولا
لعطفه وحده على محل إن واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر وإلا لارتفع الخبر بإن والابتداء معا واعتذر عنه بأن ذلك إذا كان المذكور
لهما وأما إذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين يهودا
وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله عز وجل من آمن بالله واليوم

الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضماير الاخرة
باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه
بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله عز وجل فلا خوف والفاء كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم الآية فالمعنى على التقدير الاول كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه
اللائق كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين
يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين
فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام
عليه كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين
المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخيرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام
واما ما قيل من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لما تحقق تفصيله في
سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد
الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وارسلنا اليهم
رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم
ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله عز وجل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن
سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم
رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله عز وجل فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كأنه
قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم
ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها والتنبيه على ان ذلك ديدنهم
المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا اذا
جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من الحكم
ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق
له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله عز وجل عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا على
ابلغ وجه واكده لا بيان انه عز وجل ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بالاوامر الداعية الى الكفار وقتل الانبياء بلاء وعذاب وقرئ
لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصلها انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان
بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على
ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله عز وجل فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل

الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا
اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وحبسوا
ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عهد موسى عم
ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا
عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله ملكا عظيما
من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع
من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا احسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك
من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله عز وجل ثم رددنا لكم
الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر
احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبة الله عز وجل عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها
بقوله عز وجل ثم عموا وصموا اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى عم وقصدهم قتل عيسى عم
لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الاقتصار على ما حكي عنهم ههنا لما ان
وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل مما يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم
الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله عز وجل
كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع
العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم
عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستتبعة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان
الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل لجالوت الجزري وقيل سنجاريب
من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارضه
فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا
الى المرة الآخرة من الافساد فبعث الله الفرس عليهم فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل فردوس
ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل
منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عم فقال بمثل هذا ينتقم الله عز وجل منكم ثم قال يا يحيى
قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله عز وعلا قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود
وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا
ومعنى هذا ان الله عز وجل حل في ذات عيسى عم واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من
فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي
قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم

انه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها
ابدا كما لا يصل المحرم الى المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة ومأواه النار
فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اي ما لهم
احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد و
الجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار اللفظ واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع
للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عم واما وارد من جهته
تعالى تأكيدا لمقالته عم وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عم
فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عم
على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عم من مقابلته
كقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك وبنفي نصرته له مع خلوه
عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق
بشأنه عم من توهم المساعدة والنصرة لاستماع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا
الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عم فان زجره اياهم من قولهم الفاسد بما ذكر من عدم النصر والمساعدة بعد زجره اياهم بما
مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه
الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة
وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة
بين الله عز وجل وعيسى عم ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله للمسيح اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فقوله تع ثالث ثلثة اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من قوله عز وجل وما من اله الا اله واحد اي وما اله
في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول
الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله عز وجل وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد
بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله عز وجل ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف
ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى
منهم بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار
عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من بعض عيسى عم كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي نوع شديد
الالم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله عز وعلا افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده
لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل
الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب
عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما
عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه

مؤكد للانكار والتعجب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم
ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عم وحال امه
بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين
جميع افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار
اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله عز وجل قد خلت من قبله الرسل صفة منبئة عن اتصافه بما ينافي الالو[هية]
فان خلو الرسل السالفة عم منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى
ببعض من الآيات كما خص الخالية منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يديه فقد احيى العصا في يد موسى وجعلها حية تسعى
وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى
وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن
في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء
وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه
كل فرد من افراده يحيلون وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية
ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف نبين لهم الآيات الباهرة
المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء لا يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها
والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا
للآيات امر بديع بالغ لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها
ابدع قل امر له عم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه باحوالهم اتعبدون من دون الله اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله عز وجل
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عم وايثاره على كلمة
من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل عن الالوهية رأسا ببطلان انتظامه عم في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا
وهو صلى الله عليه وسلم وان كان يملك ذلك بتمليكه عز وجل اياه لكنه لا يملكه بذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله عز وجل من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من التحري النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير
وقوله عز وجل والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو
اي اتشركون بالله عز وجل ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله عز وجل هو المختص بالاحاطة التامة بجميع
المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة
على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه
له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي عم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم
الى الامم المبين لا تغلوا في دينكم من العظمة وللبهود عن حطهم له عم عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل
هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله
غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا
مجاوزين الحق في دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث النبي عم في شريعتهم اي من النصارى على القولين قبل مبعث النبي عم

بشريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن تابعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا بعثة
النبي ص وقولهم ضح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول
اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول
للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله عز وجل على لسان
داود وعيسى بن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
دعا عليهم داود عم وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله عز وجل قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عم
اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير
وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه
عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة
والهول وهو مبتدا خبره قوله عز وجل بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل
باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
ونهي عنه قوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استئناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا
استمرار الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل
بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل
التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة
لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ووجه
اسناد الفعل الى الكل حسبما سبق على التقديرين وما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق
النهي به فان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما تعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده
على ان الماضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى التقدير للمعاودة
او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى
تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء عملهم
وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في ترتيبه ذلك دلالة على ان كفرهم من السببية
مع الاشارة الى السببية له كما سبق في قوله عز وجل لعن الذين كفروا فان ايراد الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لا
ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى
مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي ص والرؤية بصرية وقوله عز وجل يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون
المشركين بغضا لرسول الله ص والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد
والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئسما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان
سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما
كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخط الله عز وجل ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه
هو العموم ولا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا محذوف مبني عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي
شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية للفعل

الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم
انفسهم فقوله عز وجل ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم
خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اي نبيهم وما
انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء
فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم
او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة
مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وانهماكهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين
الكفرة بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب لرسول الله ص او لكل احد له اهلية الخطاب ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من
الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا و
خبر وبحسب الفائدة هو الخبر لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود
بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشد الناس عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من
الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم والحمل مع فقدها على تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى انك
ان تصديت ان تتعرف اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بالكل خبرا وبالغت في تعرف
احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في طلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين
لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة
عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله عز وجل بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء
على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم
عليهم في قوله عز وجل ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته مع زيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا
بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهر اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبني
الوجه الثاني في التعبير قوله عز وجل قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق
والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا مما تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد
بان يقال ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال ولتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين الفريقين
من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والآخر في اقرب مراتب النقيض الآخر ذلك اي كونهم اقرب مودة
للمؤمنين بان منهم بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس
الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقوله القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم
النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم
وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس
ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال
لو عاينت رهبان دير في قلل لانحدر الرهبان يعدو ونزل والرهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية

القلوب في التصديق ثم ذكر الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولابد من اعتبار ما في الفريقين ايضا اذ هي التي تؤول على مودة جنس النصارى
للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى
الى عبد الله بن سلام واضرابه قال الله عز وجل من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى قوله لكنهم لما لم
يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يعتد بهم في الحكم على جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يتكبرون
عن الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لافراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين
واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك في الكافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ
من الدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض
بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشاؤه من معرفة الحق وحصل
من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا
وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير
في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع
الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امة الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا
ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار
انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب معا كما في قوله عز وجل وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب
كما في قوله عز وجل فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى
لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه كما في الآية الثانية
وقوله عز وجل ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق فالمنكر
ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الآية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا
قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله عز وجل ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى والخبر المذكور بتقدير
مبتدأ والعامل في الاولى معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى
انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى ما لنا نجمع بين ترك الايمان
وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فآتاهم الله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه
واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في اثنين وسبعين
رجلا من قومه وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف على التكذيب بآيات الله عز وجل على الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين

الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى
على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر الشهوة ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك الباب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع
التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه
يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان
لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم او مر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا
اي لا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او لا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن
الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين
تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت
عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن للابتداء او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر
محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به عز وجل يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول
مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي ما يبدو
من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه او هي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة
وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي
هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع والمقدار وهو نصف صاع
من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون
او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث
كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل
من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف
وهو لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى
او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيفما كان
وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن
لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات
والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم
بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها
اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم

مما سبق والكاف مقحمة للتاكيد بما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله
تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر
تفصيله في قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا
ادنى منه وتفهيما لكم على المفصول لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف
عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ
من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس
او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب وقد مر تحقيقه في تفسير قوله عز وجل لعلكم تتقون في سورة البقرة
ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا
من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون
ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها
في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما
في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم
اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة رسوله عم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت
العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده
المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه عم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عم وانما يضرون انفسهم ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا وشربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض
منه قوله عز وجل ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله عز وجل تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب من اصحاب النبي عم اي
فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية انه لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت
الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية انه لما
قال ابو بكر رضه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار نزلت وليست كلمة ما
في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييدا باحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله عز وجل
اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد
الطاري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون

في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولاحذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل
بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما لزم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا
على الايمان والاعمال الصالحة وقوله عز وجل ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد
ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي
هو المؤمن به او استمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل
مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا اي عملوا الاعمال
الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان
التعدد والتكثير بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان بالاعمال الصالحة
وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم ثم فلا جناح عليهم فيما طعموه
في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة
المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا
لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق
النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا ما لكنه
قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على
كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعة عز وجل مع ما لهم من الصفات
الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما
في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان
التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة
بدل الايمان اشارة الى ما قاله في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك
المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا
لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله عز وجل كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل
المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات
بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب
قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول الا العادي
المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم
بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله عز وجل تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها وروي
انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله عم وساله عن ذلك
فانزل الله عز وجل الآية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو بحسب ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع
المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام
الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم
يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن في قوله عز وجل من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته

وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيهون الاطلاع التشبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز
الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر
عن ذلك بعلم الله عز وجل اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه عز وجل بمن
يخافه بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله
وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده والعلم على الثاني متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته عز وجل من الحكمة لا بعد تحريمه
او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاكثرون لان نفس الابتلاء
لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء
بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله عز وجل وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعدما
بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة وان
من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله عز وجل في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم الدواهي والمراد بالعذاب الاليم
عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به
الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله عز وجل لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما
لا سيما من قوله عز وجل غير محلي الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان
حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين
دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا
لاحرامه عالما بانه يحرم عليه قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الآية نزلت في المتعمد
وقتله ابو اليسر ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن
جبير رضي الله عنه لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل
مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل من النعم
اي فعليه جزاء مماثل لما قتله على الابتداء والخبر وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند
ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني
بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم
ما دونه فيكون قوله عز وجل من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما
قتل من النعم وعند مالك والشافعي ومحمد رحمهم الله انما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله عز وجل اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم
فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش
بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق
في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في
الشرع اصلا واذ لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة
بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبر في الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في

عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال الله عز وجل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر ما بين انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة
الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك
في مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية وجزاء المماثل للمقتول انما هو
قيمته لكن لا باعتبار ان يعطي الجاني اياها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها
مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف اللازم فضلا
عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله عز وجل ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ عن الغفلة عما ارادوا بالمماثلة بل لان ما جعلوه
مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في اكثر
الاحوال مما لا يهتدى اليه من اساطين الايمة والاجتهاد وصناديد الهداية والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى
ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان
بينهما في سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقائق العويصة الى راي عدلين من آحاد الناس
على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما عين بمقابلة كل نوع من انواع النعم تم الحكم ولا يبقى عند وقوع
الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء
او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله عز وجل هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن
نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة
لفظية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله عز وجل طعام مساكين
عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله عز وجل او عدل
ذلك صياما عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون
المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني
فيختار الجاني كلا منها بدلا من الآخرين هذا وقد قيل ان قوله عز وجل او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقدر به
الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى
او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة
وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما
عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك
اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد ليذوق وبال
امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك
ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء
لثقله ومنه قوله عز وجل فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما قبل ان سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان

الصيد محرما ومن عاد اي الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك
دخلت الفاء كقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف اما وقوله عز وجل ومن كفر فامتعه
اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد
وعن ابن عباس رضه وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن
اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما
لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد
في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد
البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام
كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب عم اي احل لكم طعامه تمتيعا للمؤمنين منكم ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه
قديدا وقيل نصبه على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله كتاب الله عليكم
وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما يصاده الحلال على المحرم وان
لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضه وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده
الحلال اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل الاحرام وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم
ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه
او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه عز وجل بالالتجاء اليه
جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها
وقوله عز وجل البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما في الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل
وقوله عز وجل قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول
الثاني وقيل جعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار قيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب
لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج
والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة
وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد
ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر
ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل
في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع
المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء
من علمه المحيط وقوله عز وجل وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان
الموجودة فيها وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان
الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله عز وجل وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ
على مراعاة حرمته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب

القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد
في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام
في نفي المساواة عند الله عز وجل بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها و
التحذير عن رديها وان كان سبب النزول ما صرح من صنيعة البكري الذي تقدمت قصته في تفسير قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلعم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني
من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة
ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول
الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله عز وجل هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك
واما قوله عز وجل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول ولو
اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي عم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على
مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي ولو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي
اي كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان
اساء اليك اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء
اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو
محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي
الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة
والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا
ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء هو اسم جمع على راي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله
شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث
الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيئ كهين مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فحذفت الهمزة التي هي
لام الكلمة والتي للتانيث اذ الالف او لانها عين الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء
فاجتمعت ياءان اوليهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث
وقيل انما حذفت من اشيياء الياء المنقلبة عن الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لمناسبة الالف فجمع فوزنها افعاء
ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها حيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها
لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسالوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها
ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه
فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم وهو بمعنى
بابدائها كما هو بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسالة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام
لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسالة رسول الله صلعم حتى تسالوا عن تكاليف شاقة

عليكم ان امتحانكم بها وحملكم اياها صعبا او كان مما لم تطيقوا بها فمحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي
كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلعم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد
يقال له عكاشة ابن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات
فقال يا رسول الله صلعم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضه انه سأل الناس رسول الله صلعم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام صلعم
مغضبا فحمد الله عز وجل واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم
فاشفق اصحاب النبي صلعم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا
الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى
الرجال يدعى لغير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال صلعم ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين
ابي فقال صلعم في النار ثم قام عمر رضه فقال رضينا بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا نعوذ
بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله صلعم فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف
مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله عز وجل عن مسائلكم السالفة
حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء لمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما
واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها على معنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه
اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة
ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند حصول وصفه به وظاهر انه ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي
اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها مما سلم ونحوه مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوؤهم
ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسئلة
الحج لولا عفوه عز وجل عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي
ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة لان ايجابها للاولى ان كان من حيث
وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاولى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال
ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم نهي عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما
ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة
ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم
لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود
النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد والتخلف فيه ان قيل
ما ذكر انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما في الامور
الواقعة سواء كان السؤال قبل النهي او بعده فقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون
هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعيين فان المنهي عنه هي حقيقة

انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها
وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجلية الكلام ان مدلول النظم
الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عنه عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك
الاشياء بمرصد الوقوع فيبدي عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة
واما بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فيبدي عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا
ومنشأ توهم عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بمرصد الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر
وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك
الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه عز وجل اي مبالغ في مغفرة الذنوب
والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سألوا هذه المسألة لكن لا
عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها
ثم اصبحوا بها اي بسببها او برجعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم اشياء فاذا امروا
بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان
يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان
اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى
ظهره فلا يركب ولا يحمل ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد وهو بحيرة
وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل
التشريعي يجيء تارة متعديا الى مفعولين كما في قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما
في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بها
وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين
يتبعونهم من معاصري رسول الله صلعم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا
الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين
عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل
هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي
الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة
للتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير
احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ
وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان
وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى

لا لان القافية عليها ولانه لطابقه اذ الاحسان حيث اريد به عند الاتيان فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا التقرير ورماقى ان والواو
من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك
او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار
والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجيب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف
اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال وكذا ما عطف عليها وان خبر بان
حال على الوجه الاخير بمجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله عز وجل او لو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ
بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد
له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من
لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من
قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما
كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضه قال يوما على المنبر يا ايها الناس
انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله عم يقول ان الناس اذا رأوا
منكرا فلم يغيروه عمهم الله عز وجل بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الآية
فيقول احدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم
ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه الا وحق على الله ان يعمهم
بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال
بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباك وضللتهم اي
نسبتهم الى السفاهة والضلالة فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم
القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة
بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات
مبتدأ وقوله اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن
الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله عز وجل حين الوصية بدل منه لا ظرف
للموت كما توهم ولا حضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها
المسلم ويذهل عنها وقوله عز وجل اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل
لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين على الاعراب
كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهو [illegible]

لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة
بينكم آخران وقوله عز وجل من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك
في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان
انتم فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون
الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية لجواز وقوعه بعد اذا في قوله عز وجل ضربتم في الارض اي سافرتم فيها ولا محل
لها من الاعراب عند الاولين لكونها مفسرة ومرفوع على الخبرية عند الآخرين وقوله عز وجل فاصابتكم مصيبة الموت عطف على
الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى
امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في السفر فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران كذا قيل
والانسب ان يقدر عين ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة
وقوله عز وجل تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة فكانه قيل كيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما
اي توقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة
على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس
بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك في اثناء مقام الامر باشهادهما اذ لا مأخذ لان شانهما الحبس
والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم
تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل والنهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون
فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي عم وقيتئذ حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق
بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله عز وجل ان
ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته عز وجل معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه
على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما
وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما
عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا لان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في
قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما من جهة الشاهدين والشرط من جهته
عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان العبرة في عقد
الشرى ومفهومه هو جلب المشتري دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه
الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه كما سيجيء تفصيله في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب
اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل
بصحة القسم بالله اي لا نأخذ لانفسنا بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين
كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في
الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند العاقد لحرمة اسم الله عز وجل ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في
ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب

لكن لا لحمله ورجيه وأما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له مهما في نحو البتة منه وأما انما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب
وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا فتبين جعل المأخذ باستعماله مأخوذا بترك استعمال
الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له
البتة فتأمل وقوله عز وجل ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا
ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه عز وجل مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء
فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب
لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في نظير قوله عز وجل ولو اعجبك
وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله عز وجل باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم
القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه ويؤيده
لقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون
فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما اوجب اثما
من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي
فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو
الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها
كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من
الذين استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس رضي الله عنهم وابي رضي الله عنه اي اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان
من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف
اي استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما احق بها ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان
مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر من الذين استحق عليهم الاثم اي جني
عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير
في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم
للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين المجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان
لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله عز وجل فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما
كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما
اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة وصيغة
التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما وادعاء ملكهما لما ظهر
وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف
مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله عز وجل وعذابه بسبب هتك حرمة
اسم الله عز وجل او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه
او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا

ما لتغليظ الوقت فان اطلع بعد ذلك على كونهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه
ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا
بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله
الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع وكتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم
وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا ألم نقل لكما هل باع صاحبنا
من متاعه شيئا فقلتما لا فقالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو
ابن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم
انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك
مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب
الاخروي وهذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله عز وجل او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة
شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا
عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن
الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا
على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا
على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم وانت تعلم ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين
اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب مما يأباه المقام
اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة يستلزم الاتيان
بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة
على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان كلا
يقتضي احدهما يقتضي الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما توصون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم
فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال
من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها كما قيل بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن
من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فصل في تحقيقه فان كونه عز وجل خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الانتقال
مع ان الامر بتقوى الله عز وعلا يتبادر منه الذهن ان المتقى اي شأن من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هو منصوب بمضاف محذوف
به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يوم يجمع لجواز انتصابه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف
عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة

وقيل هو ظرف لقوله عز وجل لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله عز وجل واسمعوا
بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال
فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي
نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع
دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله عز وجل يوم ندعو كل اناس بامامهم بل
لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم والاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم
للانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجيئون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم
مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اباء واعناقا لا العقد الحاصل بالاعمال
هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة امكم
اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين
فتوجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموءودة لتجبير من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم
بان يقال ماذا اجابوا من [illegible] الانباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هناك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة
على التقرر والتحقق كما في قوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائره وانما يقولون ذلك تفويضا للامر
الى علمه عز وجل واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا للعجز عن بيانه لكثرته
وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم
وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه عز وجل بما لقوا من قبلهم من الخطوب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى
لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم عليهم السلام يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم
ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم حاروا وكفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ
علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انك انت اي انك انت المنعوت بما ذكر
المعهود وقد نبذ ذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه عز وجل وبين واحد من الرسل المجموعين عليهم السلام من المفاوضة
على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه عز وجل وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص
شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالته على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء
حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بطائفتين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم
فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع
الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة
على في قوله عز وجل اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما
او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي
كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين
تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها

وتلك اذا ذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا وتقريعا للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام
افراطا وتفريطا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها
كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او
بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس
حياة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها علوية ومنها سفلية
وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف
مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان
على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه عليه السلام
رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله عز وجل وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله عز وجل
اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله عز وجل اذ ايدتك منصوب بناصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك
الكتاب والحكمة اي جنسهما والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط
والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي
لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق
حقيقة له عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه
عز وعلا وان لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان بدأ تكونه من
جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطرفين مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان التصوير والنفخ ايضا معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب
عليه شيء الا باذنه عز وجل وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق
اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها
صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان
ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته عز وجل قد اظهرها على يده معجزة له ونعمة خصه بها واما ذكره
في سورة آل عمران مرتين فلان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل عنك
عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات اي
بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا
باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه بقوله عز وجل فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم
مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان المراد
به ما رأوه من نفس الشيء من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا
ساحر مبين وهذا اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظرفا
للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يعده من الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح
القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها مغايرة لها بعنوان منبئ على غاية الاحسان
امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ

من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه معا واحدها معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون
الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فتضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاول ويجعل ظرفا للنسبة الثانية
ثم قد يكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر اذ احسنت الي
على وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك والنسبتان متغايرتان بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في
اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تنبيها على كون منعه منها من احسانه اليه
القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله عز وجل يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الاية وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم
الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه عز وعلا اياهم في الانجيل على لسانه
تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة
وقيل مصدرية وايراده عم بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان
بي وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله عز وجل قالوا آمنا استئناف مبني على سؤال نشأ
من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بالله وبرسوله
رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا
عز وجل وامره لهم انزلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه
سبحانه وتذكيرها لك النعم العظام حيث لم يلبس الشكر ويا كل النبح
الخبب والاولاد انما يمسي بات اذ قال الحواريون
عاقبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب
السابق لعيسى عم فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب
فعامل كانه قيل للنبي عم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة في نعم الله عز وجل الفائضة على عيسى عم
للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق والقبل
يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم هل
كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله عز وجل على ما ذكروا وفي صدق عيسى عم كاذبين في
دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمينان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال
عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس رضه ومعاذ وسعيد بن جبير
في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة
وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فما
ذا قال لهم عيسى عم حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال
قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال
هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسئول كقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له

مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق
نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ليس نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته تعالى على تنزيلها
او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي الاكل تبركا وقيل اكل حاجة وتمتع
وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته عز وجل وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب
ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول
ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب
دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل
ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر
وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي
شئ يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من
الشاهدين قال عيسى بن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها
واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عم اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال
اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن
التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله عز وجل مائدة لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة
منها وقوله عز وجل تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا او لنا حال
منه او من ضمير يكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحتمل ضميرا او من ضمير يكون عند من
يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد
السرور العائد ولذلك سمي العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله عز وجل فهب لي من لدنك وليا
يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا و
قرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك
دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل
اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عم على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة
والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين
وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم كما ذكر و
ولما اضاف من عنده ما يؤكده ويقويه في القبول قال الله استئناف كما سلف اني منزلها عليكم وارد
منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عم بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان
كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله لئن انجانا من هذه الاية مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين
وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف يثنيه
ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال

والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد أي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فإني أعذبه بسبب
كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدر
بالتقديرين المذكورين وجوز أن يكون مفعولا به على الاتساع وقوله عز وجل لا أعذبه في محل النصب على أنه صفة لعذابا
والضمير له أي أعذبه تعذيبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحدا من العالمين أي من عالمي زمانهم أو من العالمين
جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن
رحمة الله عليهما والصحيح الذي عليه جماهير الأئمة ومشاهير الأمة أنها قد نزلت روي أنه عليه السلام لما دعا لهم أجيب بما أجيب
إذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم
كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا
أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله عز وجل بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله عز وجل فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم
أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها
ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء
والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما
أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم
ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام فهلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما
ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله المائدة فأقبلت
الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم
قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال قتادة كان
عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت
سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من
لم يشهد وقالوا ويحكم إنما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير
فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وإذ قال الله يا
عيسى بن مريم معطوف على إذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام أو بمضمر مستقل معطوف
على ذلك أي اذكر وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم بإقراره عليه السلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية
وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين الاتخاذ إما متعد إلى مفعولين فإلهين ثانيهما وإما إلى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار أصل الكلام

أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من إيلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي
وعليه قوله عز وجل أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين
أنه بأمره عليه السلام أم من تلقاء أنفسهم كما في قوله عز وجل أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون
الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على أنه حال من فاعله أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة لإلهين أي كائنين
من دونه وأياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله عز وجل ومن الناس من يتخذ من دون الله
أندادا وقوله عز وعلا ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله إلى قوله تعالى عما
يشركون إذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم أن ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بأن النصارى
يعتقدون أن المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام ومريم لم يخلقها الله عز وجل بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما حينئذ إلهين
مستقلين ولم يتخذوه عز وعلا إلها في حق ذلك البعض فقد أبعد عن الحق بمراحل وأما من توهم أن عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده عز وجل فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فإن توبيخهم إنما يحصل
بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه السلام قال
استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وإيثار صيغة الماضي لما مر
سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق
من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع
له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن
أقول ذلك وأما على تقدير أن يكون لك شريك في الألوهية فلا بد له من سياق النظم الكريم وسياقه وقوله عز وجل ما يكون
لي أن أقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أي ما يستقيم وما ينبغي لي أن
أقول قولا لا يحق لي أن أقوله وإيثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وإفادة التأكيد بما في خبره
من الباء فإن اسمه ضمير عائد إلى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله عز وجل إن كنت
قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فإن صدوره عنه عليه السلام مستلزم لعلمه عز وجل به قطعا فحيث
انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه عليه السلام حتما ضرورة أن عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله
كأنه قيل لأنك تعلم ما أخفيه في نفسي فكيف بما أعلنه وقوله عز وجل ولا أعلم ما في نفسك بيان للواقع وإظهار لقصوره أي
ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله عز وجل في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات
إليها لما أن الخارج الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها إلى الحقيقة وقوله عز وجل إنك أنت علام الغيوب
تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه
عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول
المذكور دخولا أوليا أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية الأدب حسبما وقع في الاستفهام وقوله تعالى
أن اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه
مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا أراعي أحوالهم و
أحملهم على العمل بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر
بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع إلى السماء كما في قوله تعالى

إني متوفيك ورافعك إلي فإن التوفي أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله عز وجل الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت أنت الرقيب عليهم لا غيرك فإنه ضمير الفصل أو تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر لكان وعليهم
متعلق به أي أنت كنت الحافظ لأعمالهم والمراقب فمنعت من أردت عصمته من المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال
الرسول وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وأنت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه إيذان
بأنه عز وجل كان هو الشهيد على الكل حين كونه فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة إن تعذبهم فإنهم عبادك
وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز أي القوي القادر الغالب على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب
والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران
الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أي من كفر منهم وإن تغفر لهم
أي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام وأشير إلى نتيجته ومآله أي يقول الله تعالى يومئذ
عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله عز وجل
هذا إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده أي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه إجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين
بالرفع والإضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الأمور الدينية التي معظمها التوحيد الذي
نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك وبه تكميل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام
ومن الأمم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الإيمان برسول الله عليه السلام لا كل من صدق
في أي شيء كان ضرورة أن الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم أي صدقهم فيما ذكر من أمور الدين
في الدنيا إذ هو المستتبع للنفع يومئذ واستمراره في الدارين مع أنه لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع وإنما
فلا وجه له وهذه القراءة هي التي أطبق عليها الجمهور وهي الأليق بسباق النظم الكريم وسياقه وقرئ يوم ينفع إما على أنه ظرف
لقال فهذا حينئذ إشارة إلى قوله عز وجل أأنت قلت الآية وإما على أنه خبر لهذا فهو إشارة إلى جواب عيسى عليه السلام أي هذا الجواب منه
يوم ينفع إلخ أو إلى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لأنه مضاف إلى متمكن وقرئ يوم
بالرفع والتنوين كقوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي الآية لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا استئناف
مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله عز وجل ورضوان من الله أكبر إذ لا شيء أعظم منه حتى يتعلق
إليه أعناق الهمم ذلك إشارة إلى نيل رضوانه تعالى وقيل إلى نيل الكل الفوز العظيم لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب
الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والأرض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه
على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أي له تعالى خاصة ملك السموات والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها
كيف يشاء إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وأمرا ونهيا من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك وفي إيثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير
تناولها للكل إعادة للأصل وإشارة إلى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسبما تساويا في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء
تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية والإهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الأشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال وإليه يؤول جميع نعوت
الجلال والجمال للإيذان بأنه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني
ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الإجمال من عظائم الآثار وجلائل الأفعال من قوله
عز وجل الذي خلق السموات والأرض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله به باعتبار أفعاله العظام وآلائه
الجسام أيضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي أجلها النعمة الوجودية
الكافية في إيجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الأنفسية والآفاقية المنوط بها
مصالح العباد في المعاش والمعاد أي أنشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين على أنواع
البدائع وأصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والأفكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لأولي
الأبصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها
وتقدمها وجودا على الأرض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا
بخلق منشأيهما ومحلهما داخل معه في حكم الإشعار بعلة الحمد كما أن خلق السموات والأرض وما فيهما لكونه أثرا عظيما
ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بجاعلها والجعل والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى
التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضا كما في قوله عز وجل ما جعل الله من بحيرة الآية وأيا ما كان
ففيه إنباء عن ملابسة مفعوله بالشيء إما بأن يكون فيه أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء
من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وجل وجعل بينهما
برزخا وقوله عز وجل وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فإن كل واحد من
هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان
فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله عز وجل يجعلون
أصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الأمر فيظن أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله عز وجل
إني جاعل في الأرض خليفة حيث قيل إن الظرف مفعول ثان لجاعل وقد أشير هناك إلى أن الذي يقتضيه الذوق
السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم أنه متعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول وأن المفعول الثاني هو خليفة
والأول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على
التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الأعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه بالحمد المستدعي لاقتصار
العبادة عليه كما حقق في تفسير سورة الفاتحة الكريمة مسوق لإنكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم
على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى أنه عز وجل مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل
من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه أي يسوون
به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد
وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية
والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم بالجنان أو بما يجب أن يؤمن به كلا أو بعضا عنوانا للموضوع
فإن ذلك مخل باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة

التمثيل والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى التنبيه على مدار الانكار والاستبعاد وللمحافظة على الفواصل وترك المفعول
للظهور او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل تنزيلا له منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول
هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل وبخلاقة بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله
عز وجل حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا يعدلون ويكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به عز وجل لا سيما باعتبار
ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فيجعل الكفران الذي عدل اليه الكلام
مقصود الافادة وانواع اعظمها من القيد المرفوع عنه مما لا مدخل له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف
على خلق السموات والمعنى انه عز وجل خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على
انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة
كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات
حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه
لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم مثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس
للمرام كيف لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه
تعالى اليهم لا ببيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى
جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها
وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف
مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم
لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها
واظهرها كما ورد في قوله عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم
فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ
اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما ان منشأ آدم الذي هو اصل البشر واما نسبة هذا الخلق الى المخاطبين لا
الى آدم وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه منه في ايجاب الايمان بالبعث
وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه
على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه ام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه ام من الطين خلقا للكل منه
ولما كان خلقه ام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من
المذكور ابهر وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابدا احال المخاطبين اولى بان يكون معيارا للانتفاع
ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله عز وجل ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله عز وجل وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية
المتكونة من الارض واياما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحيوة
قط كان على احيائه بعد مفارقتها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل واحد منكم اجلا خاصا به اي حدا معينا من الزمان
يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكمة البالغة واجل مسمى اي حد معين

لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله عز وجل ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى
من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه للتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان
الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير
ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار
الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل
الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين
الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه ان الله عز وجل قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له
من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا
ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول هو الاشبه الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى
والانسب بتهويله المنبئ عن مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق وبعضه من غير ان يتعين فيه شيء من التوالي لا يلائم
الحمل على المعنى الثاني بل لا يكون له حينئذ قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تأخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار
لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم
من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات
البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة
ومن ههنا تبين ان قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت وان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين
او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعاد
امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى بحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة في اي معنى يكون وصفهم بالامتراء
الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله
عز وجل وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الالهية تعالى لجميع المخلوقات واحاطة
علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم
وقوله عز وجل في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه
علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات
الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به
الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله عز وجل وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل
مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع الاسم الاسد في قوله اسد علي اي ما اشتهر به من وصف الجراءة
التي اشتهر بها مسماه مجري مجرى جريء علي وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات
وفي الارض او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف
الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا الاشتهار به الا يرى ان الكلام على ... اقتال

او هو المعلوم ... المشتهر بالصفات الكمالية منه

في الفعال المذكور لا يمكن تعلقها بالاشتهار الاسم بجواز قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه
قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تعلق به الكل من اطلاق هذا الاسم عليه خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك
به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سمعته من اعتبار معنى التوحد او القول فيحوي الكلام بطريق الاستتباع لا على
حمل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما
عبارة عن كونه مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح بكونه حضوريا منزلة كونه
عز وجل فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه عز وجل بما فيهما بحالة كونه فيهما فان العالم اذا كان في
مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه و
ما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا
للمعنى المراد وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال
المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل جاري على النمط المذكور
مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه
بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه عز وجل على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم
اذ ربما يتعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل وكل
في اتصاف ما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبود بالحق والاختصاص
بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهوم
العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر
عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله عز وجل فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف
المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل
سركم وجهركم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي قطر كان لا لانهما قد يكونان في
السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال
المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء
بها لا لاتحاد ما يتعلق به جزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم كلام مستأنف وارد لبيان
كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحد وفي
الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم
الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على
الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات
الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها
نزولها والمعنى ما نزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز
وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للايمان
عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما يفصح عنه واما الآيات التكوينية الشاملة
للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر

من جلائل

من جلائل شؤونه عز وجل الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها
وايثاره على ان التقابل الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله عز وجل وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم
على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة في محل النصب على انها
حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال
مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما ينبئ عنه كلمة لما في قوله عز وعلا فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به
فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء للترتيب بما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة
واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد حقق
ذلك المعنى كما في قوله عز وجل فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا
رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض
المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا
لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به آثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات
عند اتيانها فقد كذبوا بما لم يكن تكذيبا اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد
الموجبة لتصديقه كقوله عز وجل بل كذبوا بالحق بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله عز وجل فسوف يأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤون فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره باجمامه وتعليلا للحكم
بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان
بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات
الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي سيأتيهم البتة وان تأخر مصداق الشيء الذي يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه
وانما قيل يستهزؤون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر
واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا
معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الا
في هذا الوجه على ظاهرها اصلا واما ما قيل من ان الفاء للتعقيب انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما لا يليق بشأن التنزيل
عن امثاله ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيأتيهم بها الوعيد وتقرير
اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او
خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة
عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انها عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر
كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف
اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر
ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي
من قبل خلقهم ومن قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله عز وجل مكناهم في

الارض استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك
فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى التخصيص فاذا وليها ما يصلح لتخصيصها تعين وصفيتها
وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف
عليه من الجمل الاربع امورا غير مقصودة لسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا واهلكناهم بذنوبهم وانه بين الفساد والتمكين للشيء في الارض جعله
قارا فيها ولما لازمه جعله مؤاله ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله عز وجل ولقد مكناكم
فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله عز وجل ما لم
نمكن لكم بعد قوله عز وجل مكناهم في الارض كأنه قيل في الاول مكنا لهم في الارض او في الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة
بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات
لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا
السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي غزيرا حال من السماء وجعلنا
الانهار اي صيرناها فقوله عز وجل تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري
وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار
من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم
بذلك لاعظم العقوبات بل بيان مدارتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب
وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال
والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم
بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب
فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله عز وجل
وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته
عز وجل وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى
ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها
من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله عز وجل وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة
التنزيل هنا اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته ام في تحقق عدتهم فيما نزل
عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث
قالوا يا رسول الله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله عز وجل
وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله عز وعلا في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا
في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله عز وجل
بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله عز وجل وانا لمسنا
السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعد ما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بسكر
الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة ومن الكفر

الذي

الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرا الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين
كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع
في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس كذلك لما ان تلك
المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة
التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما
نقل عنهم فيما روي الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح
على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه صلى الله عليه وسلم نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود
اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا او
وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله عز وجل ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو
انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا يطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية الا يرى ان
الانبياء عليهم السلام كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك
وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك
لقضي امر اهلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا
والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفي ايراده تعالى
ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول [illegible]
للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري
على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله عز وجل ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو
المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب
واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله عليه السلام في صورته وهي آية لا شيء ابين منها
ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك
المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان
مدار جعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك
لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر
في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان
انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو جعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا
لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والتعبير عن الثاني
بالملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلناه ذلك الملك رجلا لما مر من عدم
استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة
وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله عز وجل وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف
لام الجواب اكتفاء بها في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر

بالنوبة وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حيث يقولون له انما انت بشر
ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات أُخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عم
ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او
لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر
عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وقد التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى
وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن
خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط
او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان
من مكروه فعله وقوله عز وجل بالذين سخروا منهم اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عم متعلق بحاق وتقديمه على فاعله
الذي هو قوله عز وجل ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور
على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله عم بان ينذر قومه
ويذكرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باولئك
الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف
كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم لان النظر في آثار الهالكين لا يتم الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت
في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل
فانظروا والآية واما لان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل جملتها النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا
بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين
للتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب
بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء
وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله عز وجل قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقوله عز وجل كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه و
قدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره
وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته عز وجل بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة
السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة
بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات
بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا
مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات

لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روى عن ابي هريرة رضه ان رسول الله عم قال لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضه انه قال لكعب ما اول شيء ابتدأه الله عز وجل من خلقه فقال كعب رضه
كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي
ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انهما من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير
عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله عز وجل وان اريد به الذات الا مشاكلة لما يرى
من نصفاء المنى الكلية ههنا بنوعيها وقوله عز وجل ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر
معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله عز وجل
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله
عز وجل الذين خسروا انفسهم اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل
من مشاهدة الرسول عم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ
او هم الذين الخ او هو مبتدأ والخبر قوله عز وجل فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان
والجملة تذييل مسوق من جهته عز وجل لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار
من الملوان بمنزلة المكان تعبيرا عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بفي كما في قوله عز وجل وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ
في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما بكتهم بما جرى
من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على
الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله عز وجل اغير الله ابغي ربا وقوله عز وجل افغير الله
تأمروني اعبد ايها الجاهلون فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ
فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه
اسهل لان البدل على نية تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضه ما عرفت معنى الفاطر حتى
اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق
وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها
مقرر لوجوب اتخاذه تعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله وفي
الشرك من هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل على ان الثاني بمعنى
يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله عز وجل يقبض ويبسط قل بعدما بين ان اتخاذ غيره عز وجل وليا
مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان
النبي عم امام امته في الاسلام كقوله عز وجل وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله عز وجل سبحانك تبت اليك
وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تكونن اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام

ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه صلى الله عليه وسلم من المعاصي على الاطلاق وقوله عز وجل عذاب يوم عظيم اي
عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة
وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل
والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله عز وجل يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد
جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل
فقد ادخله الجنة كما في قوله عز وجل فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه
ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجته وبعد منالته من الفضل وهو مبتدا خبره قوله عز وجل الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية وال
واللام للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك
الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك
من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين ياباه الفاء تذكره روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
اهدي للنبي عليه السلام بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك
يا رسول الله عليه السلام فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت
فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا
عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان
لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويامر الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام
في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله عليه السلام يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فاي مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله
عز وجل قل الله امر له عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم
في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله عز وجل شهيد خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز
ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين ليتحقق
المقابلة واوحي الي اي من جهته عز وجل هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار
لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين
او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد
بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ
كما مر في اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم
به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتاكيد انما هو اله واحد اي بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون
من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى اثر تعيين
الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس

المنتظم

المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله عز وجل يعرفونه اي يعرفون رسول الله
عليه السلام من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله
لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله عز وجل على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم
حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله عز وجل الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية
فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتشبيه الموصول بالشرط
وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله عز وجل فهم
لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان وصف النبي الموعود
في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك
وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة
ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم
وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المبالغة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا
لم يكن احدهما ازيد تحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه
عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته عز وجل وكلمة
او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه
الله عز وجل ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير
الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية
التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي
للدلالة على التحقق ولحسن موقع عطف قوله عز وجل ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف
والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما
للذين اشركوا اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه
واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله عز وجل الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم
شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينهم وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من
الاسباب والعلائق حسبما حكي بقوله عز وجل فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما لعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها
من ذلك الموقف واما لتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث

اي بعض غيرهم وانا لم يصرح به بقوله اي بظهور الامر
وفيه الايجاز في تصوير الفكر والتوافقا للمتوب
في الحذر منه عفي عنه

وهذا التفصي انما قيل من ان يحضروها ولكن لما لم ينفعهم حضورها كانت عن حقيقة الحضور

هو موصوف [illegible] من حيث [illegible] غاية الاتيان [illegible] حاضرة [illegible] او عبرا [illegible]
يقال ثم انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيظهر مكان خزيهم وحسرتهم وقيل ينشأ بعدم شعورهم بها
بحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها
معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل لهم في الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي
المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسمه والخبر الا ان قالوا وقرئ
بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع
الفتنة ونصبها ورفعها انسب بالمعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والا
مفرغ من اعم الاشياء الا جحوده والتبري عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه
كذب ووصفه عز وجل بربوبيته لهم للمبالغة في التبري من الاشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة
والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش
وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على الخطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا
فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم مجترأ على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه لا يقتضي بطلانه
قوله عز وجل انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي
انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فيجب
تنزيه ساحة التنزيل عنه قوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية
او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر
عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا
منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة
والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجب ومنهم من يستمع
اليك كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن المشركين من احكام الكفر غب بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تنويرا لما قبله
وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله
عز وجل ومنا دون ذلك اي وبعض منا او من موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم
الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات
اولئك المذكورين وقد مر تفسير قوله عز وجل ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر و
عتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة
ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة
من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته باعتبار معناه كما ان افراد يستمع باعتبار
لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله عز وجل ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كنان وهو ما يكن
به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الحكم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يعتبرها
قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها حاجزة مما يتعارفه

الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوه ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا
لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله عز وجل
على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له
وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانه خبر
بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهم باوصاف مانعة من التصديق
والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما يختلقونه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك
امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات
القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها
كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله عز وجل اذا جاؤوك
يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤوا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا
بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤوك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات
الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين فانه غاية الحسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم و
يجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع
سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي لا يقنعون بما ذكر من
تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون
عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في
تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان
ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك
بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني
سمحا بذاك مبينا وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب
وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله عز وجل وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون
الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليهم من غير ان يضروا بذلك شيئا
من القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عنهم مطلق الضرر ادعاء بما يؤدي اليه ما
فعلوا من القدح في القرآن الكريم المانعة من تمشي احكامه وظهور الدين للايذان بان ما يحيق بهم الهلاك لا الضرر المطلق
على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون قصرا بالنسبة
الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال
منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا
من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الرؤية والعيان قصدا الى بيان
كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الاهوال

الهيئة بل تحلل من بيان منه الرؤية فتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن
تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده
التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من
قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا
تمنيا للرجوع وخلاصا وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار وسوء
الآخرة باتقانها اذ هي التي تخطر ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا
ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من زمرة المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجراؤها مجرى الفاء ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضه وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية
ومن الفعل بعدها مصدر وبتقدير قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين
وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير
فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعليق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب
لكن تعلق ليتني رزقت مالا فاحسن اليك على صنيعك فانه متمن في معنى الوعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه
يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وجزمه وجهها بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب
عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة
في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا [illegible]
الدهيا وظنوا انهم مواقعوها فلهم حنها وسهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق
الكلام لتهويلها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له
لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله عز وجل هذه النار التي
كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها عن الناس
فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتاب
من صحة نبوة النبي عم ونعوته الشريفة وعن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين
والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فمستبعد الاعتبار عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من
ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الكريم لتهويل امر النار والتعجيب من فظاعة حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند
ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها
فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازهى الازاهي واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي
لا دخل لها في الهول والفزع مع عدم جريان ذكرها ثمة اصلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد به ما كانوا يخفون
من قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب
عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه

بالكلية

بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون
وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله عز وجل وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية
من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان
هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كان لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث
والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عن معرفتهم حق التعريف وقيل وقفوا على قضاء ربهم وقوله عز وجل
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس هذا
مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق توبيخا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع
ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استئناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال
يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استئناف كما مر فذوقوا
العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب
هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا
بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار
فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم
لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله عز وجل بقيام الساعة
وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله عز وجل حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة
اي فجأة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انها
مصدر مؤكد على غير الصدر فان معنى جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل
جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك وهي حسرة شدة الندم وهو التحسر
وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات
فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شأنها
وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله عز وجل على ما فرطت في جنب الله
وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع
الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في قوله جلدت البعير
وقوله عز وجل وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا وفائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من
الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول
ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما
والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت
ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات
والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم

وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين
بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى
اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وما
اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او ما هي من حيث انها محل لتلك الاعمال الا لعب ولهو يشغل الناس
ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية
من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة
عن المضار ولذاتها غير منغصة بالالام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء
للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله عم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب
والمبالغة فيه ببيان انه عم بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه عز وجل في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة
اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله عز وجل قد يعلم ما انتم عليه وقوله تع قد يعلم الله الذين يتسللون
ونحوهما باخراجها مخرج الجهل بمعنى التكثير حسبما تخرج اليه ربما في مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود
جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير يقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي
وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر
من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد
اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه عز وجل كثرة تعلقه وهو متعد الى
اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة والموصول فاعل يحزنك من احزن المنقول
من حزن اللازم وقوله عز وجل فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا
لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم المبالاة به بل بالاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل قيل
فانه مع كونه بطريق التسلية بالطريقة ما يوهم كون خاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يعقبه من بلوغه عم في جلالة القدر
ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عم تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة
قوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عم واثبت لاياته تع على طريقة قوله عز وجل ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عم في شان الله عز وجل ثم فيه استعظام لجنايتهم مبني على
عظم عظمة شانه كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله عز وجل فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون اي ولكنهم بايات الله عز وجل يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم
هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تع وايراد
الجحود في مورد التكذيب للايذان بان اياته تع واضحة في اعلى مراتب الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما
ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وهو المعنى بقول من قال انه نفي عنه ما في القلب ثباته واثبت ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه
وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى

فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي عن ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني
عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقد روي عن ابن عباس رضه ان رسول الله عم كان
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله عم ما نكذبك وانك عندنا الصادق
ولكنا نكذب ما جئتنا به وكان صدق المخبر عند الحنفية بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي تستدعيه جزالة
التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه
وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب
الى ما جاء به لا اليه وقوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته عم فان عموم البلية ربما يهون امرها
بعض تهوين وارشاد له عم الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عم في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة
ضمنية له عم بمثل ما منحوه من النصرة وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت
او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا
من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله عز وجل واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فان
منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم
اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء ولم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد
للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله عز وجل حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان
بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع لهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر
وقوله عز وجل ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلمات الله تع ما ينبئ عنه قوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا
ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عم الدالة على نصرة رسول الله عم ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار
بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله عم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد
بكلماته تع جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيه المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول
من الاقوال وقوله عز وجل ولقد جاءك من نبا المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما
في ضمنه من الوعد لرسول الله عم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور وكلمة من تحتمل الرفع على انه
فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبا المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبا المرسلين كما في قوله عز وجل
ومن الناس من يقول امنا بالله الاية وايا ما كان فالمراد بنبائهم عم على الاول بعض اخبارهم وعلى الثاني
جميع ما جرى بينهم عم وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى الخبر كائنا من نبا
المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر
لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي

عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله
ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان
اذا سألوا آية يود ان ينزلها الله عز وجل طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله عز وجل اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة الى
تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو
المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط
الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم
الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء
تعرج فيها فتأتيهم منهما بآية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم تفسيرية
وتنوين آية للتعظيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فيحصل لك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما صفتان لنفقا و
سلما والاول ادخل في التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي
تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغه صلى الله عليه وسلم في حرصه على اسلام قومه وترامي الحد حيث
لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان
بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله ان يجمعهم على ما
انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام
منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة
اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله عز وجل فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم
والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته عز وجل بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه
عز وجل لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق
شؤونه عز وجل التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته عز وجل بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه
عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه صلى الله عليه وسلم من المساعدة
على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم انما يستجيب
الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل
الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون
ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله عز وجل انك لا تسمع الموتى وقوله عز وعلا والموتى يبعثهم الله
تمثيل لاختصاصه عز وجل بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم
على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى
من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من
رجع رجوعا وهو المشهور اوفى بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه عز وجل بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه
حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحرث

بن نوفل واصحابه وقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال
حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف وما بعده
والتعرض لعنوان الربوبية عز وجل من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التهكم بهم من جهتهم واطلاق الآية في قوله عز وجل قل ان الله

قادر

على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفن البليغ مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان
يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع
ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته عز وجل على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار
للايذان بان عدم تنزيله عز وجل اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك
بقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف
مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه عز وجل قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية اي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون
ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قطعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية
فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما
يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله عز وجل وما من دابة في الارض كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه عز وجل قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من
لتأكيد الاستغراق وفي الارض متعلق بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من افراد الدواب
يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا
طائر يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر
الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل منها مثلكم في ان احوالها
محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية
ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه
ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفل فقوله عز وجل في الكتاب اي في القرآن على
الاول ظرف لغو وقوله عز وجل من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة
من جملتها بيان انه عز وجل مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للمفعول ومن شيء في موضع المصدر اي ما
جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل
وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله عز وجل ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها
في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير بالامر اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كالامم
لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام
تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول
عبارة عن المعهودين في قوله عز وعلا ومنهم من يستمع اليك الآية ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا في القرآن
جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك

يستمعون بها اساطير الاولين ولا يعد ويخاصم الآيات ويعرضون عنها وبكم عليها بعدها رون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة
بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في
قوله عز وجل صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم
اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا ما بنوع
عبرة وان لم يفهمه بعبارة وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات
فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله عز وجل من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا
لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق
الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله عز وجل ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل أرأيتكم امر لرسول الله بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير
والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت
او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي
او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله عز وجل ان كنتم صا
صادقين متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في
ان اصنامكم آلهة كما ادعوا لكم المعرفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان
صدقهم يأبى معنى لما ان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره عز وجل واما جعل الجواب ما دل عليه قوله عز وجل اغير الله تدعون اي
فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان
ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله عز وجل بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار
انباء جليا كأنه قيل لا غيره عز وجل تدعون قوله عز وجل فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر
دعائكم وقوله عز وجل ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله
عز وجل بعلمها فقد يتفضل عليهم بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يتفضل كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق
بكشف العذاب الاخروي ومن جملته الساعة وقوله عز وجل وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به عز وجل من الاصنام
تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن
الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله عز وجل ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله
تع عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية
وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم
لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم
اي فكذبوا رسلهم فأخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا [illegible] مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك على المعنى اي فلم يتضرعوا
اليه عز وجل برقة القلب والخشوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة

وازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطر
ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى
قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه النظم
الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج
الاستدراج كما روي انه تعالى قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان
التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
كما في قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله عز وجل فتحنا او لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا
حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا
فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة
الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع المضمر
للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب
العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة
واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم قل أرأيتم امر لرسول الله
عم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار
عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية
وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور
فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرد عليه من المدركات فاخذهما سد لبابها بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم
السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله عز وجل من اله مبتدا وخبر ومن استفهامية
وقوله عز وجل غير الله صفة للخبر وقوله عز وجل يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى
له والجملة متعلق بالرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله مشاعركم من اله غير الله يأتيكم بها وقوله عز وجل انظر
كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله عم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة
من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم
يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم للاستبعاد اي ثم هم بعد ذلك يصدفون عن الآيات
بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل أرأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص
العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه
مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله عز وجل او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا ونهارا كما في قوله
بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة واتيان
جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص
الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه عز وجل حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه
وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان
وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وياياه

مخصص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار محذوف كأنه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه بغتة او جهرة ما
ذا يكون حالكم ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمعنى الهلاك
بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة و
رفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين
كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عم واظهار ان ما يقترحه الكفرة
عليهم ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله عز وجل
الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فيهما منوط العلة الغائية
قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي الكفر وهم بخبر التبشير والانذار بخبر الصغائر
دينيا كان او دنيويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والا لزم ان لا يكون بيان الشرائع
والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله عز وجل فمن امن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء
في قوله عز وجل فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه
دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق
المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها لا يعتريهم بالوقوف
ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة
الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الاترى
ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء
الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء
الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما ضربت يفيد الاختصاص اي اختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل
والذين كذبوا عطف على من امن داخل في حكمه وقوله عز وجل بآياتنا اشارة الى ما نطق به الرسل عم عند التبشير والانذار
ويبلغونه الى الامم آياته عز وجل وان من امن به فقد امن بآياته ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان
به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى وما نرسل المرسلين الا لتبشير امم من جهتنا باستقرار مناخ الامور السارة
والضارة لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم واسندوا من قبلنا طبق تبشيرهم عليهم بالتبشير فاذا كان الامر كذلك
فمن امن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف ولا هم
يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي يبلغونها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا
او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس في السنة الالهية من ان ارسال الرسل وانزال الكتب
مسوق لاظهار تبرأهم عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك
لا ادعي ان خزائن مقدوراته عز وجل مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما شاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الايات
او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرأ عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله
عز وجل ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله عز وجل حتى تسألوني عن
وقت الساعة او وقت نزول العذاب ونحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات

فائدة عجيبة

ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي
الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل
بمقتضاه حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ان اتبع الا ما يوحى الي لا على تخصيص اتباعه بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر
الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل
والاثبات في القيد بل على تخصيص حاله عم باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال
لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما
يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال خاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص
يقومه فان معنى فعل النصر فيه كذلك ويدل على ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء
او بوجه من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد
انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى
وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله عز وجل افلا تتفكرون توبيخ وتقريع داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا
وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعدما حكى لرسول الله عم ان من الكفرة
قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة فلا يغني منهم بالكلية ويلحقوا
بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي القاء فابوا الا الاباء والتكبر ونحى فيهم عظة و
لا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر عم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم
للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم
الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث
البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة اصنامهم فهم خارجون
ممن امر بانذارهم وقد قيل المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي
باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه
بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي
لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله عز وجل ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشرون ومن
متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يعلق
بما في حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين
بنصرة غيره عز وجل ثم انه المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي يعتقد
بما في حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية غيره عز وجل لهم كما في قوله عز وجل وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه كما في قوله تعالى ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم

على زعمهم وعن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون
نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله عز وجل لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال
من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من المرسول اليه اي انذرهم راجيا انت تقواهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
لما امر عم بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عم عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طرد المتقين روي ان رؤساء
من المشركين قالوا لرسول الله عم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت
قال عم نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عم لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة
بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب
فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا
اياه فاتى ابو طالب الى النبي عم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون
وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم
من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي عم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عم حقروهم فاتوه عم فقالوا يا رسول الله
لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عم ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان
ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت فقال عم نعم قالوا فاكتب لنا
كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عم بالآية فرمى عم بالصحيفة ودعانا فاتيناه
وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرئ بالغدوة وقوله عز وجل يريدون وجهه حال
من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد علية للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد
للطرد وقوله عز وجل ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا
لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي
اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك
حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور
كقوله عز وجل ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله عز وعلا وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة
في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عم بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عم عليهم على طريقة قوله تعالى
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد
على نهج قوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد
النفي على اختصاص حسابهم به عم اذ هو الداعي الى تصديه عم لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم
حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله عز وجل فتطردهم جواب النفي وقوله عز وجل فتكون
من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض

استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه عز وجل
لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انه
نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم
القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض
الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله
عز وجل ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش في
الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده
عز وجل من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم
لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله عز وجل اليس الله
باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة والاعتراف
بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا الانعام عليهم وفيه من الاشارة
الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله عز وجل في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له عز وعلا على ذلك مع التعريض
بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان
بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته عز وجل بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف عن
الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله
عز وجل فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل تبليغ سلامه عز وجل اليهم وقيل امر بان
يبدأهم بالسلام وقوله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان
بالذات لا بتوسط شيء اصلا اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وحصول المثوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى النبي عم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما
فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله عز وجل انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بالكسر على انه تفسير للرحمة
بطريق الاستيناف وقوله عز وجل بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان
بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سوئه واصلح
اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ بالكسر على انه
استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات
مر انفا ما فيه من الكلام اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل
مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له
فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل
من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين
فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر عم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم

من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعاً لاطماعهم الفارغة عن ركونه اليهم وبياناً لكون ما هم عليه من الهوى
هوى محضاً وضلالاً بحتاً اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد
الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائناً ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناءً بشأن المأمور
به وايذاناً باختلاف القولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته عز وجل من النهي والثاني حكاية لما من جهته من الانتهاء
عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالاً لهم وتنصيصاً على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة
وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلاً واشعاراً بما يوجب النهي والانتهاء وقوله عز وجل قد ضللت اذاً استئناف
مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله عز وجل وما انا من
المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار
كما توهم اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله عز وجل قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله
وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل
والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله عز وجل من ربي
متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله عز وجل وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء
بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار
المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله
ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأً لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب
الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما
تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه او ليس
امره بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلاً وتأخيراً او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولاً اولياً
الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله عز وجل يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه عز وجل
في الحكم المعهود او جميع احكامه المنتظمة له انتظاماً اولياً اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضي
الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اي صنعها واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم
انتم حيث اشركتم به معه غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى
بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلاً قل لو ان عندي اي في قدرتي
ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضاً الي من جهته عز وجل لقضي الامر بيني
وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان
بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلاً غضباً
لربي ولتخلصت منكم سريعاً بمعزل من توفية المقام حقه وقوله عز وجل والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده

الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضاً اليه المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين
وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم
وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به عز وجل من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به عز وجل من حيث القدرة
والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح
واما جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناءً على الاستعارة الاولى
اي عنده عز وجل خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من
حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدوراً لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوماً لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص
به عز وجل قدرة وعلماً فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله عز وجل ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه بالمشاهدات
اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيهاً على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف
اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله عز وجل وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها
فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون
احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله عز وجل ولا حبة عطف على ورقة وقوله عز وجل
في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه عز وجل اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله
عز وجل الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه عز وجل او بدل الاشتمال
على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفاً على محل ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام
لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضاً وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على
استعارة التوفي من الاماتة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار جنسهما المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق
قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه عز وجل ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم
ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص به الآخر للجري
على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله عز وجل ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم
من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة
ويمهلهم على التوفي بل كما ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما
تجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت
لا الى غيره اصلاً ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه عز وجل مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى
من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث معللاً بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره
يفعل بهم ما يشاء ايجاداً واعداماً واحياءً واماتةً واثابةً وتعذيباً الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام
الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق
بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمفعول محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون

ولا رطب ولا يابس

عليكم كاتبا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر
له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله
حتى اذا جاء احدكم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها
كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته
رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح
احدى التاءين وهم اي الرسل لا يفرطون اي بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل استئناف سيق لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله عز وجل ثم ردوا عطف على توفته والضمير
للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على
الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث والحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق
لا ناصرهم كما في قوله عز وجل وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ
صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله
حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
اي قل لهم بطريق التقريع والتبكيت من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير
لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم
من الانجاء والمعنى واحد وقوله عز وجل تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له
او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله عز وجل تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له
اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله عز وجل لئن انجيتنا حال
من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات
لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن
انجانا مراعاة لقوله تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امره بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان
بانهم لا يجيبون بغيره ... الشدائد المذكورة وقوله عز وجل ثم انتم تشركون ... اي والله تعالى ينجيكم ... تشركون
ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعمة الجليلة تشركون بعبادته عز وجل غيره وقوله عز وجل
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك
اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب
البر الى قوله عز وجل ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به
والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل الامر المؤخر وقوله عز وجل من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف
وقع صفة لعذابا اي كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم
او من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او
لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء
شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي • وكتيبة لبستها بكتيبة حتى
اذا التبست نفضت لها يدي • ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يبعث وقرئ نذيق بنون العظمة على طريقة الالتفات

لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله ﷺ انه قال
عند قوله عز وجل عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله عز وجل او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله عز وجل
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه ﷺ انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال
الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب
الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء
حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من
اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله عز وجل وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة
او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل
لهم منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت من العهدة حيث اخبرتكم بما
سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه
مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا
او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله عز وجل ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم
والقيام عنهم وقوله عز وجل حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في
حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار
كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض
ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم
من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها
وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او لما الحجازية
على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على رأي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او
جارا ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير
ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا او
الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز
كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه
وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا او بنوا امر دينهم على ما لا يجدي نفعا كالعاطل ... عن
الجد او اتخذوا ما يصدر عنهم لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض

عنهم ولا يبالي بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمأنوا بها حتى
زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله عز وجل ان
تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله عز وجل علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه متمنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك
اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه
مفسرة له كما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم على انه بدل من ضمير
جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله عز وجل ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استيناف
مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه
حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله عز وجل علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف
هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله عز وجل وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس ولها متعلق بمحذوف على البيان و
وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار
والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله عز وجل ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي به لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله عز وجل
الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك
المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا ابسلوا اي اسلموا بما كسبوا من القبائح وقوله عز وجل لهم شراب من حميم
استيناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا
فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون
اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذاب على كفرهم مع انهم
معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله عز وجل بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد
بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس الدال عليها نفس ومحله الرفع
بالابتداء والموصول صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا
ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما
بينهما من الاتصال والاتحاد وتنويها بشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها
القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى
ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه
بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه
الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز
الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله عز وجل بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق
لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كأنه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل
بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله عز وجل كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع
نرد اي انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت

لمصدر محذوف اي نرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب
فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله عز وجل في الارض متعلق باستهوته او بمحذوف
هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله عز وجل حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجوزها
او من الذي او المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله عز وجل له اصحاب جملة في محل النصب
على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستأنفة سيقت لبيان حاله يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لهذا المستهوي
رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم مسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه
او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق
المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى
وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله عز وجل فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشأن المأمور به
ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب
الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين
لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله عز وجل قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كأنه
قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف
الباء وقوله عز وجل وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله عز وجل في حيز النصب عطف على لنسلم على الوجوه الثلاثة
على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد هو عن معنى الامر كما يتجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على
الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه عز وجل وعلى الاخيرين امرنا
بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته عز وجل للعالمين لتعليل الامر وتأكيد وجوب الامتثال
به كما ان قوله عز وجل وهو الذي اليه تحشرون جملة مستأنفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات
والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله عز وجل
بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به
وقوله عز وجل ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه لما ذكر من السموات والارض ليس مما
يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء اخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد
المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بمعنى
داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة
كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء حين تعلقه به لا قبله ولا بعده
من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم
الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك
الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ
او مبتدأ او خبرا او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها
او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها فتأمل في التأمل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد
اختصاص الملك به عز وجل بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة

فائدة في اللام ومعناها اذا كان بان المصدرية

في الدنيا المصححة للمالكية المجازية من الجملة كقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمها
وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ام معطوف على اقل
انه عطف لا على ادعوا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضر وحققت ان الهدى هو
هدى الله عز وجل وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام
فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان
قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو عطف
بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو صفة له لكنا
اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو
دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة
على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ا ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة
قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين
اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار
والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى يفهم من قوله اني اراك وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه
نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته عز وجل
ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له عز وجل لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على
زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز وجل وسلطانه او لا
فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام عن السموات
والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض
الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الرؤية بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام
من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا
ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة
البصرية المعتادة يشترك فيها كل الناس وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره دلائل الربوبية
واللام في قوله عز وجل وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة
الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله عز وجل فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول

الى اقصى الغاية القاصية لكمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام
المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق
والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينبئ عليها الكلام اي ليستدل وليكون الخ فمعنى ان يراد بالملكوت بدائعهما وآياتهما لان
الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله عز وجل فلما جن عليه الليل على الاول
وهو الحق للبيان عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق و[illegible]
فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر
ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام
باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات
والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله عز وجل رأى
كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن
الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة
وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المنبئة على بيان ان اراءته
عليه السلام ملكوت السموات والارض كان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة اي حالها
حكاية لقيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال و
ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام
لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في
المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان الطفولية
واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله عز وجل وليكون على ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل
بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي
من الارباب المتنقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم [illegible]
من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب
السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم
الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك
في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب
قريبا منه وافقه الشرقي مكشوف له والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله
عز وجل فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال على النهج السابق هذا ربي
وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى
باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله
عز وجل هذا اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان

ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا
بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذين تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة
لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم وتعليقه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج
على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق المذكور قطعا لكن لما
كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الاول على الحكم
المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور
منافاة بينة تكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ منهم توجه الى مبدع هذه
المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام التي تعبدونها من
ابداعها والارض التي تحملها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من
المشركين في شيء من الاقوال والافعال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عم حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه
من محاجته عم مع قصورهم عن تلك الرتب وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في الوقاية
وقرئ بحذف الاولى وقوله عز وجل وقد هدان اي حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عم مهديا من جهته عز وجل
مؤيدا من عند الله مما يوجب استحالة محاجته عم اي اتجادلونني في شانه تعالى ووحدته ووحدانيته والحال انه
هداني الى الحق بعد ما سلكتم طريقتكم بالنظر والتقدير وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه وقوله عز وجل ولا
اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عم في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عم
قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عم بآلهتهم ما فعل وما موصولة
اسمية حذف عائدها وقوله عز وجل الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما
تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته عز وجل شيئا من اصابة مكروه بي
من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عم اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى
وسع ربي كل شيء علما كأنه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه
من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره عز وجل افلا تتذكرون
اي أتعرضون عن التأمل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة
على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على
التذكر وقوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عم بحسب زعم الكفرة بالطريق
الالزامي بعد ما نفيا عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله
عز وجل كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله عز وجل كيف تكفرون بالله
الآية وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب ان
يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده
من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ

والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عم ومفيد لاعترافهم بذلك
فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عم في محل الامن اولى واحرى اي كيف اخاف انا ما ليس
في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض
ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله عز وجل ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان
بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة و
حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار
والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى
الى نفي الخوف عنه عم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع
مما لا مساغ له على ان قوله عز وجل فأي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عم
في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عم لما هو عليه من الامن وبعدم
استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف
بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما
عليه النظم الكريم على ان يقال فأينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي
عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة
المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا او متروك بالمرة اي
ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف فاخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب
الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون
حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب
والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه
بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر من ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله عز وجل لهم الامن جملة من خبر
مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك
بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون
لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له
والجملة خبر للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون
الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضه وقالوا اينا لم يظلم على نفسه فقال عم
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق
بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم
المعصية التي تفسق بها صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة
الى ما احتج به ابراهيم عم من قوله عز وجل فلما جن عليه وقيل من قوله عز وجل اتحاجوني الى قوله تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة
من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو درجته في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل حجتنا خبره وفي

اضافتها الى نون العظمة للتفخيم بالالتفات وقوله عز وجل آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه
حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله عز وجل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو
الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدا وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله عز وجل على قومه متعلق
بحجتنا ان جعل خبر المقوله تلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها نرفع بنون
العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة
وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله
عز وجل من نشاء وتأخيره على الوجوه الثلاثة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف
اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك
سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستانفة مقررة
لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الخ ان
ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل
لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عم موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال
ابراهيم عم اظهار لمزيد لطف وعناية به عم ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله عز وجل وتلك حجتنا فان
عطف كل من الجملتين الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان
له محلا من الاعراب نصبا ورفعا فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين
للرابط ولا سبيل اليه هاهنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة
الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم
وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عم
لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ايتاء
الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي
الى ملته من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عم فلو كان
الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي
عن ابن عباس رضه ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم عم وان كان فيهم من لم يلحقه بولاد من قبل
ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم عم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله عز وجل عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد
الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمن منصوبان بمضمر
معطوف على ما سبق وكذا ما عطف عليهما ومن ذريته متعلق به وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من
نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص
من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم
من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عم ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة
جزائهم لجزائه عم مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة

من كل وجه ضرورة ان جزاءه بكثرة الاولاد الانبياء مما يختص به ابراهيم عم والاولى ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى
مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف
لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين
المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه المصدر
المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان
الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي و
قد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا وهو ابن اذن
ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عم كل اي كل واحد من
اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي
والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على
القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما
في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو ابن متى
ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابراهيم عم وكلا اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون
بعض على العالمين اي على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كما قبلها وقوله عز وجل ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم
اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف
على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير
وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى
البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة
الى انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال
المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم
عم باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد
كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان
يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة
او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين
هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله عم وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام
بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد
دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في موضعه قال ابن عباس رضه ومجاهد
هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي عم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف

موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه تحقق خروج
عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بالنسخ خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة وقيل
هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو
شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها
فان حسبكم قوما للتفخيم والباء الاولى صلة للكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم صلة
وكل على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال
بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء
فلا اعتداد اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما اجلاء ما هم بها بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل
بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف
المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام
فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره وقوله عز وجل الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم
طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء
في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء
بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية عن المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق
الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الانبياء ع م وهذا من جملة ما امر بالاقتداء به من هداهم
بهم فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته عز وجل فلا يختص بقوم دون
وما قدروا الله لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه عز وعلا على كافة الامم حسبما نطق به قوله عز وجل وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم آياته وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية
واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء
في مقداره واحواله واوصافه وقوله عز وجل حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما
اضيف الى موصوفه نصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة
عليهم ولم يراعوا حقوقه عز وجل في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين
بنعمه الجليلة فيها ما انزل الله على بشر من شيء فنفوا معرفتهم لقدره عز وجل كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له عز وجل
بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل قوله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط وقيل ما عرفوه في قدرته تعالى
ينبغي مع عدم الشعور بحقيقة بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي مستقصرا لمعرفته وعبادته عز وجل
ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه
عز وجل حسبما نطق به القرآن حين اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعنى حقيقي والقائلون هم
اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله ع م فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث
قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي

ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله ع م انشدك الله الذي انزل التورية على موسى هل تجد
فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضه فقال ما انزل الله
على بشر من شيء فتبرؤوا منه وعزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم من القضايا
الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير
وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله عز وجل نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي حال كونه
واضحا بنفسه على حاله من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله عز وجل للناس متعلق
بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط
بل بانزال القرآن فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى
عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات متفرقة
بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء
صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية والجملة حال كما سبق وقوله عز وجل تبدونها
صفة القراطيس وقوله عز وجل وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل
كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي ع م وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال
الثلثة بالياء حملا على ما قالوا وما قدروا وقوله عز وجل وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه
باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين قلت ينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع
ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من
الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ علومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عبارة عما تلقوه
من جهة النبي ع م زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما نطق به قوله عز وجل
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان ما تلقوه من القرآن الكريم ليس مما
عملوا بالتورية انما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له نفيا ولا اثباتا وانما ما ورد بطريق البيان
لكان مدار ما فعلوه بها من التبديل والتحريف لسبب وقوعهما من التباس واشتباه الحال فيتعلموا عن ذلك
بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حالية عن تاكيد التوبيخ فلا يصح ان يقع موقع الحال بل الوجه ح ان يكون استينافا
مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى
جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما افصح عنه قوله عز وجل قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب فان ظهوره وان كان زجرا لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما
يعلمه العالمون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله عز وجل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله عز وجل
قل الله اي انزله الله امر لرسول الله ع م بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا
على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال
من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم والمؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من
الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لانزال القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما
بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم العوائد مصدق الذي

من بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف بهما او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك
والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذارك اهل مكة
وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها مخاطبة ايذانا بان انذار اهلها مستتبع لانذار اهل الارض
كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون
بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر
والتأمل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات
التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من تحليل
وتحريم كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه والمساواة من غير تعرض
لنفي المساوي والمساواة فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل
فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته عز وجل ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه
شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال
عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد
قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير
امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوا
انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي
العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ
الولد ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون
بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاصنام التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف لتأنيث الجمع ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلث
وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وحال ثانية عند من يجوز
تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا وبهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا
كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا
ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق
العبادة لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم كما يقال جمع بين الشيئين اي وقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد
الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم
وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله عز وجل الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر

تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب
والنوى اي خالقها كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا
بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة
لما قبلها وقيل خبر ثان لان قوله عز وجل ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق
الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشأن هو
الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح
خبر ثان لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار
واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه
التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله عز وجل لتسكنوا فيه
وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب
تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني اذا كان بمعنى الماضي لانه لما
اضيف الى الاول تعين نصبه الثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة
يجعلهما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف
اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات والحسبان بالضم
مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك
التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص
العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي
جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته عز وجل في الكواكب اثر بيان نعمته عز وجل في النيرين وجعل متعد الى واحد
واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها
لاجلكم فقوله عز وجل لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل الاشتمال كما في قوله عز وجل لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها
وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في
اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله عز وجل في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر
واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات
على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات
التكوينية الدالة على شؤونه عز وجل مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في
الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من
نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه عز وجل دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عم
فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض
او موضع استقرار واستيداع في الارحام او تحت الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الاصلي الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم
في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس

هو واضح وقرئ مستقِر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات
المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر
فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار فيه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون
كما ورد في شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه عز وجل مبنية عن كمال قدرته وسعة رحمته اي انزل
من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم
اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شانها النمو
من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما
يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله عز وجل فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج
وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور والخضر
ما يستعمل لخضر كما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله عز وجل نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض
على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله عز وجل ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله
عز وجل من النخل خبر مقدم وقوله عز وجل من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله عز وجل قنوان
مبتدا اي حاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او من النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها
ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها
القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله عز وجل سرابيل
تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب
وقرئ وجنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل
قنوان وجنات من اعناب ولعل زيادة الجنات هنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان
الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله عز وجل مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي
به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه
وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف
الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشيها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا
اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي الى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون
شيئا جامعا للمنافع جمة بالغة ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار
اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع القادر الحكيم ووحدته فان
حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب

لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يعانده
او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم لله
الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وتسموا
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله عز وجل او عبدوا الاوثان بتسويلهم
او تحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله عز وجل
شركاء الجن وقدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه
للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال
مقدر نشأ من قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله عز وجل فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي
حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على الاضافة
للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة
والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه عز وجل خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه عز وجل خالق الجن
فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له عز وجل وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم
حيث نسبوه اليه عز وجل وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى و
قرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل
رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم برتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر
قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا
كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء
اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري
وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه
وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على جنس الاسم
الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران
لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه
الى ذاته المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى عطف على الفعل المضمر لا محالة وما
في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل عما يصفون اي متباعد عما يصفونه من ان له شريكا وولدا بديع السموات والارض
اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ
بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله
امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور
اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر
بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح

وبجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او
فاعل بتعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بين الفعل والفاعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله عز وجل انى
يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستأنفة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه عز وجل وتقرير تنزهه عنه وقوله
عز وجل ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له
ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته
انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ
لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضميره عز وجل والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا
او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية
الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله عز
وجل وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها
اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما
سموه ولدا له عز وجل فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان
مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب
عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي
من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها
من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل
النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين
بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله عز وجل الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي
ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة ومالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل
شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي
وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل بتقدير لكل من الاخبار الثلثة
مبتدا وقيل جعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله عز وجل فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات
كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله عز وجل وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو مع ما فصل من الصفات
الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية
لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول
اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وحمل عطاء عليه كلت ابصار المخلوقين
عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما
لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو
يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله عز وجل
قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي عليه السلام والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما

ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن
لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق
والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه
اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا
وضل عنه وانما عبر عنه بالعمي تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها ووبال عماه وما انا عليكم بحفيظ
انما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع
نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله عز وجل وليقولوا
درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السابق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف
المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف الآيات لنلزمهم
الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون
فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه
ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا
اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتدت دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا عليه السلام وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات
وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا عليه السلام وهم اهل الكتاب ودرس محمد ودارسات اي قديمات
او ذات دروس كعيشة راضية وقوله عز وجل ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير
للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي لنفعل التبيين واللام في قوله عز وجل لقوم يعلمون متعلقة
بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنه هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم
للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات
عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك
من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف ما لا يخفى
وقوله عز وجل لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في التوحيد وقد جوز
ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها
ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم
حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى
لا يريد ايمان الكافر لكن لا على معنى انه عز وجل يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه عز وجل لا يريده منه لعدم صرف اختياره
الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا
مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم
وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام ورعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا

الله عدواً تجاوزاً عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله عز وجل وبما يجب ان يذكر به وقرئ
عدواً يقال عدا يعدو عدواً وعدواً وعداءً وعدواناً روي انهم قالوا لرسول الله عم حين نزل انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا لئلا
يستتبع سبهم سبه عز وجل وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك
اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً او تخذيلا
ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله عز وجل لهم
ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على
الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة مبنية
على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته
الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة
كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة
ولذلك قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالاعمال الكفرة قد برزت لهم في النشأة بصورة تستحسنها
الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون
ان اعمالهم ماذا فيعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله
واقسموا بالله روي ان قريشاً اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله عم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني
فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعاً فسأل المسلمون رسول الله عم ان ينزلها طمعاً في ايمانهم فهم صلى الله
عليه وسلم بالدعاء فنزلت وقوله عز وجل جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا به عز وجل جاهدين في ايمانهم لئن
جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو
والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرامهم
بوضعهم في ذلك الا التحكم على رسول الله عم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها
الارض او تسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولاً اولياً عند الله اي امرها في حكمه
وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تعلق لها ولا لشأن من شئونها بقدرة احد و
لا مشيئته لا استقلالاً ولا اشتراكاً بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى
سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة
للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله عز وجل لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او
القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله عز وجل وارادته حتى
يجابوا بذلك وقوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته
عز وجل لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق
التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعاً في اسلامهم واما معه عم بطريق التعميم لما روي عنه عم من الهم بالدعاء وفيه
ان ايمانهم فائت وابائهم مما لا يدخل تحت الوجود والسبب ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع
الانكار هو وقوع المشعور به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعور به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت

لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعاً في ايمانهم فكأنه مبسط عذراً
من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعور به جميعاً اي اي شيء يعلمكم
ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعاً في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق
انك تشتري اللحم وانك ولعلك وعلك كلها بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم
قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله عز وجل وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره
اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه
انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة
تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية على ان الخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
لا يؤمنون فيخرج الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال
نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعاراً باصالتهم في الكفر وحسماً لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ
من تقليبه عز وجل مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات
السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون
بل يكفرون كفراً كائناً ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم
عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته
بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم
بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلاً ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم
كما اشرنا اليه وقوله عز وجل في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله عز وجل يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي نذرهم في
طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء على اسناده
الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به
قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان
انها في حكمه عز وعلا وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ
وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه هنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم
لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لوما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه
بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلاً بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق
النبي عم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله عز وجل او تأتي بالله
والملائكة قبيلاً اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة
بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل بمعنى قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف
اي حشرنا كل شيء نوعاً نوعاً وصنفاً صنفاً وفوجاً فوجاً وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي
او مقابلة وعياناً على انه مصدر كقبلاً وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد

عامهين

جـ الثامن

وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك قبل فلان حق وانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح ولا استقام
لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما
ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله عز وجل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته
المذكورة الا في حال مشيئته عز وجل لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته عز وجل
وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته عز وجل ايضا كذلك بل بيان ان
استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم كما
ما سبق في قوله ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد
ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم
بلا مشيئة الله عز وجل لما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما
هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ووجهه الى جهلهم بعدم مشيئته عز وجل اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر
المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم مشيئته عز وجل لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة
مقررة لمضمون قوله عز وجل وما يشعركم الاية على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم
مشيئته عز وجل لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمنشأ خطأ المقسمين
ومناط افتتانهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون و
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدا مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرى منهم من عداوة قريش له وما يقولون
عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والاباطيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء ومحل
الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا
والتقديم على الفعل المذكور للقصد للتقييد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلناه في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ولا يؤمنون
ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكائد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا
انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه عز وجل للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة النوعين على
ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين
التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني للمسارعة الى بيان العداوة
واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله عز وجل يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان
احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة
عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الالقاء والقول السريع اي
يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اي
المموه منه المزين الباطل ظاهره باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين
او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام
وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام المنبئة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة

ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله عز وجل ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك
وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله
عز وجل فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه السلام اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون
المفاسد بمشيئته عز وجل فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب
حميدة لابتناء مشيئته عز وجل على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة
على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداه من الامور
التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه
النشأة بالمكاره والآمها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات
ودون هذه الشهوات آلاما فانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات
الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور
منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي و
ليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لا
لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق
ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم
أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبر بان في
كتابهم من امرك وارشاد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله عز وجل افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون
لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان
فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء
وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل
وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله عز وجل وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة للانكار ابتغاء غيره تعالى
حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول
حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره عز وجل ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما
تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال
والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى
صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا
وقوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر
من جهته عز وجل لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم
ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده عز وجل وفي التعبير عن التوراة والانجيل
باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده عز وجل مع ما فيه من
الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه

موافقته في الأصول وما لا يختلف من الفروع وتخبر عن أمور لا طريق إلى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول ما علماء أهل الكتاب
وهو الظاهر فالإيتاء هو التفهيم بالفعل وأما الكل فيجمع داخلون فيه دخولا أوليا فهو أتم مما ذكر من التفهيم بالقوة والأقرب
أي أن الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرئ منزل من الإنزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله عز وجل بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل أي ملتبسا بالحق
فلا تكونن من الممترين أي في أنهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على
الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن أو في أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والإلهاب كقوله عز وجل
فلا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة
لما تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن
وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه عز وجل
بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به وإنما عبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها
يظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران منصوبان نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل
على العلة وقوله عز وجل لا مبدل لكلماته إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال
أخرى من فاعل تمت على أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقا في الأخبار والمواعيد
وعدلا في الأقضية والأحكام لا أحد يبدل شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور
ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في ذلك أقوال المتحاكمين
وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا أوليا هذا وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا
لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وإن
تطع أكثر من في الأرض لما تحقق اختصاصه عز وجل بالحاكمية لاستقلاله بما يوجبها من إنزال الكتاب الفاصل بين
الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة أحكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده عز وجل بالإحاطة
التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي
هي الضلال والإضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله عز وجل إبانة لكمال مباينة
حالهم لما يرمونه وتحذيرا عن الركون إليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة
والأرض أرضها أي إن تطعهم بأن جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه أو الشريعة التي
شرعها لعباده إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون أو جهالاتهم وآراؤهم
الباطلة على أن المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون
في أمورهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في أن الضال المتصدي
للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله عز وجل وإن هم إلا يخرصون عطف على ما قبله
داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون إليه عز وجل كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان ذريعة إليه
وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها أو يقدرون أنهم على شيء وأنى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال
عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد
لما يفيده من التحذير أي هو أعلم بالفريقين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بنفس أعلم

فإن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة
معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على أن من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل
وهو أعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة وأما أن الفاعل هو الله عز وجل ومن منصوبة بما ذكر أي يعلم
من يضله أو مجرورة بإضافة أعلم إليها أي أعلم المضلين من قوله عز وجل من يضلل الله أو من قولك أضللته إذا وجدته ضالا
فلا يساعده السياق والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أمر مرتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة إضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك
أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم
الله عز وجل خاصة على ذبحه لا مما ذكر اسم غيره فقط أو مع اسمه عز وجل أو مات حتف أنفه إن كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة
في هذا الشأن مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله عليه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم إلى الاجتناب عن الأكل مما ذكر عليه
اسم الله عليه من البحائر والسوائب ونحوها وقوله عز وجل وقد فصل لكم إلخ جملة حالية مؤكدة للإنكار كما في قوله عز وجل
وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي وأي سبب حاصل لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر
اسم الله عليه أو وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا والحال أنه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا أجد
فيما أوحي إلي محرما فبقي ما عداه على الحل لا بقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة الآية لأنها مدنية وإنما التأخر في التلاوة لا يوجب
التأخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الأول على البناء للفاعل والثاني للمفعول إلا ما اضطررتم إليه
مما حرم فإنه أيضا حلال حينئذ وإن كثيرا أي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وأضرابه
وقرئ يضلون بأهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند إلى الوحي إن
ربك هو أعلم بالمعتدين أي المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه أي ما
يعلن من الذنوب وما يسر أو ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن
الذين يكسبون الإثم أي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان
فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للأمر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان
أو نسيانا وإليه ذهب داود وأحمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وإن
لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر عليه اسم غيره عز وجل لقوله وإنه لفسق فإن
الفسق ما أهل به لغير الله والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم المراد بالشياطين إبليس وجنوده فإيحاؤهم وسوستهم إلى المشركين
وقيل مردة المجوس فإيحاؤهم إلى أوليائهم ما أنهوا إلى قريش بالكتاب أن محمدا وأصحابه يزعمون
أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم أي بالوساوس الشيطانية أو
بما نقل من أباطيل المجوس وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم
إنكم لمشركون ضرورة أن من ترك طاعة الله عز وجل إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به عز وعلا بل آثره عليه
سبحانه أو من كان ميتا وقرئ ميتا على الأصل فأحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر
تحذيرهم عنها بالإشارة إلى أنهم محيون بأنوار الوحي الإلهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان

فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم و
من كان ميتا فاحييناه اعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من خارج نورا يمشي به اي
بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما
بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله عز وجل في الظلمات خبره على ان المراد بها الظلمات
لا المعاني كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي
في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله عز وجل على فطرة الاسلام وهداه بالآيات
البينة الى طريق الحق يسلكه كيف شاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في
المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزع من
الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي
الممثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز
وقد اشير في تفسير قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل حيث برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة
حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا
يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما ويجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند
ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية
الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من
جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه
وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنه وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا
في كل قرية من ساير القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها مفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو
او هما الظرف والاكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة
ولذلك جاز اكابر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني
لا بد ان يكون مشهور التحقيق عند الناس معهودا فيما بين الناس حتى يصلح ان يجعل [illegible] عن مساق النظم الكريم
وتوجه اليه وتجعل مقيسا للنظائر باجراء مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما
يفهم من قوله عز وجل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ كما
والنية كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها فان ذلك اشارة الى الكفرة
المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا
قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله عز وجل كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل
اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات
المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله
وقوله عز وجل وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله عليه السلام والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم

الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال
انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله عز وجل واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال
مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر وكان الكلمة المنقولة انما
صدرت عنهم لا عن ساير المجرمين اي جاءتهم آية بواسطة الرسول عليه السلام قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنه حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله عليه السلام
وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق
الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يحمل الرسالة في قوله عز وجل الله اعلم حيث يجعل رسالته على ما هو
وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور والمراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول
ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان معنى الاقتراح لن نؤمن حتى يكون تلك الآية نازلة من عند الله
عز وجل الى الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من
يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا
يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد
من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله عز وجل عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
ولا يخفى ان لكل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المتعلق
بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته عليه السلام في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول
اللعين حتى يأتينا وحي بانه لمجرد الغاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه امر على تقدير اتيان الوحي وعلى ما المعنى
لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله
واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله عليه السلام لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك
مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة
وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها
من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا
الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فلست بنبي وما له تعليق
الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء
مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه وحيث نصب على المفعولية توسعا لا على الظرفية
من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس
مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص الله عز وجل بها من يشاء من
عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر
بعد ما نعى عليهم ما هم عليه من الشر والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم
لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي سيصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عز النبوة

وتمرد عن الرسالة صغار أي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في
الآخرة أو في الدنيا بما كانوا يمكرون أي بسبب مكرهم المستمر أو بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد إجرامهم
صرح بسببيته فمن يرد الله أن يهديه أي يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له وينفسح
وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال
نور يقذفه الله عز وجل في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد الله أن يضله أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره
إليه يجعل صدره ضيقاً حرجاً بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الإيمان وقرئ ضيقاً بالتخفيف وحرجاً بكسر الراء
أي شديد الضيق والأول مصدر وصف به مبالغة كأنما يصعد ما هو وحينئذ لو حمل كان على الجملة الفعلية في السماء
شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة
وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبواً عن الحق وتباعداً في الهرب
منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ يصاعد كذلك أي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر ضيقاً حرجاً على الوجه المذكور
يجعل الله الرجس أي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا
والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون أي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للإشعار بأن جعله تعالى معللاً بما
في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر وهذا أي البيان الذي جاء به القرآن أو الإسلام أو ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك أي طريقته التي ارتضاها أو عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية
إيذان بأن تقويم ذلك الصراط للتربية وإفاضة الكمال مستقيماً لا عوج فيه أو عادلاً مطرداً وهو حال مؤكدة كقوله
عز وجل وهو الحق مصدقاً والعامل معنى الإشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في
تضاعيفها فيعلمون أن كل ما يحدث من الحوادث خيراً كان أو شراً إنما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه فإنه عز وجل عالم
بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لأنهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام
للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم أي في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره عز وجل وهو وليهم
أي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم الصالحة أو متوليهم بجزائها يتولى إيصاله إليهم ويوم نحشرهم جميعاً منصوب
بمضمر إما على المفعولية أو الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الأمر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين ويقول يا معشر الجن
يكون من الأحوال والأهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم
من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق
التوبيخ والتقريع وقال أولياؤهم أي الذين أطاعوهم ومن في قوله عز وجل من الإنس إما لبيان الجنس أي أولياؤهم الذين
هم من الإنس أو متعلقة بمحذوف هو حال من أولياؤهم أي كائنين من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض أي
انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها وقيل بأن ألقوا إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة والجن
بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما ألقوه إليهم وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز
والمخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم قادرون على إجارتهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وهو يوم
قالوه اعترافاً بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وإظهاراً للندامة عليها وتحسراً على حالهم استسلاماً
لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للإيذان بأن المضلين قد أفحموا بالمرة فلم يقدروا على الكلام أصلاً

استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله عز وجل حينئذ فقيل قال النار مثواكم أي منزلكم أو ذات
ثوائكم كما أن دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم إن جعل مصدراً ومعنى الإضافة إن جعل مكاناً إلا ما
شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي عليه السلام وهذا مبني على أن
الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون
وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب إلى
الجنة فيسرعون نحوه حتى إذا صاروا إليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين فالاستثناء تهكم بهم وقيل إلا ما شاء الله
قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم ولا يخفى بعده إن ربك حكيم في أفعاله عليم بأحوال الثقلين وأعمالهم و
بما يليق بها من الجزاء وكذلك أي مثل ما سبق من تمكين الجن من إغواء الإنس وإضلالهم نولي بعض الظالمين من الإنس
بعضاً منهم أي نجعلهم بحيث يتولونهم بالإغواء والإضلال أو نجعل بعضهم قرناء لبعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا
عند اقتراف ما يؤدي إليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر
الجن والإنس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر
الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم ألم يأتكم أي في الدنيا رسل أي من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتي كل رسول
كل واحدة من الأمم بل على أن يأتي كل أمة رسول خاص بها أي ألم يأت كل أمة منكم رسول معين وقوله عز وجل منكم
متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل أي كائنة من جملتكم لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معاً بل من الإنس خاصة وإنما جعلوا
منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتاً واتحادهما تكليفاً وخطاباً كأنهما جنس واحد ولذلك تمكن أحدهما
من إضلال الآخر وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد سمعوا القرآن وأنذروا به قومهم حيث نطق به
قوله عز وجل وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن إلى قوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين وقوله عز وجل
يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل محققة لما هو المراد بإرسال الرسل من التبليغ والإنذار وقد حصل ذلك بالنسبة
إلى الثقلين وينذرونكم لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما أعد لهم من أفانين العقوبات
الهائلة قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا
على أنفسنا أي بإتيان الرسل وإنذارهم وبمقابلتهم إياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد
حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال
كبير وقد أجمل ههنا في حكاية كما أجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله عز وجل
وغرتهم الحياة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما أداهم في الدنيا إلى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وإلجائهم في الآخرة
إلى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك أي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنيئة واللذات المخدجة الفانية
وأعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترءوا على ارتكاب ما يجرهم إلى العذاب المؤبد الذي أنذروهم إياه وشهدوا
في الآخرة على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين أي بالآيات والنذر التي أتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفاً واضطروا
إلى الاستسلام لأشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله عز وجل وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وفيه
من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك إشارة إلى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب والخطاب لرسول الله عليه السلام بطريق التلوين وهو مبتدأ وخبره قوله عز وجل أن لم يكن ربك مهلك القرى بحذف
اللام على أن مصدرية أو مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله عز وجل بظلم متعلق إما بمهلك أي بسبب

بظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي متلبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة لها بواسطتهم واما كونه حالا من ربك
او من الضمير في مهلك كما قيل فياباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته كما تحقق بتقييده بقوله عز وجل واهلها غافلون
والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل
ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه
معذبا لهم قبل ارسال الرسل [illegible] وانزال الكتب لما امكن التوبيخ كما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستحقاق
العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار
مع ان التقريب في التعليل بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث
اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه عز وجل ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه عز وجل على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه
عز وجل حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر
من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي وبقي التعذيب الدنيوي غير منصوص له
لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الاخروي ايضا كذلك فتميز دون
عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار فهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل
عليه السلام وانذارهم وخبر المبتدا المحذوف كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يقتضيه المقام والله سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من
الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات
في انفسها او من جزاء اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى
عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب وعقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك
الغني مبتدا وخبر اي وهو الموصوف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم
وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره من اظهار اللطف
به وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الاتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله عز وجل ذو الرحمة خبر ثان او هو الخبر والغني صفة اي
يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد
وتمهيد لقوله عز وجل ان يشا يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشا يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد
الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم
عن رتبة العقلاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح
لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف
في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان
ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
التجددي لات لواقع لا محالة كقوله عز وجل ان ما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة
طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله عز وجل وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب
متن كل صعب وذلول فان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء
الاعجاز

الاعجاز لا لبيان دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الانتفاء لا انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومالهم بطريق تلوين الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير
الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم
والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة
والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر للمبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله على الامر على ما يؤدي اليه وتسجيل
بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الا التفصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلق لفعل العلم محلها الرفع على الابتدا
وتكون باسمها وخبرها في محل النصب سادة مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق
الله عز وجل هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي
انه اي ان الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من
افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة
وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله عز وجل واشياء منها لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه
لله عز وجل زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لالهتهم واذا زكا ما جعلوه لالهتهم تركوه معتلين بان الله عز وجل غني وما
ذلك الا لحب الهتهم وايثارهم لها وجعلوا متعد الى واحد والجار في قوله عز وجل لله مما ذرا متعلقان به ومن في قوله
عز وجل من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا لله عز وجل مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى
الضيفان والمساكين وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما ثاني المفعولين
اولهما مما ذرا على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله
لا يساعده المعنى وحكاية جعلهم له نصيبا تدل على انهم جعلوا للشركاء ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله عز وجل فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل
لله عز وجل غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله عز وجل لا لما قيل من انه للتنبيه على ان
ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله عز وجل به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان
يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به
عز وجل فقوله عز وجل فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل
له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله عز وجل من قرى الضيفان
والتصدق الى المساكين وما عينوه لله عز وعلا اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه
لالهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون
فيما فعلوا من ايثار الهتهم على الله عز وجل وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم
فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين

الشرك في قسمة القربان بين الله عز وجل وبين آلهتهم او مس ذلك التزيين البليغ للمعهود من الشياطين زين لكثير من
المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما
حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدانة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر غيرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما
بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل من زين لهم قتل
اولادهم فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل عم او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان
كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء
واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه
بمشية الله تع فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله عز وجل حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما
ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع آخر هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم
والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان
اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيقوا اصله حرج وقيل مقلوب
من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق
بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة
على قوله عز وجل هذه انعام اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر
والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله عز وجل لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير
واقع في كلامهم المحكي عنهم كنظائره بل مسوق من جهته عز وجل تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله عز وجل وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا
يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله عز وجل وقال مجاهد
كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها الا ان يكون لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا
ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان قالوه تقول على الله عز وجل واما على تقدير
عامل من لفظه اي افتروا افتراء وجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر
المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون
اي بسببه او بدله وفيه ابهام جزائه من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام
يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم وان للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان خالصة
مصدر كالعافية وقع موقع خالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة
والتذكير في قوله عز وجل ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل النظم
الكريم على خلاف المعهود الذي هو حمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وغير الحكم منهم ان لولد ذلك حيا
وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي وان ولدت ميتة اي الذكور منهم والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام

وقيل

وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب
على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم
على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان خبره
وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله عز وجل في امر التحليل والتحريم من قوله عز وجل وتصف السنتهم الكذب
انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر
الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين
كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة اي لخفة احلامهم
وجهلهم بان الله عز وجل هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما
رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان
هدوا بفنون الهدايات وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا
وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأهن
من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات ما غرسه الناس من الكروم المرفوعات على ما يحملها
وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير
المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله وقرئ
اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع
والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت
الانشاء والزيتون والرمان اي انشأهما وقوله عز وجل متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه
بعض افرادهما في اللون والهيئة ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر
وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل قبل اداء حق الله عز وجل وآتوا حقه يوم حصاده
اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين للمقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة
والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم
ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما
روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله عز وجل ولا تبسطها
كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام و
ابطال ما تقولوا على الله عز وجل في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي
وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح وما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اي ما احله
مما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله عز وجل اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم
ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه
خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة

الانعام ح

ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان
وبهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطونها وهو بدل
من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا
من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة
وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن
والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه
وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار
اليها مفصلة واثنين في قوله عز وجل من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل
في من اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل
وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي و
انشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ
ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون
هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله عز وجل
كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا
لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون
انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو محرم منها بحسب المعنى وان
توسط بينها صورة وكذا قوله عز وجل ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام ما حملت اناث النوعين حرم
ذكرا او انثى وقوله عز وجل نبئوني بعلم تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله
من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه عز وجل حرم شيئا مما ذكر او نبئوني ببينة ملتبسة بعلم صادرة عنه
ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه عز وجل ومن الابل اثنين عطف على قوله من الضأن اثنين اي وانشأ من
الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل الزاما لهم في ذلك ايضا آلذكرين منها
حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه عز وجل حرم عليهم شيئا
من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد
الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة
اخرى مسندين ذلك كله الى الله عز وجل وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام
والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث اما
اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله عز وجل ام كنتم شهداء انكار للافحام
كقوله عز وجل نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل كنتم
حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة
امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب

اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء
عليه عز وجل اي فاي فريق اظلم من فريق افترى ولا قدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعا له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها
على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر مرة
ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى على الله عز وجل جاهلا بصدور التحريم عنه
عز وجل وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه عز وجل ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى
عليه عز وجل بغير علم بصدوره عنه عز وجل مع احتمال الصدور اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه وهو يعلم
انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من
كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا وآجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان
يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله عز وجل لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه قد فتش جميع ما
اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي طعاما
محرما من المطاعم التي حرمتموها على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى رد على قولهم محرم على ازواجنا
وقوله عز وجل يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة
بالرفع على ان كان تامة وقوله عز وجل او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه
اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته
اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابته الضرورة الداعية
الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم
مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها
بل للتحذير من كون الاضطرار بسعيه فان من اضطر الى لحم الميتة من مضطر آخر فاكلها فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة
بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي
يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه عز وجل يغفر له ويرحمه
والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء
آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين
هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ماله اصبع من الابل والسباع والطيور
وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر
حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم
في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى
الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على
ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم

على ما حملت الألية واختلط بالعظم الفسالة بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها ذلك إشارة
إلى الجزاء أو التحريم فهو على الأول نصب على أنه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان أي ذلك التحريم جزيناهم
بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله عز وجل فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك
ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم فرد عليهم ذلك وأكد بقوله عز وجل وإنا لصادقون أي في جميع أخبارنا التي من جملتها
هذا الخبر ولقد ألقمهم الحجر بقوله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التورية قل فأتوا بالتورية
فاتلوها إن كنتم صادقين روي أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التورية كيف وقد بين
فيها جميع ما يحاذرونه أوضح بيان فإن كذبوك قيل الضمير لليهود لأنهم أدنى ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراك
وقيل للمشركين فالمعنى على الأول إن كذبتك اليهود في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم
المجرمين أصلا فلا تنكروا ما وقع منه عز وجل من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فإن كذبك
المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله
عز وجل ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق بهم البتة من غير صارف يلويه عنهم
أصلا سيقول الذين أشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم وإخبار به قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما أخبر به كما يحكيه قوله تعالى
عند وقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا
أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الإشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أرادوا به أن ما فعلوه
حق ومرضي عند الله عز وجل لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله عز وجل إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا
للمعتزلة الآيات إلى قوله عز وجل كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالى منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا
الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا أي فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن
أي ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله عز وجل
وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف أي
وإذ قد ظهر أن لا حجة لكم فلله الحجة البالغة أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة
دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء
لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين اختيارهم إلى سلوك
طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم
أي أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم
البعض في فعليته وليس بشيء وأصله عند الجمهور ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند
الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في قوله ولازما
كما في قوله عز وجل هلم إلينا الذين يشهدون أن الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم

شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فإن شهدوا بعد ما حضروا بأن الله حرم هذا فلا تشهد معهم أي فلا تصدقهم فإنه
كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا
من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله عز وجل وعدل عنها غيرها فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقا
بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف
كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم فإن من يكذب بآياته عز وجل لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم
يعدلون أي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة
وبين الإشراك به لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها قل تعالوا
لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن إشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله عز وجل ومشيئته بظهور عجزهم عن إقامة شيء يتمسك به
في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى أمر عليه السلام بأن يبين لهم
المحرمات التي تقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت
بقوله عز وجل قل لا أجد الآية وتعال أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه
بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب
من غير مشقة أتل جواب الأمر وقوله عز وجل ما حرم ربكم منصوب على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أتل الذي حرمه ربكم
أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو بحرم على أنها استفهامية والجملة مفعول
لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم وعليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل
والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم فإن تذكير كونه عز وجل ربا لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء
وأن في قوله عز وجل أن لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر
والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات
أيضا كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك المعطوف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها
التي هي النواهي المتعلقة بأضدادها المتعلقة هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن
الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن
المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا
ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما مبالغة في النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة في إيجاب
مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشراك
الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواضع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء
وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع على تقدير
المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لأمور منها أن في
إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله عز وجل شيئا نصب على المصدرية أو المفعولية أي
لا تشركوا به شيئا من الإشراك أو شيئا من الأشياء وبالوالدين أي وأحسنوا بهما إحسانا وفاء بحقوقهما ولا تقتلوا
أولادكم تكليف متعلق بحقوق الأولاد وعقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد من إملاق

اي من اجل فقر كما في قوله عز وجل خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله عز وجل نحن نرزقكم واياهم
استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببيته ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه عز وجل لارزاقهم اي
نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله عز وجل ولا تقربوا الفواحش كقوله
عز وجل ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله
تع ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو داب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما
هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها
وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد مطلقا كما في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية
عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عم في حق العزل ذلك وأد خفي ومن ههنا
تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من
[illegible] ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام وبالعهد فيخرج منها
الحربي الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي
هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها
بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور
المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف
الشرعية وهو مبتدا وقوله عز وجل وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استيناف جيء به تجديدا للعهد وتاكيدا
لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الاية الكريمة بقوله
عز وجل لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا
مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء
اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من حفظه وتثميره ونحو ذلك والخطاب
للاولياء والاوصياء لقوله عز وجل حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا
رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله عز وجل فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم
او شد ككلب واكلب وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل
حقا هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان
المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله
اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان
والنذور ونحوها ولاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به
امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم
كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه
الايات لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الايتين

من الاوامر والنواهي قاله مقاتل وقيل ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح
الياء وفي اضافته الى ضميره م ابتداء انتسابه اليه م من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد ببيان انها
مفصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به م ايضا وانه م مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله مستقيما
حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها جر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله عز وجل وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه م لا بكونه صراط الله عز وجل مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه م
وسيلة الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا مخففة
من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط
ربكم ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التائين
والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة
على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض
احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه م عين سبيل الله عز وجل ذلكم اشارة الى ما
مر من اتباع سبيله م وترك اتباع السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبيل الكفر والضلال ثم آتينا
موسى الكتاب كلام مسوق من جهته عز وجل تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من انزال القرآن المجيد
كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله
عز وجل ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا كما ان قوله عز وجل ونطبع
على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به
[illegible] الكلام الملقى كما اجمع عليه الجمهور مما لا يليق بالنظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما
صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك
انا آتينا موسى التورية فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي
اي اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اي على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده
انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى م او تماما على ما احسنه
موسى م اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي على الذي
هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما على انهما علة او على المصدرية كما
اشير اليه او على الحالية وكذا قوله عز وجل وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى م وايتاء الكتاب
والباء في قوله عز وجل بلقاء ربهم متعلقة بقوله عز وعلا يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما
كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن
كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله عز وجل انزلناه مبارك اي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان
لكتاب والتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لكونه جملة لان الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اي
انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله عز وجل فاتبعوه
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية

موجب لاتباعه اي ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه
المدلول عليه بالمذكور بنفسه للزوم الفصل ح بين العامل والمعمول باجنبي وهو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه كراهة
ان تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله انما انزل الكتاب اي الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم على طائفتين كا
ئنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذي اشتهر فيما بين الكتب
السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان واللام فارقة بينها
وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم
لم تعملوا باحكامها العامة اي وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى
نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين
بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال
القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء
على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق
الذي هو المقصد الاقصى او الى ما في تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار ونحو ذلك طرا حال كوننا اميين
وقوله عز وجل فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم واما شرط
له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل
ما فرضتم وجاءكم بينة اي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله عز وجل من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف
هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه عز وجل وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة
على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف
على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل
على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء للترتيب بعدها على ما قبلها
فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم
ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا
بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله عز وجل تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية
كانت من آياته عز وجل كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد
اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل
فاضل وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين يصدفون
الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع المضمر لتحقيق مناط
الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد
والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه
لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية

من الآ

من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما
ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتي بالله
والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تاتيهم ملائكة العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب والانتظار
محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي او ياتي بعض آيات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او
تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة
الآيات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة
ملائكة الموت وباتيانه عز وجل اتيان كل آية يعني آيات القيمة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد
به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور
مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على
تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان ياتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من الايمان عندها البتة
بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقه ناع عليهم تماديهم في تكذيب آيات الله وعدم الاعتداد بها وسياقه
الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة
عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان الملائكة العذاب واتيان امره عز وجل بالعذاب
وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل الآيات
القيامة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام
على ان بعض اشراط الساعة ليس مما يسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وجل يوم ياتي بعض
آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة
الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله عز وجل لا ينفع كما امتناع
عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اي لا ينفع فيه نفسا
من النفوس ايمانها حينئذ لانسداد باب الاختيار وكونه ايمانا لا غيبا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله عز وجل لم تكن
آمنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه
لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله عز وجل او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت بايراد الترديد على النفي
المفيد لكفاية احد النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا
ومن ضرورة اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا لما ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر
لغو وتحصيل الحاصل لانه هو النافع وتحققها شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة
من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه ان وقعا بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتداد الايمان المجرد
عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه
لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين
اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع باتيهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل

من اعدام الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول
من غير ان يكون لثانيه دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام فتعين ان الكلام مبني
على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها
عنه وليس كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصود الاصلي من وصفها بذينك
العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيها اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه
بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما والسبيل الى التحقيق كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب
الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلوص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا الا انه ليس مع
كيف لا والخلود فيها والانتصار رتبة بتعدد العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان
وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل
لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى التحري الاعلى وتنبيها على كفاية
الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب
وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه
على غير اساس حسبما نطق به قوله عز وجل والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة
وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر
من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا
بالاخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله عز وجل فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة اذا تحقق هذا وقفت على ان الاية الكريمة احق بان تكون
حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم وقد قيل انه من اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت
من قبل او كسبت فيه خيرا وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وانما لم يذكر
معولا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
فانه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله عز وجل فاما الذين آمنوا الاية ولا ريب في ان ما قدر
ههنا ليس مما يقتضيه قوله عز وجل او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان
ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك منسوب لهم بعد ما اصابهم من البلوى
ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يتأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وكذا
عن الاستدلال بوجوه اخر هي اوهام اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القاطعة والمتون القوية الدالة
على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر ان الظني لا يقوى على معارضة
القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون
انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيانه
امره عز وجل بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك
هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال اهل الكتابين
اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه

وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تتشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية
الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل
الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى
لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاقب منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء
سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله عز وجل انما
امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولاهم واخراهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة
يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه
عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بان معنى لست منهم في شيء انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه
التعليل المذكور ثم ينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون تجريد اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما
سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد
ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله عز وجل من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم
بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء
يوم القيامة بالاعمال الصالحة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وعلا وقرئ
عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب
ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان
من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب
قل انني هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد
فارقوه بالكلية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي ولكن الله قد ارشدني
بالوحي وبالنصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله عز وجل دينا
بدل من محل الى صراط فان محله النصب كما في قوله عز وجل ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر دل عليه المذكور قيما مصدر
نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ
من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا
عن الاديان وقوله عز وجل وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المبطلون من عقد وعمل اي ما كان منهم
في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وصرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله و
النصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها
اي عبادتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله عز وجل فصل لربك وانحر وقيل صلواتي وحجي ومحياي ومماتي
اي وما انا عليه في حياتي واموت عليه عند مماتي من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك
فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص

جملة واحدة بسبعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له

اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة تمت السورة الكريمة في الثامن من ذي الحجة سنة ١٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وهي مائتان وخمس وست

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة

لا تتبعوا منها ومن الله عز وجل اولياء من الجن والانس بان يحملوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل
ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء فقدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي
اولياء كائنة غيره عز وجل وجعل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل او
كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دون اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تع
قليلا ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة
وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او زمان كذلك
محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون
بموجبه وتتركون دين الله عز وجل وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله عز وجل فقليلا ما يؤمنون والجملة
اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال
بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا او ما مصدرية
تنصب به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله عز وجل لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية
اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله عز وجل واصرارهم على اتباع دين
اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو جملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في
اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله عز وجل انا كل شيء خلقناه
بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله عز وجل اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي جاء اهلها باسنا
اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من
القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين
فان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح
وتخصيص هذين الوقتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وارد عن الاغترار
باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة
للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم و
ينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم
بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة
فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان
مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية
ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين و
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال الله عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله عز وعلا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك
انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا

منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها
والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله عز وجل يومئذ
خبره وقوله عز وعلا الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان
صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم
عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها
في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة
فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي
والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن
في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير
اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة
في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب
والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة
انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال
الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة
فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه عز وجل حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه عز وعلا بكيفيات
الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال
بل يسنده الى اظهار الله عز وجل اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء
بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها
ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر
في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاتها ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه
تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات
فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي لها قدر ووزن
وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمع باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار
لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة
والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه
كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي

مبحث بيان لفظ الموازين

الحالة السيئة فأولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة وما فيه من معنى البعد لما مر آنفاً في نظيره وهو مبتدأ
خبره الذين خسروا أنفسهم أي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وفرطوا فيها بالآيات البينة وقوله عز وجل
بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه عليه للمحافظة
على الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا فأولئك الموصوفون بتلك الموازين
الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الأرض لما أمر الله سبحانه أهل مكة باتباع
ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما
أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيباً في الامتثال بالأمر والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً
أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والملابس
وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه في قراءته إخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزه تشبيهاً له بصحائف ومدائن وجعل
بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق
به أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع أن حقهما التأخر عنه لما مر من
بيان الاهتمام والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئاً عن منفعة للسامع تبقى
مترقبة لوروده فيتمكن فيها عند الوروده فضل تمكن وأما تقديم اللام على في فلما أن المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم
والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعد إلى مفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف
الآخر إما لغو متعلق بجعل أو بالمحذوف الواقع حالاً من المفعول الأول كما مر وأنت خبير بأنه لا فائدة معتد بها في الإخبار
بجعل المعايش حاصلة لهم أو حاصلة في الأرض وقوله عز وجل قليلاً ما تشكرون أي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال
المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله عز وجل قليلاً ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة
على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الأرض إما لأنها فائضة
على المخاطبين بالذات وهذه بالوسائط وإما للإيذان بأن كلاً منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية
الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار
كمال العناية بمضمونهما وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتماً توفية لمقام
الامتنان حقه وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلقه عليه السلام وتصويره لما أنهما ليسا من خصائصه عليه السلام كسجود
الملائكة له عليه السلام بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكأنهم الذين تعلق
به خلقه وتصويره أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه أمراً منجزاً غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله عز وجل فإذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله عز وجل وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في
سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم هنا للتراخي الرتبي
عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الأمور وقد بين في سورة البقرة أن ذلك بعد ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة
المسبوقة بالإخبار باستخلافه حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله
عز وجل وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضاً من جملة ما نيط به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره
عند وقوع المحكي كما أن عدم ذكر الأمر المعلق عند حكاية الأمر التنجيزي لا يستلزم عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد

على أساليب مختلفة بحسب المقام ليست بعزيزة في الكلام فلعله قد ألقي إلى الملائكة عليهم السلام جميع ما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالاً بأن قيل مثلاً
إني خالق بشراً من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين
فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا وألقى إليهم من الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إني جاعل
هذا خليفة في الأرض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأيد الله عز وجل بتعليم ما شاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الأمر التنجيزي اعتناء ببيان المأمور به وإيذاناً بوقته وقد حكي بعض المواطن في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في
موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة أن ما في سورة ص من قوله من قوله إذ قال ربك للملائكة الآيات
بدل من قوله إذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في أن المراد
بالملأ الأعلى الملائكة وآدم عليه السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول
الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضيته البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلاً من الأمر
المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين
الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس مطرود من السماء
لما عرفت أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين
والله أعلم فسجدوا أي الملائكة عليهم السلام بعد الأمر من غير تلعثم إلا إبليس استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً من الملائكة
متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنساً يتوالدون يقال
لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله عز وجل لم يكن من الساجدين أي ممن سجد لآدم عليه السلام كلام مستأنف مبين لكيفية عدم
السجود المفهوم من الاستثناء فإن عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلاً
بما بعده أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل
فماذا قال الله عز وجل حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة أخرى
هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك أن لا تسجد أي أن تسجد كما وقع
في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله عز وجل لئلا يعلم أهل الكتاب منبهة على أن
الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف إلى خلافه فالمعنى ما اضطرك إلى أن لا تسجد إذ أمرتك وفي
فيه دلالة على أن مطلق الأمر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين وفي سورة
ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصيته
الواحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن
آخر وإشعاراً بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة
البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما في اللعين مبني على سؤال نشأ
من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال أنا خير منه متجافياً عن تطبيق جوابه على السؤال
بأن يقول منعني كذا مدعياً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الاستلزام لمنعه من السجود ومشعراً بأن من شأنه
هذا الجنس أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن أن يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم أكن لأسجد لبشر
خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو أول من أسس بنيان واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى

خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر
وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله عز وجل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما
من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر
الملائكة بسجوده حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية
دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء في قوله فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين
من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها
قال ابن عباس رضه كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط
فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عم كانت بعد هذا الطرد
فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري
وقوله عز وجل فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة
الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة
فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه عز وجل انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله
عز وجل فاخرج تأكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله عز وجل انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه
لتكبره من الاذلاء واهل الهوان على الله عز وجل وعلى اوليائه لتكبره عن عمر رضه من تواضع لله رفع الله حكمته
وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على السؤال
نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم
يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم
ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد الموت قال استئناف كما سلف انك من المنظرين ورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه
من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية
الى وقت فناء الخلائق حسبما استثناه الله عز وجل من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول
وفي ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان خالف لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة
مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة
البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة في حكايته
فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى
ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من
اللعن والطرد على نهج الاستدعاء بجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين

فما حكي عنهما يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن الخروج الى معارج الاعجاز وان كان مقام الاستنظار مقتضيا لما ذكر من
من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من الطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتضيا لترتيب الاخبار
بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حقه واما هنا فحيث
اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل
منهما عند المخاطبة وجواب ان خلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره
في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد
لا تجب حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا و
لا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا تكاد
يقدر على مراعاتها من تكلم بها اصلا والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال
فمنشؤه الغفلة عن تجب توفية مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان
مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان
مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام
الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد عن التأكيد
وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع
آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتفع كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حكي
في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع اقتضائها التجريد للكلام مرة اي فما ظنك بما لا يرتقي بها الا رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام
الوقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استئناف كما مر فبما اغويتني
الباء للقسم كما في قوله عز وجل فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه
عز وجل فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء
متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام يصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك
اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة على السابلة صراطك المستقيم
الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده للتسويل والاضلال
والاغلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضه
من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة الحسنات والسيئات وقيل من
بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم و
عن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر
لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان
الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين انما

قال تظنا لقوله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من
من الملائكة ثم قال استئناف كما سلف اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة مذؤوما
اي مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه مدحورا مطرودا
لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك
بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا ادم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على
الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عم للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت وزوجك
الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير
اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله عز وجل فكلا من حيث شئتما لبيان
المراد مما في سورة البقرة من قوله عز وجل وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك [illegible] كان بطريق الترتيب
وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هاهنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف
والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عم في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له عم ولتعليق
النهي الذي هو اهم بهما في قوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء
فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما
او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد مر
بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته
ان يسوأهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة
قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال
عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة
لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله
انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه
اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به
من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما
عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا
وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وانبرى اخذا يرقعان

ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما
ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما
وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة وما في اسم
الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هاهنا وقد حكي في سورة
طه بقوله عز وجل ان هذا عدو لك ولزوجك الاية روي انه عز وجل قال لادم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة
عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك
الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من
الحسنات قال استئناف كما مر اهبطوا خطاب لادم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا
ليهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هاهنا قبول توبتهما
ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار
او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء اجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان
بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله عز وجل ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
وقوله عز وجل قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله عز وجل ااسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون
ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى يا بني ادم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الاية وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد
ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك روي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله عز وجل فيها فنزلت ولعل ذكر قصة ادم للايذان بان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى اي خشية الله عز وجل وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة
ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا
على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني ادم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا
العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم
من الجنة نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه

لا يفتننكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كانه قيل لا تتبعوه فيفتنكم ههنا وقد
واذا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة وقوله عز وجل انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث
لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل جر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم
لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل جنسه
جملته في اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم اولياء بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم
على ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر التحذير واذا فعلوا
فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح
والتاء لانها جارية على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام
وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها
محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله عز وعلا ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان اباءهم انما كانوا يفعلونها
بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولابائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا
يامر بالفحشاء فان عادته عز وجل جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه
على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا
فقيل لم فعلها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم
عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه عز وجل مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان
اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه عز وجل اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه تعالى اشد قبحا واحق بالانكار
قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوه اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط
من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة
عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان مصيركم اليه
بالاعادة كما بداكم اي انشاكم ابتداء تعودون اليه بالاعادة فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه
وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق
التابع للمشيئة على الحكمة البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر
المخطي والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي
ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد اي طواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا

لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال
او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي
اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات
من الرزق اي المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم
ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من
الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي الظلم
والكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعناه وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم
بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء
عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه عز وجل ما لا يعلمون وقوعه لا ما لا يعلمون عدم وقوعه قد مر سره
ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول
عليها بكلمة امة فاظهار الاجل مضاف اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه
اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك
الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة
لافادة الكمال التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون من ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من
الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستقبال للاشعار بتحسرهم وما منعهم عن ذلك
مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع
امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله عز وجل وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي
وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة
فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب
واما ما في قوله عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان
سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اي كما كان ما بينا اما
يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه
على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف وهو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم

وقوله عز وجل يقصون عليكم آياتي صفة لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله عز وجل فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله عز وجل
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا الخ وايراد
الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في جزاء الاول دون
الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه عز وجل ما لم يقله او كذب
ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار
لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه واياما كان فمن
الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه
وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنه كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة وقوله عز وجل حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم
يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به
الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون
من دون الله اين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم
انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت
مجيء الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل آن
بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء فانهما حاصلان عند ابتداء التوفي
كما ينبئ عنه قوله من مات فقد قامت قيامته والآتية السؤال والجواب وما ترتب عليهما من دخول النار وما جرى
بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة
الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار
الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا
او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله عز وجل لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال
فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما
ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم او ما لكل فريق من العذاب
وقرئ بالياء وقالت اولاهم لاخراهم اي مخاطبين لهم حين سمعوا جواب الله عز وجل لهم فما كان لكم علينا من فضل
اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
اي العذاب المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج ارواحهم

كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف
وبالياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله عز وجل ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس
من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد
اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله عز وجل وله الجوار المنشآت
وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا
اوليا وقوله عز وجل وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها
لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة
للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة
مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدا الذي هو الموصول والخبر اصحاب
الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه
حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر ثان لاولئك على رأي من جوزه
وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم
الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري
من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل
في المضاف او حال او فاعل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله
ووفقنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول لنهتدي وهدانا الثاني محذوف
لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي بغير واو على انها مبينة ومقررة
للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بانهم بما جاءهم
الرسل عليهم السلام والباء في قوله عز وجل بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا
من الرسل اي والله لقد جاؤوا بالحق او لقد جاؤوا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة ان تلكم الجنة ان
مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف وما في اسم الاشارة من معنى البعد اما لانهم
نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفعة منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها
في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة
حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة

اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار بحال مخاطبيهم
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني
اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا
وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى
قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا
اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن
منتصبا وبالفتح ما كان منتصبا كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله
عز وجل فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب
واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره
رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله عز وجل فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم
كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار
بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله عز وجل بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة
او من وسم القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب
الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم عن المكاره لم يدخلوها حال من
فاعل نادوا او من مفعوله وقوله عز وجل وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم
طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار
بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله عز وجل من سوء حالهم
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي
هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى
اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب
النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية
للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي
ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون
من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء
المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك
حكاية قوله عز وعلا ولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين
اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
عز وجل بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف

المقصرين

المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما تتفرع عليه من المعرفة لا يليق بمن لا يعرف حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله عز وجل او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء وقرئ ادخلوا ودخلوا
على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر
بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه دليل على ان الجنة فوق النار
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا
استئناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل
الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوها والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم
ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة
وقوله عز وجل كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم
لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله عز وجل وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا
اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله عز وجل انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه
من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن
على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه
اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون من
انواره هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما
اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة يقول الذين نسوه اي تركوه ترك المنسي
من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع
اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي
وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان الاصنام شركاء لله وشفعاؤهم يوم القيامة ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق
الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف
ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار النظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه
وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل
ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل

من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد
للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية
وتحقيق الآية الكريمة والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية
متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد
الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين بالفصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره
كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال
ادعوا ربكم الذي عرفتم شئونه الجليلة تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه
لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد
نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والا
طناب وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع
نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا
بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي
بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير
من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي التأنيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة
وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ
نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات ونشرا على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء
جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك قوله تعالى
فاخرجنا به ويحتمل ان يكون الضمير للماء وهو الظاهر واذا كان للبلد [illegible] فالباء للالصاق في الاول
والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون

احدى النشأتين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة
يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد
كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحالية والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله عز وجل فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لارسال الرسل بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب
الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما حققه وقرره من قصص الامم
الخالية بطريق الاستئناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال
هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن
لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث وهو على رأس اربعين سنة من عمره
ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائة وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه
وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى
ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار
محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا
اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد ولكم ان جعل مبتدأ فلكم خبره او خبره محذوف ولكم
للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به
عذاب يوم عظيم يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي
اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية قوله كانه قيل فماذا قالوا له فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملأون صدور
المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق و
الصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم
ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلالة قصدا الى نفي الضلال
عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله ولكني
رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه في النفي من آب الهداية فان رسالة رب العالمين
مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة
اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او
لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله وتخصيص ربوبيته عز وجل به بعد بيان عمومها للعالمين

للاستقرار بجملة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته عز وجل من موجبات امتثاله بامره عز وجل بتبليغ
رسالته تعالى اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على
امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله عز وجل
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته
عليه السلام اي اعلم من جهة الله عز وجل بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة
وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب
قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون علمه عليه السلام بالوحي او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اتى به
بقولهم انا لنراك في ضلال مبين وقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم ولو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او
موعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من جنسكم كقوله عز وجل ما وعدتنا على رسلك
وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله عز وجل لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر و
المعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي
ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة
بل هي منوطة بفضل الله عز وجل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه
فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك
هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله عز وجل رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله عز وجل في
الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اي
اي انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر
على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة
التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب
غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول
ادل على الثبات والتقرر والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله عز وجل ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب
لقوله عز وجل اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب
وقيل العامل فيها الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى وايا ما كان فلعل تقديم
المجرور هنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر كما يرشدك اليه ما سيأتي من قوله عز وجل ولوطا اذ
فان قومه لما لم يعهد باسم معين وفي بعض الحال ذكره عليه السلام ثم سيقا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف
في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله عز وجل هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله
بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل

منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره
فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا
به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد
لعدم اتقائهم عذاب الله عز وجل بعد ما علموا ما حل بقوم نوح عليه السلام والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون
او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او لا تعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود
افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر هنا ما
من قوله عز وجل ان انتم الا مفترون وقس على ذلك بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر
القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملأ الذين كفروا من قومه
استئناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح عليه السلام بل كان منهم من آمن له عليه السلام
ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها
حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت
من الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم
سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها و
لا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبلها باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من
كونه في الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما
كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب
اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله عز وجل ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير
رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا
في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح
والامانة مشهور بين الناس بذلك وما في الجملة الاسمية من الدلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان هذا
حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب
وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى مثل تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات
الحقة المعربة عن كمال الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق
ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع في ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب
باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر
كانه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح

أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكها فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج
إلى شحر عمان وزادكم في الخلق أي في الإبداع والتصوير أو في الناس بسطة قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم
مثلهم في عظم الأجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا
فاذكروا آلاء الله انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هي من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم إثر تخصيص
لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدي إلى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك
النصائح العظيمة أجئتنا لنعبد الله وحده أي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا أنكروا عليه مجيئه
لتخصيص العبادة والإعراض عن عبادة الأوثان انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى
المجيء إما المجيء من متعبده ومنزله وإما من السماء على التهكم وإما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني
من غير إرادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله عز وجل أفلا تتقون إن كنت من الصادقين
أي في الإخبار بنزول العذاب وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به قال قد وقع عليكم أي وجب
وحق أو نزل بإصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله من ربكم أي من جهته تعالى وتقديم
الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة إلى بيان إصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما
على الفاعل الذي هو قوله عز وجل رجس مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول بما عطف عليه من
قوله عز وجل وغضب وبما يخل تقديمها بتجاوب أطراف النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو
الاضطراب والغضب إرادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل أتجادلونني في أسماء عارية من المسمى سميتموها
أي سميتم بها أنتم وآباؤكم إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه داعيا لهم إلى عبادة الله عز وجل وحده وترك
عبادة الأصنام أي أتجادلونني في أشياء سميتموها آلهة ليست هي إلا محض الأسماء من غير أن يكون فيها
مصداق الألوهية شيء ما لأن المستحق للمعبودية بالذات ليس إلا من أوجد الكل وأنها لو استحقت لكان
ذلك بجعله عز وجل إما بإنزال آية أو بنصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله عز وجل ما نزل الله بها من سلطان
وإذ ليس ذلك في حيز الإمكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله عز وجل قد وقع عليكم
أي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا إني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى
فأنجيناه فصيحة كما في قوله عز وجل فانفجرت أي فوقع ما وقع فأنجيناه والذين معه أي في الدين برحمة
أي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل منا أي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها
الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الإضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم بالكلية
ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة أي أصروا على الكفر
ولم يرعووا عن ذلك أبدا وتقديم حكاية الإنجاء على حكاية الإهلاك لما مر وفيه تنبيه على أن مناط
النجاة هو الإيمان بالله عز وجل وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم أن عادا
قوم كانوا باليمن بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام
يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله عز وجل إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا
فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عز وجل القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم
بلاء طلبوا إلى الله الفرج عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن

سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي
كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره
فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال
قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم
وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم
إلى الله عز وجل سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله عز وجل سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها إلى أن ماتوا
وإلى ثمود أخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله عز وجل وإلى عاد أخاهم هودا وما مر في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة
من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم بن سام وقيل إنما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
بالصرف بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وأخوة صالح لهم من حيث النسب كهود عليهما السلام
فإنه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله إليهم مظنة لأن يسأل ويقال فماذا قال
لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة
أي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الألفاظ الجارية مجرى الأبطح والأبرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة
الإفراد والجمع كالصالحة إفرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للأعمال أو المثوبة أو للحالة من الرخاء والشدة
ولذلك أوليت العوامل وقوله عز وجل من ربكم متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صفة لبينة كما مر وأيا ما كان فالمراد بها الناقة
وليس هذا الكلام منه أول ما خاطبهم إثر دعوتهم إلى التوحيد بل إنما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله عز وجل فلم يقبلوا كلامه وكذبوه
ألا يرى إلى ما في سورة هود من قوله عز وجل هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها إلى آخر الآيات روي أنه لما أهلكت عاد عمرت
ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله عز وجل وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا و
كانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله عز وجل فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه
آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك
وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الإجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن و
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما
وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه
ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا

فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا
وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها
حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفعت الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله عز وجل هذه ناقة
الله لكم آية استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته عز وجل بلا اسباب
معهودة ووسايط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل
فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان لها او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية
فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب للامر
اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ
تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا
كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله عز وجل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الجامع لانواع الاذية وتنكير السوء لمبالغة في النهي اي لا تتعرضوا
لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تقربوها اكراما لآية الله عز وجل فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا
على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك و
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة
ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون من سهولها
قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي
الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة وتنحت الصلب
وانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله عز وجل بيوتا على الحالية حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا
وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما
على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او
جميع الآية التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق آلائه عز وجل ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها
فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا والاستئناف
كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله عز وجل قال يا قوم الآية واللام في قوله عز وجل للذين استضعفوا
للتبليغ
وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين

استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين
مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم و
واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل من ربه عز وجل مسارعة الى تحقيق الحق واظهارا لما لهم من
الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق
بالسؤال عنه هو الايمان قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قالوا ما قالوا
بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم
وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم
فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي
من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك منهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد
والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعدما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما
مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم
البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير
والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند
الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك
وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم
في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت
الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منها بما هو
اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة
المضارع في قوله عز وجل ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم
خاطبهم بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة
وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم
مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق لما مر وقد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي
ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي
كورة بالشام فارسله الله عز وجل الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله عز وجل اذ قال لقومه ظرف للمضمر اي
ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم ولعل تقييد ارساله بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله

اليهم وقيل بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر وقت قوله لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الانكار
التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشرية والسوء ما سبقكم بها ما عملها
قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام
من احد مزيدة لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله عز وجل من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة
مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله عز وجل عليهم اولا اتيان
الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين
لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للالزام ما سبقكم بها
احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال
محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ
ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم
ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث
تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتأتون الرجال جملة مستأنفة لبيان
تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ
وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ
الرجال دون الغلمان والمردان ونحوها مبالغة في التوبيخ وقوله عز وجل شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد
وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة
المكروهة كما ينبئ عنه قوله عز وجل من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محل الاشتهاء كما ينبئ عنه
قوله عز وجل هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب من الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين
للعقد والحل وقوله عز وجل الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء الا قولهم اي لبعض الآخرين المباشرين
للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي
يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الآية خبرها وهو اظهر وان
كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات
لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات
الجارية بينهم وبينه الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور
الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله عز وجل انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم
بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث او الافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار
فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين

اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله عز وجل وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في
العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن
وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة
على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى
عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن
يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره تقدم تفسيره قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله عز وجل من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة
لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم
يذكر معجزته في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عليه السلام ومنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة
الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل
ان يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله عز وجل يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان
نير عبر بها عما آتاه الله عز وجل من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله عز وجل والميزان
فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز
ان يكون معطوفا على اعبدوا فان عبادة الله عز وجل موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه
ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما
باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها اي بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم
باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا
في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان كصراطه وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء
منها منعوه وكانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به
وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او لكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين وقوله عز وجل من آمن به
مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا و

وتبغونها عوجا اي وتطلبون السبيل عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح
ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام
وطائفة لم يؤمنوا اي به اولم يفعلوا الايمان فاصبروا اي تربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه وقال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني
على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرون
متطاولين عليه غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه
عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا نسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى
معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية
الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار
وقوله عز وجل او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود
وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضهم لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا
في ملتنا وانما خاطبوه عليه السلام بالعود في ملتهم مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد
وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيارهم اهون
الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استئناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم
الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه
كما في قوله عز وجل اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر ان كلمة
لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب
قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من
الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه
شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند
تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر
والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه
ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل واحد
الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما قصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله
وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه فان كلمة
لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما قصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من
ضميره لا من ضمير المذكور كما سبق وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما انكار مقارنة

جزء التاسع

لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه ادخل في مجال الاستبعاد وما
في الانكار من جهة ان العود مما لا يمكن عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا وسلوك مع المخاطبين على
معتقدهم لا اسناد اليهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء في الحال
انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو
انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم يختارون العود خشية الاخراج اذ ربما يكره ويختار عند حلول ما هو
اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية
من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما لا نعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها
من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على
انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق
مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة
صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة
المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود
لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لان مناط الاولوية
هو الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما
نحن فيه العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه
وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما
التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما
مقام الآخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا
لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل
وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها
على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا
اليه من حيث هو منفي به بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما ذكر بعد الفعل من تمامه ومن دواعي انكاره
ونفيه حتى يكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على
ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود
كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا
لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه
في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر
ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر
المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين
ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الآخر
او مثلا ان متفقان في جميع الاحكام وكيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود

ثم الحالتين مستقف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكر ما هو اغراق النافي مصحح لنفي العود في الحالتين مع
الاقتصار على ذكر الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح للنفي فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي
كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم ان لله عز وجل ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام
باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشية الله عز وجل
او وقت مشيته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله عز وجل ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته عز وجل لهم مما ينبئ عن
استحالة مشيته تعالى لارتدادهم وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله عز وجل منها فان تنجيته عز وجل لهم منها من دلائل عدم مشيته تعالى لعودهم فيها وقيل
معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيته عز وجل وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في
حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون
من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد
ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله عز وجل على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن فيه من الايمان
ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للمبالغة في التضرع والجوار وقوله عز وجل ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا
واقبال على الله عز وجل بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة واظهر
او ناحية بكشف ما بيننا وبينهم وتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم
الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكون عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا
هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة
شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على
طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين ابائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم
الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة
سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة
هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة
والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم
لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا
بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول
بعده ابدا وقوله عز وجل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم
الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب

العقوبتين

العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام و
بهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه
ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح
والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية
الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي
كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا
والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما في هذه الاية او مقارنة قد كقولك ما زيد الا قد قام
وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس
والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير
منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا وينيبوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله عز وجل ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم لغاية المذكورة الحسنة
اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا
عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا اغترارا واغفالا على ان ما اصابهم من الامرين
ابتلاء من الله عز وجل قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار بانها
تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون
ببالهم شيئا من المكاره كقوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك
عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي من الاخذ واتمام الاهلاك ايام كعذاب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها
بقوله عز وجل في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بدل ما اوجب ابتلاء
معتبرين بما حل عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا
على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات
التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن
لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر و
والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الاية وهذا الاخذ عبارة عما في قوله عز وجل فاخذناهم بغتة لا عن الجدب
والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس
خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة للانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ولعله كما قاله ابو شامة وغيره

لمقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على أفأمن وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان
ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اي تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم
البارز او المستتر في بياتا أوأمن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اي ضحوة
النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا يعنيهم
كأنهم يلعبون أفأمنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله عز وجل استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث
لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه عز وجل في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار
فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين
خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله عز وجل التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات
أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة
ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم واما الاتعاظ والتبيين
والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي أولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اي ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله
ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله عز وجل أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر
والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق
جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات
تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها
بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله نقص عليك من
انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي نقص عليك بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل
تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وفي تقييد الكلام
بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية
معطلة اهول وافظع والباء في قوله عز وجل بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من
فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة
انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل
امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة الكثيرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة
للايمان حتما وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرارهم على عدم الايمان في الزمان الماضي لعدم استمرار ايمانهم وترتيب
حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو خطئه فلم يبرح ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما
استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم

وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد
اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله عز وجل بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا
بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات
الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة
عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين
مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا الكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت
حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي
بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا
بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر
الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى
ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله
عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه
قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش
وابن السراج ليرجع اليه الضمير في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من
المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة
وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت
له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل
ما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا
الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان
بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله عز وجل اليهم من الايمان
والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض
فان اكثرهم لا يفون بالعهود بأي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا
حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدنا اكثرهم لفاسقين
خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من
بعدهم موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على
التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او
صفة لمصدره اي بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي

العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما يأتي على التفصيل
الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم
واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته
عم لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية
وتقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجري الظلم
مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر والتكذيب اي ظلموا كافرين بها ومكذبين بها او كفروا بها مكان
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب
الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا
الابدي الى قوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة
كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب
باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم
للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين
يا فرعون اني رسول من رب العالمين على الوجه الذي تقرر بانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عم في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا
اقول كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالباس كما في قوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثله ناطقا به
او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده
قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله عز وجل قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا
من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عم وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل
بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآية وقوله عز وجل وما رب العالمين الآية وقد طوي
ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها
الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي باضافية واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد
وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان
قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله عز وجل بموسى عم وكان
بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عم اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله
من رسالته وجيئه بالبينة قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون له عم
حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت بآية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها
حتى يثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة الموسومين بالصدق يقتضي اظهار
الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهي الحية العظيمة وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صار
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب

عنه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء
للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار تعجبا من امرها وذلك ما روي انه اري فرعون
يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه
شعاع الشمس وكان عم آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ
من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه
تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من
ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاصل
والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله عز وجل ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فماذا
تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله عز وجل قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر
حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان الامر والرد
ليس من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لذكره قبل الظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الآتية والمعنى اخر امرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجأ وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن
صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضه انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر
من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرداشت وهو انما جاء
بعد موسى عم يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل
اليهم حاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله عز وجل فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال
ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا
له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت
الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد
تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم
وقوله عز وجل وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن
المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما مر
كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا مدلين لشأنهم مخاطبين لموسى يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان
نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة
وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغيير النظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل
وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبالين بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس
بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء
فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الخ وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن
لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة التلقف الهائلة والافك الصرف والقلب

عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انه لما تلقف ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله عز وجل بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله عز وجل والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون وملئه اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما قرئ ان لنا لاجرا وقرئ بتحقيق الهمزتين الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله عز وجل قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله عز وجل لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام والتقى هو وامير السحرة فقال له موسى ارأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها عند الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارادة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى عليه السلام وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين شبهتين وتثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبها بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله عز وجل محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا انا بحق على ما احدثنا من الايمان انا الى ربنا لمنقلبون بالموت لا محالة فلنؤمن ان كان ذلك من قبلك ولا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت ذلك بنا كانهم استطابوا شغفا بلقاء الله عز وجل او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينكم وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعدما شاهدوا من امر موسى عليه السلام ما شاهدوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم

وتخصيص حمل الملك وليبني اسرائيل لما ان شبهتان القاها الى اسماع عوام القبط

عن متابعتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم الاخاء اي يكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر واستئنافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم تتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله عز وجل والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وانما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل ليس مما يلجئهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احساما كان او قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف نفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه عز وجل لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف ولا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالقحط ونقص من الثمرات باصابة العاهات كيلا يأتي على نخل الا تحمل النخلة الا ثمرة وقال ابن عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم ويتركوا ما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وقد مر تفسير قوله عز وجل لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة الآية بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال

قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعنادهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لكما
كانوا ايضاً لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتواً وعناداً وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق
الارادة بها الا بالعرض وقوله عز وجل الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله عز وجل لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق
في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او
ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم الا ما عداها وقرئ انما طيرهم
وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار
بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من خير والشر من جهة الله عز وجل او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا
بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب
التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعدما رأوا ما رأوا من شأن
العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت
الى اين في اينما تكونوا وانما يذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذراً من تكرر المتجانسين هذا هو الرأي
السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي
شيء تحضرنا به وقوله عز وجل من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على رأي موسى عم واستهزائهم بها والاشعار
بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله عز وجل لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميته للارشاد الى الحق بالسحر
وتسكير الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني
للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله عز وجل ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا
الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام
فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله
ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عم كما ذكر فخرج الى الصحراء
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقته
الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثاً فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك
ساحر ثم ارسل الله عز وجل عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها
مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعاً وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف
الله عز وجل عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عز وجل عليهم الدم فصارت مياههم دماً حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دماً وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دماً في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف
آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله عز وجل ونقمته وقيل
مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعاً وقيل

انه عم لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة ويريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا وابوا عن الايمان بها وكانوا قوماً
مجرمين جملة معترضة مؤكدة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة
من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه
بمعنى ادع الله متوسلاً اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم
بقوله عز وجل لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله تعالى
عندك لئن كشفت فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او
مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا فاجاؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان
ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله عز وجل فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون
المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله ونادى نوح ربه فقال رب الآية في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته
بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم
تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح
بالتعليل ايذاناً بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله عز وجل والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن
تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله عم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي
بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو
اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهاراً لكمال لطفه عز وجل بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق
الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية
والغربية كيف شاؤوا وقوله عز وجل التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب
وقيل للارض وضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة
وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومضت على بني اسرائيل
بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع
فرعون وقومه من العمارات والقصور اي دمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة
خبر كان والعائد محذوف ايضاً والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون وقيل كان زائدة وما مصدرية والمعنى
ما يصنع فرعون وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه
فرعون اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذا القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم
الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية
لرسول الله عم وايقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا
وهو ايضاً بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عم يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تعالى فرعون

فمضوا شاكرا الله عز وجل فأتوا أي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم
يعكفون على أصنام لهم أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل
بقر وهو أول شأن العجل قالوا عند ما شاهدوا أحوالهم يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة
بمحذوف وقع صفة لإلها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلها كائنا كالذي استقر لهم قال
إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم هذا إثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم
وأكده بقوله إن هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر أي مدمر مكسر ما هم فيه أي من الدين الباطل أي
يتبر الله عز وجل ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاضا وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على
التحقيق وباطل أي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله عز وجل فإنه كفر
محض وليس هذا كما في قوله عز وجل وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فإن المراد به أعمال البر التي عملوها
في جاهلية فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر وفي إيقاع هؤلاء
اسما لإن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة
لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا قال أغير الله أبغيكم إلها شروع في بيان شؤون الله عز وجل الموجبة
لتخصيص العبادة به عز وجل بعد بيان أن ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه أصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون
كل منهما كلام موسى عم والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير للإيذان بأن المنكر هو كون المبغي غير الله عز وجل
لما أنه لا اختصاص الإنكار بغيره عز وجل دون إنكار الاختصاص بغيره عز وجل وانتصاب غير على أنه مفعول أبغي بحذف اللام
أي أبغي لكم أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلها إما تمييز أو حال أو على الحالية من إلها وهو المفعول لأبغي على أن الأصل أبغي لكم إلها
غير الله فغير الله صفة لإلها فلما قدمت صفة النكرة نصبت حالا وهو فضلكم على العالمين أي والحال أنه عز وجل فضلكم بنعم
لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله عز وجل إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بأن عمدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته فجعلوه شريكا له عز وجل تبا لهم ولما يعبدون وإذ أنجيناكم تذكير لهم من جهته
عز وجل بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون وقرئ أنجيناكم من التنجية وقرئ أنجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عم أي واذكروا
وقت إنجائنا إياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم من المكنة والقدرة بل بإهلاكهم
بالكلية يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا أي أولاه إياه أو كلفه إياه وهو إما استئناف لبيان ما
أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله عز وجل يقتلون
أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له وفي ذلكم الإنجاء أو سوء العذاب بلاء
أي نعمة أو محنة من ربكم من مالك أموركم فإن النعمة والنقمة كلتيهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة روي أن موسى عم وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عم ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر
خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته وقيل أوحى الله عز وجل إليه أما علمت أن
ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله عز وجل بأن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى
وأتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وقيل أمره الله عز وجل بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها
بما يقربه من الله عز وجل ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصل

ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم منزلة الوعد
وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف أي إتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه أربعين ليلة أي بالغا
أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون حين توجه إلى المناجاة حسبما أمر به اخلفني أي كن خليفتي في قومي و
راقبهم فيما يأتون وما يذرون وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين
أي لا تتبع من سلك الفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا أي لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي
اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عم وفيما روي أنه عم كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه
على أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أي أرني ذاتك
بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته عز وجل جائزة في الجملة لما أن طلب
المستحيل مستحيل من الأنبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى ولن أريك
ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا
اجعل لنا إلها وأن لا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد
خطأ إذ لا يدل الإخبار بعدم رؤيته إياه على أنه لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى
الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة
حين قال موسى عم ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك
لبيان أنه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل
هو جبل أردن فلما تجلى ربه للجبل أي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطي الجبل حياة ورؤية حتى رآه
جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء أي أرضا مستوية ومنه
ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء أي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما أفاق
الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما بسبب من الأسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك
أي تنزيها لك من أن أسألك شيئا بغير إذن منك تبت إليك أي من جراءتي والإقدام على السؤال
بغير إذن وأنا أول المؤمنين أي بعظمتك وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وقيل بأنه لا يجوز
السؤال بغير إذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عم من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن
منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها إني اصطفيتك
أي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس أي المعاصرين لك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا
باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي أي بأسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك بغير
واسطة فخذ ما آتيتك أي أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما أعطيت من جلائل
النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء أي مما يحتاجون إليه
من أمور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام
واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين
وأنها كانت من زمردة جاء بها جبريل عم وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل أمر الله عز وجل موسى عم بقطعها من صخرة

صمائيتها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع و
قيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار القول
معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله عز وجل فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء
لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتورية وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة
الى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب وحث على اختيار الافضل كما في قوله عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من
او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة كما قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى
ولذكر الله اكبر وقيل سوان تحمل الطلبة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار
الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على
نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية
على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على
ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما
ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده
قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت الزند اي سأبينها لكم وقوله عز وجل سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التورية
من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى
صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر
كقوله عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق
مع ان المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون
لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكوا مسالكهم لكنهم يكونوا
امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فابى الله الا احقاق
الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر
في الارض وباراءتها المخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله عز وجل يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الآية جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد
بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها الوقوع
اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف
الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها
كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزداد ثقة بالآيات واطمئنانا بها
وقوله عز وجل بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من
فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله عز وجل وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه

في حكم

في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق
المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم
اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله عز وجل وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء
الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم
الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى
سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من
القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون
اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يشبهه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد قرن بذلك في قوله عز وجل ذلك بما عصوا
الآية ويجوز ان يكون اشارة الى مثل الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم وكون ذلك معللا بالكفر بآيات الله تعالى
وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ولقائهم ما وعده الله عز وجل في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء
وقوله عز وجل حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعدما
كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي
واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة
الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبل الغرق فبقيت في ايديهم واما لانهم
ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا
من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى
عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله عز وجل جسدا بدل من عجلا اي
جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله عز وجل له خوار اي صوت بقر وقرئ جؤار بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت
لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور
فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل في جوفه الريح فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه
اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه
الم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو
اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه
فكيف اتخذوه الها وقوله عز وجل اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم
يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم
اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ
سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة

أي على كلا الاولين الاول للاطلاق ومعنيهما فان الاول
للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني
متعلق به

بالكناية أو بطريق التمثيل ورأوا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل أي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر
ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا
بإنزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئاتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية إما للمسارعة
إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما
أشير إليه في قوله عز وجل لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وإن كان بعد ما رجع موسى عليه السلام إليهم
كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن أريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من الفعل والقول في موضع واحد ولما رجع موسى إلى
قومه شروع في بيان ما جرى بعد مجيء موسى عليه السلام من الميقات إثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله عز وجل غضبان أسفا
حالان من موسى عليه السلام أو الثاني من المستكن في غضبان والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني
من بعدي أي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله عز وجل ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة
له أو من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه أبصاركم حيث قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة
المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري وأشياعه أو بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب
لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله عز وجل قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري ويجوز أن
يكون الخطاب للكل على أن المراد بالخلافة ما يعم الأمرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم أعجلتم أمر ربكم أي أتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل
عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى
الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي أن التورية كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها
انكسرت فرفعت ستة أسباعها التي كانت فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه
بشعر رأسه عليه السلام يجره إليه حال من ضمير أخذ فعله عليه السلام توهما أنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا
ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال أي هرون مخاطبا لموسى عليه السلام ابن أم بحذف حرف النداء وتخصيص الأم بالذكر مع كونهما
شقيقين لأن ذكر الأم أعظم وأدخل في الاستعطاف مع أنها كانت مؤمنة وقد قرئ بحذف الياء والثاني وقرئ بكسر الميم بإسقاط الياء
تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء وقرئ بالفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكا
وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت
بي الأعداء أي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين أي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
أو النسبة إلى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل أو لا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب
اغفر لي أي ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر من قبله ولأخي إن فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه
ليرضي أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولأخيه للإيذان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان يجب عليه
أن يقاتلهم وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام بعد غفران ما سلف منا وأنت أرحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا
في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله إن الذين اتخذوا العجل أي استمروا على اتخاذه
واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه من الذين أشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن
التائبين فإن ذلك صريح في أن الموصول الأول عبارة عن المصرين سينالهم أي في الآخرة غضب أي عظيم لا يقادر قدره

مستتبع لفنون العقوبات لما أن جريمتهم أعظم الجرائم وأقبح الجرائر وقوله عز وجل من ربهم أي مالكهم متعلق بينالهم أو بمحذوف
هو نعت لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي
ذلة الاغتراب التي تضرب بها الأمثال والمسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد
عن الناس والابتلاء بلا مساس روي أن بقايا اليهود يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حما جميعا في
الوقت وإيراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الأخلاف على حال الأسلاف وقيل المراد بهم التائبون
وبالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والعذر عن السين بأن ذلك حكاية لما أخبر الله عز وجل به موسى عليه السلام حين أخبره بافتتان
قومه واتخاذهم العجل بأنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وأنت خبير بأن سياق النظم الكريم وسباقه
نائيان عن ذلك ينبوان عنه كيف لا وقوله عز وجل وكذلك نجزي المفترين ناد على خلافه فإنهم حينئذ تائبون
فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وأيضا ليس جزاء الله عز وجل كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه
لطف ورحمة وقيل المراد أبناؤهم وهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تعيير الأبناء بأفاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى
وإذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الأخروي وبالذلة ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد
بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم أخلافهم ولا ريب في أن توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال الذين
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات أي سيئة كانت ثم تابوا من تلك السيئات من بعدها أي من بعد
عملها وآمنوا إيمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بإقامة ما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة
الأولى إن ربك من بعدها أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان لغفور للذنوب وإن عظمت وكثرت رحيم
مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت
عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى مصر وتائب والإشارة إلى مآل كل منهما إجمالا أي
لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا صريح في أن ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا
النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد
والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وأسكت على أن الفاعل هو الله عز وجل أو أخوه أو التائبون
أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها أي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ أي من الألواح المنكسرة
هدى أي بيان للحق ورحمة للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الأولى متعلقة بمحذوف
هو صفة لرحمة أي كائنة لهم أو هي لام الأجل أي هدى ورحمة لأجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله عز وجل إن كنتم للرؤيا
تعبرون أو هي أيضا لام العلة والمفعول محذوف أي يرهبون المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع
في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما مجرور أي اختار من قومه بحذف الجار وإيصال
الفعل إلى المجرور كما في قوله اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واختل من كان يرجى عنده السول أي اخترتك من الناس
سبعين رجلا مفعول أول لاختار أخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر لميقاتنا الذي
بعد ما وقع من قومه ما وقع للميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي أمر الله عز وجل بأن يأتيه في ناس
من بني إسرائيل يعتذرون إلى الله عز وجل من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن إسحق
ليتوبوا إلى الله عز وجل مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركهم وراءهم من قومهم فقالوا اختار من كل سبط ستة فزاد
اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين

وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما ... وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة بما اجترؤا
عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا وقيل هم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعنا من الامر
بقتل انفسهم هو الله عز وجل حتى نراه حيث قاسوا رؤيته عز وجل على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عم تلك الحالة
الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم
عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به تذكير العفو السابق لاستجلاب
العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك
ولم يكن من موانعه الا عدم مشيتك اياه حيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك المرة فلا جرم نرجو ان تعفو عنا هذه المرة ايضا
وحمل الكلام على التمني يأباه قوله عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شئونك ولا يتثبتون
في المداحض والهمزة اما للانكار ووقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد
اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء
وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم
يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله عز وجل تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين
لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء
هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا
لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل من شان الولي المغفرة والرحمة وقيل
ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ جراءة عظيمة تطلب من الله عز وجل غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة
آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم
بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة
حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا ورد نا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى
والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه وامال ويحتمل ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول
عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله
بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية
العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع منا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل
لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عم يتضرع الى الله عز وجل حتى احياهم وقيل صعقوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله عنهم قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا
قال الله عز وجل عند دعاء موسى عم فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم
ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة
والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب بما معناه ان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل

مع القاضي البيضاوي

لغيري فيه وهم ممن تبنا ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شأنها انها تسع
في الدنيا المؤمن والكافر بل ما يدخل تحت المشية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في العذاب الدنيوي وفي الاصابة
الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد
والمشية معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله عز وجل فسأكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع
على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة خاصة بما
دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الآية اي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي
اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مع العذاب
الدنيوي ويؤتون الزكوة وتخصيصها بالذكر منهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع اغنائها عن سائر
العبادات الاكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة
لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات
العظام التي جاء بها موسى عم وبالمسيح بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف
هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول
الذي يوحى اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه عز وجل وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة
الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عم انا امة لا نكتب ولا نحسب او الى
ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول
بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون
او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال
يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذه الزيادة لتقرير ان شانه عم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل
اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه
من ذكر النبي عم والقرآن الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله
الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال
الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال
مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت
عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص
في العمد والخطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت
وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من
الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عم وبيان علو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر
بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عم اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين

مع القاضي البيضاوي

آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه
التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا
بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي
عم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل
من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل
فيهم قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين
دعائه عم وبين الجواب لا ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم
الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا
يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصافهم اعقابهم الذين آمنوا برسول الله عم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من
اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في
الكتابين من نعوت رسول الله عم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم سعادة الدارين امر عم ببيان ان تلك السعادة غير مختصة
بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عم باقوامهم وارسال
موسى عم الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية ولارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال
من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما
هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله عز وجل لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
وقوله عز وجل يحيي ويميت لزيادة تقرير الوحدانية والفاء في قوله عز وجل فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي لترتيب الامر على ما تمهد وتقرر
من رسالته عم وايراد نفسه عم بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف
الرسول بقوله تعالى النبي الامي لمدحه عم بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه عز وجل بقوله الذي
يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عم من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به و
التصريح بايمانه بالله عز وجل للتنبيه على ان الايمان به عز وجل لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ كلمته
على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به عم من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على
ان المراد بها عيسى عم تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من
امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي
تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة
ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول
الله عم من حرمان اسلاف قوم موسى عم من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم
امة يهدون اي الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي
في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا
بالنبي عم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤوا

على قتل الانبياء عم تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله لهم نفقا
في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وقد ذكر عن النبي عم ان جبريل عم ذهب به ليلة المعراج نحوهم فكلمهم فقال جبريل عم هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي
الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عم اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه السلام فرد محمد السلام على موسى
عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عم مع
ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله اثنتي عشرة
ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها
من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله عز وجل اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على
ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله عز وجل امما على الاول بدل بعد
بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم
العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا لجحد استسقائهم اياه عم بل لكن استسقائه عم لهم لقوله عز وجل
واذ استسقى موسى لقومه وقوله عز وجل ان اضرب بعصاك الحجر مفسرة لفعل الايحاء وقد مر بيان حال الحجر في سورة
البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عم الى
الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه قد حصل اثر
الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله عز وجل اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
بعدد الاسباط واما ما قيل من ان المقدر فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجلالة النظم الكريم وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة
بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناه بحيث يلقي عليهم ظله يسير بسيرهم ويسكن باقامتهم وكان ينزل
عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم
المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا
اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار
بانه امر محقق غني عن التصريح به فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ
لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي
عم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه عز وجل كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله
عز وجل واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر
للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله عز وجل لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال
سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من
بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المأمور به في سورة البقرة هو

الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا في قوله عز وجل وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او
منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا
واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو للمقارنة بينهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا
وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين
مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب
لان المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها
موسى بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس
فقد روي انهم لم يدخلوه في حيوة موسى فقيل المراد بالباب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم
كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة
وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال ناشئ من الاخبار بالغفران كانه قيل
فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة
والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم
وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل
واستهزاء بموسى وقوله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا
تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة
على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون
روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق
حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء
والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد
الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله عز وجل اعلم واسألهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود
المعاصرين لك سؤال تقريع بتقرير كفرهم وتجاوزهم لحدود الله عز وجل واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية
التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه امي
من ذلك يتعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي
ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة
مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف
المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان
وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون
عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال
عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها
اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان
المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت

يوم سبتهم ظرف لتأتيهم اي تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله شرعا جمع شارع
من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل
ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما
معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تأتيهم كما كانت
تأتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتعليق الحكم بعدم السبت حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها
يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون
وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم سبتهم فالجملة ح استئناف مبني على السؤال
عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتمادیهم في
العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول
حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار
لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم
مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون
في الدنيا ومعذبون في الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررها
البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه
بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة
الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم
معذرة اليه على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة اليه عز وجل حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير
المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين
لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي
للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان
المذكوران واضاح انجائهم مع ان الجواب الذي هو المترتب على الشرط هو قوله تعالى واخذنا الذين ظلموا الخ لما في ذلك من
الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكورون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين وانما تصدير
الجواب بانجائهم فلما مر ارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئيس على وزن
فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء

وكذيب في ذئب وبئيس كرئيس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بئيس كهين وهين وعلى
العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم بما
ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر
بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك
خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما تأخر عنه ابتداء المباشرة ساعة ولعله عز وجل قد عذبهم بعذاب
شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله عز وجل فلما عتوا عما نهوا عنه اي
تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر التكويني
لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر
والاستعصاء عليه عز وجل وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي
امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله عز وجل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا
وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام
فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود
صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا يقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم
حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا
واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير
وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم
لا يعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث
وقيل الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها
اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله
عز وجل جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله واسالهم
بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه عز وجل على نفسه ان يسلط على اليهود
البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله عليهم
بعد سليمان عم بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث النبي عم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم
في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم
في قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله عز وجل امما اما مفعول ثان لقطعنا
او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير سيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس

دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم
يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك
يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله عم ورثوا الكتاب
اي التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب
بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى
في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله عز وجل بذلك
ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال
من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله عز وجل وخروج
عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم
يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب
الذي جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله عز وجل واقاموا الصلوة ولعل التغيير في المشهور
للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها
بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر عطفا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض
مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله عز وجل انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي
جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى
فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله عز وجل مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط
ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون
وقوله عز وجل انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة
اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله
عز وجل عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر
معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه
اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا
اي واذكر لهم اذ اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له سبب

من الاسباب كالعقم وعدم الزوج والموت صبيا واختيار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء
عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي
واضافته الى ضميره عم للتشريف وقوله عز وجل من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله عز وجل للذين
استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل عقيب الاجمال
وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله عز وجل ذريتهم
مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله عم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم
في بني آدم وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل
وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا
على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله عز وجل الست بربكم
على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم
استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به عز وجل قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل
لخلقه عز وجل اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد
والاسلام كما ينطق به قوله عم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه اياهم لمعرفة ربوبيته
بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا
كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله عز وجل اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم
اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله عز وجل فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقوله عز وعلا ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله عم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم
والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله عز وجل الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء لان الكل
غيب للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة
او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث
جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل
لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله عز وجل او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على ان تقولوا واو لمنع الخلو
دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل
ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون
عن التدبر والاستبداد بالرأي او تقولوا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا
فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة
على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضه من انه لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضه انه سئل عن الآية الكريمة
فقال سمعت رسول الله عم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة

وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه عز وجل
اخرج الكل من ظهره عم بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان
المظهر الاصلي ظهره عم وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج
الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله عم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد
الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عم من ظهره قطعا
وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة
حسبما ينطق به قوله عز وجل ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير واقع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد
البشر يذكر ذلك ممدود ولكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره
كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل لان قوله عز وجل ان تقولوا
ليس مفعولا له لقوله عز وجل واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا
لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها
الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن هذا الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على
القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ فيما مضى لئلا يعتذروا يوم
القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله عز وجل شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه
من كلام الله عز وجل فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نرد
وننكر عليكم وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته
والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية
اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا عما
هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور فالواو ابتدائية ويجوز ان يكون الثانية عاطفة على
مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر ولعلهم يرجعوا واتل
عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمط في الانباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء وبلعام بن باعر
من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله عز وجل وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله
عز وجل مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله عز وجل النبي عم حسده وكفر به والاول
هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر بباله
اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط
خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان
اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان
غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين
روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا
في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عم روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه

عليهم كما في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي
الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه
لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا لمحض مشيئتنا من غير ان يكون
له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد
بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله عز وجل بها اي بسبب تلك الآيات
بان عمل بموجبها لكان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله عز وجل لكن خلقه
عز وجل منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي
الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره
اليه الا بخلقه عز وجل كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسبب [illegible] لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى
اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فتركه في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على اشعار
المذكور بالمطوي كما في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الخير مراد له عز وجل بالذات وتفضل محض عليه ولا دخل
لجميع افعاله ومباديها من نعمه عز وجل وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية
له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في بيان السنة القرآنية
على اسناد الخير الى الله عز وجل واضافة الشر الى الغير كما في قوله عز وجل واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد
الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل
السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط
وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله عز وجل فمثله كمثل الكلب الذي هو اخس الحيوانات واسفلها وحد
حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفة اراذل
احواله وهي حال دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايراد
الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره
واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث
ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته
على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها
بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية
مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج
قوله عز وجل خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية
من الكلب بناء على وجهها من حقيقة الشرط وتحويلها الى معنى التسوية حسب تحويل الاستفهام من المنافي اليه
في قوله عز وجل ااندرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما
اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة
المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك

ذلك

ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة
اي ذلك المثل السيئ مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن
المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم
التوراة فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق
ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون
عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة في محل النصب على
انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم ساء مثلا القوم استئناف مسوق لبيان
كمال قبح المكذبين بعد بيان كونهم كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعله مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص
بالذم قوله عز وجل القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير
الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة
وللربط قوله عز وجل وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب
آيات الله عز وجل بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها وايا ما كان ففي يظلمون لهم الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر
المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين
مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية
والضلالة من جهة الله عز وجل وانما الوعظ والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه
سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله عز وجل اياه كسائر افعال العباد
فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية بل لانها الفرد الكامل
من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله عز وجل
هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله عز وجل حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور
استلزام هدايته عز وجل للاهتداء بل التنظيم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو مقصر الاهتداء على من هداه الله عز وجل حسبما يقتضي به تعريف الخبر فالمعنى من يهده
الله اي يخلق فيه الاهتداء على وجه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان
لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه
المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى اللفظ وجمع الخاسرين نظرا الى المعنى
للايذان باتحاد منهاج الهدى وتعدد طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق
التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله عز وجل كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا
لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتأخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله عز وجل من
الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس في
الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة

لا يبطر بوجه من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه عز وجل بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل
يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما
ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله
عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عز وجل لهم قلوب في محل النصب على انه صفة لكثيرا وقوله عز وجل
لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر
افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف
لها بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا
الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان
يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين
لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا
من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات
فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون
بها واذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء
بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم
في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور
او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانه ان تدركه
من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون
بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها
وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون
بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق
على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شئون الله عز وجل ولا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله
شيء وهو السميع العليم اصناما هي من اخس مخلوقاته عز وجل ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على
كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان
غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن
المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال
لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او
بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب
عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه عز وجل وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال
يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته عز وجل ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب

وبالاسماء اسماؤه عز وجل حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره عز وجل كما سموا
اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه عز وجل حقيقة
كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس
المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا
ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتشتفون
بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق
ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما في تفسير قوله عز وجل ومن الناس الآية اي
وبعض من خلقنا او بعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس بالحق او يهدونهم ملتبسين بالحق ويدلونهم على الاستقامة
وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله
وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع
ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا
شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء على وجه الترغيب ومحل الموصول
الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على
تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك
شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط
او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك
ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه وحيث
كان ذلك تدريجا في مراقي منافع مع انه في الحقيقة تدرج في مهاوي مصارعه كاستدراجه سبحانه اياهم بان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم
في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه عز وجل فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا الى المطلوب بل الى خلافه فيتدرجون في مراتب النعم بل هو تدرجهم في
مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة الى هذا وقوله عز وجل من حيث
لا يعلمون متعلق بهم ووقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك
بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم
السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا
بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان
المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجريد القصد والنية واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي و
والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والالتفات عن ايرادها في قوله تعالى
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه المواد بطريق جريان على سنن الكبرياء ان
كيدي متين تقرير للوعيد وتأكيد له اي اخذي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ

مبحث الدلالة على حجية اجماع الامة

تعريف الاستدراج

الشديد على غرة فتسميته كيدا لما أن ظاهره لطف وباطنه قهر وأما نفس ذلك الأخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك وأما أن حقيقة
الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه فمما لا يعول عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد
المذكور حتما أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكرهم في شأنه عم وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل
عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما
استفهامية إنكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وأما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة
والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من أفعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار أي
أكذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو أعظم الهداة الهادية بالحجج وعلامة أن تلك الآيات أو في
أنه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات
وقيل قد تم الكلام عند قوله عز وجل أولم يتفكروا أي أكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل أي شيء بصاحبهم من جنة ما على
طريقة الإنكار والتعجيب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه عم بصاحبهم للإيذان بأن طول مصاحبتهم له عم مما
يطلعهم على نزاهته عم عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتنصيص لنفي الجنون عنه عم مع وضوح استحالة ثبوته عم لما أن
المتكلم بما هو خارج عن قضية العقول والعادات لا يصدر إلا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى أو عمن له
تأييد إلهي يخبره عن الأمور الغيبية وإذ ليس به عم شائبة الأول تعين أنه عم مؤيد من عند الله عز وجل وقيل إنه عم علا الصفا ليلا
فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله عز وجل فقال قائلهم إن صاحبكم هذا المجنون بات يهوت إلى الصباح
فنزلت والتنصيص بنفي الجنون رد لعظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عم بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة
وقوله عز وجل إن هو إلا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عم على منوال قوله إن هذا إلا ملك كريم
بعد قوله عز وجل ما هذا بشرا أي ما هو عم إلا مبالغ في الإنذار مظهر له غاية الإظهار إبرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الإعذار وقوله سبحانه
أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض استئناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات
التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نعي عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه عم
والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور أو على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم أي أكذبوا
بها أولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما تدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق
الله أي وفيما خلق الله فيهما على أنه عطف على ملكوت وتخصيصهما بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما أو في ملكوت ما خلق على أنه
عطف على السموات والأرض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله عز وجل فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء وقوله عز وجل من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها
والمعنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته
عز وجل وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحاد مدلول الكل فإن كل فرد من أفراد الأكوان مما عز و
هان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وقوله عز وجل وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم
عطف على ملكوت وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو أن يكون واسم يكون أيضا ضمير
الشأن والخبر قد اقترب أجلهم والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم وقد جوز أن يكون
اسم يكون أجلهم وخبرها قد اقترب على أنها جملة من فعل وفاعل هو ضمير أجلهم لتقدمه حكما وأياما كان فمناط الإنكار والتوبيخ تأخيرهم
للنظر والتأمل أي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الناطقة بما كذبوه من الآيات القرآنية

وقد جوز أن يكون الأجل عبارة عن الساعة والإضافة إلى ضميرهم لملابستهم لها من جهة إنكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل
فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال إيمانهم رأسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات وإخلالهم بالتفكر والنظر
والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا أو بتأويلها بالمذكور وإجراء
الضمير مجرى اسم الإشارة والمعنى أكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من أحواله عم وأحوال المصنوعات فبأي حديث
يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون
إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو إنكار وتبكيت لهم مترتب على إخلالهم بالمسارعة إلى التأمل فيما ذكر كأنه قيل
لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه
يريدون أن يؤمنوا وقيل الضمير لأجلهم والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء أجلهم يؤمنون وقيل للرسول عم على حذف مضاف
أي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو أصدق الناس وقوله عز وجل من يضلل الله فلا هادي له استئناف مقرر لما قبله
منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله عز وجل ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم وقرئ بنون
العظمة على طريقة الالتفات أي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا
أحد يهديه ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ وقوله عز وجل يعمهون أي يترددون ويتحيرون حال
من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا إلى لفظة من وجمعه في حيز الإثبات نظرا إلى معناها للتنصيص على شمول النفي
والإثبات للكل يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم أي عن القيامة
وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة ما فيها من الحساب أو لأنها ساعة عند الله عز وجل مع
طولها في نفسها قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم
مع علمهم أنه قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله عز وجل أيان مرساها بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وهو ظرف
زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما كلاهما وقيل
اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وهو من أويت إلى الشيء لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه
ومحله الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر أي متى إرساؤها أي إثباتها وتقريرها فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته
وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كما في قوله عز وجل والجبال أرساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة
جر على البدلية من الساعة والتحقيق أن محلها النصب بنزع الخافض لأن البدل من المجرور لا بد أن يكون مجرورا كأنه
قيل يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة أولا وبوقتها ثانيا تنبيه
على أن المقصد الأصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك
في الجواب اللائق الصائب حيث أضيف العلم المطلوب بالسؤال إلى ضميرها فأخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل
قل إنما علمها أي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل إنما علم وقت إرسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة
حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عم للإيذان بأن توفيقه عم للجواب
على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد ومعنى كونه عنده عز وجل خاصة أنه عز وجل قد استأثر به بحيث لم يخبر
به أحدا من ملك مقرب أو نبي مرسل وقوله عز وجل لا يجليها لوقتها إلا هو بيان لاستمرار تلك الحالة
إلى حين قيامها وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الإخبار من جهته عز وجل أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية

اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها
ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره
لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف
التام المزيل للابهام بالكلية وقوله عز وجل لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل
لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار
بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله عز وجل ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله
مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول
وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منها وما
فيها شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وما بعده من قوله عز وجل لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر
لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجاءة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك
كانك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه صلى الله عليه وسلم عالم بالمسؤول عنه
وان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شان المسؤول عنه والجملة التشبيهية
في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك
اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك
مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به
ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استئصاله والاحفاء في المسألة
اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله عز وجل كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ
كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى
يسألونك كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم فيفيه تخطئة لهم من جهتين وقيل
من حفي بالشيء بمعنى فرح به كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله
عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر صلى الله عليه وسلم باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتمهيدا له واشعارا بعلته على الطريقة
البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به عز وجل فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر
قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يزعمون ان
العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الموفقون
على جلية الحال من المؤمنين واما الذين يسألون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعلموا
بعلمهم وقوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل
عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه صلى الله عليه وسلم عالما بها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه
على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام
متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه

من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز
ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن
المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية
للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا ما
كان لا منع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شاني حيازة ما يهمهما من العلوم الدينية
والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار
من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار
عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله عز وجل لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون
بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر
وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان
هو الذي خلقكم استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جرايتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية لذلك والتعبير عن
الموصول خبر الفخيم شان المبتدأ اي ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه
من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة من خلقهم وتصويرهم
في ضمن خلق آدم عليه السلام وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا
لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله عز وجل جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما
يروى انه عز وجل خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية وجعل
اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل
قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى
وقوله عز وجل ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا
للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله عز وجل فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او
علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته عز وجل
عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به
كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنه وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها
ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما تستثقله فمرت به اي فمضت به الى
ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله عز وجل فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا
ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون
بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه
ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما
قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية
اي دعواه عز وعلا ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا والله لئن آتيتنا صالحا

حملت حملا

اي ولدا من جنسنا سويا بالتكوين نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة
وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما من النوع مستلزم لسائر افراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة و
وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا
وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء
اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشان ما هو بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر
غير مخل بالاعتناء المذكور بل هو مؤكد له واياما كان فمعنى قوله عز وجل فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد
وولد الولد ما تناسلوا فقوله عز وجل جعلا اي جعل اولادهما له عز وعلا شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله عز وجل فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث
سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ
منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما
هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شركة اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف
مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسراية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية
يقتضيها المقام كما في مثل قوله عز وجل واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود
قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا قوله عز وجل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان
القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في
ان ابويهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجه الايذان
بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف
احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا موكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استجلاب
الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف
وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله عز وجل والجناية عليهما فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى
التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته عز وجل وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة
الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة
اي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون
بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا
منه وكان له زوج من جنسه عربية وقرشية وطلبا من الله عز وجل ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها
ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك فذكرته لآدم فهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله عز وجل بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث
فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل
هذا الشان من خطر او غير محال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استيناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين

واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان
ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن
حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله عز وجل وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين جمع العقلاء
مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا
سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها
واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه
من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي
لعبدتهم اذا نزل بهم امر مهم وخطب ملم ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعون عن
انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم
بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا
بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله عز وجل وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر
وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات
المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب
او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله عز وجل سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم
لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله عز وجل ام انتم صامتون جملة
اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته
للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا
يتبعوكم مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين
فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم
من دونه من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل
مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم
بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله عز وجل فادعوهم
فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في
زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله عز وجل الهم ارجل يمشون بها تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر
التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان
لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات
التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا
للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة
ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال

ايمشون بارجلهم للتخصيص المخاصيت لم يظهر منها ما يظهر من ساير الارجل وهي ليست بارجل حقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح
الثلث الباقية وكلمة ام في قوله عز وجل ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والانكار وبل للاضراب
مفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون
بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش
حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله عز وجل ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من
احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اظهر واقوى
واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الآية تقريرا
لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما تبين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر
رسول الله ام بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على ثم كيدون
جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدماته
فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق الفها ما جليا ووصفه
عز وعلا بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم
لان وليي هو الله الذي انزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم
وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم
والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم
اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا
عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله عز وجل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن
الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل لعدم المبالاة اصلا والرؤية بصرية وقوله عز وجل ينظرون اليك حال من المفعول
والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين مشبهين الناظرين اليك ومخيلين اليك انهم
يبصرون وذلك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل
واحد منهم لا الى الكل من حيث الكل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا تختص بالكل
بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله ام وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد
تم عند قوله عز وجل لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب
في قوله عز وجل وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله ينصرون اي وان تدعوا ايها المشركين الى الاسلام لا يسمعوا اليكم ثم
خوطب بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه ام من شواهد النبوة و
دلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم بالابطال حمله رسول الله
ام مجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو
الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وامر بالعرف اي بالجميل المستحسن
من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله

جبرئيل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن
ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب
فنزل قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على
المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اغراء
غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه من شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن
القول وبدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول
الصديق رضه ان لي شيطانا يعتريني وفيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله عز وجل تهويل
لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك
عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استيناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به ام من الاستعاذة
بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم
طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور
حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوي
او اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سياتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه
فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين
وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم
بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم
لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية
من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا لانهم يرون ان سائر الآيات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الي من
ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله ام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى
نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي كلفوه اياه ام لا على معنى تخصيص اتباعه ام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس
الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله عز وجل ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا
اتباع ما يوحى الي منه عز وجل وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره ام
من تشريفه ام والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة
منه عز وجل والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله عز وجل وهدى ورحمة عطف على بصائر
وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله عز وجل لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة
الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة
من تمام القول المأمور به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي
عليها القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اي واسكتوا

في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر
النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم
الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون
في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه
خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام القول المأمور به واستيناف
من جهته عز وجل فقوله عز وجل واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اي متضرعا
وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال
متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ بالايصال وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل
موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله عز وجل ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلوة والسلام ومعنى
كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته عز وجل لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها
حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية
والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

تمت الكتابة في اليوم الخامس من محرم الحرام المسمى خمس وستين و...

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة وسميت به لانها عطية من الله عز وجل زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد
من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف
تقسم ولمن الحكم فيها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين
واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت وقال سعد بن معاذ لرسول الله عليه السلام والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة
في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي عليه السلام قد
شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل
والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام
لحكم الانفال وقضيته كلمة عن لا استعطاء لنفسه كما ينطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه
بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك
الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما ينبئ عنه الجواب بقوله عز وجل قل

الانفال

بان يستحق بعده الامام استحقاق المنفل ما شرط له بعد شرعيته ثم نسخ ذلك بناسخ او ...

الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به عز وجل يقسمها الرسول عليه السلام كيف ما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد
ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول
لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله عز وجل لا بحكم
سبق ايديهم اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله
عليه السلام لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته
بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد والسدي وعكرمة من ان الانفال
كانت لرسول الله خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله عز وجل فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد
بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما ينطق به قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ حسبما
قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله عليه السلام ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله عليه السلام على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام
للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال
في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه لهم خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد
بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله
فقلت ان الله عز وجل قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال رسول الله عليه السلام ليس هذا لي ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله عليه السلام يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع
التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك
من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله هذا ليس لي لاستحالة ان
يعد بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مدار صيرورته له عليه السلام قوله
عز وجل الانفال لله والرسول والوجه انه المانع من اعطاء المسؤول وهما هو نص في الباب فقوله عز وجل فاتقوا الله
اي اذا كان امر الغنائم لله عز وجل ورسوله عليه السلام فاتقوه عز وجل واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب
لسخطه عز وجل او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط
لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما
بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم
من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله عز وجل وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر
اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله عز وجل من ايدينا فجعله لرسول الله عليه السلام فقسمه بين المسلمين على
السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال
اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه
وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر
به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على المذهب
المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال

والمراد بالاعادة كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر
من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت
واذا تليت عليهم اياته اي اية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين
موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار
زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فازداد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال
تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبيا
وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبني ما قاله علي رضه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه
دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه
والجملة معطوفة على الصلة وقوله عز وجل الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول
او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث
انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا
اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او
مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات
عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشا من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل
لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله عز وجل عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده عز وجل او بما تعلق به الخبر اعني لهم
من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان
ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده
وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره
هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق
او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك يعني المدينة او من المدينة الى بدر ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا
منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد له وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله عم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير
لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا

هل يقبل الايمان الزيادة

كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس
فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبئوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق
الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب
تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار
النبي عم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا
من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا
يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي عم ابو بكر وعمر رضه فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر
امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما
امرك الله عز وجل فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله عم ثم قال اشيروا
علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى
ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي عم يتخوف
ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله
يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع
القوم وروي انه قيل لرسول الله عم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس رضه وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له النبي عم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك
يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استيناف او حال ثانية اي اخرجك
في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله عز وجل بعد ما تبين منصوب بيجادلونك
وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا
قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل
النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم
ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت
هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة
الحزم وزيادة الدهشة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق
التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين

وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت
ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر
كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها وقوله عز وجل انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي
يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم
وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين
لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم
عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك والشوك القتاد شبهاها ويريد الله عطف على
تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده
عز وجل اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله عز وجل ان يحق الحق
اي يثبته ويعليه بكلماته اي بآياته المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرارهم وقتلهم وطرحهم
في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف
الامور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين قوله
ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها
مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار
اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته
لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق
وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه
تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل كامداده عز وعلا وقيل متعلق بقوله عز وجل ليحق الحق على الظرفية
وما قيل من ان قوله ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا
انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد
وانما عبر عن زمانها باذ بالنظر الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لابد من القتال جعلوا
يدعون الله عز وجل قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه
فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول وعلى اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم

فالمراد

فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل
متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم
وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان
المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي
اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز
وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر
فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم وهو استثناء
مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به
اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فقوله مفعول له للجعل وقد نصب
الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقد انها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية
قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء
من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في لتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن
قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اي الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه
شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع
في اقضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه
المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار
نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكر وقيل هو
متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في
الوجهين هو الباري عز وعلا وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله عز وجل امنة منه على القراءتين
الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى
لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله عز وجل وانبتها نباتا حسنا على احد
الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الامان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم
باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء
تقديم الجار والمجرور على المفعول به [illegible] وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه
من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام
في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم
وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى جنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لما غلبكم

بهؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم
الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس
وقويت القلوب وذلك قوله عز وجل وليربط على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله عز وجل فيما بعد بمشاهدة طلائعه
ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي
وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل الاقدام في معارك الحرب وقوله عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب
بمضمر مستانف خوطب به النبي صلعم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره ام
فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه ام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم
السابقة التي امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله عز وجل ويثبت به الاقدام فلا بد من عود الضمير
الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة واعتبار تثبيتهم
وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندكم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على
انه بدل ثان من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به ومما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف
العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلعم من التنويه والتشريف ما لا يخفى
والمعنى اذكر وقت ايحائه عز وجل الى الملائكة اني معكم اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم
المباشرون للتثبيت صورة فليس لهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله عز وجل ان الله مع الصابرين والفاء
في قوله عز وجل فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت
واختلفوا في كيفية التثبيت فقال جماعة انهم امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تتقوى به قلوبهم
وتصح عزائمهم ونياتهم ويتاكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات
في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي
ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله
ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وحملوا قوله عز وجل سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله
عز وجل اني معكم وقوله عز وجل فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني
رضه وكان ممن شهد بدرا انه قال اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه
سيفي وعن سهل بن حنيف رضه انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم الكفرة مع عدم ملائمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد
بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سالقي الآية ليس نصا فيما ذكر
بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله عز وجل فثبتوا الذين آمنوا ملقنا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه عز وجل للمؤمنين
بالذات على طريق التلوين فبناء على توهم وروده قبل القتال واني ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة
وقوله عز وجل فوق الاعناق اي اعاليها التي هي المذابح او الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف

الاصابع

الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة
قال ابن عباس رضه وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان
الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء
بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء
خبره قوله عز وجل بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومخالفتهم لمن لا سبيل
الى مخالفته اصلا والاشتقاق للمشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما ان الاشتقاق للمعاداة
والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق
الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله عز وجل فان
الله شديد العقاب اما نفس الجزاء وقد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف
اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه
قيل ذلك العذاب الشديد بسبب مشاقتهم لله عز وجل ولرسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك
عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل
فيرده ما بعده من قوله عز وجل ذلكم فذوقوه فان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون
المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب
لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله عز وجل فذوقوه والواو في قوله عز وجل وان للكافرين
بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع المضمر
لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله عز وجل وان
للكافرين الآية معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى
فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب
الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله عز وجل اعلم وقرئ بكسر ان على الاستئناف
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا
للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي
اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان
الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة
قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وانتصابه اما على انه حال من مفعول لقيتم
اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو حال منه اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه
ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله عز وجل فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو
اليهم وبكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من اثني عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل
فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم

يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من
هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من
اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل
معهم العدو وعن ابن عمر رضه ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال رسول الله عم بل انتم الكرارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة
الى عمر رضه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي و
من يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره وقوله عز وجل من الله متعلق
بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تع ومأواه
جهنم بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير مع القاء البوء في موقع جواب الشرط
الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه وعن ابن عباس رضه ان الفرار كبيرة من الزحف من اكبر
الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله عز وجل الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان كيفية الوقعة واحوالها وتقرير لما سبق منها والفاء جواب
شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده عز وجل وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم
انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم
ذلك فلم تفاخرون اي لما علموا او فاخرتم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم فلم تقتلوهم على احد التأويلين لما روي
انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت
ولما كان رسول الله عم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم
اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبرائيل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضه اعطني
قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا
وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر
على يده عم من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي
ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك
اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار
الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لا على نهج عادته عز وجل في خلق افعال العباد بل على وجه غير
معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر حتى اثبتها الله عز وجل ونفيها عنه عم
كون اثرها من افعاله عم وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الجملتين واللام في قوله عز وجل وليبلي المؤمنين منه
اي ليعطيهم من عنده عز وجل بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف
متأخر فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى
فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله عز وجل ان الله سميع اي لدعائهم
واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع

عليه

على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله عز وجل وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين
كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي والمبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله عز وجل وان
الله الخ من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في
المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من
الحراب ومعاداة الرسول عم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر
ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اي الى حرابه عم نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء
الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم
وتستعينون بهم شيئا اي من الاغناء او من المضار وقوله عز وجل ولو كثرت جملة حالية وقد تحقق وان الله مع
المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويؤيده قراءة الكسر
على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب
فيه الرسول عم فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن
تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله عز وجل مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و
رسوله ولا تولوا عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعته عز وجل للتمهيد والتنبيه على ان طاعته عز وجل في طاعة رسول الله عم من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله عز وجل وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي
مطلقا كما في قوله عز وجل فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه والمعنى الآيات الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان
ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة يدعون سماعا اي
لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع
وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه
فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي
اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين
لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك
صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق
من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم
فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان
فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون
على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم
الى تحري الحق لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عم واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم
عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله عز وجل ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم

ولو أسمعهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط وارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه
أصلاً وقوله عز وجل وهم معرضون إما حال من ضمير تولوا أي لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون بقلوبهم وإما اعتراض تذييلي أي وهم
قوم عادتهم الإعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو أسمعهم
كلام قصي الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد
لا نسمعه ولا نجيبه فأهلكهم الله فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج أنهم المنافقون وعن الحسن أنهم أهل الكتاب
يا أيها الذين آمنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على
أن فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم أي الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى
لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقي أو هي ماء حياة القلب كما أن الجهل
موته وقيل المجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة روي أنه عليه السلام
مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن إجابتي قال كنت في الصلاة
قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل لأن
إجابته لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله
أن الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه عز وجل من العبد كقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على
أنه عز وجل مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها
قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده
ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفا وبالتذكر نسيانا وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة
المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف وأنه
أي الله عز وجل أو الشأن إليه تحشرون لا إلى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله عز وجل
وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي لا تختص إصابتها بمن
يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور
والتكاسل في الجهاد على أن قوله عز وجل لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى إن أصابتكم لا تصيبن وفيه أن جواب الشرط
متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله عز وجل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة
ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا يدخل المنفي في غير القسم أو للنهي على إرادة القول كقول من قال حتى إذا جن
الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلف
المعنى فيهما وقد جوز أن يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الأمر باتقاء الذنب فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن
منكم على الوجوه الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح منه من غيركم واعلموا أن الله شديد
العقاب ولذلك يصيب العذاب من لم يباشر سببه واذكروا إذ أنتم قليل أي وقت كونكم قليلا في العدد وإيثار
الجملة الاسمية للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله عز وجل مستضعفون
خبر ثان أو صفة لقليل وقوله عز وجل في الأرض أي في أرض مكة تحت أيدي قريش والخطاب للمهاجرين أو تحت أيدي فارس
والروم والخطاب للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين وقوله عز وجل تخافون أن يتخطفكم الناس
خبر ثالث أو صفة ثانية لقليل ووصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد أو حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس

على الاول

على الأول وهو الأظهر إما كفار قريش أو كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم أي
اذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به
من أعدائكم وأيدكم بنصره على الكفار أو بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون هذه النعم الجليلة يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول أصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء
التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه أي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرونه
أو بالغلول في الغنائم روي أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بنو النضير على أن يسيروا
بأذرعات وأريحا من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان
مناصحا لهم لما أن ماله وعياله كان في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة
فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا أذوق طعاما
ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله عليه السلام هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت
فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وتخونوا أماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الأول
أو منصوب على الجواب بالواو وأنتم تعلمون أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا أنما أموالكم و
وأولادكم فتنة أي سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله عز وجل ليبلوكم في ذلك فلا يحملنكم حبهما على
الخيانة كأبي لبابة وأن الله عنده أجر عظيم لمن آثر رضاه عز وجل عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه يا أيها
الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالإيمان لإظهار كمال العناية بما بعده والإيذان بأنه مما يقتضي الإيمان مراعاته و
عليه كما في الخطاب السابق إن تتقوا الله أي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم
تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات
أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم أفعل كذا حتى يسطع الوتحان أي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم أي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله عز وجل وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه
على أن ما وعد الله عز وجل لهم على التقوى تفضل منه وإحسان لا أنه مما يوجبه التقوى كما إذا وعد السيد عبده إنعاما على عمل
وإذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قوله عز وجل واذكروا إذ أنتم الآية مسوق
لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل أي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة
من قرأ ليقيدوك أو بالإثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات أو يقتلوك أي بسيوفهم أو يخرجوك أي من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم له عليه السلام
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره عليه السلام فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت
أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه
طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو
رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل
أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم

علي ابواب قريش ظلهم فاذا طلعوا الفضل عقلنا فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي عم واخبره بخبرهم وامره بالهجرة
فبيت عليا رضه علي مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله في الحيلهم فحملوا عليهم فلقوا المهم بالفلو والله خير
الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا الى الله سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا
يليق به عز وجل واذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قائله اللعين النضر
بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره
في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة
وقد تحداهم عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قارعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط
استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل
ذلك اللعين فقال له النبي عم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا
الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ
الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عم وهو تنزيله
لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء
وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي عم
بين اظهرهم خارج عن عادته عز وجل غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله عز وجل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله عز وجل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب
بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من
ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد
لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد
باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء
اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال
في التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه خبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم
ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي عم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد وان يكون للجنس بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل منهم عشر جزر وفي ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من
استجاش من العرب والقوم فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا

بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثأرنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل
الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع
بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون
لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون
او ما انفقه المشركون في عداوته عم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد
مبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم ويجمعهم او يضم
الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق
او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم
خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداته عم
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ ان تنتهوا يغفر لكم ونغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل
بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما تضمنه
قوله عز وجل فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله و
يضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم
فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام
وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثابون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره
واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة
ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي غنمتموه من الكفار
عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله عز وجل من شيء
بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه
كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام
وكذا الاراضي المغنومة وقوله عز وجل فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله عز وجل خمسه والجملة
خبر لان وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس
ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله عز وجل للتعظيم كما في قوله عز وجل والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله عز وجل وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في لذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في
سهم النبي عم لمزيد اتصالهم به عم وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن
مطعم رضه انهما قالا لرسول الله عم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا

بني المطلب الصلة بهم وهم منا وانا نحن وهم بمنزلة واحدة فقال ع م انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو
المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله ص م على خمسة اسهم له ص م وسهم
للمذكورين من ذوي قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده ص م فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لساير الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضه
انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى
من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول
صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رح فيقسم على خمسة اسهم سهم رسول الله ص م يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلث وعند مالك رح الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم
دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى
على رتاج الكعبة لما روي انه كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
هو مضموم الى سهم الرسول ص م هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان
عند ابي حنيفة رح وثلثة اسهم عندهما فان الاقصى لما بين الله عز وجل حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله
تع وجل ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به عز وجل فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب
به الى الله تع وجل فاقطعوا اطماعكم منه فاقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بل العلم المشفوع بالعمل
بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تع وجل وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على
عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول ص م والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان
يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل
من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد ما انزل عليه ص م يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير
فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تع وجل على الوجه المذكور مع
ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته عز وجل وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة
للجهات التي عينها الله عز وجل والله على كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم
بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بينهما
من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي
العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر اكتناف الفريقين
فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا
من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطيب

نفوسهم

نفوسهم بنوص الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه و
قهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا اي ليموت
من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر
من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تع الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان
الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم
وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت اراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين وهو معطوف على المضمر السابق
والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد
اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم ليفاجئهم فيبهتوا
ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد
وانما ذلك بصد الله تع وجل الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف
الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله
ترجع الامور كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء
والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان
المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في
تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم
وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله عز وجل وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون
وما تذرون فيندرج فيه ما امر به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب
للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب على جواب النهي وقرئ بالجزم على انه عطف على فتفشلوا على النهي اي تذهب
دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله عز وجل وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم
المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته عز وجل انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بعد ما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا
واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال

ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلالة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنين ان يكونوا
امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف
على بطرا ان جعل مصدرا في موضع حال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان
اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها
قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد
ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف
عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين
اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى
هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون
من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب
والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل
هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته عز وجل ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار
به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب
اما لرسول الله عم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ
في قوله عز وجل اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة
حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله
عز وجل يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال
او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء
وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا
بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب

وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك
الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله عز وجل وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه عز وجل ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر في قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة
آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه عز وجل لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي
كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينين بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته عز وجل بسبب
ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان
ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة
تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم
من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون
من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى
كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه
وقوله عز وجل فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة وقوله تعالى
بذنوبهم لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب
ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين
عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى
نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه السلام بالصدق فكذبوه فانزل الله عز وجل بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل
العذاب من جملته مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما للتغليب او لتنزيل
مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله عز وجل ان
الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله عز وجل ذلك الخ استئناف مسوق لبيان
تعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل بجنايته مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم
لا يتصور تعليله بجريان عادته عز وجل على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم
الكريم بل يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته عز وجل على تغيير نعمته عند تغييرهم حالهم بناء على ان العلل تترتب عقابهم
على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل والبعد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله عز وجل واسقاط
له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان
يبقى ابتداء مع علو كرمه عز وجل على ذلك بان الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم يكن من عادته
سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت
حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت
احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة
عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي عم بالبينات

كسبتم

منوطا بما عليهم من سوء الاعمال بلا سابقة ما يقتضيه
وهو المشار اليه لا بما حل بهم من العذاب

غيروا ما باسوء منها واستحقاقهم كفروهم وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يريدون بهم السوء ابل غيروا النعمة
فالنعمة عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل لم يك لم يكن حذفت النون تخفيفا لشبهها بالواو والتنوين وان
الله سميع عليم عطف على ان الله داخل معه في حيز التعليل اي بسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون
من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ ان الله بكسر الهمزة
فالجملة استئنافية مقررة لمضمون ما قبلها وقوله عز وجل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي غيروا تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه من تغيير حالهم فهو الدأب
بعنوان الدأب وقوله عز وجل كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم وقوله عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم تفسير لدأبه على انه
من تمام تغييره والاعتراض بينهما بقوله عز وجل والذين من قبلهم جائز كما في سورة آل عمران يجوز وقوع الاعتراض بين
محل الكاف بل تغني مع ما بينهما من قوله عز وجل واولئك هم وقود النار ردا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير
كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كما قبله والجملة استئناف مسوق
لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول تشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب
في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله عز وجل ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله نعمته
عليهم فقوله عز وجل كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله عز وجل فاهلكناهم تفسير لدأبه الذي
فعل بهم من تغييره عز وجل ما بهم من نعمته وانما لم يتعرض لبيان التشبيه الثاني فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى
في كل من التشبيهين بتغيير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من
التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكناهم جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء وفي قوله عز وجل
بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته
كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين الكفر والتكذيب مكان الايمان
والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين
منهم وتفصيل احكامهم وقوله عز وجل عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم
بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم كالانعام بل هم اضل
وقوله عز وجل فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف
ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى
الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة
التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه صلى الله عليه وسلم اذ هو المناط لما نعي
عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد
بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد
النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة او
من المرات التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل لانه لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا

حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له لان النقض
لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر
المعاهدة بعد النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من خلو الكلام
عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض
وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد و
الركاكة يستلزم خروجه بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال
انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله عز وجل فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل
احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في
تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من
النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وجه ايماء الى انهم بصدد حراب قريب من هؤلاء
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان
ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا فيمتنعون بالكلية
فيرتدعون عن النقض او عن الكفر وقوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان
احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح
منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء اي على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض
وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا
يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على
استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول
حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه
للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا له
عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم فهم من جملتهم لما علمت حالهم
ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله عز وجل سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان
ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع التوهم مع ان مقاومة المؤمنين
بالغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم العاطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور
في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا
وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا
ان سبقوا ويعضده قراءة انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله عز وجل ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وقوله عز وجل
افغير الله تأمروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الياء
وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله عز وجل انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي
على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال
بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين

لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وحسبة نفي لفوزهم على المفاوتة والمقابلة على اتم وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت
من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون بالتشديد واعدوا لهم توجيه للخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف
الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله ﷺ لكون ما في حيزه من وظائفه ﷺ اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد
وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته ﷺ يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعل تخصيصه ﷺ اياه بالذكر لانافته
على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله عز وجل فعال بمعنى مفعول او مصدر
سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككلب وكعاب وكلاب
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف
جبريل وميكال على الملائكة ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او
للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين او من الموصول او من عائده
المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل
كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل
الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله عز وجل الله يعلمهم
اي لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره عز وجل ايضا وما تنفقوا من شيء في اعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي
اوضح لها دينه يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم
مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته عز وجل عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه عز وجل من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه عز وجل كما في تفسير قوله
عز وجل فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان
مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي
للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع
فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في
نحورهم والاية خاصة لليهود وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم
صواب فان حسبك الله اي فاعلم ان حسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره
تعليل لكفايته عز وجل اياه ﷺ بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى اياه ﷺ فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد
من الوقوع من دلائل تأييده فيما سيأتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله
او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم
قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف منهم قلبان حتى صاروا بنعمته
عز وجل كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته ﷺ لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتأليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم
استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهي التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق
في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار

بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز
كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم
احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته عز وجل اياه ﷺ في جميع
اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته عز وجل اياه ﷺ في مادة خاصة
وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده ﷺ بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله
كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من حرب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول
معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك مهند وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما
هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله عز وجل اي كفاك الله عز وجل اي كفاك الله
والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي ﷺ ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر رضه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضه نزلت في اسلام عمر رضه يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر
والامداد امره ﷺ بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور
حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى
بالنصر وحكمه بكفايته عز وجل او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت قال الراغب
كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به فكت فالاوجه ان يجعل حرض عبارة عن حث القلب الذي هو من باب
نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بالقتال اني اراك في هذا الامر حرضا اي محرضا فيه لتهيجه الى الاقدام و
قرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه عز وجل بتغليب كل جماعة
من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله عز وجل وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين
الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة
فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله عز وجل من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين
ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم
قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله عز وجل وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله
عز وجل واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو للمؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة
ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن
بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد
الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي
الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من
مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وقد بعث رسول الله ﷺ حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد

مدة ثم نسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم كثروا فنزل التخفيف والمراد بالضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها بخلاف ما في الابتداء اي القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا
بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ
ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه عز وجل به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه عز وجل به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل
وقوله عز وجل فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن فيهما وفيما سبق
بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما
سبق من غلبة المائة المائتين والالف الالفين وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما ذكر
وبقوله والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا
لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني
نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية
مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه
لبيان ان ما ذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون
له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة
ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح
واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب
اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار
عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في
قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق
بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله
واما منا بعد واما فداء فلما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلعم اتي بسبعين اسيرا
فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا
من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضه على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عم قال لو نزل عذاب من السماء
لما نجا منه غير عمر رضه وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار الى الاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا
حكم منه عز وجل سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق

لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة في الخمر مثلا لا ترفع الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لا
لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم
فنزلت وقالوا الفاء للترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه حلالا حال من
المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدة الترغيب في اكلها وقوله عز وجل طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله
اي في مخالفة اوامره ونواهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب
عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت
في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدي ابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال له عم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس
فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله لقد دفعته اليها في سواد الليل
ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلني الله خيرا من ذلك
لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله عز وجل ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض
التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته عز وجل لتسليته عم بطريق
الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رأيت
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم
ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون
هاجروا اوطانهم حبا لله عز وجل وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال
واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما
ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا المجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا
هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم
اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة
وهو مبتدأ وقوله عز وجل بعضهم اما بدل منه وقوله عز وجل اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ
الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى
واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله عز وجل فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا
كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ
بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا
امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة

بينهم وبين المسلمين وإيجاب المواعدة والمصارمة وإن كانوا أقارب إلا تفعلوه أي ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم
لبعض حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض أي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر
وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الإيمان مع الموعد الكريم بقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما أن مساق الأول لإيجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم أي في بعض مغازيكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وهم الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم الله عز وجل بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الإيمان والهجرة وفي توجيه
الخطاب إليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أي منهم في التوارث من الأجانب
في كتاب الله أي في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في
تعليق التوارث بالقرابة الدينية أولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال
وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون

له أيام حياته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية إلا آيتين

ولها أسماء أخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة
والمدمدمة والمشردة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين وإثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الأسماء يقضي بأنها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الأنفال
وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الأمان
الذي يأباه مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة لا الاشتباه في استقلالها
وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الاختلاف في ذلك على أن ذلك
ينزع إلى القول بأن التسمية ليست من القرآن وإنما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وأن مناط إثباتها في المصاحف
وتركها إنما هو رأي من يتصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية فذة من القرآن أنزلت
للفصل والتبرك بها وأن لا مدخل لرأي أحد في الإثبات والترك وإنما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف
ولا ريب في عدم نزولها ههنا وإلا امتنع أن يقع في الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو إما لاتحاد السورتين
أو لما ذكر لا سبيل إلى الأول والاشتباه ثم لتحقق شرط الحاجة إلى البيان لتعاضد أدلة الاستقلال من كثرة الآيات
وطول المدة فيما بين نزولهما حيث لم يبينه ثم تعين الثاني لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة
خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب أي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لها مفيدا لما زيادة تفخيم وتهويل أي هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة إلى الذين
عاهدتم من المشركين وإنما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله عز وجل أن الله بريء من المشركين اكتفاء بما في
حيز الصلة لأنه منبئ عنه إنباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبره إلى الذين الآية والذي
يقتضيه جزالة النظم هو الأول لأن هذه البراءة أمر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله عز وجل

ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الإخبار شيئا آخر هو وصولها إلى المعاهدين
وإنما الحقيق بأن يعتنى بإفادته حدوث تلك البراءة من جهته عز وجل ووصولها إليهم فإن حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها
لموصوفاتها أن تكون أخبارا وحق الأخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له أن تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله
بكسر النون على أن الأصل في تحريك الساكن الكسر لكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين
والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله عز وجل واتفاق الرسول ﷺ
فنكثوا إلا أناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمر المسلمين بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا وإنما نسبت
البراءة إلى الله عز وجل ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين
خاصة مع كونها بإذن الله عز وجل واتفاق الرسول ﷺ للإنباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لأنها عبارة
عن إنهاء حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لأنه أثر من آثار
الأمر والجارية على حسب حكمة يقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء أصلا واشتراك
المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها إنما هو على طريقة الامتثال بالأمر على أن يكون لهم مدخل في إتمامها وترتب أحكامها عليها
وأما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها إلا بمباشرة المتعاقدين
على وجوه مخصوصة معتبرة في الشرع لم يتصور صدورها عنه عز وجل وإنما الصادر عنه في شأنها هو الإذن فيها وإنما الذي
يباشرها ويتولى أمرها المسلمون ولا يخفى أن البراءة إنما تتعلق بالعهد لا بالإذن فيه فنسب كل واحد منهما إلى من هو
أصل فيها على أن في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لأمرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي
والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وإدراجه ﷺ في
النسبة الأولى وإخراجه عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع وإجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وإيثار الجملة
الاسمية على الفعلية كأن يقال برئ الله ورسوله من الذين أو نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها والتوسل
إلى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما أشير إليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الأرض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة
كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله
عز وجل في الأرض لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها والمراد إباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم ليستعدوا
للحراب وتحصين الأهل والمال أو تحصيل الهرب أو غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن
المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب أيضا للمبالغة في الإعلام بالإمهال حسما لمادة تعللهم
بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وإيثار صيغة الأمر مع تأتي ذلك المعنى بطريق الإخبار
كأن يقال مثلا لكم أن تسيحوا أو نحو ذلك لإظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم
فكان ذلك أمر على نفسه وإنما ليست معلقة على عنوان كونه من الله عز وجل لأن ترتب الأول عليه والثاني على الأول
كما في قوله تعالى قل سيروا في الأرض فانظروا كيف الآية كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد
والأسباب وبالغوا في إعداد العتاد في كل باب أربعة أشهر واعلموا أنكم بسياحتكم في أقطار الأرض في العرض
والطول وإن ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله أي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وأن الله ووضع
الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل الأمر والخزي الإذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين أي
مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم

بالاشتراك ولاشعار بان علة الاباحة هي كونهم وتجوزان يكون جنس الطائفين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه عم امر ابابكر رضه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عم لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي رضه سمع ابوبكر رضه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله عم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابوبكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان من الله ورسوله اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها واما جعل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل للعامة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله وقرئ بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب زيادة تهديد وتشديد والفاء للترتيب معطوف الشرطية على الاذان بالبراءة المؤذنة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي من الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا بعذاب اليم تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله عم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله عز وجل واذان من الله ورسوله الآية لانه ليس باجنبي بل امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول برده بقاء الثاني على العموم كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله عم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه

اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكر ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انقضائه جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انقضائه كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي والتحقيق ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما فهم من قوله عز وجل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله عز وجل فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني فهو مفهوم من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لان انتفاء النسخ بقوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقاتلوهم فانه رخصة بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله عز وجل قل للذين كفروا الآية ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا قبل الفتح كما يعرب عنه من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي عم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رضه حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وقيل على التنكير الثاني دفع احتمال ان يحصر المحاصرة للمعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان بحملهم اضطرارا او بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم والتعرض بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله عز وجل والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في

العهد لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة باجره لا بقوله استجارك لانه يؤدي
الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك
يا ابن ابي يزيد كذا قيل والاظهر تعلق الاجارة بسماع كلام الله عز وجل باحد الوجهين لتلازم تعلق الاستجارة ايضا
بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان
ياتي محمدا بعد انقضاء الاجل لسماع كلام الله عز وجل او لحاجة قتل قال لا لان الله عز وجل يقول وان احد استجارك
فاجره الآية والمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه
قوله ان ياتي محمدا فان من ياتيه ع م انما ياتيه في الامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه
الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما
الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون
للمشركين عهد شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك
والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله
كيف تكفرون بالله الآية بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او
الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم عليه اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف
وقع حالا من عهد ولو كان موخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف
وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي
يتعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار
الذي يتعلق به الخبر ولا يبالي بتقدم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه
بالظرف او بالحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار
ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته الحقيقي فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفي توجيه الانكار الى
ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا
فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به
عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعي حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا
به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل للعهد بهم في ذلك الامر قطعا وان كان مرعيا عند الله
وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك
عن النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما
سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب توكيدها ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء متضمنة معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف
اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فا
ستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل
الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم جنس المعهود واياما كان فحكم الامر
بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بها الاستقامة المامور بها عبارة عن رعاية

حقوق العهد وبعد انقضاء مدة لا عهد ولا استقامة فضلا عن الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
خلا انه قد صرح هنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله
يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من
ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله ع م واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد [illegible] لان
ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يتسبب عنه واما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا
لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لا خلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان
النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه على مصحح للاتجاه اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله عز وجل وعند رسوله وان
يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر
بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة
ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان و
المواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون
فكيف تراعونها على منوال قوله علام يقتل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله عز وجل
اي لا يرعوا حق الله عز وجل وقيل الجوار ومآله الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق
عدم رعاية العهد بالظهور موهما لرعايته عند عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين انهم
في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء
والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة او يتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة
ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم
وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون
ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يشترون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر الى احدوثة السوء
اشتروا بآيات الله بآياته الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا
اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواءهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان
من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على ان
الاشتراء المذكور ادى بهم الى الصد عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون
الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملون او عملهم المستمر بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة
ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في
اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله عز وجل يعملون او دليل على ما
هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات
السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر
وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم من مساوي اعمالهم زجر عنها ومظنة التوبة واقاموا

وقول الحماسي
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم
وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

الصلوة واتوا الزكوة اي التزموها وعزموا على اقامتها فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله عز وجل في الدين متعلق باخوانكم
وفيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد
عليه والاختلاف بين جواب الشرطية وجواب التي قبلها مع اتحاد الشرط فيهما لان الاولى سيقت اثر الامر
بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد
من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اي نبينها والمراد بها ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين
من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا
لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة
في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله عز وجل فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا
ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ
عنه قوله عز وجل وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان
كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الحال فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما
اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل
المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لانه اهم لقتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة
على استئصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل و[illegible]
الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن عند النحاة انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا
يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النهي بها لا بالنكث كما سلف لا
بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا باعتبار تعليقه بالنكث والطعن
لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم
بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا
وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق
الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى
اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لان
بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فيكون
تعليلا للامر بالقتال ان اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال
او للامر به كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما
سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا او طعنوا وهو الظاهر من حالهم
لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله عز وجل
فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي
يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون قوما الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم
للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به
طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار فيختارون المقاتلة قوما نكثوا

ايمانهم

ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول عليه السلام وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله عليه السلام
جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي عليه السلام
لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم
وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحققه ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك
مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان
تخصيص الخشية به عز وجل وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ
على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم
اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين
ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا
من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله عليه السلام يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
بما كابدوا من المكاره والمكائد ولقد انجز الله عز وجل جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه
معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة
بحسب مشيئته عز وجل المبنية على الحكم البالغة فكان ذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار
ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغل شوكتهم واهانتهم سبب
للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاخلاص في وجه التسبب غير السبك والله تعالى اعلم والله اي اظهار
الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة
ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من الهمزة للاستفهام
الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل حسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا
بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم
يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من
التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبيين بعدم علم الله عز وجل ان المقصود هو
التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من
الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله
اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر
وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة
وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله عز وجل ولما يعلم الله الآية او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام

لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله عز وجل اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما صح
وما استقام لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد اذ ليس في الوجها
اختلاف الجهة او تؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس ويأباه انهم لا يقصدون لتعميرها سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبني على كون النفي
بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان
حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما قال
الحسن ره وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكونوا ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها
ويحبطها من عبادة غيره عز وجل فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله عز وجل وعبادة غيره عز وجل فليس بمعرب عن كنه المرام فان
عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود
روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضه يوبخ العباس رضه بقتال
النبي عم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا
او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك
الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون
بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة
في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير
النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر
مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك اخر الحقه
لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقرئ بالافراد ايضا والمراد هاهنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها
على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده
واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم
من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي عم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان اهل الشرع في كلمة
الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم
منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلوم فيها ونحو
ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله عم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله عز وجل ان بيوتي في ارضي مساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عم من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه السلام
اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش
تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه
غير آخذ في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور
المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي

الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها
من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن
الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون
فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم
وفيه لطف للمؤمنين او ترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله عز وجل اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم
اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين
فالخطاب اما للمشركين على طريق الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين
المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم
عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله عز وجل على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى
التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم حرمان فليس يشعر بحرمان ايضا اما على الاول فهو
للمشركين ومداره على انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من
الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن
مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انها حبطت اعمالهم
بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم
عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يعهد في النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى انكار التشبيه وتأكيده بنفي الاستواء
اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا
في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه
نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث
اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الاخيرين لانه المدار في التفاوت
بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وللتوجيه التوبيخ هنا
والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين
والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية
بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كأنه قيل
اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم
بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الحمل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح
من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله عز وجل الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم الآية استئناف لبيان فضلهم اثر بيان عدم الاستواء
وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر

مطابق للتدارك اولم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى
رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة
واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم
الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني
فهو تنبيه لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضه قال للعباس رضه بعد اسلامه
يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلعم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد
الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلعم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي عن النعمان
بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا
اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضه وقال لا ترفعوا
اصواتكم عند منبر رسول الله صلعم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلعم فيما اختلفتم فيه فدخل
فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا
فيهما تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما
لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الفضيلة وايذانا
بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله عز وجل على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية
درجة الفريق الثاني واما قوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته عز وجل لهم الى معرفة الراجح
والمرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله عز وجل واولئك
هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف
ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات لهم فيها اي في تلك الجنات نعيم مقيم لا نفاد له وفي التعرض
لعنوان الربوبية تاكيد للمبشرة وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود زيادة في توضيح المراد
به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته
والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل
فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله
وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في
المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فهاجروا وجعل الرجل يأتيه ابنه او اخوه او ابوه او بعض اقاربه فلا يلتفت
اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن
موالاتهم وعن النبي صلعم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس
ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا
لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام
بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول

ولا ايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض
فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب
وامر له صلعم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفي غيرهم
من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم و
اخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتاد بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم
ماخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اي
اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها
بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين
والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات
الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه عز وجل وحب رسوله صلعم كما في قوله عز وجل ما غرك
بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب
الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل و
حب رسوله صلعم تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد
عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى يأتي الله بامره
عن ابن عباس رضه انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة وآجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة
المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل فيه زمرتهم دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من
الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن
كثيرة من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين
عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير
للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضه وقيل يوم حنين منصوب
بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه
لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم ممن شهد فتح مكة
من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر
العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله صلعم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا
حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم
شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت
عليكم
الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من
شدة الرعب ولا تثبتون فيه كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم وحده ليس معه
الا عمه العباس آخذ بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا

النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عم كان يحمل الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة فقال العباس
كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق علي انه عم كان في الشجاعة وربط الجاش
سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادي الانصار فخذا فخذا ثم نادي يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله عز وجل ثم انزل الله سكينته علي رسوله اي رحمته التي بها تسكن القلوب
وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عم قبل ذلك ايضا وعلي المؤمنين
عطف علي رسوله عم وتوسيط الجار بينهما للدلالة علي ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل علي الذين ثبتوا مع
النبي عم او علي الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته
للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يري بعضكم بعضا وهم الملائكة عم عليهم البياض علي خيول بلق فنظر النبي صلي الله
عليه وسلم الي قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمي به نحو المشركين وقال شاهت
الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات به عيناه ثم قال عم انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ
فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما
كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين
قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا
الي صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله
من بعد ذلك علي من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم
من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاءوا الي رسول الله عم وبايعوا علي الاسلام وقالوا
يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف
نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصي فقال عم ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم
ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي عم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده
فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتي نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا قد رضينا وسلمنا فقال
عم اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضي فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها
الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم
او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم وعن ابن عباس رضه ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رضه من صافح مشركا توضأ واهل
المذاهب علي خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد
وقيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع علي نجاستهم
وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد
المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحه ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل علي اختصاص

المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر
ابو بكر رضه علي الموسم ويدل عليه قول علي رضه حين نادي ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول
الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد
ونهي المشركين ان يقربوه راجع الي نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق
والمكاسب وقرئ عائلة علي انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او
تفضله بوجه آخر فارسل الله عز وجل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الي مكة
الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس
من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الآمال الي الله
عز وجل ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امر بقتال اهل الكتاب اثر امرهم بقتال المشركين وبمنعهم ان يقربوا حول ما كانوا
يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم وفي تضاعيف ذلك علي بعض طرق الاغناء
الموعود علي الوجه الكلي وارشادهم الي سلوكه ابتغاء فضله واستنجاز الوعد والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية
ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصاري مثلثة
فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان
به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون
اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر
الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل بيان [illegible]
حتي يعطوا الجزية غاية للقتال اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزي
دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير اي يعطوا عن يد مواتية
مطيعة منقادين او من يدهم بمعني مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او
عن غني ولذلك لم تجب الجزية علي الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعني عاجزين اذلاء او عن
انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الي يد وعاجزين
القتال ليت بعض هذه الاعطاء اي مقبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه
ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويوجا
في قفاه وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحه من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رحه
لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحه تؤخذ من اهل الكتاب
عربيا كان او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الي انها تؤخذ من جميع الكفار
واما المجوس فقد اتفقت الصحابة علي اخذ الجزية منهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضه
انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري علي كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا علي تحريم ذبائحهم ومناكحتهم
عم في آخر ما نقل من حديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وفي الاخذ عند ابي حنيفة رحه اول السنة وتسقط بالموت

والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما
ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امراة وعند الشافعي في آخر السنة من كل
دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل
الايمان بالله سبحانه وانتظامهم في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر و
عيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه
قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله عز وجل منهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله ص ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود
قتلوا الانبياء بعد موسى ع م فرفع الله عز وجل عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبرائيل
ع م فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره
وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا استصغره ولم يقتله
فلما رجع بنوا اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعدما اماته
مائة عام فقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان
كنت كما تزعم فامل علينا التوراة ففعل فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله عز وجل التوراة ونسخها من صدورهم ورفع
التابوت فتضرع عزير الى الله عز وجل وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل
فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم
وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن
الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة
والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان
وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة
وقرئ بغير همز قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا
قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى
بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد
المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم
وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله عز وجل ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى
قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون
كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله
عز وجل احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر او حبر وقال ابو الهيثم
وابن السكيت يقولون حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء
النصارى واصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم

في تحريم ما احل الله عز وجل وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله يا ابت لا تعبد
الشيطان وقوله عز وجل بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله ص وفي عنقي صليب من ذهب
وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته
فلما انتهى الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال ص
اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع
قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله عز وجل ما يخالف
اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم الله عز وجل والمسيح بن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه
النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره
في الذكر مع ان اتخاذهم له ع م ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا
لانه مختص بالنصارى ونسبته ع م الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء
عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتبهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان
هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره دون غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته ع م فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة
قد قال المسيح ع م من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول ع م وسائر من امر الله عز وجل بطاعته فهي في الحقيقة
اطاعة لله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله عز وجل فكيف يصح ان
يكونوا اربابا وهم مامورون ومستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة
فان تخصيص العبادة به عز وجل لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به عز وجل وحيث لم يخصوها به عز وجل لم يخصوا العبادة به سبحانه
لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة
يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما
كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة
عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته
النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد والقرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا
القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة
بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه واصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل
المراد به نبوة النبي ع م وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخة ويابى الله اي
لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي
كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله عز وجل يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا
من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا
الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله
عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك
ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء
اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا المقام

جواب لو

هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره
اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان منسخها اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان
وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل ولو كره المشركون كما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة
على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم
اثر بيان حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون ويذرون ان
كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع
والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر ذلك بالاكل بناء على ان معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون
الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او
يصدون عنه بانفسهم باكل الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها سواء كان
ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن
بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين ويؤيد الاول
بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكونون في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة
لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك
على المسلمين فذكر عمر رضه لرسول الله صلعم فقال ان الله عز وجل لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلعم
ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله صلعم من ترك
صفرآء او بيضآء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز
ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون
او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم يوقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة
الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما
قال علي رضه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله عز وجل ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال
والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك
بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية
والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها مشتملة
على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه
هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال
كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر
خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام
الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وجل
يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا

او ثابت في نفس الامر منذ خلق الله عز وجل الاجرام والحركات والازمنة منها اربعة حرم اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلعم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى
رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية
وقد اتفقت حجة الوداع في ذي الحجة وكانت حجة ابي بكر رضه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة
وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عم وكانت العرب قد تمسكت به
وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل
الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة
المقاتلة فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ ويؤيد الاول انه صلعم حاصر الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى
وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو
مصدر نسأه اذا اخره نسئا ونساء ونسيئا نحو مس مساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء
وتشديد الياء الاول فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر
واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر
من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل
ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل
من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى
ايضا وقيل المضلون هم رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضل يضل ونضل
بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على
حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجئ
عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة
وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب
فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار
ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة
بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت
لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة
يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضه اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر
الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم

سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم
حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاسم والله على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة
وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين
آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك
ما لكم استفهام فيه معنى الانكار اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم اي تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم
وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي عم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيله
متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او
معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام
الانكاري التوبيخي فالعامل حينئذ في الظرف انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد
اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة
الخالدة كقوله عز وجل اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك
في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت
ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله عم في غزوة الا ورى بغيرها
الا في غزوة تبوك فانه عم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي
بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها
في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي
الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في حقارة ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا ادغام ان
لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل
بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية
والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم
كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وقيل الضمير للرسول عم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان
وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره
الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم
سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره
اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عم في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره
عم وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه
عم ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة
ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد مر في قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة وجعله عم ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسويته
البساط كما ذكر في الاخبار تحمل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع

الغار

والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي
ابي بكر الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن
وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق
الغار فاشفق ابو بكر رضه على رسول الله عم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال رسول الله عم ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله عز وجل حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله عم اللهم
اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله عز وجل ابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق
رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك من انكر صحبة ابي بكر رضه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته
امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي عم فالمراد بها ما لا تحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو
المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره والجنود هم الملائكة النازلون
يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وجل
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك
وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل
شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب
حكيم في تدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله عز وجل خفافا وثقالا حالان من ضمير
المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال
وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة
عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا او مشاة او شبانا او شيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله عم أعلي ان
انفر قال رسول الله عم نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى
الآية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما عند امكانه واعواز الآخر
حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا
ذهب كثير من العلماء وقيل ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال
والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله عز وجل
فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله عم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق
المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا الوصول حظ لك من منافع الدنيا اي لو كان
غنما سهل المأخذ وقريب المنال وسفرا قاصدا اي متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز
بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة
الشاسعة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله عز وجل
بالله اما متعلق بسيحلفون او هو جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك
قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من

او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقادير فقوله عز وجل لخرجنا معكم ساد مسد جوابي
القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى
سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عم اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل
لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان
لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين
للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه قد عفا عنه عم ما وقع منه عم استيذان المتخلفين في التخلف
معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لكونه عدولا عن الامر من ترك الاولى والافضل الذي
هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم
في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امره عم
منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان
بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى
للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور راجع للمستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار
تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم الاستطاعة في بعضهم كما ينبئ عنه قوله عم حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما
اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك
وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص لكونه عم
كان كلمة ما صح سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله عز وجل لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عم
لهم معللا او مغيا بالتبيين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه
ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو
بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله عم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله عز وجل
كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني
باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين
واما صدر عن الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب
والتعبير عن ظهور الصدق بالتبيين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب
احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر
حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده
الى ضميره عم لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبيين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عم بهم ومؤا
خذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق
في عذره ممن كذب فيه واسناد التبيين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا
وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين

ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الكتاب ببشارة
العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عم وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب
قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب
من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في
الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة
من المشافهة بالسوء او يسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم
مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله عز وجل لو خرجوا الآية وقد كرهه سبحانه كما يعرب
عنه قوله عز وجل ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس
الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عم وارضوه
بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش وما قرت عليهم عين اذ لم يكونوا على امن ودعة واطمينان بل كانوا على خوف
من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل
باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا من ان يستأذنوك في التخلف
وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف
ومعنى قوله عز وجل ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا او ان قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون
في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمنون من المنافقين وهو وان كان امرا خفيا في نفسه
بادي الامر لكن عادة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو جهاد اي لا يستأذنك
المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا وانما على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون للكراهة ولا يخفى ان الاستيذان
في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه لكان الاستيذان لعلة الكراهة مما يمتاز بحسب الظاهر
من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين ظاهر انهم
لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام
في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار
بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد في الثاني
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد
ببذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم الخالد بالحيوة
الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره
منهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات
ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار
كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه
لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده
بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدته

وقرئ عُدّة بكسر العين وعِدّه بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم
من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله عز وجل انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ
كقولك ما احسن الي زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية
والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه عز وجل كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم
اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله عز وجل كراهة الخروج
في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم
لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم واياما كان لم يخل عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته
عز وجل لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا
فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس كذلك ولا وضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات
البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة
في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولا رقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا
اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال
من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين
اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد
بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا للمنفعة ولذلك لم يقتض الحكمة
عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا للخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم
يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم وتوجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمنه [illegible] لسده للفاسد الحكم
لو قعدوا بغير اذن منه صلى الله عليه وسلم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف
ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم
والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم وشامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف
بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة
العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به صلى الله عليه وسلم فردهم الله عز وجل خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامور
تصريفها من وجه الى وجه وترديدها لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل
حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق
اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله عز وجل لاجله وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات ليس مما لا يمكن تلافيه
تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني في الفتنة وهي المعصية والاثم يريد اني متخلف لا محالة اذنت
او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم

من يقوم

من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن
اعينك بمالي فاتركني وقرئ فلا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف
بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا من ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا
من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات
الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم
يحسبون انهم ينجون من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة
تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة با
الكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب
وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار وتحيط بهم الآن تنزيلا للشيء الذي سيقع عن قريب منزلة الواقع
او وصفا لاسبابها الشيء موصوفة فان مبادي تلك النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب
ومن جملتها ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتمثلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار
بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الآخرة والمراد بالكافرين
اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة
واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة
تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع
شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الا
الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من
قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بو
بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يتولوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير
فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة
بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا
وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا من فيعل لا من فعّل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو
مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بفعله
وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله
قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه عز وجل للتوكل عليه كما في قوله تعالى
واياي فارهبون والجملة وان كانت من تمام الكلام المامور فاظهار الاسم في مقام الاضمار لاظهار التبرك
والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله عز وجل امر للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر
في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغائب واما على الوجه الاول
فهي لابراز كمال العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من التفاوت في السياق والتربص التمكث

مع انتظار كل شي خيرا كان او شرا والبا للتعدية واحدي التايين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدي الحسنيين
اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما لهم في الحرب الاول
وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص
بكم احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف
صفة لعذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفا فصيحة اي اذا كان الامر
كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربص لانشاهد الا ما يسرنا
ولا تشاهدون الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين
وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة
في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم
القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى
عدم الاثابة عليه وقوله تعالى وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم
وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشيا اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شي من الاشيا
الا كفرهم وقرئ يقبل على البنا للفاعل وهو الله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال
الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تعالى
طوعا اي من غير الزام من جهته عم ولا رغبة او هو وصف للتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون
لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا
كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة ولا نعمة واصل الزهوق الخروج بالصعوبة ويحلفون
بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا
من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حيث انهم لو وجدوا اخر ذلك ملجأ اي مكانا حصينا
يلجأون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار
عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس يضاف افادة انتفا استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد
استمرار انتفائه حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار
انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما
حقق في موضعه او مغارات غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد
من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهاليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب
ومغارا او مدخلا اي نفقا يندسون ويتحجرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من
الادخال اي مكانا يدخلون فيه وقرئ مندخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اليه اي لصرفوا وجوههم واقبلوا نحوه
لوا لولوا اي لالتجاؤا اليه الي احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يرد وجوههم شي من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه
اللجام وفيه استعارة بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك

بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا او قرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شانها وقسمتها فان اعطوا منها
بيان لفساد مرجعهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي وان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بها وفي القسمة وحمدوا
وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية
في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه
حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله عم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال عم ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما
فعله الرسول كان بامره عز وعلا وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله
ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
بنا على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول عم من القسمة ببيان المصارف
وابطال مقالة القالة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اي
جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقرا والمساكين اي مخصوصة بهولاء الثمانية الاتية لا تتجاوز الى غيرهم كانه قيل
انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير
من له ادنى شي والمسكين من لا شي له هو المروي عن ابي حنيفة رح وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين
عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف منهم اشراف من العرب كان رسول الله عم يستالفهم
ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطا كعيينة ابن حصن والاقرع بن
حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عم
من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشي منها على قتال الكفرة ومانعي الزكوة وقد سقط سهم
هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وجل واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف
في فك الرقاب بان يعاون المكاتبون بشي منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب
فيعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم
قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق
الصدقة لما ان في الظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين اي الذين تدينوا لانفسهم في غير
معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رح من غرم لاصلاح ذات البين واطفا
النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنيا وفي سبيل الله اي فقرا الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل
اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ادعا
بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم
وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن
عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رح لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما
دل عليه صدر الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة
او حال من الضمير المستكن في قوله للفقرا اي انما الصدقات كاينة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال

الناس وحوابه استخفافهم حكيم لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين
يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا
فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله
عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له
وبين ما لا يليق له وانما قالوه لانه عم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا
قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون
اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن
خير لهم اي يصدق بالله عز وجل لما قام عنده من الادلة الموجبة وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن
للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق
كما في قوله عز وجل انؤمن لك الآية وقوله عز وعلا فما آمن لموسى الآية ورحمة عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق
المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك
بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى
المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب
على انه علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بالنقل عنهم من قولهم هو اذن
ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما قطع عنه
قوله عز وجل فان يتوبوا يك خيرا لهم بما يخبرون عليه من اذيته عم كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول
عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات
العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده عم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم
الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم
الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان
ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي عم وانما تخلفوا عن الجهاد فليس لاجل
في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عم وقد قبل عم ذلك منهم
ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل عن ان يكون وسيلة الى ارضائه عم وانه صلى الله عليه انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا
لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما يشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا
بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عم في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة
فانما يرضي بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل وجملة لعله على حالية من ضمير يحلفون
اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه عز وجل ورسوله احق بالارضاء منكم اي يرضون عنكم ما يكرهونه ويجدهم ويشتغلون
بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عم مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه
عم ارضاء له عز وجل لقوله عز وعلا من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به
الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي

كان

كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتيسر التاويل
لما ان الضمير لا يتعرض للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة
واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي المبرد
ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي اذا كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله
بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة
مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل
غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله عز وجل فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق ان له نار جهنم
وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا
وقيل المعنى فله فان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء
كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا
على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له ورد بان ذلك انما يجوز عند
كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار
وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فحال محققة ذلك اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد لك ايذانا ببعد
درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث
يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهور نفاقهم وحلول العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم في شانهم كما كان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا
يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم
اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس
فيسمعونها مذاعة من افواه الرجال كانها تخبرهم بها والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم
كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان
للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين
سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء
فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله عم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل
استهزؤوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذر
ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملا الناس او التاكيد
او انكارهم بذلك لا لانه عم ما نزلهم بوقوع المحذور وان ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روي انه عم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن
وبالرسول عم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه عم

قال الشيخ التفتازاني انما حمل ان الثانية تكريرا
للاولى مع ان لما انفصل بالخبر منصوصا ولم يجعل
غير فروع على السبق كما هي عادة الكلام لبعد العهد
مطالب ومقاصد لا يبعد في البيان

على ذلك فقالوا احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من
امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض في السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم
جناياتهم منزلا اياهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزءون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا اي لا تشتغلوا
بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اي اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه
بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف
على اسناد الفعل الى الله عز وجل وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وتأنيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه
قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه
رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود
وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت وانا كفنت وانا دفنت فاصيب يوم اليمامة
فما احد من المسلمين الا وعرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر
والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد نفي
ان يكونوا من المسلمين وتكذيبهم في حلفهم انهم لمنكم وتقرير لقوله عز وجل وما هم منكم يأمرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين
او خبر ثان ويقبضون ايديهم عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله عز وجل وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء
وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة
السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم
معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف
في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين
من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا
وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ
الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم
بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين
بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين خاضوا باسقاط النون
او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين

والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا او يؤدي
الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة مما يشير به التعبير عنهم باسم الاشارة فان عاقلها
غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب
عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها
من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي
الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه
طرا فانه قد ذهبت رؤوس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به
خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران ألم يأتهم اي المنافقين
نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم
فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر
اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبئهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه الكلام وينسحب عليه
النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح و
ما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون
للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة
الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله عز وجل وما ظلمناهم
ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر الظلم على الفاعل او المفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله عز وجل ان الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال
المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية
وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار
من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في
مقابلة ما سبق من قوله عز وجل نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله عز وجل ويقبضون ايديهم ويطيعون
الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك
اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم
آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز
تعليل للوعد اي قوي قادر على الاعزاز واوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية
الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد
المنافقين كما ان ما سبق في شأن المنافقين من قوله نسيهم وعيد للمنافقين متضمن لوعد المؤمنين

فان منبع لطفه تعالى فقيرا في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الأخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فلا تحل واحد منهم يجاوز بها الاحالة ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي عم عدن دار الله لم ترها عين ولا خطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضه هي بطنان الجنة وسرتها ومدار هذا على وقيل هو علم ومعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود ومرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش مبرأ عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعله نظمه في سلك الوعد مع ان في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فقال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله عم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ولنعم ما قال من قال لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصلح وماواهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بجهادهم والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله عم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله عم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم راضون

بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا وجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله عم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عم عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله عم وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله عز وجل وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله عم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا واشياء من الاشياء الا اغناء الله عز وجل اياهم او ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله عم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحح لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضه يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي عم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله عم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله عم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله عز وجل منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله عز وجل فلما رجعا قال لهما رسول الله عم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عم فجاء بها الى ابي بكر رضه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضه وقيل نزلت في سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا بابدانهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله عز وجل عنده اي يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة فانهم يجعل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه به من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب يؤدي الى تخلية الجمع بين مسيئي الماضي والمستقبل عن المزية فكان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب

[margin note, partly legible] الفقيه لعلامه ... بتولي الاعلان ... الغداوه ... ابتدا الامر

يقضي باسناده عز وجل اذ لا يمنع لكونهما سببين لاعقاب البخل والنفاق والتعقيب انه لما كانت الفاء الدالة على الترتب
والتوبيخ منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل
والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام فتبين ما هو المدار
في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله عز وجل وقرئ بالتاء على انه
خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما يسرونه
في انفسهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى للاشعار
في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء فكيف اجترؤوا
على ما اجترؤوا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموضعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق
بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم
الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني للتقرير
ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز
بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله عز وجل
في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله عليه السلام حث الناس على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية
من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال
رسول الله عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين
الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم
وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد
بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته عز وجل اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي
ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم
اخبار باستواء الامرين كانه امر بامتحان الحال بان يستغفر لهم تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما في قوله عز وجل
انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة
في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله
عليه السلام في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان آيات الاعداد حادة
معينة تخالف حكم كل منها حكم ما عداها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة
على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائه
الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا
رتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك

اشارة

اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم
اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين
فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة
التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها
فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع
عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي عليه السلام في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون
على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما ينبئ عنه قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون
اي الذين خلفهم النبي عليه السلام بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم
كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعده وحيث فيه ولم
يخرجوا لقتال تمام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله فانتصابه على
انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله
بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل
مخالفته عليه السلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا لايثار الدعة والخفض على طاعة الله عز وجل فقط بل مع ما في قلوبهم من
الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الى رتبة الكراهية وايثار ما عليه النظم
الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب
التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله عليه السلام وقالوا اي لاخوانهم
تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف
واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية
الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما
فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار
القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته عز وجل غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه
وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا
بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله
عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها
ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا
وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة
الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادته في الاول
هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا
يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم

والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي
ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير
جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع
المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله عز وجل الى طائفة منهم اي على المنافقين من المتخلفين في المدينة فان كل المتخلف
بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او
بان يستاذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى
بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو
وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود
اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ المتخلفين
على القصر فكان محو اساميهم من دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف
الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امراة واولى مرة ولا تصل على احد
منهم مات صفة لاحد وانما جي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر
لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي ان رسول الله عم كان يقوم على قبور المسلمين
ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله عم ليأتيه فلما دخل عليه قال صلى الله
عليه وسلم اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره
الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عم تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه
قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضه انه قال هلك عبد الله بن ابي ووصفناه ليصلي عليه
فقام رسول الله عم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة
فتبسم عم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت الآية فما صلى رسول الله
بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عم لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم
على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي
على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون للاستصلاح وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا
على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ من معنى الفسوق
ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق
الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات
وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من
له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال
مناط لبقاء النفوس والاولاد لبقاء النوع واما لان الحاجة اليها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من
الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب
معاناة المتاعب ومكابدتهم الشدائد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يموتوا كافرين باشتغالهم

بالتمتع

بالتمتع بها والالتهاء بها عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها
ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف منها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا
مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا
وقالوا عطف تفسيري لاستاذنك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا
عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لطلاب الاعتبار وان لم يردوا الاول
صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللواتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه
وطبع على قلوبهم بسبب ذلك فهم لا يفقهون ما في الايمان وطاعة في امره ونواهيه واتباع الرسول عم والجهاد
من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وما جاء من عنده
وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يرضوا عنه حرجا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا
واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله عز وجل فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى
وقيل الحور لقوله عز وجل فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون
بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم وربا بمكانهم اعد الله لهم
استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيا لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة
من الضمير المجرور والعامل اعد الله ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله عز وجل لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة
العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي
الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا
فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون
من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا الجهد فاذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عم سيغنيني الله
عز وجل عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين
وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وانهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب
الذين منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة
ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة
حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء
والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح لصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون
ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم
بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم

نزيل مؤيد لمضمون ما ذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين
كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن وهم سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله عم فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان
وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وتاعلمة لما سالوه عم
ونظيره ما احمل عليه عادة ومتابار لا اجد على لبس عذري من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين بالايجفي كانه ام يطلب ما سألوه
على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في
حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية من قوله عز وجل
حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي تفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض
وتولوا اليه او حازنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا اي على حذف لام متعلقة بحزنا
او بتفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنوك
في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم
اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضعة والزنا وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسته عاجلا يعتذرون اليكم
استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عم اليهم جاؤا يعتذرون اليه
بالباطل والخطاب لرسول الله عم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله عم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من
بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله عم بعد تعميم فيما سبق للاصحاب ايضا لان الجواب
وظيفته عم وانما الاعتذار يعم فكان شاملا للمسلمين يتول الرجوع لهم للكل لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله عز وجل
احسنوا احسنا ولا تظلموا او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير وانما النهي عنه لعنوان كذبها فلا يا بإعادة قوله عز وجل لن
نؤمن لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف تعليلي للنهي منبي على سؤال من قبلهم متوقع على ادعائهم الصدق
في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لن نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبانا
الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية ما نابه هو من الشر والفساد وانتم تموهونه
وتخفيا تموه للامارة في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا
ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول ايضا عم او
المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سياتي اتتوبون عما انتم فيه من النفاق ام
لم تتوبون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف عليه فاعله من قوله عز وجل ورسوله
للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون اي في القيامة
الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع الضمير موضع المظهر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه بجميع اعمالهم
الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عقيب ردكم ووقوفكم بين
يديه بما كنتم تعملون اي بالذي كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة

جزء الحادي عشر

والعائد

والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها للمراعاة ما سبق
من قوله عز وجل قد نبانا الله الاية فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم كانوا عاملين في الدنيا حقيقة
اعمالهم وانما يعلمون حقائقها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتنوير لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه
محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو
اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه
ليس لرفع ما خاطبهم النبي عم به من قوله لا تعتذروا الاية بل هو امر مبتدا لتعرضوا عنهم اي تصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
كما يفصح عنه قوله عز وجل لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب كما يعرب عنه قوله
عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك
استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها
وقوله عز وعلا وماويهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك
استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك جزاء
نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السالفة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه
قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر
المحلوف به لظهوره اي يحلفون به عز وجل لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما
راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم
ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط
وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه
واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله عز وجل مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى
المؤمنين من دواعي رضا الله عز وجل قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال
النبي عم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف ابدا الاعراب
هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص
سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب
على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسبة
في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب
وصف الجنس بوصف البعض افراده كما في قوله عز وجل وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط
به خبرا واجدر الا يعلموا اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه عم وحرمانهم
عن مشاهدة معجزاته عم ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من
اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان
تشعب جنس الاعراب الى نوعين وعدم انحصارهم في النوع المذكور كما تراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبيان حال
هؤلاء المنافقين على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما ومحل الاعراب على النوع المذكور خاصة وان ساعده كون

كون ما يحكى حاله بعضا منهم وهم الذين يصدد الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل
لكن لا يساعده ما سياتي من قوله عز وجل ومن الاعراب من يؤمن الآية فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم
من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعتت بنعت بعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به صورة اي مع ما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله عز وجل ليكون مغنما وانما ينفقه رئاء
وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الريا والتقية لا باعتبار
ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر
اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا
بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله عز وجل غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيف اليه
الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى الصفة فوصفت
في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل يعني معنى السوء فانما هي اضافة
بيان وتاكيد كما في قولك شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له السيئة والله سميع لما يقولونه
عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء
والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله عز وجل قربات اي ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص
جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله عم حين قال اللهم صل
على ال ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير
مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات
والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين
من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة
لهم من جناب الله عز وجل بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده
باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه
والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول عم
من ذرائعها وقوله عز وجل سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله
عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتنجزه البتة وقوله تعالى
ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين
وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة رضه انه قال رسول الله عم اسلم
وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون
الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر فضيلة طائفة منهم والمراد الذين صلوا الى القبلتين
او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة

العقبة

العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على
والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين
من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار
ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من رضاه المستتبع
لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من
غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل
وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من
الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله عز وجل مردوا على النفاق
اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا
المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهي مبتدا خبره من اهل المدينة كما في قوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه
من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر
فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر
والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله عز وجل اعلم وقوله
عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم
بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه
من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى
ان ما هم عليه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم واشخاصهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك
الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عم باعيانهم على عدم علمه اعني بعد مجيء هذا البيان على انه عم يعلم انهم منافقون لكن لا يعلمهم باعيانهم
مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في النفاق اي لا يقف
على سرائرهم المذكورة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص
وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما في تعليق نفيه بهم وقوله عز وجل سنعذبهم وعيد لهم
وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله منهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضه ان النبي عم قام خطيبا يوم
جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب
الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها
مغرما والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر
المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله عز وجل فارجع البصر كرتين
اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وتغيير السبك باسناد عذابهم
السابق الى نون العظمة حسبما اسند ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما
حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وا

وان اختلف طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمة في امور الدين وهو عطف على منافقون
اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى
بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة
كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بالاخير فيه من المعاذير المذكورة بالايمان الفاجرة
حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلعم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا
ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال صلعم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم
من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه الغزاة
والندم عليه وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين
وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله عز وجل وآخر سيئا فان قولك خلطت
الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير
دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصف
بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم
الاعمال السيئة اولا وآخرا او عن الطلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما
بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم
يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي
هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال صلعم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست
الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها وما روي انه صلعم اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما
في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف
والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة و
للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء
وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم
الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء
للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف
على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلوتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم اي تسكن نفوسهم اليها
وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم
من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة
والدعاء عليهم او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل
لما سبق من الآية محقق لما فيها الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين وهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهيرهم

للصدقة

للصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله عز وجل
وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن
عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع الظاهر موضع المضمر
للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات
اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحت صدقاتهم اندراجا اوليا اي
الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه
من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلعم على نهج قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو
التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر
ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب
بيعلموا بسد كل واحدة منها مسد مفعوليه واما التائبون من المؤمنين روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء
الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ان الذين من حال
الداعية الى الندامة والتوبة والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والجلالة فهو تحضيض لهم
في التوبة والصدقة وقوله عز وجل وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في
في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير و
وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وجل فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب
والترهيب والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين
من التفاوت والمؤمنون في الخبر ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان
والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد
بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من
الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر تهويل
للامر وتربية للمهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان
الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات
فوجب سبق العلم بالغيب بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه
كقوله عز وجل يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه
واكده بايهام ان علمه عز وجل بما يسرونه اقدم بما يعلنونه كيف لا وعلمه عز وجل بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق
حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة
والكامنة واما الابتداء بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه
مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه عز وجل به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد
الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء به
ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن
حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة

الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضه هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والوجع والندم على ما تخلفوا
فوقفهم رسول الله م ونهى الصحابة عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم فكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شانهم
على اختلاف فمن قائل هلكوا او قائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عند وجهين لامره عز وجل اما يعذبهم ان بقوا على ما
هم عليه من الحال وقيل الاصرار على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم
ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي هم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون
مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده والله غفور والذين
اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو ولانها قصة على حيالها ضرارا
اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب
على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله م ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله م فيصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم
من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله م يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة
فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي م بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب
ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه عن اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف
والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا
يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيقصص بهم جماره وان يتفرقوا وتختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا لمن حارب
الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجي فيصلي فيه ويظهر على رسول الله م من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه
من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان
اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى
والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه ابدا لمسجد
اسس على التقوى يعني قباء اسسه رسول الله م وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء
والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله م بالمدينة وعن ابي سعيد رضه سالت النبي م عن المسجد الذي اسس على
التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام للابتداء او للقسم المحذوف اي
والله لمسجد وعلى التقديرين مسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله عز وجل من اول يوم اي من ايام تاسيسه متعلق
باسس وقوله عز وجل احق ان تقوم فيه اي للصلوة وذكر الله خبره وقوله عز وجل فيه رجال الجملة مستانفة مبينة لاحقيته
لقيامه م من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير فيه وعلى كل حال فيه تنويه لشان

بحث مسجد ضرار

القيام

القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله
وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن تابعه في الاعتقاد وهو الانسب لما
سياتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة مرضاة لله عز وجل وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب
المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله م ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال اءمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضه يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال م اترضون بالقضاء قالوا نعم قال م اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال م اتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال رسول الله م مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي م فيه رجال يحبون ان يتطهروا
وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في كل تطهير عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن
هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على
الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة وجمع اساس واساس بالفتح والكسر
جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله
وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يوثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا كما
وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير وجرف بالوادي اي السيل اي استاصله واحتفره مائة فبقي واهيا
بصدد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام
وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه دينهم
في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك
على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة
فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او الواضعين
للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان
استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي
صلته صفة للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال
مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما
اظهروا من المؤمنين واتباعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون
في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به
ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعف آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء
امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وسارت ظنونهم
بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك التسنف والتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله م هل يتركهم على ما كانوا عليه
من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال

وقرئ اساس بنيانه

هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق
اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات واعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية
اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها بقتلهم او في القبور او في النار
وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل مذكرا ومؤنثا وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي ﷺ اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ
على البناء للمجهول من الثلاثي مؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا
الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول ﷺ او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها
امره الواردة في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال
المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله عز وجل من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها
في سبيله عز وجل واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد
في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله
باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصود في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم
واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك للمدح للمؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم
بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده عز وجل وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى
حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية
مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون
العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان ما لاجله الشرى او لبيان نفس الاشتراء
لان قتالهم في سبيل الله عز وجل ليس باشتراء الله عز وجل منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لها في ذلك بل لبيان
البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم
واموالهم الى جهته الله عز وجل وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا
للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط
الجمع بينهما والاشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان
او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد
الجانبين او لم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية
للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون
الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله عز وجل بل بكونه احب اليهم من السلامة
كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن
حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون الآية بمعنى الامر كما في قوله عز وجل تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان

صفة له وقوله عز وجل في التوراة والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة
والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة
في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان
صدوره منهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى
بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب
تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد
واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا وافرحوا غاية السرور وافرحوا غاية
الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه
بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم انما يكون فيما هو من قبلهم وقوله
عز وجل بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا
البدلين له سبحانه عن الحسن رضه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه ﷺ على العقبة قال
عبد الله بن رواحة رضه اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال ﷺ اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل ومر برسول الله ﷺ اعرابي وهو يقرأ هذه الآية فقال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح
لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم
واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو
رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز
العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله عز وجل فاستبشروا
مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا
على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من
اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله عز وجل العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة
الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله ﷺ سياحة امتي الصوم شبه
بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل
وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة
واحدة واما قوله عز وجل والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فللا
يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على
ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان
وفي تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتنبيه ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده

اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركين اولي قربى اي
ذو قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة وحذفا مطردا كما بين في قوله
ولو كره الكافرون ونظائره روي انه ع م قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج بها عند الله تعالى
فقال ع م لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني
استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين
من بعد ما تبين لهم اي للنبي والمؤمنين انهم اي المشركون اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم
يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله
بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر
ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله عز وجل الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن
استغفاره ع م لابيه آزر ناشيا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابرهيم ع م اياه وقد قرئ ذلك بقوله لاستغفرن
لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبي عنه قوله عز وجل فلما تبين له اي لابرهيم بان اوحي اليه انه مصر على
الكفر غير مؤمن ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه
حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان
ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف
لبيان ما كان يدعوه ع م الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم ع م كان اواها حليما فلذلك صدر عنه
ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه
ع م تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرءا واما ان الاستغفار
قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الايتساء به في قوله عز وجل الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فمحقق في
سورة مريم باذن الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم
احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين
فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفي هذه تسلية للذين استغفروا
للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل
لما سبق اي انه عز وجل عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين
لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم راسا
بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه عز وجل ليتوجهوا
اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنه هو العفو
عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق ثلاث سبقت منهم يوم احد ويوم حنين
وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي ع م لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه

وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة
الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل
واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ من الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار
بما ذكر من اتباعهم له ع م في مثل تلك الايام في الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك من حيث لم يعفهم عنها
كان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما
لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي ع م وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع
اليه الضمير في منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي
لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه
تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم استيناف تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون
الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلثة الذين خلفوا
اي وتاب الله على الثلثة الذين اخروا امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا رد ولم يقطع
في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين
بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله عز وجل حتى
اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسب الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض
بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به
قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء
الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ من سخطه عز وجل الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم
المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله
ع م منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به ع م عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال
يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله اني لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله ع م فركب ولحق به ولم يكن
لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفسي ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله ع م فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر
الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ع م ماشيا فقال ع م لما رأى سواده كن ابا ذر
فقال الناس هو ذاك فقال ع م رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه
بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ع م في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته
واخذ رمحه وسيفه ومر كالريح فمد رسول الله ع م طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله ع م واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به ع م منهم الثلثة فقال كعب لما قفل رسول الله ع م سلمت عليه

ثم تجلى كالمغضب بعدما ذكرته وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه
فقال ﷺ ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله ﷺ فاذا هو جالس في المسجد وحوله
المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها
لطلحة رضه وقال رسول الله ﷺ وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك
ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض
بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون
اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله ﷺ في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم
او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل فيه ما ذكر او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد
بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضه انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام
لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله ﷺ عند توجهه
الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز جزم على انه عطف على يتخلفوا ولا لتأكيد النفي اي ولا ان يرغبوا بانفسهم
عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح
عنده المحرمات من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسير حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو منه ذلك اولى
فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع
وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا ليس
لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد في سبيل الله واعلاء
كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا
او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قتلهم
الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة لحكم وعد الكريم
للثواب الجميل كنيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء لمكان
اختلاف العنوان كما في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب
والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر موضع المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك
المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه
دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضه [illegible]

باعتبار

باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منها بالكتب وجواز لا لتأكيد النفي
كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج من جبال والآكام
يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودي اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي عملوه
من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا
فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي
جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصهم بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من
كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية
وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير
في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الذين بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب فالاقرب كما امر ﷺ اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حول المدينة كبني قريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما
المخاطبون ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم
من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع على المتبوع
في قوله عز وجل ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه
ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه اي السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم
على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين
حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما
الذين آمنوا جواب من جهته عز وجل وتعيين للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله وبما جاء
عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها
فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض
اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر
اي الا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا
الوقوع حسب العدد المذكور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف

بين يدي رب العزة فينودي بالايمان به عز وجل او بها دع رسول الله ام حيفا ينون عما نزل عليه من الآيات لاسيما القوارع
الزائدة للايمان الداعية عليهم بما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا
قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون
بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي
افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله عز وجل ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما
انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى
بعض تغامزون بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد
من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون
في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز
الفرصة فان المرء بشأنه اكثر منه اهتماما بشأن اصحابه كما في قوله وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت
سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم
رؤية احد المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان
حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم
لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم في اي قرشي مثلكم وقرئ من انفسكم
اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم للمكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع
في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب
وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك
عليهم لا اله الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم او الجسم الاعظم الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون
الف صف من الملائكة عليهم السلام تمت الكتابة بعون الملك الوهاب في التاسع والعشرين من المحرم الحرام سنة [illegible]

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد
بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه
اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم
بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان
ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان والنصب بتقدير
فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل

حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة
واما على تقدير كونها اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل آيات الكتاب وعلى تقدير
كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان
بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم
وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور
فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأم القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد
من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحدى الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم
بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه
انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى
احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت
في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ بغير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله عز وجل او في اللوح والانزال جملة
الى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف
الكلام بوصف صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد
جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لاسيما
بعدما ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها ويأباه ان يكون المشار اليه كل واحد
منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه
حكمة فلا ينافي ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها
بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كلا من
الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه والمعهود المشهور وان كان اتصاف
الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما
لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت
حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب
السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه
المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الآية لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين
مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع
حالا من عجبا وقيل متعلقة بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل بالمصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم
المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان على الحدث والناقصة عليه
ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجب تشويقا الى المؤخر ولان في الاسم
ضرب تفصيل ففي تقديمه رعاية للاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة
والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان يجعل

لكان تامة وان اوحينا متعلقا بعجبا على حذف من التعليلية اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان
اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية
المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة
تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا من الجانهم من حيث الحال لا من حيث النظام
كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان
بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان ملائكة يمشون في الارض مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس
فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث من بينهم الى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدة بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب
ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة و
الصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه عليه الصلاة والسلام
في ذلك الشأن في الغاية القاصية والنهاية النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ
الدنيوية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا كما قال النبي عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء ان انذر الناس ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك وذلك لان الخبر
والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى
الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل
بها الى وصف المعارف بالجمل لانحصوص في الدلالة الانشائية على المصدر او مفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز كونها
مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس والمراد بهم جميع الناس
كافة لا ما اريد بالاول وهو نكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق
وبشر الذين آمنوا بما اوحينا وصدقوه ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها
بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق لان الوجه
الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه
من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون واتى بهم
ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل فيها همزة الانكار
او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا
فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله ﷺ من القرآن الحكيم
المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله ﷺ وفي جاء بهذا
الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل
من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج ان
ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب
وحقق فيه حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من الشؤون الخليقة بالتقدير جلال

الكون

التكوين والتدبير وبرشدهم الى معرفتها بادنى تذكر لاعترافهم به من غير نكير لقوله عز وجل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون
اي ان ربكم ومالك امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب
الحكيم هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات
او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين
لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على
التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جل شأنه
ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم
استوى على العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور
والتدابير منه تنزل وهو الملك وفي معنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او الاستواء اليه وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة له عز وجل بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار
وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما ذكر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير
النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر ملكوت
السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الجارية شيئا فشيئا على اطوار شتى واحكام لا انطباق بينها من التباينات
والمباينات والتصافي والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من الكائنات التي ما تعجبوا منه من البعث والوحي
فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق
والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز
كونها خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ
عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان
لاستبداده عز وجل في التقدير والتدبير ونفي الشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي
الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله عز وجل لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله عز وجل يدبر الامر جار مجرى قوله عز وجل
وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله عز وجل قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله عز وجل الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من
اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك
عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم
بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي يدور عليها استحقاق الالوهية
الله وقوله عز وجل ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الله الذي خلق السموات
والارض الآية لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير والتقريع الاول بالعبادة عليه بقوله عز وجل فاعبدوه اي وحدوه من
غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزل اليكم افلا تذكرون
اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد
سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله عز وجل جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في

اليه مرجعكم جميعا والجملة في التعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه
سبحانه بالبعث والفعل مقدر اي وعد الله وعدا ماكان فهو على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لا الرجوع بالموت
[illegible] الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق
وقرئ يبدئ ثم يعيده [illegible] استيناف علل به وجوب المرجع اليه عز وجل فان غاية البدء والاعادة هو جزاء
المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله
[illegible] او مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بداء الخلق ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم
وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الا
[illegible] والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا
بسبب كفرهم [illegible] بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
[illegible] وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب
بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم
واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده
عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات
والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية
وارشاد الى انه [illegible] امورهم المتعلقة بمعاشهم بهذا التدبير البديع فلأن يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد
بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل
بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء
[illegible] وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن
لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم [illegible] وسع اسفلها والضياء
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين
بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الظلام [illegible] الضياء اقوى من النور وقيل
ما بالذات ضوء [illegible] نور [illegible] اشعارا بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ
منازل او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير
لسرعة سيره [illegible] منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما
[illegible] منازل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت
[illegible] الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر
ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع
النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب
الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا

وهو بطن الحوت لتعلموا باعتبار [?] الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منها في تلك
المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي
حساب الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء
من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب
الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة
معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد
تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصائه فان الليل محسوب من يومها بتكرير امثاله من غير اعتبار
ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب
الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد في العشرات والمآت والالوف اعتباري لا يوجب
تغير احوال المعدود وكذا وجب اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب لها اسام خاصة واحكام مستقلة
علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب واما الذي يتعلق به العدد فهو
احادها وتعلقه في ضمن ذلك بتلك الاحاد او احاد من تلك الطائفة ليس من تلك الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل
كل واحد منها من عدة ايام قد حصل لكل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها
فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين
متعلقيهما وجودا على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم
يجئه اولا العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل منزلة البسيط الذي اعتبر فيه ذلك منزلة المركب
من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلها على تلك
الاحوال والهيئات ليس الا خلقها كذلك كما اشير اليه ولا انقلاع في ذلك ان استفادة القمر نورا من الشمس
حادث فان هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا افاضته به بالفعل الا بالحق استثناء
مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او
مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم
يفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة او يفصل الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او نفصل
الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون
مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به
ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه او اجمال على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منها خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس
وغروبها او في تفاوتهما باعتبار اختلاف احوال السموات وسكون الارض اي في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا
وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى
ووحدته وكمال قدرته وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتب والبعث والجزاء

لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله عز وجل والحذر من العاقبة فهم الواقفون على الحكم
المكنونة فيها دون غيرهم وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا
بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه عز وجل وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا
او عقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه عز وجل بالبعث او حسابه كما في قوله
اني ظننت اني ملاق حسابيه وفيه مع الالتفات الى نون العظمة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم
لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او
لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا
فانه مبني على ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله عز وجل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه
اشير بقوله عز وعلا واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم
ما يسوؤهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة
الابدية ورضوا بدلا منها وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها
مكبين عليها قاصرين مجامع همهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة
عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة
الدنيا فانها مبنية على ما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاول للايذان باستمرار الرجاء والذين هم عن آياتنا المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى
بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان
ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها
وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب
واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات
بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من
الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم
اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا به من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية
المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الا
الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله عز وجل ان
الذين لا يرجون لقاءنا الآية ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما
يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما
ترك الموصوف جريا بها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم
اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق
من بيان مأوى الكفرة وما آواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد
الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم

ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد
ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في
الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب
لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وهم مهتدون ناطق بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن
حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري
من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله عز وجل وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة
مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان
التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه
السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي
فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم فيها اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به
وقوله عز وجل سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا
ونعظمك يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته عز وجل ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها اي ما
التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله عز وجل والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر دعواهم
اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته عز وجل بصفات
الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من الثقيلة اصله انه
الحمد لله محذوف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم
عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع
ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله عز وجل وكبرياءه مجدوه عز وجل ونعتوه بصفات الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه عز وجل واثنوا عليه بما هو اهله اضافة الآخر الى دعواهم
وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله عز وجل ادعوني استجب لكم وما تدعون الآية ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم
الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس
هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على
ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا
على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا
يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى
استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه
كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته عز وجل لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو

ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم اي لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار
صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل وقرئ لقضينا
واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل
فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه
ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه فاعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم
في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في
المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عم لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن
البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على النار وقوله سبحانه ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا هائلا فظيعا لا يحيط به نطاق العبارة وكما في قوله عز وجل
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستئصال فانه فرد من افراد مطلق
المؤاخذة قد تعين بما لا مزيد عليه من الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في موقع التالي للمؤاخذة المطلقة واما
ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه ولا كامل بل هو اما نفسه او فرد منه كسائر افراده من غير تميز
له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما
مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فلا جرم ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء
المذكور وجودا وعدما كما في قوله عز وجل لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان
تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او فرد من افرادها نادر ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا
او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وفي ايثار ترتيب التالي
على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وهو بالامر والدلالة على ان الامور
منوطة بارادته عز وجل المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد
في الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا و
استدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم
السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان
للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي اصابه
جنس الضر من مرض او فقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا
بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله عز وجل يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه
او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال ما ذكر او لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان
عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على ان المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا عاجزا
على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه عقيب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر
اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف
الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا
الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك
نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه
اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب
زين للمسرفين اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الباري تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها
الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهو راس مالهم فقد اسرفوا واسم
ظلموا والتزيين اما من جهة الله عز وجل بطريق التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة
الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد
واضرابهم ومن في قوله عز وجل من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات
للمبالغة في تاكيد التهديد بعد تاييده بالتاكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي
في الغي والضلال من غير تاخير وقوله عز وجل وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله عز وجل بالبينات متعلق
بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف هو حال من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله وجاءتهم
عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس
الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله عز وجل وما كانوا ليؤمنوا
على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتاكيد النفي اي ما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى
اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى
الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله عز وجل كذلك فان
الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال نجزي القوم
المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب
الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على
الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير المخاطب ايذانا بانهم
اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم
وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون
ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك
اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف
تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم
عامله عليه اي اي عمل تعملون او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وجل
ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات

حسنة للأعمال الصالحة وإما الأعمال السيئة مجهول من أن تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا أخبار القرون المهلكة و
شاهدوا آثار بعضها فضلاً عن أن ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على أنه مفعول به
أي أي عمل تعملون مصدر اجترام شر أخيفا مكم كحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات
الأعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بكونه مستعارة لمعنى أي شيء وإذا تتلى عليهم التفات من خطابهم
إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتوجيهاً للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف
من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد
جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والإضافة لتشريف المضاف والترغيب
في الإيمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وإيراد فعل التلاوة مبنياً للمفعول
مسنداً إلى الآيات دون رسول الله مع مبناه للفاعل للإشعار بعدم الحاجة لتعين التالي وللإيذان بأن كلامهم في نفس المتلو
دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير إشعاراً بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم
وأنهم إنما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه عز وجل يوم اللقاء لإنكارهم له وما هو من مباديه من البعث وذماً لهم بذلك أي
قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله وإنما لم يذكر إيذاناً بتعينه ائت بقرآن غير هذا أشاروا بهذا إلى القرآن المشتمل
على تلك الآيات لا إلى نفسها فقط قصداً إلى إخراج الكل من البين أي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده
من البعث والجزاء أو ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها أو بدله بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية أخرى خالية عنها وإنما قالوه كيداً وطمعاً في المساعدة ليتوسلوا بها إلى الإلزام والاستهزاء به قل لهم
ما يكون لي أي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني أصلاً أن أبدله من تلقاء نفسي أي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل
ظرفاً وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه
أولاً من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيان وأن التصدي لذلك مع كونه ضائعاً ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء إذ لا يصدر
مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الأول بالطريق الأولى إن أتبع
أي ما أتبع في شيء مما آتي وأذر إلا ما يوحى إلي من غير تغيير له في شيء أصلاً على معنى قصر حاله على اتباع ما يوحى إليه لا
قصر اتباعه على ما يوحى إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي وقد مر تحقيق المقام في
سورة الأنعام وهو تعليل لصدر الكلام فإن من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعاً وفيه جواب
للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به بهذا السؤال من أن القرآن كلامه عليه السلام ولذلك قيد
التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصياناً عظيماً مستتبعاً لعذاب عظيم بقوله إني أخاف إن
عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإنه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصاره على اتباع الوحي
أي أخاف إن عصيته عز وجل بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والإعراض عن اتباع الوحي عذاب
يوم عظيم هو يوم القيامة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه إشعار بأنهم استوجبوا بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان
الربوبية مع الإضافة إلى ضميره لتهويل أمر العصيان وإظهار كمال نزاهته عنه وإيراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه
بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي
بتفسير قوله عز وجل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي بأنه لا ينتهي لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي بأن أتبع إلا
ما يوحى إلي من غير صنيع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لأنه يرده التعليل المذكور لكن لا لأن المقترح حينئذ ليس بمعصية

أصلاً كما توهم فإن استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب في كونه معصية بل لأنه ليس فيه معصية الافتراء مع أنها المقصودة بما ذكر في التعليل الآتي إلى ما بعده من الآيتين
الكريمتين فإنه صريح في أن غرضهم الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وأن زعمهم في الأصل أيضاً كذلك وقوله عز وجل
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله عز وجل إثر بيان بطلان ما اقترحوه الإتيان به
واستحالته عبارة ودلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه داخلاً تحت الأمر السابق إظهاراً لكمال الاعتناء بشأنه وإيذاناً
باستقلاله مفهوماً وأسلوباً فإنه برهان دال على كونه بأمر الله عز وجل ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد إخبار باستحالة ما
اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا وقعت شرطاً وكان
مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط
الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته للقرآن عليهم إنما هو مشيئته عز وجل له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى
أن الأمر كله منوط بمشيئته عز وجل وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي له من
تلقاء نفسي بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا
أدراكم به أي ولا أعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي المقدم أعني مشيئة عدم التلاوة
ولا يخفى أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعاً فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتماً وانتفاء عدم مشيئة التلاوة
إنما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته للقرآن بمشيئته عز وجل وأمره وإنما قيدنا الإدراء بكونه بواسطته
لأن عدم الإعلام مطلقاً ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء
وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى المنبئ عن استناد الإدراء إليه عز وجل إيذان بأن لا دخل له عليه السلام في ذلك
حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولأدراكم ولأدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت
وأرضيت أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا أجعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال وقرئ ولا أنذرتكم به وقرئ
لأدراكم بلام الجواب أي لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا ولأعلمكم على لسان غيري على معنى أنه الحق الذي لا محيص عنه
لو لم أرسل به لأرسل به غيري البتة أو على معنى أنه عز وجل يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة فقد لبثت
فيكم عمراً تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وأمره حسبما تبين آنفاً لكن لا بطريق
الاستدلال بعدم تلاوته فيما سبق بسبب مشيئته عز وجل إياه بل بطريق الاستشهاد عليها
بما شاهدوا منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام
بلا وحي وعمراً نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد أقمت فيما بينكم دهراً مديداً مقدار أربعين سنة
تحفظون أحوالي طراً وتحيطون بها خبراً من قبله أي من قبل نزول القرآن لا أتعاطى شيئاً مما يتعلق به
لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع أفلا تعقلون أي
ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فإنه
غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه أن من له أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره صلى الله عليه وسلم
وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة إليهم في فن من
الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى
بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه

بدايع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما
بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله
عز وجل هذا هو الذي اتفق عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بنا الجواب فيما سلف على تجرد امتناع صدور التغيير والتبديل
عنه عم لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عم على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض لحاله ولا لذلك
لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عم غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بحاله عم
من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عم عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد
كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله عز وجل وللعي فقد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد
قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان
من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي
الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان
سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من افضل
من فلان او لا اعلم منه يفهم منه قطعا انه افضل من كل فاضل اعلم من كل عالم وزيادة قوله عز وجل كذبا مع ان
الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله كذب في نفسه
فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عم في التفادي مما ذكر من الافتراء
على الله سبحانه او كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب
الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بتبيينه تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي اذا
كان الامر كذلك فمن افترى على الله عز وجل بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته ببعض كما تجوزون
ذلك في شاني وكذلك من كذب باياته عز وعلا كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان ووضع اسما لان وخبره ما بعده
من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير
في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل
ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب
اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله عز وجل واذا تتلى
عليهم الاية عطف القصة على القصة ومن دون متعلقة بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى
ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما ينطق به سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم
اي ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة
دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام
على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف
يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال النضر
بن الحارث اذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات وقيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك
فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند

الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها
قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام
على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل كان اولئك الاكابر يشفعون لهم
عند الله عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله
عز وجل اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان
وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله عز وجل في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي
لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او
عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله عز وجل وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به
وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام
ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور
وشقا لعصا الجماعة واما حملهم اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما
لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد ادم عم
الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عم وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين
ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عم الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب
خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا
بان كفر بعضهم وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر
مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك
المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق
لا بيان حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة
فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق من الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله عز وجل ويعبدون وصيغة
المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه
ارادوا اية من الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة
عليه عليه السلام من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي
دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة
وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله عز وجل لا وقوف لي عليه فانتظروا انزاله اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم
لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة
يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرآنية
كما في قوله عز وجل واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم

بهما اختلقوا يطعنون في آيات الله عز وجل ويعادون رسول الله عم ويكيدونه وذلك قوله عز وجل اذا لهم مكر في آياتنا اي الطعن
فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي
متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق
او اريد بالمكر الاستدراج وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم
والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه ان ما دبروا في اخفائه غير خاف
على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته عز وجل لاسرعية
مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله عز وجل ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف
اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله عم اليهم تشديد في التوبيخ وقرئ يمكرون على
لفظ الغيبة فيكون تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا
من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا اعني الملابسة به وبجعلها في البر
مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه
يقع على الواحد والجمع كأسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ
عنه ... بالدوام على الركوب للتسيير بحدوث وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة
للايذان ... الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار
والتقبيح ... التفات بل معنى قوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضهم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم
المسير ... الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله عز وجل او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي
[illegible] موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها
جواب ... الهبوب للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف يخالف لها فان الهبوب على وفقها
لا ... عادة بل هو استمرار للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان
الهبوب ... الريح اللينة بعد مجيئها بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب
للهول ... ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف
اي ذات عصف ... العصوف تختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد تذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان
اي ... عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل
... اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة
العدو ... عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم
او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من
غير ... شيئا من آلهتهم لا لمخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون
مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة
لنكونن ... ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا
لان الدعاء ... القول والاول هو الاولى لاستدعاء ان في ... فضارعهم على ذلك فقطع في قوله لنكونن
من ... المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر

الا يستحق فيه ما ليس في وان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في
الارض اي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من صدور العبث من قولهم بغى الجرح
اذا ترامى الى الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله
بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله عز وجل
ويقتلون النبيين بغير حق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق
زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى
اللائق بالحال فتدبر يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين لتشديد التهديد والمبالغة في الوعيد
انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله عز وجل على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان
ظن كذلك وقوله عز وجل متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال
وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع
الحال اي متمتعين والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر و
معموله بالخبر ولا يجوز في الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا
معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه
المصدر اي يبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة
النظم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاي
مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له
اي لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم
وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستأنفة وقيل على انه
مفعول به للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير
انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام
من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور
لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر
والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ
اي هذا بلاغ فالمراد بانفسكم على الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع
المذكور على حقيقته منهم وعلى الثاني الحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بغاية غرضهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم
ولم يجر بعد ما يحصل من تتمة الكلام وجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم
قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء
الجنس مما يعلمه الباغون عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس ونحو ذلك
واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي او الضمير العائد
اليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة
الدنيا [illegible] واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل الاشتمال وقيل انه مفعول

لمناعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن البتي ثم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن
باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال
تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا
صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله عز وجل في الدنيا البغي وعقوق الوالدين
وعن ابن عباس رضه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار
من البغي وهو وعيد بالجزاء والعقاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية
وهي ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها
يظهر في النشاة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا
الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم
به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون
وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك
الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شان
الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال
المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال من سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها
بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعدما
كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وتزينت الارض بالوانها تقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس
وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما يأكل الناس والانعام من البقول والزرع
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات
واشكالها والوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كافعلت
من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات
ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن
لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان
الامس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اي
الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون اي في تضاعيفها
ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل
من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات
يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة

الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة
وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله عز وجل وتخصيص الاضافة
التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض
ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلال لم يرد الله رشده للذين احسنوا
بالايمان والطاعة اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى
وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء
ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستانفة لبيان
امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله تعالى
منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل
ضرب تفصيل كما في قوله عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة الفائزون بما ذكر من المثوبات الناجون
من المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي
الشرك والمعاصي وهو مبتدأ على حذف المضاف خبره قوله عز وجل جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات
ان يجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من
التنافي والتباين حيث لم يقل وللذين كسبوا السيئات السوءى وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء
صنيعهم بسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه
التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم
بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله عز وجل وعذابه اي ما لهم من عنده تعالى
من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت
لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في
من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب وانظري الى النجوم كم علينا
من قطع الليل بهيم فيجوز ان يكون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة
كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار

هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السباق والسياق لم يكن فيها متمسك للوعيدية ويوم
نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من أحوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم
المحكية سابقاً للإيذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئاً واحداً
كما في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين
أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله عز وجل جميعاً ومن إفراد الفريق الثاني بالذكر في قوله عز وجل ثم نقول للذين
أشركوا أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الأشهاد أفظع والإخبار بحشر الكل في تهويل اليوم أدخل
وتخصيص وصف إشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الإيذان
بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفاً مكانكم نصب على أنه في الأصل
ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته بناء كما هو رأي الفارسي أي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم تأكيد
للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على أن الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت
الشيء عن مكانه أزيله أي أزلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وإيثار
صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير
مهلة إيذاناً بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة أي فرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين بحسب حالهم وانصرام
عرى أطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت
أو الابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي أي فباعدنا بينهم بعد
الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله عز وجل أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو في قوله
وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الأول لاستدعائها المحاورة المحاضرة
المنافية بالمباعدة وليس في ترتيب التنزيل بهذا المعنى على الأمر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الأول من النكتة المذكورة ليصار
لأجل رعايتها إلى تغيير الترتيب الخارجي فإن المباعدة بعد المحاورة حتماً وأما قطع الأقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل
قبله أيضاً وأما الحاصل عند المحاورة كما أشير إليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاستتباعه رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم أنه يجمع
وآتيه من المحاورة ثم مراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز أن يكون حالية على التفسير الأول أيضاً والمراد بالشركاء
قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولي العلم فصيغته تؤيد رجوع الضمير إلى الكل وقولهم ما كنتم إيانا تعبدون عبارة
عن تبريهم من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم وشياطينهم الذين أغووهم لأنها الآمرة لهم بالإشراك دونهم
كقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم الآية وقيل الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم فإنه العليم الخبير إن كنا عن عبادتكم لغافلين أي عن عبادتكم لنا و
تركه للظهور وللإيذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والأصنام شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا
يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم بإشراكهم مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين
لهم على ذلك وإن مخففة من أن واللام فارقة هنالك أي في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت
على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو أي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية
ما أسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعاً لآثاره من نفع أو ضر وخير أو شر وأما ما علمت من حالها من حسن الموت

والابتلاء

والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وإبدال ما منه أي نعاملها معاملة من يبلوها و
يتعرف أحوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما أسلفت من العمل ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فيكون ما منصوباً بنزع الخافض وقرئ تتلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو
إلى طريق النار أو تقرأ في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر وردوا الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف على زيلنا وما عطف عليه
وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في أثناء الحكاية مقرر لمضمونها إلى الله أي إلى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق أي المتحقق
الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه رباً باطلاً وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله أهل الحمد أو على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع
أظهر ضياعه وضلاله لا أنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل في اعتقادهم أيضاً ما كانوا يفترون من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا
يدعون أنها آلهة وهذا أجمل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على أنه معطوف على تبلو وأن العدول
إلى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وأن إيثار صيغة الجمع للإيذان بأن ردهم إلى الله عز وجل يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه
التخصيص بوصف الحقية في قوله عز وجل مولاهم الحق فإنه للتعريض بالمردودين حسبما أشير إليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم
أو حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا احتمال فيه للتدارك
قطعاً فإن ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتماً وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى
للكل يأباه مقام تهويل المقام والله عز وجل أعلم قل أي لأولئك المشركين الذين حكيت أحوالهم وبين ما يؤدي إليه أعمالهم
احتجاجاً على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الإشراك من يرزقكم من السماء والأرض أي منهما جميعاً فإن الأرزاق
تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف
أي من أهل السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار أم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن الاستفهام
الأول لكن لا على طريقة الإبطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه إلى استفهام آخر تنبيهاً على كفاية ما هو
المقصود أي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما
من أدنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي أي ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة من الحيوان ومن يدبر الأمر أي ومن يلي تدبير أمر العالم جميعاً وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الأمور
الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله إذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه وهو خبر محذوف أي الله
يفعل ما ذكر فقل عند ذلك تبكيتاً لهم أفلا تتقون الهمزة لإنكار عدم الاتقاء بمعنى إنكار الواقع كما في أتضرب أباك
لا بمعنى إنكار الوقوع كما في أأضرب أبي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه النظم الكريم أي أتعلمون ذلك فلا تتقون أنفسكم
عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من إشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الإلهية فذلكم فذلكة لما تقدم
أي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله عز وجل الله خبره وقوله عز وجل ربكم
أي مالككم ومتولي أموركم على الإطلاق بدل منه أو بيان له وقوله عز وجل الحق صفة له أي ربكم الثابت ربوبيته
والمتحقق ألوهيته تحققاً لا ريب فيه فماذا يجوز أن يكون الكل اسماً واحداً قد غلب فيه الاستفهام على
اسم الإشارة وأن يكون ذا موصولاً بمعنى الذي أي ما الذي بعد الحق أي غيره بطريق الاستعارة وإظهار
الحق إما لأن المراد به غير الأول وإما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام إنكاري
بمعنى إنكار الوقوع ونفيه أي ليس غير الحق إلا الضلال الذي لا يختاره أحد فحيث ثبت أن عبادة من
هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر أن ما عداها من عبادة الأصنام ضلال محض إذ لا واسطة بينهما وإنما سميت

ضلالاً مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن
التوحيد واما على تقدير كونها عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الاله
الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنها نفس الضلال
والضياع وهذا انسب بقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فأنى تصرفون استفهام
انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان
كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعاً فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني كما مر مراراً والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى
الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة
الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال
مما لا يصدر من العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية
لله عز وجل او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه
على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها
العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم
بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف
على ما قبله ايذاناً باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت الاعادة
لوضوح مناطها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذاناً
بتلازمهما وجوداً وعلماً باستلزام الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله
عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائناً ما كان لا انه
ينوب ام عنهم في ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم الجواب وان كان مستلزماً له اذ ليس المسؤول عنه
من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب
الذي اريد منهم ويكون ام نائباً عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب
منهم لا لا غير ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يخبرهم بمقالة ايذاناً بتعينه للجوابية وتحتمه واشعاراً بانهم لا يجترئون على
التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجاً فقدمه واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب
السابق لمزيد التأكيد والتحقيق فأنى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد خص بالقلب عن الرأي وهو
الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم
احتجاج آخر على ما ذكر الزاماً لهم غب الزام وافحاماً اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى الحق
اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما نصب طرق الهداية
بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر فاجيل مما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية
على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله عز وجل حيث قيل قل
الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق

للنظر

للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله
عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعاً
لها لحركة الهاء وقرئ بفتح نقلاً لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلاً عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء
مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالباً فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها
قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته عز وجل صريحاً وعدم هدايته
شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى
الترتيب كما يقع في بعض المواضع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الآية ونحوه والهمزة متأخرة
في الاعتبار وانما تقدمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتماً الا
لا في قوله عز وجل فأي الفريقين احق بالامن اثر تقرير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله ام وقرئ لا يهدي
بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازماً او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير امن
يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واياً ما كان فالاستفهام
للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعهود اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته عز وجل له الى الاهتداء او الى هداية الغير
وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله عز وجل من حاله الى ان يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل
للمبالغة فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب
من حالهم وقوله عز وجل كيف تحكمون اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم
بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام الى
انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم
لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعاً مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت
حكمهم باستحقاقهم للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه عز وجل لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين
باستحقاق شركائهم له دون الله عز وجل من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من
جهته عز وجل لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم
بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلاً اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم
الا ظناً واهياً من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلاً عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية
على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام
فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان يكون لهم
في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم
فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً فيحصل بالنسبة اليهم التأثر من البرهان
المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفراً واكثر عذاباً من الفريق الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام من كون اولئك
اسوء حالاً من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم

الا الظن ولا يكونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان
والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بان سيكون من بعضهم
من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى وجعل الا ظنا حجة مستندا الى برهان
عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع كما مر وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة
الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز
ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول
وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض
عن البراهين الناطقة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد
وما كان هذا القران شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام
ان يكون هذا القران المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما مر من الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد
وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها
شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله للتصديق وقرئ بالرفع
على تقدير المبتدا اي ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق
والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب
وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر اخر
كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك
فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون
افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد والهمزة لانكار الوقوع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة
ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا
للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات
ومدارهكم الذين تلجاون الى ارائهم في كل ما تاتون وتذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة
الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله عز وجل وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين اي في اني افتريته و
اخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى
بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو واضح
مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا
في حق القران العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا عما به من ذكر البعث
والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثر من غير
ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان
يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقول بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان

بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على
الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد
على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار
بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
انه صدق او كذب والمعنى ان القران معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤوا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التاويل
بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب
الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى
زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا على ذلك ايضا على ما هم عليه اولا
فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ
من عدم التدبر فيه كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله او ادعاء انه مسبوق بالتحدي الوارد في سورة
البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية واما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم الاية
وقوله عز وجل كذلك الاية وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على
بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من
المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين
من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من
سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم دخولا اوليا وعيدا وقوله عز وجل ومنهم الاية وصف لحالهم
بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل
في التكذيب والكفر قبل ذلك حسبما افاده قوله عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن
به بعد الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعدما سبروا في المعارضة وزادوا قواهم فيها فتضاءلت دونها
او بعدما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر والمعنى بالايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق
ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما
سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى
انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن
الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق رتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص
علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل
كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريد فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على
التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير
الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط
كما قيل لاشتراكهما في اصل الفساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين
والشاكين وان كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزامهم بالتحدي فقل لي

عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله عز وجل فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما
افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة و
عدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم
وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما أفرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين
بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون
اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع أفأنت تسمع الصم همزة الاستفهام الانكارية والفاء عاطفة وليس جمع بينهما
لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما عرف
في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة
او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده
بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كأنه قيل أيستمعون اليك فأنت تسمعهم لا لانكار الاستماع فانه
امر محقق بل لانكار وقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا للامكان ايضا كما ينبئ عنه وضع
الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك
ويعاين دلائل نبوتك الواضحة أفأنت اي أعقيب ذلك انت تهدي العمي ترتيبا لانكار هدايتهم
وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة
فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو محذوف في الجملتين
لدلالة قوله تعالى أفأنت تسمع الصم وأفأنت تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها كلتاهما في موضع الحال من مفعول
الفعل السابق اي أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون
ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله عز وجل ولو كره الكافرون ونظائره ان الله
لا يظلم الناس شيئا اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لاجل
مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به
مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة
والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن
الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اي ولكنهم بعد استعمال
مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما
ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان
ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية والكلام باعتبار مراعاة جانب قرينه وقوله عز وجل

بحث لو الوصلية المحذوف جوابها اطرادا

انفسهم

انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول
ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى
التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما
على رأي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان قبح الظلم
عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدها انكارا عند العقل ونبوة لذوي الطبع واوجبها حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية
على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما تقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا انفسهم لزم ان لا يظلمه
الا انفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني
مع رعاية ما ذكر من المغايرة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد
بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا اضرب يدل على اختصاص النفي كما يدل
على نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت
للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم
المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم
منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا اي كأنهم لم يلبثوا
الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من
ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث
في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار
نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار وفائدة
التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال
والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم
بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا
كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم
ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من
حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله عز وجل على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير
يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة و
الاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله عز وجل ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد
بالخسران الوضيعة والمعنى وضيعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى
قوله عز وجل وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار
الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله
ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي ان نبصرنك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة

او للكد لالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص البعض
بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي كيفما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني
كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته عز وجل اياهم واما اقامتها واداؤها
بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد ولكل امة اي لكل امة من الامم الخالية
رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه وخالفوه
قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به واهلاك المكذبين كقوله عز وجل وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم
القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين
والشهداء قضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما
يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه يأتينا والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا
على ما تقدمه حسبما حذف في مثل قوله عز وجل فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان
عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين وما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فللتعميم
الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار بالجهة وللمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني
رداً او ايراداً مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله
الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله عز وجل كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله عز وعلا ان املكه يأباه
مقام التبري عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان
يملكه عليه السلام وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى
لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر
والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله عز وجل لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء
وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب
الامة اي لكل امة امة قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم
عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان
فمجيئه عبارة عن نقصانه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه
لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء لكل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها
الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فان الساعة مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون

عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على
لا يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل
عقلا كما في قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم
كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت
ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة
كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء
الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولكن سياقه في ذلك بالتأخر واما ما
في قوله عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما
ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر محتوم
لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم اي اخبروني ان اتاكم عذابه الذي
تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمعاشكم حسبما عين لكم من الاجل
بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء
كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع الضمير لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان
حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه
عز وجل اي شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز
الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه
وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وههنا ضمني كما في قول من
قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك
التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل دنوه منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع آمنتم به اي بعد ما وقع العذاب وحل
بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار ان جره الى الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد
ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارأيتم وجواب الشرط محذوف
اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض والمعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وقيل الجواب قوله عز وجل اثم اذا ما وقع
الآية والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم في كلمة التراخي
دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وفي ماذا [illegible]
بما فيه من المعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله عز وجل آلآن استئناف من جهته
عز وجل غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب
آلآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سماع الانذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا
لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ
آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله عز وجل وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا
من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع بزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون

انكار لايمانهم بعد نزول العذاب بعد وقوعه داخل مع ما قبله من الانكار ... كما تحت القول المأمور به

القصر وقوله عز وجل ثم قيل تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن
للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع
الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل
تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك
اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار احق هو احق خبر قدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام
به ويؤيده قوله انه الحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ الحق
هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي تسميه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم معرضا عما
قصدوا وبانيا الامر على اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد
في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق ثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد
حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز وجل وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب
وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التاكيد المذكور
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون
الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية
لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم
في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما
يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص
او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات
ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اي عاينوه من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون
فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها
رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم وقيل
اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين
من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله عز وجل او من حقوق العباد من الباطل
وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على اجراء الحكومة بين الظالمين والمظلومين
من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه انما هو كون الظلم عبارة عن الشرك
او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم و
لوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تنبيه لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج
الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل
لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب
الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فيتعين قوله

عز وجل حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل
على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم
لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون
ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر
يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال
بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي
الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلاهما في قوله عز وجل
من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض
لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد
والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف
الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد
الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي تجليته رحمة
للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات
الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في القرآن
العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة واما جنسهما ويدخل ما
فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها
في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى
جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على
السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا
وقرأ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام
ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرحوا هو اللائق بشانكم
وهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة بانزل او بما بعدها او بما قبلها واللام
للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب يتوقف عليها وجودا او بقاء باسباب
سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام
وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك كقولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجهل منه ودوران التوبيخ عليه قل
تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى ام على الله تفترون
ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل اهو لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه واظهار
الاسم الجليل وتقديمه على الفعل للدلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تبكيت مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام

للانكار اي انكار وقوع الاذن وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما هو اشد منه
من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا الوجه لان يكون للقصر فكانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله عز وجل لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به
والتعبير عنهم بالموصول في موضع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد وللتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء
لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه
محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها
مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم من الامور التي ستقع
يوم القيمة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم بما سيقع بهم يوم القيمة أيحسبون
انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد
العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي
لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق
والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم
الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له
ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدركه الا به وقد فصل عليهم بيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يعملون
اليه فينقصون فيما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شأن اي في امر من شأنت شأنه اي قصدت
قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ
هي معظم شؤونه ﷺ او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في
قوله عز وجل من قرآن مزيدة لتأكيد النفي او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون
من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتضى الحال وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال
ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالاعمال
الثلثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه
اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة
الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا وقعت في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي
وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى
وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيه احدهما او متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله عز وجل ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس اصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على
الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محل مع الجار جعل الاستثناء
منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون
الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه عز وجل شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين

اللوح

اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا
على نبيه صلى الله عليه وسلم وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه عز وجل بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا
في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله عز وجل يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق
التهويل والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله خلص
المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا
هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف
وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار
والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله عز وجل ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى و
مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين
الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات
نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله عز وجل وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها
عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة
الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه
قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل
شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة
الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل و
ترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال من دخل معه
عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ لهم في شأن التبتل والتنزه درجات
متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم
الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق
في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم المؤيدة بالقوة
القدسية الزكية وملاك الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما
قيل من انهم الذين يتولى الله تعالى هداهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله عز وجل والدعوة اليه ولا الى
ما قيل من انهم الذين يذكر الله عز وجل برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من
اولياء الله فقال الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا الى ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي
عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم
قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون

اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمة والسكينة المذكرة لله عز وجل والتحلي بـ في الكتب
من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما حقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس
فما اورد النبي عم فكلا من ذلك مما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسامعين او بعضهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر ههنا
من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين
ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم
من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين
من ذوي ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فمسوق لبيان حسن حالهم على طريقة التمثيل كما في الكواشي وهذا مبالغة والمعنى
لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وحمل قوله عز وجل
الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه عز وجل وقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا للتولي
عز وجل اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات
عليها وبناء الحكم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم حصول
سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا
بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما
لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء كما شرح والثاني بيان لما اولاهم من
خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها ومكارهها والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة
وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن
حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين تبشير
الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتبشير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن
لا انفكاك لهم عما يؤدي اليها من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة ونحو ذلك
والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما
في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الدنيا وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي
حال كونهم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر قلت
يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمنين هذا وقد قيل البشرى مصدر
والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن
النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء
لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله عز وجل تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما
في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم
وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة
لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل
الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيه البشارات
الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد

بعدم

بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها
فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تقرير لما ابهم فيما سبق والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس
من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عم بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه
امنا من كل محذور وفوزا من كل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عم عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم
ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه
النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عم عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم
والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف
ايضا لانه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك
وقوله عز وجل ان العزة لله تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي ان الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد
شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة المبشرات العاجلة وقرئ
بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم
بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات
اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عم وعدم مبالاته بالمشركين
وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم
المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع
محذوفا لانفهامه من قوله عز وجل ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على
كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة
للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي
واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها وقرئ تدعون
بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين
لله عز وجل مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان
هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه عز وجل ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده عز وجل بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق
العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان
بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فكلم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه وهو محذوف
يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل

مطالب التكوينية والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سبق نظيره في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية حذف من كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار
الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات المتلوة
ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع
انها منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه
وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق
لمالكيته عز وجل لكل ما سواه وقوله عز وجل ان عندكم من سلطان بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه وتحقيق
سلامة ما احتج من البرهان الساطع عن المعارض فمن هي من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره
او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع
صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة
في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله عز وجل اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على
ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل امر
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء عاقبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي
في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز باندراج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام
الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف مسوق لبيان ان ما يترائى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ
الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح لا فوزا بالمرام ولا نجاة عن المحذور كانه قيل
كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا
بقوله عز وجل ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب
كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح او خبر لمبتدأ محذوف صفتهم او تقلبهم متاع وقد قيل انه افتراؤهم
ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة
زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار ادائه الى ما
يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو حياتهم اي لهم متاع والآية
اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يفصح عنه قوله تعالى ثم الينا وقوله
تعالى ثم نذيقهم الآية واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على
المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم ملاقون
على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد
ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا
بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بنبوتك بان يقفوا على انك تتلوه موافقا لما
ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير

ما سبق من كون الكل لله عز وجل واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وجل قاطبة وتشجيع
النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه
بدل اشتمال واياما كان فالمراد بعض نبأه عليه السلام لا كله في ابنه ومن معه واللام في قوله عز وجل لقومه للتبليغ
يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لفلان ومنه قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله
فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت
جواب للشرط وسببيته من حيث استتباعه لتصميمهم لقتله اي دمت على تخصيص التوكل به عز وجل ويجوز ان يراد
به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على
التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل
وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا
بعد ما كان متفرقا وتفرقته انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم
بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد
الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل
محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا على امركم الذي تريدون بي من
السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة من غمه اذا ستره بل مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن
للستر وجه وانما خاطبهم بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده
من عصمته وكلاءته فخطابه ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موضع الاضمار لزيادة التقرير لان يقتضيها مقام الامر بالاظهار
الذي يستلزمه النهي عن الستر او الاسرار وقيل المراد بالامر ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم
والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى ثم اذا اهلكتموني وتخلصتم باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري لا يخفى انه لا يلائم
قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلون
كقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان كون
ما يحصل بعد الاهلاك من الامر بالنوم باسبابه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشيء ونحوه وقرئ ثم افضوا
بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما
فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم
مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى التجمع لما تريدون من السوء غير مبال بكم وبما
ياتي منكم واحجامكم عن الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي
وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل
دفع المسؤول عليكم او حتى يضر في توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه
والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء جزائية لسببية الشرط للاعلام
مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا تأثر منه وقوله عز وجل ان اجري

الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة
والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم وأمرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالفه
ولا ارجو غيره او من المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء في طاعة الله عز وجل فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما
الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه
ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل
المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات
جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم
وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا
كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسل كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم اي
قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص
فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه المخصوصين بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء
إما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي
كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى
الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي
لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام
في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر
حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي
وبما اشير اليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما جعل
ذلك مقصودا بالذات كما اول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج
الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول
لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها
كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء
الرسل الى آخره وبما اشير اليه ثانيا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت
عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها
ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل
قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا نوح
فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب
وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل
فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب

والعقاب عند اجتماع التكذيبين التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى
قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل
الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير وفي ارجاعه الى الحق باعتبار كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف
كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله عز وجل على قلوب المعتدين المتجاوزين
عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم
لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله عز وجل وكسب العبد ثم بعثنا عطف
على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهارون
خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجها فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر
في ذلك نوع تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر
لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات
في الاعراف فاستكبروا والاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا
عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وكانوا قوما مجرمين
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم
اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايمان
لا يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل
مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهر عليه السلام من الآيات
العظام والفاء فصيحة مفصحة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله عز وجل فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم
وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استئناف
مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي
أتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه
او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا
بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على وجه الحكاية اي أتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل
ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم الآية فيستغني عن المفعول اي أتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله
عز وجل أسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد
تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ابتناء انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا أتعيبونه حسبما تقصه
كما هو الانكار التوبيخي الصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا
من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع

كونه سحرا اي السحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له بصيرة وتقديم الخبر للايذان بانه
مصب الانكار واما الاستفهام لكونه سحرا لكون من اتى به ساحرا أكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون
وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قولك جاء الشتاء ولست املك عدة
وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه
فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله عز وجل
أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها أكد بها الانكار السابق اي ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته
بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه
من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن حمله على امثاله
واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال
بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الفلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون
به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا أجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق
بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند
لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله عز وجل قال موسى الخ حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا
لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان اللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي
شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة في انه لا علاقة
بين قولهم أجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام ما حكي عنهم مطلقا لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك والتكبر على الناس
باستتباعكم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله عز وجل في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار
في الظرف لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير
في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق
للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون [illegible]
لان الالزام من وظائف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول
ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا
بسرعة امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاؤا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل
بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في سورة الاعراف من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك ألقوا ما انتم ملقون
اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما ألقوا ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم
قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه من آيات الله سبحانه اذ هو من جنس السحر بابهم ان حاله تبين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به
وقرئ آلسحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل
وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما أتيتم به سحر والكل دالة على المعنى الثاني في القراءة المشهورة ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية

بما يظهره

بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين
اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد
والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل
يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان
السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله عز وجل سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين
الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل
من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر فصل في مواضع اخر اي فألقى عصاه فاذا هي تلقف
ما يأفكون الى آخره وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله عز وجل ان الله سيبطله مما لا يحتمل
التخلف اصلا وعطف على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاستخفوا امر فرعون وما في قولك وعظته
فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة الا ذرية من
قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم
وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه
وماشطته وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد
في ضمائر العظماء او لانه في مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر
المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة
لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد
بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي
مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به و
بآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه عز وجل
فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فأحسن اليه ان كان
عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا
ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيعذبونا او
عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما
وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله عز وجل
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر
بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل

مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول الامر
لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى
وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم
لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة اي
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة
وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة
الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم و
كفرانهم تقدمة لقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم
اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء
بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وعلى تقدير ان لا يكون دعاء وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم
اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام
لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من
الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق بوعد الله عز وجل وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان
ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر
جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من الجوز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ
نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتنق والا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وكانه انتظم
الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهبه وذهب به
فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان
وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا اي ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى
عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من
البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال آمنت انه اي بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستيناف بدلا من آمنت
وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
بل عبر عنه عز وجل بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به عز وجل للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه
لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا
نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له عز وجل واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا وعلى الثاني تحتمل الجملة الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر

المعنى الواحد بثلث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واني له التناوش
وقوله عز وجل آلآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل له آلآن وهو الى قوله آية حكاية لما جرى بينه سبحانه
من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على تاخيره وتوبيخه بالعصيان والافساد وغير
ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينطق عنه
ما روي من ان جبريل عليه السلام دس في فيه عند ذلك حال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بما
ادرك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة
اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس
عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على
مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة البأس والياس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال
الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وعامل الظرف ان يقدر موخرا اي الآن توب حين الانكار والتوبيخ على تاخير
الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وجل وقد عصيت
قبل حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن
تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل
كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله عز وجل وكنت من المفسدين عطف
على عصيت داخل في حيز الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري
الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك
اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان
هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء ونحيك
بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا
ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس
او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها
كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة
وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام
حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن ياتي بعدك من الامم اذا
سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ
الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية
وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية
كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة
الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا
وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه

على رؤوس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى
متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل
كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم
وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة
والعمالقة وتمكنوا في نواحيهما كما ينطق به قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم
اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدق
نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت في شك اي
في شك يسير مما انزلنا اليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته ام شهادة
الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام
وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عم ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل المراد
بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام والداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عم والمراد امته او لكل من يسمع اي
ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي
ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب
في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا تحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم
على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام
ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به
وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان اصرار
الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه
وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله عز وجل ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الآية لا يؤمنون
ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب
مثل فرعون باحيائه عند الموت فيدخل فيهم المتمردون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لذوي العقول لان السبب ايمانهم
وهو تعلق ارادته عز وجل به مفقود وذلك الفقدان ليس لمنع منه عز وجل مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم
لذلك حتى يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان
من حقت كلمته عليه عز وجل لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام
ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى تدارك وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله عز وجل و

بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارات العذاب ولم يؤخروا
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لما في حرف
التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم
الا قوم يونس فيكون قوله لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم وقرئ بالرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا
بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله عز وجل روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه
فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام
اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله عز وجل فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن
ابن مسعود رضه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل
خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى
ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران
ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته عز وجل مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف
لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي ولو شاء سبحانه
ايمان من في الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه
لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله عز وجل ايمانه يؤمن لا محالة
افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله عز وجل منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه
المذكور على عدم مشيئته عز وجل ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته عز وجل بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار
وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور واياما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء
خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن
في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع
للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة
لمشيئته عز وجل وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي
علم الله عز وجل انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفس بمن
ذكر ولم يجعل من قبيل قوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله عز وجل لان الاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه عز وجل فلا بد من كون الايمان
مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي
علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله

عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وهو العذاب أو الخذلان المؤدي
إليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء أي يجعل الكفر ويبعثه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات
أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع قل خطابا لأهل مكة بعدما بين لهم على العذر في ملكوت السموات والأرض
وما فيهما من عجائب الآيات الأنفسية والآفاقية انظروا أي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة إلى اللام قل ماذا في
السموات والأرض أي أي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب
اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف
ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب بإسقاط
الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني أي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله عز وجل
ماذا في السموات والأرض والنذر جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي الإنذارات أو الآيات والرسل المنذرون
أو الإنذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله عز وجل وحكمه فما نافية والجملة إما حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية
إنكارية في موضع النصب على المصدرية أي أي إغناء تغني إلا فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون أي مشركو مكة وأضرابهم
إلا مثل أيام الذين خلوا أي الأيام إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الأمم الماضية أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله تعالى
بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا إنا معكم من المنتظرين
لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض
جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل أهلكنا الأمم ثم نجينا رسلنا المرسلة إليهم والذين آمنوا
وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لتهويل أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله
عز وجل فنجيناه ومن معه في الفلك الآية ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله تعالى كذلك أي مثل ذلك الإنجاء
حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول أي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك
حقا والكاف متعلقة بقوله عز وجل ننج المؤمنين أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه
والمراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسل والأتباع وإما الأتباع فقط وإنما لم يذكر إنجاء الرسل إيذانا بعدم الحاجة إليه
وأيا ما كان ففيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان قل لجمهور المشركين يا أيها الناس أو هو الخطاب باسم الجنس
مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ وإظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم إن كنتم في شك من ديني الذي أعبد الله عز وجل
وأدعوكم إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الأوقات ولكن أعبد
الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب أي فاعلموا أنه تخصيص العبادة به عز وجل ورفض عبادة
ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته عز وجل لتقدم التخلية
على التحلية كما في كلمة التوحيد وللإيذان بالمخالفة من أول الأمر أو إن كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا
أن خلاصته إخلاص العبادة لمن بيده الإيجاد والإعدام دون ما هو بمعزل منهما من الأصنام فاعرضوها على عقولكم
وأجيلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وتخصيص التوفي بالذكر متعلقا
بهم لما أنه من التهديد والتخويف عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيذان بأن أقصى ما يمكن عروضه للعاقل
في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعدمها فمما لا سبيل إليه أو إن كنتم في شك من ثباتي على الدين
فاعلموا أني لا أتركه أبدا وأمرت أن أكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بأن ما عليه

من الدين وبين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالإمداد السماوي والتوفيق الإلهي وحذف الجار من أن يجوز
أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وأن يكون خاصا بفعل الأمر كما في قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
وأن أقم وجهك للدين عطف على أن أكون خلا أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز
وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول
الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت
بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه أو باستقبال القبلة في الصلاة
وعدم الالتفات إلى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين أو الوجه أي مائلا عن الأديان الباطلة ولا تكونن
من المشركين عطف على أقم داخل تحت الأمر أي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وجل ولا تدع عطف على قوله
قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل
إلى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لإدراج الكل تحت الأمر وهو تأكيد للنهي
المذكور وتفصيل لما أجمل فيه إظهارا لكمال العناية بالأمر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع من
دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب ولا يضرك
إذا تركته بسلب المحبوب دفعا أو رفعا أو بإيقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فإن فعلت
أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشأنه عم وتنبيها على رفعة مكانه من أن ينسب إليه
عبادة غيره عز وجل ولو في ضمن الجملة الشرطية فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل
عن تبعة ما نهي عنه وإن يمسسك الله بضر تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع والضر من الأصنام وتصوير لاختصاصه
به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان إلا هو وحده فثبت عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني
وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فإن رفع المكروه قبل وقوعه
أدنى مراتب النفع فإذا انتفى انتفى النفع بالكلية وإن يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة أي
إن يرد أن يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما أرادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط
وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه عز وجل بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائنا
ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولا أوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع
المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات
وأن الضر إنما يمسهم لا بما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه
لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منها فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة
ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل يصيب به إظهارا
لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل
الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز
وجل من يشاء من عباده فإن ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وجل وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى
يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لأولئك الكفرة بعدما بلغتهم
ما أوحي إليك يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي

من جملتها ما أمرتكم به من أصول الدين واطلعتم في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان
به والعمل بما في تضاعيفه فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والإعراض عنه فإنما يضل عليها
أي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو دفع ضر كما
يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطة وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم
وإنما أنا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى إليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور
المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر
على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي له من الأجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة على سيدنا محمد

او الامر بالقتال

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والأول هو الأظهر كما أشير إليه في سورة يونس أو النصب
بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ وعلى تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه إطباق الأكثر أو لا محل له من الإعراب
مسرودا على نمط التعديد حسبما فصل في أخواته وقوله عز وجل كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه
الباقية أحكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة
ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على نبوة
مبلغها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الأحكام الشرعية فالمراد بها المشتمل عليها [illegible]
تفسير الأحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما تفسيره بالمنع من الفساد أخذا من قولهم أحكمت الدابة
إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه إيهام ما لا يكاد يليق بشأن النظم والآيات الكريمة من التداعي إلى الفساد
لولا المانع وفي إسناد الإحكام على الوجوه المذكورة إلى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل
آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت أي جعلت فصولا من الأحكام
والدلائل والمواعظ والقصص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الإسناد المجازي والتفصيل جملة
آية آية لا يساعده المقام لأن ذلك من الأوصاف الأولية لها فلا يناسب عطفه على إحكامها بكلمة التراخي وأما
المعنيان الأولان فهما وإن كانا مع الإحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة إلا أنها أحكمت أو فصلت
بعد أن لم تكن كذلك إذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل إلا أنهما حيث كانا من صفات
الآيات باعتبار نسبة بعضها إلى بعض على وجه يستتبع أحكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد
ناسب أن يشار إلى تراخي رتبتها عن رتبة الإحكام وإن حمل جعلها آية آية على معنى تمييز بعضها عن بعض يكون من هذا
القبيل إلا أنه ليس له مثابة في استتباع ما يستتبعه من الأحكام والآثار أو فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح
فإن أريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وإن أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة فهو رتبي لأن ذلك وصف لازم لها حقيق بأن يرتب على وصف إحكامها وقرئ أحكمت آياته

المفسر ابو السعود رحمه الله

ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة لكتاب
وصف بها بعد ما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات إبانة لجلالة شأنه من حيث
الإضافة أو خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم إيراد الفاعل بعنوان الحكمة
البالغة والإحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في إسناد الأفاعيل إلى
مع رعاية حسن الطباق من جزالة والدلالة على فخامتها وكونها على أكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ألا تعبدوا
إلا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس
المطرد في حذف حروف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أي لتتركوا عبادة
غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فإن الإحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد
وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل إن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أي قيل لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه
من جهة الله عز وجل نذير أنذركم عذابه إن لم تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله عز وجل وبشير أبشركم بثوابه
إن آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من إحكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله
عز وجل وأورد معظم ما نظم في سلك الغاية أو الأمر من التوحيد وترك الإشراك وسط بينه وبين قرينيه أعني
الاستغفار والتوبة ذكر الرسول الذي نزل عليه ذلك الكتاب مرسلا من عند الله تعالى لتبليغ أحكامه وترجيحها بالمؤيدات
من الوعد والوعيد للإيذان بأن التوحيد في أقصى مراتب الأهمية حيث أفرد بالذكر وأيد إجابته بخطاب عقب الكتاب مع تلويح
بأنه كما لا يتحقق في نفسه الإمعان للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك أحدهما عن الآخر وقد روعي في
سوق الخطاب بتقديم الإنذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الإثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب أطراف
الكلام ويجوز أن يكون قوله عز وجل ألا تعبدوا إلا الله كلاما مستقلا منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام إغراء لهم على اختصاصه تعالى
بالعبادة كأنه قيل ترك عبادة غير الله أي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله إنني لكم من جهة الله
بشير ونذير أو نذير أنذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير أبشركم بثوابه على تقدير تركه وتوحيدكم ولما سبق
إليهم حديث التوحيد وأكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الإنذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته
على وجه يتضمن تفصيل ما أجمل في وصف البشير والنذير فقيل وأن استغفروا ربكم وهو معطوف على أن لا تعبدوا
على ما ذكر من الوجهين فعلى الأول أن مصدرية بجواز كون صلتها أمرا أو نهيا كما في قوله عز وجل وأن أقم وجهك للدين حنيفا
لأن مدار جواز كونها فعلا إنما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل
إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء
في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو
تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا إليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل
ما فصل من الإحكام والتفصيل لتخصوا الله عز وجل بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا إليه بالطاعة
أو تستمروا على ما أنتم عليه من التوحيد والاستغفار أو تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة
أي قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا إلا الله واستغفروا ثم توبوا إليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين
وإرشاد لهم إلى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وإيتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا أي
تمتيعا وانتفاعا به على أنه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله عز وجل أنبتكم من الأرض نباتا أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به

من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات
الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع المذكور مجرى التأبيد عادة
او لا يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه
تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب
انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما متع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل
فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق
من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة
جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك
يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة
وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله عز وجل الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف
بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله عز وجل ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط والكلا حتى اكلوا الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل
ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في ذلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم
بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم تحرير الكتاب على لسان النبي عليه السلام وسيق
اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب حكي في دعوى السامع انهم بعد ما سمعوا هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل
قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والاضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هناتهم
امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى لا يناسب ما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري
ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون
ليستخفوا من الله عز وجل فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في قوة المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله عز وجل اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس
كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض
عن الحق وعداوة النبي ام بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما
لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايذانا الى ان ظهوره مغن عن ذكره او لعدم دخول الامر الى كل ما لا خبر فيه من الامور المذكورة
فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره
وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه
التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء
والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي لتثنوني وقرئ تثنون
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ وصفة يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات

بين علمه وبين الوله الى الامر والانغلاق

او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي
بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون
بثيابهم فان ما يقع حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول
هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا
للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او
تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار
كون تعلق علمه عز وجل بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه عز وجل بمعلوماته ليس بطريق
حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه عز وجل وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
واما قوله عز وجل واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهة مقامهم عن احتمال
التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه عز وجل بالظاهر والباطن لم يسلك فيه هذا المسلك مع انه وقع العلم بما كتموه بما تكلم
من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه عز وجل بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وانه واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية
الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون
ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله عز وجل ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب
واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق
ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق
الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به عز وجل والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها
محل قرارها في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين
بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشئها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام
وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد
والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها
دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله عز وجل حيث كانت من لدن كونها بسوقه اليها ويعلم موادها
المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض
عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها في الممات
ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي
مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه
محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التنصيص بمبدأ الخلق

السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك مفصلا وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام السموات
في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة
ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله عز وجل في اربعة
ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات
او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء
وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور
واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات
لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على
الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء
كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش انما يدل
على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات
والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب
معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من
يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات
افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المرتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل
والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه
وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا
فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد
آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آيات البينات المنصوبة في
الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل
في الباب وقد روي عن النبي عم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل
الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم
بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي
عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره
ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان
بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور
كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائعة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد
عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها
بحسب القوة والضعف والقلة والكثرة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج
تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله

بسوء

بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضها والله عز وجل اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء
ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله عز وجل انكم الى جميع المكلفين
فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم
ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار
عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه
عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشد
وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موهوم ظاهر لا اصل له في الحقيقة
ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء
المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فذة من تتماته لا يتلعثمون في الرد
ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه
قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون
عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل والى القرآن
على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت
لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه
مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ريثما يقرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا
والفوا عليه آباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما يفعلونه فقاتلهم الله انى يؤفكون ولئن
اخرنا عنهم العذاب لكذبهم على بعثهم او العذاب الموعود في قوله عز وجل فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
وقيل عذاب يوم بدر وروي عن ابن عباس رضه انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون
ما يخص بعض منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل
ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله
عز وجل ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس اصلا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه
الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنهم دافع
بل هو واقع بهم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه وقد استدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس
اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يقدم المعمول
حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تع فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين
بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقديم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين
العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد
الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزئون اي العذاب الذي
كانوا يستعجلون به استهزاء ووضع التعبير عنه بالموصول لتهويل مكانه واشعار بعليته ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم
به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد على عادة الله عز وجل في اخباره لتحققها وتنزيلها منزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك

من النعماء والدلالة على علو شأن المجرور وتقرير وقوع الجزاء بالايحي ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن و
جدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها
انه ليؤوس شديد اليأس قنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا وآجلا لفضل الله عز وجل لقلة صبره وعدم توكله
عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وتخصيصه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من
نعم الله عز وجل وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن
امثاله في العاجل وايصال مثله في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته
كصحة بعد سقم ووجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه
وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني
ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده عز وجل انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانما يريد بعباده اليسر دون
العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم شيئا فشيئا لا ابتداء كما بلا مس البشرة من غير تأثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بمقتضى الحكمة
الداعية الى ذلك وفي كونهم بها لما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب
التي تسوءني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شأن اولئك الاشرار فان الترتب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش
انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في
الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا
ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام في الانسان اما للاستغراق
لجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم
وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء و
مساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى
ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين
عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم البعث
واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل
لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته وتبليغه اليهم في اثناء المحاورة والمحاجة
ان يقولوا اي لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد
على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قائله عبد الله بن امية
المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا
وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم
على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب
العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء
وتسميتها سحرا اقتل حاله ام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل

يحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد
والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار
على النذير في اقصى غاية من اصابة المرام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد بما اوحي اليه وتهاونهم به
وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم
لما هو اشنع منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي عم والبارز لما يوحى اي بل
ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم
وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى
بالمفرد كما في قوله عز وجل انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية
الى مرتبة الاعجاز فكأن الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما انها الصفة المقصودة
بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي
وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا
بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم
فصحاء وبلغاء وقد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر
وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم
في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم عليها من دون الله متعلق
بادعوا اي متجاوزين الله عز وجل ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم
قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله
عز وجل فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كأن امره لهم بالاتيان
بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عم والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء
سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عم في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عم وينتظموا
معه في المعارضة للمعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان
ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها يقينا متاخما لعين اليقين
بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما علمتموه من قبل من مراتب العلم اليقين بعلم الكل للاسفار بانحطاط
تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب
منزلة العدم يستتبع تنزيلهم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل
ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا تحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائع
والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه
احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين
ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول عم داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لكم يستجيبوا
لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من تلجأون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة
فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم

فان قيل قد قال في سورة يونس فأتوا بسورة مثله فعجزوا عنه
فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله فهو كرجل يقول لآخر اعطني درهما
فيعجز فيقول اعطني عشرة دراهم قلت الجواب قد قيل سورة هود
نزلت اولا وانكر المبرد هذا فقال بل نزلت سورة يونس اولا وقال
معنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله اي مثله في
الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم
في سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في
الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور
مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة

الاستجابة من جهة آلهتهم منكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث إنه يدل
بالدعاء المسبوق بعجزهم كما اضطرارهم فكأنه قيل فإن لم يستجيبوا لكم عند التحدي لكم إليهم بعد ما اضطررتم إلى ذلك وضاق
عليكم الحيل وعيت بكم العلل أو من حيث إن من يستمدون بهم أقوى منهم في اعتقادهم فإذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم
وإن كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهر وأوضح واعلموا أيضا أن آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الألوهية
وأحكامها فهل أنتم داخلون في الإسلام إذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فادخلوا
فيه الإذعان لكون القرآن من عند الله عز وجل دخولا أوليا أو ثباتا دون المجيء الذي هو كون القرآن من عند الله عز وجل و
تركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر واحتياطهم من أن يحبطهم المصنف من بأس الله عز سلطانه هذا والأول أنسب لما سلف من قوله عز وجل وضائق
به صدرك وما سيأتي من قوله عز سلطانه فلا تك في مرية منه واشتدادا بتباطئا بالمعقبة كما سيجيء به خبرا من تمام
يريد الحيوة الدنيا وزينتها أي ما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير
ذلك والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية لقوله عز وجل نوف إليهم أعمالهم
فيها وإدخال كان على الإرادة للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلا وليس المراد بأعمالهم
أعمال كلهم فإنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل أحد ينال كل ما يهواه فإن ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما
نطق به قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأمور
المذكورة بطريق الأجر والجزاء من أعمال البر وقد أطلق وأريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل إليهم ثمرات أعمالهم
في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الإسناد إلى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول
ورفع أعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا
غائب مالي ولا حرم وهم فيها أي في الحيوة الدنيا لا يبخسون أي لا ينقصون وإنما عبر عن ذلك بالبخس الذي
هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعزل
من كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة في نفي النقص
كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور من الكريم أصلا والمعنى أنهم فيها خاصة لا ينقصون
ثمرات أعمالهم وأجورها نقصا كليا مطردا وأما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس
المحقق كما سيلوح به قوله عز وجل أولئك إلى آخره إشارة إلى المذكورين باعتبار إرادتهم الحيوة الدنيا أو باعتبار
توفيتهم أجورهم من غير بخس أو باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في سوء الحال أي أولئك
المريدون الحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها
شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة إلا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها أي ظهر في الآخرة
حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه
في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص وباطل أي في نفسه ما كانوا يعملون أي أنها لخلل المطالب
الدنيوية ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنية
الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صلاح قط علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث

وبالثاني

وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي
زيادة كان في الثاني دون الأول إيماء إلى أن صدور أعمال البر منهم وإن كان لغرض فاسد ليس على الاستمرار والدوام كصدور
الأعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيئة وقرئ وبطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك
وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على أن ما
إبهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله عز وجل من كان يريد الآية اليهود
والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين
جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خبير بأن ذلك إنما كان بعد الهجرة
والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره
ممن يعمل أعمال البر لا لوجه الله عز وجل فعلى هذا لا بد من تقييد قوله عز وجل ليس لهم في الآخرة إلا النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم
الريائية إلا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن
العظيم اندراجا أوليا فإنه عز وجل لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يزدادوا علما ويقينا بأن القرآن منزل
بعلم الله عز وجل وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلا وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون
من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شئونهم الموهمة لكونهم على شيء
في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل من الدلالة عليه
بتبيين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه
أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن وباعتباره أو بتأويل البرهان
ذكر الضمير الراجع إليها في قوله عز وجل ويتلوه أي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله عز وجل وهو الإعجاز في نظمه المطرد في كل
سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أن
على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله
بشهادة الإعجاز منه أي من القرآن غير خارج عنه أو من جهة الله عز وجل فإن كلا منهما وارد من جهة الله تعالى للشهادة
ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضا من الشواهد
التابعة للقرآن الواردة من جهته عز وجل فالمراد بمن في قوله أفمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون
بقوله فاعلموا فهل أنتم دخولا أوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل
المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل أو البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والأولى هو الأول ولما كان المراد بتلو
الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من الله تعالى بطريق التبعية له لا يفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن
بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في
قوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه
ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق
عنه ولوقوعه في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم إماما أي مؤتما به في الدين مقتدى وفي التنصيص على حاله
بصدد تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ورحمة أي نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه

البائنة المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب أولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة
من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من علماء الدين من غير عثور على
دقائق الحقائق وصفهم بأنهم يؤمنون به أي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة الملهمة عن حقيته ومن يكفر به
أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده
يرده لا محالة حسبما نطق به قوله عز وجل ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جعلها موعداً إشعار بأن له فيها ما لا يوصف من أفانين
العذاب فلا تك في مرية منه شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به
إنه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك إما لقصور أنظارهم واختلال
أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم ومن في قوله عز وجل أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لإغناء الحال عن ذكره
وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتاً عظيماً
بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وإيراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم من حيث إنهم
كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل
والآجل كما في قوله عز وجل أفاتخذتم من دونه أولياء أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه
أولياء وقوله عز وجل أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً بأن نسب
إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني الحكم مع كونهم
بآيات الله عز وجل مفترون عليه كذباً وهذا التركيب وإن كان سبكه على إنكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض
لإنكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصداً مطرداً إنكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما في
من قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتماً أنه أكرم من
كل كريم وأفضل من كل فاضل أولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله عز وجل وبهذه الإشارة
حصلت الغنية عن إسناد العرض إلى أعمالهم والتنبيه بإسناده إليهم حيث قيل يعرضون لأن عرضهم من تلك الحيثية وبذلك
العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وحده إبطالاً
لرأيهم في اتخاذهم أرباباً من دون الله عز وجل ويقول الأشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم
هم جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح
غني عن الشهادة بوضوحه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا
على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالأشهاد الحضار وهم جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذماً لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون يشهد وتوطئة لما يعقبه
من قوله ألا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله عز وجل وفيه
تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم إنا نعوذ بك من خزي على رؤوس الأشهاد الذين يصدون أي كل من
يقدرون على صده أو يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجاً انحرافاً أي يصفونها بذلك وهو
أبعد شيء منه أو يبغون أهلها أن ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيراً أو شراً أي طلبته لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن
وقولهم ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم يؤمنون بها ويعتقدون
أن لها سبيلاً سوياً يهدون الناس إليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم أولئك

مع ما وصف من أحوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله عز وجل منفلتين بأنفسهم من أخذه لو أراد ذلك في الأرض
مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من أولياء ينصرونهم من بأسه ولكن أخر ذلك لحكمة
تقتضيه والجمع إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون
الله عز وجل فيكون ذلك بياناً لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن
حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن سماع
وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في
عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني
بنفي الإبصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق وهو استئناف
وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فإنها لا تسمع ولا تبصر بمعزل من الولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعياً عليهم من أول الأمر سوء العاقبة أولئك الموصوفون بما ذكر
من القبائح الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة أوجه
الأول أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق أنهم
في الآخرة هم الأخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه
الكلام أي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم والثالث أن لا جرم بمعنى لا بد
أي لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون وأياً ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر فتبين أنهم أظلم من كل ظالم
وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان
يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
وبين أحد من الظلمة الأخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى درجات الكمال ولما ذكر
فريق الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال أضدادهم أعني فريق المؤمنين وما يؤول إليه
أمرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله عز وجل أفمن كان على بينة
من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالاً ومآلاً فقيل إن الذين آمنوا أي بكل ما يجب أن يؤمن به
فيندرج تحته ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من ربه وإنما يحصل ذلك باستماع
الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي إلى ذلك في الأنفس والآفاق أو فعلوا الإيمان كما في يعطي و
يمنع وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أي اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخضوع والتواضع
من الخبت وهي الأرض المطمئنة ومعنى أخبت دخل في الخبت كأنجد وأتهم دخل في نجد وتهامة أولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجميلة أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين حاليهما
عقلاً أريد تباينهما حساً فقيل مثل الفريقين المذكورين أي حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه
غرابة من الأحوال والصفات كالأعمى والأصم والبصير والسميع أي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم و
الكلام وإن أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بالأعمى والأصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع
لكن الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل الأنسب لما سبق من وصف الكفرة بعدم

استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان
تكون الواو في قوله عز وجل والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم • واياما كان فالظاهر ان المراد بحال المدلول عليها بلفظ المثل هي التي يدور عليها امر التشبيه بالاحوال
المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار و
تصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا
الترتيب لان الكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم وعن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي
المدلول عليه باستمرارهم على الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما تم فلا يكون التشبيه تمثيليا لانه يجمع الاحوال المعدودة لكل
من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك
ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق [illegible] في تعاميهم وتصاممهم المذكورين وفي وقوعهم بسبب ذلك في العذاب
المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في
مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا • وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله عز وجل حسبما
ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه
هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري تذكر ما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على
بينة الآية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما
بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا
او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله عز وجل
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا يفعلون التذكر او افلا يعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره
عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه وقوله عز وجل هل يستويان
فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء • وما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها
نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته عز وجل • وقرر ما تضاعيف
ذلك ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من
عند الله عز وجل وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن
تارة سحرا واخرى مفترى • وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب • شرع
يحقق ما ذكر ويقرره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة
لينكشف لك ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة • والثاني ان ذلك انما علمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيقته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد
من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وفتحه الباء والواو كما في سورة
الاعراف [illegible] ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها
ونوح هو ابن لمك بن متوشلح بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام
على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره

الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث
يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير
بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه
ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
والاقتصار على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية بل لانهم لم يغتنموا مغانم بشارته عليه السلام مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان
لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الاشراك الا انه وسط بينهما
بيان الفصل وصالحه واحواله وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفصل
بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من
اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على
الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما [illegible] سائر السور
لم تصدر عنه مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله عز وجل رب اني دعوت قومي ليلا
ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتضمن لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه
[illegible] والتعبير بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي
مطيق له لانهم ملئوا بكفايات الامور او لانهم ملئوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة
وصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا
ارادوا ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لان
ذلك محل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية
العين وقوله عز وجل الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله وبتقدير قد عند من يشترط
ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط
وانما لم يقولوا القول بذلك مع علمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم [illegible]
[illegible] فاقتصروا على ذكر الظن فيما [illegible] من اول الامر برأي المتبعين كما في قولهم وما نراك جواب
عما جاء عليهم من انه ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واختصم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك وجعلوا ان هؤلاء
اراذل اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع
رذل ككالب وكلب وكلاب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد
كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما
قبلها وقد قرأه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه
اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاحظ
عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو

نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك
فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يؤهلكم لاتباعهم لك لايدل على نبوتك ولا يؤهلكم لمجلسه
لتبيين اتباعنا لكم واقتصارهم على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم الحاضر
واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم
كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم
على الظن احترازهم منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا
قوم ارأيتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد
يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها
مع كونها بينة من الله عز وجل رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله عز وجل فعميت عليكم ظاهر
وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل منهما او لكون الضمير للبينة
والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت
وحقيقته ان الحجة كما تجعل بصيرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة فعماها
عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب
الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل
والفصل فوصل كما في قوله عز وجل فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها
وحاصل الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم
أيمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه
عم بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الآية لكنه محمول على ان مراده
ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا
ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط
الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون
الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عم عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عم بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم
ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان كنت
عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فعميت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة
لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه
عم جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عم بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا
لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم لي فيكون
ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعرض عنه حين نسب اليهم بالمال
ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من
انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك

الارذلون

الارذلون فطلبوا ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عم بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد فاجابهم
ملاقوا ربهم تعليل للامتناع عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن
مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون
في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما
في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر
وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله
عز وجل على طردهم كما سيأتي والظاهر منهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر
وهذا ان ما يصلح مدارا للطرد في الدنيا وللمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء
الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك
بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده
وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي او بركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم
في سلك واحد وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تتسافهون
على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله يدفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له
الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان ولا سيما بعدما قدم ما يلوح به من انهم
ملاقو ربهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله عز وجل ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله عز وجل افلا تذكرون
اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب والكلام جهة
العلة مستقلة بوجه مخصوص من نظامه الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد وادفع عن التعليل السابق وصدرت بياقوم
ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان ينال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم
الغيب اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار
والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة
بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي
ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما
تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتستهينهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وللاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك
اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم
خيري الدارين ان فعل هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا
كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها
قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة مستتبعة للامور
المذكورة وانها لا تنبغي عمن ليس على تلك الصفات وان العثور على مطالبها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل
فاجاب ان شيء ذلك جميعا فكأنه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع

الله أعلم بما في أنفسهم من الإيمان وإنما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه السلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الإيمان جريا على سنن الإنصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشادا لهم إلى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما يعلمه يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة إني إذا أي إذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص مثوبتهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل إني إذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لأن مرتبة تلك الأقوال متقدمة على التذييل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا أي أطلته أو أتيت بأنواعه فإن الإكثار من الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما في قوله عز وجل فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حججتهم وأبرزت لهم بينات واضحة المدلول وعجزوا عن مقابلتها العقول بالقبول وألقمتهم الحجر وسدت شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل أو العذاب الذي أشير إليه في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة إن كنت من الصادقين فيما تقول قال إنما يأتيكم به الله إن شاء يعني أن ذلك ليس موكولا إلي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا أو آجلا إن تعلقت به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فإنه قبل الإتيان به أو خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله عز وجل وما أنتم بمعجزين بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته إخلاص إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو إعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى إن أردت أن أنصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله عز وجل إن كان الله يريد أن يغويكم والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الأول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام إظهارا للعجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وإيذانا بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى السبيل المستبين وإمحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله عز وجل لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته مع أنه محقق لا محالة للإيذان بأن ذلك النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بإزائه من إرادته تعالى لإغوائهم وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد إرادة الله سبحانه لإغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقدم إرادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وأما ما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله عز وجل إنما يأتيكم به الله إن شاء ردا عليهم من أول الأمر وتعجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل إذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك أمركم وإليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم لا محالة أم يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام

ومعناه بل أيقول قوم نوح إن نوحا افترى ما جاء به مسندا إلى الله عز وجل قل يا نوح إن افتريته بالفرض البحت فعلي إجرامي أي وبال إجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويؤيده أن المشهور في الأول أجرامي وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل أيقول مشركو مكة افترى رسول الله عليه السلام خبر نوح عليه السلام فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله إلا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أي لا تحزن ولا تتأسف بأس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا بأعيننا أي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه بأعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله عز وجل إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها واللام إما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بوحي الله عز وجل إليه عليه السلام أنه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء يصنعه بأمره عز وجل ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في أربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وفي البطن الأعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الأول الدواب والوحوش وفي الثاني الإنس وفي الأعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال عد بإذن الله عز وجل كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالاستبعاد علل بقوله إنهم مغرقون أي محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره وأخذ يصنع الفلك أو أقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وأيا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره أعني قوله وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه وإما لأنه كان يصنعها في برية في أبعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا

وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب
الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكارهم ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد
تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما
انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون
منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله عز وجل فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من
الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعدّه عليه السلام
اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره عليه السلام على نهج
الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم
به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به
الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا
اي تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا
لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر
والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله عز وجل التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه
في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ
والاحوال التي لا تليق بشان النبي عليه السلام فطلا الارض وواقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم
اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية
مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلابسه السخرية او يجري مجراها
فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب
مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل
النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة وما كان مدار سخريتهم استجهالهم
اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد
في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشره ليس فيه
عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية
من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان
في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع
وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا
بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه وتحمله لاذيتهم لا مسارعته الى
جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز
وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته
فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان
في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام

يقال

يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لابد منه في الارض
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال
قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج
الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين
فحشر الله عز وجل اليه السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة
واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لان ذلك انما يكون بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها
واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب
ظلمهم في قوله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع
ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة
الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار
صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله تعالى وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية
نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة
سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين وقيل جميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية
في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله عز وجل ان ربي
لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله عز وجل لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعدما ادخل ما امر بحمله في الفلك من الازواج
كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما يلوح به قوله عز وجل وهي تجري بهم والركوب
العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان
اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى
بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية
كالسفينة والعجلة ونحوها فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز وجل والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز وجل فاذا
ركبوا في الفلك وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة بسم الله متعلق باركبوا حال
من فاعله اي اركبوا مسمين الله عز وجل او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها
على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما
بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال
من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله عز وجل فادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على
ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام
اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل

فالعطف على الزوجين في قراءة التنوين مستقيم
لا على اثنين اذ هو تأكيد يلزم منه كون الاهل
ايضا تأكيدا والعطف على اثنين جائز في قراءة
الاضافة لا على زوجين ولا يخفى وجهه ولا يخفى ايضا
ان المؤمنة احدى زوجتيه فجواز العطف على كل
واحد على الانفراد ومنع العطف على الاجتماع فلا
تناقض في كلام ابي السعود بل هو حقيق بالانصات
والاستماع فالحمد لله على الانتفاع كذا قرره الوالد المرحوم
عمر افندي الشهير بالمارديني نور الله مرقده امين حرره
العبد الحاج احمد المدرس ... عفي عنه
في تاريخ ١٢١٠

مجروري المحل صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جري ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا
رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها
بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته علي ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها
مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من
ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او
اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فلعل الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله عز وجل ونادى نوح ابنه فان ذلك انما
يتصور قبل ان تنقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة
والجواب بالاعتصام الى الجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة
لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه
باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه
لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من حياته يأس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه
واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه
يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الا ان ذلك الوقت
لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق
عليه القول نصا في كون ابنه داخلا فيه بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من
ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء
الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا ادغم ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما لم
الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغنائه عن ذلك ولا
تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه
معه كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني
بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى
الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء
الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يتبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بانطواء من
على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مقيدا النفي بوصف العصمة فقط من
غير تعرض لنفيه عن غيره ولا للنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم
لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل
بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة
التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله عز وجل اي عذابه
الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه
كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه
لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم

تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها علي غضبه وكل
ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه
شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا
عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين
الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه
عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع
غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونهم منهم وقيل يا ارض ابلعي النشف استعير له من ازدراد الحيوان
ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه
المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل
لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى
اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين الارض والسماء من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله عز وجل نوحا من اهلاك قومه
وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك علي الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل
روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون وقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى
لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجه الكلام في هذا الباب ونفوض
الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله عز وجل
فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك والنداء على حقيقته والفاء لتفصيل
ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد
المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة
كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام تذكيرا لوعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله انه ليس
من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك
الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعدنا بانجائهم ثم
علل عدم كونه منهم علي طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله عز وجل انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل
نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح علي فاسد اما لان الفاسد ربما
يطلق علي ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالكفر والمظالم واما
للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان
دعاؤه عليه السلام مبنيا علي ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرع علي
ذلك النهي عن سؤال النجاة له الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألني
اي اذا وقفت علي جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب

صداره
نزع ما الغرض عن اداركه

وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذي هو مفعول للسؤال او طلب لا اعلم انه صواب على تقدير
كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في طلب معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون
المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق
الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عم ربه عز وعلا ليس استفسارا
عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ
عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه
الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل وما باه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء
في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وتجدد حيلولة الموج بينهما لا يستلزم هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان
عصمة الله تعالى اياه برحمته وفق وعده بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عم ان يدعوه الى الفلك او يدعو
لانجائه واعتزاله عنه عم وقصده الى الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار
النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاجتماع مع الكفرة في الفلك بل قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء
بعد ما قال له نوح عم ولا تكن مع الكافرين ربما يشعر بايمانه حيث لم يقل الكون معهم او سآوي او يعصمني فان المراد
نفيه نسبة الفعلين المذكورين اذ ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به الا انه عم
لو تأمل في شانه حق التأمل وتفحص عن احواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله
ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألني بغير ياء
الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب اني اعوذ بك ان اسألك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي
به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلب لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه
صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عم مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا
للرغبة والنشاط فيها وتبركا بما لقنه الله عز وجل وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون
ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله عز وجل وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي
ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما
عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي حال
من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن
حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ تصور الدعاء بالانجاء
لا بعدم العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا اقدام
في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي
هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر
في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم
بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك
المسارعة الى الامتثال وما يتبعه ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة

ولو وقعت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما
يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى آخره لا يفوت على تقدير
سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستتبع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عم المؤدي
ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عم من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب
في ان هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك
انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يتم بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامه قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون
كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء
الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله عز وجل انه ليس من اهلك انه نجى بدعائه فنص
على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض
والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وبيان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان و
استواء الفلك على الجودي فقضيت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى
بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عم قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء
بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك
اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله
عز وجل بقبول توبته وخلاصه من خسران بتفيض انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك
متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي وممن معك امم على انه خبر حذف لدلالة
ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع
من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عم مسلما
ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عم ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية
اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون
المراد بالامم الممتعين في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى
امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك يختل دلالة المذكور على خبر المحذوف حينئذ لان من المذكور
بيانية وفي المحذوف تبعيضية او ابتدائية فتأمل ثم يمسهم اما في الآخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم وعن محمد بن كعب القرظي
دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عم وما فيها من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتها
وهي مبتدأ خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليس من قبيل سائر الانباء بل هي بديع وحدها منفردة عما عداها
او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع
لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر
اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي
كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها

وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عم لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على
الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك
او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة
المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تع ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز
في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عم وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر
بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهي اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام
ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني
التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تع والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته
فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق
بمضمر معطوف على قوله عز وجل ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تع اخاهم اي ارسلنا الى عاد اخاهم اي
واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل عطف على
بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله عز وجل هودا عطف بيان
لاخاهم وكان عم من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
قال كانه لما كان ذكر ارساله اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف
فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان
للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه
وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام لله شركاء او بقولكم ان
الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه عز وجل عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل
من التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله عز وجل
المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره العالي مصداقا للمطالب الدينية التي من جملتها
الاوامر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية او الا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء
فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي
اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا
التبرؤ من الغير انما يكون بعد الايمان بالله عز وجل والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا
اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عز وجل عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
عم كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والطاعة والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا
عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة

دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا
اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عن قولك اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف
ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في
سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في
شيء مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة
وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا
بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض
آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام منهم مرتب على ما مر من قولهم وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك
يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد
كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الخرافات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به
ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا
عن عدم مجيئه عم بالبينة مع احتمال كون ما جاء به حجة في نفسه وان لم يكن واضح الدلالة على المراد وثانيا عن ترك
الامتثال بقوله ام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له ام في كلامه ثم نفوا
تصديقهم له ام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كونه كلامه مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا
ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم
من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم
مما يضر او ينفع والتجاهل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عم في آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع
في ضمن الامر بعبادة الله تع واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها اصابته
عم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عم بالتبري وصدع به حيث اخبر ببراءته القوية عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله
عز وجل على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجماع والاحتشاد مع آلهتهم
جميعا دون بعض منها حسبما ينبئ به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الامهال والانظار
في ذلك فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن
عبادتها ولو بطرف منه فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء
لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان رجلا مفردا بين
الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة
والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك
ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم
وان بذلتم مجهودكم في مضارتي لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تع وانما جيء بلفظ الماضي لكونه

ادل على الانشاء المناسب للمقام واوفق لطلاء بي وتصغيرا لغوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته
ومشيته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ
بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما
لان الفائدة كونه عز وجل مالكا لهم بطريق الاشارة اليه فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه
من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اخل بشيء في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله عز وجل يهلككم ويستخلف في دياركم
واموالكم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا
يعذركم ربي ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي الاقتصار على اضافة الرب عليه اخراج اللطف به والتدمير للمخاطبين
ولا تضرونه شيئا بتوليكم اشيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جملته استخلافه اسقط منه التنوين ان ربي على كل شيء
حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو
الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم
والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا
وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب
غليظ وهي السموم التي تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل المراد بالتنجية الثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب الدنيا
اغلظ منه واشد وبهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن مجيئها بحيالها للتنبيه عليهم والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم
وآثارهم جحدوا بآيات الله كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود اما تغليظا
لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم
على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملائمة لما
تقدم من جمع الآيات ومآتاه من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلالة والى تكذيب
الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل شائع
الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء والعنيد فعيل من عند عندا وعنودا وعندا اذا
طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل
خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما
داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم وفاقا ويوم القيامة اي اتبعوا يوم القيامة
ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد
بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله عز وجل واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا
باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة
الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم جحدوها على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم
هالكين اي هلاكا مستجلبا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم

وحث على الاعتبار بقصتهم لقوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
بسبب ما جرى بينهم وبين هود وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا
وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وصالح ام هو ابن عبيد بن آسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارسالهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم
قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على
بعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها
لا غيره فظهر قلب او قصر افراد فان خلق آدم ومنها خلق لجميع افراد البشر منها لما ان آدم من خلقه ولم يكن مقصورا على
نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيامة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم
ثم وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها اي عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل
من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب
ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد
روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتأخرة
عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد
ومخائل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وعن ابن عباس رضه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا
وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة
او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن انقطع عنك
رجاؤنا وقرأ طلحة مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار
والتوبة مريب اي موقع في الريبة من ارابه او وقعه في الريبة واياما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي
شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من
ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت
بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله
اي منجيا من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة
وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة
معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني
اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران
حتى تزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله عز وجل او فما تزيدونني بما تقولون
غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر
المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يقتضيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة

الله الا اضافة للتشريف والتنبيه على [illegible] لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق
نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل فيه معنى هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت
صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تأكل في ارض
الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها
ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها حتى نهى عن مسها بسوء فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوه
ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم
لئن فعلت ذلك ليؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب
بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم
صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام ثم قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما دل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول
العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا
صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة منا بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين
الايمان كما هو او ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله
ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا
وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين
ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه
لا عجزه ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء
فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم
الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة
لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم ومساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون
والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه
من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار

وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله عز وجل الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها اي في بلادهم او
في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر
لزيادة البيان وقد نونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح
بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله
الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما جبريل عم
وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عم وقال الضحاك كانوا تسعة وعن كعب جبريل ومعه سبعة
وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عم وانما اسند اليهم المجيء بالبشرى
دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عم بل الى قوم لوط لقوله تع انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوه لاجل البشرى
ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب
ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عم ممن لحق بهم العذاب بل الملحق بقوم لوط خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق
من قوله تع والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه فقيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى
اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تع فبشرناها باسحق الاية وقوله
وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم والبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تع فلما ذهب عن ابراهيم الروع و
جاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عم في شأنهم
والاظهر انها البشارة بالولد وسيأتي سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال
السائل عما انهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي نسلم سلاما او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا
اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او السلام عليكم حياهم باحسن تحية وقرئ سلم
كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به
او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس
اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم بمعنى نكره وانكره واستنكره
بمعنى انما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت
في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وبهذا الانكار منه عم راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم
اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تع في الذاريات سلام
قوم منكرون واوجس منهم اي احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن انهم نزلوا لامر انكره الله عز وجل عليه او لتعذيب قومه
واما او المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عم اوجس من جهتهم شيئا هو خيفة لا انه اوجس الخيفة
من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن وروده عليها فضل تمكن قالوا
لا تخف لما قالوه بعد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة منه بعد اظهاره له قال تع في سورة الحجر قال انا منكم وجلون
ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تع انا نبشرك
تعليل لذلك فان ارسالهم للامر الى قوم آخرين يوجب آمنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك
فان قوله عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عم وقد اوجز

الكلام بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوا
وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت
تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت حاضت
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبناها بسرورها باتم منه على السنة رسلنا ومن
وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه فبشرناها اي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على
الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في الحال
بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابرهيم ع وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه
بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف وقع جوابا
عن سؤال من سال وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف
مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناها يا ويلتي احضر
فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت االد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين
سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه
على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من
اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في االد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي االد وكلانا
على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله ع لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد
للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم
من اول الامر نسبة المانع من الولادة الى جانب ابرهيم ع وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد بولادتها
من غير تعرض لحال النافلة لان المستبعد ولادتها واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد
من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تع المسلوكة فيما بين عباده ومقصدها بجملة لتعليل الاستبعاد
بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا الاستبعاد
ذلك بالنسبة الى قدرته تع قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت
ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما
يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية
لا سيما على اهل بيت النبوة الذين ليس مرتبتهم عند الله عز وجل كمراتب سائر الناس وان تسبح الله عز وجل وتحمده وتمجده والى
ذلك اشار بقوله تع رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته
اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ع عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن
وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر للتعميم حكاية لابرهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما
خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله عز وجل على كل شيء قدير
ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته
اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان

الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه
بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم ع ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل
تام في السباق والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان بناء ما حقه التقديم يوقع النفس منتظرة الى وروده فيتمكن
فيها عند وروده الى فضل تمكن وجاءته البشرى ان حصلت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة
المدلول عليها بقوله تع يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او
طفق يجادلنا ظاهرة وان حصلت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان
قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية ارأيتم لو كان
فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة
قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابرهيم ع قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع
عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو
قبل العلم بذلك لقوله تع قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط ع على شريعة ابرهيم ع وقومه مكلفين بها
فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم
لا تخف واما الذي علمه ع بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله
الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس
منيب راجع الى الله عز وجل والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله ع على ما صدر عنه من المجادلة يا ابرهيم
اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشأن قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه
الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب
تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما
ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رض انطلقوا من عند ابرهيم ع الى لوط ع وبين القريتين اربعة فراسخ
ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف
ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم
روي ان الله عز وجل قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله
قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا
ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن
شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاق نفسه عن هذه الحادثة وذكر الذرع
مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة
من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها
طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن
تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده

وجاءه أي لوطاً وهو في بيته مع أضيافه قومه يهرعون إليه أي يسرعون كأنما يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة
من أضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل أي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات
أي جاؤوا مسرعين والحال أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك
لم يستحيوا من مجيئهم مسرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن
يزوجهما ابنتيه وأياً ما كان فقد أراد به وقاية أضيافه وذلك غاية الكرم وقيل لم يكن ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من إرادة
النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا
له إذا سمعوا ذلك فينزجروا عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لا مناكحة بينهم وهو
الأنسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم
ولا تخزون في ضيفي أي لا تفضحوني في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل وجاره إخزاء له أو لا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به
من الأمر بتقوى الله عز وجل والنهي عن إخزائه مجيبين عن أول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين
بعلمه بذلك يعنون أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك إلا عرض سابري ولا حق
لنا في بناتك وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو أن لي
بكم قوة أي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله عز وجل ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو كلم به الموتى أو
آوي إلى ركن شديد عطف على أن لي بكم الآية لما فيه من معنى الفعل أي لو قويت على دفعكم بنفسي أو أويت إلى ناصر
عزيز قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطاً كان يأوي
إلى ركن شديد وروي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط
من الكرب قالوا أي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك بضرر ولا مكروه فافتح
الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم
كما قال عز وجل فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوماً سحرة فأسر
بأهلك بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الأمر بالإسراء على الإخبار
برسالتهم المؤذنة بورود الأمر والنهي من جنابه عز وجل إليه بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم أحد أي لا يتخلف
أو لا ينظر إلى ورائه أحد منكم ومن أهلك وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فإن من يلتفت إلى ما وراءه لا يخلو عن
أدنى وقفة أو لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم إلا امرأتك استثناء من قوله فأسر بأهلك ويؤيده
أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر
إلى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فإن النصب يقتضي كونها غير مأمورة بالإسراء بها والرفع كونها
مأمورة بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الأمر بالإسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز
أن تسري هي بنفسها كما روي أنه لما أسرى بأهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها

حجر فقتلها وأن يسري بها من غير أمر لك إذ موجب النصب إنما هو عدم الأمر بالإسراء بها لا النهي عن الإسراء بها حتى يكون الإسراء بها
مخالفاً للنهي لا يجدي نفعاً لأن انصراف الاستثناء إلى الالتفات يستدعي بقاء الأهل على العموم فيكون الإسراء بها مأموراً قطعاً
وفي حمل الأهلية في إحدى القراءتين على الأهلية الدينية وفي الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف [illegible]
منه من المناقضة فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله ولا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل منهم فإن
ابن عامر قرأه بالنصب وإن كان الأفصح الرفع على البدل ولا بعد في كون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم من العذاب وهو
أمطار الحجر وإن لم يصبها الخسف والضمير في إنه للشأن وقوله مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ والجملة خبر لأن الذي اسمه ضمير
الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما أصابهم ولا يحسن الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع إن موعدهم الصبح أي
موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الإسراع أليس الصبح بقريب تأكيد
للتعليل فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع في الإسراء للتباعد عن موقع العذاب وروي أنه قال للملائكة متى موعد هلاكهم
قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون
حلول العذاب حينئذ أفظع ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء أمرنا أي وقت عذابنا وموعده وهو
الصبح جعلنا عاليها أي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها أربعمائة ألف
ألف سافلها أي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولاً أول للجعل وسافلها مفعولاً ثانياً له وإن
يصح القلب بالعكس أيضاً لتهويل الأمر وتفظيع الخطب لأن جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها أشد
عليهم وأشنع من جعل سافلها عاليها وإن كان مستلزماً له روي أنه جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء
حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وإسناد الجعل والإمطار إلى ضميره سبحانه باعتبار
أنه المسبب لتفخيم الأمر وتهويل الخطب وأمطرنا عليها على أهل المدائن أو شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر
كقوله حجارة من طين وأصله سنك كل معرب وقيل هو من السجل إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل
أو مثل العطية في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله عز وجل أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم
فأبدلت نونه لاماً منضود نضد في السماء نضداً معداً للعذاب وقيل يرسل بعضه إثر بعض كقطار الأمطار
مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من ترمى به
عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي أي الحجارة الموصوفة من الظالمين من
كل ظالم ببعيد فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لأهل الظلم كافة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر
يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم وأسفارهم
إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر أو إجرائه على موصوف مذكر أي بشيء بعيد أو بمكان بعيد
فإنها وإن كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض إلا أنها حين هوت منها فهي أسرع شيء لحوقاً
بهم فكأنها بمكان قريب منهم أو لأنه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها
المذكر والمؤنث وإلى مدين أي أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام أو جعل اسماً للقبيلة بالغلبة أو أهل مدين
وهو بلد بناه فسمي باسمه أخاهم أي نسيبهم شعيباً وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له

خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله وإلى ثمود أخاهم صالحا أي وأرسلنا إلى مدين شعيبا
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله الرسل ع
يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من إله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للأمر به وبعد ما أمرهم بما
هو ملاك أمر الدين وأول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس
والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك إلى بخس حقوق الناس إني
أراكم بخير أي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله عز وجل حقها أن تقابل بغير ما تأتونه من
والتفضل على الناس شكرا عليها أو أراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقيب علة
أخرى أعني قوله عز وجل وإني أخاف عليكم إن لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منكم أحد وقيل
عذاب يوم مهلك من قوله عز وجل وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال
ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب على الإسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فإن اليوم زمان يشتمل
على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ويجوز أن يكون
هذا تعليلا للأمر والنهي جميعا ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
فإن الزيادة في الكيل والوزن وإن كان تفضلا مندوبا إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد
للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وإنما أمر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما
مبالغة في الحمل على الإيفاء والمنع من البخس وتنبيها على أنه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم
إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما
أشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والأمر بإيفائهما
بيانه وترغيبا في إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال والميزان
الأمر بإيفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما
في قوله عز وجل ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثي يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل البخس
المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى ● أفي كل أسواق العراق إتاوة ● وفي كل ما باع
امرؤ مكس درهم ● والعثي في الأرض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم بقية الله
أي ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء
منثور بل شر محض وإن زعمتم أن فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن
خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان لا محالة أو إن كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة
كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ
أحفظكم من القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت إذ أنذرت ولم آل في ذلك جهدا أو ما أنا
بحافظ مستبق عليكم نعم الله عز وجل إن لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد
آباؤنا من الأوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله عز وجل وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الأصنام وقالوا
في ذلك وبلغوا أقصى غاية الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بإنكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا أن لا آمر به من العقل

واللب أصلا وأنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلاتك التي هي من
نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان التي توارثناها أبا عن جد وإنما جعلوه عليه السلام مأمورا مع أن
الصادر عنه إنما هو الأمر بالعبادة لله تعالى وغير ذلك من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه
كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه إليهم وتخصيصهم بإسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا
بذلك وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ أصلاتك
أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما أي أو أن نترك
أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول الأمر
أي أصلاتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على قراءة التاء يستدعي أن يراد بالترك معنيان
متخالفان والمراد بفعله عليه السلام إيجاب الإيفاء والعدل في معاملاتهم أو نقض الإيفاء فإن ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعالهم
وإنما لم يعطف على أن نترك لأن الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام إياهم وأمره بذلك أي أصلاتك
تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلاتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدك من أن تحمل
غيرك ليكون ذلك تجهيلا منهم له بحالة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون الأمر
ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الأول
والتاء في الثاني عطفا على أن نترك أي أن نفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما تشاء أنت من التسوية والإيفاء
إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وإنما أرادوا بذلك وصفه بضدهما كقوله تعالى
ذق إنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد
على زعمك ● وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل قال يا قوم
أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله عز وجل من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم
الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري وإيراده بحرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما
عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه
أي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهما بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا
وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون
والمعنى إنكم نظمتموني في سلك السفهاء والغواة وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يليق أن يتفوه به
عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إن ما آمركم به من التوحيد وترك عبادة
الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به العقل ويقضي به الفطنة وإنما يأمر به صلاتك التي
هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها
غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما لا خير فيه
ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف فهل يسع لي أن
لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية و
الجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فمما لا يساعده المقام وإنما يناسب تقديره إن حمل كلامهم على الحقيقة
وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك يأمرك أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق

في اموالنا ونحن الفاعلون في ذلك ونشوع عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل
فيما بيننا كما كان يقول قوم صالح ام قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرود على ذلك النمط فاجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد ما ارى
بحسن حال الذي اتاه الله عز وجل والمعنى اخبروني ان كنت على بينة من عند الله عز وجل ورزقني مالا حلالا استغني به عن
العالمين افيصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه
وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة
والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة
ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتأييده ومعونته بل الاصلاح
من الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة حاله ام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد
الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور
وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من رتبة الاستمداد به والاستظهار واليه
انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري
وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار
ولا يخفى ما في جوابه عم من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة
وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله عز وجل للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري
بالفعل الى الله عز وجل لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم من جرمه ذنبا مثل كسبه
ما لاستقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعادين يكون في عدوة والآخر في اخرى ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم
اي لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة
والرجفة وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد
كما نقل اكسبه المال من كسب المال فلا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه ولا بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى
الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحاء وقرا ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب
لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عم على الطف اسلوب وابدعه كما في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير
اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من
دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان
المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية
كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم
بسوء عاقبة صنيعهم عقبه بما فيه ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بحمل على الاستغفار والتوبة فقال

واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه تفسير مثله في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما
يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا
شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك [illegible]
[illegible] وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات
بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه
ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ما فيه
من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا اي فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء
من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولا خوفهم بما يقوننا ويداخلوننا لرجمناك فان
ما نقوة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لبهم وهم الوصف مؤلفة لا لايطاء مبنوتهم وقد ايد ذلك بقوله تعالى
وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا
ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى
الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة
علينا وحيث كان غرضهم من عظيمة رهطه عائدا الى نفي ما فيه عم من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من
ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد
والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز
وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل
مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي
العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله تعالى فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا
واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر نسيا
لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي بما تعملون
من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم
عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عم لقوته وعزته
بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب
رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى من اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي في اجترائهم على العظيمة
التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا مراعاة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على
غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عم ردا لما ادعوا انهم اقوياء
قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي
وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع
التأييد والتوفيق سوف تعلمون كما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل

منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما او
اوعدوه به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا لجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من
يأتيه لا على انه قسيم له حيث انه اوعدوه بالرجم وكذبوه فقيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم
القوة والقدرة على رجمه ع م وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه رعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين
بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية
معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه
عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع اي زيادة معكم اظهار منه ع م لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تع سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان
الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد ع م لانه لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي
لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان
موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي
فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل ع م فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا في
ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تع سوف تعلمون من يأتيه عذاب
الا نفس مجيء العذاب بل من يخزيه ذلك جعل تنجيته بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا
وجعل تنجية شعيب ع م واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي
هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في
اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم
الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون اشبه بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا
بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل
فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام
التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه
ملتبسا بآياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا وهي الافراد
بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالآيات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بجامع بين كونه
آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله
تع ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه ع م في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون
الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل
الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون ويذرون

واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته ع م لقومه
كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله وانهماكه
فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى
ع م من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما
المحتاج الى ذلك شأن ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في
اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كونه مسبوقا بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعتهم فرعون
الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم
ويجوز ان يكون بامر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في
قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى ع م من اول الامر
ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم
الاستبصار وكذا الحال في قوله عز وجل وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على
الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني والاسناد حقيقي يقدم قومه يعني
الاشراف وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان قدوة
لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار
اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء
واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون
في هذه اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة
فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا
واكتفي ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من
اغواهم والقاهم في الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على
طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما
يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا حيث ان كل لعنة
منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر
وخطاب لرسول الله ع م وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي
اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف
لدلالة الاول شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا دفعت باس الله عز وجل عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع

حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك
اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب
اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو
رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ
القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من
القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم
انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه
الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية
لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما
عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا
شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث مما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع
فلكية تتفق في بعض الليالي والاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يفعلها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم لما
بهم من الانكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له
الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه
فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي
مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله
في محفل من نواصي الناس مشهود • اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم
اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني
الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي
ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله
عز وجل فان المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله عز وجل الا لاجل
اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها او
فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا
ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول
عليه وهو مؤمن وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله تعالى لا تكلم نفس او للناس
وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة
ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش • بعيد مدى التطريب اول صوته • زفير ويتلوه شهيق

محشرج • والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه • او تشبيه صراخهم باصوات
الحمير • وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية
من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله تعالى اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما
دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب
ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم
بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد
سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وهم كل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين لكفى في تعليق دوام قرارهم
دوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالها وكيفياتها الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلج الجمل في
سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني
انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله عز وجل لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها
بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئته
تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله عز وجل ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع
خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول
من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه
بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عز وجل عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم
وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار
فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء اللهم الا ان نقول انهم ليسوا
بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات
والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا من
الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد التلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم ينص عليها
والتعبير بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار
ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوضح لما ذكر وقيل هو مبني
على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم
عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما
سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام
التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله عز وجل عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من
معنى الجملة لان قوله تعالى ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء
او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر
عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة

شبيه لحزوع لا الله عز وجل يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ او على جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا
الله تع بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا الشيئين بالاول
وضمائمهما منتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص من
تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه
من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن المؤمنين
وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقب ذلك
من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهي رسول الله صلعم عن كونه في شك من مصير هؤلاء المشركين
في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصت عليك قصصهم
من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان
لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات
وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا
آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص
حال مؤكدة من النصيب كقوله تع ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وصلاحيته لدفع احتمال كونه منقوصا حد
نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي
في شأنه وكونه من عند الله عز وجل فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم
الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب
الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى والاول ابين وانهم اي وان كفار قومك اريد بعض من
رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع
الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه
اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف وما مركبة من من الجارة وما
الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فانقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن
الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين
والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث
لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين
وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من اجزاء المخصوص موجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم
كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال
هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص

وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى للتورية وانه لولا سبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة
الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين
يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلعم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال
الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية والجملة بهذا الامر منتظمة لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات
النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلعم شيبتني سورة هود ومن تاب
معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن
من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو
على انه مفعول معه كما قال ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام
انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد
الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص
الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع
باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان
لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة
الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك
على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم
بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان تميل اليه القلوب
ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب رسول الله صلعم ومن معه من المؤمنين للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الميل على احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم و
تركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب
على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون لهم ولي
بل بطريق انكم لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد
منهم نصير ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي
رتبة كونهم غير منصورين من جهته بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله تع معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار
اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتيهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع
العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر
وزلفى بمنزلة زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوة يذهبن السيئات
التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل

نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبّل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال صلعم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او نتيقن من اقترانها كقوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تع فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في نصائحه الاوامر السابقة واما ما نهى عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة مع الاستقامة المأمور بها من يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما تمام في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا واما التعبير عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها فلبيان كمال نزاهته تع عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه واما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة من سخط الله تع وعقابه ويؤيده انه قرئ اولوا بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد او ترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع اذ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعليته لما حاق بهم من العذاب او على استئناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجيناهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله كانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها وعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تع عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى

والاصلاح ظلم فيها مقعله الله تع بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تع وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تع واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق مخالفين له كقوله تع وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تع بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي الى ما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترحم فالضمير لمن واللام في معناه او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده بقوله تعالى او حكمه المقدر ازلا لاملأن جهنم منكم اجمعين وقوله عز وجل فالحق والحق اقول لاملأن جهنم وممن تبعك منهم وقيل قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله من انباء الرسل بيان لكل وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عم وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة والانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز

وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم بموجبه
وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من الانبياء والمعدودين منهم عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان
يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى انتهت الكتابة من نسخة المؤلف عليه الرحمة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الاول لخمس وخمسين والف

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في نظيره قوله عز وجل تلك ايات الكتاب عين ما سلف
في مطلع سورة يونس المبين من ابان اي الظاهر امره في كونه من عند الله عز وجل وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب
او الواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم حقائقه ولا تلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه
من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص
وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء
المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فنزلت
ووصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب
ذلك بما يدل على الشرف الاضافي انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر
الانسب بقوله عز وجل قرانا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان
كان عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا وايا ما كان لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه كلا او تحيطوا بما فيه من البدائع
خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك
من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية
احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وحسنه مع بيان الواقع ايجاز ما لاقتصاص اهل الكتاب
من القبح والخلل وترك المفعول ما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القران اي
هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرانيتها لتحقيق ان الاقتصاص
ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص
على ابدع الطرائق الرائعة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين
والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا
القران لما في قوله عز وجل قرانا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من
الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد
ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى ان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا
اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير

عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب
باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد بحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال
فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه
عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقد روي عنه عليه السلام ان الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء عند الوقف على قراءة ابن كثير وابن عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض
حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم تجمع
بالياء لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها
كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة
لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر رضه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف عليه السلام
فسكت النبي عم فنزل جبريل عم فاخبره بذلك فقال لهم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلوة والسلام
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه
وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما
عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس
والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عم راى
وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب
عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة
سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين
رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم
التي راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني
السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما فيه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة
او لها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة فلما
فهم يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه الله مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل
بابائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المتاعب ومقاساة الاحزان وان
كان واثقا بان الله عز وجل سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية
ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور اي

اي تشتغل بما يجيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه ثم ترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا منصوب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر
على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عم يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت
الرؤيا عليه وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا بالايقاع
وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة و
كيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون
ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم
المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عم وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عم بعد وفاة
اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا تخشى معرته ولم
يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد ههنا عن اقتصاص الرؤيا عليهم حالا او مآلا ان الشيطان
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استئناف كان
يوسف عم قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام
على ان للرؤيا شأنا عظيما تستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او
يبغوا له الغوائل وصولها شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي
شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وحسبه وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك
لجناب كبريائه ويستنبئك من الخصال من حباه اذ اجتباه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز
مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المحققة بين الصور المرئية
في عالم المثال وبين ما تحكيه صورا واشكالا من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخر لك تلك
الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة
ابويه واخوته له لكنه لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عم تأكيد مقالته وتحقيقها وتو
وتوطين نفس يوسف عم بما اخبر به على طريقة التبعية والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الاحاديث اي ذلك الجنس
من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتأويل
الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث
اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كأنهم جمعوا احدوثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
واقاطيع وقيل هو تأويل غوامض كتب الله عز وجل وسنن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تأويلا لانه جعل المرئي
آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكأنه عم اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤ
للملك وكونه ذريعة الى ما بلغه الله عز وجل اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب عم ذلك منه عليهما السلام الا
من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عم على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عم ذلك بطريق الفراسة و
من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل امثالها وتمييز ما هو
آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم الامثال وقوة تصرفها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة

بذلك العالم وبما يحكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المباينة في احد
ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وان هذا الفن البديع لا يتأتى ان يكون انموذجا للظهور امر
اتصف به ومدار الجريان احكامه فما ظنك بنبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة لها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته
عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة
والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى
عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان
رؤية يوسف عم اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله عز وجل لدلالتها على مصيرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة
الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وان اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار
انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام
نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة وانما اتمها على ابرهيم عم باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى
اسحق بانجائه من الذبح على احدى الروايتين وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة
وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه
من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما
ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سرابه لتطمين قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير
الرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة
النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك عليم استئناف لتحقيق الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من
يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقيق وقوع
ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك للنبوة والملك او للامور العظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم في الدنيا انبياء
وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتأمل والله الهادي لقد كان في يوسف
واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم
يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله عز وجل القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من
سأل عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم
ممن اندرج تحت قوله عز وجل وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة
نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه
من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة
من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر من قوله عز وجل مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان
لقوله عز وجل آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة
وقيل انما قص الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا
ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى الى انهم

كيف اكتفي باخراج يوسف من البين من غير توصل له حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وحد الضمير
المبتداء لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف
جاز الامران وفائدة لام الابتداء في ليوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على حمل
والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا حيث فضلهما
علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق
وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكانت اخوته يحسدونه فلما راى
الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا وقد قال بعض منهم مخاطبا للباقين بحقيقة الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى
ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا يوسف فجعلوا كانهم القائلون
وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا
واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك انتصب نصب الظروف المبهمة
يخل مجزوم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا الجزم عطفا على يخل او النصب على اظهار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله
وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه
بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم بانتظامها
بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل
روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سال وقال اما اتفقوا على ما عرض عليهم من ضلالهم القبيح ام خالفهم في ذلك احد
فقيل فقال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو
فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولويته مما خطر عليهم بقوله والقوه في غيابة
الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض تجب جبا من غير ان
على ذلك شيء وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات
الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف
على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب فانها في البعض من الابهام
لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ
تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان
كنتم فاعلين مشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم
والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا
بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه ام لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب الخ فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة
بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا

مالك اي اي شيء لك لا تامنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون
مريدون له الخير او مشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في
الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للحرب واما تجويزهم ذلك اللعب لكونه على هيئة
تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف او لتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله او وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع
من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته وقرئ يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ
الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استيناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب فقيل قال
اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع
ذلك اخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة او لان الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول مكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما
يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى في المنام انه قد شد عليه ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة
البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واصل
اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا
الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تعالى انا اذا لخاسرون
جواب مجزئ عن الجزاء اي لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او
لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر
على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب من اكل الذئب
لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا
ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي تحسن الدواعي
الى فعلها في غيابة الجب قيل هي بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب بكنعان
التي هي من نواحي الاردن فكان هو بين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة
ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره
واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا به الى الصحراء
اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها عن يده فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه
من تلطيخه بالدم احتيالا للاب فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
تؤنسك فدلوه فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه
فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق الى يعقوب فجعله يعقوب

في غيابة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة والبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره
وازالة لوحشته وايناسا قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع
عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلص مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك من اوهامهم وقيل
لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم و
انكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبونه مستوحشا
لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء اي آخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب
عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او في الرمي
وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما يتمتع به من الثياب
والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة
الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبعدوا
عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا الا ان ميدان السباق لا يكون
عادة الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن
لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك في اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها
منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى او لو كنا كارهين وجاءوا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاءوا فوق
قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب
مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا
على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله
من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث فكانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا
ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استئناف مبني على سؤال كأنه قيل فما قال يعقوب

عليه السلام حين قالوا ما قالوا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس
رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سؤل
الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا
من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وامثل وفي الحديث الصبر الجميل
الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب
خطيئة فاغفرها لي وقرئ ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة
المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الابلغ بالسحر من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا ففسر المستعان
عليه باحتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فانها
قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ
عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لما ان النسبة الى مكانه كان ليس بجانب المصري من مدين
الى مصر كان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر
ان الجب كان في الارض المتصلة فان للتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي
رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم للمعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد
قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال
كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب
ليملأها فتدلى بها يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى
البشرى وقال تعالي فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة اي بنعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له
ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما ل فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين و
قرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراه على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة و
قيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان
يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه
منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي
متاعا للتجارة فاشتقاقها من البضع فانه ما بضع منه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم
يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه
بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه
مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما دون الاربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت
عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه في يوسف من الزاهدين
من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون

به او غيره واتقى باره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعوه من اول مساوم باوكس ويجوز ان يكون معنى شروه
اشتروه من اخوته على ما حكي ووجه عدم الرغبة في شراه خشية ذهاب مالهم لما ظهر لهم من الاباق والعدوان
صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما ان اخذهم اياه كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق
بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا
فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه
قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر للتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من
الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عم بعد ان آمن به فملك
بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فأبى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عم عاش اربعمائة سنة
لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل
خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل عشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين
وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فابتاعه قطفير
بذلك المبلغ وكان اذ ذاك ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة
واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة
وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي
مثواه اجعلي محل اقامته كريما حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به
في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخائل الرشد والنجابة ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما
وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا و
لتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم اي ما لم نمكنكم فيها ومكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلناه مثويا كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر
امرأته دون حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا
في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله عز وجل ولنعلمه من تأويل الاحاديث
اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله عز وجل ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه
معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض
وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث
وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا
بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له
عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك
انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله عز وجل مكنا ليوسف على
ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عز فيها لا ان

تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى
جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن
ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من
آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عم في تضاعيف
قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عدا اصحاء ليجعل غاية لمولاتيه وما وقع من التدارك في امر
السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض
اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عم فيكون المعنى حينئذ مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه
معاني كتب الله تع واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام
وان كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى لكن تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة
من النوازل متأخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره
لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله
الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون
لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين
وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او
نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله عز وجل عند تكامل
قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله من حيث قيل وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي
من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث ولا تحته له الا ان يخص بعلم تأويل رؤيا الملك
فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عم بعد تعبيرها
في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء بالمذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه
محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه
في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة لتعليم
السامع من اول الامر ان ما لقيه عم من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عم محسن في جميع اعماله
لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة
انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله عز وجل وكذلك مكنا
كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب
الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدين ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين
الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة
عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه
ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه

اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة تجوز عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة
فاذا قرأت القرآن وبهذه فاعلم [illegible] مستمرة واما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن جانب المقابل
لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب القوم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب
للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه بجمال يوسف عم نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدورها سببا لذلك
تلك الافعال فجئ بالصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز ان
يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها فانها طلبت منه الفعل وهو الترك وهي يجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق
والتمهل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده
وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياه والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان
بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت
قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عم فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه
تحت ملكتها ينادي بكونه عم في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل
دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك وقرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين
وعيط وهيت كجير وهئت كجئت اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت
على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ
بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه عم على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله عز وجل
للخلاص منه وما ذاك الا لانه عم قد شاهده بما اراه الله عز وجل من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء
وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره
بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان وفي ابرازه وتصديره [illegible] ادعاء شهرته المغنية عن ذكره
وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشان الخطير هذا هو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي
اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيئ اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز
بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف
اعصيه بارتكاب الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين في الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير
تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل
تحت الوقوع اصلا وقوله عز وجل انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير
ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة
والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به اي بمخالطته اذ الهم لا يتعلق
بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة
وتغليق الابواب ودعوته عم الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة
وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مغالبته
من الزواجر وهم بها اي مال الى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف

لا انه قصدها قصدا اختياريا الا ترى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل
هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عم تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به
كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول
بما يقرر وجوده من التأكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه اي حجته الباهرة
الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين
الذي يتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على
ما نطق به قوله عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فكأنه عم قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما
هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح
من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي
ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عم
لم يكن لعدم المساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجة
الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث
الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله عز وجل ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فلا يتحقق هناك
هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جاريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم ح على معناه الحقيقي
فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه
انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عم بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع
ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عم عاضا على انملته وقيل ضرب
على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى
فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة
فانحط جبريل عم وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى
تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها
ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى
لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل
ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنا
والزنا لانه مفرط القبح وفي آية بينة وحجة قاطعة على انه عم لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه
عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه الله عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف
على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين هم الذين اخلصهم الله عز وجل لطاعته بان عصمهم عما هو
قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل
في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم
بالسوء منه عم بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون [illegible]

وقوله كذلك اي آتوه اعتراض جي به بين المتعاطفين تنويها بالنزاهة ام كقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف
حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق الى ضمن الاستباق ايهام ان
يجد في منع يوسف ام ولا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه
اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اي اجتذبته من ورائه فانشق طولا
وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد
اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا مدخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها وبذل مجهودها
في منعه عن الخروج وبذل مجهودها لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها واذا لم يكن مملكة
ليوسف لم يقل سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمرأة لدى الباب اي البراني
روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استيناف مبني على سؤال
سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه
الا ان يسجن او عذاب اليم نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية
اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على
الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه
عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواتاته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف امرا محققا مفروغا عنه غنيا
عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل
لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على
تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف فقيل قال هي
راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند اليه
من الخيانة وعدم مواتاته حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او الاسم
مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله
عز وجل ليوسف ام بالشهادة له والقيام بحقه وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته
وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله عز وجل ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان النبي صلى الله
عليه قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى رواه الحاكم عن ابي هريرة
وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد
من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت
اليك فيما قبل كان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها
تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه ام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث
كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار

ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعرضان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها
وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة بارائة ان ما عسى يحتمله الحال
في الجملة بان يقع القد من قبل بدافعته له عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا
لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله تعالى وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه ادخل في الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها
ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا ان الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم
فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد
هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبيل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا
واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال من قد القميص من دبر معلومة له على ما هي عليه بمشاهدة او اخبار فهو متيقن
بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو
اخبار بكذبها وصدقه الا لكنه ساق شهادته مساق ما هو مأمون من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا
بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى يعلق لصدقها بامر مستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون
محال الاحالة ومن ضرورته تحقق كذبها والثانية يعلق لصدقه بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما
قيل حين قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي
فقبل الرجل فاذا الزوج لها فهو نكاح اذ يعلق الشيء بامر متحقق له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه
قد من دبر كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر
وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسند الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الآية لكن لا من حيث
صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل من حيث التغاضي عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها
لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن بمعزل عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه
من كيدهن افادة ظاهرة لمتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا بهذا انها العار
وحدها … بيجة يغفل كل غاية منه … ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا … عدول عن البحث عن اصل ما
وقع فيه النزاع من ارادة السوء … الى البحث عن شعبة من شعبه وصله للسوء او للامر المتحرك عن طمعها في يوسف …
كان الكيد يستدعي ان يجتمع مع ذلك صفات اخر من جنسها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا
في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء
ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه
للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك
واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين
من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء
وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع

المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والنسبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث في المدينة
ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة لنسوة امرأة العزيز أي الملك يردن قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان
دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليس لقصد المبالغة في إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل كما قيل
تفضيح العزيز بل هي لقصد الإشناع في لومها بقولهن تراود فتاها أي تطالبه بمواقعته لها وتتحمل في ذلك وتخادعه عن نفسه
منه الفاحشة وإيثار صيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب وأصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هاهنا وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي والتعبير
عن يوسف عم بذلك مضافا إليها لا إلى العزيز الذي لا تستلزم الإضافة إليه الهوان بل ربما تشعر بنوع عزة لإبانة ما بينهما من
التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والإشناع في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء
أو لها زوج دني قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره
لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه أصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا أي شق حبه شغاف
قلبها وهو حجابه أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه
فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضه الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وقال الشعبي الشغف
حب والشعف جنون والجملة خبر ثان أو حال من فاعل تراود أو من مفعوله وأياما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال
أحوالها القلبية كأحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث إن الابتلاء مصير إلى الاستدلال على الأعلى بالأدنى ومن حيث الكمية
مبني على تمهيد العذر من قبلها وليس يلائم ذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز المنقول عن الفاعلية إذ الأصل قد شغفها حبه إنا لنراها
أي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب
أو سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على أحد أو مظهر لأمرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين
للوم والتشنيع وتسجيل عليها بتمادي أمرها على خطأ عظيم وإنما لم يقلن إنها لفي ضلال مبين إشعارا بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن
مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بأنهن متنزهات عن أمثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز
عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فأفشينه عليها
وقيل إنما قلن ذلك لتريهن يوسف عم أرسلت إليهن تدعوهن وقيل دعت أربعين امرأة منهن خمس المذكورات
وأعتدت أحضرت وهيأت لهن متكأ أي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب
لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجال أن يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من
قولهم اتكأنا عند فلان أي طعمنا قال فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما
يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وقرئ متكاء بالمد بإشباع كما في
الطائف ينتزاح أي منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها
العثمثمة الوقاح أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاء من تكي إذا اتكى وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله
في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وقصدها من ذلك
ما سيقع من تقطيع أيديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيديهن من الفواكه
وأضرابها والعطف بالواو ربما يشير إلى أن قولها اخرج عليهن أي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب أمورهن ليتم غرضها من استغفالهن
فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه وإنما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت

عند ذكره خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد
إليك طرفك وللإيذان بسرعة امتثاله عم بأمرها فيما لا يشاهد مضرته من الأفاعيل أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق
وجماله الرائع الرائق فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت
يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى أكبرن
حضن والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عم على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن أي جرحنها بما في أيديهن من السكاكين
لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عنه بالقطع ما لا يخفى
من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات
النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت الألف الأخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به إلا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه ثم صار حاش لله تنزيه
الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة
أبي السمال حاشا بالتنوين وقراءة أبي عمرو بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش بحذف الأولى فإن التصرف من خصائص
الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة أصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه بعدما تم ظمؤها
منقلب الألف إلى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين إتباعا للفتحة الألف في الإسقاط وحاش الإله
وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية من أن يقارف ما رمته به
أي لطاعة الله أو لمكانه أو جانب المعصية لأجل الله ما هذا بشرا على إعمال ما عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ
بشر على لغة تميم وقرئ بشرى أي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه
على الملكية بقولهن إن هذا إلا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من أن لا حي أحسن من الملك كما ركز فيها أن
لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب
البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى إن كان الأمر كما قلتن فذلكن الملك الكريم
النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه أي عيرتنني في الافتتان به حيث ربأتن بمحلي بنسبتي إلى العزيز
ووصفتن بقدره بكونه من المماليك أو بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها
الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن
فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا وأما ما يقال يعني أنكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
في الافتتان به فلا يلائم المقام فكان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم
وقد حصلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال يجري المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية أن الجمع
بين الجمال الرائع والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو أيضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فإن عنوان
العصمة مما ينافي تعنيفه وإنهائه يعني ما أقامت عليهن الحجة وأوضحت لهن عذرها وقد أصابهن من قبله عم ما أصابها
باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم أي امتنع طالبا للعصمة
وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع

الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه ع م شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره ثم زادت عليهما ايضا الحا
مستمرة على ما كانت عليه غير عابئة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اي آمر به فيما
سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري اياه اي
موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف ويجوز عوده راجعا بالاولى اظهارا بان حكومتها عليه واقتضا
للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما بسرعة ترتب ذلك
على عدم امتثاله بامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونن بالخفيف من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقد
قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة
على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف
انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل وتعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها و
لما كان هذا الابراق والارعاد مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب
السجن الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اي آثر عندي لانه مشقة
قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم
وهذا الكلام منه ع م مبني على ما مر من انكشاف الحال لهن وظهور كل منهما بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست
على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة
لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته
واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي
بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله عز وجل العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما
انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية
وهذا فزع منه ع م الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب
الله عز وجل وسلب القوى عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن عنه باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة
كقول المستغيث ادركني والا هلكت لانه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن
والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة
وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا
اليه ع م ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء
المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف
بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة
على براءته ع م وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم
بداء او رأي ليسجننه قائلين والله ليسجننه فالقسم محذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك

البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها منقودا حيث تقوده قال السدي
انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر
الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال
رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم
العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس
حتى حين اي الى انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب
الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه
احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم
الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما احضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك
فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره
وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه السجن وتأخير الفاعل عن المفعول
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ومع الظرف مقدم على الظرف
على المفعول الصريح في قوله عز وجل فاوجس في نفسه خيفة موسى وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف
خبرا مقدما على المبتدأ ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتأمل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا
بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة
الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود
وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله عز وجل تأكل الطير
منه اي تنهس منه صفة للخبز او استئناف على السؤال نبئنا بتأويله بتأويل ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي باجراء
الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله ٭ فيها خطوط من سواد وبلق ٭
كانه في الجلد توليع البهق ٭ اي كان ذلك والتشبيه الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع
بما ذكر او بما رؤي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من الاحوال فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين
بل بانه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل وهذا اذا قالاه معا او قاله احدهما
من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما بل بمعناه
بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به
انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه ع م من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا
لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله
او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه ع م كان
اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك
لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل

السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وعن الشعبي أنهما تحالما ليمتحناه فقال
الشرابي أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز
إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في منامكما
هذا حسب عادتكما المطردة إلا نبأتكما بتأويله استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يأتيكما طعام في حال من الأحوال إلا حال ما نبأتكما به
بأن بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر أحواله قبل أن يأتيكما وإطلاق التأويل عليه إما بطريق الاستعارة فإن ذلك بالنسبة
إلى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر إلى ما رؤي في المنام وشبيه له وإما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما
نبئنا بتأويله ولا يبعد أن يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فإنه في الأصل جعل شيء آيلاً إلى شيء آخر فكما جاز أن يراد به الثاني يجوز
أن يراد به الأول فالمعنى إلا نبأتكما بما يؤول إليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان يقول لهما اليوم يأتيكما طعام صفته
كيت وكيت فيجيء كذلك والمراد [illegible] بيان لكل ما يهمهما من الأمور المترقبة قبل وقوعها وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً
في ذلك الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص إليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وجعل
حبل البصر مختصاً من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما إلا أخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل أن يأتيكما
ذلك الطعام الموقت يراد به الإخبار بالاستعجال في التنبئة وأنت خبير بأن النظم الكريم ظاهر في تعدد إتيان الطعام والإخبار
بالتأويل وتجددهما وأن المقام مقام إظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولاً أولياً وإنما لم
يجدد تأويل رؤياهما مع أن فيه دلالة على فضله لأنهما ما أغناه إلا بالانتظام في سمط المحسنين وأنهما قد علما ذلك حيث قالا إنا نراك
من المحسنين تونسما منهما خيراً وتوجهاً إلى قبول الحق فأراد أن يخرج آثر ذي أثير على ما يهدر منه من دعوة الخلق إلى الحق فمهد قبل الخوض
في ذلك مقدمة تزيدهما علماً بعظم شأنه وثقة بأمره وتوقفاً على علو طبقته في بدائع العلوم توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص
إليهما من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصتما علي في ظرف التمام حيث رأيتما مثاله في المنام وإني أبين لكما كل جليل
ودقيق من الأمور المستقبلة وإن لم يكن هناك مقدمة المنام حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم أبينه لكما قبل إتيانه
ثم أخبرهما بأن علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل إلهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما أي
ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والإلهام
بعض منه أو من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول إدراكه العقول ولقد دلهما بذلك على أن له علوماً جمة ما سمعاه قطعة من جملتها
وشعبة من دوحتها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال إني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلاً له لا
للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته إلى أنه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره والمضمون الجملة الخبرية لأن ما ذكر بصدد التعليل
ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضاً مما علمه ربه أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم
البديعة فقيل لأني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها
رأساً كما ينبئ عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر
في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله بسلب الإيمان للتنصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليس بإيمان
تعريض بما هم عليه الباطل على ما يقوله أنه يحل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في
الكفر واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب يعني أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب أنه اتبع
ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيباً لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك

والضلال

والضلال وتقديم ذكر تركه ملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية ما كان أي ما صح وما استقام فضلاً عن الوقوع
لنا معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلاً عن الجماد
البحت ذلك أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا أي ناشئ من تأييده
لنا بالنبوة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم إلى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وداعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا
بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا حيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن أكثر
الناس لا يشكرون أي لا يوحدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وإنما وضع الظاهر
موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه إلى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك
التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضاً
ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعاً للأهواء فيبقون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من
فضل الله علينا حيث أعطانا عقولاً ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس
أيضاً مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر إلى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة
التوحيد الآفاقية والأنفسية العقلية والنقلية يا صاحبي السجن أي يا صاحبي في السجن كما يقول يا سارق الليلة
ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب
لهما مثلاً يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما أراد
عبر عنها بالأرباب للأوثان من عدم استقلالها خير لكما أم الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه
أحد وبعد ما بينهما على فساد تعدد الأرباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأساً فضلاً عن الألوهية فقال معمماً للخطاب
لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه أي من دون الله شيئاً إلا أسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه
مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط سميتموها جعلتموها أسماء وإنما لم يذكر المسميات
تربية لما يقتضيه المقام من إسقاطها عن مرتبة الوجود وإيذاناً بأن تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت
بلا معبود أنتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما أنزل الله بها أي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة
تدل على صحتها إن الحكم في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية إلا لله عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات إذ هو الواجب
بالذات الموجد للكل والمالك لأمره أمر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله إن الحكم إلا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى
في هذا الشأن فقيل أمر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام أن لا تعبدوا أي بأن لا تعبدوا إلا إياه حسبما تقضي به قضية العقل أيضاً
ذلك أي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلاً ونقلاً ولكن أكثر الناس
لا يعلمون أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أو لا يعلمون شيئاً أصلاً فيعبدون أسماء سموها من تلقاء
أنفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما إليه وبيانه لهما مقدار ما أرتبه ورتبة علمه
شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثاً مغايراً لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما
وهو الشرابي وإنما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلاً بذلك إلى الإبهام أو صاحبه ضرار مشارفيه بما يسوؤه فيسقي ربه
أي سيده خمراً روي أنه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة
فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول أي ما يروى به
وأما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي أنه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة أيام ثم تخرج

فيقتل قضي اي اتم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما
واهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة
اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء كما يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال
افتى في حكمها او جوابها بكذا وهو مما علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله
بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون
في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي
عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة
واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك
فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورة بل فيما هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا للتعبير وتأكيدا
له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اولا اذ
لا يجحد الشرابي الى الآن يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اي يوسف للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع
مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله عز وجل قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو الشرابي ايثارا على النظم
الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك
وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى الحضور ما وصاه به لكنه ليس بوصف في
بدو وعليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور
على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله عز وجل ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ
عنه قوله عز وجل قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من
الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته
والقائه في قلبه اشتغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام
المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه تعالى كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عند الملك والاضافة
لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف ثم بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء الاخذ بالعزائم وقال الملك اني ارى اي رأيت وايثار صيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة كلئام في جمع لئيم ولئيمة يقال رجال كرام ونسوة
كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها
عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكنه عدل عن
القياس حملا على النقيض على الاخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة
ليست صالحة لذلك ولا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما نحو ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس
والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف
في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا

اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال
البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما يؤول اليه من
العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما
مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية
الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل
المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون
للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من
اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام
جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي
لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل
ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف
والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام
اي الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز
ان يكون ذلك اعترافا بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك
من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف
والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف
وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف وشؤونه التي شاهدها وتوصيته بتقريب رؤيا الملك
واستطال تأويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان
والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان يكون
معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار
بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمها مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة
انا انبئكم بتأويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون
اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه وقال يا يوسف
ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب
براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه
في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه
اولا نبئنا بتأويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة
وانه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلدان

لحال السجن نه انجاح كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من
الحال فتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما
اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعلمانى ولا من علمهم بذلك وربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال
يوسف عليه السلام في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا وقرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد
فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول ام
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين
على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك
على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر
ونواحيها ولعله استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين
للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون
في تلك السنين وفيه ارشاد منه لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذور لكون ذلك
معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد تمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال
ثم ياتي عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد
ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت
عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من حبوب المزروعة
في السنين السابقة وفيه تنبيه على ان امره بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال من الناس فيهن
مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل
من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام
لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق
فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال
اغاثنا الله اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم
ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب
اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مباد اخرى غير المطر واما لمراعاة
جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية
وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو
ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك
العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع
لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين
بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث

الناس

الناس وفيه يعصرون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما لتضمين اعصرت
معنى مطرت وتعديته بتعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان اصله اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك
ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير
اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله
لصاحبي السجن عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حسبما يشاركه في العلم
بوقوعها احد ولو بوجه ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من التعبير وظهر ائتوني
به كما علم من فضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك
على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب
فمن حقه ان يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض للمرأة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان
محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدقهن
بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن
له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء
قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن
اي شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه
وعلقتنه على اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته
ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة
وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او
ظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين
حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء
للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء
بسلمى نوءة ثم صمما والمعنى اني لجئ في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من
مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته عليه السلام في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه
الفتنة لمجلسة العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر
وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن
الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان
شهادتهن فتامل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت
به الخصماء واما تصديقه عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته مما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل بالعقد
كما ينبئ عنه قوله ذلك لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم

اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل
ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان
كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحملا لا محالة
ما قضاه فلا يليق بشانه عم في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او
المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله
اي وليعلم ان الله عز وجل لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا
للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضلون قول الذين كفروا اي يضلونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها
امانته وبه في خيانته امانة الله عز وجل حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عم ويجوز ان يكون ذلك
لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن
السوء قاله عم هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربأ بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور
كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا
لسره المكنون في شان افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى
طبعها من غير توفيق من الله عز وجل ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى
الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله عز وجل وعصمته ورحمته كما يفيده قوله
الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي وهي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت
رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة
ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من جريان مقتضى ذلك
وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز
والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ
نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما
رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون
تأنيه عم في خروج السجن لعدم رضاه بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته عم وانه انما حبس بظلم
عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني
به استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه
لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف عم
اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن
على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين
روي انه عم لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان
آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي حكاها

وبعث له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه
وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعبيره عم ما عين له من امر السنين كما ينبئ عنه
قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام
الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عم ولعل ايثاره عم لتلك الولاية خاصة انما كان
للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة
وجسوم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عم من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني
عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان
ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا
له مكانا وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره جل سلطانه من تشريفه عم والمبالغة في كمال ولايته
والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في
اربعين يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها
تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عم اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم
فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على
السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط
في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير
تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية
ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له
ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في
الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول في قوله
للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع
صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر
وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة
فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته
معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول
وتباين ما بين حاليه عم في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك او حسبان الظفار بعد له او استمرا في حالتي المجيء
والتعبير عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر
ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته
لهم ولعله عم انما قاله لما قيل من انهم سألوه عم حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا

به لا ما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند
ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخ لكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون
فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار
على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم
عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة تنسي عندها كل قيل
وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك
عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان
في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال
فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله ام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما اوعدهم
والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته ام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في رعاية مواجب العدل
واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه
ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم
كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له ام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في
انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين
او لقادرون عليه لا نتعايا به وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله تفضلا
عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله
لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم
لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان
ابتداؤها حينئذ قيد به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولاسيما عند اعواز البضاعة من اقوى
الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله ام لما يرى من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن التعليل المذكور
واما ان علته الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فقراره حسابهم
الخلائق في رحالهم نسيانا كما هو الظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل
الا ترى انهم كيف فهموا ذلك حين رأوها وجعلوها دليلا على التفضلات السابقة كما سيجيء فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار
مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه ام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل
بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا
وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم

ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة
توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه الى الاذن
والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة
الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا
حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة فالمعنى ما
ذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة في الحوائج وقد كانوا اخبروه
بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله هذه بضا
بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا
ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء
بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب
المزيد كما اشرنا اليه وقوله ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان
بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله ونمير
اهلنا اي نجلب الينا الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين
الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل
يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد
فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب
من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله كانهم
قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا
كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب ام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة
على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة
لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد عليه بفحوى الانكار واما نافية
فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة
اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك
من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي ونمير اهلنا عطف على ما نبغي
اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امثاله من خير اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه ويجوز
ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا ونشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان
ويجب ان اسعى وانت خبير بان شأن الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك
فلان ينطق بالحق والحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك وما نبغي
في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة
رأيهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت

منكم ما عاينت حتى تؤتوني موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود
مأذون فيه من جهته تع فهو اذن منه تع لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان
تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال
او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لا تأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا
حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز
الاول بلا تأويل ايضا اي لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان من الافعال
الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عم مقارنته على سبيل
البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال في قولك [illegible]
العام الاول الحصر فان مراده انما هو الاخبار بعدم منعه ما سوى حال الاحصار لا الاخبار بمقارنته لما عدا الاحوال
على سبيل البدل كما هو مراده في مثال الصلوة به فان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعهم منه فآل المعنى الى التاويل المذكور
فلما آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عم قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثناء طلب
الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته
وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تع وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما عزم على ارسالهم جميعا
يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة
وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى
فكانوا مئنة لان يتوكل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين ثابتة بقول النبي الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عم ان العين حق
وعنه عم ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وكان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام
رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب
متفرقة وكان دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال
وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا
بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء آخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا مما قضى
عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عم الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال
خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب
المنفعة من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا
الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب
الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقديم
الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله
لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم
الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب
المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه

ماكان

ما كان ذلك الدخول يغني عنهم فيما سيأتي عند وقوع ما وقع عليهم على الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت
الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي من الله من جهة من
شيء اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عم وعملوا بموجبه واثقين
بجدواه من فضل الله عز وجل فليس المراد سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الرأي كما في قولك
حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع
كونه مرجوا بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو
الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ايضا ذلك على ما ذكره عم في قضاء حيث وصية من انه لا يغني عنهم من الله
شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع
المتوقع فتأمل الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة وارادة كائنة في نفس يعقوب قضاها اي اظهرها و
وصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك
الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني
عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا
وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانه انكشف
بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه بتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان
الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من
الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة
على جلالة شأن يعقوب عم وعلو رتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني
عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ان الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف
المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي
انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم و
اجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم
فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف
يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عم
وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى فان الله تع قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك فعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لم يتعرف
اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي
انه عم قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان
انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته

لبنهاداي ركب بعد لبثه بكث معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به
وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت
اناء مستطيلا تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين
وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير هي الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تذهب وتجئ وقيل قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي انكم لسارقون [illegible]
يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امرهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون [illegible] ان كان
بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب او الاخوة [illegible] المؤذن بناء على
زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرئ اليماني سارقون بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية
من فاعل قالوا جئ بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم اي قالوا وقد اقبلوا الى المؤذن واصحابه ماذا تفقدون
اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمال ما ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار
الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا او على التعبير بذلك عن العدول عما عسى يوهمه [illegible] ماذا سرق منكم
لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالونهم
انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التاكيد
ولذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق [illegible] وقرئ صياع وصوع وصوع
بفتح الصاد وضمها وبالعين المعجمة والكل لغات وايثاره صيغة المبالغة ثم قالوا ترغيبا لما تلقوه من قبلهم وارادة انما يبتغي في
رحلهم اتفاقهم ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له [illegible] وعدلهم
بامتناع وجود الشرط وعمهم على ما لا يخفى من وجدانه في رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله
على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف
ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا
لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد المنفصد منها اي الفساد كان مما [illegible] فضلا عما
نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجئ للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ
الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا للوصف الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال نزاهتهم وبترتبه
لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم
دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما [illegible]
في الظلم تحاشيهم قالوا ان يصدر عنا افساد وكان مجيئنا لذلك مرتبا به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه بعنوانه [illegible]
بتلكم في كرتي مجيئنا ما كنا عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي انهم لما
مصر كموا افواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلم ذلك
انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الآخر
يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم
وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اي اصحاب يوسف ام فتيانه فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء

سرقة عندكم في شرعكم ان كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون
الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان
في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قطع العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا
كان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيفما كان فتأملوا [illegible]
على ما لاح لي رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك
حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبر على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للمضاف الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة
تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ
يوسف بعدما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة
روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا تترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه
على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدر
والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد
الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا المعنى بقوله عز وجل كدنا
ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله
تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله عز وجل ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل اي ما ذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه
بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه كما قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه كما قاله قتادة الآية لان جزاء
السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شرع يعقوب فلم يكن يتمكن بما صنعه
من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك
الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مبادئه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى
صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون العنصر المستفاد من تضاعيف الجور ماخوذا بالنسبة الى غيره
مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عن اخذ اخيه في دين الملك في ان
السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد وبين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك
الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك في حال من الاحوال الا حال مشيئتنا له
بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تغيير من
فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح علمناه دون بعض
من ذلك فحفظه وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ياخذ
اخاه لعلة من العلل او سبب من الاسباب الا لعلة مشيئته او الا بسبب مشيئته وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق
اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقيل معنى الاستثناء
الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد به ما علم من تغييره بالاتصال وارادة مطلق

ما يتدين به الا منه ومما جرت ... يفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ
اخيه ولم يتعلق المشية بجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشية
المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور رأسا وتجويز الانقطاع اي لكن اخذه بمشية الله تعالى واذنه
في دين غير دين الملك نرفع درجات عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات
والمفعول قوله من نشاء اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي
علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن التعليمين الاولين فالمراد برفع يوسف
عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او السطرية من ارشاده عليه السلام الى دستور الصواب في وصل اخيه وما يتوقف عليه من المقدمات الرائعة
للاستبقاء اخيه مما يتم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اصلاحه بدونه او ان
كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم يكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اصلاحه
بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده ...
ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر
قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به
من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان
وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل جودا وعلما والتعرض
لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وجل
وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالمراد عبارة عن ذلك التعليم والالقاء
وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ
الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله
نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف
برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم
هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله عز وجل والمعنى ان اخوة يوسف
كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه
الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز ان يكون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق
من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب
اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت
لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من
اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل ما اشاء به فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ
في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
فاسرها يوسف اي اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض من اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا

اي رتبة كبيرة

ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال
نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا
اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا
والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء
علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا اخذا مما شاهدوا من مخايل
اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما
ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا اي في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا
مكانه بدله فلعله عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا
الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها
وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار
بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من
سرق متاعنا للتحقيق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على
محمل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى
هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها
الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف عليه السلام
واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه
بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل
ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى
التناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله عز وجل وقربناه
نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في العقل وهو يهودا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به
فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله وكونه من الله
لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اي ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد
ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول الم
تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان
يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع
ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في
شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا
عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها

النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على معمول تعلموا اي ما قدمتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم
ان او الرفع على الابتداء فمما عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا
ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جاريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت
معقودة على ترك الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب
من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل
الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس
من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر
الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا
للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او وما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه
سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها
لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم
وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال اي يعقوب
وهو استيناف مبني على سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال
يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم الى ابيهم امر مسلم
غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم
صادقون في ذلك بل عما تضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او
فعل كأنه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق
بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف
بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال
يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضاف الى نفسه والالف بدل من الياء فناداها اي يا اسفا
تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء
عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما
واما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله عز وجل وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا
لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل
قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون
عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ
بنبأ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد
العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما

طمئنه بالله عز وجل ساعة فساعة وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود
والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده
على ملائه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه
قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا
مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه
بالكسر وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني
لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه
في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب
رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله فقال هو
حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه سيسجد له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل
من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته
اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي
يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب
نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط
في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا
بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر
المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف
المرام ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا
برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا وارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على حسن
صفة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة
القلب وحنوه على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل
على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوا كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم

ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يقول ما صنعوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع
الفعل عليهما فكان المراد بذلك افرادهما عن يوسف وادلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل نعيتم
عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد اللازم اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته
وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عم منقطعا
عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان لطف
بهم بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال
وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد
فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار فنجاه الله عز وجل وجعلت النار له بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله عز وجل واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه
من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان
رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وقيل
لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أإنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد
بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه
بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ
أئنك او انت يوسف على معنى أئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب
قال انا يوسف جواب عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه
وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم
ما فعلتم بنا من التضييع والاذلال وانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة
والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بانه اي لا اخوكم
فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق
عما يوجب سخط الله وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع
اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المحسنين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا
لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار
ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالة
كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب
بماء الوجه وقوله عز وجل اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم
الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفا عن جرمهم بما فعلوا من التوبة
وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرطنا فيك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا

مكتوب يعقوب عليه السلام

نبه على ان المحسن من جمع التقوى والصبر

ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ اتاه جبرئيل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
يكن بصيرا او يات الي بصيرا ويشهده قوله عز وجل واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن يتصل الاصل به جميعا من النساء والذراري
قيل ان يحمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر
الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه و
جاوز حيطانه وقرئ اذ انفصل العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق
بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهودا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب
لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما
افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهودا القاه اي
القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال
الم اقل لكم يعني قوله لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تياسوا من روح الله فالخطاب لبنيه
وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي انما هو العلم الذي اوتي يعقوب في حق الله سبحانه وعلى
هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله
عز وجل اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع
بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا
كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عم ولذلك اقتصروا على
استدعاء الاستغفار او ادرجوا في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل الى ان يستحل لهم
من يوسف عم او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل عم فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم
وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على
يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة
آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم وهو يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال عم السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف
يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال
بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى

ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه
اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب
عم تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التأويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما و
كانه ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط و
المكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه على العرش ولهم بمصر على السرير تكرمة لهما فوق ما له
لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وبابه خرور
وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها وقصصتها عليك من قبل
اي في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله الست
اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الخرور على العرش ليس نصا في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه
على وفق الترتيب الوقوعي فلعله اخره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعماله
الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله تعالى وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان
الخفي كما يؤذن به قوله عز وجل ان ربي لطيف لما يشاء ووجه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي غير هذا الاحسان اذ اخرجني
من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب صونا من تثريب لاخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خروا له سجدا
والاكتفاء بما يتضمنه قوله عز وجل وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان
حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من
الا وهو بالمشيئة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب
عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك
فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني
جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله
الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب
ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه
الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني من الملك اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار
الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عم فالتبعيض ظاهر واما ان اريد تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم
ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعلى في كونه نعمة من التعليم المذكور
وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن التشبث بهذا الاعتذار كما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة
الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو
ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادي او
منادى آخر ووصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري

في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد امن على نعم الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني بالصالحين
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانه تمام النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال ثم اتفقوا ان يضعوه في تابوت من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر
عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرايم وميشا ولافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى
عم ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان
بعث موسى عم ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته
او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذي لا يحوم حوله
احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب
صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم اي اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة
الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بها
لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عم في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل في مشاهد الكل ايضا وانما تخصيصه بالذكر
لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد
الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك
اذ عدم سماعك ذلك الخبر وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر
حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فانهم يشكون في ذلك حتى صح شككهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من
النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا
بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة
ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم
على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها
على موافقة التورية فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه اي على الانباء او على القرآن من
اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله عز وجل للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم
وكاين من اية اي كم من عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير
احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اي يشاهدونها ولا يعبؤون
بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف
عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم
عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم
مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم

او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه
سبيلي وهي الدعوة الي التوحيد والايمان والاخلاص وفسرها بقوله ادعوا الي الله علي بصيرة اي بيان وحجة واضحة
غير عمياء او هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد للمستكن في ادعوا او علي بصيرة لانه
حال منه او مبتدا خبره علي بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين منكرا لما سبق من الدعوة
الي الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملئكة نوحي اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالياء
من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اي
ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فتستعملوا عقولكم
لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء علي انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل غاية المحذوف
دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن
النصر في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا جاءهم نصرنا وعن ابن عباس رضه وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد
بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو
ترجح احد الجانبين علي الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء وهم هم ومنزلتهم من الله
سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم
فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف علي بناء الفاعل علي ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما
منهم ولم يروا له اثرا او علي ان الاول للقوم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي علي لفظ المستقبل
بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن يتعلق بهم المشية
لقد كان في قصصهم اي قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرا بكسر القاف او قصص يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الف الحس ما كان اي القرآن المدلول عليه بما سبق
دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع علي انه خبر مبتدا
محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو
يستند الي القرآن بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي
لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة
ان لا يحسد مسلما والحمد لله وحده بلغت الكتابة الغاية من نسخة كتبها المصنف بقلمه [illegible] يوم الاحد السابع عشر من شهر ... الاول

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع علي الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله عز وجل تلك علي الوجه الاول
مبتدا مستقل وعلي الوجه الثاني مبتدا ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام
نحو اقرا او اذكر فتلك مبتدا كما اذا جعل المر مسرودا علي نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى علي ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما والخبر علي التقادير قوله عز وجل آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف المعروف
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل حينئذ حسبما
في مطلع سورة يونس ام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات
بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست تلك المثابة من الشهرة
في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف علي انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الي كل واحد
وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي تم تفصيله في سورة يوسف والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور
بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها
وليس فيه ما يدل علي ان ما عداه ليس بحق اصلا علي ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا
لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية
مضافا الي ضميره عم من الدلالة علي فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الي وجه
بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم
متعلق بعنوان حقيته لانه المرجح للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد علي طريقة الوصف دون
الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن مرتفعات علي طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه
رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجلالة مبتدا وخبره قوله وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب
واهب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي ادعمته وقرئ عمد علي جمع عمود وبمعنى عماد كرسل ورسول او اريد
صيغة الجمع لجمع السموات لا لان للمنفي عن كل واحدة منها عمدا لا عمادا وخفاء الاستئناف المستشهد به علي ما ذكر
رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جي بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى اي استولى
علي العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء علي العرش صفة لله تعالى بلا كيف
والمراد ما قلنا المراد به القصد الي ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الي جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر
ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منها لاجل مسمى لمدة
معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم علي مدار معين من المدارات اليومية او لاجل
ينتهي فيها وكانها ويخرج جميع ما اريد منها من القوة الي الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما
يدبر بما صنعه من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق
كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة علي كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من
الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات
علي موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء
واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري
لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جي به للدلالة علي تحقق الخبر

وتعظيم شأنه كما في قوله عز وجل أن الذي سمك السما بنى لنا بنيا ودحايه او اطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم
على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فإن من تدبرها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع
البديعة على كل شيء قدير وأن لهذه التدبيرات المتقنة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على ألسنة الأنبياء
عليهم السلام أن ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فإذن لا بد من الإيقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية أردفها بذكر
الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الأرض أي بسطها طولا وعرضا قال الأصم المد هو البسط إلى ما لا يدرك
منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت في أحيازها من الرسو وهو ثبات
الأجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلك وانحصار مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك
ونواكس إنما هو في صفات العقلاء وأما في غيرهم فلا يرد على ذلك أصلا كما في قوله تعالى وجبال بأمعدودات وقوله الحج أشهر
معلومات إلى غير ذلك فلا حاجة إلى أن يجعل مفردها صفة لجمع القلة أعني أجبلا ويعتبر في جمع الكثرة أعني جبالا انتظامها لطائفة
من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على أنه لا مجال لذلك فإن جمعية كل من صيغتي الجمعين إنما هي باعتبار الأفراد
التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للأفراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منها جمع جبل لا أن جبالا جمع أجبل كما أن طوائف جمع طائفة
ولا إلى أن يلتجأ إلى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الأسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على أنه لا وجه له لأن الغلبة إنما هي في الجمع
دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الأرض على ثباتها وأنهارا جاري واسعة والمراد ما يجري فيها
من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك مفعولية فعل واحد إشارة إلى أن الجبال منشأ للأنهار وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة
للأرض عن الاضطراب المخل بثبات الأقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلا ومن كل
الثمرات متعلق بجعل في قوله عز وجل جعل فيها زوجين اثنين أي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر
أكد به زوجين لئلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان إذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية أي جعل
كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين إما في اللون كالأبيض والأسود أو في الطعم كالحلو والحامض
أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالحار والبارد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الأول ويكون الثاني
استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بواسطة
بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية أي يستر النهار بالليل والتركيب وإن احتمل العكس أيضا يحمل على تقديم المفعول
الثاني على الأول فإن ضوء النهار الضيا ساتر لظلمة الليل إلا أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف
الآيات السفلية وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ظهوره في الأرض فإن الليل إنما هو ظلها وفيما هو
فوق ظلها لا ليل أصلا ولأن الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والإنضاج على أنهما أيضا زوجان متقابلان
مثلها وقرئ يغشي من التغشية إن في ذلك أي فيما ذكر من مد الأرض وإيتادها بالرواسي وإجراء الأنهار وخلق الثمرات
وإغشاء الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار إليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار تلك الأفاعيل
البديعة جلت حكمة صانعها منبئة على معناها فإن تلك الآثار مستوية في تلك الأفاعيل منوطة بها ويجوز أن يشار
بذلك إلى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الأفاعيل فهي آيات لقوم يتفكرون فإن التفكر فيها يؤدي إلى الحكم
بأن تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائع والأسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء
ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الأرض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات
أي بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف من طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة إلى غير ذلك متجاو

متجاورات أي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات أي جعل في الأرض قطعا وجنات من أعناب
أي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من أنواع الحبوب وأفراده لمراعاة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه
عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخيره في قوله عز وجل ونخيل لئلا يقع
بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي
لها رأسان وأصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر
على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك
القطع بما لها من الأحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الأرض ودحاها للإيماء إلى
كون تلك الأحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على أعناب أو جنات يسقى أي ما
ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة للفظ والأول أوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حكم
السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الأمطار أو بماء الأنهار ونفضل مع اتحاد أسباب
التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض في الأكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء
على البناء للفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى البناء للمفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم
احتمال استناد الفعل إلى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل إن في ذلك الذي فصل من أحوال
القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال
العجيبة لا يتلعثم في الجزم بأن من قدر على إبداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم
والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبداه بل هي أهون في
القياس وهذه الأحوال وإن كانت هي الآيات أنفسها لا أنها فيها إلا أنه قد جرد عنها أمثالها مبالغة
في كونها آية ففيه تجريد مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو المشار إليه الأحوال الكلية والآيات أفرادها الحادثة شيئا
فشيئا في الأزمنة وآحادها الواقعة في الأقطار والأمكنة المشاهدة لأهلها فتجري على معناها وحيث كانت
دلالة هذه الأحوال على مدلولها أظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لتفضيل
بعضها على بعض في الطعام لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات أيضا وفيه تعريض بأن
المشركين غير عاقل وإن تعجب يا محمد من شيء فعجب لا أعجب منه حقيق بأن يقصر عليه التعجب قولهم بعد
مشاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء قدير أئذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام
الإنكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على أنه بعض
المقول أو في محل النصب على المفعولية منه على أنه مصدر فالتعجب على الأول بكلامهم وعلى الثاني بتكلمهم بذلك
والعامل في إذا ما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو نعاد وتقديم الظرف لتقوية الإنكار
بالبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد الإنكار وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين
في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بصدد ذلك واستعداده وفيه من الدلالة على
عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث فعجب قولهم والمآل وإن تعجب
فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وإن تعجب من إنكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتأمل وقد جوز
كون الخطاب لكل من يصلح له أي إن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فازدد

تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة سؤالا او
وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا المفيد للتعجيل من اول الامر بكون قولهم ذاك اعجب او عجبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا
بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول ان
فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ربما عاينوا
ما فصل من الآيات الملجئة لهم الى الايمان به لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم
لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدا خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى
خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بتحقيق المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين
كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت
من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة
لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع
ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة
العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع
الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف للمثلات
والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي
ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا
ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال
وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون
ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا
ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة
والا فهي ادنى آية اوتيت عليه عليه السلام تخبئة وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء
عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل
ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزيادة والقائهم بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات
بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكمة لا يعلمها الا الله
عز وجل او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله عز وجل وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم واصرارهم
للآيات المنزل عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح
تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته
على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل
كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعائد
بلا واسطة او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او

مصدرية

فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل
والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي
العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في
قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها
وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يكاد يجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث
من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه
والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود
والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما
بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح
وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل
شيء بقدرته المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب خلقه
ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق
بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن
هو مستخف مبالغ في الاخفاء كانه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد
بالنهار من سرب سربا اي برز وهو عطف على من هو مستخف ومن هو عبارة عن الاثنين كما في قوله تعال فان عاهدتني
لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء
وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به او الى الفاعل
من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فطانة في التعلق بالخفيات اقدم منه
بالظواهر والا فنسبة الى الكل سواء له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات
ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله
وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه
او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة
والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها
واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه
دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة والاقتراح الآيات
قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من
الصواعق وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق النقد والمطموع فيه

الزرع المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراس ويأباه الترتيب اللهم الا ان
يتكلف ما اشير اليه من الخوف عليه عتيد والطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدر اي فتخافون وتطمعون طمعا او
على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل وانما جعل المعلل هي الاراءة التي
تتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة • وحلت بيوتي في يفاع ممنع • تخال به راعي الحمولة طائرا • حذارا على ان لا تنال مقادتي
ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا • اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في موقع العلة الغائية لاسيما الخوف لا يصلح
علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم
جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح
الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله
لهم على ذلك • او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك • وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله عز وجل ليس بملك والملائكة اي ويسبح الملائكة من خيفته من
هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي
الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق ونحو النقض الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب
واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة
من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال قدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين
او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اي
الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله اي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون
من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله عز وجل هو الذي
يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الآية واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله
تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث فكيف يعطف
ما بعده على ما قبله وقيل الجملة حالية اي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا
لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله عليه السلام يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب
رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا عليه السلام
فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عز وجل فلم يقدر
على سله وجعل عامر يومئ اليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد
صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه
وركب فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه
يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في

الوقت

في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم اجراه
حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب او من فضة ام من
نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا اكفر قلبا ولا اعتى
على الله عز وجل فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجاد بالمقالة الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروه
بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة
فاحرقت الكافر وجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا
اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال اي المماحلة والمكابرة والمكايدة لاعدائه من محل به
اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل المحال من
الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون
بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اي الدعوة
الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصه به وكونه بمعزل من شائبة البطلان
والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام من كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة والاولى هو الاول
لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر من الله تعالى
اجابة لدعوة رسول الله عليه السلام عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله
عليه السلام بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد
من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة
كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون
ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول
وجودا وعدما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من
بسط كفيه الى الماء كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف • اي لم يدع فلم يبق الا مسحت
او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا
لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم
حصول دعائهم آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد
الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم
والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة
كائنة في هذه الصورة التي يستحيل فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون
بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد
يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض
من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الظل

لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاءوا او ابوا وعلام مداخله حكم عبرة بل عن
حكمه فيه في تلك الشئون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي ينقاد له في ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئة
وتتأتى لارادته في الامتداد والتقاصر والفيء والزوال بالغدو والاصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقضي في جميع قضاة
والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال
اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين ولا يبعد ان يتجلى الله عز وجل في الظلال انها ما عقول لها فتسجد لله عز وجل كما خلقها للجمال في الشغلت
بالتسبيح ويظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها
وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله عز وجل لانه يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة
الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل له في
الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالكره
مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه يتبين ذلك بقوله عز وجل قل من رب
السموات والارض فان لتحقق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله قل الله امر بالجواب
من قبله واشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لابد لهم من ذلك
كانه قيل احك اعترافهم تبكيتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او بلقنهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم
لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره قل افاتخذتم لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك
لا للانكار الوقوعي كما في قوله اضرب اباك والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الذي ينقاد لامره
من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا
عن القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا
قدر للمعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ان علمتم
ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه كما
في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء هنا بعدم المالكية للنفع
والضر لشرح الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما يقوي الانكار
المذكور ويؤكد انكاره قل تصوير لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل
بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني الى المعبود العالم
بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ يستوي
بالياء وما دل عليه النظم الكريم على ان الكفرة فيما ضلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض وخطاء
بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان يكون
منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار وانما جعل ذلك صفة
لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك

قالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء
ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق
كل شيء كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية
القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد
والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة
الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي نباته فيها مع كونه ممدا لحياتها
الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر
عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس
وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة
وسائر الفلزات التي يتخذ منها انواع الآلات والادوات ويبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة
لقصور نظرهم بما يظهر فيها من غير مداخلة له فيها واخلال بصفائها من الزبد الرابي فوقها المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء
اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار
لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو موضع بين جبال وتلال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية
قالوا ووجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب
واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها
الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر فايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها
وشأن ما مثل بها كما انبأ عنه بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها
المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل
الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها
بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين
فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله رابيا
اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين
ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يعملون
الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع
اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني
والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله اي مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا
فوقه فقوله زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه
بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه تهاون
على سنن الكبرياء باظهار التهاون به في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه

وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل
ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك كذلك
ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائعة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن
كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك
الى وجوه المماثلة على ابدع وجه وآنقه حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض
ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للقصد من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل
فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء
الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى
العيون والقنى والآبار واما الفلز فيصاغ بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع
بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي
المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملازمة بين حالتي الذهاب
والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اي مثل
ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم
لهذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما
جميعا وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة
ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف
ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس
وابراز لاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا
بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض
اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والظرف
كما هي خبره لكن لا على ان الحسنى موضع التسوية ولو كانت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة
فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا التسوية كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل
من القيام مقام التسوية مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام واما الواقع في تلك المقابلة
سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه
الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة
ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له
لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن
المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين ما يؤدي اليه ذلك فقيل وماواهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تابيد لتفسير
الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا
لربهم متعلقة بيضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة

الحسنى وقوله للذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما
اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما
مثل الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان استعمال
المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين
آمنوا امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير للموصول الكلام ليس مثل الفريقين
بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهما ايضا افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه
هو الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده وهو بنار على علم ولا يقدر
قدره وهو في العمى وآب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب من
الامثال اي لا يكون ذلك الا انه ابرز بزيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار
الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين حال
كل فريق من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما
من التفاوت والتنائي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبرأة من متابعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما
وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد
للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع
الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من
الهر والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكرنا فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الافعال
والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة
وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ذلك من الصلات السابقة واللاحقة اورد
على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في النفس الصلات كما في عدا
الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر
في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها وجريها على موجبها
غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه
سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه والتطوع لمن لم ينعه المروة من اخفائه ظاهرا وعلانية
لمن لم يكن كذلك او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن
الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا
بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات
الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله عز وجل لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة

وقيل بجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة
ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول بالحسنى العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استئناف
لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح
من ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في الذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الاقامة صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع ابوي
كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ
للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو
دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل
احتمالكم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات
السابقة لما ذكرناه من ان له دخلا في كل منها وخرية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها
لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور
الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله
عليهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض
صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما وثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
من الايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة
المؤمنين وغير ذلك مما لا يحيط به الوصف من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية
والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر
تحققه في ضمن الحسنات المعدودة لبعض معتد به فلا وجه لنفيه عمن هذه حاله وبين حسناتها بعد انتفاء جميع الاوصاف
لنفي الصلوة والزكوة مما لا يحوم حول اصل الايمان بالله عز وجل فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق
التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله عز وجل بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم بحكم
مما سبق والحمد فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد بداء
حسبما يحكيه قوله عز وجل ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه
مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي يبتني عليها
قوله تعالى اولئك الخ اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اي
الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها
دارهم لان ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل في ذلك على الكلام
التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء

عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال
ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر بعض
الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما
في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير
ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته وربما يبسطه للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة
لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله سبحانه وتعالى
بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة اي في جنب نعيم الآخرة الا
متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال
ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة
على الاضمار مع ظهور ارادتهم لعيب ذكرهم بالحيوة الدنيا ذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل
عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى غايات المكابرة والعناد كأن ما انزل عليه من الآيات العظام الباهرة
ليس باية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر
في جوابه بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلال مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف
اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة
والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي
الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف
من اناب اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما انزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير
وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار
بادعاء الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي
للايماء الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة
حسب استمرار تعاميهم الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور
كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صاروا امرهم الى الايمان كما في قوله عز وجل
هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين
آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا
ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول
الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن
القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وبذلك ظهر ان سائر المعجزات فالقصر من
جهة الغالب في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بما انه القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها
كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة بهواء حيث لم يطمئنوا
بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب
من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به

وتسكن اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف
بدل الكل حسبما ترى اليه اي قلوب الذين آمنوا او خبر ثاني اي ان الانسان انما هو العقب او مبتدا وخبره جملة الدعائية على
التأويل المعنى بقوله طوبى لهم او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ مكسورة الطاء اي طيبى ليسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها
النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك بدل على ذلك القراءة في قوله
عز وجل وحسن مآب بالنصب والرفع واللام للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال
العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل
اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المفعول
من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله عز وجل ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها
له عند وروده عليها وهم وحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول
الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا
قدره ولم يشكروا نعمه لاسيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي
في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي
ومبلغي الى مراتب الكمال وافراده قبل قوله تعالى لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة
منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو
الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم
لا على احد سواه واليه خاصة متاب توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها
عند الله عز وجل وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه حيث امر بها وهو منزه عن شائبة
اقتراف ما يوجبها من الذنب فان تحل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق
الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان
والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق النظم الكريم اليه كما سيتلقفه السامع من الثاني والمقصود
اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا
غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على
الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى
عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة
او كلم به الموتى بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى
في الانطواء على عجائب آثار قدرته تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها
بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فرض العقول اليها تحل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور على الموصوف
الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرفة مترقبة

او هو داخل تحت الامر

بلي المؤخر

الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان
متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم
اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل
خارق وابانة لركاكة رأيهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها
هو القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شان القرآن ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر
الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية
من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن
لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله بل الى ما يؤدي اليه
من كون الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم
يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف
على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله عز وجل فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان وتخفيف ان لهدى
الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او اعلموا كون الامر
جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف بعد المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني
عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار وقوع كما في قوله عز وجل الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع
كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية بل عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها
كانه قيل الم يعلموا ان الله عز وجل لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا
من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي ليس لهم
ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد
عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى اجتهدوا ظهور
معجزة لانهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد
المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى اتأتون
ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله عز وجل ان لو يشاء الله اما متعلق بمحذوف اي افلم
ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا
اي افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون
الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار يأسهم
قيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع
لنا وتتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر
لنا الريح كما سخرت لسليمان لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا قصيا او
ممن مات من آبائنا فنزلت ومعنى تقطيع الارض قطعها بالسير والحاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة

اي اصلا على ان الاسناد الاستفهام من صيغة الاستقبال ...
الذي يبنى ... لو الامتناعية لان النفي ...
... في سورة ...
قاله الواحدي

الى القرآن لما اجتمع اليه ع الوحيين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو
بالحقيقة دال على جوابه والتقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن
والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا
اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم
على الموصول من علية الصلة لمع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما
كان يصيبهم من انواع البلايا والمصايب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من
ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم آثر ذي اثير او تحل تلك
القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم
فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله اي
موتهم او القيامة فان كلا منها وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة
وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تع ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد
والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله عز وجل وقال ابن عباس رضه اراد بالقارعة السرايا
التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة
والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تع او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول ع م واردا به حلوله بالحديبية
والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين
كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله ع م عما لقي من المشركين
من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد
قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملي
لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى
افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء
من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك وادخال الفاء لتوجيه
الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فصل من احوال المستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر
كله لله ع وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تع ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كانه قيل االامر
كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة
على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك افلم تعلم الحق فلا تعمل به الا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلمه
فلا تعمل به وقوله تع وجعلوا لله شركاء جملة مستانفة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه صفاته كما ليس
كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شأنه لم يوحدوه
وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة
مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تع قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي
سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي

اي بل اتنبئونه بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تع ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم بشركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي
كافورا كقوله تع ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة
عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما
لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق
من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس او من صد صدودا ومن
يضلل الله اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما يصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك
بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية
مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف
عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تع تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من
الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف
موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الآية اكلها ثمرها دائم اي لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا
تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى
من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التورية والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله ع م بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما
من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك
انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم
فانهم الصائرون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فيكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال
ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم ورد الانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء
او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله عز وجل لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم
انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء
والكتب على ذلك كقوله تع قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به
اليه الى الله عز وجل خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره
او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه اي الى الله
وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام
بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة
ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك حكما

النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه
قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لعنوان
مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى
ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار
على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض
لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن
اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك
من العلم العظيم الشان الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات
من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة
من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على
العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من
ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين
واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالازواج والاولاد كما كانوا يقولون
ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه
وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام
والالتفات لما مر مرارا ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات
كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضيته ذلك
ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات
يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله
غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما
لا يتعلق به جزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو
الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال
ابن عمر وابن مسعود رضه والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والاولى
تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب
اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من ذاهب وثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان
نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة الحق النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب
عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار
وفي ايراد البعض رمز الى اراءة الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمون ما لوحنا به من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة
بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة

فلا تهتم

فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب
نفسه عم بطلوع تباشيره فقال أولم يروا الاستفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام في ذلك اي ألم ينظروا ولم يروا
انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها
اهلها بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز وجل أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون
وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء المحتوم والاستيلاء
العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم
للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة
وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية
جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله عز وجل لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل
نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله
وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بانواع العذاب بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء
حسبما يرى وقال ابن عباس رضه سريع الانتقام وقد مكر الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة بانبيائهم والمؤمنين
كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود في الحقيقة لمكرهم ذلك
اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله عز وجل فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة
عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم
مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه
وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان
المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله
المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون
حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه
لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به
حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة
المجهول من الاعلام اي سينبأ ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال
لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر
ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي
كفى بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التأييد وبالذي
يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول

ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله أعلم انتهت الكتابة إلى هنا من نسخة المؤلف يوم الثلاث والعشرين

سورة إبراهيم عليه السلام مكية وهي إحدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله عين ما مر في نظائره وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ أو لمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبر المبتدأ المحذوف
أو مسرودا على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله عز وجل أنزلناه إليك صفة له
لتخرج الناس متعلق بأنزلناه أي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز
وجل الكاشفة عن العقائد وقرئ ليخرج الناس من الظلمات أي ليخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال
التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة بحتة إلى النور إلى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فإنك لا تهدي
من أحببت بل بإذن ربهم أي بتيسيره وتوفيقه والإنباء عن كون ذلك منوطا بإقبالهم إلى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي
إليه من أناب استعير له الإذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية
التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كماله المتوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الإنزال لإخراجهم جميعا وعدم
تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج أو بمضمر وقع حالا من
مفعوله أي ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه إضافة الرب إليهم لا إليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وإيضاحه
لغيره موصلا إلى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط أخرى فقيل إلى صراط العزيز الحميد على وجه الإبدال بتكرير العامل كما في قوله
عز وجل للذين استضعفوا لمن آمن منهم وإخلال البدل بالبيان بالاستعارة إنما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله تعالى حتى يتبين
لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وإضافة
الصراط إليه تعالى لأنه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة الحميدة
الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بحق كالنجم والثريا وقرئ بالرفع على هو الله أي العزيز الحميد
الذي أضيف إليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الأرض أي ما وجد فيهما داخلا فيهما أو خارجا عنهما
متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي وفيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط وإظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة ويجوز
الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا بمعناه المقصود عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب
ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها
للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين
يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا أي يؤثرونها فإن المؤثر
للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره على الآخرة أي الحياة الآخرة الأبدية ويصدون
الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم
الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من أصد المنقول من صد صدودا إذا نكب وهو غير فصيح كأوقف فإن
في صده ووقفه مندوحة عن تكلف النقل ويبغونها أي يبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير أي يطلبون لها
عوجا أي زيغا واعوجاجا وهو أبعد شيء منها أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة

وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات جر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فإن كل وصف من أوصافهم بإزاء
ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بإزاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الفانية المفصحة عن
وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى أو
النصب على الذم أو الرفع على الابتداء وخبره قوله عز وجل أولئك في ضلال بعيد وهو على الأول جملة مستأنفة وقعت
معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبائح
المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه
بمعزل في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وإن كان من أحوال الضال
إلا أنه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد
فإن الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى
من المبالغة وما أرسلنا أي في الأمم الخالية من قبلك كما سيذكر إجمالا من رسول إلا ملتبسا بلسان قومه
متكلما بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أو إليهم وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما أمروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة إلى
الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن إعادة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين لعموم بعثته
الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد ألسنة الأمم أدعى إلى التنازع
واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين
واتفاق الجميع فيه أمر قريب من المحال وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المبني على [illegible]
الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على أن الحاجة إلى الترجمة تتضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل
وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وإنما تم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا واحدا أو متعددا وفيه من التعذر
ما ينادي بالامتناع ثم لما كان أشرف الأقوام وأولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب
المبين بلسان عربي مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه تعالى أنزل الكتب كلها
عربية ثم ترجمها جبريل أو كل من نزل عليه من الأنبياء إلى لغة من نزل عليهم ويرده قوله عز وجل ليبين لهم فإنه ضمير القوم
وظاهر أن جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي رجعه للقوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قوم كل
رسول لقومه الذين أرسل إليهم بالآيات من التكلف فيضل الله من يشاء إضلاله أي يخلق فيه الضلال لمباشرة أسبابه المؤدية
إليه أو يخذله ولا يلطف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الألطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الألطاف من يشاء هدايته لما فيه
من الإنابة والإقبال إلى الحق والالتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما
وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفجرت كأنه قيل فبينوه لهم فأضل
الله منهم من شاء إضلاله لما يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للإيذان بأن مسارعة كل رسول
إلى ما أمر به وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سننه أمر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على
الهداية إما لأنه إبقاء ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو للمبالغة في بيان أن لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل
وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته عز وجل بإيهام أن ترتب الضلالة على ذلك أسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما

سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله عز وجل وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل
شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية و
الارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج
قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك فان صيغ الافعال
في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات
من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده
وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا ابتداء بل في تضاعيف
على من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية
على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة
شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير التكلم اي عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها
اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير لكل من السراء والضراء
مما وقع عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في نوع تلك النعماء والبلاء او في ايامهما
لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله عز وجل وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها
انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية
ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء وان اريد المجموع المشتمل عليه من حيث هو مجموع او كلمة
في تجريدية مثلها في قوله عز وجل لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار
بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر والايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه
تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من
النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر والايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية
عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر
اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا
اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف
متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم
وكذا كلمة اذ في قوله اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمته
مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد
به جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر
ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد

وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن
عنهم من قضاء الله تعالى شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء
والجملة حال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة
بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تدبيره نسبة الى الله عز وجل
اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء
بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء
او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا
نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف
المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان
هذا التأذن ايضا نعمة من الله عز وجل عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضه واذ قال ربكم لئن
ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه
من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث
مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة
الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة
ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في لئن
موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او لقول
مقدر بعده كأنه قيل واذ تأذن ربكم فقال وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن
في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه
وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل
كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى غني عن
شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب
ولا التعريض بالترهيب او قاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز وجل تحقيقا للمضمون وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب
بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم لتتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمنين
والكافرين فتقلعوا عما انتم عليه من الشر وتنيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي عليه السلام
فيختص تذكير موسى عليه السلام بما خص بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا
لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه السلام بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو
قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي
من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ و
لا يعلمهم الا الله خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله تعالى وعن ابن عباس رضه بين عدنان
واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الا

وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات
الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك
الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعنى قولهم انا كفرنا الخ تنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق
والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة
رسالاتهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او عضوها غيظا وضجرا مما
جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا
للانبياء واشارة لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء
في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الخ وقيل الايادي بمعنى الاياد جمع يد بمعنى النعمة اي مواعظهم
ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها حيث جاءت وانا لفي
شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من
البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها وجعلوها من جنس المحالات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان
مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم
اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فقيل
انهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار
ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك متفادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في
ريب من الله عز وجل مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي في شانه سبحانه
من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما هو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله
في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك
لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار
بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام
انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على
الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ وان العامل
ليس باجنبي من الصفة وقد جوز ذلك يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه
قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم اي بعضها وهو
ما عدا المظالم مما بينهم وبينه عز وجل فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القران في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة
بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين
مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بالايمان من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله عز وجل وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استئناف كما
سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر
حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي انتم تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد
ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله عز وجل عما كان يعبد اباؤنا اي عن عبادة ما استمر على عبادته اباؤنا من غير

شيء يوجبه والا فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله عز وجل فاتونا بسلطان مبين يدل
على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا
اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة
وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة
معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله
سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة
على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله عز وجل يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير
داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس اي ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت
جنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات على من يشاء المن بها وما يشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها
وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان اي ما صح
وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب
الا باذن الله فانه امر متعلق بمشيئته ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل
المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا ترى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي
عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ
بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا
اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب
القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما
اذيتمونا بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت
المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال
الذين كفروا لرسلهم لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الطاغية التي
نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من
من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل وعنادهم الحق بعدما راوا البينات الفائتة للحصر
حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين
والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسياتي في الكهف
فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم
عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف
مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله و

وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله
والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموه وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تع ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم
سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم
ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا
عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى الحرمان دون الحرمان عن المطلوب
او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا لان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم خيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد
وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي
بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عليك
ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه
المعهودة صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف
بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها دل على انه من اشد انواعه يتجرعه
قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي
يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه
فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى
بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول النفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل
لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا
ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من
اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما
من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت
عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار
وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى
عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم
وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول والجملة استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق
الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم
الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف
اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما الساكر ريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها
على غير اساس من معرفة الله عز وجل والايمان به والتوجه بها اليه تع برماد طيرته الريح العاصفة او مبتدأ خبره محذوف كما
رأى سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم

وكيف سوا اريد صنائعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة
مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو
فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم
انها شفعاء لهم عند الله تع وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو
الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل
لكل احد من الكفرة لقوله تع يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله عز وجل ان الله خلق السموات والارض ساد مسد
مفعوليها اي الم تعلم انه عز وجل خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات
والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب
قدرته تع على ذلك على قدرته عز وجل على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر
على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان
بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عذابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله تع ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه لا مضي ولا استقبال منه اليه
والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله عز وجل ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش
سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف
والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا والرؤساء الذين استتبعوهم
واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب جمع غائب
او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع
للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال
والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله عز وجل ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء
هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا
بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تع فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي
اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن
سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع
والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما في قوله عز وجل سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوا
ونسبوا الاستواء فيهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلامهم انهم شركاء لهم فيما ابتلوا
وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله عز وجل سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تع ذلك ليعلم اني لم اخنه
ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم
فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك
فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت

والمحيص أو مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مقررة لاحتمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب أو حال مؤكدة او بدل منه
وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عتبا به قالة الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ
منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه
ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن
كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله عز وجل فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي
نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان
اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويلي وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه
في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان
اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني
بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد
تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه
بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون
لقدرته الكاسبة التي يدور عليها فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب
السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم
عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مذهب الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم
بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا
مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا
منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء
اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا
وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت ذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم
فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم عليه السلام بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل
كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة
سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له
حتى يحتاج الى التعليل ولا الى تعليل عدم اصراخهم بكونه بوجه انهم يحصل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم
عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم
والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام
اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وعلق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب

صاحب الكشاف

الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة
حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها الا انه تعبير بالمثل في الحاصل
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا و
كشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني
مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض
وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بما يليه اعني قوله عز وجل
وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة
في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بالصور
المحسوسة ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي
كمثل شجرة خبيثة هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك
غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من
فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
وهذا مثال ايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرنا ابو القاسم بن حبيب في سنة
ثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن الخياط يقول سمعت سهل بن العمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هارون
في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان غلاظ فقالا من ربك وما دينك ومن
نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا و
ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة
بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي
فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات
الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا المخلصون في الايمان الراسخون في
الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لدى الايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة
المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال بعض آخر من غير ان حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية
لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت بين مبدأي
التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين

بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا
مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته
وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر
وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين ولعلهما
بناء على ان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض
لحلولهم للدلالة على الاحلال عليه اذ هو في الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك
وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها
مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك
بالقتل والاسر لكن قوله عز وجل قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ينبئ بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم
اي بئس القرار جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا
وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد
القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يتابعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي
هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم
بها باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجب وتكريره والايذان بان كل واحد من قبائح
الكفر موضع التعجب واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقتضي منه التعجب ولو سيق النظم على نسق الوجود
لربما فهم التعجب من مجموع الصفات الثلث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا
لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية
قل تمتعوا لاولئك الضالين المضلين وعيدا عليهم وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل
عدم ارعوائهم عن ذلك بحال لا صفاء بان يضرب عنهم صفحا او يعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل
يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات
التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من
تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا
قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تمتعوا اجمالهم و
تعبيرا عما يجبهم في ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
مأمورون بذلك من جنب آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كالمأمور الساعي في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى
فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم
الى النار وفيه التهديد والوعيد ما لا يخفى قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا
والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا
على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوز ان يكون
المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس

اذا ما خطف من الاعراب الا ان لا ان جعل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منصوبان
على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به
واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون
اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد
المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه ونفاذه
ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بمال يفتدي به نفسه او من قبل
ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بما يتحقق فيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك واما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه
الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان ذلك
فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع
بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يتضمن عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان
ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره
الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون
تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات
كما في قوله عز وجل واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك
باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيهما
من انواع المخلوقات كما ذكر الطاغين لنعم الله عز وجل وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا
لنعمه شرع في تفصيل ما يوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام
حثا للمؤمنين عليها وتوبيخا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل
والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات
وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب
فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر
النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن
ابتدائية ماء اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او للتشويق كما في قولك اعطاه
السلطان من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر اما لان صيغ الجموع
يتقارب بعضها موضع بعض واما لانه اريد بها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم
تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم
الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله
عز وجل فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم
ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا واخراج الثمرات وان كان بمشيئته عز
وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من التراب او الماء المودع في الماء قوة
فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعها انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما

ابدع نفوس الاسباب لذلك مما اكن له شيء في انشائهما متدرجا من طور الى طور وصنايع وحكما تحار دونها اولي الابصار تحيرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم
وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر حيثما توجهتم بامره بارادته
بمشيئته التي يحار بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يترائى من
ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عقيب البحر فتسخيرها جعلها
معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها
نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما
لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها
ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها بشأنها وتنبيها على رتبتها
مطالبها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار
والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاستعارة بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال
ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لما ان
ذكر ما يتعلق بالارض مستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك
والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما وقع في قصة البقرة
وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينوط به انتظام احوالكم على
الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير
كقولك فلان يعلم كل شيء وآتاه كل الناس وعليه قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم
من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية والجملة في محل
النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا بالخصوص لا تحصوها لا تطيقوا
بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ
بها ففيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس
وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس منغمسا باصناف العنا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأمله
الفينة متقلب في نعم لا تحصى ومنن لا تستقصى ولا تعد كأنه قد اعطي كل ساعة وآن من النعم ما حواه حيطة الامكان وان كنت
في ريب من ذلك فقدر انه ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت
لهيبته رقاب العتاة وحاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير مزاحمة احد ولا سهم
يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من بحر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من عطش مفرط او مطعوم
في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة
تروي به من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير ان يسعى عليه ولا ينتفع بعود اليه كلا بل يبذل
لذلك كل ما يحويه الديوان كائنا ما كان وليس صفقة سالبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا
بالف رتبة مع انهما في طرف التمام ينالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد حبس عليه النفس فلا دخل

منه ما يخرج ولا يخرج منه ما يلج وتحقق حرمان وآتاه الموت من كل مكان ايعطي ذلك كل ما له بنفسه واهل بيته
وهو لابه حاضر فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام
حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف
على كل ما جل من سر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة
والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة
العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس في كل آن
يمضي وكل آن يمر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به
نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدا
الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يترجح عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم
يترجح عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه
وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور
العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها
تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات
وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجود علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته
التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه في كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك
لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون
وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت
نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بصنعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم
بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اي
واذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه [illegible] من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد
ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم
ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأل له تعالى ان
يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه
وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله
تعالى اندادا وضلوا واضلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه آمنا اي ذا امن او آمنا اهله بحيث
لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول هناك البلدية
والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل
على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من
الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا مجرد الامن المصحح لما في
البلاد وقد اجيب اليه وههنا الامن المعهود او كان هو المسئول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامته

والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على هذه
السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لان المحدث
نعمة الامن ادخل في استجابة الدعاء الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على الغفلة كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسئول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط فهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى و
كان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها
الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال
نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية
وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام
والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ واجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره
واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد
ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الاصنام وانما كان لكل منهم حجر ينصبونه
وقالوا هو حجر والبيت حجر يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت كعب
ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام
اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء
اظهارا للاعتناء به ورغبة في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله
مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان
للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم
قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق
بالفرق بينه وبين غيره ربنا اني ضمير جماعة لان ما حكي من تعميم ذكر بنيه والالتجاء في قوله رب انهن الخ للذاهب
المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف
ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسئول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل
عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة
فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل غارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاوحى الله الى ارض مكة فاظهر
عز وجل عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله عز وجل عند بيتك المحرم ظرف لاسكنت
كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان
مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله عز وجل والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ
وعصمته عن المكاره في قوله عز وجل المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر
او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا
مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال بيتا باعتبار ما سيؤول اليه من بنايه عليه السلام فانه
بنى على اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما

الاختلاف في كيفية عدده وقد ذكرنا في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق
باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام
بعرض ان الغرض من اسكانهم ذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة
دعائه واعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي
افئدة من افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم
ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا
لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما او لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة
ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس
وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ على البناء للمفعول من اهواه
غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه
مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم
بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل
وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس
وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة
من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما
حتى انه اجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الطائف كانت من
ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله عز وجل فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى
نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة
واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا
يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض
الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم
الى المسئول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك
الاسكان مع كمال اعوازهم للعاكفين لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال
ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما
نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يجهر اثباته مما
من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان
تعلقه بما نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك
خفي فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو
من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك
وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال
وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله

من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان
الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه تعالى وانما قال وما يخفى على الله الآية دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض
تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من ان علمه عز وجل بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون
ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك
على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او يخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد
منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم وهو عدم الخفاء على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه
ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل
هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عم كقوله عز وجل وكذلك يفعلون ومن للاستغراق اي على الو
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة
وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله عز وجل مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد
والشكر اذ هو وصف له عز وجل بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان
بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة
وتوحيد الضمير للمتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب
اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي
اي بعضهم من المذكورين موتى بسيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم
بطريق الاستطراد لما في قوله ربنا اني اسكنت الآية فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن سكنه انما هو
مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله عز وجل ان بعضا
منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل
دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى من باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم عنه
البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام
وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله عز وجل الا قول ابرهيم الآية وقد مر في سورة
التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم
وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق
محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب
على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه
عم من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة
حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في ملة الاسلام وارشاد الناس الى الجهاد والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم

الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه
من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه
في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتنبيه على ذلك للمبالغة
في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه
لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد اكيد للكفرة وسائر الظالمين شديد
او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة
من يغافل عن اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا او قطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا
واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد وما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنهي عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استيناف
وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه
من العذاب الاليم ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا
او لا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وفيه التفات
التأخير عليهم مع ان المؤخر انما عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لما
لانهم يأتون باختيارهم وللدلالة على ان حظهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر
وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه
الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف غير خاصة بهم الكفرة المعهود دون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من
هول ما يرونه والاعتبار بعدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في اجسام العين واما بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد
وسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم على المرئي غير
ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر فيها بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر
من غير التفات الى شيء قاله القتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع رأسه اي طأطأها او نكسها فهو من الاضداد
وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية
لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل بقيت اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا يرجع اليهم
اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي
الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل واسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون
مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي او استيناف والمعنى لا يزال ما اعتراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو
من تتمة من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية
من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء
اي لا قوة ولا رأي فيه والاعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مقيدة لكون شخوص ابصارهم
وعدم ارتداد طرفهم بلا صحبهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه
ان تأخيرهم لماذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه كون اتيان العذاب
والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب

عنهم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث
كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف
بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم
للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل حسبما ذكر او للايذان بان
الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون
المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول على التقدير كل من ظلم بالشرك والتكذيب
من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا
ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى
توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما
جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم
للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة
باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا
ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنياوية او بالسنة الحال
حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد
مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب
في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة
لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت
الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو
الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك
وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان ولذا استعمل بكلمة
في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او
السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون
بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه
والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاقسام والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم
من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما بعده باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار

وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل
وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما في قوله
ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة
الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه للكل صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة
لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب
الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موقع الحال
من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على حقيقة
الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم لشدة ارتباطه به اي فعلنا
بهم او من الثاني او منهما جميعا اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي
استفرغوا عليه المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل
بهم او قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم
وحقارتها عند قدرة الله عز وجل وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او جزاؤه
تعالى بهم على ان المضاف الى المفعول وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث
لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في
مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه
وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه
مسويا ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة اي
وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا
لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور
ما في ان الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية
واللام لتأكيدها كما في قوله وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا الا
من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على ان الجبال عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه
ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة لهم التي هي بمنزلة الجبال الراسية في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي
وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب
بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع
والمعجزات والجملة كما هي حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى
انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها وقرئ لتزول
بفتح اللام الاولى الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر
بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي
وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين
والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغيره من انواع مكرهم

برسول الله صلى الله عليه السلام ولعل الوجه ح ان يكون قوله تع وقد مكروا حالا من القول المضمر اي فيقال لهم ما قيل والحال انهم
مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبيين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا
مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي وبخوا به بل اجترؤا على مثل هذه العظيمة وقوله تع وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تع وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء
بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما حققناك. وعلى تقدير ان يكون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر
النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما هنالك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى
تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى
انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك كان ان شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تع وعند الله مكرهم
كما ذكرنا من قبل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعدهم بقوله تع انا لننصر رسلنا
الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده تعالى
الظالمين بقوله تع انما يؤخرهم كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى
والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب تكذيبهم
وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم بذلك كما فصل في تضاعيف القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين
يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال
من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا
رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له
وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام
المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفصائح في قوله تع كيف فعلنا بهم وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض
ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم الخ او منصوب على نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض والانتقام
وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها
للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤجل الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم
العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ ويحتمله ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز
ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو خبر بانه لان قوله تع ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية
فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله تع وجل بدلناهم جلودا
غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تع يبدل الله سيئاتهم حسنات
على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود رضه تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضه
هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد. وما الناس بالناس الذين عهدتهم. وما الدار بالدار التي كنت تعرف
ويبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روي عن ابي
هريرة رضه انه صلى الله عليه وسلم قال يبدل الارض غير الارض فيبسط ويمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا
والسموات اي تبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل. وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا

بالنسبة

بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض
او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه
لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او
حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل
الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب
الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يعارض كان
في غاية الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار
واما البروز فهو دفعي الاستمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل وتجويز ان يكون معطوفا على عامل الظرف
المقدر على تقدير كونه ينجزه يومئذ يوم اذ برزوا له تع وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده مقرنين قرن بعضهم مع
بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات
الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود والاغلال وهو اما متعلق بقوله تع مقرنين او حال من
ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم
في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستأنفة لا محل لها والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته من الحرارة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال
النار فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد
يقادر قدره فكل ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك
تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس في هذه النشأة من الملكات الردية والهيئات الموحشة فتجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون
القطران المذكور عين ما لبسوه وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد
تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله تع عن ذلك بمنه ولطفه
وقرئ من قطرآن اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل
بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تع افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها فيه كما ان الفؤاد
اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني
عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد
وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على
انها معطوفة على الحال كما قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما
كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا
على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الآية اعتراض بين المتعلق به اي برزوا للحساب
ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال

لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان
فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا
اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى
عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في
قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما فيه مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف
على مقدر واللام متعلق بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ
كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه و
حذره واستعد وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغير ذلك مما مر
انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله
وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا
عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي
الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة
عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه
من الاحكام بالنسبة الى الكفرة احداثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك عبر عما يتعلق بالاولين
بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم رزقنا الله السعادة والحسنى وجوار
الفوز برضوانه في الاولى والعقبى آمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
وبعدد من لم يعبدها والحمد لله وحده الى هنا انتهت المطالعة بفضل الله سبحانه وتعالى وقت الضحوة الكبرى من يوم الاثنين السادس
من المحرم الحرام سنة ... وتسعماية حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه عليه السلام وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل انتهت الكتابة
... عفى الله تعالى عمن كتبها ... الكرام ... يوم الجمعة الثاني ...

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان آيات الكتاب
الكامل في الشهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق
اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع
الى الفهم عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله
عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة
عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن
اي قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق
والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله
على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا وحده بديعا في بابه خارجا

عن دائرة البيان وافرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات
غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال
على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سنذكره هناك
وتمام التقريب كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص
والمواعظ شرع في بيان ما تتضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة
التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب ...
لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما
ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب
والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان
بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين
او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة فيقول لهم الكفار الستم مسلمين قالوا
بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب
الله تعالى لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو
كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان
من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس
الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان
ذلك على ما هو عليه من الكثرة انما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافادة بغتة كقول
البعض ... العسكر كم عندكم من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب
جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن
يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث
لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه قصدا للتمدح فدل النظم الكريم على ان ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر
وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو حيل بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في انفسها
مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بهم وبما هم فيه من الكفر
والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية او لافادة الاشعار بان من شأن العاقل ...
او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يقارف ضده فكيف اذا كان متيقن الحد كما في قولهم لعلك ستندم على ما
فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه
على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك
الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء
ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن ...
بمقام ... عما هم عليه من الكفر وهاتان طريقتان متمايزتان ذاتا ... واحدا ...

ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على
ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استمتاع ما يختص بشأنهم من الفواكه والازواج فان التمتع على ذلك الوجه احداث
يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة
فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في
العاقبة والمآل الا خيرا فان الافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما وقفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز
او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا او لا ريب
ثم ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم
ثم بتركه ليتمتعوا بما هم فيه من حظوظهم فذرهم ما لذهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته
او حقيقة حال التي الجأتهم الى التمتع المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وسوء كونه وعيدا ايما وعيد وتهديدا
تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر
بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان
سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها
وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها بعد اهلاكهم كما فعل بالآخرين الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي
اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل
عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد
تأكيدها بمن في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب
اي اجل موقت لهلاكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف
والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب
في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة
للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله
لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر
بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط ان ما
يحسنه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك
الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية وقد بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم
وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم
لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب
في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني
فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا
على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه حركة والتوجه الى المتقدم فالسابق يتحقق قبل تحققه

واما الزماني فانما يعتبر فيه حركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم من المقصد وايراده بعنوان
الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستأخرون
اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر
نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة
بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل مكة القرى وغيرهم
ممن اوخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم
اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل
على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق ولذا لم
ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان وداد نهم للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الا ان يعلموا حقيقة الحال
انما هو لتأخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة وقالوا شروع
في بيان كفرهم بمن نزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم
في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء
به عليه السلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كما ان فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادة انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعي
انه نزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون
المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك
ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل لو ما تأتينا لو ركبت
مع ما لتغيير معناها كما ركبت مع لا لمعنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض فلانه عند ارادته لا يليها الا الفعل ظاهرا او
مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا الاسم ظاهرا او مقدرا عند البصريين والمراد هاهنا هو الثاني اي هلا تأتينا بالملائكة
يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على
التكذيب كما اتت الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه
وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين
الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ
تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن النزول
ومن التلاقي وهو كلام مسوق من النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل المشتمل لاستدعاء
ذلك للجواب فقدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال
انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن اول
كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اختصاصه بالجواب وليكون اصل الجوابين متصلا بالسؤال
وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن طريقة لنطاق كلامهم بصدد الاقتراح وبيان لحال
ما تأتيهم به للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم

مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصدهم اولئك
الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق
التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله
عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في
الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد
يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت
الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل بنظرائهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة
وما كانوا اذن منظرين جواب الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تع واذن لا يلبثون خلافك
الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم
ضم اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا
اذ ان كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كداب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم
لذلك قد جرت قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تع ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم
واما نظم ايمان بعضهم في سلك الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه
اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او لا حكمة في ان
تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم
عز وجل من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فلا
كل من ذلك بمعزل من مطابقة الباقي [illegible] لا يلزم من وصف وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله
عز وجل وما كانوا اذن منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم
فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حسبما يجب لا نحيد عنه ولو انا نحن
حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيامة لارفاقهم بل تشديدا عليهم كما من قبل
وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم للتعذيب عدل عما يقتضيه
الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم بعد عقابهم
وقيل المراد بالحق الوحي او قيل العذاب فتأمل انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون
وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما يليق به فيدخل فيه
تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة
والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد
حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تع اذ لو كان من عند غير الله سبحانه لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي
سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية
دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخيره الى

الكلام

تصحيح لفظة اذن

الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل رد لما ذكروا آنفا ولا ارتباط بما يعقبه من قوله تع ولقد ارسلنا اي رسلا
وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة
من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته
الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين
ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول
المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل واحد من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض
الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله هؤلاء
الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل
الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزؤن واما الجر على انها صفة
باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر للموصوف
منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه
عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تع تضمن ذكر استهزائهم
بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا
بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب
نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر
محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه
الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استعداد لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو
السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت
الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل
لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية اذ لا يجعل الضمير للحق ورعاية الحالية على البناء للملابسة اي نسلك الاستهزاء
في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بالملابسة والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بانه مقارن للالقاء كما في قوله
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تع في اهلاكهم
حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء او هو استيناف جيء به تكملة للتسلية والتصريح بالوعيد و
التهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة
كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها
من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم
عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق انما سكرت
ابصارنا اي سدت عن الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرأ
سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي
كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بنوع من السحر وفي

اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان
كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار و
ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما
يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فمجار متعلق به وان جعل
بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال
والكواكب سيارات او ثوابت للناظرين اليها بمعنى الذين نظاهر او المتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها
وحكمة مدبرها فجز بينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا يقدر
ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل
ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها
والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد
النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع على ان المراد بالقطان ما يعم الكواكب فاتبعه اي تبعه
ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين
ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال وان النجم ينقض
ويرمي الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد
منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كان يركب
بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق
وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي وقال القرطبي
اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل
والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو منصوب على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب
للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الآية وليوافق ما بعده اعني قوله والقينا فيها رواسي اي جبالا
ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان
الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا اي ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما يوزن
ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق بالبقاء
وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها
على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم
او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شيء ان النافية ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على
الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ او
مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ والاول اظهر والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير على

في الوقف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة
في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها متهيئة متأتية لايجادها
وتكوينها بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة
الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجده وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم
اي ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل
شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه من ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة
به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما
هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله الا او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا
ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل
من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه
بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض
لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر
بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط
مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشأنا بتلك الرياح
سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا
لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن
القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه
في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن
نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان
والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تأكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان
اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق
بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان
الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان
المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا
ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في
الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه تعالى بعد الاحتجاج
على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيد وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت
تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول
هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو
القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام

وهي رميم اي هو بحيثية لا يخبر وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
دلالة على اللطف به انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان
بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان
اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة
الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا
وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال
كائن من حمإ مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته اي مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان
كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما
اخر عن حمإ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه افرغ الحمأ فصور من
ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين
والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد
واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل مضمر يفسره خلقناه وهو
اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومنه يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد
الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله لكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي
غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله عز وجل وبيان بدء
خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث
وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار
بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم وقت قوله عز وجل للملئكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع
من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا وليس عين العبارة
وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على
الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق
او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا
ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد
وما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما
شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل طبائعه
ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما
هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي اذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من
الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له

ساجدين

ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه بمنزلة القبلة حيث ظهر آثار قدرته تعالى وحكمته كقول
حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملئكة اي بعدما خلقه وسواه ونفخ
فيه الروح فسجد له الملئكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد بل يفيده التأكيد
ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على اكمل
احوال المسمى ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا واقيم مقام كل في افادة
معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل
اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي
في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد وقفناك بفضل الله عز وجل على تحقيقه في تفسير سورة البقرة
الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملئكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملئكة
جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله عز وجل ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لعدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس
ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني
على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك اي اي غرض
لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم
وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل على كل المعاصي الثلث المذكورة قال الله عز وجل في سورة الاعراف قال
ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية
في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ
واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه
قال اي ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي
اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته
من صلصال من حمإ مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء خيريته وشرف مادته اكتفاء بما صرح به حين
قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها
بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه
فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال ااسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل
على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على
السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كأنه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك
الملئكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله عز وجل على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه
فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء
على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام
في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس بصريح في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط

او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري رحمه الله او بطريق المشافهة بعد الاحتيال
في دخولها ويوصل اليه بحيلة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤوس الاشهاد لما عصى من الحكم البالغة
فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب
عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك
من جهة الله تعالى وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة
وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعن مع كمال فظاعته ليس جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل
ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين
العذاب فيصير هي كالزائل قيل انما حدت به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة مع اللعن لتسامح اوقات عقوبتهم الى الآخرة من الكفرة طلب
اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف
يستدعيه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد
فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما
يقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم
فانت لذاك اهل فانه لا امكان لحمل الفاء فيه على ربط ما يجري من الاصلية العزيزة للرحمة بوقوع الرحمة حادثة بل على ربط الاخبار
بتلك الاصلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة
كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى مما يسمع من الحسن ولا يلتمس لائق
مقام الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث
كما وقع في سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة
غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب الكلام القديم النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام
غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة
فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز
ففيه تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه
يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف
في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء
وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستئثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد
يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا
مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا
انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي

تمامه: فان ترحم فرحمتك سواكا

ابليس اذا انا مت وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت
بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا
يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله عز وجل لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات
واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت
واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد ملئوا
غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب
من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا
بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون
اضللت وهذا هو الوقت المعلوم فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا
هو به بين عينيه فيغوص في البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم
في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع
الذي اهبط فيه آدم وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب
ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان
فينظران الى ما فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية
والجواب لازينن لهم اي باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد
الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها
فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف
والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين
المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لآدم
والاعتذار وان امهال الله عز وجل وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر والمعاصي
ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين
لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ
بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي حق اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه
والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول
الى من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك
عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن
المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم
له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه
دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف بالفظاعة اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد
ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او

او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
لكل باب منهم من الاتباع او الغواية جزء مقسوم فريق معين مفروز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين
والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى
والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات
القوة الشهوية والغضبية وقرئ جز بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل
ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه
في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او
لكل منهم عدة منها كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة
القول اي امر الله عز وجل لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن أُدخلوها مبنيا للمفعول
على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات
والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
رضوان الله عليهم اجمعين منهم اخوانا حال من الضمير في قوله في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا
فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد
لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد
لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو
العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي
جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما
يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم
بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين
له في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن
ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنه انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليهم السلام وقيل
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي عليه كانوا احد عشر
على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم
لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف
على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او بخبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه
او بنفس ضيف ابراهيم على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت
سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين

العذاب

امتنعوا

امتنعوا من الاكل بما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ
بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام
بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب
الطعام اليهم وانما لم يذكر هاهنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا ترى الى انه لم يذكر هاهنا رده عليه السلام سلامهم قالوا لا توجل
لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف
لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحة خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء
اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض هاهنا لبشارة يعقوب عليه السلام
اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر
واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي
اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة
تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما
يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله عز وجل وقوله فلا تكن من القانطين من
الآيسين من ذلك فان الله عز وجل قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين
وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد
ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال
ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون
سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط
عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة
علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة
من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بما ذكر هناك
كما انه لم تذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر هاهنا قال اي ابراهيم وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم
اي امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقابلة مطوية للبشرى به الى هاهنا
كما في قوله تعالى قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا
بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني
بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليه السلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك
مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان آخر
لاجله ارسلوا فكانه قيل ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فما هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود
ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا ومريم
ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء
متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا

انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما
يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان
ذلك قد يكون لكون حالهم بين بين او للتعليل فان من تعلق بهم التنجية لمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى
انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من القوم خاصة لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون حمله على معنى القول
لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما
جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء متصل
ثم التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس
المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله
بعد اللتيا والتي حين ضاق عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد
ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر
عند تجشمه في تخليصهم انظارا لحذر لامهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حسبما يكون
مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل
في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى
قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا
العصا وبينوا له جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويشفي به غيظك بل هي اضراب عما فهمه من ترك
النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا
يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة
للمسارعة الى ذكر بشارة لوط باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم بهما وحيث كان ذلك
مسندا على البيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم
ثم بيان تعجيل الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه مع انه نازل
بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاؤوا به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم
به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا
على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك
فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم
فيه وعلى الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في
الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعدما
مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثارهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع

على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض بلازمه
عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد فيرى ما وراءه
من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا
(عطف على الغفلة منه عفي عنه)
عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما
يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كان
مدار الاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله عز وجل بالمضي اليه وهو الشام
او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة
(يعني الى التي هي صلة المضي والباء التي هي صلة الامر منه عفي عنه)
ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك
الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الموصول للدلالة على اتصافهم بصفاتهم
العجيبة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة
على الوقوع وفي التعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا
من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف
من الفعل والقول وما ترتب عليه بعدما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام
يستبشرون اي مستبشرين باضيافه طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل
اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده لكونهم في زي الضيف والتأكيد
ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشمير لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء
ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون
بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه فضح فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله
في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث
كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه واجلب للعار اليه
اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم
العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله
في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد
تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن اهانة اضيافه عليه السلام وكذلك
قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء
وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي
انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك ما اعتراك ولما رأى انهم لا يقلعون
عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وكان

وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يحبسهم حجتهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل
ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي
او من الملائكة بحيوة لوط ع م والتقدير قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على
الالسنة انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء والصواب
يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة
اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو
ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما تر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب
حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك
اي فيما ذكر من القصة لايات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق
ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمراى
من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لاية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان
ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك
على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الاية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هها بقية الآثار
لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي
الفارقة اي وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب ع م والايكة والليكة الشجرة الملتفة
المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله عز وجل اليهم لظالمين متجاوزين حد
فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله عز وجل سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا
اليها يلتمسون الروح فبعث الله عز وجل عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانه ع م كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب
الحجر يعني ثمود المرسلين اي صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فكانما كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد
والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون
الخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا يعني
الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان
ذلك يحميهم منه عن جابر رضه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته
فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وكذا وقع في سورة هود وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض والسماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة

اي الزلزلة

اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى
عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد
المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا لعدم
الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة و
المصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا
لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله عز وجل
وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك الذي بلغك
الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها
فلا يخفى عليه شيء مما يجري بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل
احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف
عثمان وابي رضه هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة
وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
رحمهم الله عليهم وتنكير سبعا للتفخيم وفي الابهام والتفسير ما لا يخفى من التمكين والتقرير وقيل سبع سور وهي الطوال التي
سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع
وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة
وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة وانما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا
للتسمية ولانها تثني بما يقرأ بعدها في الصلوة وانما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا
الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني
ان كلا من ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى
واحدها مثناة او مثنية صفة للاية واما الصحائف وهي الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه تعالى بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز
ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان
والقرآن العظيم الفاتحة ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام
على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله • الى
الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم • اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به
من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال
والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن
فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت

هذه الاموال لنا لنقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع ايات وهي خير من هذه القوافل
السبع والاتحزن عليهم حيث لايؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل وانهم
المتمتعون به ويأباه كلمة على فان المنعم به لايكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع
لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر المظهر
لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله ولقد اتيناك الخ اي انزلنا عليك
كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي جزؤه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول
بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او عملوا ما قرؤا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه
وعلى هذا توسط قوله لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية اوعقب ذلك بانه جل المقام
عن التشبيه والغاء اوفي ذم ما لم يؤت احد من قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين
فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر وبين مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى
على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع ذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب
المنذر لابد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تاكيد الانذار
وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسمع به وعد و وعيد فهم منه في غفلة تامة
وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا ساق مقاما بعينه كما في قوله
عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود لمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع
شركتهم للنصارى في الاقتسام المتنوع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف التامل للكتاب بل
بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا
اول لانذر اي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى
يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به
العذاب المنذر واقعا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من
السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا عين التعضية ولا الى اخراجهم من
حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم الا مخصوصا بهم على
ان اكثر الذين يقتفون وعبرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن
المطلب قد هلكوا قبل هلاك المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول وقيل انه
وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما ذكر وفيه مع ما مر ان قوله كما انزلنا
في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك
امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال

صاحب الكشف

الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا لخبر صريح اي انا النذير
المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا ام فاهلكهم الله عز وجل
وانت تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب
المنذر لكن الموصول المذكور بعقبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين فيه نسو اجعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل عليه من انذر
لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك
انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه
تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي
هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين
مفهوما ولا وجودا تصحح وقوع احدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر
المفهوم من الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم
غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام الداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان
خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاوجه
المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم
ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث ان جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم
من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به
على ما في جانب المشبه بان يقال كما انزلنا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما
بين الايتائين من التنائي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان وشتان بينه وبين الثاني والايقاع لك
في موقعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلمية عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في
الصلوات الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم وآله اتم واكمل مما فاضت على النبي
وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية
من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام اظهارا
لاتصافهم بما يحقق ما يتفرع عليه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما
انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلع الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال
اتصاله بما هو المقصود من بيان ما اوتي النبي عليه السلام والمؤمنين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب الاغتباط
بمكانه والاستغناء به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وتجرى ابنائها لاهلها بالتمتيع للنبي
عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبا
وباظهار قيامه بموجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم
رجع الى الكيفية ايتائه على وجه ادمج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركة ما لا ريب
لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير المبين كما انزلنا
في الكتب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة ولكن لا يلائمه

قال صاحب اللباب
ويحتمل ان يكون المعنى

المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه
كما انزلنا على الكتابين اي موافقا لذلك فلا يستبعد حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك بعضا مما
فعلوا من تحريفهم وكما انهم سبوا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشيء
تعضية اذا جعله اعضاء وانما جمع جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي
تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما
لا يضره التنقيص من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسألن يوم
القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه
ما ذكر من الاقتسام والعضة دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب
الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام فاصدع بما تؤمر فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
اي ما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم ومن جملته اني انا النذير المبين واعرض
عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال له امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص
العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود
بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه
الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله تعالى
فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك
والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح
والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام
والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او
فنزه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد
ربك ودم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السابق لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به
عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد
الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى ههنا انتهت المطالعة بفضل الله سبحانه وتعالى في اواخر شهر ربيع الاول
لست وخمسين وتسعمائة حامدا الله سبحانه ومصليا على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الى ههنا بلغت الكتابة من نسخة المؤلف

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله أي الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيذان
بأن تحققه في نفسه وإتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع
في سلك الواقع أو عن إتيان مباديه القريبة على نهج إسناد حال الأسباب إلى المسببات وأيا ما كان ففيه تنبيه
على كمال قربه من الوقوع والصالة به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل فلا تستعجلوه فإن النهي عن
استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه إذ بالوقوع
يستحيل الاستعجال رأسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على
على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا
مع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة أما الأول فلأنه لا يتصور من المؤمنين
استعجال الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه وأما الثاني فلأن استعجالهم له بطريق الحقيقة
واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء إلى إرادة معنى مجازي يعمهما
من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي من أنه لما نزلت اقتربت
الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت
قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم
فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من أن التصدير بالفاء يأباه
فإنه بمعزل من إبائه حسبما حققته بل لأن مناط اطمئنانهم إنما هو وقوفهم على أن المراد بالإتيان هو الإتيان الادعائي
لا التحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهي عنه لما أن النهي عن الشيء يقتضي إمكانه في الجملة
ومدار ذلك الوقوف إنما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لإمكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد
ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لأن المراد بأمر الله إنما هو الساعة
وقد عرفت استحالة صدور استعجالها من المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون أمر الله عبارة
عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقضي به الإعجاز التنزيلي خاص بالكفرة كما ستقف عليه وما كان
استعجالهم ذلك من نتائج إشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل إلى ما لا يليق به من العجز والاحتياج إلى الغير واعتقاد
أن أحدا يحجزه عن إنجاز وعده أو إمضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه إن صح مجيء العذاب فالأصنام
تخلصنا منه بشفاعتهم رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون أي تنزه
وتقدس بذاته وجل عن إشراكهم المؤدي إلى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن أن يكون له شريك
فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره والالتفات
إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم
وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على

صيغة الخطاب ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما ينبئ عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه
عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس
اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما
اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار البطلان رأيهم في الاستعجال
والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل
الملائكة اما جبريل عم قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي باذن الله سبحانه
وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المفعول من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي
من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة
بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال
كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه
او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلا في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره على من يشاء من عباده ان ينزلهم
به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا
اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عم والآمر هو الله تع والملائكة نقلة للامر كما يشعر به
الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول
لكم انذروا او مفسرة على ان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا
فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تع وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود
فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي
اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه
شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به للايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له في الذهن
فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا
ان الشان الخطير هذا وانما عبر عن مضمونه بالمحذور لبس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك
وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله تع فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة
اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس
انه لا شريك له في الالوهية فاتقوني في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها
الاستعجال والاستهزاء وبعدما مهد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات
والارض بالحق اي اوجدها على ما هما عليه من الوجه اللائق والنمط الرائع تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله
التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن الله المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي
لا يبدئ ولا يعيد وبعدما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله
المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اي جنس النوع الحيواني والمراد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك
سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة لقن
بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له

قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد صفات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل
والبقر والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تع خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي
بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفئ به فيقي من البرد والجملة
حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها
والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول الكل مع ان الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع
لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايذان
الى الحالة الاصلية عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت
محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش واما الاكل مما عداها
من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فمن قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما
يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها
مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون اي تردونها
من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف
من كلا الفعلين لرعاية الفاصلة وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها
وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية
الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور
ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال
بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان
كلا الفعلين صفة لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل انفسكم
الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به
مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل بلد
لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها
معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة
الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى
الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام
مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة للتجدد والحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ
وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ
خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة
واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات
ان ربكم لرءوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل وهو اسم للفرس لا واحد له

من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها
بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون
الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة
لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما
لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة
الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية
ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه الصلوة والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه
سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل
عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة
تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة
لا يعودون اليه الى يوم القيامة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق
الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل
قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة
عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر
من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي بمناره وعلم يستضاء
بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما
جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية من مثاني
الضلالة ومهاوي الردى الابدي كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم
حوله شائبة الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى
التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مشيرا الى طريقة الاستدلال
مبتدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل
افعاله المتعلقة بما بينهما مبتدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين
قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك تمام بيان سبيل التوحيد او شك
بيان وتعديل له انما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها
محله الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله عز وجل وما منا دون ذلك وما منا
في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث
وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها

الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل
وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد الانحراف واياما كان فليس نظم النظم الكريم بعيد الاسلوب
رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه
كما في قوله عز وجل الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقيني ويشفيني
ولكن غير على ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما لم يحف الى الله عز وجل وليس المراد ببيان قصد السبيل
مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناده وانه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما هو من نصب الادلة
لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها فيه لكن
ذلك الاسناد منه تعالى عن غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهم متوهم صحة بمقتضى الحال ودفع ذلك بان يقال لا جائرها
ثم تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان
والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله عز وجل بيان الطريق المستقيم الموصل الى
الحق والتعديل بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى الحق المقصود وهذا هو الهداية
المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق
على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع
والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشار بقوله سبحانه ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد
هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة
الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه يتجه الثواب والعقاب انما
هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر قوله
فقصد السبيل عليه تعالى بان هدايته اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة
على وجه التمثيل من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم
فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما تراه وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى
ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم اي لتعلق الاول وانت خبير بان هذا في نفسه حق
ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة للتوسيط بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق مما بين الطريق المستقيم للتوحيد على وجه
وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وتحقيق ذلك بيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التأمل
فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل
بقدرته الباهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور
لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والتشويق بما سلف
من ان عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب
اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على
الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه
العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل

والثاني خبر لشراب والجملة صفة لما، وان جعل بأن ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين ولو توسط الثاني منهما بين
الماء وصفته مما لا يليق بحاله نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما نبت
من الارض سواء كان له ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سببه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه
يعني به المطر الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلاء فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض ينبت اي الله وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان
للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
الحاصلة جارية على ممر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما انفا مع ما في تقديم اولها
من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون
لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها
وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر
مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء الانعام لحصوله بغير صنع
من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه
بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لانه غذائه
فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه
ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاستجماعه كمال
العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه
ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص
والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء الطبائع
السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في
شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق
العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية
قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها
والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي
من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤوا
كما في قوله سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان
ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما
في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر محكم
وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات بأمره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التغريب والتشريق
ونحوهما مسخرات لله تعالى وما خلقت له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها

من الملوين

من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته من غير دلالة
على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس
والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي و
جعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل في سخر
من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره
او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من انه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان الموثر
في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل ففيه
حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس
مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن
الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا ان يشاركه
الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة
لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيمة القدرة والعلم والحكمة على
الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون لقوم يعقلون ذلك
فالمشار اليه تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لفهمها الا المهرة من
اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على انه
مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها
غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او فصل ذلك مختلف الالوان
اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وما عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بيان ذكر ما خلق
لهم مغني عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال
وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر
من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا نظير له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك
غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت
حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه من حيث
ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان
يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر
وبنا ناه اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو
السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته
والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته

تعالى في خلقه غضا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث
باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء
اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا ترى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها
عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك اي السفن
مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة وتمخر صدره بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري
الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء و
دفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلق
بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر
ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا
مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسط الفوز بالمطلوب من الابتغاء والشكر للايذان بانهما مقصودان
عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة
الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك
فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا
لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة
بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل
في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ
بضمتين وضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاصل بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير
لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه
الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل
شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك
من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب النفي بالفاء
لتوجيه الانكار المترتب بيان توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى
المعلوم كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآية والاقتصار على ذكر الخلق
من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى
بمبدائية هذه الشئون الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة
يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم وعدادها وان كان على تشبيه الخالق

بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتشابهين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا
عن توسيط عدمها بينها وبين ما يناسبها المتصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام
عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما تناوله
كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق
حيث لم يكن يخلق لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واما ما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة بالخالق
اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول
خاصة افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان
تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
ولعل فصله عنها بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي دلائل
الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها
من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت مستتبعات لحيثية الخلق الاولى استغنى بها عن بيان حالها بطريق
الاجمال اي ان تعدوا نعمة الله الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يؤذن به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله
تعالى ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم
حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وما تذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق
وغيره وكل من ذلك نعمة واية نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية
على التحلية والله يعلم ما تسرون من العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة
الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه تعالى بنعوت الالهية
ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ
وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته
الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة
وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعداد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال
وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح
اي والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا
يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية والمخلوقية تلازم
بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شانهم ومقتضى
ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد
والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور
اختصاص الفعل بفاعله عز وجل ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول
ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول
ايضا عبارة عن ذلك كما قيل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا

ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستتبع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول
للتصير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها
الله منه حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تع وما يشعرون
ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي
الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما
لا بد في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون
بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية
جاحدة لها او للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة عليها والفاء للايذان
بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة
انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار و
الاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء
للتشوق الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية مؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب
لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل
في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله عز وجل لا جرم اي حقا وقد مر
تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير
الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب
المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم
ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بانزل او مرفوع اي
اي شيء انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين
واباطيلهم وليس من الانزال في شيء وقيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا او
اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين
يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما
شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة
الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي
يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال
والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سيأتي من قوله تع واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون
يرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء الجهلة
والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل

الاسماء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر فعلهم قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم
من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تع فاتى
الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت
اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك
الماكرين وتسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله تع في ابطاله تع تلك الحيل والمكايد وجعلها
اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون
باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير
الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة
يخزيهم فانه عطف على مقدر يستدعيه الكلام اي هذا الذي فعلهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر
من عذاب اولئك هو ما في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد والفصل لخزي
يستحق منه وثم للايذان بما بين الجزاءين من التفاوت فلو انه كان ان نوحده والاشراك شيئا والحكم مما
شاءه كما يقوله الرسل ويفعلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاءه من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث
لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل
كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا احله وردوا رسله وجادلوهم
بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا
البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي
من جملتها تعلق مشيئة الله تع بما صدر من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تع والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس
ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يدور عليها التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل
او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته
تع بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب
اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله
سبحانه ونواهيه لا تحقيق مضمونها واجراء موجبها على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم
في ذلك مأمورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ان يؤدوه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله ما
على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تع
بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه
الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان
اعبدوا الله يجوز ان يكون ان مفسرة لما في البعث من معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده
واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا
ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته

واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت للعلم
بعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله
تع واذا مرضت فهو يشفين فان كلا من مشيئة الهداية وعدمها الاحسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا الجبر
بطريق القسر والالجاء ليستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى [illegible] فسيروا
في الارض فانظروا اي كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه
الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثر الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار
بثبوت الضلالة لهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان و
ترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هداهم
اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه مع ما بك عليه من التراخي الاماني
[illegible] ليس لقصر تخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بخزائهم
[illegible] النفس مترقبة لوروده سائلة عنها بانه ماذا مع تيقنها بانه في الآخرة قبح الكلام
بالذكر [illegible] لكونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق الله ان الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الكفار
[illegible] الساع والسياق مما يستعطف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا [illegible] ببيان
[illegible] اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة خفيف توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون
[illegible] والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها فالمراد بالاستفهام استحضارها
[illegible] طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر
[illegible] لينفقوا وهي في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لم ينطقوا [illegible]
[illegible] بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم يتصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء
[illegible] فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ وجهوا ذلك الزعم الباطل وكيف
[illegible] بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شان من يتعلق به
[illegible] اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنين الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا
[illegible] التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم
[illegible] صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله
[illegible] ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي
[illegible] بالكلام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في
[illegible] بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى
[illegible] الملائكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة
[illegible] صورة توفيهم اياهم لما انها الحصول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه
[illegible] على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر على الكفر الى حين الموت دون من آمن
[illegible] الكافرين المستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد

ونزلوا اخطرة تبديلها فالقوا السلم اي يلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى
ويقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي يستسلمون وينقادون
للمشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سوءا لا انكارا لكونه كذلك
مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى النفاق فهو جواب
عن قوله تعالى اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى
رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن
الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة
فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في
اعتقادنا وما يلمح فطنة على ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
وقيل للذين اتقوا اي للمؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا انزل
ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم والاتحاد في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق
للسؤال لفظا وللواقع في نفس الامر معنى واما الكفرة فانهم [illegible] الله تعالى كما تحيروا والجواب عن نهج الحق الواضح الذي
ليس من دافع عنه [illegible] صورته وعدلوا [illegible] سنن السؤال حيث قالوا الاساطير [illegible] اوتي
احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه خير لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او
فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اي مثوبتهم فيها خير مما
اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اي
دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا الكلام مبتدا مدح الله تعالى به المتقين [illegible]
عدهم بذلك ثواب الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام
الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم جنات
ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها
الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني
حال منه والعامل في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز
عن توهم تعلقه بالمشيئة او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي
الذين تتوفاهم الملائكة وقوله تعالى طيبين نعت للمتقين اي طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته
الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار

على ذلك الموصوم على التفصيلة وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية
الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي اذا استنقعت نفس المؤمن
جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد
اي جنات عدن [illegible] دت عن البعث والمراد دخولهم لها في وقته فكان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به
لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم
على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل
ينظرون اي ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك
[illegible] بينهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم
يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بالياء او يأتي امر ربك اي القيامة او العذاب المستأصل لوصف الربوبية مع الاضافة
[illegible] اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا الحتمية
[illegible] يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه العطف باو ولا تخالف [illegible] في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع
[illegible] كل احد من الارض في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم
الآية [illegible] ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والظلم والتكذيب
والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم ولكن كانوا انما كانوا
[illegible] القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون لكان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين
[illegible] لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع الاستلزام
[illegible] منه من حيث الوقوع اختصاره من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم
عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعة لا على حذف المضاف فانه يوهم
ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع
ما كانوا به يستهزئون من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول
عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا
من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة
متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع تعالى لا لتحقق الهداية جبرا [illegible] يخلق
فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت
عليه الضلالة وللاشعار بعلية الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم
فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهو المعني هؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول
اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون
يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ومن اضل وما لهم من ناصرين
ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة

الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان
فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله
من يموت ولقد رد الله عز وجل عليهم ابلغ رد بقوله تعالى بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان يبعث
موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس
لجهلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على
سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته عز وجل بمراعاتها لا يعلمون
انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا
فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم
ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن الذي يختلفون
فيه من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا
بالله عز وجل بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما
في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين
وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين
المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث اذا كان لتبيين انه
حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ادعى لهم الى النظر واهدى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل
على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرير الغاية
ادل على وقوع الفعل المغيا واما الغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى لخلق
المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم
تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به
التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن
فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فانه يتعلق به ضروري حاصل لهم من قبل
انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث
لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا لشيء استئناف
لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا
مبتدأ وقوله لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام
وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته به لا
انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اي وقت اردنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدأ
فيكون اما عطف على مقدر ينبئ عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول والمعنى ان

والآمر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما بعده على انحصار قوله تعالى
في قوله كن فيكون وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان
المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو
تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيته تع بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع
لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي
هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة وجلالة ما يحار
فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في حق الله
تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله عم واخرجوهم من ديارهم
فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله عز وجل المدينة حسبما وعد بقوله عز لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة
او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من اواخرها مكية واما ما نقل
عن ابن عباس رضه من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون
فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة
مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه الثواء حسنة او لنثوينهم
في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة وعلى اهل الشرق والغرب كافة و
ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله تع لك فيه هذا ما وعدك الله تع في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تع يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي
لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او لما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من
اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون
منقطعين اليه تع معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور
للدلالة على قصر التوكل على الله تع وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان
يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود
من خطاب رسول الله عم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب
او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله
عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تع جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى
الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب

المراجعة الى العلماء عند عدم العلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال
بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا
الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك
بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز ان صلة ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات
او بنوحي على المفعولية او حالية من القائم مقام فاعل نوحي وهو اليهم على ان قوله تع فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون
على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن
وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل
اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة
لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة
الافعال ولان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء
كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا
للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افأمن الذين مكروا
السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله عم وراموا صد اصحاب النبي عم عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين
احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من تعم الفريقين لان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من
فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل
المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات فقوله تع ان يخسف الله بهم الارض مفعول لأمن او السيئات
صفة لما هو المفعول اي أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون
العذاب ويتفكروا في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على
توجيه الانكار الى المعطوفين معا او ألم يتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يصدر عن احد
وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي امكروا فأمن الذين مكروا الخ او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة اي في حالة غفلتهم او من حيث لا يأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين او
يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين وفائتين بالهرب والفرار
على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته كما
قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام
او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب
وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته
حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد
بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تع على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف

للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اي من كل شيء يتفيؤ ظلاله اي
ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة خالقه تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء عن اليمين
والشمائل اي الايمان والاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعيرا لهما ذلك
من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على
مشيئة الله سبحانه وتأتيها للارادة تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون
اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم
والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها
كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او
واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور
مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة
فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا تظهر
لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك
بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع
والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام
السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت
لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي له وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب
والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات
قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والبيان فصل والافراد
مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل
مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة
اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم
وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه جل جلاله خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله
تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من يخاف الله عز وجل لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به
من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة وايذانا بعدم الحاجة
الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره عز وجل وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف
والرجاء وبعدما بين ان جميع الموجودات يخضعون له عز وجل والانقياد التطبيقي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة
حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل

قال الله تعالى عطف على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه
هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال سبحانه لجميع المكلفين
لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية
وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدة
وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له تعالى واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة
على راي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه
فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل
اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي فارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم
الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا
لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين
الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون
ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله
الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اي نعمة كانت فمن الله فهي
من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار
بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون
بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث
مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما يطلق عليه اسم الجنس مع ايراد
النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بالمصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم
ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم
وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة
مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله تعالى اذا فريق منكم
بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في البعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا
فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز
ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية
للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب
للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا
لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم

من العذاب وفيه وعيد اكيد مبني عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله
عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تع عند مساس الضر ومن الاشراك
به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله
سبحانه تع جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما
لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك على ان ما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء
لكون ما عبارة عن الهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف
للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون
في الدنيا بانها الهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ
عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة
ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدا والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض حشو في
موقعه او جعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم
الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء حنقا وغيظا يتوارى يستخفي
من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره
محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالواد والتذكير باعتبار
لفظ ما وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي
عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطا جعلهم ذلك لله سبحانه
مع ابائهم لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تع تلك اذا قسمة ضيزى
للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة
الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم وواد البنات لدفع العار وخشية الاملاق
المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك
القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى
عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما
يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا التصريح بما افاده قوله تع وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من
القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى
من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تع واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله
ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة

ظالمة

ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون عن ذلك الاجل اي لا يتاخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور
الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تع وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من
مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في
تفسير سورة هود ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو
تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تع وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون مع ذلك
تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه
اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوء وانهم
مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي
اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في
الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلعم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا
اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين
فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية
او في الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي
فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي مكة والمعنى
زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم
ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا
لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس
الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحكام المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين
اي للهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم
ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون
باثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء وهذا تكرير لما سبق تاكيدا لمضمونه
وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من
التعقيب العادي لا ينافيه ما بين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به
لآية واية اية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر

وحال من ليس كذلك أصم وإن لكم في الأنعام لعبرة عظيمة وأي عبرة يحار في دركها العقول ويحيرهم في فهمها ألباب الفحول
نسقيكم استيناف لبيان ما أبهم أولاً من العبرة مما في بطونه أي بطون الأنعام والتذكير ههنا لمراعاة جانب اللفظ
فإنه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأكياش وأخلاق وأما التأنيث في سورة المؤمنين
لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمعاً جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها أو له على المعنى فإن المراد به الجنس وقرئ بفتح النون
ههنا وفي سورة الأنعام من بين فرث ودم لبناً الفرث ثفالة ما بقي من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام
وكثيف ما بقي في المعاء عن ابن عباس رضه أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً
وأعلاه دماً ولعل المراد به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لأن عدم تكونهما في الكرش
مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
فيحدث أخلاطاً أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء
وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز
الحكيم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولاً لأجل
الجنين إلى الرحم فإذا انفصل انصب ذلك أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلطفه فيصير لبناً
ومن تدبر في بدائع صنعه تعالى فيما ذكر من الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها وتسخير
القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته
فمن الأولى تبعيضية لما أن اللبن بعض ما في بطونه لأنه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث
حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم مبدأ الإسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مراراً من أن تقديم ما حقه التأخير يوجب للنفس تشوقاً إلى المؤخر موجباً لفضل تمكنه
عند وروده عليها لا سيما إذا كان المقدم متضمناً لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فإن بين وصفي
المقدم والمؤخر تنافياً وتنائياً بحيث لا يتراءى ناراهما فإن ذلك مما يزيد التشوق والاستشراف إلى المؤخر
كما في قوله تعالى هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً أو حال من لبناً قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة
خالصاً أي صافياً عن شائبة ما في الدم والفرث من الأوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي أحدهما عليه مع كونه
مكتنفاً به سائغاً للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص أحد باللبن وقرئ سيغاً بالتشديد والتخفيف
مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بما يدل عليه الإسقاء من مطلق الإطعام المنتظم لكلا
المطعوم والمشروب فإن اللبن مطعوم كما أنه مشروب أي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الأعناب أي من
عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكراً استيناف لبيان كنه الإطعام وكشفه أو بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف
للتأكيد أو خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون أي ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وحذف
الموصوف إذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الأولين
لأنه للمضاف المحذوف أعني العصير أو لأن المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقاً
حسناً كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية إن كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة
بين العتاب والمنة إن في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر
والتأمل وأوحى ربك إلى النحل أي ألهمها وقذف في قلوبها علماً بوجه لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرئ النحل بفتحتين

أن اتخذي أي بأن اتخذي على أن مصدرية ويجوز أن يكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على
المعنى أو لأنه جمع نحلة والتأنيث لغة أهل الحجاز من الجبال بيوتاً أوكاراً مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتاً بكسر الباء ومن الشجر
ومما يعرشون أي يعرشه الناس أي يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى
اتخذي لنفسك بيوتاً من الجبال والشجر إذا لم يكن لك أرباب وإلا فاتخذي ما يعرشونه لك وإيراد حرف التبعيض
لما أنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
حلوها ومرها فاسلكي ما أكلت منها سبل ربك أي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر
عسلاً من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذللاً جمع ذلول وهو حال من السبل أي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك أو من الضمير في
اسلكي أي اسلكي منقادة لما أمرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من
تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما أمرت بما أمرت شراب أي عسل لأنه مشروب واحتج به من قوله
تعالى تحلي من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلاً ثم تلقي ادخاراً للشتاء ومن زعم أنها
تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الأزهار والأوراق وتضعها في بيوتها فإذا اجتمع فيها شيء كثير يكون
عسلاً فسر البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل أو الذي
أخذت منه العسل فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما
يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة أن رجلاً جاء إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع
فقال اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه فبرئ كأنما أنشط من عقال
وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى من أحوال النحل وعن ابن مسعود رضه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفائين العسل والقرآن إن في ذلك الذي ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون
فإن من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي
لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بآلات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن له خالقاً قادراً حكيماً
يلهمها ذلك ويحملها عليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأنعام و
النحل أشار إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر
في أربع الأولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل
وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم
بالغة بآجال مختلفة أطفالاً وشباناً وشيوخاً ومنكم من يرد أي يعاد إلى أرذل العمر أي أخسه وأحقره
وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون
وإيثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيذان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا يحسن أسوأ حالاً من هرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم
بعد علم كثير شيئاً من العلم أو من المعلومات أو لكيلا يعلم شيئاً بعد علم بذلك الشيء وقيل لكيلا يعقل بعد عقله
الأول شيئاً إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه

على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت
هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين
فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم اي بمعطي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية
والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف
ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون
عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله سلطانه في شيء
لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق به
من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب
لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية
افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة
عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون
نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا
انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم لا يفهمون ذلك
فيجحدون نعمة الله تعالى فهو رد على زعم المفضلين او على ظنهم المؤذن بذلك او كالمفضلون برادي بعض فضلهم على
مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع التفضيل ليس الا ليبلوهم أيشكرون ام يكفرون الا انهم يعدون ذلك فيجحدون
نعمة الله تعالى كما انه جعل كلمه ذوه عليهم وجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه
رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها وتقيموا
بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر
موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازواج هو التوالد
وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما
يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة
فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف
الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم
باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لكم
مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات
من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان
الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي أيكفرون بالله الذي
شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله
تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على

الفعل

الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض
عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله عطف على يكفرون
داخل تحت الانكار التوبيخي اي أيكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا
ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض
نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز
كونه تأكيدا للايملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا
لانها اموات لا روح لها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون
من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام
بشأن النهي اي لا تشركوا به سبحانه والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شأن من الشؤون
فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا
اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به
تعالى بمعزل من ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل
في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون
وانه في غاية القبح والعظم وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا
رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب
الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل
وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا و
تفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية
للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبد الله تعالى وعدم القدرة لتمييزه من المكاتب والمأذون
اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة
معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل
والرزق منا من جنابنا الكبير المتعال رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا
واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار حمله
المنتظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر
وحال الجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والا
لاصناف نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين
بان يقال ومولى مالك للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق بان الاحرار ايضا
تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل
في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن

مثل العبد المالك فما ظنك بجماد مالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للإيذان بأن المراد بما ذكر من اتصف
بالأوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما أي هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من
الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وأن ما ينفقه الأحرار ليس مما لهم دخل في إيجاده ولا في
تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى إياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل أذل
منه وهو الأصنام الحمد لله أي كله له لأنه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وإن ظهرت على أيدي بعض الوسائط فضلاً عن
استحقاق العبادة وفيه إرشاد إلى ما هو الحق من أن الظاهر على يد من ينفق مما ذكر راجع إلى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه
بل أكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها ونفي العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك
وإنما لا يعملون بموجبه عناداً كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون وضرب الله مثلاً أي مثلاً آخر يدل
على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وبعد ما أبهم ذلك لتتشوف النفس إلى وروده وتترقبه حتى يتمكن
لديها عند وروده فضل تمكن بينه بقوله رجلين أحدهما أبكم وهو من ولد أخرس لا يقدر على شيء من الأشياء المتعلقة بنفسه
أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم
قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقاً وقوله تعالى أينما يوجهه أي حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته
على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت
بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الأوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل أي من هو منطيق
فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام
للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلها فإن
محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن
بأجمعها وتغيير الأسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين
بين الفريقين واعلم أن كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ولا بعد
في أن الله تعالى ضرب مثلاً لحال الفريقين على ما حكيا عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على
امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لأحد
غيره استقلالاً ولا اشتراكاً غيب السموات والأرض أي الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل
لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلالاً ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيهما حالاً ومآلاً وإما باعتبار
الغيبة عن أهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية
والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم
بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والأرض وما أمر الساعة التي هي أعظم ما وقع فيه
المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن أهلهما أو ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فإن وقوعها
بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وإن أتيتها من الغيوب التي نصب عليها الأدلة أي ما شأنها في سرعة المجيء
إلا كلمح البصر أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أي بل أمرها فيما ذكر أقرب من ذلك وأسرع زماناً
بأن يقع في بعض من زمانه فإن ذلك وإن قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك
قابل للانقسام إلى أبعاض هي أزمنة أيضاً بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة أو ما

أمرها إلا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر أو هو أقرب وأياً ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في خاتمة
السورة الشريفة بالإتيان إن الله على كل شيء قدير ومن جملة الأشياء أن يجيء بها أسرع ما يكون فهو قادر على ذلك
أو وما أمر إقامة الساعة أي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي إماتة الأحياء وإحياء الأموات
من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوان أجمعين وقد أنكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الإمكان
في سرعة الوقوع وسهولة التأتي إلا كلمح البصر أو هو أقرب على ما مر من الوجهين إن الله على كل شيء قدير فهو قادر
على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والأرض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه مخصوص به غائب عن
أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله أخرجكم من بطون أمهاتكم عطف على قوله والله جعل
لكم من أنفسكم أزواجاً منتظم معه في سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله
خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والأمهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها إتباعاً للميم والهاء مزيدة فيه كما زيدت
في أهراق من أراق وشذت زيادتها في الواحدة قال أمهتي خندف والياس أبي لا تعلمون شيئاً
في موضع الحال أي غير عالمين شيئاً أصلاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة عطف على أخرجكم وليس فيه
دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر
قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء
وتدركوها بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون
بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والأفئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر
وهو من جموع القلة التي تجري مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من الإيذان من أول الأمر بكون المجعول
نافعاً لهم وتشويق النفس إلى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما أنعم عليكم
طوراً غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقي الوحي أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر وإفراده
باعتبار كونه مصدراً في الأصل ألم يروا وقرئ بالتاء إلى الطير جمع طائر أي ألم ينظروا إليها مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث إن معنى التسخير جعل الشيء
منقاداً لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع ههنا تسخير
الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس
بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله عز وجل في جو السماء أي في الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو
وإضافته إلى السماء لما أنه في جانبها من الناظر ولإظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض أجنحتهن وبسطها
ووقوفهن إلا الله عز وجل بقدرته الواسعة فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة
من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو إما حال من الضمير المستكن في مسخرات أو من الطير وإما مستأنف إن في ذلك
الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة تتمكن بها منه بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناباً كذلك وجعل لها
من الخفة بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذنابها لا يطيق ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها
من الهواء لأنها لا تلاقيها بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون أي من شأنهم أن يؤمنوا وتخصيص ذلك بهم
لأنهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الإيذان
من أول الأمر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس إلى وروده وقوله تعالى من بيوتكم أي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها

من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول في جملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا اي بيوتا مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها
خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم
في الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود الانعام على وجه التنويع اي
جعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث
ومتاعا اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وجعل
بلا ان تهونوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء
تستظلون بها من حر الشمس كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من
الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي
مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم من
الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن
تقيكم بأسكم البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحروب من الضرب والطعن ولقد من الله عز وجل علينا حيث
ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف جدا اما بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص
المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واطرافها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام ثم بما يعم الكل العاجز عن ذلك والاثاث
الا الاظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل ثم بما لا غنى عنه في الحروب
حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي
ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا
به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او للاظهار ان ذلك بالنسبة الى جانب
الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من جراح لبس الدروع فان تولوا فعل
ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام
ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا ضرر عليك
لانك وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب
يعرفون نعمة الله استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله عز وجل
اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او يقولون انها
بشفاعة اصنامنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم يعرفون انها
ثم ينكرونها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار
واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم لم يكونوا كذلك لقوله عز وجل واكثرهم الكافرون اي
المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الاولى
من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل والتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ

حد التطبيق فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان
وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن
الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم
يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف
بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا رأى
الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون
كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او
الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ
عنه قوله تعالى فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فانهم كذبوهم في ما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص
عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لعدم شعورهم
اذ ذاك لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين
كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى من الشريك والشياطين
وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع
وبطل ما كانوا يفترون من ان لله تعالى شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين
كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب
الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد
صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون
متعلق بقوله زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق
تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة
انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا
عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد تبيانا
بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام
شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام
والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها
على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا

او فاسقوا او وطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يقصر بالبعض
من الاحتياج كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره
من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله
يأمر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل
بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة
بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية
من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن ومن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به
على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع والنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم
اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط
في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية
التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه
بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة
لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بالامر والنهي وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم
تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله
عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها احكامها هو المعهود في ايمان العهود لا على
ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مخصصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ
عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت
غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه
مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الحمقاء المعتوهة
قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على
قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشابهين بامرأة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم
مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي
ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اي لا تغدروا بالقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش
فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون

امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشية قسر والجاء يضل من يشاء اضلالا اي يخلق فيه الضلال
حسبما يصرف اختياره الى تحصيله ويهدي من يشاء هداية حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسألن جميعا
يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما هو مناط من الكسب الذي يدور عليه امر الهداية والضلال ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيد لقوله عز وجل
فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة
اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي
بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى
وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او باياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها
عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ان ما عند الله
عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز
وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون به
من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما عند الله من خزائن
رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة
لها فقد انتظمت في سلك الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى
وقوله عز وجل ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على
نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال وليجزين
اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا
على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول
ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون
اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه
وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما
بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة
ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي
الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر
من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفضيل بالترجيح فعلى من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او باعتبار تركه كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون
ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا ابعاده مقام التحريض على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة
والترغيب في تحصيل ثمراتها بالتعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيعها

ما من عمل صالحا اى عملا صالحا اى عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح عقيب ترغيب طائفة
منهم الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموعود بهم وعملهم المذكور وقوله من ذكر او انثى
مبالغة في بيان الشمول للكل وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب لقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة
وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما
ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله
بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم
في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة
الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لمراعاة جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان
وقوع الجزاء بطريق الاجتماع انسب للجمعية وتصحيح ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب
الملائم للافراد ولما اشار الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما
يحسن به العمل الصالح ويخلصه عن شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اى اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها
على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله
فاسأله جل جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان العكس
قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه
الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها
للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه وفيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب
الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط
وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اى اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون
فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار
صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعادة
المتوكلين وتعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعيذك او نحوه انما سلطانه اي تسلطه
وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اى يتخذونه
وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون
او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله تعالى وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين
المتوكلين دل على ان لا واسطة في البين بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة

في المفهوم وان من لم يتوكل على الله تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم
حقيقة مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة
الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون
الصلة الثانية حالية مقيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية
التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولتوفر
الترتيب السابق لانفصال كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا انزلنا آية من القرآن
مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما
نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت
آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور
حسبما يدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم
الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا
اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول
عنهم هاهنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون
شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا
قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى
القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف فانه طبع منه وفي صيغة التفعيل
في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه
وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق
اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق
ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال
رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الاثبات وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه
وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم
من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البت
مع ظهور انه نزل به الروح الامين عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة
استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون به
جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان
صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان
مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدن علوم الاولين
والآخرين لسان الذين يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق
منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الذي يميلون اليه القول

من الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح اليا والحا وبتعريف اللسان وهذا القران الكريم لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القران معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه
فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على
كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها
تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم
انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات
الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم المفترون
بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله
بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بايات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها
على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا
وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة
بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بايات الله
لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه
افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات الله تعالى هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب
الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك
مواجهة لله سبحانه في شيء فقط والتكذيب مواجهة له تعالى في شيء وفي خلق المنبي عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه
وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء
كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد ما امن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء
والخبر محذوف لدلالة الخبر الاتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه
او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة
اطمينان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه والحال ان قلبه
مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل من شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم
اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب
اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فابى ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة
في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم
بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه

الى قدمه

الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله
عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما
الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم
بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا اثروها على الاخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات
عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد
الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله تعالى للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان هداهم
الله هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه يشير قوله تعالى اولئك
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك
الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما يفضي الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضه اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان
ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى
وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب
بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمينان قلوبهم
بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في
سبيل الله عز وجل وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة
الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام واشعار
بان افاضة اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عم ولكونهم اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم
بما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها
بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت
بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة
التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او
لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر
تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا
اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم
وتجاذبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو

اليه فكان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل مبتكر للوقوع عند ورود مثله فضل تمكن والقرية اما محققة
في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله عز وجل عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا
فبدل الله تع بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج
اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها
آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة
للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اي اذاق اهلها
لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس المنبئة عن شدة الاصابة بما فيهما
من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة
جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة
من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافتها
الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس
الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس ثم استعير له اسمه استعارة تصريحية
واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة
لايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيهما من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان
الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة
بينها وبين الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف
واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك
الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان
بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل وتكملة البيان
ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا
اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على
النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم
ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة
من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تع وتكذيب رسله
غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري على سنة الله تعالى حسبما
يرشد اليه قوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم
خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما
ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف
من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول تحار في ادراك سمو رتبته العقول

صلى

صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف
حيث اصابهم بدعائه عم بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصاب من جدب شديد وازمة محقت كل شيء حتى اضطرتهم
الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب
هذا الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله ولقد جاءهم لاهل مكة
قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب
ووقعة بدر فمما لا يساعده التحقيق كيف لا وقوله تع فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته
والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا
وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله
واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر
ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر
بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب
في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد ظهرت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر
ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تع فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه
التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي
متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم الله اي انما حرم هذه الاشياء دون ما
تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ
اي على مضطر آخر ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه
وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم اظهار لكمال اللطف به عم وتصدير الجملة
بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في قوله تع ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في
شأن ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير
ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا
وقوله تع هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف
ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن السنتهم
لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف
على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ الكذب صفة لما مع مدخولها كأنه قيل

هذا من المواضع المشتبهة قال الشيخ الكبير
ان الله غفور رحيم

لو صفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تع بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب بالجر كذوب
بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني
لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تع فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه تعالى
من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا
عليك اي بقوله تع حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق
لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعي عليهم قوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية
ولقد القمهم الحجر قوله تع كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها
ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان
ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب الجهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله عز وجل وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة
ثم عليه للتاكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تع ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية
بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار
من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابرهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل
البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة كما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل
التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل
مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل
هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون
بسيرته كقوله تع اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عم عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله عز وجل للايذان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر
لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال
ولم يك من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لرد ما على كفار قريش من الخطأ
في قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في ادعائهم وافترائهم انه عم كان
على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة واتما اوثر صيغة القلة
للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف ما هم عليه من الكفران

بانعم الله تع حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام و
نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة
حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس كافة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة
وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عم وانه في
الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما ساله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق
في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة
ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله تع لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه
لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب
الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينها ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد
مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عم الاسلام
الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام
جرى مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع
المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة الفائقة عليه عم وما كان من
المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل
السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال
ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تع وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا
يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم عم كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع ابرهيم عم
وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عم وبين المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة
وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير
وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل
السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه مسبوقا باختلافهم
في شانه قبل الوقوع كما فعله بعضهم اشارة الى ما امر الله تعالى به واختيار العكس لكن لا باعتبار الشمول العلية لطرفي الاختلاف
وعموم الغائية للفريقين باعتبار رجال ما نشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام
امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم
الذي فرغ الله تع من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تع لهم في السبت
وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تع الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه
قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب
وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد
به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه
اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله تع به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة

باختلاف احوالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تع على العصاة و
المخالفين لاوامره كعهدهم بالمثل بالتوبة التي كفرت بانعم الله تع ولا ريب في ان تكلمه بينهم بحكم بان المراد بالحكم هو فصل
ما بين المؤمنين من الاختلاف وان توسط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم
عليه السلام وبين امره بالدعوة العامة من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة
وحذف المفعول للتعميم او لان الغرض الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع محذوف للقصد الى ايجاد نفس الفعل
استغناء عن تعين المدعو بالبيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام
الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عم ومع التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى
كماله اللائق شيئا فشيئا اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتحميلهم
باحكام الشريعة الشريفة دلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اي
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الواضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابات المقنعة والعبر النافعة
على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة
التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة
تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة
الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه وذلك وهو تعليل لما ذكر من
الامرين والمعنى والله اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب
استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فانه
كافية في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية
او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه
وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر
الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك انما يكون لعارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان
على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين
حال الفريقين والمبالغة في العقاب والثواب وبعدما امره عم بما يختص به من شأن الدعوة وبين له الحكم الكلي
عقبه بخطاب شامل له ولمن تابعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق
المسبب على السبب او على نهج المشاكلة او المقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير
تجاوز حين ما آل الحال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تنفك عن ذلك
كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم
بالنار وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
وسدت عليهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله
عنه قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك

وقوي وان عاقبتم فعاقبوا اي ان رغبتم بالانتصار فقفوا بالمثل ولا تفضلوا عليهم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة
في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله ان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم
اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي الصبر خير لكم من ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا
لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه
بالفعل فيدخل فيه صبرهم دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم بما ندب اليه غيره تعريضا
من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي
على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق
في مراقبة شئونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه
او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة والتسلية من حيث اشتماله على غايات
جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع
اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم
والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل
اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين وهين اي في امر ضيق مما يمكرون اي
من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم المطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت
والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية
بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله تعالى بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشؤون شيء من مطلوب
فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي
والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع
من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرها
كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما
يؤثم من فعل او ترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث
للولاية المقرونة ببشارة قوله تعالى سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين
تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف
من وقوعه وهو المعنى بما في الصبر المأمور حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان
العاقبة للمتقين على احد التفسيرين فما حقق في مقامه والاجتناب والتوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص
في تركها فكيف بالصبر المشار اليه وارادته وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم
مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون
للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وفيه تنبيه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان كما في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي

وقد حسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية
كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان
ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على
التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه
السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعهم مستتبع لاقتدا
الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر
الراس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم
سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا
وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية تمت السورة الكريمة والحمد
لله سبحانه اولا وآخرا وصلى الله على سيد الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل
وقع الفراغ من التسويد في العاشر من رمضان الشريف لسنة ست وخمسين وتسعمائة
الكتابة من نسخة المؤلف رحمه الله تعالى وعلى المصنف ابدا وآله الكرام سلمهم الملك العلام في الاثنين من جمادى الاولى

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل حيث كان المسمى معنى لا عينا لم يكن ضرورة
من قبيل ما في اعلام المعارك او حائر على وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان وفيه ما لا يخفى من الدلالة
على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري
ومن النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه
الى الذات المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى فانه قيل تنزه
بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على
البعضية من حيث الاجزاء ودلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك
من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا
فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته
سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه
واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاستشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة
كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدا الاسراء
فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب
والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلاة

والسلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام
لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال
ابو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن
به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم
كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد
اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت [illegible] يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله
انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة
واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في
المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا
على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق
العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه والاستحالة مدفوعة فانه قد ثبت في الهندسة
ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها
الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك
الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى
اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا
حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي
من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدته بيت
المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات
وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه
بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة من غير حاجة الى التقريب
والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع
فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه
مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تنويها بالاسراء الى حصول المساعدين اي آتيناه التوراة بعدما اسرينا
وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في تضاعيفه ان لا تتخذوا بالتاء على اي
لا تتخذوا او نحو كتبت البيان الفصل كذا او قرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل
لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من
حملنا مع نوح على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء

آبائهم من الغرق في سفينة نوح أو على أنه أحد مفعولي لا تتخذوا وعلى قراءة الياء حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو لا تتخذوا
الخطاب من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغداديين وقرئ ذرية بكسر الذال إنه أي إن نوحا كان عبدا
شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به
وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم كفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا أي أنهينا وأحكمنا منه لبني
إسرائيل أو موحين إليهم في الكتاب أي في التوراة فالقضاء الإنزال والوحي إلى موسى أو إنزال الوحي إليهم
لتفسدن في الأرض جواب قسم محذوف ويجوز إجراء القضاء المحتوم مجرى القسم فإنه قيل وأقسمنا لتفسدن
مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه أولاهما مخالفة حكم التوراة وقيل قتل شعياء أو حبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله تعالى
والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله أو لتظلمن
الناس وتتوطن في ذلك إذ أطغى تجاوز الحدود فإذا جاء وعد أولاهما أولى مرتي الإفساد أي حان وقت حلول
العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجنايتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا أولي بأس شديد ذوي
قوة وبطش في الحروب يعني سنجاريب من أهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت
فجاسوا أي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار وسطها للقتل
والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا
وذلك من قبيل تولية الظالمين بعضا مما جرت به السنة الإلهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محا
لة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم بعد مائة
سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الإفساد والعلو وقيل بعد قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسارهم
وأموالهم ورجوع الملك إليهم وذلك أنه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن
لهراسب ألقى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد أساراهم إلى الشام وملك عليهم دانيال أو فاستولوا
على من كان فيها من أتباع بخت نصر وقيل حين قتل داود عليه السلام لجالوت وأمددناكم بأموال كثيرة بعد
ما نهبت أموالكم وبنين بعدما سبيت أولادكم وجعلناكم أكثر نفيرا مما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب إلى العدو كالعبيد والمعيز إن أحسنتم
أحسنتم لأنفسكم سواء كانت لازمة لأنفسكم أو متعدية إلى الغير أي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك إلا بعد أن
تكون الأعمال حسنة في نفسها أو أن فعلكم الإحسان أحسنتم لأنفسكم لأن ثوابها لها وإن أسأتم
فلها بأن عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي أو فعلتم الإساءة فلها إذ عليها وبالها وعن علي كرم
الله وجهه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها فإذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة
المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء
على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على أنه جواب إذا
وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق
به كما دخلوه أول مرة أي في أول مرة وليتبروا أي ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم

تتبيرا فظيعا لا يوصف بأن سلط الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم
يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك
من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة إن تبتم توبة
أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى عدنا إلى عقوبتكم وقد
عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك وعن
الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا لا يستطيعون خروجا منها أبد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وإنما عدل
عن الحال وجعلنا جهنم لكم سجنا على أنهم بالعود ودمارهم بذلك واستعار أبلغ الحكم إن هذا القرآن
الذي آتيناك يهدي للناس كافة لا لفرقة مخصوصة منهم كالكتاب الذي آتيناه موسى للتي
للطريقة التي هي أقوم أي أقوم الطرق وأسدها أعني ملة الإسلام والتوحيد وترك ذكرها لقصد التعميم لها
وللخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للإيذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي
هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص
بالمؤمنين ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات
التي شرحت فيه أن لهم أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر
أضعافها وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من
بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما أمروا بالإيمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وأجزيتها الذي أنبأ عنه قوله عز
وجل أعتدنا لهم عذابا أليما وهو عذاب جهنم أي أعتدنا لهم فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذابا أليما وهو
أبلغ في الزجر لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وأفجع والجملة معطوفة على جملة يبشر بإضمار يخبر أو على قوله
تعالى أن لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الإخبار المنتظم للإخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة
فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين
من ثوابهم وعقاب أعدائهم ويدع الإنسان بالشر بيان لحال المهدي إثر بيان حال الهادي وإظهار لما بينهما من
التباين والمراد بالإنسان جنس أسند إليه حال بعض أفراده أو حكي عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول
أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب
الأليم وهو أي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن
كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فأتنا بما تعدنا
إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكي عنهم وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازا كما هو ديدنهم
دعاءه بالخير أي مثل دعائه بالخير المذكور فإنه أهل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله وكان
الإنسان أي من أسند إليه المذكور من أفراده عجولا يسارع إلى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغا
في العجلة يستعجل العذاب وهو آت لا محالة ففيه نوع تهكم وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم حمل العجولية على اللج والتمادي

في استيجاب العذاب بتلك الأعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب
يدعو ويدعو الله تعالى على نفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان بحسب جبلته عجولا لا يتأنى إلى أن يزول عنه ما يعتريه روي
أنه عليه السلام دفع إلى سودة أسيرا فأرخت كتافه رحمة لأنينه بالليل من ألم القد فهرب فلما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة فقال عليه السلام إني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من
لا يستحق من أهلي عذابا رحمة أو يدعو ما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الإنسان عجولا غير متبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر
ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض
وجوه ما ذكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحد منها برهان
نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فإن الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار
مبصرة وإن كانت من الهدايات التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك
الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت
إلى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر وترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة
أي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على
أن لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة الإسلام والتوحيد فمحونا آية الليل
الإضافة إما بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة
ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل إبداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل أي أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل
آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا آية النهار أي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الأشياء
وصفا لها بحال أهلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصر وإما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر إما خلقه مطموس النور
في نفسه فالفاء كما ذكر وإما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا إلى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس
مبصرة إبداعها مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار
كما أشير إليه أي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم أي رزقا إذ لا يتسنى ذلك في الليل
وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئا فشيئا دلالة على
أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا
بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين أعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط إذ لا يكون
ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور أي لتعلموا بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتا من حيث الإظلام والإضاءة
مع تعاقبهما أو حركاتهما وأوضاعهما وسائر أحوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لإقامة مصالحكم
الدينية والدنيوية والحساب أي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي الأشهر والليالي والأيام
وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنين من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وإنما الذي
تعلق به العلم طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعني حيثية تحققها وتحصلها
من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فإن ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث اتحاد تلك الطائفة بعددها أي تميزها من غيرها بعددها في ذلك كما في تعين

ويحصي ما في سورة يونس من أن الحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين
منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه والعد إحصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك ولما أن
السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل أضيف إليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل
مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والألوف
اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودات نفعا وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على
العكس للتنبيه من أول الأمر على أن متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الأوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد
السنين علم إجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من
الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالأول أقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم
في مقام الامتنان والله سبحانه أعلم وكل شيء تفتقرون إليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل
والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا أي بيناه في
القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي أقوم ظهورا بينا
وكل إنسان ألزمناه طائره أي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب ووكر
القدر ولما وقع له في القسمة الأزلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الأزلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصويرا لشدة
اللزوم وكمال الارتباط أي ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه
بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على أن الضمير لله تعالى وللمفعول والضمير
للطائر كما في قراءة فيخرج من الخروج يوم القيامة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول
لنخرج على القراءتين الأوليين أو حال من المفعول المحذوف الراجع إلى الطائر وعلى الأخريين حال من المستتر في
الفعل من ضمير الطائر يلقاه أي يلقى الإنسان أو يلقاه الإنسان منشورا وهما صفتان للكتاب أو الأول
صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا أي يلقى الإنسان إياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل
بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك
فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة
اقرأ كتابك أي قائلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب
نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان شرا أو خيرا يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص إلا أنه يخفى
ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت
قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوي
فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته
لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه
وتذكيره لأن ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال أو لأنه مبني على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة
عن النفس الذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس إنك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير
من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من كون القرآن هاديا للتي هي أقوم والزام الأعمال لأصحابها أي

من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه
الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من
عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس
حاملة وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما
تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله عز وجل
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته
فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي
يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون
انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم
يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار
الهداية والضلال باصحابهما وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما
استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا
من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج
ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستيصال كما قاله الشيخ
ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده وايا ما كان
فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي
ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تاخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة
وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد
بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها
الامر الآتي بل دنو وقتها كما في قوله عز وجل اتى امر الله اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية
بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستيصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما ذكرنا شاملا لمطلق
العذاب اعني عذاب الاستيصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة
الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب
والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمامور به اما لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يامر بالفحشاء
لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها
اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي ثبت وتحقق موجب حلول العذاب اثر ما ظهر منهم من
الفسق والطغيان فدمرناها تدميرا اي اهلكنا اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر
مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم النعم المبطرة المفضية بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت
الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة او مهرة مامورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامرنا
من الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر والضلال

ولكن على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان تحققها منوط بارادة الله تعالى والقائه عليهم بتنعم واثره البطر منهم وحملهم على الفسق
حقيقا بان يعبر عنه بالامر وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم
فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل
فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت
احوالهم في القرآن العظيم ومن لم يقصص وعدم نظم قومه في سلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكرهم رمز الى ذكرهم
وكفى بربك اي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا محيطا بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة
الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو
لقطع الاعذار والزام الحجة من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كالاعمال
البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة
وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه
الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها
ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها
ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء تعجيله من نعيمها
لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة
اي لمن نشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد
المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه
ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتائج اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة
هود ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور
او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة
ومن اراد باعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر
والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة
الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمع
لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما
مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول
مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل
واحد من الفريقين لا الجميع الاخير المريد للخير المتحقق بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف

عدد للمسالك وما به الإمداد ما عجّل لأحدهما من العطايا العاجلة وما أعدّ للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي
وإنما يصح به تقويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا والكلام على ملاحظة عبارة وإشارة لم يستنفف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل
من كلا وهؤلاء عطف عليه أي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فإن الإشارة متعرضة لذات المشار إليه
بماله من العنوان لا للذات فقط كالإضمار وفيه تذكير لما به الإمداد وتعيين المضاف إليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد النوع
الأخير وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك أي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد
ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنبه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل
وما كان عطاء ربك أي دنيويا كان أو أخرويا وإنما أظهر إظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعارا بعليته للحكم محظورا
ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدّر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو
في معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم
الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الإمداد
وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب أحد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر أي
انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع
ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتوقن بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستدلال
بحال الأدنى على حال الأعلى كما أفصح عنه قوله تعالى وللآخرة أكبر أي هي وما فيها أكبر من الدنيا وفي أكبر درجات وأكبر
تفضيلا لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بما به الإمداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر
المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص إرادتهم لها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة
بينها وبين الفريق الثاني إرادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كلا من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة
لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من أحد ممن يريده
وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار
عدم المحظورية بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقا لشمول الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص
لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الإمداد الدنيوي بالفريق الثاني مع أنه لم يسبق في الكلام
ما يوهم ثبوته له فضلا عن إيهام اختصاصه به لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته
وهو من باب التهييج والإلهاب أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود
بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو بمعنى العجز من قعد عنه أي عجز عنه مذموما
مخذولا خبران أو حالان أي جامعا على نفسك اللوم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه
إشعار بأن الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك أي أمر أمرا مقطوعا به وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك أن لا تعبدوا
أي بأن لا تعبدوا إلا إياه على أن أن مصدرية ولا نافية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة
غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين أي
وبأن تحسنوا بهما أو أحسنوا بهما إحسانا لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش إما يبلغن
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد

ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار تضاعف
الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان
فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل لأن يجعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده
مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قيل لا تقولوا
بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المراد فلا تقل لهما أي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع أف وهو صوت ينبئ عن تضجر أو
هو اسم فعل هو أتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون أي لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل
من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه إظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما
أي لا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم
أو هو وصف له بوصف صاحبه أي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه
النزول على المروءة مثل أن يقول يا أبتاه ويا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما
بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب ودين الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن
لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر
ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم أن
من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن إلانة الجانب والتواضع والتذلل
لهما فإن إعزازهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل أو جعل لذله جناحا كما جعل
لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر
يخفض جناحه لأفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام
من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ولا
تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جملتها
الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك كونهما كافرين كما ربياني الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل
تربيتهما لي أو مثل رحمتهما لي على أن التربية رحمة ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين
والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز
أن يكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها
بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص
في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت
كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء أن
يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن
ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق علي من ماله شيئا فنزل جبريل عليه السلام وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أبياتا ما قرع سمع
بمثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا تعل بما أجني عليك وتنهل

اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ * كأني أنا المطروق دونك بالذي * طُرقتَ به دوني
وعيني تهمل * فلما بلغتَ السنّ والغاية التي * اليها مدى ما كنت فيك اؤمّل * جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة *
كأنك انت المنعم المتفضل * فليتك اذ لم ترع حق ابوتي * فعلتَ كما الجار المجاور يفعل * فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح
والبر دون العقوق والفساد فانه تع كان للاوابين اي الرجاعين اليه تع عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم
من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه
الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد
بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تع والمسكين وابن السبيل فان المامور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي و
حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية
ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات
والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعها لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في
صرفه وقد نهي عنه بقوله تع ولا تبسطها كل البسط ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير
ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات
السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي
كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل
الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تع لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه
الله تع من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم
على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تع به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر
اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تع الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر
الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب
مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي
ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من
ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تع لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل
وليس عنده ما يعطي اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته ص فقيل فقل
لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه
دعاء عليهم بييسر عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح
واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح
مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير باقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره
بين قبحه بانه فتقعد ملوما اي فتصير ملوما عند الله تع وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت
وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه

روى

روي عن جابر رضه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم
من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلوة فنزلت يأباه ان السورة مكية خلا
آيات نزلت بها وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن
مرداس فانشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع * وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس
في مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع * فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل
وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه
على آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين
او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم و
علنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن
السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تع يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا
تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه
وان يكون تمهيدا لقوله تع ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم
مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان
لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه بزعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار
باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا
الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه و اياكم
ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم لكونها الذنب والاثم
يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء
والمد وبفتحها ممدودا وبحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة
فضلا عن مباشرته وانما نهي عن قربانه على خلاف ما سبق ونحوه من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى
مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد
لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة الحد وساء
سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه وقال صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضه انه قال صلى الله عليه وسلم اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث
في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله
تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد
الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها
بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او الا متلبسين او متلبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا متلبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر

اباحة للقاتل كان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يعتبر عفو الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر
ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء
على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف في القتل اي لا يسرف
الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنان
مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النهي مبالغة في افادة معنى المنهي
انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تع نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام
بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دايرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه تع
نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف
للقاتل الاول ويعضده قراءة ولا تسرفوا والضميران في التعليل عايدان الى الولي والمقتول فالمراد بالاسراف في الاسراف
القاتل على نفسه بتعريضه لها للهلاك العاجل والاجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه
في شان القتل كما في قوله تع قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي
عن التعرض له ومن افضائه ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تع الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة
الطريقة التي هي احسن الخصال والطرايق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن
المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور حفظا واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس
والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء
الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد
كان مسئولا اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تع وذلك يوم
مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تع تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم كلامه فحذف المضاف
وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا
للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم
للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر
بالتعديل قال تع اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو القسطاس وقيل كل
ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ
بضم القاف المستقيم العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور
الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله
كما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تع اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك
اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته وذكر جميل بين الناس
واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ
ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة بحذف القاف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به
من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم
هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص

بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تع في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج
ومنه قول الكميت • ولا ارمي البري بغير ذنب • ولا اقفوا الحواصن ان رمينا • ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ
بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى
العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه
اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال • ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام •
كان عنه مسئولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور
وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور
في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل
وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون
من باب الحذف على شريطة التفسير والحذف الجار من المفسر وبعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تع يوم مشهود ويجوز
ان يكون مسئولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب
وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب
الرغب بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله
ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد بذلك لزيادة
التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح
او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك
مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن
تبلغ الجبال التي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة
وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما
علم في تضاعيف الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة
خصلة عند ربك مكروها مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة
على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة
مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تع كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة
الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار
بكون ما عداه مرضيا عنده تع واما لم يصرح بذلك ايذانا بالغني عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ
سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة
على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او جرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او جرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية
ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سياته
ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه اي من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرايع
او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضه ان هذه الآيات
الثماني عشرة كانت في الواح موسى اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة

وهي عشر آيات في التورية ومن إما متعلقة بأوحى على أنها تبعيضية أو ابتدائية وإما بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من عائده
المحذوف في الصلة أي كائنا من الحكمة وإما بدل من الموصول بإعادة الجار ولا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وكرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس
كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بذ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب
عليه ما هو عائدة الإشراك أولا حيث قيل فتقعد ملوما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم
ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي إيراد الإلقاء مبنيا للمفعول جري على سنن
الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور أفأصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة إناثا خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه والإصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة
للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور أي أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر
لذاته أخسها وأدناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد صرح ههنا
بالتعرض لعنوان الربوبية تشديدا للنكير وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث مكان البنات إلى كفرة
لهم أخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التي هي أخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن إناثا إنكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو إضافة الولد إليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر
قدره في استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة
السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون
عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان
فيا لها من ضلالة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التقرير
في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه وفي الالتفات
إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر وقد يكون
المراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف
فيه جعله مكانا له أي أوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز أن يراد به إبطال إضافتهم إليه سبحانه البنات
وأنت تعلم أن إبطالها من آثار القرآن ونتائجها وما يزيدهم أي والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ إلا نفورا
عن الحق وإعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي إلى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في إظهار بطلان ذلك من جهة
أخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون أي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبله صلى الله عليه وسلم والكاف
في محل النصب على أنها نعت لمصدر محذوف أي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة
إذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو أي لطلبوا إلى ذي العرش إلى من له الملك والربوبية
على الإطلاق سبيلا بالمبالغة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدتا وقيل بالتقرب إليه كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر
الأنسب لقوله سبحانه فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم ما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون وأما
ابتغاء السبيل إليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يعتقدونه
رأسا أي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي أن يكون معه آلهة وأن يكون له بنات

علوا أي تعاليا كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وإنه سبحانه في أقصى غايات الوجود
وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولادا في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع لا لأنه تعالى
في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه
كما قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب في أن ذلك ليس من أدنى مراتب
حد الإمكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود وإنما هو بمنزلة ما هي من شأنه ذلك
تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات والأرض ومن فيهن من الملائكة والثقلين
على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما نطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وإن من شيء من
الأشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا إلا يسبح ملتبسا بحمده أي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق
بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولواحق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة
على أن له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون لإخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل إنه كان حليما
ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها من الإعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد
والانهماك في الكفر والإشراك غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه
ودعوتهم إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي
الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة أوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وإنما خص
بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على أنها معظم ما أمروا بالإيمان به في القرآن
وتمهيدا لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه
من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أو حجابا
على ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل امرأة أبي لهب
وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه
وأنا أخاف أن تراك فقال عليه السلام إنها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله
مما لا يقبله الذوق ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس
بمعنى غير حسي أو مستورا في نفسه بحجاب آخر أو مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون أنهم لا يدرون وجعلنا
على قلوبهم أكنة أغطية كثيرة جمع كنان أن يفقهوه مفعول لأجله أي كراهة أن يفقهوه أو مفعول لما دل عليه الكلام أي منعناهم
أن يفقهوا كنهه ويقفوا على أنه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات
معربة عن كمال جهلهم بشئون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج أسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم
لتسبيح لسان المقال إثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وإيذانا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور
عدم فهمه إلا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا وقلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك إنما هو الإخبار بما
اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والإيمان ككون القرآن
سحرا وشعرا وأساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الإخبار بأن هناك أمرا وراء ما أدركوه قد حال بينهم

وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك للمعنى ما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده دون
غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين
نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه
رجلان من بني عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك
ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المذكور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك
من واحد وكذا الحال في واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق
والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول
ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت
تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول
الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا
بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول كل احد منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد
منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي جارية يتنفس اي
بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا اي في جميع ذلك عن
منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب
في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا أئذا
كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال
الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب
على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو حطام اذا
متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل
فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الانكار به فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة
في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان
تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم
عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بصدد ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد
تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر
من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريعا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون
لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم
تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم
اي اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة أليس الذي يقدر على ذلك

بقادر

لقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها
نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك
قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث
ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في
زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة
بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث
عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير • وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم • فهو ضمير المصدر
وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا
بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين
له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها
وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم
في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم
مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة و
المشاترة والمعاتبة والمضاربة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق
وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من
ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر
وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من
اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة واحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه
رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي
هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة
والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم للنبوة والولاية من يشاء ممن يستحقه وهو رد
عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك
من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري
عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليهم فان ذلك ايتاء
الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين
مسطورة في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم
وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول

واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل
ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك
الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة
بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة
فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اليه تعالى اقرب بالطاعة والعبادة ويرجون
رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه
بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم
حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك
وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الظالمة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها
البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل
وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك
يومئذ غير مختص بالقرى الظالمة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد
المجازي عذابا شديدا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط لا بالاكثية كما من فنون العقوبات
الاخروية الصادقة بما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من
القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب
في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته
المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك
بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق
والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن
انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة
حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي
رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الريح وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع
النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا
ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب
الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند
واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وفيه حديث من هذا الوجه وانت خبير بان نحو هذا
لا يسلط الله السباع والسباع وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحها قريش من احياء الموتى
وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما منعنا ارسالها

شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارسالها تعالى بها وان كان لحكمة المبنية على الحكم البالغة
لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالته في حقه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيفاء حكم
بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم بحكم الشركة
في جريرة ما كان مناقضا للارسال باقتراحه من الآيات لمعاينتهم التكذيب المستدعي للاستئصال للمخالف لما جرى به
قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك
المناقضة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه السلام
بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير
واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتائها مقترحهم
ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان
كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم
مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها
مجازا للمبالغة او جعله ابا الى ان معدا الابصار ليس من قبل الله بل من قبل او جاعلتهم ذوي بصائر
من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا
من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان
من العلم بحالهم ما لا يخفى على احد يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج
من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات للمقترحة الا
تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل
بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته
والحال انا ما نرسل بالآيات التي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه فلا يخفى عليه شيء من
افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا
فتنة للناس الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات
لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة
والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة
الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا
لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها
احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على
الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة كما هي في اصل الجحيم في ابعد

واما ايمان بعضهم فكالعدم مقام بيان عنادهم مع العتو والعناد منه عفي عنه

معان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت
فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحماة فلا تضرها ويرون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر
نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائرها
من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف
الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم
باستيصالهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد
حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات
التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا
حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء ثم فطانة قيل اذكر وقت قولنا لك
ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك
منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها
فتنة للناس مذكورة للشبهة مع الجمال ما اورث ضعفا لا وكذا ... على ذلك وقد فسر الاحاطة باهلاك
قريش يوم بدر وانما عبر بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته تعالى في اخباره واول الرؤيا بما عاين
راه عليه السلام في المنام من مصارعهم كما روي انه لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي
الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل
مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي
باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واضحين بعد الهجرة وانت خبير بانه يأبى منه ان يكون
افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون الرؤيا ما رآه طبقا لما منوقا تاخر وايضا عن نزول الآية وقد
قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملائكة
تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا وتعليم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير ام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة
ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا
لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه
الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله تعالى
يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وبقوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر أاسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض
اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه نفسه الموصول اي أاسجد له واصله طين

والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار
المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع أخر
فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى
قال فما خطبكم بعد قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفة والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره
ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني أهذا من كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأمل كان المتكلم
ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه
قوله لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم
حيثما شئت ولا استولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنك الدابة واحتنكها اذا جعل في حنكها الاسفل
حبلا تقودها به وهذا القول لانه لازيّنن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تاتي ذلك للطالبة تلقيا من جهة
الملائكة او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا منهم
وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه
وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفره وهو نصب على المصدر
مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
اي استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث
والفساد قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل
في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل والخيالة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي
قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمها مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما
اي بجمعك الراجل التابع للخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله
ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن
مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك
كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن
خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاسناد الى الظاهر لتسجيل الغرور واظهار ما هو مزين بما يوهم انه صواب
ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة لثبوت الحكم في قوله

ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير المخاطب للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق
لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه
ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما تقدم
من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من
مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بها
الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى جليلة وحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من
تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده
من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم
وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر
اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض
افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر
الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب
والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وتحت سلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ
بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد
لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على الى المنبئة عن مجرد الانتهاء
للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار
خلق الدواعي الملجئة الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا
الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء
الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر
حين تمر بها كسر فيغرقكم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون والتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا
منا او دركا للثأر من جهتنا كقوله تعالى ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم
اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك
مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول اليه برجله
التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه
وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وانت خبير
بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب

المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يميز
الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم
ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز
فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم
دائمة عارية عن الخطاء والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هاهنا بيان التفضيل في امر مشترك
بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه
ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام من المفضل
جميع افراد البشر عليهم السلام استثناهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه اذ ليس من الامور
الفاخرة للبشر ان يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم اذ ليس كل ذي حجا يفتخر به وقوله
تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعو
نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول
ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى
او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يرعى
كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم ما فعلنا في الدنيا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم
في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين
وقيل كتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اصحاب دين كذا يا اهل كتاب كذا
وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا
فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه
وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل
او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الاتيان وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار
برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشهد بها الايتاء المذكور يقرءون كتابهم الذي اوتوه على الوجه
المبين مبتهجا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم
بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشر الذي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة
ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة
لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه
من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا يهتدي
الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد
من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا من الاعمى اي ازوال الاستعداد
الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له
ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة
وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان

اي على لغة اكلوني البراغيث

من اصحاب اليمين والآخر الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في
كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك
حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك
وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم
بآلهتنا فان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن
قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد لتفتري
علينا غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا
اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق
بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك
لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان
تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي
اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وعنايته اذا لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك
لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل
المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك
العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع
عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا وقرئ
خلافك اي بعدك كما قال خلت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا • اي ولو خرجت لا يبقون
بعدك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل
الآية في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اي سن الله ذلك سنة وهي ان يهلك كل امة
اخرجت رسولهم من بين اظهرهم والسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله
تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها لقوله عليه السلام
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينيه
وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل التركيب للميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتوقيت مثلها
في قولك لثلث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين

الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات
كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوة من غير فصل بينها
لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله
فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات والتحديد المذكور بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه و
استدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تع وقرآن الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا على معمول اقم
او على الاغراء وقال الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة
له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القرآن مندوبا فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب
فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قرآن الفجر اظهر في مقام الاضمار
ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه
بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالآية على تفسير الدلوك بالزوال
جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر وعن الكلبي قيل هو نصب على الاغراء اي
ومن الليل قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون للمغرى به فاء ولا يجري نفعا كون معناه بعض
فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصحيح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل
فتهجد به اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم او البعض المفهوم من
قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على
طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة
ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض
بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في
فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة
واما على حالية من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير
للهجود او للبعض اي صل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يليق بك الى حالك
اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعثت من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب
على الظرفية على اضمار فيقيمك او بتضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا في
معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الخلق وفيه تهوين
لمشقة قيام الليل • وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقام يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل
فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك • وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم
فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا

ملتبسا بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه
من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله وعض زمان
يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يدع واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عم بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس
الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت
الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل
اي كائنا ما كان كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي
لقنه عن ابن مسعود رضه انه عم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده
في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان
من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في
الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم
واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي عم
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في
كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حينئذ ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله بموجب الدواعي
المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء
لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده
قوله تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء
في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل لما بهم من داء الكفر
والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب
الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان
ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من
الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء
صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه لوى عطفه
بجانبه الثاني بجانب ان يلوي عن الشيء عطفه وتوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار
لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر
بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس
من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تع واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
ونظائره فان ذلك شان بعض آخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال

راء في راى واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل واحد منكم وممن هو على خلافكم يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي براكم على هذه الطبائع اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدا حياته روي ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية
قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان
والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة
الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثره الله تع بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد
يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال عم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا
ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما نيط به المعاش والمعاد وهو
بالاضافة الى معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من
الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه
والمعنى انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله تع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط
بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تع وما اوتيتم من العلم الا قليلا
اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس جزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي بها يعلمها معرفة ذاته و
حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وحمل الجواب على الاخبار بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني
مع عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده التنصيص ببيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل
المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عم وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من
كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع
للعلوم التي اوتيتموها وتبتناك عليه حين كادوا ليفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما
عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق
واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد بالذهاب
به المحو من المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما
تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك
وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس
منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا

استرداده مسطورا انحصر الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء
حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويقطع القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارساله
وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه
الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الجن والانس اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
الموصوف بالاوصاف المذكورة المعقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر
لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل
المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من
الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد
مسد جواب الشرط ولولا هي لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول
لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل هذا القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء
التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتأتوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون
بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة
فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين
من التأكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحالة
المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما
قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لما ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشئ انما يقرر
نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بعينه تمنع من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية
ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب
زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس
اوثر الاظهار على الاضمار تأكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت
الا زيدا لانه متأول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على
انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا
مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن عادة
وجوده ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا
من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او يكون لك
جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد
اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامته لما ان الفاء تنبئ عن الابتداء او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والطائفة كما في الكل

على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله
والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا بما تدعيه شاهدا بصحته ضامنا لدركه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها
عليها اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها والصاف يقال رقي
في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل معك علينا
كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ
الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول
وما كانوا يقصدون بما تلك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات
ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها
لساحة السبحان عما لا يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشبيهة بالتطاول الى السموات بسلطان او عن طلب النبي عليه السلام
ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور
مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا
يأتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى
يتخيروا منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول
ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات
المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او وما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيئه ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع
على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنس البشر وليس
المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول
ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى
لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي
يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث
يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم مخلا للايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل
لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض
بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل
من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مخالف
للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع واما بعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب
وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا
والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم بالقضية الحكمية
في الاول ولم يصغوا اليه رشدا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء

وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه لما اخبر للسيادة
قوله تع بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان
بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه
تسلية لرسول الله عم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدا مفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة
اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي
الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم او ترجيح الجمع
اعتبارا للمعنى من غيرها او ترجح مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال
وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تع اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم
الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما
يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد على الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال
الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تع يوم يسحبون في النار
على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير في الحال السابقة وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون
بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤوفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في
بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تع كلما خبت
زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار وتحرقه
زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على
الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى
ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة
على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر
لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا
اما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض
من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث
قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه في قوة قد راوا والمعنى قد علموا ان من
قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه
هو يوم القيمة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذن لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق

مخافة

مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه
فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما
يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به
من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار
الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلث لم تكن منزلة اذ ذاك
وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عم ولا يساعده ايضا ما ذكر من تعلق جوابه عم بذلك الا انه الهم للسائل في قوله
علما انه كان مسطورا في التورية وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل وقرئ فسل
اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتؤيده
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عم اي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمانينة
او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا وسال على القراءة المذكورة وبآتينا ان جعل هو خبرا وكذا او باذكر على تقدير
كون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات
البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد
علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته
تع لهما للايذان بانه لا يقدر على ايجاد مثل هذه الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي بينات
مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك
العلم العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل لا كما توهمت انه مسحور به وقرئ علمت على صيغة المتكلم اي لقد علمت يقينا ان هذه
الآيات الباهرة ما انزلها الله تع الا لتكون سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عم ظنه بظنه وشتان بينهما
كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عم يحوم حول اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يخفهم ويزعجهم من
الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم لبني اسرائيل اسكنوا الارض
التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام القيمة جئنا بكم
لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وما انزلناه
من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول
الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام
اثر تحقيق حقية انزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تع فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه
على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه

تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا إن الذين أوتوا العلم من قبله أي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة
من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل أو رأوا فيها نعتك
ونعت ما أنزل إليك إذا يتلى أي القرآن عليهم يخرون للأذقان أي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لأمر الله تعالى
أو شكرا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل إذ هي أول ما يلحق
الأرض عليها وإيثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أو
لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم
ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلف وعده إن كان وعد ربنا لمفعولا
إن مخففة من المثقلة واللام فارقة أي إن الشأن هذا ويخرون للأذقان يبكون كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول
لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم
أي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وإن اختلف الاعتبار
والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أوفق
لقوله تعالى أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه
وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما مزيدة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في له للمسمى لأن التسمية للذات
وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه إذ حسن
جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والإكرام و
ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت
بها أي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور
سبيلا أمرا وسطا وقصدا فإن خير الأمور أوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون
ويؤمه المقتدون ويوصلهم إلى المطلوب وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي و
عمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله
والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك أي الألوهية كما يقوله
الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها
به وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة إيذان بأن المستحق للحمد من له هذه النعوت دون غيره إذ بذلك
يتم الكلام والقدرة التامة على الإيجاد وما يتفرع عليه من إفاضة أنواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك

عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد في الطاعة والتحميد ينبغي أن يعترف
بالقصور في ذلك روي أنه عليه السلام إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والحمد لله
سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت إلى هنا انتهت المطالعة بفضله في سلخ ربيع الأول لسبع وخمسين وتسعمائة حامدا
ومصليا ومكبرا انتهت الكتابة من نسخة المؤلف في الثاني والعشرين من جمادى الأولى لسنة خمس وخمسين وألف

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب أي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل حينئذ وإيرا
ده تعالى بالموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وإيذان بعظم شأن التنزيل الجليل
كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه
إلى أعلى معارج العبادة وتشريف له أي تشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت
النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقدم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا
أي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق وهو في المعاني كالعوج
في الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا مع كون الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفائه ما لا يدرك من العوج
بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما يشتبه
بالمشاهد الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في الأعواج المنتصب كالعود والحائط والكسر في الأعوجاج غيره
عينا كان أو معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها أو متناهيا في الاستقامة
فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة
لا أنه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج أي
جعله قيما وأما على تقدير كونها حالية فعلى الحالية من الكتاب إذ لا فصل حينئذ بين أبعاض المعطوف عليه والمعطوف
وقرئ قيما لينذر متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والإطلاق عن ذكر
المفعول الأول للإيذان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أي أنزل
الكتاب لينذر به الذين كفروا بأسا أي عذابا شديدا من لدنه أي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم
وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع
ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين أي المصدقين به الذين يعملون الصالحات أي الأعمال الصالحة
التي بينت في تضاعيفه وإيثار صيغة الاستقبال في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها
وإجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو الإيمان أن لهم أي بأن لهم بمقابلة إيمانهم وأعمالهم
المذكورة أجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه أي في ذلك

الا (ماكثين فيه ابداً) من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر
الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله عز وجل (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) متعلقاً
بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة
كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك
اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه
وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف
فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هنالك
للمؤمنين ايضاً بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس
وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة وتجويز ان يكون
الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عم (ما لهم به) اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولداً (من علم) مرفوع
على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي
ما لهم بذلك شيء من علم اصلاً لا لاخلالهم بطريق العلم مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه (ولا لآبائهم)
الذين تقلدوهم فتاهوا جميعاً في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رمياً بقول عن
عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في
قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى
(كبرت كلمة) اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه
والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزاً كبئس رجلاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء
من اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع (تخرج من افواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد
الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته لها (ان يقولون) ما يقولون في ذلك الشأن (الا
كذباً) الا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلاً والضميران لهم ولآبائهم مثل حاله عم في شدة الوجد على اعراض
القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة
احبته تأسفاً على مفارقتهم وتلهفاً على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملاً له على الحذر والاشفاق من ذلك (فلعلك
باخع) اي مهلك (نفسك على آثارهم) غماً ووجداً على فراقهم وقرئ بالاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث)
اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ
بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فالعامل باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله تعالى باسط ذراعيه
(اسفاً) مفعول له لباخع اي لفرط الحزن او الغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفاً عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على
الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل
وقد حققه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم (انا جعلنا ما على الارض) استئناف وتعليل لما في لعل من معنى
الاشفاق اي انا جعلنا ما على الارض [illegible] التكليف من الزخارف حيواناً كان او نباتاً او

كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً (زينة) مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع
واللام في (لها) اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا
بها نظراً واستدلالاً فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرها بعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث
داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضاً من زينة الحيوة الدنيا
بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة
ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء (لنبلوهم) متعلق بجعلنا اي جعلنا ما ذكر لنعاملهم معاملة من
يختبرهم (ايهم احسن عملاً) فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما يتبين المحسن من المسيء وامتازت
طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم
المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة
في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه
بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي
في حيز النصب بدلاً من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملاً فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله
عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتياً على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظاً وحذف
صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة
باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء
حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء
وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضاً لا الى الحسن والاحسن فقط
للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حققه في تفسير قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملاً (وانا لجاعلون) فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا (ما عليها) من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية
وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه (صعيداً) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض
قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه (جرزاً) تراباً
لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها
وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال
جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم
من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم
فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم (ام حسبت) خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا
للابطال والهمزة للاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت (ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا) في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر (من آياتنا) من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على
الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيداً جرزاً كأن لم تغن بالامس (عجباً) اي آية ذات عجب
وصفاً بالمصدر مبالغة [illegible]

عند قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملاً منه عفي عنه

اي فعل التعجب بحرف الاستفهام
كما ذكرنا في سورة هود
منه عفي عنه

كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من عجائب خلق الله تعالى بل هي
عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف
وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة
دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون كانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين
اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجاء الفتية اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار
على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس
على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل
بيانه الى الكهف يجعلونه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه
نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء
اي اصلح ورتب وأتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق
بهيئ لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في الموخر بتقديم احواله فان
تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه
واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على امرنا للايذان
من اول الامر بكون المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك
اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات
الى الآذان بضرب حجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم
لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على
الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملايمته
لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى
اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة
لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف لضربنا سنين
ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول
ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا
من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة
الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث
لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار او التمييز او بحمله على ما سيحدث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء
كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما فان
العلم الحقيقي مستلزم قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام

بين الناس قد ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار
والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تحزبهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار او التمييز ولم يتعلق
شيء من ذلك في مسلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تحزبهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني
وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار بطريق اطلاق اسم المسبب
على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن
التعجيزية كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين
المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم
ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته
وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات
الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليه وهذا اولى من تصوير التمثيل
بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل
على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد
فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر واختير هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول او مبنيا للفاعل
من الاعلام على ان المفعول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا او في موقع المفعولين
ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك
الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى
كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس
معنى احصائها للمدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة
لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة
عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة
عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون امدا له لا محالة لكن ليس
المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو
آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة
له بسبب عروض الانقسام لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق
في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين
فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة
وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله
عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا
فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول
وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو
ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك فالاحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث

وهو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء امر مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير
قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل اي الى التعدية ولا ريب في ان ما نحن
من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلما انه ان لم يجعله تمييزا ان
يقال فيهم احفظ لمهل السنين وزمانه تعطيلا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي امدا لبثوا
امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة
للنظائر مع ما فيه من الاعتساف والخلل بنوع من السداد لان مؤداه ان يكون بالاختبار اظهار الفضل في تبيين تمييزه
عن الاذى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار الكل عنه رأسا فهو بمعزل
قطعا وتوجيه ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم
نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم
وقد مر بيان استقامة في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف
او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على راي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا
بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به وبناؤهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار
انه مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك
وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من
خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة
الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية
ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا
بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم
بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه
احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من
عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان يعودوا والا فعل بهم ما فعل
بسائر المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه
شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاتوا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف
النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع ثيابه
الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود
الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان عاد الجبار الى المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم
وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد
فاخبرهم بما شاهده من الاهوال والهول ففزعوا الى الله تعالى ووقعوا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون
في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله
ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس
لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا

لهم فصل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل انهم فتية استيناف نحوي مبني على تقدير السؤال من النحاة والفتية
جمع قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم وفيه الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما
صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه
وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا
مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على
دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد قيامهم بين يديه لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة
فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن
ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقتضيها
فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم
على ترك عبادة الاصنام فح يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من
عنده لن ندعو من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا
للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية
وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط اي
متجاوزا عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة
وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا
واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء
هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا
لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان
بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة
كما حقق في سورة هود واذ اعتزلتموهم اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون
الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله
وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تخصصهم بعبادة الاوثان ويجوز ان تكون ما
نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف قال الفراء هو
جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم
اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم
مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما
ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان
من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف
ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف
من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف وما في من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله

عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى
الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار
وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات
يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اي تراها
عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي
يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة
لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها
لولا ان كفتها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنعه الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في
موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل
ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن
وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم
فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على الكهف
على التنصيص فذلك اشارة الى ايوائهم الى الكهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف
تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف
القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة
المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها
من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان
بالغت في التتبع والاستقصاء وليا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده
مع وجوده وامكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها والخطاب فيه كما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف
وهو اليقظان لانفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل لكثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم
وهم رقود اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على اذانهم ونقلبهم في رقدتهم
ذات اليمين اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان
قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء
وقيل في كل تسع سنين وقرئ ويقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل ينبئ عنه وتحسبهم اي
وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي
احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع مر بهم فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه [illegible]
[illegible] واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير
وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف
وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
[illegible] بالوصيد اي

بالوصيد الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة
وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية
والفرار واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال
وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز
وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
[illegible] قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله لا يبعد ان يكون الطاهر من ذلك علام اختلاف احوالهم في اجسامهم
ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتيب على الاطلاع اذ لو روعي
[illegible] لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار
وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي
الله عنهما ليس لك ذلك قد منعه الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث
ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لملئت
بالتشديد وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم
من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه
ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة
عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم
واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا
يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا
الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم ينسبوا الى الكذب قالوا
اي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله
سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين
فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في حكاية المحاورة
في الحكاية يقتضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم هذه
قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة
مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ
بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود
لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما فليأتكم برزق منه
اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على
الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف
وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان ثبتم
على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن

فيه ملكنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتعليق
الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل
بعث للمبعوث على الاستخفاء وحث الباعثين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان
نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذن اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التهديد
والتحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازدياد بصيرتهم واتيناهم اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم
ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث
او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت
لا تردد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا
للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا
ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد
اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق محل التنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به
وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف
اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله
في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من
التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس اتهموه
بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم
في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل التنازع فيه امر الفتية فقيل بعضهم اي اعثرنا عليهم حين
يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير
وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فكانوا فقالوا اي قال
بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما اعوزهم الاطلاع على حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث
اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حين اختلفوا في انهم
ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما استمر وتجدد
كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل

وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا تخصيص للاضافة الى التنازع وهو نوع
في الموقع سيقولون الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمسلمين
لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم
كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلث بادغام الثاء في التاء و
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر
الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا
راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا
اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون
بطريق التلقن من هدى الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة
الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي
اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عددهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعددهم الا قليل من الناس
قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار
قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد
بالواو ولو كان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان
يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططيونس
فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم اي
في شان الفتية الا مراء ظاهرا اي غير متعمق فيه الا بقدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي
وتفويض العلم الى الله تعالى من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم
في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة من ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال
الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من السين الا لارشاد المؤمنين
الى صحة القول الثالث وفيه تخصيص على في الاول من الكلام في جعل احد الاقوال المحكية المنقولة من سمط
واحد يناسب الحكاية مع كون الاخرين بخلافه وفي صنوف في سبب حذف للمقول في الاثار والمعنى
فقد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا الذي نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم
فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم
فالمعنى لا احتياج اليهم في شان الفتية ولا في تصديق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان
مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسالوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل
من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعد الغد ليس بمعناه في مناط النهي
فان وسعة المجال دليل القدرة عليه الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال

الا حال ملابسة بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله
ان تقوله لا مطلقا بل بمشيئته اذن فان النسيان ايضا بمشيئته ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء
اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه
ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة
الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال الطيبي هو اي تدارك
التبرك لو تخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به
ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية
عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف
من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك
حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد اياهم والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا او ادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزته وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضه انه قال عند اهل الكتاب
انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع
سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضع الجمع موضع المفرد وما حسنه ههنا ان علامة
الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه
له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير
مختص بالغيب ابصر به واسمع ذل بصيغة التعجب على ان شأن علمه تعالى بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك
المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي
والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء زائدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى الصيغة
الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر الابصار لانه تعالى
لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى على
نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا تشرك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد وما دل
انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز
امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن
غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد ابدا الوهم وان بالغت في الطلب من دونه
ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة

والعشي اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها مع كونها علم
في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو
سبعمائة رجل قيل ان قوما من رؤساء الكفرة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح
الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في
حيز الصلة من الخصلة الداعية على ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي
مريدين رضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله
بعن لتضمينه معنى النبو والانصراف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عنه اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره
وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عم عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا
الى زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من
الكاف على الوجه الاول من القراءات المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه
مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين
ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلنا غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه
غافلا كقولك اجبنته والجملة اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك
الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء
في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله تعالى وجهته وانهماكه
في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب
اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضائعا
وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط
والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب
والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم
الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن الترديد
في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها بطريق التهديد لا التفويض عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى فمن
ربك فلا تكونن من الممترين اي جنب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم
من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من
التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تجريد من جهة الله تعالى
والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن
او ان يصدقك فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد
وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه
فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم
ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة

الكفر واختياره تجاوز حد وضع للمشيئة تهديد بوصفه نارا عظيمة محيطة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق
سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجوه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت
فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد اي ذلك في النار انما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين آمنوا في محل التعليل
للحث على الايمان المنفهم من التخيير كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي
ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن
عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك
نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض
او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور
والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو شان المتنعمين نعم الثواب
ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي للفريقين المؤمن والكافر مثلا رجلين مفعولان
لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين وللمؤمنين لا من حيث احوالهما
المتعادة ما ذكر آنفا من ان للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله
عز وجل وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل
او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه
ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من
بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة رضه اولا جعلنا
لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين
وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم
حافين حوله فتزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا
للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ
مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها
شيئا كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر
في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما
وقرئ بالتخفيف ولعل ذكر تفجير النهر بعد ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال
كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع

خصلة

خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متوقف على السقي عادة وتجيبا بالي ان ايتاء الاكل لا يتوقف
على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين
من ثمر ماله اذا كثره وقال ابن عباس رضه هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب
والفضة خاصة فقال لصاحبه للمؤمن وهو اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام
من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته
التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما
لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بالعجب والكفر قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من ذكر دخوله جنته حال كونه ظالما لنفسه كأنه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي تفنى ابدا
لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار
بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث
عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا اي مرجعا وعاقبة
ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه
ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول
الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك
اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من
خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به
الغذاء الذي منه تحصل النطفة ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا
اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر
والتلويح بالدليل على البعث الذي نطق به قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام
وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل
والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله اكفرت
كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك
ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول
في آن الدخول من غير ريث للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة
المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها
وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما
تيسر من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله
لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية
ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين

المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقلّ بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني او حال وفي قوله تعالى وولدا [illegible]
بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك فانا ارجو من
صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته
ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم
بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعده النظم الكريم فيما سلف
للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من
البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا
في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره
اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع
من المحذور واحيط امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه
ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن
من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه
الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع وكان يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له
انها بعرضية الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة
من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها
بالذكر دون النخل والزروع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث
هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى
نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة
من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد
المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك
وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال
الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل
بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناه الملك
والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على
اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف
وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها
وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ويعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة
كالمثل كماء استئناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط

به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف
فيكون مقتضى الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف
بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيف نضرته هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه
وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء
يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء
والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات
الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على
البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته
فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء
والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال
مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان حاجة الانسان اليه امس من حاجته اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم
من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها
مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء
يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شأنها
ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها
عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال
وصلاحها مخرج الصفات المادح عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفناء لما
يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة
الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها
عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بتنزيل اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لاختصاصها بها من
المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا عائدة تعود الى صاحبها
وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه
امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي
اي اذكر حين تقلع الجبال من اماكنها وتسير في الجو على هيأتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب او يسير اجزاءها بعد ان تجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف
على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة
البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير
وترى الارض اي جميع جوانبها وقرئ على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت
الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية صح

بالموحد من كل أوب وإيثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون
وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفياً وموجباً وقيل هو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا
تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر أي لم نترك منهم أحداً يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر
الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي ما يتركه السيل في الأرض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على إسناد الفعل
إلى ضمير الأرض كما في قوله وألقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان
ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره عم
من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى صفاً أي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض
فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً لقد جئتمونا
على إضمار القول على وجه يكون حالاً من ضمير عرضوا أي مقولاً لهم أو وقلنا لهم وأما كونه عاملاً في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة
التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالأصالة دون سائر القوارع مع أنه خال عن التهويل
بما جعله من الهول والحشر دون تسيير الجبال وبروز الأرض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر أي مجيئاً كائناً كمجيئكم عند خلقنا
لكم أول مرة أو حال من ضمير جئتمونا أي كائنين كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلاً أو ما معكم شيء مما تفتخرون به من
الأموال والأنصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم أن لن نجعل
لكم موعداً إضراب وانتقال من كلام إلى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع أي زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً ننجز فيه ما
وعدناه من البعث وما يتبعه وأن مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء
والظرف إما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والأول هو موعداً أو حال من موعداً وهو بمعنى الخلق والإبداع ووضع الكتاب
عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها فأورد ما ورد في أمثاله من صيغة الماضي دلالة
على التقرر أيضاً أي وضع صحائف الأعمال وإيثار الإفراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها إما وضعها في أيدي أصحابها
يميناً وشمالاً وإما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولاً أولياً مشفقين خائفين
مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيراً أو قطميراً يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوها
من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا وآن حضورك مال هذا الكتاب أي أي شيء له وقوله تعالى لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب أو استئنافية
مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا حاضراً مسطوراً عتيداً ولا يظلم ربك أحداً
فيكتب ما لم يعمل من السيئات أو يزيد في عقابه المستحق فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزلي وإذ قلنا للملائكة
أي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعاً امتثالاً بالأمر إلا إبليس
فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده
استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان أصله جنياً ففسق عن أمر ربه أي خرج
عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى إذ لولاه لما أبى والتعرض لوصف الربوبية
النابئة للمفيع لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأموالهم
المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس وأنهم في ذلك

تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى أفتتخذونه إلخ فإن الهمزة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أي أعقيب علمكم بصدور
تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته أي أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل
يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين أولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم أي والحال أن إبليس وذريته لكم عدو أي أعداء كما في قوله تعالى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وإنما
فعل ذلك تشبيهاً له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده فإن مضمونها مانع من
وقوع الاتخاذ ومناف له قطعاً بئس للظالمين أي الواضعين للشيء في غير موضعه بدلاً من الله سبحانه إبليس
وذريته وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكمال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى
ما أشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في أنفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جهة
للمحتد والعنود والعداوة أي ما أحضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق
أنفسهم ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم هذا ما أجمع عليه الجمهور حذاراً من تفكيك الضميرين ومحافظة
على ظاهر لفظ الأنفس ولك أن ترجع الضمير الثاني إلى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى إليه فإن نفي استشهاد الشياطين
خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه إنكار اتخاذهم أولياء بناء على أن أدنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث
لا حضور لا مصحح للتولي قطعاً وأما نفي استشهاد بعض الشياطين خلق بعضهم فليس من مدار الإنكار المذكور في شيء على أن
استشهاد بعضهم خلق بعض إن كان مصححاً لتولي الشاهد بناء على دلالته على كمال الاعتبار أن له مدخلاً في خلق المشهود فحمله
فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاستشهاد المذكور مصححاً لنفي الكمال المصحح للتولي
عن الكل وهو المناط للإنكار المذكور وما كنت متخذ المضلين أي متخذهم وإنما وضع موضعه المظهر ذماً لهم وتسجيلاً
عليهم بالإضلال وتأكيداً لما سبق من إنكار اتخاذهم أولياء عضداً أعواناً في شأن الخلق أي في شأن من شؤوني
حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض أحكام الربوبية وفيه تهكم بهم وإيذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة
آرائهم حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون إلى التصريح به وإيثار
نفي الاستشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم أعواناً على كونهم كذلك للإشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى
تابعون لمشيئته وإرادته فيهم وأنهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير إحضار واتخاذ
وإنما أحضاري ما يتوهمون في شأنهم أن يبلغوا ذلك المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكن ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما أطلعتهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة
للناس فيؤمنوا بإيمانهم كما يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد
بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وفي وصفهم
بالإضلال التعليل لنفي الاتخاذ وقرئ متخذاً المضلين على الأصل وقرئ عضداً بضم العين وسكون الضاد وبفتح
وسكون بالتخفيف وبضمتين بالإتباع وبفتحتين على أنه جمع عاضد كخدم وخادم ويوم يقول أي الله عز وجل
للكافرين توبيخاً وتعجيزاً وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شفعائي ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما
عبد من دونه تعالى وقيل إبليس وذريته فدعوهم أي نادوهم للإغاثة على طريقة الشفاعة إذ معلوم أن لا طريق إلى
المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفي إيراده مع ظهوره تهكم بهم وإيذان بأنهم
في الحماقة بحيث لا يفهمونه إلا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقاً اسم مكان أو مصدر من وبق

وهو فاكهوف ونوبا او وبوء وبقا كهوف وخا اذا يلك اي صلطانته كون حجة وهو النار او عداوة هي في الشرة
نفس الهلاك كقول عمر رضه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تو
مواصلتهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى ام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد
اي جعلنا بينهم امدا بعيدا الحلك يحيد الاشواط الوفرابعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون
النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
والصون عنها وظنوا الذا او بما من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا
ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم
من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية
الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان
الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتأتى منه الجدال وهو هنا شدة الخصومة
بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه
وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اي اهل مكة
الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تع ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القرآن
العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي
من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان يأتيهم سنة الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار
ان يأتيهم ضا او الانتظار فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او يأتيهم العذاب
اي عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين
اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه
القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس عن الايمان
وان كانوا مجبولين على الجدال وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين
للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه عن
مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة
ونحوها واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذاروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب
او الذي انذروه هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية
من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان المفهوم العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض
عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر
والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام
اي منعناهم ان يفقهوه او على حذف مضاف اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا اي جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه

وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط وجواب
عن سؤال النبي عم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عم مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم وجمع الضمير الراجع الى
الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواضع الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله
ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب
واما الرحمة فهو فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه
اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما ينبئ عنه قوله تع لو يؤاخذهم اي
لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة
بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ
بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه
تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة
المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان
هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا
منجى او ملجأ وال اي نجا ووال اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابهما وهي مبتدأ على تقدير المضاف
اي واهل تلك القرى خبره قوله تع اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي من
القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما ان وقت كما قاله ابن عصفور واما ظرف
استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا
لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا لا يحيدون عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد
ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى
نصب باضمار فعل اذكر اي وقت قوله لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرايثم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره تعقيب بيان ان لكل امة
موعدا بذكر ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيه من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال
اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر والغالي على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ
فان ذلك غاية يستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون
من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق
وقيل طنجة وقيل بحر الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا
ابتغي معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عم لما ظهر على مصر
مع بني اسرائيل واستقر بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطبة بليغة رقت
بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تع عليه اذ لم يرد العلم اليه
عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو خضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام
وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سال ربه اي عبادك احب اليك

قوله الغفور خبره وقوله ذو الرحمة [illegible]
على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة [illegible]
[illegible]

قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اخشى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان
في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاصحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع
او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل
نسي يوشع ان يقدمه وموسى ان يامره فيه بشيء او انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب
ماءها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه
بعد ما استيقظ يوشع ام وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله
في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونجوه لموسى
او لفتاه عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق
باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على
موسى ام الجوع عند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك
وقوله في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع
واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجانا
اليها واقمنا عندها وذكر الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق هو بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان
المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدي
الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى
مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد
بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا
على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع
النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر
زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث
هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه
الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي وما انساني ان اذكر
لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان
متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره واثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان
ما لقي نفس الحوت عند وقوعه بال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها مع موسى
عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت مبني على طرف آخر منه

وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا
ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو
كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي اعجب منه عجبا وقيل انه من كلام موسى ام وليس بذاك
قال اي موسى ام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء اي نطلبه والضمير العائد الى الموصول
محذوف اي الذي نبغيه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما اي طريقهما الذي جاءا منه قصصا
يقصان اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف
والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عم آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما ينبئ
عنه تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب
قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن استيذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد
به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم
المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم
من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليه السلام
قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم
وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المراد منكرة الظواهر والرجل الصالح
لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم
من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك
قال موسى ام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي
الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له
من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله
سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى
ام للصبر والطاعة فلا تسالني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة
وهذا من اداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسالني بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما
السلام يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى ام الى بني اسرائيل فمر بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما
بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواضع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله
تعالى لتركبوها وزينة على ما فصلته في تفسير سورة هود لما انه مبتدأ بالسفينة في قوله تعالى وقال اركبوا فيها الا ما قيل من ان في ركوبها
معنى الدخول خرقها قيل قلع لوحا من الواحها بعد ما لججوا اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فجعل
موسى ام يسد الخرق قال اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي
لقد جئت اي اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل الكثرة قال الم

الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفا بوعده قال لا تؤاخذني
بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشي نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال
الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب
مع التوصل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني
من امري عسرا اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة
وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفا فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل
كان الغلام يلعب بالغلمان ففتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام
اقتلت نفسا زكية طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر
من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم
الكريم بجعل ما صدر عن الخضر هاهنا من جملة الشرط وابراز ما صدر من موسى في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما
هو ما صدر عن الخضر من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغاية هول الفعل وفخامة شأنه ونذارته ووصول
خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه امر معهود من حيث انه موضع ترجح
العادة فانصرف النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند
مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه ام فعل ما فصل وتدبر
شأن التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من الوضع
في شي بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرته ووصول خبره الى الاسماع وذلك مما
يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل فما لا يقتضي
جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل
الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
زاد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة
حتى زاد في الاستنكار في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني
وقرئ من الاصحاب اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا
حيث خالفتك ثلث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل
حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة للقرية وجعل العدول الى استطعماهم على ان يكون صفة
للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع اوفي لها
كما في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة
يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا وحقيقة ضاف مال اليه من اضاف السهم عن الهدف ونظيره

زاره

زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض
الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من
انقاص السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به لينبئنا به او
تعريضا بانه فضول لما في لومه التعنت كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر وانخرط
افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام
الذال في التاء قال هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقرئ فراق بيني
على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق
بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا السبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سانبئك السين
للتاكيد لعدم تراخي التنبئة بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا التاويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هاهنا المآل والعاقبة
اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز
بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى للصبر دون ان
يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به وعتاب اما السفينة التي خرقتها
فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى
وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل
الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ
او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدي ياخذ كل سفينة اي
صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب
السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة
الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس
مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام
الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكونه اشقيا لعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا
ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما
شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما
بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى قد اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف
ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القول المشهور على الحكاية بمعنى فكرهنا
كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية و
اقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه
امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحا
ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة

ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك وفي اضافة الرب الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته عز وجل ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا انى اقمته لانقض وضاع الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موضع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد للارادة فان الارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك وتعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وجل وما فعلته عن امري اي عن رأيي واجتهادي تأكيدا لذلك ذلك اشارة الى العقود المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع اي ما لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رأيتني فيها فيكون انجازا للتنبيه الموعود او الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة غير ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب

تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد فالوا الياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما كان بعد مائة عام وروي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه عليه السلام على وجه الامتحان او سألته قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث بن نوح عم وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك ذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري فان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال شعر قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب ملك من كريم سيد وقيل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي

والاول

والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ وروي انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند والصين وبنى مدينة سمرقند وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدنا كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل ورعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف سنة وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلثين وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابرهيم الخليل عم فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم عم بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابرهيم عم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل علي رضي الله عنه اكان نبيا ام ملكا قال لم يكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه رأى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونه بن شرخون بن رومية

بن نوناطس بن هرقيل بن رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني
اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يورخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا
قبل المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل
ملوك الفرس واوطأ اراضيهم ثم قال ابن كثير وانما نبهنا على هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور
في القرآن الكريم هو هذا الثاني فيقع بذلك خطأ كبير وفساد عظيم كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا
وزيره الخضر وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من
الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى ملخصا والمقدوني نسبة الى مقدونية من بلاد الروم غربي
دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو
ذلك عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها
ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمتها في عهد عمرانها ونهاية شوكة اهلها وسلطانها وللقدر شاهد على القفول
عن بعض المغازي السلطانية صانها [illegible] فيها من عجائب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل في جواب
سأتلو عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي
المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلو اي سأتلو من جهته تعالى في شأنه ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على
التحقق المناسب لمقام تأييده عم وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال
سأشكر عمرا ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت * لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل
كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه
وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما
ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين
ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة
وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعل
لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين
على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية
كما اشير اليه في سورة يوسف عم والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي
والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه
السير فيها وذلل له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا
يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا
يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك
والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته
ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي
مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود

من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنه فقال
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنه وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى
قول ابن عباس رضي الله عنه بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته
محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب
ووجد عندها اي عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا
فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان او ذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان
تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة
اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع
على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل
تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان
ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين
لذلك النبي او لمن عنده من اهل مشورته مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر
على ما كان عليه من الظلم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور
ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار
وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي وان مقاولته كانت مع النبي او من عنده من اهل مشورته
واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي
المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة وجزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر
اي يجزى به جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون
على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيره بين
القتل والاسر والجواب من باب اسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام
واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يحب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما
التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نأمر به
يسرا اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا
من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي
عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم
لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم
وعن بعضهم وجدت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم

يؤمن اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت
ثم ادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم ومن مجاهد من
لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة
المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل
او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال
وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما تيسر له وجرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فامل ثم اتبع سببا
اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من
خلق الله تع فهو مضموم وما كان من عمل خلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي
استعملت اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تع لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تع فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا
عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون
السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية
من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة
منهم واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة
مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تع من الاسباب يا ذا
القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح ام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والجيل واختلف
في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدهم نحو
مائة وعشرين ذراعا ومنهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك
خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني
بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب
خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تع فيه من مالهم او على عدم قبول
خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار

كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وهو اكبر من السد واوثق يقال
ثوب مردم اي فيه رقاع وهذا اسعاف لمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة
الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني
بزبر الحديد على حذف الباء كما في امسكت الخبز ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل
ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لان الحاجة اليها اشد اذ هي
الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك
حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان
مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى
من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله
اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه
على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا
اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه
يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى
ساوى وقوله تع اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام
وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر
او الايتان فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه
فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته
وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها
فضلا عن النفخ فيها الى ان يكون كالنار او افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة
عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها
ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فجوة اصلا قال اي
ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم
اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة
عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة
بمباشرة الخلق عادة بل احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا
وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم
مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام لا دنو وقوعه كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى
يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة
الى التمكين المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي ناقة دكاء مستوية بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع
فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان

لفضله عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي أي وعده المعهود أو كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا حقا
ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمؤكد مضمونها وهو آخر ما حكي من
قصته عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء وتحقيق لمضمونه أي جعلنا بعض
الخلائق يومئذ أي يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض أي منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر
ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج
في بعض منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأ
كلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله عز وجل نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله عليهم طيرا فتلقيهم في البحر
ثم يرسل مطرا فيغسل الأرض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام
وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بمقتضى الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى
لأنها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال
والأهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة أي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في
صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا أي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم أظهرناها وأبرزناها يومئذ أي يوم إذ جمعنا
الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون تغيظها وزفيرها عرضا أي عرضا فظيعا
هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة الذين
كانت أعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري
عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيد أو كانت أعين بصائرهم في غطاء عن
ذكري على وجه يليق بشأني أو عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون سمعا لفرط تصامهم عن الحق
وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول مصور لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار
والموصول نعت للكافرين أو بدل منه أو بيان جيء به لذم الكافرين بما في حيز الصلة وللإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم من
عرض جهنم لهم فإن ذلك إنما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات وإعراضهم عنها
مع كونها أسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة أفحسب الذين كفروا أي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي
والحسبان بمعنى الظن وقرئ أفظن والهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه كما في قولك
أضربت أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه
الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعا كما إذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى أفلا تعقلون منفيا أي ألا تسمعون
فلا تعقلون لا إلى المعطوف فقط كما إذا قدر مثبتا أي تسمعون فلا تعقلون والمعنى أكفروا بي مع جلالة
شأني فحسبوا أن يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي
أولياء معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل إن الفاء للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت إلخ وكانوا
لا يستطيعون إلخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وأدخل عليها همزة الإنكار ذما على ذم وقطعا له
عن المعطوف عليه لفظا لا معنى للإيذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الإضمار والتوصيف

آنفا من التعامي والتصام على أنهما من جملة الأحوال الجلية لهم وتم ذكرا من حيث الحكاية أفعالهم الاختيارية الحادثة
لحسبانهم لبحث نوعه عليها وإيقافه دون غيرهم لأنهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصاممهم عن كلام الله عز وجل لخصوص
الإنكار بحسبانهم المنافي عن ذلك فيختلف لا يخفى مما في حيز صلة أن مع ما سد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى
وحسبوا أن لا تكون فتنة أفحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون
من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني
محذوف أي أفحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا
به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل
فإن النعت إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى إنكار الوقوع إنا أعتدنا جهنم أي هيأناها
للكافرين المعهودين عدل عن الإضمار ذما لهم وإشعارا بأن ذلك الإعتاد بسبب كفرهم المتضمن
لحسبانهم الباطل نزلا أي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل أي الضيف مما حضر من الطعام
وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من قبيل إعتاد العتاد وإعداد الزاد
ليوم المعاد فكأنه قيل إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي إيراد النزل إيماء
إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما
بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم للتعظيم من أول الأمر أو
بمعلومية النبأ للمؤمنين أيضا بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها وهذا بيان لحال
الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها وفي حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها
واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها عقب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها
حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في إقامة تلك الأعمال أي ضاع وبطل بالكلية في الحياة الدنيا متعلق بالسعي
لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم
ومجاهد ويدخل في الأعمال ما عملوه من الأحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون
أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف لأنه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين إلخ وجعله مجرورا على أنه نعت للأخسرين
أو بدل منه أو منصوبا على الذم على أن الجواب ما سيأتي من قوله تعالى أولئك الآية يأباه أن صدره ليس منبئا
عن خسران الأعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الأول وإن دل على حبوطها لكنه ساكت
عن إنباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني
مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا إذ لا مجال لإدراجه تحت الأمر بعضيه بنون العظمة وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون
أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة
حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون في ذلك ويثقفون بآثاره أو من المضاف إليه
لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى إليه مرجعكم جميعا أي بطل سعيهم والحال أنهم إلخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسبانهم
المذكور في الأول ضلال سعيهم وفي الثاني سعيهم والأول أدخل في بيان خطائهم أولئك كلام مستأنف

من جنايتهم مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين
غير داخل تحت الأمر أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المذكور الذين كفروا بآيات ربهم
بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه
بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك أعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم أي
لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا
واعتبارا لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة حيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال
عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزانا
لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير
أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع
لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم إثر بيان مآل أعمالهم المحبطة بذلك أي الأمر ذلك وقوله
تعالى جزاؤهم جهنم جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جهنم بدله وجزاؤهم خبره
أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها
قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا أي مهزوا بهما فإنهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك
العظيمة أيضا إن الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة إثر بيان مآلهم بطريق
الوعيد أي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الأعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله
ووعده وفيه إيماء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا
فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد أن الفردوس هو البستان بالرومية
وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات
وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب
عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار
الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة نزلا خبر كانت والجار
والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلا أو على أنه بيان أو حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور
فإن جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا أو جعلت نفس الجنات
نزلا مبالغة في الإكرام وفيه إيذان بأنها عند ما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة إلى الضيافة
وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر
أي لا يطلبون تحولا عنها إذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم وتطمح نحوه أبصارهم
ويجوز أن يراد نفي التحول تأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة
قل لو كان البحر أي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته
التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية إلى التوحيد المحذرة من الإشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء

لتناهيه قبل أن تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على
نفادها بعد نفاد البحر وفي إضافة الكلمات إلى الرب المضاف إلى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم
المضاف وتشريف المضاف إليه ما لا يخفى وإظهار البحر والكلمات في موضع الإضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام
من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف
الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة أي لنفد البحر من غير نفاد كلماته
تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل
تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الأبعاد وقرئ مددا جمع مدة
وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي
الإحاطة بكلماته التامة يوحى إلي من تلك الكلمات أنما إلهكم إله واحد لا شريك له في الخلق ولا في
سائر أحكام الألوهية وإنما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل
والمراد بلقائه تعالى كرامته وإدخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار
والاستدامة على رجاء اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا
في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه أحدا إشراكا
جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا وإيثار
وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان
الربوبية لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي أن جندب
بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام إن الله
لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي أنه عليه السلام قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك
إذا قصدت أن يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا
من الأرض إلى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم الآية كان له من مضجعه نورا يتلألأ إلى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام وحسبنا الله ونعم الوكيل إلى هنا
انتهى التسويد بفضل الله سبحانه غرة ذي القعدة الحرام لسبع وخمسين وتسعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
انتهت كتابة القطعة الثالثة من الأخماس التي كتبها المصنف بيده أولاد الكرام يوم الأحد خامس من جمادى الأولى سنة ٩٥٥

سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء وبتفخيمهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما
وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف
سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه

الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها وياء على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة
على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه
مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ
خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت عليه جعلت كأنها
نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية
من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر خبر لمبتدأ
محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة
اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما
يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان تنزيل السورة عليه عم تكميل له عم
وقوله تعالى عبده مفعول رحمة ربك على انها مفعول المصدر المضاف الى فاعله وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله
على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله تعالى زكريا بدل
او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله لا على الاتساع على انه
الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب
في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الريا واقرب الى الخلاص عن لائمة
على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة موالي الذين كان يخافهم وقيل كان
ذلك منه عم لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر
في تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب اني وهن العظم مني اسناد
الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله وانما اسند الى آية
صلابته وقوامها واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن
لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد الجملة
لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة
بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند
الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة
وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة
شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته وزيادة
تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب
شقيا اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة
معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا التوسل منه عم بما سلف منه من
عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عوده
بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية

المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عم لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة
في التضرع قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته واني خفت الموالي
عطف على قوله اني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عم من يلي امره بعد موته
ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي
اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقرئ من وراي بالقصر والفتح
الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي
او خف الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خفت القوم اي ارتحلوا مسرعين اي
درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا
اي لا تلد من حين شبابها فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة
له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني وقع حالا من المفعول الذي
في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان اخص من لدن في الزمان وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران
اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا
اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها تتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع
طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم
الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عم من كبر السن وضعف القوى وعقم المرأة موجب لانقطاع
رجائه عم عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك
ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عم للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب
عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة
الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت
التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم
والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته
الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث
منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عم وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان من نسل سليمان
عم وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان
زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ يرثني وارث
آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير لصغره اي ابا الي وارث
عم لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث
وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عم انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وعملا
وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء وبيان ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اي قال الله تعالى

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه ع بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له
ع هذه العبارة بعينه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب
لندائه ع ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى سبحانه فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضها
حسبما يقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء ع وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في
جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم ع في حق ابيه والى دعوة النبي صلعم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس
بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وجل ان يهبه يحيى نبيا رضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني
حيث قتل قبل موت ابيه ع على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال ح وفي تعيين اسمه ع تأكيد للوعد
وتشريف له ع وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم
احد قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له ع فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة
وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين
في الاسم قالوا لم يكن له ع مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا
فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم
اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله بدعوته قال
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال ع حينئذ فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه
تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم
ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات
اني يكون لي غلام كلمة اني بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة واني واللام متعلقان بها وتقديم الجار على
الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي اني يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما اني
او لي متعلق بمحذوف كما مر او هو مستقر واني نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد
وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها
وشبابي فكيف وهي الان عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج
الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء
فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احدهما
بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية هنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة
آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما
هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته كما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه
انسب وانما قاله ع مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد
المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهاره انه من محض
لطف الله تعالى وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب
فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه ع استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق

الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استيناف كما مر اي قال
منشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل ومحلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال
الثانية وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال
الله تعالى مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي هين وان كان في العادة مستحيلا
وقرئ وهو علي هين فالجملة حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما سبق او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة
لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين
يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره ع تشريفا له ع واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان
احكام ربوبيته تعالى عليه ع من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله
اللائق به مما يقلع اساس استبعاده ع لحصول الموعود ويورثه ع الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير
الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته له ع
خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وجل الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة
وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى
او حال من المستكن في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد
القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا ع اي قال تعالى الامر
كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف
مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة
هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فيخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان
المقصود بيان سهولته عليه تعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة
مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد
وانما لم ينسب ذلك الى آدم ع وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم
من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله ع لتأكيد الاحتجاج وتوضيح
منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه ع من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان ابداعه ع على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه ع على
هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق
المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا ع اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى
بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه كانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق

ادم ولم تك شيئا اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا فهذا واما حمل الشيء على المعدوم اي لم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام وترده نظم الكلام وقري خلقناك قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه ام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى ام بستة اشهر او بثلث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى ام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض ان سبحوا ان مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة اي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنه الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبي عم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس فيها مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف

[illegible] وقيل [illegible] استعمال من [illegible] الا [illegible] المراد بالظاهر [illegible] وقيل [illegible] المصدرية [illegible] على ان [illegible] مكانا شرقيا [illegible] ظرف [illegible] وقيل [illegible] شرقي [illegible] فاتخذت من دونهم حجابا [illegible] فارسلنا اليها روحنا [illegible] جبريل عليه السلام [illegible] فتمثل لها بشرا سويا [illegible] قالت اني اعوذ بالرحمن منك [illegible] ان كنت تقيا [illegible] قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما [illegible]

لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلية الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت اني يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصله بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغية كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك للاستئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على خاص حين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة

عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا
الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة
فحملته بان نفخ جبريل ع م في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه ع م رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ من بعيد
فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية
ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته
وسنها ثلث عشر سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في
بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا
قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجاءها
وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت
المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد
لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعها
ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات وقرئ
بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين
جبريل ع م من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او
على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة
ولم اكن شيئا وعن بلال رضه انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به
اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح
مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسيا
كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبريل
ع م من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة
وقيل ناداها عيسى ع م وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على ان ان مصدرية
قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى
وان امرته بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضه ان جبريل ع م ضرب برجله الارض
فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل ضربه عيسى ع م وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله تعالى فيه الماء كما فعل
مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله ذلك ايناسا
وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جاريا والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل
سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى ع م فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي [illegible] الشيء يحركه الى الجهات
المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك
والباء في قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الآية قال الفراء يقول العرب هزه وهز به

واخذ الخطام واخذ بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع حالا من مفعول هزي اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا
حسب تواتر الهز وقرئ تسقط وتسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح
الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء
في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلث الاول مفعول وعلى البواقي تمييز وقوله
جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجتنى اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا
وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقرئ عينا و
طيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما يختلج في صدور المتقيدين بالاحكام
العادية بان ظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويشرح صدورهم الى الوثوق
على سريرة امرك وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة
العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج
لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقد قرئ
كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة
واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان
كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء
ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى ع م فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة
اليهم بعدما طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا مؤنبين لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا
فريا اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا اخت
هرون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي ع م وكانت من اعقاب من كان معه
في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في
زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى ع م ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة
الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد
قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل
كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب
وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه انتهى نافلة او دائمة كما في قوله تعالى وكان
الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد
ذلك فقيل قال عيسى ع م اني عبد الله انطقه الله تعالى بذلك اولا تحقيقا للحق وردا على من
يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا

لسخريتها بنا اشد علينا مما صنعت وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكاء
على يساره واشار بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني
الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة
اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمل الله تعالى عقله واستنباه طفلا
اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني بها امرا مؤكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به مبالغة او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر وجرا عطفا على الصلوة
والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه
لما جعل جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض
بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من تقدمت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس
عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله
موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الآية وقوله تعالى
ذلك عيسى بن مريم اعتراض او لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ
قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون
فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له
ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا
شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي
وربكم من تمام كلام عيسى وقيل عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ
بالكسر على حذف اللام ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله
فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب
الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد
اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل
للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي شهود
عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم

فاعبدوه نسخه

صح

اسمع

وسائر آرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع
بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم
القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم
ويبصرون مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل النصب لكن
الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع
الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة
اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح
والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول
الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان
من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم على تلك الحالين وما بينهما اعتراض او
من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن
عليها اي لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي
الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم
في الكتاب اي في السورة او في القرآن ابرهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا
ابرهيم فانهم ينتمون اليه فخاطبهم باستماع قصته ليقلعوا عما هم عليه من القبائح انه كان صديقا
ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استيناف
مسوق للتعليل موجب الامر فان وصفه بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما في
قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز
عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل الاشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض او
لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود ذكر ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره
مرارا اي كان جامعا بين الامرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء
عوض عن ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع
ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا
من المسموعات والمبصرات فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في
جلب نفع ودفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب
وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته ما
يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم
التي لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه
على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا

على النفع والضر مطيقا بإيصال الخير والشر لكن كان ممكنا لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف
الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف
الأحياء عين ولا أثر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي
مصدرا الدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم
أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف
بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني أهدك صراطا سويا أي مستقيما موصلا إلى أسنى المطالب
منجيا عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل
ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة للشيطان لما أنه الآمر به فقال يا أبت
لا تعبد الشيطان فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله إن الشيطان
كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب
في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه وللإظهار في موضع الإضمار زيادة
التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته
فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله
يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان
وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب
كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا أي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة
وإبراز الاعتناء بأمره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما
سمع منه هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم أي
أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن
العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تع لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير
أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني أي
فاحذرني واتركني مليا أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف
سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا
أشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك
للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تع واغفر لأبي بقوله تع إنه كان من الضالين و
والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور استدعاؤه
له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه
قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى أنه عم قال لعمه أبي طالب لا أزال أستغفر لك ما لم أنه
عنه فنزل قوله تع ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في أن هذا
الوعد من إبراهيم عم وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تع واغفر لأبي الآية إنما كان قبل

انقطاع رجائه من إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تع فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه
عما يؤتسى به في قوله تع إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لا لأن القدح في جوازه لكن لأن ذلك كان قبل
ورود النهي أو لموعدة وعدها إياه كما قيل لأن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان
استغفاره عم قبل التبين فلم يتناوله النهي أصلا وأن الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب
الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تع لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و
اليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعائه
الإيمان للكافر المرجو إيمانه لا استثناؤه وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه أحد
من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار
لا إلى نفس الاستغفار بقوله تع واغفر لأبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عم وتخصيص تلك العدة بالذكر دون
ما وقع هيهنا لوروده على نهج التأكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبري على تبين الأمر
فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تع إنه كان بي حفيا أي بليغا في البر والألطاف تعليل لمضمون ما قبله
وأعتزلكم أي أتباعد عنكم وعن قومكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي
وأدعو ربي أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد
أيضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا
خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب
والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة
وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة إلى الشام وهبنا
له إسحق ويعقوب بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب
له إسمعيل عم لقوله تع فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على
اعتزاله هيهنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تع إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فإنهما شجرتا الأنبياء
لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي أنه عم لما قصد الشام أتى أولا حران فتزوج
بسارة وولدت له إسحق وولد لإسحق يعقوب والأول هو الأقرب الأظهر وكلا أي كل واحد منهما أو منهم
وهو مفعول أول لقوله تع جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أي
كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم أنبياء للإيذان
بأنها من باب الرحمة وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والأظهر
أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا
يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم
وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره
على ذكر إسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عم إنه كان مخلصا موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء
أو أسلم وجهه لله تع وأخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على أن الله تع أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله تعالى إلى الخلق

فانبأهم عنه وذلك مقدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين
والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن
ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الناحية والجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله بحال من قربه الملك
لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق
السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه
وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليه السلام وهو على الاول مفعول
لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هارون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل
ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب
الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شا الله صابرا
فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا
على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا
وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد
ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا
يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط
بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل
صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار
ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها
مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال رب
اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية
والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان
يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من
حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم وهم الباقون
واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل
على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة
والكرامة وقوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول
وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب

وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي عليه السلام اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث
غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها ففيها يقول اللهم اجعلني من
الباكين الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف
بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات
اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك
في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان
كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك
جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى
الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح
يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من
النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها
عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات او مبتدأ خبره
التي وعد الرحمن وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها
اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى العدن لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة
خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا صفة عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد
الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل المشتق ضعيف
والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر
هو حال من العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة
او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بما هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب
ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا او لما كانت هي شايعة
يترجح اليها قبل مأتيا اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا
منجزا من اتى اليه احسانه اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو
عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن
يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا ما
الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال اسماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من
باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه

الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة
وتعيين أهلها فإن ما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث أي نورثها من
عبادنا من كان تقيا أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة
أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الألفاظ من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا
إبطال وقيل نورث المتقين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ
نورّث بالتشديد وما نتنزل إلا بأمر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أصحاب
الكهف وذي القرنين والروح فلم يعرف ما يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوما أو خمسة عشر فشق ذلك
عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وأنزل الله تعالى هذه الآية و
سورة الضحى والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزّل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق نزّل على أنزل
والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت إلا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له
ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الأماكن والأزمنة وما ننتقل من مكان إلى مكان
ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته وما كان ربك نسيا أي تاركا لك يعني أن عدم
النزول لم يكن إلا لعدم الأمر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وفي
إعادة اسم الرب الموجب للتبليغ إلى الكمال اللائق مضافا إلى ضميره عليه السلام من التشريف والإشعار بعلة الحكم ما لا يخفى
وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما
نتنزل الجنة إلا بأمر الله تعالى ولطفه وهو مالك الأمور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى أي وما كان ناسيا لأعمال العاملين
وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان
عليه تعالى فإن من بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر
مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الأمر
على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له أو غير ناس لأعمال العاملين
والمعنى حين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده إلخ فإن إيجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه أو
حين عرفت أنه تعالى لا ينساك أو لا ينسى أعمال العاملين كائنا من كان فأقبل على عبادته واصطبر على مشاقها
ولا تحزن بإبطاء الوحي وهزء الكفرة فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار
باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد
كقولك للمبارز اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم
والظاهر أن يراد به هنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والأرض وما بينهما والمراد بإنكار
العلم ونفيه نفي المعلوم ونفيه على أبلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما أفاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب
تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء إطلاقه على الغير بالكلية حقا أو باطلا وقيل المراد هو
الشريك في الاسم الجليل فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلا وقيل هو الشريك في اسم الإله والمراد
بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق إلها وأما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية وفي الجملة

لوجوب العبادة عليه باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الإشعار باستحقاق العبادة ضرورة ويقول الإنسان المراد به إما
الجنس بأسره وإسناد القول إلى الكل لوجود القول فيما بينهم وإن لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
منهم وإما البعض المعهود منهم وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت ونصير
إلى هذه الحال أي يقول بطريق الإنكار والاستبعاد أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أي أبعث من الأرض أو من حال الموت
وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فإن
ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ إذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر أولا يذكر الإنسان من الذكر
الذي يراد به التفكر والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه
من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان
والهمزة للإنكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول أي يقول ذلك ولا يذكر أنا خلقناه
من قبل أي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا أي والحال أنه لم يكن حينئذ شيئا أصلا حيث
خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع فلأن يبعثه بجمع المواد المتفرقة وإيجاد
مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكّر ويتذكر على الأصل فوربك
إقسامه باسمه عز اسمه مضافا إلى ضميره عليه السلام لتحقيق الأمر بالإشعار بعليته وتفخيم شأنه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم
أي لنجمعن القائلين بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجناهم من الأرض أحياء ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على آكد
وجه وآكده كأنه أمر واضح غني عن التصريح به وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك من الأهوال والشياطين
معطوف على الضمير المنصوب أو مفعول معه روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم
كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وإن كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته إلى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي إليه مع كون القائل بعض أفراده ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة
ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا إذا قعد على ركبتيه
وأصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الأولى
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها
الياء الأولى وكسرت الجيم إتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز أي لنحضرنهم حول جهنم جاثين
على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب
فإن أهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وإن كان
المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف إلى شاطئ جهنم جثاة إهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم
من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة أي كل أمة شاعت دينا من الأديان أيهم أشد على الرحمن عتيا
أي من كان منهم أعصى وأعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن بعض من أهل العصيان ولو خص ذلك
في النار على الترتيب أو ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وأيهم مبني على الضم عند سيبويه لأن حقه أن يبنى
كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى

ومنصوب المحل عند غيره ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية
والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة
والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا
وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله تعالى
ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي هم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا
رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم والصلي كالعتي صيغة وإعلالا وقرئ بضم الصاد وإن منكم التفات
لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ويؤيده الأول أنه قرئ وإن منهم
أي ما منكم أيها الناس إلا واردها أي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه سئل عنه
فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان أي ورودها
إياها على ربك حتما مقضيا أي أمرا محتوما أوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه
ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه حال جثوهم على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى
الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمه ننجي بفتح الثاء أي هناك ننجيهم ونذر الظالمين
بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون
الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم الآية حكاية لما قالوا عند سماع الآيات
الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي إذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة
بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات أي مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان
الرسول صلى الله عليه وسلم أو بينات الإعجاز حال مؤكدة أو من آياتنا قال الذين كفروا أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد
وهم النضر بن الحارث وأتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى للذين آمنوا للتبليغ كما في قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل كما في
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه أي قالوا لأجلهم وفي حقهم والأول هو الأولى لأن قولهم
ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى أي الفريقين أي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا خير نحن أو أنتم
مقاما أي مكانا وقرئ بضم الميم أي موضع إقامة ومنزل وأحسن نديا أي مجلسا ومجتمعا يروى أنهم كانوا يرجلون
شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك
أن خيريتهم حالا وأحسنيتهم منالا مما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله تعالى وزلفاهم عنده إذ هو المعيار
على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وأن من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس
العقيم والرأي السقيم إلا لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته
تعالى بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أي كثيرا من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون
به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم
لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ذلك وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء أيضا مثل ذلك فكم مفعول أهلكنا ومن
قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم أحسن أثاثا

في حيز النصب على أنه صفة لكم وأثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورئيا
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وإدغامها أو على أنه من الري وهو النعمة والرفه
وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي من الزي وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل الفريقين إما على وجه كلي يتناول لهم ولغيرهم من المنهمكين
في اللذات الفانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم
والإشعار بعلة الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أي يمد له
ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل
بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى
إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون
إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى
حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات
وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما
أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود بدل منه
على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما
يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك
عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أي حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب
الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه
فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما وأضعف جندا أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس
المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله تعالى وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا
يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في
معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله أريد أن يعقب ذلك
ببيان أن قصور حظ المؤمن ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات
خير على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل
في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من
الصلوات الخمس وما قيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف ثوابا أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها
النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى وخير مردا أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير
لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم

أفرأيت الذي كفر بآياتنا أي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن
الأرت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد
فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث قال أني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى
أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة
بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان أن كلاهما في الاستعمال لقصد التعجيب بأن
الأول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل
المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه
أشياء وكأنه ذهب عليه قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت
فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين
الفاجرة والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي
يستدعيه النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق
الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ ولدا على أنه جمع ولد كأسد
جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى أطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير
إليه بالتعجيب منها أي أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى
في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض
لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعد الله تعالى بالثواب
عليهما كالعهد وهذا إجراء مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع
له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول أي سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله إذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة أي يتبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد
تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر
المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤوس
الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له
من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه
ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط
الغضب ونرثه بموته ما يقول أي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس
لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلا أن يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة فنعطيه من يستحقه والميراث بمعنى الإرث وقيل المراد
بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى إنما يقول هذا القول ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله
ويأتينا رافضا له منفردا عنه وأنت خبير بأن ذلك مبني على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر
على التفوه به راجيا لوقوع مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وإنما قاله بطريق الاستهزاء

ويقابلوا أداء دينه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجونه على ما
إثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها أي اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم
عزا أي ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وإنكار
لوقوع ما علقوا به أطماعهم سيكفرون أي الآلهة بعبادتهم أي سيجحدون حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا
مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الأول يكون الآلهة التي كانوا يرجون أن يكون لهم عزا ضدا للعز أي ذلا
وهوانا أو يكونون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سببا
لعذابهم وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة
ضدا وأعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضادتهم
فإنهم بذلك كشيء واحد كما في قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الألف نونا في الوقف
قلب ألف الإطلاق في قوله أقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي إن أصبت لقد أصابن أو على أنه بمعنى كل هذا
الرأي كلا وقرئ كلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون إلخ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين
على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة
العتاة من فنون القبائح من الأقاويل والأفاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والتصميم على الكفر
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والإجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه
على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغا في الجملة ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم
عليهم وتمكينهم من إضلالهم وإما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من إرسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من أحوال
الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم أزا فإنه إما حال مقدرة من الشياطين
أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم فقيل تؤزهم أي تغريهم
وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بأنواع الوساوس والتسويلات فإن الأز والهز والاستفزاز أخوات معناها
شدة الإزعاج فلا تعجل عليهم أي بأن يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الأرض من فسادهم والفاء
للإشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة إلى النهي كما في قوله تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
وقوله تعالى إنما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم أي لا تستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس
نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للإشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه
لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين أي نجمعهم إلى الرحمن أي إلى ربهم الذي
يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم ونسوق المجرمين
كما تساق البهائم إلى جهنم وردا عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش أو كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين
من الأفعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام أي اذكر لهم
بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر إلخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل
ويستدعيه جزالة التنزيل أن ينتصب بأحد الوجهين الأولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما يقع فيه
من الأمور الدالة على هوله وضميره عائد إلى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل إلى المتقين خاصة وقيل
إلى المجرمين من الكفرة وأهل الإسلام والشفاعة على الأولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي أن يكون مصدرا من

المبني للمفعول وقوله تعالى إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الأول استثناء متصل من الكلمون ومحل المستثنى إما الرفع على
البدل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من استعد له بالتحلي بالإيمان
والتقوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الإيمان والتقوى
المؤدي إلى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل أو على
أصل الاستثناء أي لا يملك المتقون الشفاعة إلا شفاعة من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيبا في الإسلام وعلى الثالث
استثناء من الكلمون أيضا والمستثنى مرفوع على البدل أو منصوب على الأصل والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم
إلا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لمقالة اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات
الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا إثر حكاية مقالة عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا
إدا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع
والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والإد بالكسر والفتح العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر
وآدني الأمر أثقلني وعظم علي أي فعلتم أو أتيتم أمرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل
فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السماوات صفة لإدا أو استئناف ببيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ
يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل
والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف وتنشق الأرض أي وتكاد تنشق الأرض وتخر الجبال أي تسقط
وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي تهد هدا أو مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لأنه
بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أي مهدودة أو مفعول له أي لأنها
تهد وهذا تقرير لكونه إدا والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هذه
الأجرام العظام وتفتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب
العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها أن دعوا للرحمن ولدا منصوب بحذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها
أي تكاد السماوات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تخر لأن دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من
الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف أي الموجب لذلك أن دعوا أو فاعل
هدا أي هدها دعاء الولد والأولى هو الأول ودعوا بمعنى سموا المتعدي إلى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول
كل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان أي انتسب إليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن
أن يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا أو دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها أي قالوا اتخذ الرحمن ولدا
أو أن دعوا للرحمن ولدا والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن
موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى إما نعمة أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم
ومولي أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز وجل إن كل من في السماوات والأرض أي ما منهم
أحد من الملائكة والثقلين إلا آتي الرحمن عبدا إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن
على الأصل لقد أحصاهم أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم
عدا أي عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا أي كل واحد منهم آت إياه
تعالى منفردا من الأتباع والأنصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع

لو قيل

لو قيل بأنه فإذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئا منهم ولدا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لما فصلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن أحوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا أي سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود
من آثارها وعن النبي عليه السلام إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل إني أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماوات إن الله
أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة في الأرض والسين لأن السورة مكية وكانوا إذ ذاك ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين ربا الإسلام أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فتنزع ما في صدورهم
من الغل الذي كان في الدنيا ولعل إفراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية
لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فإنما يسرناه أي القرآن بلسانك بأن أنزلناه
على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الإنزال أي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل أمر ينساق
إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إيحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل أو بشر به أو أنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به
المتقين أي الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا أو
اللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلعم في ضمن وعيد
الكفرة بالإهلاك وحث له على الإنذار أي قرنا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من
أحد استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي هل تشعر بأحد منهم وترى أو تسمع لهم ركزا أي صوتا خفيا وأصل
التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم
بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مكية وهي مائة وثلاثون وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل والطاء وحدها أبو عمرو وورش لاستعلائها
وأمالهما الباقون وهو من الفواتح التي صدرت بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو
مروي عن ابن عباس رضه والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي إلا أنه عند سعيد على اللغة النبطية
وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية فإن كان
صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر إن
السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون
وقد جوز أن يكون الأصل طأ ها بصيغة الأمر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ ألفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال
لا هناك المرتع وها ضمير الأرض على أنه خطاب لرسول الله صلعم بأن يطأ الأرض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على
إحدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة حرف كما يأبى التفسير بيا رجل فإن الكتابة على
صورة حرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه إما على أن أصله طأ فقلبت همزته هاء

يا اضاف آ حرف اوقفت او قلبت الهمزة يا لتطابق الفاء ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري
الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال انه اكتفي
بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان الاسمين ليقوما مقامهما بل من حيث انهما
اسمان لهما فقد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولكن لم يقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بهذه التثنية في الموضعين
المسميان من حيث هما مسميان لا من حيث هما اجزاء ان الاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما اقاما مقام
الاسمين فالمعنى اكتفي في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين وعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما سميا
بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين بمعنى انه طاها على
كونه امرا وكونه حرف نداء وها على انه ضمير كناية الارض وكونها حرف تنبيه وتجري ذلك الشطرين في التلفظ
باسميهما فبين البطلان كيف وطاها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر
او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره مخرج عن المعهود جار في الحروف
المقطعة سلك من الخامس الفواتح انما هو مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة ومحلها الرفع
او النصب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استيناف مسوق لتسليته عليه السلام عما كان يعتريه من جهة
المشركين من التعب فان الشقاء شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة
في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك
او لتتعب بفرط الاسف عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له
جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات
الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك وان القرآن انزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه
عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن محله الرفع
على الابتداء وما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ كأنه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب
على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف
الوجه الاول فانه لا يستقيم على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد وهو قائم مقامه فان القرآن
صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاجزاء
ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب
الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور
في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه
اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاجزاء فلان ماله الى ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها
لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك
القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا الا انه يحسبه في امثاله ان

يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى
الا زجرا لغيرك فان التأذي في الاول سبب عن الاشفاق والتأذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت
ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي والاباء الا ان يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان ملابسته بينهما بما ذكر من
السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب
ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما
بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل
ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه على الوجه الانسب ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام
لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان يخشى الله عز وجل ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن
علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر
مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه
للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل منصوب
بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق
التنزيل غير معهود وانما المعهود تعليقها ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قيل وهو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه
ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان يجعل
تذكرة علة لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن
في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة
لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق
وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى ما في السموات وما في الارض
الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس اظهر عنده ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى
له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال
الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى
الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة
الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من
متعلقاته وقرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول فان ما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده
الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته
تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان
تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول
وخبره قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع

عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى وقرئ على انه نعت للموصول
والجار والمجرور على الاول خبر لمبتدا محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز
عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك
وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما في السموات وما
في الارض سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب
او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت
الثرى اي ما واراه التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين
السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان
سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته في نفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر
وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدا محذوف
والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت
بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه
فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله
تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته
تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها
آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا
الكبرى وهل اتاك حديث موسى استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه ينتهي مساق الحديث وبيان انه امر مستمر
فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عم حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عم مقالة حيث قال
انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي عم في الائتساء بموسى عم في تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عم عن اقتحام المشاق وقوله تعالى
اذ راى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم
اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عم استاذن شعيبا عم في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق
مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة
وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ راى
نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم امرهم عم بذلك لئلا يتبعوه فيما
عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمراة والولد
والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم
اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر

او المامور

او المامور به لعلي آتيكم منها اي اجيئكم من النار بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة
القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة
او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين
فان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم
لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو
دون الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند
الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي
وهي اما علة لفعل محذوف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم
واما حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيقه في مطلع تفسير قوله
تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي
رأى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها
وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل
ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف ياكل ويشرب وهي نار
جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عم وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا
ونوع لا نور ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عم ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان
الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل
النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة
روي انه لما نودي يا موسى قال عم من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قيل وذلك لان سماع ما
ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة خلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عم كلام رب العزة تلقيا
روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك
امر بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة
حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل
والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالواد
المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي
انه عم خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله
بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة
بعد اخرى وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر
والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المامور به على ما قبلها فان اختياره عم لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به
واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك
كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى انني انا الله

لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به
على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة خص الصلوة بالذكر
وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد
بها غرضا اخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل
لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا
ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري بالف التأنيث وللذكرى موافقة للذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى ان الساعة
آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض
شيء متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار
لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره
وقيل اخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او
باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لانباء
الجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد
بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور
به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر
وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله للطائفتين
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاحسن لما ذكر من ان المقصود
الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه
الرائقة واكمل الانحاء يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق
الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع
في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة ومراقبتها
وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور
على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة
له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر
نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء
ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم الآية فان صد الكافر حيث كان
سببا للانصداد عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي
عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا اريتك ههنا

او في لذكري صح

فلا

فان المراد به نهي المخاطب عن الفتور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى
اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب
النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام
من الامور المتعلقة بالخلع اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره
او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة
بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان
فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي
عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل
اتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقطه
على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم و
تعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا او مقبلا عليها ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر
من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها
واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا
تعرضت لغنمه السباع قاتل بها فجعل من جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه
بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء
حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا
مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال
ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال الله عز وجل فقيل قال القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور
وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا
ثم تورمت وعظمت فلذلك سميت جانا تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين
وقيل انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت
بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف
كما سبق خذها ولا تخف قيل عن ابن عباس رضي الله عنه انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف
ونفر وما ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان
عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا
لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة
كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل
عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة
وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها
على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها الاولى او على

وضمها وابقاعها حالا من المفعول اي لنستعيدها عصا كما كانت من قبل سيرتها اي سايرتها سيرتها الاولى فتنتفع بها كما
كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك اي الى جنبك تحت العضد بعدما اخذتها والقيت عصاك كما كانت اي ادخلها تحت
عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه
يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف
هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه
روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى
غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار
والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم
الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او لنريك
بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول
وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى
واضمم او بقوله تخرج او بالقي من نحو هذا ونحوه كما قاله بعض فذلك فائل فيؤدي الى ان آية العصا صغرى
فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته
اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور
اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد
عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره
الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام
الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد
اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني
روي انه كان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما
كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها
في فيه وقيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن
لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية
بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا
قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله
تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل الاستدعاء للحل كما نطق به قوله تعالى على ان الافصحية منه لا تستدعي بقاءها اصلا بل عدم
البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى

ولا يكاد

ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها
في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به
بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء
ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء
ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من
الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان
لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو
حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون
عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل
مفعولاه وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ
صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ ومن اهلي خبره اشدد به ازري واشركه في امري
كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول
عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان
من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة
فان كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه
ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى
لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة
الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر
من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف
اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته
الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال
والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى
كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اي عالما
باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون
نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا وتقديمه عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت
سؤلك اي اعطيت مسؤولك فعل بمعنى المفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له وان
كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك
وقوله تعالى يا موسى تشريف له اثر تشريف الخطاب اثر تشريفه بتشريف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه
بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى

وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر
عن هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية
كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه
من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها الوقت الممتد الذي وقع فيه
ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء
بلسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم
واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت
وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه
وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام
او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء
اي بان اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع واما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت
عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع
لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام
والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له
في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة او للتصريح بالامر والاشعار بان عداوته
له محققة لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد
عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر
فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان
فرعون نهر كبير فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به
فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى
والقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله
وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني
متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراعيتي وحفظي او بمضمر مؤخر
هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر
بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى فرعون وما ترتب عليه من القبول
والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على
موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي
من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فان كل ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور واما كونه

ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت
فتقول اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع
في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي
انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته
مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا لها ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى
فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت
بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك
والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية مقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد
اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا
من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي خلصناك
مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد
روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم
ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله الى مدين
بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها
مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه فيها من فنون
تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب على ثماني
مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه كان
بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان
اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له
وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن
السابقة تأكيدا لوثوقه بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك
بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك
ونظائره السابقة تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت
استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا
اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية

وكونها نصبا ناعطي الايقاد در فقرة آية اخرى وسرعة تلقفها مع عظمه ومنه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له دائما بحيث كان
يدخل يده في فمه فلا يضره آية ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى
حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء
احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع
في ذكري اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ
رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنيا في ذكري حيثما تقلبتما واستمدا به العون
والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون
اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى ع م وقيل سمع باقباله
انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول
مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضه لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين
مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ورد ذه ما حكي من قوله تعالى
فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عده شبابا لا يهرم
ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب
فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجين ان يتذكر او يخشى
وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه
وجدواه في ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى
ع م بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون ع م في كل ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال
ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى ع م عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان
هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود
فكيف باجتماعهم في الخطاب انا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار
المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي
نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي
يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة
ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف
مبني على سؤال نشأ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق
آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى ع م بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف
انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله ع م كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه
فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية
كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق
بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان
كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها فاتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه

فلا تكرار

فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر
ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت
يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب
فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة
ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر
المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه
بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما
ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين
من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى
الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما
واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها
لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء
مبين واما قوله تعالى فات بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع
لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية
الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على ألطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوي
والاخروي على من كذب اي بآياته تعالى وتولى اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول
العذاب به ما لا مزيد عليه قال اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار
بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به
فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك
بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما
قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا
على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي
اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى ع م مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل
في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له ع م رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما
شاهده منه ع م من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله والايقاد يعني فمن غلوه في الخبث والدعارة
قال اي موسى ع م مجيبا له ربنا مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول
صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق ردا عليه كما
يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص
والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه

على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه
ما يحتاج اليه ثم هدى الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات
او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام
متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه
على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها
بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هدايته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث
ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما
نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان
خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله
عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون
الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له
بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة
من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها
الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان
ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين في كتاب اي مثبت في
اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح
قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على
الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره وزيادة
التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري
بديع حيث كشف عن حقيقة الحق الجاهل مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية
عن الله عز وجل لما سياتي من الالتفات الذي جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول مرفوع على المدح او منصوب عليه
او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او جعلها ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم ما يمهد
كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي جعل لكم طرقا ووسطها
بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء
ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على
ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن
لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله
ام من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات
في الآيتين هناك صريح كلامه تعالى واما هاهنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام
خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت

ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل و
النفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام
جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك
ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير
في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة
نبوة موسى عليه السلام وهارون عليه السلام لاولي النهى جمع نهية سميت بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله و
حجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئة الباغية وتخصيص كونها
آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد
من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم
من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذي
يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة
الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة
ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة
الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة
ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام من الدلائل بغاية الداعية له الى قبول الحق والانقياد
له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر
لتهويل امر الآيات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او
عرفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل
منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما فصل في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية
دهياء فانه روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه
فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده
من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره
ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صريحا اكد بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع
مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما والاضافة لعهد بقية الآيات التسع منها انما ظهرت
على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة
مترقب بعد والتعرض لذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات

الباهرة لبني اسرائيل من فلق البحر والحجر سواء اريد به الحجر الذي ضربه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان تجوز بها الآيات
الظاهرة على الانبياء عم بناء على ان حكايته عم اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليهم فان
حكايته عم لفرعون مما لم يجر ذكره هنا على ان ما سيأتي من حمل ما اظهره عم على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل ينادي باباء ذلك بينا و
ينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز حمل ما حمله عم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها
من جملة الآيات فكذب موسى عم من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان
والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال
اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه
بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب
المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط
من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عم
من المعجزة الباهرة سحرا لتجسره على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عم فقال فلنأتينك بسحر مثله والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر
مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا لما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فان المناسب له المكان والزمان
اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز عن نسبته الى ضعف
القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد
ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب
عدم اخلافه عم ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل
من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد
يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين فقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما
عينه عم بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم
وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر
الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على عادة
الملوك او لليوم فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي بالموعد
ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى
بطريق الاستئناف المبني على السؤال الناشئ من المترقب عن احواله عم والمحتاج الى السؤال والبيان ليس
الا ما صدر عنه عم من الكلام واما اتيانه او لا فمحقق غني عن التصريح به كأنه قيل فماذا صنع موسى عم عند اتيان
فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي
سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من

الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان بأي وجه كان
فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عم كأن ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من مغالبته عم و
تشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عم
لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران
الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان
قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران
وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل
اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران
وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا
بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان
عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول
موسى عم ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء
عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء فرعون
على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان تصدي السحرة للمقالة منهم للاغواء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان
يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام
وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لانهم قدوة لغيرهم والمعنى ان يخصا
الاذهاب بهم مما لا مرية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر
كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف
عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة فاجمعوا من جمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها
كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امر بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة
من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين
وسبعين اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية
وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر من
اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر منه آخر ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس
فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات
بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم
مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به
قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم
حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى

ثم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا وان كان
من السماء فله امر فيكون اسرارهم من فرعون وملائه وقيل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل
المذكورة ثم رجعوا الى ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما
جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة
بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية
ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم
واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغناهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف
لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما نلقيه او اول من يفعل الالقاء
خيروه عم بما ذكر مراعاة للادب معه او امنة من ... واظهارا للجلادة باراءة انه لا يختلف
حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك
او القاءنا قال استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عم كانه قيل فماذا قال عم فقيل قال
بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة
بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء ليبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى جهدهم ويستفرغوا اقصى
وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهره سيلقف ما صنعوا
من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها الظرفية المستدعية لمتعلق ينصبها
وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عم وقت
ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل
اشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة
موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى الجبلة البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها
المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتاخير الفاعل
لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف
وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو
المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر
الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل
خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي
عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه
بقدرة الله تع يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر غير مرة على ان ذلك المعنى انما يليق بما
لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تع تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر
من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك

سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى
التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها للتعليل من حيث
بيان كيفية غلبته عم وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما
ترى صريح في ان خوفه عم لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عم والا لعلل بما يزيله من الوعد بما
يوجب ايمانهم واتباعهم له عم وقوله تع ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تع تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة
اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما
اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او
على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تع ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين
اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها
والفاء في قوله تع فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن جمل غير مذكورة ينساق اليها النظم الكريم غنية عن التصريح بها
لعدم تردد موسى عم في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عم فوقع ما وقع من اللقف
فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم
قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال
الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عم على حقية رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم
وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما
خروا سجدا اراهم الله تع في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا لان كون تلك المنازل
منازلهم باعتبار صدور هذا القول منهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هارون وموسى تاخير موسى عند
حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هارون عم واما للمبالغة
في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى في صغره فلو قدموا موسى
لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون للسحرة آمنتم له اي لموسى عم واللام
لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير ان آذن لكم في الايمان
له كما في قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن لهم في ذلك مما يصح بعده او يتوقع انه اي موسى
عم لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون
شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم
بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عم فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف
من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تع ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فان
المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال
للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لان ذلك افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل
اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف
المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد نفسه و

وموسى عم لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عم
والتهوين به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان
عن خوف من قبل موسى عم حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل هو رب موسى
الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا لن نؤثرك اي لن نختارك
لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عم من البينات من المعجزات الظاهرة
فان ما ظهر بيده من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها
ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وانما اخره لان ما في ضمنه آية عقلية
نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب
عدم ايثارهم له عليه سبحانه وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب
لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا كما عند من يجوز تقديم الجواب
لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ
اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة
المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة
في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار
الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر
عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عم باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية
خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد
بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد بالاكراه على تعلم السحر
حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر
وقيل انه اكرههم على المعارضة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان
الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا
وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا
وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه
ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي
فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى
وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم
ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى
من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
اي فاولئك المؤمنون العاملون الصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اي المنازل

الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون
بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات
العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى
خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز
بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان و
والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما
ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل [illegible]
في التواريخ ان فرعون فعل [illegible] باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا
الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة
على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية
بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم
بعنوان كونهم عبادا له تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده
عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم
من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه
مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد
للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى
لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق
وعلى قراءة الجزم استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله
الظنونا وتقديم نفي الخوف للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم
فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم
ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى
فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا
بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون جنوده
برا وبحرا روي ان موسى عم خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره
وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق
على اثني عشر فلقا كل فرق كالطود العظيم فخاض موسى عم بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما
غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس
بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم
ما غطاهم والفاعل هو الله عز وجل او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل
فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل
الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية

ثم أمر بالاضلال وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان
نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية
على ما يختص بالدين منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساقط الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر
والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك
بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي عليه السلام
على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله
على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث
كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر على الجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان
جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبة المواعدة اليهم
مع كونها لموسى نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق والمصور بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم
ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل ما يكفيه كلوا اي قلنا لهم كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة
ما ذكر لهم واتمام النعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء
ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم غضبي
ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية
وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان
فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن
وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى
الى ان يموت ... عليه ... من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى
بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له
اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده
عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم و
احضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك
اجاب بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما
سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا
وبعد ما ذكر انه لم يكن تقدمه ذلك لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي
الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم

الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من المواضع على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه فقيل قال
فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام
وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار
عجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث
ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها
اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم
انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام
اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان
السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار
بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة لا عقيب
الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار
نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار
بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد
لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل
الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على
ابلغ وجه وآكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على
مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي أوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل
اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم
اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان
اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب
ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول
الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف
في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك
الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا
امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ
بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار
عما صنعوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا
بالخروج من مصر باسم العرس ... صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمعه منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف

مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون ع م كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته
بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل
وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ألا تتبعن أي أن تتبعني على أن لا مزيدة وهو مفعول
ثان لمنع وعامل في إذ أي أي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل
ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك زجرا لهم وفيه أن نصائح هرون ع م حيث لم تزجرهم عما كانوا
عليه فلأن لا يزجرهم مفارقته إياهم عنهم أولى والاعتذار بأنهم إذا علموا أنه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى ع م
فينزجرون بمعزل من ذلك كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه ع م أفعصيت أمري
أي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فإن قوله عليهما السلام اخلفني متضمن للأمر بهما حتما فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة
الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
أي ألم تتبعني أو أخالفتني فعصيت أمري قال يا ابن أم خص الأم بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه
لا لما قيل من أنه كان أخاه لأمه فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي روي أنه أخذ
شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان ع م حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم
يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى إني خشيت الخ استئناف يسوق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي إلى ترك
المقاتلة وتحقيق أنه غير عاص لأمره بل ممتثل به أي إني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا أن تقول
فرقت بين بني إسرائيل برأيك مع كونهم أبناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد
ع م بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله اخلفني في
قومي وأصلح يعني إني رأيت أن الإصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم إلى أن ترجع إليهم فلذلك استأنيتك لتكون
أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى إن
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم بإسناد
الفساد إلى السامري واعتذار هرون ع م كأنه قيل فماذا صنع موسى ع م بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار أصل
الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامري أي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت
خاطبه ع م بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين
ولمن خلفهم من الأمم قال أي السامري مجيبا له ع م بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الأول
وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى ع م وقومه أي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما
لم يفطنوا له ورأيت ما لم يروه وهو الأنسب بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على
القراءة بالخطاب فإن ادعاء علم ما لم يعلمه موسى ع م جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره ع م
فإنها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى أن جبريل ع م جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه أو رجليه على الطريق
اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأنا فأخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من
أثر الرسول وقرئ من أثر فرس الرسول أي من تربة موطئ فرس الملك الذي أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور
ولعل ذكره بعنوان الرسالة للإشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الأسرار الإلهية تأكيدا لما صدر به مقالته و
التنبيه على وقت أخذ ما أخذه والقبضة المرة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالمضغة

وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والأول للأخذ بجميع الكف والثاني بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها أي
في الحلي المذابة أو في جوف العجل وكذلك سولت لي نفسي أي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك إشارة إلى مصدر الفعل
المذكور بعده ومحل الكاف في الأصل النصب على أنه مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل
التسويل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار نفس المصدر
المؤكد لا نعتا له أي ذلك التسويل البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تسويلا أدنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض
اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وإغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي أو الإلهام الإلهي فعند ذلك قال ع م فاذهب
أي من بين الناس وقوله تعالى فإن لك في الحياة الخ تعليل لموجب الأمر وفي متعلقة بالاستقرار في لك أي
ثابت لك في الحياة أو بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما
هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى أن تقول لا مساس لمكان إن أي ثابت لك كائنا في الحياة أي مدة حياتك أن تفارقهم
مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ إليها وذلك أنه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد
يمس أحدا أو يمسه أحد كائنا من كان إلا حما من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا مساس
وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين
الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم تلك الحالة
إلى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد
فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من
أسباب موت الأحياء وإن لك موعدا أي في الآخرة لن تخلفه أي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة
بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والأظهر أنه من أخلفت الموعد أي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز
وجل وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الأولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
بنقل حركة اللام إليها لنحرقنه جواب قسم محذوف أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الإحراق وقيل بالمبرد على أنه مبالغة
في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه أي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا أو مبرودا كأنه هباء
نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل ع م ذلك كله حينئذ كما يشهد به الأمر بالنظر وإنما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره
واستحالة تخلف وعده المؤكد باليمين إنما إلهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب
وتوجيهه إلى الكل أي إنما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا إله في الوجود لشيء من الأشياء إلا هو وحده من غير
أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية وقرئ الله لا إله إلا هو الرحمن رب
العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما أي وسع علمه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل إنما إلهكم الذي وسع كل شيء
علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا أوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لأنه على القراءة
الأولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل إلى التعدية إلى المفعولين صار الفاعل مفعولا أول كأنه قيل وسع علمه كل شيء وبه تمت قصة
موسى ع م المذكورة لتقرير أمر التوحيد حسبما نطق به خاتمتها وقوله تعالى كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي
ع م بطريق الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى ع م وما فيه من معنى البعد
للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مقدر أي نقص عليك من أنباء ما قد
من الحوادث الماضية على الأمم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من أنباء

في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون
ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق وبعضا كائنا من انباء ما قد سبق وتقديم الكاف لقصد
في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك
القصص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر
والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه
تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة
وتقديمه يذهب بحسن ارتباط النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله
عز وجل ومن اما شرطية او موصولة وايا ما كان فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة
فادحة على كفره وعلى سائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح
الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول انسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر
او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه قيل لمن يقال هذا التحاجب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير
وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة
عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد
النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عم وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ
اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم
زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم
زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى
يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون
وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا
اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم
حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك
اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم افظع من ان يمكنهم الاشتغال
بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي
اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه
ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن مآلها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا مكة على طريقة
فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير
اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح

سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال
وعلى التقدير من يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء
الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل
الذي لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب
قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول
الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي اعوجاجا ما كأنه
لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استئناف
مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل
تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف
لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس كذلك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل
عم يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال
المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل صوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الاصوات للرحمن اي خضعت لهيبته فلا تسمع الا همسا وهو الهمس الخفي ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل
وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء
احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله و
في شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر
عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد
عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها
شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل
من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم بمعلوماته
تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما
فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العناة
الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب
من حمل ظلما قال ابن عباس رضه خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى
وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه
الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى
من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع

ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ
فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع
من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه
وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق
البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما ينبئ عنه الآية لعلهم
يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اي اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله
استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته
وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه وكان رسول الله عم اذا القى اليه جبريل عم الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي
والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها
فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك
رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا
الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان
وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه
الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف
اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه
او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان
كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عم في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويذوق
حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي عم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له
عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على
الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار
بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال
من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور
نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر
بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور
الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت
الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك
نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ
عن الاخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله

تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك
اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من
الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء
لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج
الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء
التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد
في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عم فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا
باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي
الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها للمبالغة في
التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما
ينطق به قوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع
آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان
الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر
فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عم بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ
عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه
بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا
الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من المذكورة مقصود بالذات
مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من
المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة
اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة
ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه ضرورة
ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبرها
فيهما الى الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت
اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر
واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان
زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة
وان كانت نائبة عن المكسورة التي تمنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على
مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك
عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عم عدم الظمأ والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه
بل قصد بيان ان الثابت له تحقيق عدمهما فوضع موضعه الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم

على التحقيق فوسوس إليه الشيطان أي أنهى إليه وسوسته أو أسرّها إليه قال أبدال من وسوس أو استئناف
وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد أي شجرة من
أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً لقوله تعالى إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين
وملك لا يبلى أي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما
عريا عن النور الذي كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة
الأعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من أكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر
بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل إذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر
بليغ لأولاده عن أمثالها ثم اجتباه ربه أي اصطفاه وقربه إليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه
لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو من جبى إلى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة
الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه أي قبل توبته حين تاب
هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وإفراده عليه السلام بالاجتباء
وقبول التوبة قبلاً وهدى أي إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة قال استئناف مبني
على سؤال نشأ من الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا أمره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته
اهبطا منها جميعاً أي انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع
لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أي متعادين في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب
فإما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة
في إيجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلي
فإن له في الدنيا معيشة ضنكاً ضيقاً مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها خائف
من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار
وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفاً على محل فإن له معيشة ضنكاً
لأنه جواب الشرط يوم القيامة أعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لا أعمى عن الحجة
كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً أي في الدنيا وقرئ أعمى بالإمالة في
الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديراً بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك أي مثل ذلك فعلت
أنت ثم فسر بقوله تعالى أتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد فنسيتها أي عميت عنها وتركتها ترك
المنسي الذي لا يذكر أصلاً وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى
والعذاب في الآخرة وفاقاً لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار
ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وكذلك
أي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات

ربه بل كذبها وأعرض عنها ولعذاب الآخرة على الإطلاق أو عذاب النار أشد وأبقى أي من ضنك العيش أو منه
ومن الحشر على العمى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية
والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة
إلى المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأياً ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين
المعاصرين لرسول الله عليه السلام والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله
أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة
وقوله تعالى كم أهلكنا الخ إما معلق للفعل ساد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والوجه أن يلاحظ مفعول كما
قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا الخ بياناً لتلك الهداية ومن القرون في محل
النصب على أنه وصف لمميز كم أي كم قرناً كائناً من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون أو من مفعول
أهلكنا أي أهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكد للإنكار والعامل يهد والمعنى أفلم يهد
لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام
مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون
على البناء للمفعول أي يمكنون من المشي إن في ذلك تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة
إلى مضمون قوله تعالى كم أهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات
الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأيما هاد ويجوز أن يكون كلمة في تجريدية لأولي النهى لذوي العقول
الناهية عن القبائح التي من جملتها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي
وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف
سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة أي ولولا الكلمة
السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاماً
أي لازماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واللزام
إما مصدر لازم وصف به مبالغة وإما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة
أي ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً وفصله عما عطف عليه للمسارعة إلى بيان
جواب لولا وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلاً للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى
لهم كدأب عاد وثمود وأضرابهم ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل فاصبر على ما يقولون أي إذا كان الأمر على ما ذكر
من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وأنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فإن علمه عليه السلام بأنهم معذبون
لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبساً بحمد ربك أي صل وأنت حامد لربك الذي يبلغك إلى كمالك على هدايته
وتوفيقه أو نزهه تعالى عما ينسبونه إليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بأنه مولى النعم كلها والأول
هو الأظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فإن توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي
الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها وبعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر ومن آناء الليل

اي من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما
بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه
بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف
الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى
على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل
الى ما متعنا به من زخارف الدنيا ازواجا منهم اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء
به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او
بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين
معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء
وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من
يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا
من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف
ما منحوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وأمر اهلك بالصلوة امر بان يأمر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك
رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة
الحميدة للتقوى اي لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عم كان
اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر
بالصبر عليها اي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث
لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء
وقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وجل
لمقالاتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات
واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان
ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته جميع علوم الاولين والآخرين
على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعده واي آية ترام مع وجوده
وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى مع التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها
من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني
باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد

من ربه

الاتيان

الاتيان اليهم مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة المتبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا
بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى معه انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم
بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير
ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا
بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان
البينة او من قبل محمد عم لقالوا اي يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع
آياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل
اتيانها فانقطعت معاذيرهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك
الكفرة المتمردين كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء
والسوأى والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع
بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب
او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبياء عليهم السلام وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس
رضه المراد بالناس المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد
الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق
الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى
ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب
كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان
كون المخلوق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل
المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم
تعسف تام مع اخلال ما يقتضيه المقام واما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم
السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه
والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم
ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب

جزو السابع عشر

البهم منه في السابقة هذا وأما الاعتذار بأن قربه بالإضافة إلى ما مضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار
أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه
نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه أيضا فيصار إلى التوجيه بالوجه الأول دون الأخيرين وأما الثاني فلا سبيل إلى
اعتباره هاهنا لأن قربه بالنسبة إليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وإنما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة
قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شيء آخر
وهم في غفلة أي في غفلة تامة منه ساهون بالمرة لا أنهم غير مبالين به مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع
اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء معرضون أي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران
للضمير وحيث كانت الغفلة أمرا جبليا لهم جعل الخبر الأول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال
من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن
تذكرهم ذلك أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض
لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله أي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله
تعالى إلا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور
وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم إما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر
من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه أو لاعبين حال
كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على أنه خبر
بعد خبر وأسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم
من التناجي ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرا أنهم بالغوا في إخفائها أو أسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر
أحد بأنهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو أسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو هو
مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما
أو منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا إلا بشر مثلكم إلخ في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال
نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا إلخ أو بدل من أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى
أي أسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى أفتأتون السحر للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
وقوله تعالى وأنتم تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا إلا بشر مثلكم
أي من جنسكم وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه
بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذهلوا عن
أن إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية فقاتلهم الله أنى يؤفكون وإنما أسروا ذلك لأنه
كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور
الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والأرض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما أوحي
إليه أحوالهم وأقوالهم بيانا لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وإيثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على
النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم

وقرئ قل ربي إلخ وقوله تعالى في السماء والأرض متعلق بمحذوف هو حال من القول أي كائنا في السماء والأرض وقوله تعالى
وهو السميع العليم أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم
وأفعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا أضغاث أحلام إضراب من جهته تعالى وانتقال
من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب في شأن القرآن أي لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه
عليه السلام هل هذا إلا بشر مثلكم وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا
بل افتراه من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصلا ثم قالوا بل هو شاعر وما أتى به شعر يخيل
إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين
فاسد وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث
أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب في أنه كان ينبغي
أن يقال قالوا بل أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر إلخ
كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا إلى قوله بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما
قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد و
العصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن يكون مصدرية فالكاف
منصوبة على أنها مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف أي فليأتنا بآية إتيانا كائنا مثل إرسال الأولين
وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها أي مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز
أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب
المشبه ذكر الإرسال وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر
حسبما مر في سورة يونس ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم
من الوعد الضمني بالإيمان كما أشير إليه وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وأن في
ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوه مع عدم إيمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان
سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال
لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أي من أهل
قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى أهلكناها أي بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد
مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله أفهم يؤمنون لإنكار الوقوع والفاء للعطف
إما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه لم يؤمن
أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما اقترحوا
وأعطوا ما اقترحوه مع كونهم أعتى منهم وأطغى وأما على ما اخترت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار
مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما أرسلنا قبلك إلا رجالا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ورد لما
دسوا تحت قولهم كما أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية والا فهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما في قوله عز وجل
قل انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا
الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وهي ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى
الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى
نوحي اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى
خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والارسال
نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة
الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما لا فرق بينك وبينهم
في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ
يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول وبالياء على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق
على طريقة الخطاب لرسول الله عم لا لان تحقيق الخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من العلم
فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا
ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير
توجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عم ويشاورونهم في امره عم ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر و
شأن النبي عم بالكلية وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عم اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم
اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم
يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما في قوله تعالى
وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثرة ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد
وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل
ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود
مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية
وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا
اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة
عم بشرا لا ملكا ما في ذلك مع الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية
وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي
باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه
بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد

انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي صدر به السورة الكريمة واعراض الناس عما يأتيهم من آياته و
واستهزائهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته عم ببيان
انه كسائر الرسل الكرام عم وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي
والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي
من كونه جليل القدر بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون
في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم
وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ
والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون
ان الامر كذلك او الا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى
واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا
ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب
وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية مشعرة بمضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكم قصمنا
من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي
اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم
منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او
المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ
والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات
والنوازل او تسألون اذا رأيت مساكنكم خالية ويسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء
ينفقون اموالهم رياء او بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب
يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم واستتباعه للعذاب
وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اي دعوة
لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع
والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل
كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين للمماثلة بالحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من
المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية
الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما
حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه
وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها
وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل
لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما

خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى من
طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استيناف مقرر لما قبله
من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق
بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية
الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جواب
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم
ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء
التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل
الذي من جملته اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي
يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم
الصلب كالصخرة وللمحق للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى
زهوق الروح تصويرا لذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب
بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من
الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية
متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة
اي استقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد
او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة
ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة
وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام
عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وجل منزلة المقربين عند الملوك بطريق
التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون
ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا
بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من
عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال
فقوله لا يستكبرون حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه و
ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل
يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل
آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق حق

صفة آلهة وايا ما كان فالمراد ... هو الخبر الخاص
وقوله تعالى هم ينشرون اي يحيون الموتى

بيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون
على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد وتعيين الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع
لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق بمحذوف هو صفة لآلهة وهو الذي عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ
فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل
من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه
من خصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار
كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته كنتم تستهزءون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة
امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يحمل ذلك (اي التخصيص) [illegible] من مستتبعات ادعائهم الباطل لان
الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة بحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال
بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين للاصل الانشار لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان
على انتفائه بل على استحالته وارد اذ بحجة لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا اثر ادعاء الوحدانية ثم حالا في الاستدلال وكذا
وصف كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه
الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط
بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا
اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى المعنى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على
الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما
عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل
من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقضي
باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف تعاوقت
فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها
ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات
كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة
لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي نزهوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسئل عما
يفعل استيناف وضح به انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسائله
عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية وهم اي العباد يسئلون عما يفعلون نقيرا وقطميرا
لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون وفيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار
بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان
القاطع على استحالة تعدد الآلهة على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة
مع تعريها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله تعالى وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان
جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه

ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوهم
خواص الألوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والإلزام هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فإنه لا صحة
لقول بلا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الأمر الخطير وما في إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم
برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي إنارة لبرهانه وإشارة إلى أنه مما نطقت به الكتب الإلهية قاطبة
وشهدت به ألسنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد
المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر أمتي أي عظتهم وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم أيضا برهانكم وقيل المعنى هذا الكتاب
أنزل على أمتي وهذا الكتاب أنزل على أمم الأنبياء من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر
بالتوحيد والنهي عن الإشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما وبمن الجارة على أن مع اسم وهو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون الحق إضراب من جهته تعالى
غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا ينجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل
فإن أكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لأجل ذلك معرضون أي مستمرون على الإعراض عن التوحيد
واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقي عليهم من الحجج
العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وتوسيط التعيين بين السبب والمسبب تأكيد للسببية وقوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد
مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وأيا ما كان فصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لإظهار
بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك إثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة
بنات الله تعالى ونقل الواحدي أن قريشا وبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض
لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة أو منعما عليه لإبراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه
أي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي بعد أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو
مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة
كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى
لا يسبقونه بالقول صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لأمره تعالى أي لا يقولون شيئا حتى يقوله
تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فأسند السبق إليهم منسوبا إليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله
منزلة سبقهم إياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون
ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق وأداة له ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار والتجافي عن التكرار
وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق وإشعار بأن من سبق
قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فضلا للعباد بالله سبحانه وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان أن ذلك عندهم
بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فأنى يتوهم صدوره عنهم وهم بأمره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له تعالى
في الأقوال فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره
أصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم استئناف

وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم
فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته
أي بسبب خشيته تعالى مشفقون مرتعدون وأصل الخشية خوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق خوف مع الاعتناء
فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى بالعكس ومن يقل منهم أي من الملائكة إذ الكلام فيهم
وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه متجاوزا إياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه
جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة
جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهموا ولكن الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين
مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون
أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي لا جزاء أنقص منه أولم ير الذين كفروا
تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالألوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته
والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السماوات والأرض
كانتا أي جماعتا السماوات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا رتقا الرتق الضم
والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوقتين وقرئ رتقا أي
شيئا رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير كانتا شيئا
واحدا ملتزقين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وقال كعب خلق الله السماوات
والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السماوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السماوات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السماوات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء
بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسماوات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق والسماوات جميعا على أن لها مدخلا
في الأمطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها
إما بطريق النظر والتفكر فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا
من الماء كل شيء حي أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو
لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد
أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على
أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر أفلا يؤمنون
إنكار لعدم إيمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرده تعالى بالألوهية
وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك
فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر
بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأياما معدودات أن تميد بهم أي كراهة

ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا العوم الالتباس وجعلنا فيها في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعول
ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله سبلا
وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تع حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تع خلقها ووسعها
للسابلة مع ما فيه من التاكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع
بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن
آياتها الدالة على وحدانيته تع وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي
الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تع وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون
بطريق الالتفات الموجب لتاكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منها على ان التنوين
عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك
كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع
وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة
التكوينية والتشريعية أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون
والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك والمراد
بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عم فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي
ان يصدر عن العاقل كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تع كل نفس ذائقة الموت
اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة
بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر
لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على
الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وتخييبا الى المقصود من خلق هذه النشأة الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب وقرئ
يرجعون بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا
هزوا به على معنى قصر معاملتهم معك عم على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما
يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تع ان اتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام أهذا الذي يذكر
آلهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم بسوء كما في قوله تع سمعنا فتى يذكرهم اه وقوله
تع وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عم ان يذكر
آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل
وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق
بالخبر والتقديم للحصر وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد
والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما
طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر
بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بالانسان

آدم عم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه
اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تع في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها فالمعنى خلق الانسان
خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عم ساريا الى اولاده
وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تع ساريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله عم الى
المستعجلين بطريق التهديد والوعيد ساريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها
والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوا عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون
وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام
كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي عم وللمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة
المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه كما حذف في مثل قوله تع فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر
بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما
يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي
لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار
انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان
لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تع حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته اليه
بجملة جارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك
للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو
محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب
وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل
لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال
ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوا وقوله تع حين الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين
لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اي لا يكفونها بل تأتيهم
اي العدة او النار او الساعة بغتة فجأة فتبهتهم اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا
الهاء في قوله تع فلا يستطيعون ردها بتأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار
وقيل الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير
لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم عن استهزائهم به عم في ضمن الاستعجال
وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عم وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل
للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين
من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك او نزل او
حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر ما يشتمل على الانسان

من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا
به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور
راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم على وضع
السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء
على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية
مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم
على انفسكم الآية قل خطاب لرسول الله عليه السلام اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول
لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من بأسه الذي
تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية
ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وتصدير الامر بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان
الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك … عليهم من الاشراك
اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم عن ذكر
ذكره تعالى بالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على
طريقة قول من قال عوجوا لنعمى نحي دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الاعراض بذكره مع ايراد
اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من
الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى الاضراب والانتقال
عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى لهم لعدم خوفهم الناشئ عن الاعراض عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم
الحفظ اليها والهمزة للانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا
او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع
لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله
عز وجل لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم
اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله بل متعنا
هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او
عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا
كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا
ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا
وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والفاء للانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل أبعد ظهور ما ذكر
ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعبير
عن المسلمين بهم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلونه

المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار
وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها
وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية
اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض داخل تحت الامر بان يقوله
لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا
كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك لان
الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما
من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي عليه السلام من الاسماع ونصب الصم والدعاء
كأنه قيل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم
وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره
على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرهما وبنائهما فان اصل
النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم
وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام
في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة اي لجزاء يوم القيمة التي كانوا يستعجلونها او لاجل اهله
او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم
بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان
اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان
في غاية القلة والحقارة فان حبة خردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي
احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخ للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا
بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ
جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى
انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان التورية وكذا
بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره
المغتنمون بمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول
هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر
من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه
حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او
منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه

يقصن بالكوة حيث لا ينتهزون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي
خائفون منها بطريق الاعتناء والتقديم لرعاية الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان
بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق
ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتوراة تكميلا
للمقام وموافقة لما في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر افأنتم
له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كانزال التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التوراة في
الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا
ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة
الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من
قبل اي من قبل ايتاء موسى وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل
استنبائه او قبل بلوغه وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه عالم بالجزئيات ومختار
في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله
واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
ليقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه حيث سألهم
عن اصنامهم التي يطلب بها بيان حقيقتها او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا
وتحقير عبادتهم لها مطلع العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها
واذلالها وتوبيخهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف
لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان
سؤاله عليه السلام عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه اياهم بالعكوف لها كانه قال ما هي هل تستحق
ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريق التوكيد القسمي حيث قال
لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث
لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب
المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل
الحقية في الجملة قالوا اي سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي
وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه الملاعبة
والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم
من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات
والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل
من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه

من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين
اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه حقيقة وشهادته على ذلك اداء للحجة عليه واثباتا لها
كانه قال وانا اثبت ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب
لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه
رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا
عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام
من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع
جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به وقالوا
الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل
الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه
وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون
الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن
دفع ما يصيبهم وعن الاضرار لمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة الانكار و
التوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين
استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا
انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض
نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما
مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه اما اذا لم يذكرهم وان
كانوا قد سمعوا من الناس انه يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم
قالوا اي السائلون فأتوا به على اعين الناس اي برأي منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يخفى
على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبته وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير ليس للناس
بل لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك
هل اتوا به او لا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه للتنبيه على ان اتيانهم
به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا
تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه
من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك فعلا
بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته حين ابصرها مصطفة
مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل
عليه وقيل هو حكاية لما يقود اليه تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى
الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها
فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل

الصادر عنه الى الصنم بل انما قصده تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك ما لو قال
لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقريره
لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها لمجهول من الخطوط لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد نسبة الكتابة
لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها من غيرك محتمل عنده
مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لانه
على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما اراد عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال صغارهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا
ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على
السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا
حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار
بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يعبد فقالوا
اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة
او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا
على رؤوسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء
اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة
القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق
لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من
دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب
الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له
افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة
حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او للشيء يعتد به قيل القائل
نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير
خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له اصلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة
لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا
كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم خنقوا ابراهيم عليه السلام ووضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك
حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة
وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغة
جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه

علي به

مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا
مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا
في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال
قم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل
ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال اذن لا يقبل الله
منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم وكان
اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله
تعالى لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما تراها
في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر
حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد
العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم
والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة
وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعوته عليه السلام بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق
بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام والدلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا
لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي وآتينا
لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسند اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا
انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله
تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين
فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم
وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك
قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتصر يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار
اليه تعالى ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله فاغرقناهم
اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان

اما عطف على نوحا معمول العامله واما منصوب معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تع اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر
وصيغة المضارع حكاية الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في الزرع او الكرم المتدلي عناقيده
كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تع اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته
ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المتناول لاختصاص القيام
واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومعتد لمزيد الاعتنا بشانه ففهمناها
سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود ع
رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي
ارفق بالفريقين فقال اري ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ار
الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضا ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي
ان حكمهما ع كان بالاجتهاد فان قول سليمان ع غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله اري ان تدفع صريح في انه ليس بطريق الوحي
والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود ع لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره وحرم عليه كتمه ومن
ضرورته ان يكون القضا السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان
راي سليمان ع استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود ع قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفع
للمولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم
تفاوت واما سليمان ع فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير
ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال
اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع
فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تع ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود ع اليه مع ان الحكم المبني على
الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لان ذلك من خصايص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود
ع لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ع واما حكم المسئلة في شريعتنا فعند ابي حنيفة ره لا ضمان ان لم يكن
معها سايق او قايد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تع وكلا آتينا حكما وعلما دفع ما عسى يوهمه
تخصيص سليمان ع بالتفهيم من عدم كون حكم داود ع حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده
وهذا انما يدل على ان خطا المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تع ففهمناها
سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تع ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه كان
ع ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما خص كل منهما من كراماته تع اثر بيان كرامته
العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله تع معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تع فيها الكلام وقيل يسرن معه من
السباحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل
على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شاننا ان نفعل
امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس
قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كان صفايح فحلقها وسردها لكم متعلق

بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اي اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود ع او للبوس
وقرئ بالنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام
لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام
للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال لامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال
والطير لداود ع فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له ع والاقتدا به في عبادة الله عز وجل عاصفة حال من الريح
والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه
في مدة يسيرة من الزمان كما قال الله تع غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخا تارة وعاصفة اخرى حسب
ارادته ع وقرئ الريح بالرفع على الابتدا والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض
التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعدما سارت به بكرة قال الكلبي كان سليمان ع وقومه يركبون عليها من
اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين
اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفايسها وقيل من رفع على الابتدا وخبره
ما قبله والاول اظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة لقوله
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهو لا ينافي الاولى او غيرها بالعموم كلمة من نكرة قيل من يعملون وجمع الضمير
الراجع اليها باعتبار معناها بعدما روعي جانب لفظها بقوله تع من الشياطين روي ان المسخر له ع كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تع ومن
الشياطين وقوله تع وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا او على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة
وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار
وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تع وداود وسليمان اي اذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر
وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين الندا معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال
ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلوب لطفا في السؤال
وكان ع روميا من ولد عيص بن اسحق ع استنباه الله تع وكثر اهله وماله وابتلاه الله تع بهلاك اولاده بهدم
بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام
وسبع ساعات روي ان امراته ماصر بنت ميشا بن يوسف ع او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما
لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تع ان ادعوه وما
بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت
لانه تركني وعبد اله السما فلو سجدت لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لا
المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة
فقال ع لعلك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق
بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك وطردها فبقي طريدا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا
فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك ركض

فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت
عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تع فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تع وذلك قوله
تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني
افاتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور
فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها
فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت
وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من
عندنا وذكرى للعالمين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او رحمة
العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعلم شأنهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي
واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تع او تكفل منه او ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين
اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم
في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم
الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عم اذ ذهب مغاضبا
اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل
وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء
المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق
عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان
لن نقدر عليه اي يعامل معاملة من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تع يحسب ان ماله
اخلده اي يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ
بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت
فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته
حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان
ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك اي انزهك تنزيها
لائقا من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها
للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف
وجه واحسنه عن رسول الله صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه
الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك
اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام ننجي
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت

التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء تحذف تارة وقد حذف حرف المضارعة الذي بمعنى الافتتاح خلاف
ولكن التنوين كان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو
مجهول مسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا
اي واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم
ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا
له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها واصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تع انهم كانوا
يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تع المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه
الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشهورة بخلاف المقصود من كونهم خارجين
عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب
او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او طامعين والرهب وكانوا
لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تع ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال
الحميدة والتي احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها و
تنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا
النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عم وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته
عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لكل
واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه
اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا
على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من
امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عم اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال التبدل لها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة
حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا
على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تع وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى
عليهم ما افسدوه من التوحيد في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين كأنه قيل الا ترون الى عظيم ما
ارتكب هؤلاء في الدين الذي اجتمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد
كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ حسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل
للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تع فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا
من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران
الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال تنزهه تع عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز
الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تع ونفى نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا
له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى
انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى

كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي يمتنع البتة عدم رجوعهم الينا
للجزاء الا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به
قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم
لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الاية
السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع
ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما دل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك
حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة
حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون
عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة
اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ
فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على
فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت
الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي
يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث
والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين
عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا
بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب للكفرة ونص
بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة للاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم
لانها التي يعبرون عنها بما لا يصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلعم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب
الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فرد عليه بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت
ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن
الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله تعالى
اذ ليس شيء منها نصا في عموم كلمة ما اما الاول فليس نص في خصوصها وشمول حكم النص لغير ما تعبدون بطريق العبارة بل
في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عم بعد ما بين مدلول النظم الكريم
بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكرمة
للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب
على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم
في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم

كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون في الحكم المذكور لشركتهم
الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عم وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء
ايضا وجعل ما سياتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السباق
والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص
وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها حيث
تيقن ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد
اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما
وقع في حديث ابن الزبعرى فقد عرفت انه بطريق التكملة باجراء الكلام المعتبر بيان ما يسوغ له النظم الكريم بطريق العبارة حسب سؤال
ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون
عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة فلا
يلزم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد
وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا في قوله تعالى وهم
فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من
شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال
وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في
الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من عنوانات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون
تفصيل لما اجمل في قوله تعالى كل الينا راجعون اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت
الجميل عنها اي جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضه خطب يوما فقرأ
هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة
بن الجراح رضي الله عنهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص على كون
الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون
المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره
مسوقة للمبالغة في ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر
بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع
الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم الفزع الاكبر لا يحزنهم ما عداه بالضرورة
عن الحسن رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش
املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك

الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا تعم للموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثر بن على ان ذلك
في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة
القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات
على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين
بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب
باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى فلا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد
النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل
كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من
السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الطاوي للكتب فان
الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر
واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب
اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة
مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء
لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال
من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله او لان نعيده عدة او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه
انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام
من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ
ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة
حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ
البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم
عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور
التي هي مناط السعادة في الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال
اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا
كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم
آثاره فانما فرط في نفسه وحرم حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال
حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله
لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم
زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون
اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها فان تولوا دلالة على

في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبناه

ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم
اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري
اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من
القول اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون
من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج
لكم وزيادة في افتتانكم وامتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه عليه السلام وقرئ قل رب على صيغة
الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا
ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن
مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب
فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته هنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين
ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان
الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه
فاستجاب الله عز وجل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب
حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن انتهى تسويد السورة الكريمة في [illegible]

الى هنا انتهى التسويد في اواخر [illegible] سبع وسبعين [illegible]
حامدا لله تعالى ومصليا ومسلما على [illegible]
وعلى سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
الى هنا انتهت المقابلة بنسخة المصنف [illegible]

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين القاصرين
عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مخصوصا بالفريق الاول على الوجه الذي
حررناه في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فوارد على نهج التغليب
لعدم تناولها الاناث حقيقة عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن
المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة
مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة
عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى
مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير
بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها
هي التي تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى

بل بحكم الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها الكائنة يوم القيمة وعن ابن عباس
زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها
بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها
منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة
اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير
عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو وقيل
ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول او
للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها
لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وقيل ان الامر
اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واشهر وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا
في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية
لا لحملها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف
بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هو الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد
المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اضافة تلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي
باختلاف مشاعره لان مدار حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في النظم
للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى
اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم
فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك
قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على
تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكارى
كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شان الساعة
المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر
اي بعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل
وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن
الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة
له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي
من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التمحض له كالتشمر ولعله ماخوذ
من تجرد للمصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون
من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب
والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه
خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة

متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه
وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل على ما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ
بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله تعالى يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول
او تضمين الكتب معناه على راي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات
يا ايها الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه
من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالحلب
والجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك
مع تحقق حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم
من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه اذ لم تكن فطرته البشرية
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها
على الكل فكان خلقه من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي
مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة
من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة
اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت
بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم
غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانحطاطها عن المخلقة وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس ذلك
وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا
وترك المفعول للتفخيم كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق
والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر
على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار
الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته
بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام
ما نشاء استيناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه وما عطف عليه في سلك التعليل
بالتبيين مع كونهما من البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها
الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى
ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للاذلاق لا يناسب المقام
لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الاطوار
المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ ونقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد
اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والكثير

والمتعدد وقرئ نخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا أشدكم علة لنخرجكم معطوفة على أخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا
فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل إنه معطوف على نبين مثلهما وللتعليل
خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه هما أن نبين شئوننا وأن نقركم في الأرحام ثم نخرجكم صغارا
ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للإيذان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات
وإعادة اللام ههنا مع تجريد الأولين عنها للإشعار بأصالته في الغرضية بالنسبة إليهما إذ عليهما يدور التكليف المؤدي إلى السعادة
والشقاوة وإيثار البلوغ مسندا إلى المخاطبين على التبليغ مسندا إليه تعالى كالأفعال السابقة لأنه المناسب لبيان
حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئ الآثار والأفعال والأشد من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالأسدة والقتود وكأنها شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى أي بعد بلوغ الأشد
أو قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل أي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون
الميم وإيراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم أي علم
كثير شيئا أي شيئا من الأشياء أو شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله أي ليعود إلى ما كان عليه في
أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وحديث التنبيه على صحة
ما الحي وترى الأرض هامدة حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الأرض أي ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا
فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت أي ارتفعت و
وأنبتت من كل زوج أي صنف بهيج حسن رائق المنظر يسر ناظره ذلك بأن الله هو الحق كلام مستأنف جيء به إثر
تحقيق حقية البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنساني والنباتي لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته وأحكام
شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرونه من وجوده بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من مبادئ
تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الإيذان بقوة الدليل
وأصالة المدلول في التحقق وإظهار بطلان إنكاره ما لا يخفى فإن إنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك إشارة
إلى ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أحوال متباينة وإحياء الأرض بعد موتها وما فيه من معنى البعد
للإيذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق
وحده في ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء وأنه يحيي الموتى أي شأنه وعادته إحياؤها
وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها أو إعادة وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع
من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وأنه على كل شيء قدير أي مبالغ في القدرة
وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته
تعالى لذاته الذي نسبته إلى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات
لزم اقتداره على إحياء كلها فمن قبيل الفضول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة
العامة التامة ومسببا عنها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع
في تحقير المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتناء به وأن الساعة آتية أي فيما سيأتي وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة

على تحقق إتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من الفضول
لا ريب فيها إما خبر ثان لأن أو حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها في ظهور أمارها ووضوح دلائلها التكوينية
والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب في إتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها
من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وأن الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث إن إتيان الساعة
وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث إن كلا منهما سبب داع له تعالى بموجب
رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة إلى ما ذكر من خلقهم ومن إحياء الأرض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على إمكانهما
ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الأبدية
ولولا ذلك لما فعل الله تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حقيته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم
الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما
من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه تعالى حكيم لا يخلف
ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد وأنت خبير بأن مآله الاستدلال بالحكمة تعالى على
إتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في سببيتهما لما ذكر من خلق الإنسان وإحياء الأرض فتأمل
وكن على الحق المبين وقوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف
لفهم المعنى والتقدير والأمر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا أن الله
ومن الناس من يجادل في الله هو أبو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل هو من يتصدى لإضلال
الناس وإغوائهم كائنا من كان كما أن الأول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل للغوي على الإطلاق
بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى
في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال أو النظر الصحيح الهادي إلى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق أي يجادل
في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل
به سلطانا وما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن المراد به المجادل الأول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان أنه
لا سند له من استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأن وصفه باتباع كل شيطان مريد موصوف
بما ذكر يغني عن وصفه بالخلو عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال أخرى من فاعل يجادل أي عاطفا لجانبه وطاويا
كشحه معرضا متكبرا فإن ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين أي مانعا التعطف ليضل عن سبيل الله
متعلق بيجادل فإن غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى إلى الضلال فالمفعول
من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا تغليبا للمؤمنين على غيرهم وإما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه
مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذي
لا هداية بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أي
يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق
أي النار المحرقة ذلك أي ما ذكر من العذاب الدنيوي والأخروي وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك أي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وإسناده
إلى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالأيدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن في قوله تعالى وأن الله ليس

بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك
بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد حقق في سورة
آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محله الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة
الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده
كائنا على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون في طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة
والسعة اطمأن به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم
عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه [illegible]
في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال
ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضه قال ان
يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي عم فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال
فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة بفقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك
اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله
يدعوا من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه
ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار
من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير
كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى
القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدا وضره مبتدا ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدا الاول وقوله تعالى لبئس
المولى ولبئس العشير جواب القسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدا الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه
عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره
بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب
هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما
من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى
بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من
وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه و
ايراد كلمة من وصيغة التفضيل لحكم به ابتداء والجملة القسمية مستانفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بالاغاثة وراءه من
المنافع والعظائم الجليلة اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من ترقي المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا
من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشيرته ويظهرون مذمة تامة وقوله تعالى تجري من تحتها صفة لجنات
فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق

اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي
يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله وعقاب
من اشرك به وكذب برسوله ومما كان من آثار نصرته تعالى له عليه السلام بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره
الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتنويه النبوة على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله
في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن
ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته لبعض الامور ومباشرته ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في
الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد
بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل
ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
تقدير النظر وتصويره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في
باب المضادة والمضارة ما يغيظ من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه
وقيل المعنى فليمدد الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره
ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المذكورة واقعة على تقديره وقوعها وتحققها المقول من اذهاب ما يغيظ
ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه
مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر
وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عم ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق
بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اي مثل ذلك
الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اي واضحات
الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدي به ابتداء و
يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار
المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي والامر ان الله يهدي
من يريد هدايته ان الذين آمنوا اي بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه
ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل
هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا
وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اي يقضي بين المؤمنين
وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني
بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء
ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة وآرائه واعماله اللائق به عليه
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة

مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي
من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهوره المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه
من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره بطريق الاستعارة المبنية على تشبيه باكمل
افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في قصوى مراتب التسخير والتذلل لا السجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من
عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم
شمول سجود الطاعة لكلهم كما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس
فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن ضبطه انتفاء ذلك في بعضهم وقيل
هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود
والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى
وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس
حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان
كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان
الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة هذان خصمان نعت لطرفي الخصام واحتاجه اسم يتبادر الى الوهم
من كونه بين كل واحد من الفرق الست وبين البواقي وتحريرا لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق
الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في
ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله
وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق
بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة
قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة
الثياب بلابسها يصب من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت
قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب به ما في
بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار
بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس وقيل الجملة حال
من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا
على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روي انها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها
سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه
او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير القول
معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة

وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا
لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقيق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف
من الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور
اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت
لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على
المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولؤا بقلب الهمزة
الثانية واوا ولوليا بقلبها ياء بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل و
يلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان
ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور
واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم
بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واو
رثنا الارض نتبوأ من الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تأخيره عن ذكر الهداية
الى القول المذكور المنبئ عن دخول الجنة المنبئ عن الهداية الى صراط الحميد رعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية
الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير ان ذكر الحميد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر
الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث توعد بالعذاب الاليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله
باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه
للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء
اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف الحرام بذلك زيادة تشنيع
الصادرين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه
بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد
بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا اي يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني
مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت
مباءة له اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت
الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست
ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت
ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله عليه السلام هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير
رحمه الله تعالى والخامسة بناء الحجاج وهذا هو الذي في الشان من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت

وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية
موصولة بالنهي وقد تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن
الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا
بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل
الخطاب لرسول الله امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب الامر رجالا اي مشاة جمع راجل
كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي
وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة
للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر
بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا ليحضروا متعلق بيأتوك لا باذن اي لحجه منافع عظيمة لكثرة
كثرة العدد او نوعا من المنافع الدينية او الدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة
اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها واجعله غاية للاتيان بانه الغاية المقصود
دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم
من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار
بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانبجست اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر
للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس
اي الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا
ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما
ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به يتم التحلل
فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنه منه لا التسلط عليه
ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي
وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم ما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره من التشريف والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى
عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله
تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء
ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء
المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض لطعام العادة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان

فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ومما كان بعض
الانعام من دواعي التعاطي من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه في حرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى حرمات
كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى
بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور
وهو الانحراف كما ان الافك مأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين
زائغ الى الدين الحق مخلصين له غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من
واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتداة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار
كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية
توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلها تختطفه او تهوي به
الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب من
او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكا شبيها
بهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك باسقاط الباء ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من
معالم الحج وشعائره كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها
من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من
ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها
بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها
ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها منتهية
الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية
اعظم منها في محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه وهذا وقد قيل المراد بالشعائر
مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء
ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء
المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا او قربانا يتقربون به
الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا
منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على
ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب
ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لان المراد بيان انه تعالى واحد

في ذاته مما انه واحد في الصفة للكل والفاء في قوله تع فله اسلموا للترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تع وتقدم الجار
والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خالصة ولا تشوبوه
بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله ع اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة
بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تع لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف
ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهي جمع بدنة وقيل الاصل
ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها
مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله ع البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا
في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تع لكم فيها خير اي نفع
دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن
الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ
صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله تع وصوافي
على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله لعلي ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال
عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تع صواف سخرناها لكم مع عظمها
ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في
لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع
موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم
ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال لامره تع وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية
يلطخون الكعبة بدمائها تقربا اليه فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره للتذكير والتعليل بقوله لتكبروا
الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما
هديكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما
هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون
في امورهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا استئناف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى
ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء
التام بمضمونه وصيغة المفاعلة للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين
فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب
فيه او يدفعها عنهم كرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تع كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم

من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في
امانة الله وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي من جملتها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك
لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اي رخص وقرئ
على البناء للفاعل اي اذن الله تع للذين يقاتلون اي يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه
فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين
فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي ع كان المشركون
يؤذونهم وكانوا ياتونه بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول ع لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجروا
فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم
بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار
بقدرته تع على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس
للمؤمنين وقوله تع الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل
النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مدحية والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق بالاخراج اي
اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تع الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل
وقرئ لهدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات وكنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها
وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد
خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله تع في الصوامع والبيع والكنائس
بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه
او ينصر دينه ولقد انجز الله تع وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة
الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل
للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تع اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة
كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تع اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
قالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تع لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد ع وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله عاقبة الامور فان
مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح تسلية لرسول الله ع متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى الموعود بقوله تع ولينصرن
الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تع وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته ع عما يترتب
على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت

فصل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر
وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح اليه وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر
المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم
قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال
الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل
ونوع من فرق المكذبين لترتيبهم بالكل والتصريح بتكذيب موسى عم حسبما ذكر وايما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت
كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان
ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي
فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره
اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة
جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس
في حال خوائها فلا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء
اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخر
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان
منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على
ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف
الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه
كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل حضرموت وبالقصر قصر مشرف
على قلته كان لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث
لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا
غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم
بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد
او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم فانهم اعرف منهم بحالهم فانها
لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد
ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب
كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله عم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم

وذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم
لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده
ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما واعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستأنفة
ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان
كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به
قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون
ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى
وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول عم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده
تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب
فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود
والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي بين فلا يكون في النظم الكريم حينئذ
تعرض لانكارهم الذي دستوره تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم ببيان
عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن
ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد
هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله
تعالى وكاين من قرية الخ كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد
الاملاء اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم
كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال
انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال
وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا
ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا فافعل بهم ما افعل مما يليق
باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون
لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده
لما ان صدر الكلام ومساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز
كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
يتم لهم واصله عاجزه فعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ
معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب
الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين

كما نوا ابن موسى وعيسى عم ولذلك شبه عم علماء امتي بهم فالنبي اعم [illegible]
مائة الف واربعة وعشرين الفا قيل فكم الرسل منهم فقال [illegible]
البعثة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل [illegible]
اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان [illegible]
كما قال عم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين [illegible]
به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته [illegible]
وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظ [illegible]
بان الالوهية من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم بكل ما من [illegible]
عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما [illegible]
لنفسه بزوال المسكنة نزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان [illegible]
نزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى [illegible]
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به [illegible]
في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عم فاغتم به [illegible]
صح فاقلا ما تميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل [illegible]
داود الزبور على رسله وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها [illegible]
من قراءة النبي عم وقد رد بانه عم ايضا تخلل بالوثوق بالقرآن [illegible]
آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء [illegible]
لما ينبغي عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك [illegible]
الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عم [illegible]
بهذه الحق والباطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك و [illegible]
قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين [illegible]
وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة [illegible]
مع ان الموصوف به حقيقة هو هم وصفه للمبالغة والجملة اعتـ [illegible]
العلم انه اي القرآن الحق من ربك اي هو الحق النازل [illegible]
هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما تـ [illegible]
تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عم لكن باباه وقوله [illegible]
ايمانا به وما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد [illegible]
التعبير لاسيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء [illegible]
الدينية خصوصا في المواحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر [illegible]
الصحيح والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا [illegible]
من الرسول عم والاول هو الاظهر بينها دي ما سبق من [illegible]

و مالحق من قوله تع وكذبوا بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من جنايتهم
التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شان القرآن والجري حمل من على السببية دون الابتداء لما ان مريتهم المستمرة
كما انه ليست متبدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم
الساعة اي يوم القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تع بغتة اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت
او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا
كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته واما ما قيل
من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر فتحته لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصيرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب
فاذا قتلوا صارت عقيما اي تطلق بوصف اليوم بوصف الساعة او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لا تنشئ مطرا ولم تلقح
شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عم فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان قوله تع الملك يومئذ
على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة
ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية
من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لان القيد المعتبر مع اليوم حيث يتوسط بين طرفي الجملة يجب
ان يكون مدار الحكم الذي هو كون الملك لله تع وحده وما يترتب عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم و
زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه
ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك جل جلاله فاذن هو نائب عن الجملة
الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله تع وقوله تع يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا
عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين
فيه بالمجازاة وقوله تع فالذين آمنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه وعملوا
الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو
مبتدأ وقوله تع لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب
مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره
بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين
بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تع مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تع ثم قتلوا او ماتوا
اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تع ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن
منع وقوع الجملة القسمية وجواب القسم خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو خبره والجملة محكية وقوله تع رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه
من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما
في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق
وروي ان بعض اصحاب النبي عم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تع من الخير ونحن نجاهد

معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك وقتلت وقيل نزلت في طوائف هاجروا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استيناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به
الجنة فهو مفعول ثان كما ادخال ومصدر ميمي اكرمه مفعول قال ابن عباس رضي انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة
ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب
بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا
له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو
والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر
وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور وفيه حث بليغ على العفو والمغفرة فانه
تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء وخبره
قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من سنته وشأنه تغليب بعض مخلوقاته
على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او
بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر للمواد واوضحها وان الله سميع لكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب
بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر
وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها الا
من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة
وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته والباطل الوهيته وان الله هو العلي على
جميع الاشياء الكبير من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استفهام تقرير ولذلك رفع ما بعد الفاء في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل اثبات صيغة الاستقبال للاشعار
بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل
ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا
وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل
ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا
اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك
على الاول وخبر على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على
هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها
مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم

حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية
والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم
عند البعث ان الانسان لكفور اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستأنف
جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم
في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى
منهم على معنى عينا لكل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا
ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة
باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى
الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوه والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي
عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به واما الامة الموجودة عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده
من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي او موجبه على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من
الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء
لرسول الله عليه السلام وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما شرعه لآبائهم الاولين من التورية والانجيل
فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على
حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده
المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته واما ما قال الزجاج ان ما ذكرناه وتخصيصه بالمناسك
وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا
كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم
ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم وادع الناس كافة على انه داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك
الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي
والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل
الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم
القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون
ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض ولا يخفى عليه شيء من الاشياء من جملتها
ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك
امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينهم على الله يسير فان علمه
وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين و
احوالهم الدالة على سخافة عقولهم وركاكة آرائهم مبنيا على احد دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم
من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي
بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي

الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم
او يدفع العذاب عنهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على ما يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على
بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم
بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها
تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن
يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا في موضع الضمير قل ردا عليهم
واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين
وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال
مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون
الجملة الفعلية استئنافية كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب
مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي
مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر
وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل
لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله تعالى في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها
من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه
والمعطوف في موضع حال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع
عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يأخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه
ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء
وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه
عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم
من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز
من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث
اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجود
[illegible] عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها
من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس وهم المختصون
بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون

محذوف جواب لو

الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق ويدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كأنه
تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء
الله لانزل ملائكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير
عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور
لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلواتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما
اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي
رح لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي
لله ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ولنصرته
وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه
لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه
ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم
الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله
بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله عليه السلام
وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته
عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله
سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقيل في هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم
شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع
الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه
هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز
وجل عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي

الذي هو الدخول في البناء وقرئ متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد هنا لافادة
ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح
لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بالفلاح حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم
وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح
الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد
كونهم بحال يستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة
اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطباء كان حولي المؤمنين اي المصدقون بما علم ضرورة
انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون
وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة
لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع
الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان اذا
صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب
هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ
عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم
عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان
لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا
وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك
بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع
في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه بمعنى الفعل [illegible]
تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون
لها فالاستثناء في قوله تعالى الا على ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم
وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفائها مقتضاها وبذلك يتحقق
كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها
من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال
الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل
مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وجعل الحفظ على القصر عليهن لا يكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج
لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي
اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن بمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين
تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك

الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون
فيه وليس فيه ما يدل صراحة على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له
اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك
ازواجكم فوجب ان لا تحل له لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث [illegible]
واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل لعدم كون
لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون
لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها
وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة
اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها
عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب
الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها
تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم
يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في
اي في الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها
من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من
فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان
مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام
جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في
ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما حققناه في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة
واخرى غير مقصودة منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق
ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة
على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقيل
على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان
آدم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر
عنه بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف له بصفة ما استقر فيه مثل طريق سائر او بمكانته في نفسه
فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا
العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها جعلناها

وجعلنا ما حول اللبن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام لحماً مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا
عليها بقدرتنا مما يصل إليها أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة
له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد
الأول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم أنشأناه خلقاً آخر هي صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال
التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر
فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروع
والاستشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللإيذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وجل
أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالاً وإعظاماً لشئونه تعالى أحسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء
على أن الإضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هو أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً فحذف المميز
لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أي أحسن الخالقين خلقاً
فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عم إن الله جميل يحب الجمال أي جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فا
مرفوعاً فاستكن روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله عم الوحي فلما انتهى عم إلى قوله خلقاً آخر سارع
عبد الله النطق به قبل إملائه عم فقال عم اكتب هكذا أنزلت فشك عبد الله فقال إن كان محمد يوحى إليه
فأنا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض أنه قال لما نزلت
هذه الآية قال عمر رض فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله عم هكذا أنزلت يا عمر وكان رض يفتخر بذلك
ويقول وافقت ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو ليبدلنه الله خيراً منكن فنزل
قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين أقول كيف وقع هذه الواقعة سبباً لسعادة
عمر رض وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً الأفعال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن
وذلك قادح في إعجازه قلت لأن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن إعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما
كما ينوب عنه الفاء لأنها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم إنكم بعد ذلك أي بعد ما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبئ عنه
ما في اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك متميزاً منزلة الأمور
الحسية لميتون لصائرون إلى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث
الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم إنكم يوم القيامة أي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة
بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم أي خلقنا في جهة العلو من
غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة إنما هي لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لأنها
طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هي السموات أو عن جميع المخلوقات التي من جملتها أو عن الناس غافلين
مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة
وتعلقت به المشيئة ويصل إليها ما في الأرض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء هو المطر والأنهار النازلة
من الجنة قيل هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها
الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم

ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والعدول
عن الإضمار لأن الإنزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم
ودفع مضارهم أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض أي جعلناه ثابتاً قاراً فيها وإنا على
ذهاب به أي إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على إنزاله وفي
تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن
يأتيكم بماء معين فأنشأنا لكم به أي بذلك الماء جنات من نخيل وأعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة
تتفكهون بها ومنها من الجنات تأكلون تغذياً أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته
ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير
والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف
دل عليه ما قبله أي ومما أنشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل
هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عم بين مصر وأيلة وقيل
بفلسطين ويقال له طور سينين فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب
منها علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف
لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف
التأنيث بخلاف سيناء فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء إذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة
صفة الشجرة وتخصيصها بخروجها منه مع وجودها في سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأصلي لها وقوله تعالى تنبت
بالدهن صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية لتنبت
أي تنبته بمعنى تتضمنه وتحمله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الإفعال وهو إما من أنبت
بمعنى نبت كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل أو على تقدير
تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه
يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز أي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وإن لكم في الأنعام لعبرة
بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة إليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها في
نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظم قدرة الله تعالى
وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما
في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة إما عن الألبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف
أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء أي تسقيكم الأنعام
ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها
وعليها أي على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوها وقيل المراد
الإبل خاصة لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر
تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن وعلى الفلك تحملون أي في البر والبحر وفي الجمع بينها

وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها
من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد
من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للكفرة وتقديم قصة نوح
ع م على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية
واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ ونسبه
وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا
لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان
بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء راسا وقوله تعالى مالكم من اله غيره استئناف
مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل
او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار
لفظه افلا تتقون اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه
قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم
الى ويلبس بذلك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وحذف ما حذف للايذان بالظهور واستقباحه والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى مالكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في
العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون
ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملا اي الاشراف الذين
كفروا من قومه وصف الملا بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية
وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم
وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه ع م واغراء لهم على معاداته ع م وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان
لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته ع م اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا
من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من
الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة
الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح ع م في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اي الماضين
قبل بعثته ع م قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم
في الغي والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته ع م كما ينبئ عنه الفاء
في قوله تعالى فقال الملا الخ وقيل معناه ما سمعنا به انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح
ع م وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره ع م وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه ع م وقولهم
ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقولون ما يقولون فتربصوا به اي احتملوه واصبروا
عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما هو فيه محمول على تراخي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
وصفوه ع م به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه ع م بما ترى وهم يعرفون انه ع م ارجح الناس عقلا وارزنهم

قولا وعلى الاول على نقيض هذه الاتهام الفاسدة فانما لهم القدار انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال
نشا من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال ع م بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا
على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله ع م رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون
اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي
من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه ع م منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدي
او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها
على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه
كمال اقترابه وابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الامر
روي انه قيل له ع م اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم ع م فصار الى نوح ع م فلما
نبع منه الماء اخبرته امراته فركبوا واختلفوا في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب
كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود ع م فاسلك فيها اي
ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة
زوجين اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين
وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا
وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران
التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشان المامور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان
الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حكم العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز
وقد مر في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف
على زوجين او اثنين على القرائتين لادائه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه و
الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه ع م يباشره بما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال
منه والى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب من تفصيل
بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم
اي القول بهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم
قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له و
لا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك
اي من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او
موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين امر بان يشفع دعاءه بما يطابقه

راجع الى سورة هود ۳۵۵

من تمامه عز وجل توسلا به الي الاجابة وافراده هم بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله والا
بان في دعائه وثنائه منزوجة عاعراه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به هم وبقومه لآيات جليلة يستدل
بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين
النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم
قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور
الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك
في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله لقد ارسلنا نوحا الي قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير
مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا فانهما هم كانا منهم وان في قوله
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم
من اله غيره تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اي عذابه الذي يستوجبه
ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عم وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم
الباطل اثر حكاية القول الحق الذي نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له اجمالا
لا حكاية ما جرى بينه عم وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال
كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة
للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة
عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم
الحيوة الثانية بالعطف واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين
لهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الصفات والاحوال واتيانا مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عم وتوهينه يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف
مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره
انكم اذا اي على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع
الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله تعالى
… يأكلون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف فقيل ان العبد … بالكلام
اي وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استئناف لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه
بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات
يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها
عظاما وتقديم التراب لموافقة في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقادموكم ترابا صرفا ومتاخروكم
عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل
مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جواب الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم

اذا متم هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما
في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا
فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تتحمل ما حملت
وهي العرب تقول ما شاءت ومعناه كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان نافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله
تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر
وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى
يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هود عم عندما يئس من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك
متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال
تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت
في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند
معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي
ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة
نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال فناداهم صائح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها
على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم
غثاء اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها
والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشأنا من بعدهم اي بعد هلاكهم
قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عم وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي
عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على
انشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على ان معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن
انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المقدر لهلاكهم للمسارعة
الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج
وتيقور والالف للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى
كلما جاء امة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما
التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون
العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امة خاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث
كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا
في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث
لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة
وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هنا على وصفهم بعدم الايمان

قوله ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين فارسلنا الخ اي ثم ارسلنا لكل قرن رسولا خاصا به

حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم إجمالاً وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما نقل من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات
والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين أي حجة واضحة ملزمة
للخصم وهي إما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم الآيات وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها
ثعباناً وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها
وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلواً ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه
فغير ملائم لمقتضى المقام وإما نفس الآيات كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيهاً على جمعها
لعنوانين جليلين وتنزيلاً لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي إلى فرعون وملائه أي أشراف قومه خصوا بالذكر لأن إرسال
بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم فاستكبروا أي عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوماً عالين متكبرين
متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا قوماً عادتهم الاستكبار
والتمرد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة أنؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشراً سوياً كما يطلق
على الجمع كما في قوله تعالى فإما ترين من البشر أحداً ولم يثن المثل نظراً إلى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار
شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شئون الحقيقة البشرية وتباين طبقات
أفرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب
ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام
بل هم أضل سبيلاً وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون أي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك
التعريض بشأنهما وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدم
عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس
الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا
لو كان خيراً ما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو
السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جبلة واكتساباً فكذبوهما أي فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا
استكباراً فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب
أي التوراة وحيث كان إيتاؤه لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل
لعلهم يهتدون أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الأحكام والشرائع وقيل إن المراد آتينا قوم موسى بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم أي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه
لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فمما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من
قبلهم من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم
وأمه آية أي آية دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب إليهما وجعلنا ابن
مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس بشر فحذف الأولى لدلالة الثانية

عليها أو التعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عم ابنها وكونها أمه عم للإيذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته
عم إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحده من غير أن يكون له أب وأمه آية وأي آية
خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عم لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين
لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ وآويناهما إلى ربوة أي أرض مرتفعة قيل هي إيليا أرض بيت المقدس
فإنها كبد الأرض وأقربها إلى السماء بثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين
والرملة وقيل مصر فإن قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من أرض منبسطة سهلة
ويستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين أي وماء معين ظاهر جار فعيل
من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في المشي أو من الماعون وهو النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بالعين
فإنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للإيذان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى
من الحيوان بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله عم على وجه الإجمال
لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عم وأمه إلى الربوة إيذاناً بأن ترتيب مبادي التنعم لم تكن
من خصائصه عم بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عم ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات
واعمل صالحاً فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز وفيه من الدلالة
على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عم وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل
في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب
لرسول الله عم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم
والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه واعملوا
صالحاً أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة عليم فأجازيكم عليه وإن
هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عم على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل
والأمم وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة
أمتكم أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل أمة واحدة أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار
وقيل هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة
وأنا ربكم من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون أي في شق العصا والمخالفة بالإخلال
بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والأمم جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير
والإيجاب والفاء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأمة فإن كلاً
منهما موجب للاتقاء حتماً وقرئ وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأن هذه أمتكم أمة وأنا ربكم فاتقون
أي إن تتقوا فاتقون كما في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل على العطف على ما أي إني عليم بأن أمتكم أمة واحدة وقيل
على حذف فعل عامل فيه أي واعلموا أن هذه أمتكم الخ وقرئ وأن هذه على أنها مخففة من أن فتقطعوا أمرهم حكاية لما ظهر
من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها على التفسيرين والفاء لترتيب
عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أي فتقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة بينهم زبراً أي قطعاً
جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبراً بفتح الباء جمع زبرة وهي حال من أمرهم أو من الواو وتقطعوا أو مفعول ثان له فإنه

متضمن لمعنى صاروا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل
كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه
ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا
على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية
لرسول الله عم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما
نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تع من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه
قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تع نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون
ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وقوله تع بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعلموا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار منها
وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون
بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان
الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما
اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية
للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون
او ياتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى
ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق
فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تع وقيل لان مرجعهم اليه تع والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة
متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف
المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال
كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت
الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال
الصالحة كما في قوله تع فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تع وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات
بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم
متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تع هم لها عاملون اي ينالونها قبل

الآخرة

الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة
وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة
سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه
غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي
بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما تكرر او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تع لا يكلف
عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم
قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تع ولدينا كتاب تتمة
لما قبله ببيان ما يلقونه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من حساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب
صحائف الاعمال التي يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تع ينطق بالحق كقوله تع هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا
لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله تع بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق
للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب
عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تع وهم لا يظلمون بيان لفضله تع وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف
وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها
صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم
كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كلا منها على مقاديرها
وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب الثواب
فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاخلال بها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة
من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه
حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع وتسميتها باسمه وقوله تع بل
قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي
بين في القرآن من ان لديه تع كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما
سيأتي من قوله تع قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحات
ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم
التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تع مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية
لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحات المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة
للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم الايذان بذكره هم لها عاملون مستمرون عليها
معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تع بما ذكر
من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم
الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم
رسول الله عم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف

والطعام المحرق والاولاد وقيل هو العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما
عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى
رسول الله عليه السلام لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون اي
فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله تعالى وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ
بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم
مع كونهم متمنعين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من حماتهم وخدامهم اولى
واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من
جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر للتهويل والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود
الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصر تنجون به مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون
منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله
تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان
النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلته او بقوة الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم
تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به
اي بالبيت الحرام او بهم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي
عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه
ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت
بالليل ويسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا او شعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع
وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان تعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى
الهذيان او الترك اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة
تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجّرون من هجّر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا
القول الهمزة للانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الكلام اي أفعلوا ما فعلوا من
النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب
انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين
منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار
الواقع اي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين حتى استبعدوه واستبدعوه فوقعوا فيما وقعوا
فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنكر
وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسمعيل
عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة
بن اد فآمنوا به تعالى وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه

آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل ألم يعرفوه بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد
وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها متفرع على عدم
معرفتهم بشأنه تعالى ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله ام يقولون به جنة انتقال
الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل أيقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا
واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان له عليه السلام الترقي
من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا
بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تعقلهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عليه السلام من عدم معرفتهم به صلى الله عليه
وسلم وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب
عما بني عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بل جاءهم بالحق اي الصدق الثابت الذي
لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط
كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا
هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق
من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا
من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق
الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما
كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا
لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرج عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط
النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام
اهواءهم شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في
الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم
انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة
فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما نطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم
وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة
معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع
والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان مجرد
اعراضهم اعراض عن ذكرهم بعد ايتائه لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام
تنويه لشأن النبي عليه السلام وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند
نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية ما جاء به هو الذي يقتضيه
مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله عليه السلام احد المشرفين وقيل
المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم ويؤيده انه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد
فان الاعراض عن وعظهم ليس بمثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم

انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام تزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة
خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل
لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من تعليل الحكم وتشريفه ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى
غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج وفي النظم الكريم اشعار
بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة باستقامته لا يلبس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله تعالى الحجة
وازاح عللهم في هذه الآيات بحصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان
الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا
واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله
عن الصراط اي عن جنس الصراط لناكبون لعادلون ضلالا عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم
وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون
اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين
حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله
تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما اصابهم يوم بدر من
القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه استفعال من الكون لان المفتقر ينتقل من
كون الى كون او افتعال من السكون فاشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى
وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون
آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما
اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خضوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع
ضغا واذا شبع طغا واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه
اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة
حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد
يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة
لتتفكروا بها فيما تشاهدونه وتعتبروا والاعتبار الاتيا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لان
العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي

ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا
تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي
المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون
فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ
يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين والالتفات
بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أإذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال ومضى الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي ووعد آباؤنا من قبل او بالمحذوف حالا
من آبائنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كالاحدوثة
والاعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون
جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب
وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير
لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف
بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اي أتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تذكرون
ان من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس اهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس
العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان
العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا وقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى
سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ بغير لام وما بعده بغير لام
نظرا الى لفظ السؤال قل افلا تتقون اي أتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل
بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شركاء في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر
وما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه
اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي
لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به
الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد
والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى
والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله
عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه
اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب
والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل
لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله
عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة

وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وأيا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم
في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله عز وجل فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب
لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي
المستأصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من
العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به
ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم
كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على
وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك
ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت
فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب
الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه السلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها
والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر
بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ان يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول
في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد
لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله عليه السلام وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه عز وجل وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس
ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب وجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر بالعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة
في التحرز عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال
في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رحمه الله لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء
احدهم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون
وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام
لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه متعلق بمحذوف يدل عليه ذلك وتعليقها بكاذبون في غاية البعد لفظا
ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له
احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب
وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته
لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي اومن فاعمل في الايمان الذي آتي به النبي عملا
صالحا وقيل فيما تركت من المال او من الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول
الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
لها انها اي قوله رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للاحاد

والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ
في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور
جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم اليوم
ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقائد والاعمال اي فمن كانت له
عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل
مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا وقد مر تفصيله في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها
بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار
معناه كما ان افراد الضمير في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي
المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب
الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء
اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك
قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم
بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم
من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي
فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان
والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم ح على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا الاحداث
قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت
الكلب اذا زجرته مستهينا اي انزجروا ولا تكلمون اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون
في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله
من الزجر عن الدعاء اي ان الشأن وقرئ بالفتح اي لان الشأن كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة
وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزءون بالداعين بقولهم ربنا آمنا وتتشاغلون
باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون

وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا
بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مرادهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة
على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا
لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم
في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم
فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار
العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المعتدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسمون
الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم
قال اي الله عز وجل او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم
تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ
قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا
فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث وعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له
اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم
لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها
عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته
وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك
على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله
الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه
منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب
كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لاله كقوله
يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول
بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجاز
له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح
والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم
لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام
فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول
ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة
من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الى هنا انتهت المقابلة بنسخة المؤلف [illegible] ١٠١٢

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر
المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افادته التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات
واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة
الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي عليه السلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام ان غيرها من السور الكريمة ليست
على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك
فحينئذ يسوغ حذف اداة الابراز فمحل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا
وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض
عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام
المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها
اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية
باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان
رائع داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين
آمنوا برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها
عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها
الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبئ
عنه الصيغة لا المزني بها كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء
والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت
والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني
اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا
ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت
بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي
ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا
فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب
فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب
في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما
ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن
وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب

... في نكاحها إلا أخذها فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فإيراد الجملة الأولى
مع أن مناط التنفير هي الثانية إما للتعريض بقصر الرغبة عليهن حيث أسند النكاح إليهن أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين
مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركين للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الإشراك وإنما تعرض
لها في الأولى إشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك أي نكاح الزواني على المؤمنين
لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال المعاش وغير ذلك
من المفاسد ما لا يكاد يليق بأحد من الأداني والأراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل
النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فإنه يتناول
المسافحات ويؤيده ما روي أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد
بالنكاح الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف إذا نسبن إلى الزنا بعد بيان حكم الزواني وعبر
في الإحصان تحقيقا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا حرية والبلوغ والإسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي
المنبئ عن صلابة الآلة وإيلام المرمي وبعده عن الرامي إيذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا
لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بإيراده عقيب الزواني ووصفهن بالإحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فإن ذلك
بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك إلى الاستشهاد باعتبار الأربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر
نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة والإعلام بوجوب حد الرامي بغير الزنا على أن ما فيه نسبة المصادرة كما قيل
والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة
ثم إشعار بجواز تأخير الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقق العجز عن الإتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا بد منه
عند الأداء خلافا للشافعي فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة
خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء لقوله تعالى
فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على
التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا
لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن
وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة
لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهلية
حدثت له بعد إسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلم يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك بدون ما نحن فيه من الاعتبار تعليل في مقابلة النص وقع
حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة عند الرمي أبدا أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا
بل لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله وأولئك
هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان
ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحد والكاملون فيه
كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم وقوله تعالى إلا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما

ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لأنه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه أي من بعد
ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل وأصلحوا أي أصلحوا أعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام
للحد والاستحلال من المقذوف فإن الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق
كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي
رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وحمل الأبد على مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة
فيقبل شهادته بعدها والذين يرمون أزواجهم بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون
هذا مخصصا للمحصنات بالأجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فإن من شرط التخصيص أن لا يكون
المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما
بقي بعد النسخ لما بين في موضعه أن دليل النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا
وقرئ بتأنيث الفعل إلا أنفسهم بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء إيذانا
من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة الشهادة
إليهم في قوله تعالى فشهادة أحدهم أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى أربع شهادات خبره أي فشهادتهم المشروعة
أربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر
والعامل فشهادة على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم أو مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة
أحدهم واجبة إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها
للتأكيد والخامسة أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا بانضمامها إليهن وإفرادها مع كونها
شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق
وهي مبتدأ خبره أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة
حتى تعترف فترجم أو تلاعن ويدرأ عنها العذاب أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين
بالرجم الذي هو أشد العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه أي الزوج لمن الكاذبين أي فيما رماني
أي فيما رماها به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على أربع شهادات أن غضب الله عليها إن كان
من الصادقين أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع
اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور
ولأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي أن آية
القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك
إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت
سكت على غيظ إلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية
أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي
ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة
باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتأبد حكمها حتى إذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك
فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا

اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى خطاب الرامين والرميات بطريق
التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل ولولا تفضله
تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف
بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها
لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل
والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب
منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار الفضل
والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة
حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه وتعالى ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته ان الذين
جاؤا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك
وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى
انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني
المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة
نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي
فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين
كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فحملوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج
وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي
وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل
السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا
بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود
بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول افتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري
فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي
جماعة وهي من العشرة الى الاربعين كذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور
كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء
على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي
تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق

او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه
بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم تهويل
للخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما
في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا
بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه و
يقتضيه اقتضاء تاما ويزجر عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم
النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك
الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي
فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث
انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض
باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان
به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه
بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين اي
ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم
هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم يأتوا
بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في
الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون
في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ
مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين
والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من
جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل
امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وخضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ
والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التائين ظرف لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين
بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف
والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة
وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون
له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه
هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل عظيم لا يقادر قدره
في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المتابعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما سمعوه

ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى المقول وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه راسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وقع الظرف موضع المظروف بان جعل معمولا لما حقه ان يعمل في المظروف مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا كما عرفت ان هذا التقديم نوع تخصيص للمقدم الى ذلك تحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتادبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم يكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلة الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شانهم لهم اي بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه الله تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله تعالى سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب الاليم في الدنيا عبارة عن حد القذف او مشتملا له كما هو الطبيع عليه الجمهور واما اذا بقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني والله يعلم وانتم لا تعلمون لتقرير ثبوت العذاب الاليم لهم وتعليلا له

ولولا

ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة وبالرحمة التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهر موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يامره وقيل هو عائد الى من اي فان ذلك المتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكا اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على الثانية ابدا الى ما لا نهاية له ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا ياتل اي لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرا ولا يتال اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا اي على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاق الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقرئ الاول ايضا بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات اي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان

للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المنبئ عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقدم
والمراد بها عائشة الصديقة رضه والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة و
والنزاهة والانتساب الى رسول الله عم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين
فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات
المذكورة من نساء الامة فياباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب
في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين
سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الامة وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس
رضه جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت
توبته الا من خاض في امر عائشة لعنوا في الدنيا والآخرة بحيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن
الابدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الخ اما متصل بما قبله
مسوق لتقرير العذاب المذكور وتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم
المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى
الاستقرار لا للعذاب وان اخبر عنه بعظيم لاخلاله بالمعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما
يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد حذف عنه الذكر للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة
والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المحذوف عبارة عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل واحدة
منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن
فنون العقوبات المرتبة عليها كافة لا عن احداهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه
وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر
الوازع وجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة
الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم
اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدا
مسوق لبيان ترتب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم
تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل
ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت
لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامة المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين
المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة
ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسيره بذي الحق البين اي العادل الظاهر
عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا
فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي عم في علو الشان والنباهة
وابراز رتبة الصديقة رضها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستانف مسوق على قاعدة السنة الالهية

الجارية

536

الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال
اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من
دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن
الى من عداهن وحيث كان رسول الله عم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضها من اطيب
الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون على ان
الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله عم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله
اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم
لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلام للطيبين
من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلام اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول
الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن
غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة
بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن
مما يقول الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة
عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزجر
عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن
في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم
خارج مخرج العادات التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم
بكسر الباء لاجل الياء حتى تستانسوا اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف
الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس وتسلموا على اهلها
عند الاستيذان روي عن النبي صلعم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم
اي الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل
غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل وربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال
للنبي عم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال صلى الله عليه وسلم فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اي انزل عليكم او قيل لكم هذا كي تذكروا
وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه
كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد
الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص
لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها
واصبروا حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا

من يأذن لكم فنظرا الى القطع في موضع الاحتمال وقد كان حصل النهي مقيدا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا
او الى الاستئذان ولو بعد الرد مع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع
سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار
على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة
اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو منه اللح والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة
والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا
اي بغير استئذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها
كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح
الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح
اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشري والبيع والاغتسال وغير ذلك
مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها
ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم روي ان ابا بكر
قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات
افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت
لا انها المراد فقط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات
قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت
اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله عم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه لانها
تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم
ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا
به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر
من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس
الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال
سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون عن الزنا
وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة
في النهي عن ابداء مواضعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب
ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى
هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة
بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن
من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي
بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار النظر بعدما

استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن
حتى الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او
بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة
القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا
من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة
رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم
انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء
وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم
بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال
فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابدائها
من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله عم الى الكل
بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقية بان يكون سبحانه وتعالى
الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله عم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات
وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير
الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون
لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر
بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو
من لا زوج له من النساء والرجال بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم
اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في
الارقاء لان من لا صلاح له بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه
شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم
الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم
في ذلك شيء يغير فيقابلونها غنيمة عائدة اليهم عاجلا او آجلا وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز
وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى
في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه
اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف

ارشاد المعاونين عن مبادي النكاح واسبابها الي ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء … والذين
لا يجدون نكاحا اسباب النكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم
في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء واقرب من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما
امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة
مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما … او نحو
ذلك فان اداه اليه عتق فقالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك
او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان الكتابة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما
كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين …
… الا الاتيان باحد شطريه مهو باعتبار ما يتم من قبله ويصير … الفعل الخاص به من غير …
… الا من ذلك … الفعلين ما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا … ضرورة ان …
من جهة المولى لا يتصور تحققه وحصوله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي …
لا يمكن تحققه الا بتملكه من جانب المشتري لم يكن بد من تضمن احدهما الآخر وفي الانتقال …
الايقاع ما يتم من قبله اصالة وما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا منوطا على رأيه …
قول المولى كاتبتك على كذا انشاء للعقد الكتابة ايقاع ما يتم من قبله من التزام العتق …
من التزام البدل ضمنا ايقاعا منوطا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على …
او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد …
حالا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وتفصيله في موضعه ان علمتم …
على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق …
الموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك …
ابن عباس رضي الله عنه الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله …
… الباقي حتما والقياس وجب حط كان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا …
… كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان …
… بانه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله …
المال اليهم من جهته مع كونه المالك … لمن اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة …
… للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل امر لعامة المسلمين …
للموالي وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله … في حديث …
فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة …
فتائي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار …
على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا …
الحرائر والصغار وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف …
… حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان …

من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور
شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي
كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله … فنزلت وفيه من
زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه
من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من ان
ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون
ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايا ما كان فكلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب
الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليق
… المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ايذانا وقوله تعالى لتبتغوا عرض
الحياة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم
عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك
الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه
مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي
وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات من عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة
اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فان الله غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة
ابن عباس رضي الله عنهما وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان
توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية
يقول لهن والله … وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة
على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط
التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الكريم وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة
عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم
الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا
وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة
لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العذاب ولقد انزلنا
اليكم آيات مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة
شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنها اي وبالله
لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب
… مبينات على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة
على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت
في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم

من بعد اكراههن

من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء فينتظم قصة عائشة
رضه المحاكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رضه وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات
المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة
يتعظون به وينزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق
من الآيات والمثل لظهور كونهما من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي
وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا
اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب
شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها
المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال
والمواعظ وقوله تعالى الله نور السموات والارض الخ استيناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه
في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة
بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك
مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان
واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما
سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض
للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس
بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله وسعته من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطرا العالم الجسماني
الذي لا منظر للنور الحسي سواه اي على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود
الا وقد نيط من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود
الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضه هادي اهل السموات
والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى اياها من العدم
الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان العدم هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر
الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة وتزيين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين او بالنبات
والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اي
نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما ينبئ عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال
والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضه والحسن وزيد
بن اسلم رحه وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن
الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق لما ان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار
كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة
اي صفة نوره العجيبة كمشكاة اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اي قنديل من الزجاج

الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها في الموضعين الزجاجة كأنها كوكب دري متلألئ وقاد شبيه بالزهرة في صفائها
وزهرتها والدراري الكواكب العظام المشهورة وقرئ دريء بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه
فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اضوائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ
بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام
الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام
والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الى
الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن
الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري يوقد من شجرة اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة
مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله
فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على
ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها
وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا
دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهو قول
ابن عباس رضه وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوء وقيل لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقنأة
تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء المصباح من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع
ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي
على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك
اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدمه في الثاني في
جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز
النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على كل حال من وجود الشرط
وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف
وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بالمقصود منه
وتمهيد لما يعقبه اي ذلك [illegible]

النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكوة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة
عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه
بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكوة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في
مكان متضايق كالمشكوة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء
ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد
نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشتمل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل يهدي
الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام
الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته
من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات
الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب وتمامها بمعزل
من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا
عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به
عن القرآن المبين بنور المشكوة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من
الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس
كافة والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيئته تعالى بهداية من يليق بها
ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على
فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة
والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب
وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من
نور المشكوة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي به من تعلقت مشيئته تعالى
بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه
والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة
التي بناها ابرهيم واسمعيل عم وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عم ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما
رسول الله صلعم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر بتعظيمها وعمارتها
بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وايا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان
اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا بتحقيقه كانه مستأذن في ايقاع المأمور به
موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير
لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت
فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشايا

على ان الغدو اما جمع غداة كقني جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو
العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به جنس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء
الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لكونهما
مقام كمال لكونهما العمدة فيما يكون فيها شهود لكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده
الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد
ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير
قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات
مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى
الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس ههنا مفعول صريح
لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما
حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى
الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من البياعات وان كان
في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان باناقته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز
وربح غيره متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائها نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده
وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال
تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء
المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي
عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة
لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد
يخافون اليوم صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد
يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في
انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها فتفقه القلوب
بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة
على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن
جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء
لم تعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله تعالى حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم

بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة وكونها اجلالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه
فجاء به نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم
للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها مناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لانطباع
الاسباب والايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه تفصيل محاسن اعمالهم
الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس
من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت
الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة
بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله
تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع
والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل
عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا
اعمالهم اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين
وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة
متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهو الارض المنبسطة المستوية وقيل جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات
بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع بقعة او على ان الاصل بقيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه
الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان
لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطمع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اي اذا جاء
العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما
كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم
هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة
معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في
قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها
شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا
ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي جزاء اعمالهم المذكورة
فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير الراجع الى الذين
كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة
بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او

في سورة الفرقان

للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويتوقعون بها نجاتهم ادونا بما ذكر من السراب مع زيادة
حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خير يغترون بها لغفلة بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب
الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى
فوقه موج جملة من مبتداء وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده
على الموصوف والكلام فيه كما ترى في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله من فوقه
سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء
الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات بعضها
فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور
خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة
السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة
من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي
جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد
الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي
هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حسبما يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا
وقوله تعالى الم تر الخ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه اعلى مراتب النور واجلاها
وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة
في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته
وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص او خلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقلال ارجحهما
من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة تركيبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف
بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها
حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة
المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما هنالك وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل
ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال
ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم
الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا او حمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد
معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا
من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم
فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه باعتبار اشرف جهاتهم التي هي الانسانية والطير
بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها
بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف

تقدير مبدعها حسبما يوجبه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام
الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية
استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد
وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه
فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وفيه ادماج لفضيلة
الاشارة الى ان كل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه واستفاضة منه لما يليق به
استعداده ويقتضيه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد
لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار
فيفيض عليه في كل آن من شؤون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما
بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التي هي الدعاء و
الابتهال لتكميل التمثيل وافادة ان الآيات المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة
هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها
بالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على
كلمة من موضوعا اضمار فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه
بل هو فاعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها
حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان
كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما سيما الهمه الله
تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره
اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير
المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها و
بانذاره يتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل بحاله على ما ذكر
وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون
اي يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الموالات الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم
والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير
فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاظهر الاصح هو الاول لان تسبيح الطير فقط وعلى الاولين بهذا
وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه
فالاظهر الاصح هو المضمون على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله
العارضة له واحواله الصادرة عنه وهما داخلان فيهما دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما ابداء واعادة وقوله تعالى والى الله
اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه
به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء

بيان ادراك القنفذ

سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة
الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية
بصرية وفي تعقيبه بالجعل المذكور مع رؤيته خارجا لا يخرج وجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفلق ومن الاغناء بتقدير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه
قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم
كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال
من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان
للجبال اي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتعريج
بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة
فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على الاول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه عن خاطر
والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد
اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها
نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك
مستند الى ارادة الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما ينزل من البرد من يشاء
ان يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه
اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار
بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال
في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بفتح الياء
يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة
تأثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه
توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها
ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد
مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته
وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لاولي الابصار
لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات
ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسميته مشيا
مع كونه زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من

يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد
بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو
اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات
والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور
والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال
الاستيناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله
يهدي من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في معانيها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين
الذين كانوا يظهرون الايمان ويسترون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي
يدعوه الى النبي عليه السلام وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكمه الى رسول الله عليه السلام واياما كان فصيغة الجمع للايذان
بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقائل واحد منهم
واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى اي يعرض عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان
بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما
اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان
نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك
الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب
عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق
منهم معرضون اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان
والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص
افي قلوبهم مرض الكفر والاستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشائه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم
وترديد للمنشائية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة بل هو منشئيتها كانه قيل
اذلك اي الاعراض المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا اي راوا منه عليه السلام ما رابهم في نبوته مع ظهور حقيتها ام لانهم
يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من
شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا
عنه عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا
حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون
ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة اليه لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب
في الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد
حق الارتياب بالة منشائية لوصفه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به ام خافوا

النفي في نفس الارتياب ومنشائيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل مما تقتضيه النظر الجليل انما كان قول المؤمنين
بالنصب على انه خبر لكان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف
وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة
الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر
دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في
ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من التعين للطائفة الاجمالية فحيث كان حليلة يجري مجرى
الحصول خارجا وذهنا كان حقيقا ان يلاحظ ملاحظة مجملة ويجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم اي وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية
هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية
قولهم المحكي عنهم ففيه جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا
للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد الاصلي لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا
لقوله تعالى اذا دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين
باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون
بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استئناف
جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان
فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله
ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اي يخش الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم
الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان الفاجرة وجهد
نعت اي جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به
تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد الايمان بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى
وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا
اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد باليمين لئن امرتهم بالخروج عن
ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك
لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق
حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وقيل كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة ام ردها حيث قيل قل
ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه
كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون
من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها
بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة
هذا او حملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة

معروفة

حقيقة لا نفاقية او طاعة معروفة امثل ولكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير
بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما
تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل
للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرتها بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى
مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية
به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها
ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص
ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين
بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان
تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد
رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى واياك نستعين لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب
بالواسطة الى الخطاب بالذات فان خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام والتصدي لبيان حكم الامتثال
بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول
مامور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تكلف بعكس الامر والغاء الترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمامور به اليهم
النصح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم حاجته الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم
بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اي ما امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحمل للاشعار بثقله وكونه مؤونة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل
وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اي فيما
امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره عن بيان حكم التولي
لما في تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين
اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما
اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح
على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
منكم استيناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما
اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها
الاهتداء والمراد بالذين آمنوا الكل ممن اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت
كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة
في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير
الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة
الايمان وعراقته في استتباع الآثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره
عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام

من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر
نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي عليه السلام وللامة عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا
على ان من بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمراحل وابعد عما يليق بشانه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم
في الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين
فيها تصرف الملوك في مماليكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين
من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم
المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم
بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي
مؤكد للفعل بعد تاكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء
للمفعول فليس العامل في الكاف الفعل المذكور بل ما دل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه
اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية من قبلهم ومن
هذه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا
وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يبق الا مسحت او مجلف وليمكنن
لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها
لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصديره بالمواعيد العاجلة في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا
بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما ياتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء
مكانا له يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان
بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير و
التبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف
في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا
فيه وليعد وروده وكان في توسطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى لهم وتاخيرها عنه من الاخلال
بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف لقلوبهم ومزيد
ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء
امنا حيث كان اصحاب النبي عليه السلام قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم يا رسول الله ما ياتي علينا يوم نامن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب
وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار
بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول
الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك
الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر
بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر

مستانف زائد على الاصل وقيل كفر بهذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي
بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها ولكن البعد
عن الحق الناكبون عنه في الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينساق اليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين بالطاعة على طريق الكر
من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل
الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح
والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا ولا تكفروا واقيموا الخ وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا
الرسول امرهم الله سبحانه بالطاعة بالامر به بواسطة الرسول ثم من طاعته التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر السابق
وتقرير لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للاداب المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يامركم به و
ينهاكم عنه وتكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه
في سائر ما يامركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر
الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا معاجزين حال من اطاعه
واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقيب ذلك ببيان حال من عصاه عم ومآل امره في الدنيا
والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسوق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان
واما للرسول عم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية
بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان
وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما
لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم
في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء على ان الفاعل كل احد
والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة
عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض واما جعل معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فمعدول
من المطابقة المقتضي للمقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقوله
في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى وماواهم النار معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي
عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون وماواهم الخ وقيل الجملة
المقدرة بل هم مقهورون ومدركون ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها ماوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب
من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شان التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب
الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد
والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب روي ان غلاما لاسما
بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر رضه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضه لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا

علينا بهذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله عم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر
دلائله منكم اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار
وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستاذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور
انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل
القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب
في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد
الحين مضافا الى فصل حادث متقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور
الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما
امر معروف لا يحتاج الى التصريح ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان
من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما للطرفين ذلك الوقت
الملاصقين المتصلين بالصلوتين المذكورتين كما هو المتبادر عادتا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم
متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان
اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره
اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من
ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما
يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث
وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة
من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما
تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع محل التكليف والجملة على القرائتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد
والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة
الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير
ليستاذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم مما
لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم معلوم من صدر الكلام
وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم
على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح
بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة

واضح الدلالات عليها لانه تعالى يثبتها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر توضيحه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل
الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المخلوقات فيعلم
احوالكم حكيم في جميع افعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم [illegible]
الاطفال في انه لا جناح عليكم في ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقبه ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما
عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليس كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار
الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استاذن الذين من قبلهم في حيز النصب على انه نعت
لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية ووصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان
هؤلاء وزيادة الايضاح ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستئذان المعهود عند السامع ولا ريب في ان
بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم
اي فليستاذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا في جميع الاوقات
ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي
سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد
من النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد
بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين
زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين
بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب عنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن
بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين
الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا
من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في
مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب
العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله تعالى في الآية الكريمة فكانوا
يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل
من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا
مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم
ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تاكلوا
اي في ان تاكلوا انتم ومن معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله فان الخطاب [illegible]
شيئا من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك

وقوله عليه السلام ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر
الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي تربانه وقيل هي بيوت
المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم
قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضه ان الصديق اكبر من الوالدين ان
الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق
يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه
ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام
مستانف لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة كان الرجل منهم
يتحرجه لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب
من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل الفقير من ذوي قرابته وصداقته
الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل
بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا وقيل
كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى
جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت
اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع
في بيان الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم
اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة
بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدر
لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضه
انه قال قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل
صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به و
تفخيمها لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملوا بموجبها وتفوزوا بذلك بسعادة الدارين
وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبها من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها
وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه
له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى واذا
كانوا معه على امر جامع الخ عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله
ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم
المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة
والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ

او جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء
العدو وبل لتسويغ التخلف فيه حتى يستأذنوه عم في الذهاب لا على ان عين الاستئذان غاية لعدم الذهاب
بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عم والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن
ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه
التسلل للفرار والتعظيم لما في الذهاب بغير اذنه عم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله عز وجل ان الذين
يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله قضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله
كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان جامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من تفخيم شأن
المستأذنين ما لا يخفى فاذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عم في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة
المؤمنين وان الاذن عند الاستئذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عم والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض شأنهم
اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله
فان الاستئذان ولو كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في
مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن
الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد
الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عم اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عم
اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عم
بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى
فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل ولا يناسب ما قبلها اما من حيث ان استجابته عم لدعائه مما يوجب
امتثالهم باوامره عم ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض
لسخطه عم المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عم عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه كنداء
بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية
التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
لواذا وعيد للمخالفين امره عم فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج و
الخفية وقد للتحقيق كما ان رب تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا
قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من
اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال
في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها
من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن
اما لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف
المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول عم لانه المقصود بالذكر
ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل

صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يوجب
عن التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به قطعا الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات
باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع
التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع
المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك
وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس
رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب
عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء والتعبير عن الجزاء بالتنبئة لما مر في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء عليم
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا
ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي
من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة
الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى
الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات
التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات
وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتخصيصها
بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيره
من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بحججه
او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده
عم بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عم في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا
للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو عم او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا
اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها
لمراعاة الفواصل وايراد تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة
له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له
ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على انه

للموصول الأول وبيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي لما أنه من تمام صلته ومعلوميته مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله
تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو النصب ولم يتخذ ولدا
كما زعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون سبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمها
في سلك الصلة للإيذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن
له شريك في الملك أي ملك السموات والأرض وهو أيضا عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما
به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه
على استقلاله وأصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للأول وخلق كل شيء أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثا
جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة
ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام فقدره أي هيأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به تقديرا
بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع وقيل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث
مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وإن لم يخل عنه في نفس الأمر فالمعنى أوجد كل شيء فقدره في ذلك الإيجاد تقديرا
وأما ما قيل من أنه سمي إحداثه تعالى خلقا لأنه تعالى لا يحدث شيئا إلا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز
بحمل الخلق على مطلق الإحداث ليجرده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني
هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى وأيا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة في سلك الصلة فإن خلقه تعالى
لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى بالاتصاف بصفات الألوهية يقتضي انتظام كل ما
سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه
ولدا له سبحانه أو شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان على عبده
رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين
في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب وإظهار بطلانها والأصنام من غيره بأن ذكرهم للشفعة بدلالة ما قبله من نفي
الشريك عليهم أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات
والأرض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة لا يخلقون شيئا
أي لا يقدرون على شيء من الأشياء أصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون
حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من
مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان
وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئا منهما
لغيرهم وتقديم ذكر الضر لأن دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على لأنفسهم ولا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا أي لا يقدرون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما
هو أهون من هذه الأمور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الإله
أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه إيذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الأمور
المذكورة مفتقرون إلى التصريح بذلك وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل

والمنزل عليه معا وإبطالها والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر والعصيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد
ومن ضامهم وروي عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك وأما عن ظلمهم ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار إليه أي ما هذا إلا كذب مصروف
عن وجهه افتراه يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه أي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم
الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وقيل هو عابس
وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاءوا ظلما منصوب بجاءوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيتعديان تعديته أو بنزع الخافض
أي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه إفكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائع وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته
لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية
والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزورا أي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث
نسبوا إليه ما هو بريء منه والفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر
أو يحصل بسببه بل على أن الثاني هو عين الأول حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فإن
ما جاءوه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم وأظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتب
اللازم على الملزوم تهويلا لأمره وقالوا أساطير الأولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه إفكا مختلقا بإعانة البشر
بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة والأساطير جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات
اكتتبها أي كتبها لنفسه على الإسناد المجازي أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله اكتتبها له كاتب
فحذف اللام وأفضي الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل
للضمير المنفصل فاستتر فهي تملى عليه أي تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها
عليه من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى اكتتبها
أراد اكتتابها ورجع الضمير المجرور إليه صلى الله عليه وسلم لإسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب إليه صلى الله عليه وسلم بكرة وأصيلا أي دائما
أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم انظر إلى هذه الجراءة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله
أنى يؤفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض وصفه تعالى بإحاطة
علمه بجميع المعلومات الخفية والجلية للإيذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم
بجناياتهم المحكية التي من جملة معلوماته تعالى أي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث
الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوي أنزله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم
والأسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة وأمور مكنونة
لا يهتدي إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه إفكا مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم
بذلك أن يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى إنه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أي إنه
تعالى أزلا وأبدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه
مع كمال استيجابه إياها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا مال هذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص المنزل عليه
وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء وخبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه

وتسميته اياه رسولاً بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى يأكل الطعام
حال من الرسول والعامل فيها ما في لهذا من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة
حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الأسواق لابتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط
مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً فكما ان كلا من عدم الايمان
وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه او لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشي امر محقق قد استبعد
تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء
على التحقيق وفي الأكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم
معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه
فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور
جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك
اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيراً تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكاً الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءاً له في الانذار
وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر
به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلاً على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو
ايسر منه واقرب الى الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون
الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالاً خارجاً عن حد الضلال مع ما
فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلاً مسحوراً قد سحر فغلب على
عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشراً لا ملكاً على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف
ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك
تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة
من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلاً
الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولاً يستقرون عليه وان كان باطلاً في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالاً مبيناً فلا يجدون
طريقاً موصلاً اليه فان من اعتاد استعمال مثل هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي
اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلاً شيئاً خيراً لك من ذلك الذي اقترحوه من ان
يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيراً
ومحقق لخيريته مما قالوه لان ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصوراً عطف على محل الجزاء
الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفاً على نفسه لان الشرط اذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه
خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض
لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما
للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام
قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال

الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيراً اي اعتدنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما
يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائناً من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولاً اولياً ووضع الساعة موضع ضميرها
للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة الشريفة لكن الساعة
لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل اتوا
باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيراً فان جراءتهم على التكذيب بها
وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني عن الوعد
بالجنات في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعاً ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة
الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما
وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا خلو يدك
ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا رأتهم صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان
بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلاً وقوله تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعد ما
بينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي
والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظاً وزفيراً اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن عندنا مشروطة بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة
فتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكاناً منصوب على
الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له ضيقاً صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق
كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنه
تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون
في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها
وقرئ ضيقاً بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكاناً ضيقاً حال كونهم مقرنين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد
دعوا هنالك اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبوراً اي يتمنون هلاكاً وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا
حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولاً
لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه
من الهلاك المنجي او تمثيلاً وتصويراً لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب
اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل
فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطاً مما علقوا به اطماعهم من الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم
منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبوراً كثيراً اي بحسب كثرة الدعاء كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منهما
وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في

المبني على الضيق ح

ونسبة عدم التراءي في الحديث الى النار
للانباء عن غاية البعد لان النار مع كمال ظهورها
وارتفاع لهبها اذا لم يمكن رؤيته كانت في غاية البعد
من حيث المسافة

وتنبيهاً على ان عذابهم ملازم لهم لا ينفك عنهم
الهلاك

المتعلق به الحسب كثرته في نفسه فان ما
يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما
تعلق دعاء من تلك الادعية الكثيرة
صار

في المثل أي وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتجدده
بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع
وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام
كيف لا وهم إنما يدعون هلاكا ينهي عذابهم ويخلصهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالة
دوام ما يوجب استدعاءهم من العذاب الشديد وتكييد النهي والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس
كسائر الأيام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم أذلك إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار
اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
أي قل لهم أذلك الذي ذكر من السعير التي أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي وعدها المتقون وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد
بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى
أو في اللوح أو لأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة كالمحقق وقوعه جزاء على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم
ومصيرا ينقلبون إليه لهم فيها ما يشاؤون أي ما يشاؤونه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع النعيم
كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا تمتد أعناق
هممهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان والتساوي في مراتب أهل الجنان خالدين حال من الضمير
المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون كان أي ما يشاؤونه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله
تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسؤولا أي موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون
أو مسؤولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء فإن
تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره
من تشريفه والإشعار بأنه هو الغاية ... ذي آية لمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على أنه مفعول لمضمر
مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك الخ أي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله تعالى وتعليق التذكير باليوم
مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على
كمال هوله وفظاعة ما فيه والإيذان بقصور العبارة عن بيانه أي يوم يحشرهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي ببيانه
المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبكسر الشين أيضا وما يعبدون من دون الله
أريد به ما يعم العقلاء وغيرهم إما لأن كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه أنك إذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو
أو لأنه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبودهم أو لتغليب الأصنام على غيرها تنبيها على أنهم مثلها في السقوط
عن رتبة المعبودية أو اعتبارا لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام
ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل فيقول أي الله للمعبودين إثر حشر
الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات
إلى الغيبة أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء بأن دعوتموهم إلى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله أم هم ضلوا السبيل أي عن السبيل بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد

...مجاز أو وصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والأصل إلى السبيل أو للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين
لأن المقصود بالسؤال هو التصدي للفعل لا نفسه قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل
فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء
أو إشعارا بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يتأتى منهم إضلال عباده أو تنزيها له تعالى عن الأنداد ما كان ينبغي لنا
أي ما صح وما استقام لنا أن نتخذ من دونك أي متجاوزين إياك من أولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فأنى
يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك فضلا أن يتخذنا وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أي أتباعا فإن الولي كما يطلق
على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ومنه أولياء الشيطان أي أتباعه وقرئ على البناء للمفعول من
المتعدي إلى المفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا ومفعوله الثاني من أولياء على أن من للتبعيض أي أن نتخذ بعض أولياء
وهي على الأول مزيدة لتأكيد النفي وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام ولكن متعتهم وآباءهم استدراك
مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن إضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا
للضلالة أي ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات
وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر أي غفلوا عن ذكرك أو التذكر في آلائك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم
ذريعة إلى الغواية وكانوا أي في قضائك المبني على علمك الأزلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال
السيئة قوما بورا هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه
عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أي فقال الله تعالى
عند ذلك فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة بما تقولون أي في قولكم إنهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في
... القول لا تعلق له بما بعده من استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وإنما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم أنهم آلهتهم و
... وأما ما كان غالبا بمعنى في أو مع صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أي
فقد كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون أي المعبودون صرفا أي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير
أي بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف في أموره أي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا أي فردا من
أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على
أنه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم
بهم وقرئ تستطيعون على صيغة الخطاب أي ما تستطيعون أنتم أن تصرفوا عنكم العذاب أو تحتالوا لكم ولا أن تنصروا أنفسكم
عليها كما ترى بيانه ومن يظلم منكم أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم
عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه
بالياء والضمير لله تعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في إذاقة العذاب الكبير
إذ الاقتضاء خاص بعدم المزاحم وفيه إشارة وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا وما أرسلنا
قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق جواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الأسواق والجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف قد حذف وأقيمت هي مقامه كما في
قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير

الا وانهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقرئ يمشّون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه
لسائر الرسل عم بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا
منهم وبما في قوله لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل
فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين
ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الآخرين ببعض مبهم من الاولين
بل على معنى وجعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة
لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء
البعضين على العموم والابهام اي على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون فان
غاية المجعول المذكور من البلية ان يصبر الملا فكل احد من آحاد الناس مخاطبا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكر
من عيّر توصيف لمعادله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين المتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل
فيحصل به تسليته عم فالمعنى وجعلنا سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين باممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم
واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد
تشريف له عم بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره عم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من
اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول
موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته
من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت
اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء والاعدام خوفهم
سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون
الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا
ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى ربنا فيخبرنا
ان كلا القولين ناشئ من غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم
اي في شأنها حتى اجترأوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي جاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا
بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل رتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله
ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد
ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عم واللام جواب قسم محذوف اي
والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون
الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة بعد استعظامه وبيان كونه
في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان
رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما دل عليه قوله تعالى لا بشرى
يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه
او بعد منوها تهويل للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها بان يقال يبشرى يمنعونها او يفقدونها

واين هذا بنفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات نقيضها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الظالمين كناية
عن البغض والمقت دل على ثبوت النذري لهم على ابلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير بمحبة
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقام عليه اي اذكر يوم يرون الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان
بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه ظاهر
وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن ما
الكلي الى ان نفي البشرى لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد
ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند
مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث
يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم
اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارد
للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله
ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا
من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان
لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى
ما تحت ايديهم فافنى عليهم بالافساد والتمزيق وفرقها كل ممزق بحيث لم يبق لها عين ولا اثر اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا
بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة
من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن
نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم
في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم
هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة
غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن
مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق
اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة
بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم
وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما في تلظى
وقرئ بادغامها في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود
وقيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وانزل ونزل على صيغة
المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة وتنزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل

الملك يومئذ الحق للرحمن أي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له
ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن
متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك
وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب
بما ذكر فالجملة استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه تعالى
بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده
يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء
في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض
مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لأنها من روادفها والمراد بالظالم إما عقبة بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه
يوما إلى ضيافة فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك
إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا ألقاك خارجا
من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن
عليه السلام أبيا يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى يقول حال من فاعل
يعض وقوله تعالى يا ليتني إلخ محكي به ويا إما لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادى محذوف أي يا هؤلاء ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا أي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
أو حصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق له قط يا ويلتا بقلب الياء ألفا كما في صحارى ومدارى وقرئ
على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالي واحضري فهذا أوانك ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يريد من أضله في الدنيا فإن
فلانا كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم
وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الإناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء
إلا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك فلانا عن فل وقوله حدثاني عن فلان وفل وليس فل مرخما من فلان
خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي
وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمني منه وإن كان
مسوقا لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير وقوله تعالى لقد أضلني عن الذكر
تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه وإظهار ندمه وحسرته بعد
إذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى
يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى
خليله شيطانا بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس لأنه الذي

وحمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته وإغوائه فإن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده في الدنيا
ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق لحال إبليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا
وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال والخطوب وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة
لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام أي قالوا كيت وكيت وقال الرسول إثر ما شاهد
منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل يا رب إن قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع
اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الإشارة
مهجورا أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا إليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمنين أن يكونوا
كثيري التعاهد للقرآن كيلا يندرجوا تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روي عنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أي
جعلوه مهجورا فيه إما بزعمهم الباطل وإما بأن هجروا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فإن
الأنبياء عليهم السلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين تسلية لرسول الله عليه السلام وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين
يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة
إليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية إلى كافة مطالبه
والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هاديا لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من
جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين
كفروا حكاية لاقتراحهم الكاذب في حق القرآن الكريم بعد حكاية قدحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون أولا وإيرادهم
بعنوان الكفر لذمهم به والإشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك أهل الكتاب
أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على الكثرة للتنزيل في نفسه أي هلا أنزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة
وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها
وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من أجزائه المقدار بمقدار أقصر
السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال
ومن ضرورة تغيرها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت
به فؤادك فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل
الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لفعل مقدر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل
التنزيل المفرق ... فؤادك فإن فيه تيسير حفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي
فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من
أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الأقاويل والأفاعيل
ومن قضيته تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما
يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوبه

المنزل مع ظهور عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالجملة وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف
على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه
آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنه بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه
تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه إثر بعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه
عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من
الأمثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي
لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك إلا جئناك في مقابلته
بالحق أي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحقة القالعة
لعروق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى وأحسن تفسيرا عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسيرا
أو على محل بالحق أي أعطيناك الحق وأحسن تفسيرا أي بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن
ما يأتون به حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل
في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به وتثبيت فؤاده
عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبئ عن بطلان السؤال
الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن التنزيل على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل
تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه
عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الأكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى
لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال
الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطيكه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو
الذي أنت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى
من الحق مترتبا على ما أتوا به من الأباطيل دامغا لها ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة
قد آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لأجل دمغها وإبطالها الذين يحشرون على وجوههم
إلى جهنم أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق
وروي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم
ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم بحيث
لا يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه إليها في الجملة ومحل الموصول إما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء
وقوله تعالى أولئك بدل منه أو بيان له وقوله تعالى شر مكانا وأضل سبيلا خبر له أو اسم الإشارة مبتدأ ثان
وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الإسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول
عليه السلام على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم
على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا
وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة
سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من

ذكر من الأنبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب قسم محذوف أي وبالله
لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى أخاه مفعول أول له
وقوله تعالى هارون بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى
الوزير أي جعلناه في أول الأمر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي
المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة
تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله عليه السلام بيانا
لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أي فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم إثر ذلك
التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
وحمل قوله فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له إذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم
بتدميرهم قد وقع والتعقيب والتنصيص في مطلع القصة بإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل
في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل
عن ملكة فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام إذ به يحصل تأكيد الوعد على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم و
فدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أي ودمرنا قوم نوح وقيل
عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله
تعالى لما كذبوا الرسل أي نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام
وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى أغرقناهم وإنما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها
حرف وجود لوجود فلا لأنه جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبلها مع أنه يخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن
إهلاكهم ليس بالإغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم أي جعلنا
إغراقهم أو قصتهم للناس آية أي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف
لغو له أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر لكان صفة لها وأعتدنا للظالمين أي لهم والإظهار في موقع الإضمار
للإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا أليما هو عذاب الآخرة إذ لا فائدة في الإخبار بإعداد العذاب الذي قد
ذاقوه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم دخولا أوليا ويحل
العذاب الدنيوي والأخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين
إذ في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما في ما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي
أو اسم الأب الأقصى وأصحاب الرس هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول
الرس وهو البئر التي لم تطو بعد إذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا
ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة
بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتخ أو دمخ تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابتها
الصاعقة ثم إنهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل هم قوم كذبوا رسولهم ورسّوه أي دسّوه في بئر وقرونا أي أهل قرون
قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون سنة وقيل مائة وعشرون بين ذلك أي بين ذلك المذكور

[illegible]

بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو و
يبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود وفيه بعد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله تعالى وبالغ حكمته
فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في
جوانبه من مواقع ضوء الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل
توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع
بل مطمح انظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر
على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة
المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد
وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا
وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما
سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى
بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات
لا لما ذكر فانه تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة
على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان
وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد الظل داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة
على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون
العظمة لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية
من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد
داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبين على قضية مصالح المخلوقات من مزيد دلالة
على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا
عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط
وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه
منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات
ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم
النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك
الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم
نسخه بها فقبضناه قبضا يسيرا اي خفيا او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر
علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته
وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة
بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل

الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا يخفى وعليه اي وهو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس
والنوم سباتا اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافعال المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات
الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريقة المبالغة وقيل اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت
والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان
المراد هو الجنس نشرا بالتخفيف جمع نشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب
وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعية اي قدام
المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر
من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل من انه ما
كان طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور
في العربية اما صفة كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقوله طهورا بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده
فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم
احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا بانبات النبات والتذكير لان البلدة في معنى
البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة
ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية واجتماعه في الحياض والمناقع والآبار مما خلقنا انعاما
واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى
يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها
الشرب غالبا مع ان مساق الآيات الكريمة كما هو الدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت
قنية للاناسي وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها
وتعيشها وقرئ نسقيه من اسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان
اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم واناعيم ولقد صرفناه اي وبالله
لقد كررنا هذا الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية
بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك
ويقوموا بشكر نعمته حقا وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيره او في بعض الاوقات دون بعض او
جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رذاذا والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس من سلف وخلف الا كفورا
اي لم يفعلوا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى
الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا نذيرا اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك
حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل

ذلك بالآيات والاحتجاج في الدعوة وإظهار الحق والقوة معهم كأنه نهي لرسول الله عم عن المداراة معهم في التلطف في الدعوة لما أنه
عم كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أي فلا تطعهم في ترك الاجتهاد وجاهدهم به أي بالقرآن بتلاوة ما في
تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة جهادا كبيرا فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد
كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة والأنسب بأن يجرد ترك الطاعة
بلا دعوة الصلاة ليس فيه شائبة جهاد فضلا عن جهاد الكبير اللهم إلا أن يحمل إلى الملاينة ليكون المعنى وجاهدهم بالزجر من
أحكام القرآن الكريم مطالبا بترك طاعتهم كأنه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا أيها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه
عم نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله عم تلك المجاهدات
كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة تجب الكلمة ليس فيه مزيد فائدة فإنه بين بنفسه وإن الأليق بالمقام بيان سبب كبرها
وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين أي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح أجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح لعله تخفيف مالح كبرد في بارد
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر
بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر
العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الأرض فيكون أثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر
التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الذي خمر به طينة آدم عم أو جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع
ويسلس ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة فجعله نسبا وصهرا أي قسمه قسمين ذوي نسب
أي ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وكان ربك قديرا مبالغا
في القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة
واحدة توأمين ذكرا وأنثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم أي ما ليس من شأنه النفع والضر
أصلا وهو الأصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت
آثار ربوبيته ظهيرا أي يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له
عنده تعالى من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم وما أرسلناك إلا مبشرا
للمؤمنين ونذيرا للكافرين [illegible] إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا أي إلا فعل من يريد أن يتقرب إليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة
حسبما أدعوهم إليها فصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود الإتيان به واستثنى منه قلعا لكلية
الطمع وإظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا إليهم عم أجرا له عم وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من شاء أن يتخذ
إلى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق
بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات
النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا أي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة
أيام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بأن يتوكل عليه من حيث أنه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج الموصول صفة أخرى للحي وصفه بالصفة الفعلية بعد وصفه

بالأبدية التي هي من الصفات الذاتية والإشارة إلى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فإن
من أنشأ هذه الأجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في أوقات معينة مع كمال
قدرته على إبداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الأمر إليه
الرحمن مرفوع على المدح أي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل
عليه تعالى وإن لم يتبعه في الإعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما
صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا ترى كيف التزموا حذف الفعل و
المبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال
بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن
بدل من المستكن في استوى فاسأل به أي بتفاصيل ما ذكر إجمالا من الخلق والاستواء لا بأنفسهما فقط إذ بعد
بيانهما لا يبقى إلى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فإنها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسئول
أمرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل ومن ظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن
التقدير إن شككت فيه فاسأل به خبيرا على أن الخطاب له عم والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير إن شئت تحقيق
ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر الأمور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الأمر
وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة إلى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا
إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون
الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لما أنهم ما كانوا
يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا أي للذي تأمرنا بسجوده أو
لأمرك لنا من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وقيل لأنه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم
لبعض وزادهم أي الأمر بسجود الرحمن نفورا عن الإيمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر
سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهورها
وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا
بالليل وقرئ قمرا أي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما أن الليالي بالقمر تكون قمرا أضيف إليها ثم حذف وأجري حكمه على
القائم مقامه كما في قول حسان رضه بردى يصفق بالرحيق السلسل أي ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي
أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب
وجلس لمن أراد أن يذكر أي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات
رحيم بالعباد أو أراد شكورا أي يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم أو ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في أحدهما
تداركه في الآخر وقرئ أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد
الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والإضافة للتشريف وهو مبتدأ
خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الإشارة وقرئ عباد
الرحمن أي عباده المقبولون الذين يمشون على الأرض هونا أي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به والمعنى

والأول هو الأولى لما فيه من [illegible] الإيضاح
المذكور لهم قصدا والاستغناء بكون [illegible]
الموصوف [illegible] العبودية
من المبالغة [illegible] على الاتصاف بها
هكذا وجدت في هامش نسخة المؤلف
بخطه

على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى
واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة
لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها
آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي
يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد
بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين
يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما
وهلاكا لازما وفيه مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون
الى الله عز وجل في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت
مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون
تعليلا ثانيا والاول اليق بذلك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه
ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من
جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو
الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات وقرئ بكسر التاء مع فتح اليا وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم اليا
وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو
وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي
الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء به
والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض لما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه
الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة
في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا
ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا
من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة
مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى
وقرئ يلق بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم والتنوين على التفسير للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم
الصعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون
ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني

كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم

وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب
لانضمام المعاصي الى الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات
مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مباينته للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد
في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان
يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بان يزيل
الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه [illegible] او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل
يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي
ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه متابا اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده ماحيا للعقاب
محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله او الى ثوابه مرجعا حسنا
وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل
مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي بما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين
باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج
الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة
تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالنسبة الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا
بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس
كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقالوا
وانت خبير بان مدار التوحيد في الكل صدور الدعاء عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة
واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان
عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصائم وصيام
ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول
الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة
الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اولئك اشارة الى
المتصفين بما فصل في حيز الصلة للموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك منتظمون
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وخبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة

مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة
الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهو اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون
وقيل هي اسم من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها
من جهة الملائكة تحية وسلاما اي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة
من كل آفة وقيل تحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا
ومقاما الكلام فيه كالذي في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس
فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل للكفرة كافة مشافها لهم بما صدر عنهم من
خير ومن شر ما يعبأ بكم ربي ولولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له حسبما مر تفصيله فان ما
خلق له الانسان معرفة الله تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه
ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان يكون ما نافية وقوله تعالى
فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه
ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه
وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وتخاطبه الايذان بان مناط الجزاء
ما ذكر وحده ان الآخرة مع الاتحاد في الجنس المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما
اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها
لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب
لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على
احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير
فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء
كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل
من الاول والمراد بالكتاب القرآن والمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية
وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان
كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتلها واصل
البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل

للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اي لعدم
ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من
الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته
ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين
واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات
من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ فظلت خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب
بغير ما ذكر من الآية الملجئة بصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية
لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على شرفه وشناعة ما فعلوا به
فان الاعراض عما يأتيهم من جانبه تعالى على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحضة لمنفعتهم اشنع واقبح
اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كائنا
من الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب
والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول
يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء
به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها
على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزؤون عدل
عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع
في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤون وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها
القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل
له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤون به قبل من غير
ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا
ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجائبها الزاجرة
عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف
مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع
بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف كثير والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا
من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة
على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه
على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا

وفيه حكمة بالغة وان غفل عنه الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا
او الى كل واحد من تلك الازواج وآياً ما كان ففيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال
قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه صلى الله
عليه وسلم مؤمنين مطبوعين في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلاً انهم سيصرفون عنها ابداً لاختيارهم الذي عليه يدور امر
التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة وللمعنى وما اكثرهم مؤمنين
وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه
تعالى وقضائه فربما يتوهم متوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما سيأتي من التحقيق مما يخفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قال
ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما كان اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة
ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها
الانتقام من هؤلاء الكفرة الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون
العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى
ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية والتكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي عليه السلام اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجراً
لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيراً من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم
من الآيات لكن لا بقياس هؤلاء بحال اولئك فقط بل لمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم
اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان
المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مراراً ان ائت اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف
عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء
وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة
من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر
قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيباً من غلوهم في
الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم ادى
الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا غيباً لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه
مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى
الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال
متضرعاً الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على اخاف
فارسل اي جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معي واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك على الامور الثلاثة خوف
التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق
لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعترته حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك استدعاء
لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم

علي ذنب اي تبعة ذنب بحذف المضاف او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم
وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف ان يقتلون اي بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي و
ليس هذا تعللاً وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى
الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فاذهبا معطوف على مضمر ينبئ عنه
الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى
انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى
وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل اجري مجرى الجماعة وما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي
سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثّل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمدّ اولياءه ويظهرهم
على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الاصوات
وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب
وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني
اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام
قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب ان ههنا انساناً يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه
الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليداً اي طفلاً عبر عنه بذلك لقرب
عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين
ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة
وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من
تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فِعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعاً
من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد
افترى عليه عليه السلام او جهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فكأنه جعل
النائبين ويجوز ان يكون حكماً مبتدأً عليه بانه من الكافرين بآلهته او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة
يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعاً منه قال
مجيباً له مصدقاً له في القتل ومكذباً له فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذاً وانا من الظالمين اي الجاهلين
وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد
قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت
منكم لما خفتكم اي ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكماً
اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين رداً اولاً بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح
برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان
عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهراً وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح

ابناءهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان
عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه ثم تلك المقالة المبنية وشاهد
تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه ثم ابتدا بالاستفسار عن المرسل فقال
وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته ثم اي اي شيء رب العالمين الذي تدعي انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين
رب سواه حسبما ينبئ عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله وما علمت لكم من اله غيري [illegible] عن تمام اجوبته ثم قال
موسى ثم مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما تعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتنبيه على حسم مادة
تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها
علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند
سماع جوابه ثم خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا خمسمائة
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مريدا لهم ان ما سمعوه من جوابه ثم مع كونه مما لا يليق بان يعتد به
بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد
ربوبية نفسه قال ثم تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء
الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى ثم بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراد ان
قاله ثم مما لا يصدر عن العقلاء صرفا لهم عن قبوله فقال مؤكدا للمقالة الشنعاء بحرفي التاكيد ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون ليغيظهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى المخاطبين
ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال ثم رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله ثم مكملا لجوابه الاول وتنبيها
على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالة فان بيان ربوبيته للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى
للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون
الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق
الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة
مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين استمرارها واستغناءها
عن المؤثر المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه
ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه به ثم
من الجنون قال لما سمع اللعين منه ثم تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على
تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونادى بجانبه على غلوه في الجور
والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
لم يقتنع منه ثم بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له كافة ثم ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية
وتمادى في التعجيب وتجنيبه من الجواب الاول ونسبته الى الجنون الثاني كان لنسبته ثم الربوبية الى غيره واما ما قيل من
ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال

ولا مقالة واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى
يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي
موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق من ظهرت
على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء
وقد سلف منا ان الواو للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب
ما جعلها عليه ملاحظة مصدريتها الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر
بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعدد
ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه
على كل حال من احواله المفروضة وتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم
بطريق الاولوية للمعنى لا للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي
حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا الاخيرة وحدها على ان الواو للحال وصدر الجملة بما ذكر
من كلمة لو دون ان لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى افتفعل ذلك حال عدم مجيئي
بشيء مبين وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر
ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في
سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال هل لك غيرها
فاخرج يده فقال فرعون ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال
للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال
بامرهم او الى مقام مؤامرتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج
والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى ثم قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون
السحرة يأتوك بكل سحار عليم فائق في فن السحر ويأتي بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
هو ما عينه موسى ثم بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء
لهم في الاجتماع وحث لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان غلبوا
لا موسى ثم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا موسى ثم لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا
لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى
قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني و
نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون
ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم

بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقوا

وقالوا اي وهم قالوا اذ ذاك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي
عند الالقاء
تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم
وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى والتعبير عنها بالمأفوك للمبالغة فالقي السحرة ساجدين اي انهم لما شاهدوا
ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على
يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما ينتهي اليه علم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين
بدل اشتمال من القوا او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهارون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون
حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي
فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن
او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه
كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له او عدهم به قالوا اي السحرة لا ضير لا ضرر علينا في ذلك وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون
تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا
فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير
اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة
بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما
فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى
وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل
الوصول الى البحر فيدخلوا مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين جامعين للعساكر
ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده
اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور (من السوار) مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون
افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول
دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء
وقيل مدججون في السلاح فاخرجناهم ذلك حالة في احسابهم كما فوجا بهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم مجالس ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك
الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها
بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان

يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى
الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
جاءوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال
من ادرك الشئ اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا اي ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم
ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما
كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت وهذا البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون فقال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب البحر القلزم او النيل
فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر مسلكا بعدد الاسباط فكان كل فرق حاصل بالانفلاق
كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط منها وازلفنا اي قربنا ثمة الآخرين
اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات
القاهرة وفيما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى
البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية او آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها
المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا
يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول عليه السلام ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل
من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان
بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شأنه بشأن
موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصصهم من غير ان يسمعها من احد مع كون
كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون
كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة
بالقصة تنويها لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يحمل كان بمعنى صار كما قيل في قوله تعالى فكان من الكافرين
فالمعنى ما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل
الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده
من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم
بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع
السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر
فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ناموسا
التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فمعزول من السداد كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو

لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله ثم لما انقطع عنه بتفصيل القصص تكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من
الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ونبه بذلك على تماديهم في الكفر والعصيان واصرارهم على ما عليه من التكذيب عاقبتهم الله تعالى
بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار بهلاكهم وبعد المؤمنين
من جملتهم اولا واحد منها او من عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر
واتل عليهم عطف على الضمير المقدر عاملا لاذ نادى اي اذكر واتل على المشركين نبأ ابرهيم اي خبره العظيم الشأن حسبما
اوحي اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم باياتهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب بالك على
الظرفية للنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله لهم
ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم انما يعبدون بمعزل من استحقاق
العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى و
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف
دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام
وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لاجلها
مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من
جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول
كيت وكيت فحذف الدال لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا من الاشياء
او جوابا من دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل
لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او
او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان
لا سند لهم سوى التقليد اي وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم
فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال
ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من
جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغري بعبادتهم والحامل عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو
الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه
ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو مشبها بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك
بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل
متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين
وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة النظم الكريم واما وصفه تعالى بذلك وما عطف عليه مع اندراج الكل تحت الربوبية
للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع
الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة اليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين

والدنيا هدايته متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة
من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين
لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الاولى
وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل
واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها
واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة لما ان الصحة والمرض من متفرعات
الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر فاردت
ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء والاعادة و
فوضت امور الآخرة جميعا اليها وما بعدها من البعث نظمهما في سلك واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت
لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام
من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام
مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر
وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على الكلمات الثلاث اي اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها
مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين
قومه اما الثالثة فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن
البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا
لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام
فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب
المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم
والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها
او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها
وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا
من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابرهيم عليه السلام واجعلني من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان
كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه
ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الورثة او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك
مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين لعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما ان عمومهم في البعث من الشهرة الفاشية المغنية عن ذكره وتخصيصه
بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء
وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين

للشفاعة احد الا من اتى الله بقلب سليم اى عن مرضى الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما من الايمان وفيه تأبيد
لكون استغفاره عم لابيه طلبا للهداية الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه بعدم نفعه لان الشفاعة
وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اى الا مال من او بنون من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى
حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما فى قوله تحية بينهم ضرب وجيع اى الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كانه قيل الا
سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل لا ينفع غنى الا
غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء فى دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة
للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضى فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه فى سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره
كما ان صيغة المضارع فى المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما تقتضيه مقام التهويل والتفظيع
اى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون
بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذى هو الايمان والتقوى اى جعلت بارزة لهم
بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما
كنتم فى الدنيا تعبدون من دون الله اى اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شفعاؤكم فى هذا الموقف هل ينصرونكم
بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا
فيها اى القوا فى الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا فى قعرها هم اى آلهتهم والغاوون اى انهم يتركون عنها فى الكبكبة
سوء حالهم حيث ازدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اى شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه
من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصى ليجتمعوا فى العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة
الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة وهم فيها يختصمون اى قالوا معترفين بخطئهم فى
انهماكهم فى الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم على
ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفى ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف
اسمها الذى هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اى ان الشان كنا فى ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح
للاستنجاع فى اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطائهم فى رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة
بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم فى ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اى ضللنا وقيل للضلال
المذكور وان كان فيه ضعف صناعى من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة الماضية اى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام
فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم وما اضلنا الا المجرمون بيان
لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه
بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا فى تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال
الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما فى قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا وعن السدى رحمه الله الاولون الذين اقتدوا بهم واياما كان ففيه اقناط لهم من التخلص فما لنا من شافعين
كما قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصى فما

لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عم ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كان المعدوم للتحقيق فى قوله والله لا يحب الفساد كناية عن
البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على
ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها
لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو فى قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمنى كليت لما بين معنييهما من التلاقى فى معنى الفرض
والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اى رجعة الى الدنيا وقيل هى على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا
كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وياباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمنى مفيدا لترتب ايمانهم
على وقوع الكرة البتة لا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عينى كما يستدعيه كون
لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق الكرة معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان
اصلا مع انه المقصود حتما ان فى ذلك اى فيما ذكر من نبأ ابراهيم عم المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من
عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم
من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت
لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة
على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عم ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا
عليه من عبادتها مخافة ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان فى ذكر
نبأه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهة الله
تع موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اى اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما
كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عم كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا
بما سمعوا منه عم الا طغيانا وكفرا حتى اجترءوا على تلك العظيمة التى فعلوها به عم فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما
آمن له لوط فنجاه الله تع الى الشام وقد مر بقية الكلام فى قصة موسى عم وان ربك لهو العزيز الرحيم اى هو القادر
على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين
القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد
واصول الشرائع التى لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ فى قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع
من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عم الى انتهائها اخوهم اى نسيبهم نوح الا تتقون
الله حيث تعبدون غيره انى لكم رسول من جهته تع امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة
لله تع وما اسألكم عليه على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء
فى قوله تع فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عم من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها
على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل فى ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ اجرى
بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اى الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة
صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكالب والكلب واكلب وقرئ واتباعك

وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل واصابة رأي
وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصر انظارهم على حطام الدنيا وكون
الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بان التقدم في الدين [illegible] لا بزخارف الدنيا وان النعيم هو نعيم الآخرة
من [illegible] والارذل [illegible] قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي وما وظيفتي
الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير
عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم
من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من
استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي
ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء والاذلاء فكيف يتسنى
لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته فما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى
في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون اصروا على تكذيبي واصروا على ذلك بعدما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة
ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بينهم بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية
اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فأنجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك
المشحون اي المملوء وبالابل لهم [illegible] ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح البعد من السداد
كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد
بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في صدر قصة نوح اي الا تتقون الله فتفعلون ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله و
اطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر والتصدير في القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة
هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام مجمعون
على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون عن المطامع
الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه يعبثوا بمن مر عليهم او قصورا
عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ للماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا
في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون وإذا بطشتم بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تاديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا
الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعم واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها امدكم بانعام وبنين باعادة
الفصل لزيادة التنبيه فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني
اخاف عليكم ان لم تتقوا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب
كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء
علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابلة للمبالغة في بيان

قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا اي ما هذا الذي جئتنا به الا
خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم
ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خَلْق الاولين بفتح الخاء
اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث
ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن فيه من الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا
آمنين انكار ونفي لان يتركوا فيما هم عليه من النعمة او تذكير للنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل
انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل متكسر من كثرة الحمل
وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه لتنفيذ حكم الآمر
لما بينهما من الملابسة او مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان
خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم او من ذوي
السحر اي الرئة اي من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه حسبما فصل في سورة الاعراف وسورة
هود لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فا
قتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف
اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك
عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان
كان بطريق التوبة فأخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين اي أتأتون من بين من عدا كم من العالمين الذكران
لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن البق بالاستمتاع
فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
وكلمة من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح
منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي
وهذا من جملتها وقيل مفرطون في حب الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط

اي عن تقبيح امرنا ونهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التي تقص لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين اي
من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين
غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من زمرة الراسخين
في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم
وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه
في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها
كافرة لان لها شركة في الاهلية بحق الزواج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة
الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية
ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله
فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة
بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون
ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت
مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان
من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا
من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة
وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء
وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة
على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه
من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة
كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت
من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال
ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه
اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان
ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ
عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل
ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة
والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة

أوفوا الكيل

والداهية التامة ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي
اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنهم ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون
ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة
من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها
على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر
والطغيان ولا بان يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها
من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق
في خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذي هي من جملته
لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام
تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه
امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اي جعل الله الروح الامين
نازلا به على قلبك اي روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل
منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل
اي انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك
المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا
يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين
عليه السلام مجرد انزاله عليه السلام للانذار باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه
عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب
الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تأثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم
على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره ومعناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل
بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه
من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح او لم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر
الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها
لكونها نكرة وآية خبر يكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعل آية
اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة
موقعها الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله
تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين
لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض
اشارة الى ان يكون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم قراءة صحيحة

حارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز النظم الى اعجاز المتن ولفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة
وقيل المعنى ولو انزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من
اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي
مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه
خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب
المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم
لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم
الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم بغتة اي فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه
مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موضع
الايضاح والتلخيص له او في موقع حال اي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم
ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتأخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه
للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضه والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب
في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم
فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي
ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون
عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى
مع ما فيه من رعاية الفواصل افرأيت لما كانت الرؤية اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارأيت
في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما
اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي
الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعاش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية
او ما كانوا يتمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي
وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار
وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتعهم ماذا افادهم واي شيء
اغنى عنهم من ذلك اصلا وتركي المتبعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما
للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كأنه قيل مذكرون ذكرى والجملة صفة
مؤكدة للفعل هو صفة لمنذرون اي الا لها منذرون بتذكرة وقيل ذكرى خبر على انه صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى
لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمن قرية الواقع في حيز النفي على معنى
ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار والتعبير
عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى

عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما
تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل
به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة
لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور
العلوم الربانية والمعارف النورية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون
الشر فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائعة والمغيبات التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عم فلا تدع مع الله الها
آخر فتكون من المعذبين خوطب النبي صلعم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عم تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر
المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب
الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه عم لما نزلت
صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه عم قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم
شيئا ثم قال يا عائشة رضه ابنة ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد عم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار
فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا
اراد ان يحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه
بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين
كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عم تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود
اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عم التي بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من
وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل
الشياطين اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل
الاصل امن بحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل
على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكثير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم
بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله عم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف
اتضح استحالة تنزلهم عليه عم يلقون اي الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون
فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي
المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية
باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما اقوالهم كاذبة لا

لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا
ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين
اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون اليهم
اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء
السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور بان يقال انه ما صح جوابه انما حال من ضمير تنزل مفيدة
لمقارنة التنزل للالقاء او استئناف مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع
الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا واما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول
فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار
كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير حقيق بحالة التنزل واما على تقدير كون ضمير يلقون
للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع
الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم
الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل
الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف
فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال ان اكثرهم
كاذبون فيه والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل
الشعر وان رسول الله عم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين
على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك
مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة
في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم في كل
واد يهيمون استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد
الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال
وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل
معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه الصلف والوقاحة دأبهم تمزيق الاعراض
المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط
في المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم
في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور
المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة
الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد
مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق
ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عم من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد عم
ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عم منهم بكون اتباعه عم غير غاوين مما لا يليق بشانه العالي وقيل الغاوون

ابو حيان

الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف
وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد عم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بالسكون تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل
ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله عز وجل والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب
عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك
منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب
بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك
رضه ان رسول الله عم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل
وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل
متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضه
حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله تم وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء
كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر
الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس
وغيرها وقد رفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها قد نوهت
بذكر اسمها الا انها بعد العدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما ستعرفه وما في اسم الاشارة من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة
مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب
اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان
مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او سبيل الرشد والغي او فارق
بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وفي تفخيم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية
المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يوجبه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المنبئة
عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وتقديم الوصف الاول هنا نظرا الى حال القرآنية على حال الكتابية
وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن
فهو مبين للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ لا
باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف

المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات
على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة
او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم
هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا
الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات
لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة
على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين
اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا
لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة
ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم
يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها
من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب مقتضى الشيء
على السبب المحكي في قوله وظلمه ولم ينقطعوا وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى
المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي
في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب
وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره
بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم
وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقته في مرتبته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم
من مثل ذلك العليم الحكيم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار
بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى
اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عم من لدنه
تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عم لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد
زنده فبدا له من جانب الطور نار اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين
للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عم غير امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية
او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة
اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء
لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عم على طريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد
للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اي

على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل
مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما انه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من الاحكام
من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي
كلم الله تعالى موسى وقيل المراد في اقطار الشام وهو تطييبه لما آتاه عليه السلام واستنبائه له واظهار المعجزات على يده وسبحان
الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان
الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار
البركة المذكورة والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان
لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها
امر العصا واليد الفاعل كل ما فعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عصاك عطف على بورك منتظم معه في تفسير النداء اي نودي
ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير ان وفي التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج
وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها
ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده اي فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها
فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول راى مثل تهتز
كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا
من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر
اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون
فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في
مطالعة شؤون الله تعالى لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون
لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك
به ما عسى يختلج في خلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم السلام فانهم
وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض
بما وقع من موسى عليه السلام من وكز القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وادخل
يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير
سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هو الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها
لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال متعلق الى فرعون وقومه وعلى
الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحد في الكفر والعدوان
فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى عليه السلام بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها
وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمى لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة

لكل من ينظر إليها ويتأمل فيها أو ذو بصيرة أي مكانًا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها أي
كذبوا بها واستيقنتها أنفسهم الواو للحال وقد مضمرة أي وقد استيقنتها أي علمتها أنفسهم علمًا يقينيًا ظلمًا أي للآيات كقوله تعالى
بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرًا وقيل ظلمًا لأنفسهم وليس بذاك
وعلوًا أي استكبارًا عن الإيمان بها كقوله والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا
بها أو على الحالية من فاعل جحدوا أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الإغراق
على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيهًا على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا
داود وسليمان علمًا كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عم ليلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما من جملة
القرآن الكريم لتلقيه عم من لدنه تع كقصة موسى عم وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه أي آتينا كل
واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علمًا
سنيًا عزيزًا وقالا أي قال كل واحد منهما شكرًا لما أوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده
المؤمنين على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازًا فإن حكاية الأقوال المتعددة
سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تع يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحًا وقد مر في سورة قد أفلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء
ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما
أحدث فيهما إيتاء العلم أو شيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علمًا فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علمًا ويأباه تبيين الكثير
بالمؤمنين فإن خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الأكثر بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح
دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك
الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله عز وجل على ما آتاهم من فضله وأن يتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا
على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضه كل الناس أفقه من عمر وورث
سليمان داود النبوة والعلم والملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال
تشهيرًا لنعمة الله تع وتنويهًا بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها يا أيها الناس
علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردًا كان أو مركبًا وقد يطلق على
كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم
أصواته والذي علمه سليمان عم من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة
يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول إذا أكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان
وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح
خطاف فقال يقول قدموا خيرًا تجدوه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وصاحت رخمة فقال يقول
سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم
والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت

أو على الحالية من فاعله
أي جحدوا بها [illegible]

أدرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد عم بقوله علمنا وأوتينا
النون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكًا مطاعًا لكن لا تكبرًا وتجبرًا بل تنبيهًا أراد منهم حسن الطاعة
والانقياد له في أوامره ونواهيه حيث كان على عرين الملبسة وبقوله كل شيء كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم
كل شيء ويراد به كثرة قصاده ووفور علمه ومثله قوله تع وأوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضه كل ما يهم من أمر الدنيا والآخرة
وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح إن هذا إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء لهو الفضل
والإحسان من الله تع المبين الواضح الذي لا يخفى على أحد أو إن هذا الفضل الذي أوتيناه لهو الفضل المبين على أنه عم قاله على سبيل الشكر
والمحمدة كما قال رسول الله صلعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرًا لا فخرًا ولعله عم رتب على كلامه
دعوة الناس إلى الله تع وكان إخبارهم بإتيانه كل شيء من الأشياء التي من جملتها الآيات [illegible] وأسباب
الملك وما يتبع ذلك يعني قوله تع وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والإنس والطير بمباشرة مخاطبة ما لهم
كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتقديم الناس للكل تغليبًا وتقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى
الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير
فهم يوزعون أي يحبس أوائلهم على أواخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد
وذلك عند الكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه إشعار بكمال مسارعتهم
إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضًا لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر
عليه أوائلهم من السير السريع وهذا إذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي أن معسكره عم كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عم ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطًا من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء
عم على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها
حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء
تسيره فأوحى الله تع إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك
فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكًا عظيمًا فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت
إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تع خير مما أوتي آل داود حتى إذا أتوا على وادي النمل
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي الغاية لما قبلها كالتي في قوله تع حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل الآية
وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى إذا أتوا الخ وادي النمل واد بالشام كثير
النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل إليه بكلمة
على إما لأن إتيانهم كان من فوق وإما لأن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن
ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تع قالت نملة جواب إذا كأنها
لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل مرادها فتبعتها في الفرار
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولًا لهم حيث قيل
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا أيها النمل
بضم الميم وهو الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم وكانت نملة عرجاء

وإبريسم فرسخًا في فرسخ وكان يوضع
منبره في وسطه وهو من ذهب

ارادوا احده

ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبًا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان
عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيًا وجدناه غدونا
من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام
إن شاء الله ذكره صاحب الكشاف في سورة سبأ عند قوله تع غدوها شهر
ورواحها شهر الآية

تمشي وهي شاذة عرجاء فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى
لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التأخير في دخول مساكنهم وإن كان بحسب الظاهر نهياً له عليه السلام ولجنوده عن الحطم لهم
كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فإن
النون لا تدخل في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون
حال من فاعل لا يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الإيذان
بأنها عارفة بشؤون سليمان عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والإيذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان
ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكاً من قولها تعجباً من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها
وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعدها من إدراك
أمثال هذه الأمور وابتهاجاً بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها روي أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم
أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهم وقال رب أوزعني أن أشكر
نعمتك أي اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا أنفك عن شكرك أصلاً وقرئ بفتح يا
أوزعني التي أنعمت علي وعلى والدي أدرج فيه ذكرهما تكثيراً للنعمة فإن الإنعام عليهما إنعام عليه مستوجب للشكر
وأن أعمل صالحاً ترضاه إتماماً للشكر واستدامة للنعمة وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم
الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير أي تعرف أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان
من الغائبين كأنه قال أولاً ما لي لا أراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم بدا له أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو
غائب لأعذبنه عذاباً شديداً قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه
وبين إلفه أو لأذبحنه ليعتبر به أبناء جنسه أو ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين
على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين أولاهما مفتوحة مشددة قيل إنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج
بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف
شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً
أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء
في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل
سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً فانحط إليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر
صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا
بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد أي زماناً غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس
على رأس سليمان عليه السلام فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال
لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدته الله عز وجل وقال بحق الله الذي
قواك وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال
وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض
تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان
وعفا عنه ثم سأله فقال أحطت بما لم تحط به أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ أحط بإدغام الطاء

في التاء بإطباق وبغير إطباق ولا خفاء في أنه لم يرد بما ادعى الإحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون
معرفتها والإحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة على علم يقين وفضل مبين حتى يكون إثباتها للنفس بين يدي نبي الله
سليمان عليه السلام تعدياً عن طوره وتجاوزاً عن دائرة قدره ونقيصة عنه عليه السلام وجناية على جنابه فيحتاج إلى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منح
بطريق الإلهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما أوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء
له عليه السلام في علمه وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علماً بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له
في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة
لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعاً
فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده وترغيبه في الإصغاء إلى الاعتذار واستمالة قلبه نحو قبوله فإن النفس للاعتذار المنبئ عن
أمر بديع أقبل وإلى تلقي ما لا تعلمه أميل ثم أكده بقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين حيث فسر إبهامه بنوع تفصيل وأراد
عليه السلام أنه كان بصدد إقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبإ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه
وإلا فماذا صدر عنه عليه السلام مما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء الإيزاع حتى يليق بالحكمة الإلهية تنبيهه عليه السلام على تركه
وسبأ منصرف على أنه اسم لحي سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به
لأنه أول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين
صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة أو المدينة وأما على القراءة الأولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم
وقوف سليمان عليه السلام على نبئهم قبل إنباء الهدهد ليس ببدع لا بد له من حكمة داعية إليه البتة وإن استحال خلو أفعاله
من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه السلام وبين مأرب وإن كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين
مجيء الهدهد بالخبر أيضاً قصيرة ثم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبني على حكم بالغة يستأثر بها علام
الغيوب وقوله تعالى إني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من النبإ وتفصيل له إثر الإجمال وهي بلقيس
بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له غيرها
ولد فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس وإيراد وجدت
على رأيت لما أشير إليه من الإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها
طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبإ على أنه اسم للحي أو لأهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه
اسم لها وأوتيت من كل شيء أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثمانين
ذراعاً في ثمانين عرضاً وسمكاً وقيل ثلاثين في ثلاثين من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت
أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهد
من ملك سليمان عليه السلام إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله
وأيا ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عليه السلام في الإصغاء إلى حديثه وتوجيه عزيمته نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب
غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي يعبدونها متجاوزين
عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك
عن السبيل أي سبيل الحق والصواب فإن تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقبيح طريق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته
نسبته طريق الحق إلى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون إليه وقوله تعالى ألا يسجدوا لله مفعول له إما للصد أو للتزيين

على حذف اللام منه اي لان لا يسجدوا والمتعلق او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي
زين لهم ان لا يسجدوا لله وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله
الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا من جهة الله تعالى او حكاية من سليمان والوقف على لا يهتدون
ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ
هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان
وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته
والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله
ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبء لما ان المراد
يظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء اشراق الكواكب واظهارها
من اماكنها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة
الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة
بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم هو الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من
الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من المعارف والعلوم التي اقتبسها
من سليمان عم اورده بيانا لما هو عليه واظهارا للتصلب في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنانه عم
الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن السؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان
عم عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد اي سنتعرف بالتجربة البتة
أصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه
المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب
ابدع يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان
لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استئناف مبين لكيفية
النظر الذي وعده عم وقد قاله عم بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عم اياه بالرسالة دون سائر ما
تحت ملكوته من امناء الجن والاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة
لئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تأمل وتعرف ماذا يرجعون اي
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعدما
ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به
من خدمته واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عم كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه
ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت
رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع

أي صدهم

الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم وصفته
بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان
استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم وفيها اشارة الى السبب وصفها بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه
بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة
الا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعله جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها
الرفع على انه بدل من كتاب او خبر لمبتدأ محذوف يليق بالمقام اي مضمونه الا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي
بان لا تعلوا علي وقرئ الا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين
والاول هو الاليق بشأن النبي عم على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود
الى ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته
حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالته دلالة
بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا ايها الملأ افتوني في امري اي اجيبوني في
الذي ذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة تهويلا له ما كنت قاطعة امرا اي امرا من
الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها
في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن
اولو قوة في الاجساد والآلات والعدد واولوا بأس شديد اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب
والامر اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع
رأيك او اراد ونحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة واليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن
في خدمته فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن
سليمان عم وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة والحرب افسدوها بتخريب
عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال
وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق
لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله [illegible] مثله مردود لانه قوله لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي واني مرسلة اليهم
بهدية تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وانما اتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مصممة
على رأيها لا يلويها عنه صارف والالتفات عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون
حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف
لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب
وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه

بالفتوى الذي هو الجواب
في الحوادث تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم
قادرون على حل المشكلات الملمة

في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر
فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على
سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام
فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه
نظر اليهم بوجه طلق وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت
الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى
فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه
ويؤيده انه قرئ فلما جاؤوا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله ارجع
اليهم اتمدونني بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى
فما آتاني الله اي مما رايتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم
به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه
وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ اتمدونني
بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار الامداد
بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق
والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد
ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه
والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد
جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى
بلقيس وقومها فلنأتينهم اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها
وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز
والتمكين وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق
الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه
كانه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنا
مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى انه لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا
ملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك
ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها
امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت
به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها منه فاراد ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من
اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وارادة
الاتيان به بقوله تعالى قبل ان ياتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة

الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ ما
بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه
ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار
وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية
اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الاتيان به
من كمال التباين [illegible] او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام
وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر وقيل جبريل او ملك ايده الله تعالى به وقيل
هو سليمان عليه السلام نفسه وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى
انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر
الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد فلما لم يكن بين هذا الوعد والانجاز مدة
ما كما في وعد العفريت استغني عن التاكيد وطوي عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء
بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله تعالى وقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله تعالى فلما رأينه
اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما تترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه
واستغنائه عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فلما راه الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كمال سرعة الاتيان به
كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه
لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه
قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام وخلص عباده هذا اي حضور
العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله
علي من غير استحقاق له مني بل هو محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى واقوم بحقه ام اكفر بان
اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه
لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي
غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون
المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر
لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي
الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها تقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة يسيرة
وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس وياباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك
مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب
الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان استمر لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه حادث يتعلق
بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه

بعرشه قيل أي من جهة سليمان عم بالذات أو بالواسطة أهكذا عرشك ولم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت
ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى تتبين حالها وقد ذكرت عنده بسخافة العقل قالت
كأنه هو فأبانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات
مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عم
أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة
بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها
ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام
إلى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى إنها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة
للصد أي أنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت
ملكة سليمان عم وقرئ أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم
إلى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عم وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لإسلامها فقالوا استحسانا
لشأنها أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية
الباهرة من أمر عرشها ورزقت الإسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما
جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله تعالى والإسلام قبلها وصدها
عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من التعسف والبعد قيل لها ادخلي الصرح
الصرح القصر وقيل صحن الدار روي أن سليمان عم أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء
وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها
كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجوا من ملك سليمان إلى ملك هو أشد
وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقيها ورجلها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يؤذن به عنه الأمر بدخوله وأحاطت بتفاصيل أحواله حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما خلا أنها شعراء وقيل هي السبب
في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عم وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة
ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له
المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤوق وأسؤق قال عم حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب
إنه أي ما توهمته ماء صرح ممرد أي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة الباهرة رب
إني ظلمت نفسي بما كنت عليه إلى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت أنه يريد إغراقي في اللجة وهو
بعيد وأسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات إلى الاسم
الجليل ووصفه بربوبية العالمين لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات
التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد أرسلنا عطف على قوله ولقد آتينا داود وسليمان
علما مسوق لما سيق هو له من تقرير أنه عم ليلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن هذه القصة أيضا من جملة القرآن الكريم

الذي

الذي تلقته عم واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وأن في قوله تعالى أن اعبدوا الله
مفسرة لما في الإرسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون إتباعا لها للباء فإذا هم
فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عم للفريق الطاغي
منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة إلى أن قالوا له عم يا صالح ائتنا بما تعدنا
إن كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة أي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة أي التوبة فتؤخرونها
إلى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون إن وقع إيعاده تبنا حينئذ وإلا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون
الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها إذ لا إمكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا أصله تطيرنا
والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لأنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فإن مر سانحا تيمنوا وإن مر
بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أي
تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا أو لم نزل في اختلاف وافتراق
مذ اخترعتم دينكم قال طائركم أي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله
بل أنتم قوم تفتنون أي تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة إضراب
من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط أي أشخاص
وبهذا الاعتبار وقع مميزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة
إلى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن
كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا
عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم يفسدون في الأرض أي في المدينة فسادا لا يخالطه شيء ما من الإصلاح
كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا يصلحون أي لا يفعلون شيئا من الإصلاح أو لا يصلحون شيئا من الأشياء قالوا استئناف
ببيان بعض ما فعلوا من الإفساد أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عم وكان ذلك بعد ما أنذرهم بالعذاب
وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الخ تقاسموا بالله أمر مقول لقالوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله بإضمار قد
وقوله تعالى لنبيتنه وأهله أي لنباغتن صالحا وأهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه أي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك
أهله أي ما حضرنا هلاكهم أو وقت هلاكهم أو مكان هلاكهم فضلا عن أن نتولى إهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون
مصدرا وإنا لصادقون من تمام القول أي نقول ما نقول والحال إنا لصادقون في ذلك لأن الشاهد
للشيء غير المباشر له عرفا ولأنا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين
ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا أي أهلكناهم إهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون أو جازيناهم مكرهم من حيث
لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل
النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي فتفكر في أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى أنا دمرناهم إما بدل من عاقبة مكرهم على
أنه فاعل كان وهي تامة وكيف حال أي فانظر كيف حصل أي على أي وجه حدث تدميرنا إياهم وإما خبر لمبتدأ محذوف والجملة
مبينة لما في عاقبة مكرهم من الإبهام أي هي تدميرنا إياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت أجمعين
بحيث لم يشذ منهم شاذ وإما تعليل لما ينبئ عنه الأمر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار أي

لا انا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم وخبرها كيف فكان او صح ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر
وقرئ انا دمرناهم بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فزعموا ان صالحا عليه السلام انه يفرغ منا الى ثلث
فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في
مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة
ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور
حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب
بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما من شانه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا
صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب
بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد
به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل
بالعطف على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا وهو بعيد أتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون
جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون
من بصر القلب اي تعلمونها وحال انكم تعلمون علما يقينا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون
بها أئنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد
للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة
بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او جهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة
لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا
الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها اي قدرنا كونها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين
قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر بما قص الله تعالى على رسوله عليه السلام من قصص الانبياء
المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة
على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم
فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله تعالى وانك لتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم امره عليه السلام بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح وبان يسلم
على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليهم اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم
واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة
عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون اي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام

وفيه تبكيت لهم وتهكم بهم وتسفيه لآرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة
خير حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه
الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه
صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى أم من خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة
بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد
واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقرير حملهم على الاقرار بحق على وجه الاضطرار
فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق
من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة
تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا بناء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة
الآتية والمعنى بل أمن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على القراءة
الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين
محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا
شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة جزاء ما تشركون وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وتعالى بصلة الاول
على مقولة لما مر وان من التشويق الى الموت والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان
بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع
والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما نبئ عنه تقييده بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها
او حالا او توحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نحو قولهم النساء ذهبت وكذا
الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى
في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركون به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر
من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية
عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواضع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون
معه تعالى آلهة فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كما لاوهم الانكار ونهج نظيره
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له
تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن
ويجعل له شريكا مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين
والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بمقتضى المقام لافادته نفي وجود اله معه تعالى رأسا لا نفي معيته
في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل
يناسب المقام مثل اتدعون او اتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب
الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة
في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل

البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به غيره وبعيد خال من الافادة امن جعل الارض قرارا بدل هو بدل
من امن خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكمها حكمها والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال
من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب
بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها
وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت يمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها
من المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اي العذب والملح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة
وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر من التشويق االه
مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشيا ولذلك لا يفهمون بطلان
ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجاته الى اللجا
والضراعة الى الله تع وهو اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رض هو المجهود
الذي رهقه من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة
كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان
ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط االه مع الله الذي
يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون وما مزيدة لتأكيد
معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه
مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقري يذكرون على الاصل
وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على
ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة البادرة
لانكسارها بالبرد وتموجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله تع والفاعل
للسبب فاعل للمسبب قطعا االه مع الله نفي لان يكون مع الله اله آخر وقوله تع تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال
ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون عن وجود ما يشركونه
به لعدم الاستحقاق فان وجوده مما لا دليل له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدأ الخلق
ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب
سماوية وارضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين اجراء ما انشأ كونه في العبادة
من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا االه موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تع قل هاتوا
برهانكم امر له ام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى
يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تع كما قيل لانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان
منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها
من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات

والارض الغيب الا الله بعدما حقق تفرده تع بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة
الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث
والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه
بكونه سبحانه وتع منهم كانه قيل ان كان الله تع ممن فيها ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن في السموات
والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فان ذلك معنى مجازي عام له تع ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة
او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان
مركبة من اي وآن وقري بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لما ان اللائق بالتفكيك عنه ومن ما سبق من
ضمائرهم خاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم
بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفي عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ
في تأكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقته حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا
مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التي ما ذكر
من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم
بذلك في الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية
منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان
عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قال بل هم في شك منها اي في شك مريب
من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان
ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال
بصائرهم بالكلية وقري بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كل ما فيه
على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة
والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تع بل هم في شك منها اضراب وانتقال
من وصفهم بمجرد الجهل الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانه خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سلوك مسلك
لكن دلالة التهكيم الكلي على جهلهم ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم
بالجهل مبالغة والاظهر بان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرا ابي فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء
فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقري بل ادرك واصله افتعل وبل ادرك بهمزتين
وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام
وبلى ادرك وبلى اادرك وام تدارك وام ادرك وهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك
فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده
اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال
الذين كفروا بيان لجهلهم في الآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته
والاشعار بعلية حكمهم الباطل في قولهم ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي انخرج من القبور اذا كنا ترابا كما لم يعني وعنه
مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم فانهم منكرون

للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل النفوية الانظار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا
عطف على اسم كان وقام الفصل مقام الفصل مع الخبر مقام التأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام للتأكيد
الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقدم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ
انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود
بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى
ان هذا الا اساطير الاولين تقرير له اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم
للرسل فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي ينكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار
وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن
في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون
المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود
ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم
اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام
بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك
بمنزلة الجزم بها يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله
تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو
فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يركبونه
من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته
وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما
يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض اي من خافية فيهما وهي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة
كما في الراوية او اسماء لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه
وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن الغلو والعتو في الافراط والتفريط
والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى بلغ التنافي الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم
ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل
دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز
فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر
على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه يوجب
على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه بكونه عم

على الحق المبين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عم كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته
وتأييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن
التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته عم على احد الوجهين اعني كونه عم على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى
وتأييده للمحق ثم علل ثانيا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب
لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم اصلا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه وانما شبهوا بالموتى
لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه
قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشرع المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين
كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى
لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء
الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا
منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب
كما في قوله تعالى فانك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف
وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا اي عدي بعن وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما
تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن باياتنا اي من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات
دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية
فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله
واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها
والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه
قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها
من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا
وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة
وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور
البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي ان لها اربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين
اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عم وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروي عن علي رضه انه
قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج الا رأسها ورأسها
يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضه
لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي
عم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج من
باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها ما هو لهم

الأرض وجاهاً من بين صدا دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا
وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا
مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة
بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه
وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروي عن ابن
عباس رضي الله عنه أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى أبو هريرة عن النبي
عليه السلام أنه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين أو ثلاثاً قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ
ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم أن الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبادئها
أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول هو الحق كما
ستحيط به علماً وقرئ بأن الناس الآية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها
لا لعين عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى وأثرتها عنده كما يقول خواص الملك
خيلنا وبلادنا وإنما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الإيقان
بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للإيذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ
إن الناس بالكسر على إضمار القول أو إجراء الكلام مجراه والكلام في الإضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف
مسوق من جهة الله تعالى للتعليل إخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فإنه صريح في كونه حكاية لعدم
إيقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس إما الكفرة على الإطلاق أو مشركو مكة وقد روي عن وهب أنها تخبر كل
من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا
والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضاً منه بمعنى التكثير والأول هو الأولى ويوم نحشر من كل أمة فوجاً بيان إجمالي لحال المكذبين
عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد
الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مراراً
أي واذكر لهم وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم السلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية
لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجاً مكذبين بها فهم يوزعون أي
يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى
وعن ابن عباس رضي الله عنه أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين
أيديهم إلى النار حتى إذا جاؤوا إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال أي الله عز وجل موبخاً لهم
على التكذيب والالتفات لتربية المهابة أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علماً جملة حالية مفيدة
لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها
وأنها حقيقة بالتصديق حتماً وهذا نص في أن المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لاختصاصها المنطوي على دلائل الصحة
وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علماً مع وجوب أن يتأملوا فيها ولا يغفلوا عنها وما فيها أم ماذا كنتم تعملون عطف على كذبتم أي أجمعتم
بين التكذيب وعدم التدبر فيها أم ماذا كنتم تعملون أي أم أي شيء كنتم تعملون بها أو أم أي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه

عليهم أي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول

لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتاً ثم يكبون
في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم
عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الأليم ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس
الليل والنهار وإن كان من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أي ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الظلام ليستريحوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصراً أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الإبصار
الذي هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك
لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الإبصار إن في ذلك أي في جعلهما كما وصفا وما في
اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته في الفضل لآيات أي عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على حقية البعث
وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة
مبنية على حكم رائعة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها إلا علم الله عز وجل وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء
النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاءً متقناً وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وأن
الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور إما
معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله عليه السلام قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص
بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده
إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد إلا من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية
وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الأرض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة
للعادة في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وإيراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه مضارعاً للدلالة
على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل
بتكرير التذكير إيذاناً بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل
داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة إلا من شاء الله أي أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل الحور
والخزنة وحملة العرش وكل أي كل واحد من المبعوثين عند النفخة أتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال
والجواب والمناقشة والحساب وقرئ أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرئ أتوه أي حاضروه
داخرين أي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله تعالى تحسبها جامدة أي ثابتة
في أماكنها إما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها أو في جامدة
أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر في الجو مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت
نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج
في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً

مما يقع في النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة
ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق
به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي
وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه
لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع
كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل
ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض
فيختص اثرها بمن كان حيا عندها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى
وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة
نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله عندها
الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترججه
الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من
فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب
عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم
وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس
الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب
عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا
محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من
الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما
اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة
فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤا بالحسنة من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل
من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه
حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي
يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة
من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه
كما في قوله تعالى افأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى
لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة
قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا

بايديكم

بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها امر بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة
تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله والاستغراق
في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه
عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يطلب لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه
من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها
تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم
مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا
فيها على تعاطي افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها
قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في ذلك
تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت
ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي
الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي اواظب
على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد
فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه
اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر
به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة
الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها
نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة
الورى بالآيات البينة والبراهين القاطعة النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به
اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر
ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر
كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله عز وجل وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته
تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم وتخصيص الخطاب اولا به وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من
الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة
فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم
لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وهودا وصالحا وابرهيم وشعيبا عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين مر نحو ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في الشعراء نتلو عليك اي نقرأ
بواسطة جبرائيل عم ويجوز ان يكون التلاوة مجازا عن التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبأهما
بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبأهما ملتبسين
او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان
للكل لانهم المنتفعون ان فرعون علا في الارض استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء
بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا
اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف
في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة
قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل
جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال
له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق لم يكن فائدة القتل وان كذب فما وجهه
انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء
عليهم السلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه
المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع تفسيرا للنبأ او حال
من يستضعف بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد لها لما ان تعلق الارادة للمن تعلق استقبالي مع ان منة الله تعالى عليهم بخلاصهم لما كانت في شرف الوقوع
جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالهم السابقة المباينة لها ونجعلهم
ائمة نقتدي بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين
وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من
روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الخ اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيفما يشاؤون واصل التمكين
ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا
يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية
واوحينا الى ام موسى بالالهام او الرؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند
بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق والشدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه
اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة
الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة
روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كان مصافية لام موسى عم فقال لها لينفعني
حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت

ما جئتك الا لقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه
فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى
اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه
آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال
سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعدما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء
وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس
اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا
من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل
ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عم وقيل كانت
من بني اسرائيل من سبط موسى عم وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ
النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه
بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها
فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا النور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت
ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون
انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي
واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض
الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا الاجلة لهم فاخذوه يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه تسعون الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت
امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما رأياه اخرجاه
او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها
لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت
فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط
ورجاء النفع منه والتبني وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه
على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها
من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
وقرئ موسى بالهمزة اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها في همزة كما في وجوه ان كادت لتبدي به اي انها كادت لتظهر

موسى اي بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين
اي المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي
خبره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والمعنى واحد وهم لا يشعرون انها تقصه
وتتعرف حاله وانها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرتضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع
هو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي قبل قصها اثره فقالت عندما رأتهم لعدم قبول الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم
من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان
لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي
بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت
منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها
ورجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه
ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعد من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة
فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى اي اعتدل قده او عقله آتيناه
حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم
القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على
احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية
فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي
من عدوه فوكزه موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى
حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان
مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما و
استغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيطه بين كلاميه لما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة
ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم
اي البالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني
فلن اكون معينا لمن يؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لم يستثن فابتلي به مرة اي [illegible]
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة

خائفا

خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه مشتق من
الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد
موسى ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق
وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه يبطش به حسبانه يوجه ليشتمه اياه عدوا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا
بالامس قالوا القائل هو القبطي فكان الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك
وامر فرعون بقتله وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريده من الضرب
والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار
والمجرور صفة له لا متعلق بجاء لان تخصيصه يلحقه بالمعارف وقيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر
فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدم عليها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب
لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحوها
وهو قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق
فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه
وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد
عليه اي فوق شفيرها امة اي جماعة كثيفة من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين
تذودان اي تمنعان اغنامهما من الاقدام على البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال لهما
حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كاولئك
هولاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها عن الماء حذرا عن مزاحمتهم
وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو
بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه انما رحمهما لكونهما على الذياد
للبغي والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء
ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقولهم وابونا
شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر
على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد من تأخير السقي الى ان يقضي
الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام بحذف معطوفه تماما انفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على
رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة
والجوع ولعله زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك فكان الظاهر انه لما عاين حالهما سارع
الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون
فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت

اليه اي اني لما انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون علي الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معني السؤال والطلب
جئ باللام الدعامة لتقوية العمل وقيل للتخير لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من
العيش عند فرعون قاله ثم اظهار التبجح والشكر علي ذلك فجاءته احديهما قيل كبراهما اسمها صفورا وصفوا وقيل صغراهما اسمها
صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الي ابيهما روي انهما لما رجعتا الي ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقي لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى
علي استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة علي استحياء ومعناه انها كانت علي استحياء حالتي المشي
والمجئ معا لا عند المجئ فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت
استيناف مبني علي سؤال نشا من حكاية مجيئها اياه عم كانه قيل فماذا قالت له عم فقيل قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الي ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه
من الدلالة علي كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفي روي انه عم اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتي اتيا دار شعيب عم فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جري عليه
من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم
الكريم ان موسي عم انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم ويستظهر برايه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما
صرحت به الاية ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا
ولا ناخذ علي المعروف ثمنا ولم يتناول حتي قال شعيب عم هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك علي سبيل
التفضل لا علي المعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عم ومثله حقيق بان يضيف
ويكرم لا سيما في دار نبي من الانبياء عم وليس فيه ما يستنكر منه عم ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء ابن السائب انه عم
رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عم انما فعله ليكون ذريعة الي استدعائه لا الي استيفاء
الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الي ابيها وهي التي زوجها من موسي عم يا ابت استأجره اي لرعي الغنم والقيام
بامرها ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جار مجري الدليل علي انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان
وذكر الفعل علي صيغة الماضي للدلالة علي انه امين مجرب روي ان شعيبا عم قال لها وما اعلمك بقوته وامانته
فذكرت ما شاهدت منه عم من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتي بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان
انكحك احدي ابنتي هاتين علي ان تأجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه وقوله تعالى ثماني حجج علي الاول
ظرف وعلي الثاني مفعول به علي تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود
وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلي هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعني علي ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف
كالوجه الاول فان اتممت عشرا اي عشر حجج في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام
عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه علي موسي عم واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق
عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء العمل واشتقاق المشقة من الشق فان ما
يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في طاقته ويتوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في
حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عم بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الي توفيقه تعالى لا تعليق
صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم

وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت علي نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما
او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتعميم لاجر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة
علي ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما اساسا لقصد
التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة علي العشر لا اطالب بالزيادة علي الثماني او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي
كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في
القراءة الاولي مزيدة لتأكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين
ايهما علي من الغيث استهلت مواطره والله علي ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد حفيظ فلا سبيل
لاحد منا الي الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عم تمام ما جري بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان
لما عزما عليه واتفقا علي ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة
تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب عم لموسي عم ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده
عصي الانبياء عم فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتي وقعت الي شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن
بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عم بعد موت آدم عم فكانت معه حتي
لقي بها موسي ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات
فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها
فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسي عم وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما
اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ علي يمينك فان الكلأ وان كان اكثر بها الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلي الغنم فاخذت
الغنم ذات اليمين ولم يقدر علي كفها ومشي علي اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا
حتي قتلته وعادت الي جنبه عم دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الي شعيب عم مس الغنم فوجدها
ملأي البطون غزيرة اللبن فاخبره موسي عم بالشان ففرح وعلم ان لموسي والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي
هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقي الغنم ففعل ثم سقي فما اخطأت واحدة
الا وضعت ادرع ودرعاء فوفي له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضي موسي الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر موسي
ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عم روي انه عم قضي ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك
عشر سنين ثم عزم علي العود الي مصر فاستأذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من
من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه
او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في رأسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلي يلتمسن لها جزل الجذي غير خوار
ولا دعر وقال والقي علي قبس من النار جذوة شديدا عليها هامدا والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ
بكسر الجيم وضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي آنسها نودي من شاطئ
الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الي موسي عم في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة
لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة علي الشاطئ ان يا موسي اني انا الله رب
العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعني المراد وان الق عصاك عطف علي ان يا موسي

وكلاهما مقسم لشنودي والفاء في قوله فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة ثقة بدلالة الحال عليها واشعارا بغاية
سرعة مرالوتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان اي في هيئته وحركته مع عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما
من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه
لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك
المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون
تكرير الغرض آخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند
انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب
من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما
فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان
نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء
وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن
من ربك متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه مرسلان ومنتهيان اليهم
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين
الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني
لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني
بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند
المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم
على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور
ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة او حجة فلا يصلون
اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف صرح به في مواضع اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما
باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما
ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان
اظهرهما موسى اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر تختلقه لم يفعل
قبل هذا مثله او سحر تعلمته ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده فيعلم انه محق وانتم مبطلون وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن
الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال
العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون
من محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان

من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع آجرا فاجعل لي صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم
انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد
اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء
معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية وقيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه
من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق
بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا
وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم كما مر تفصيله وفيه
من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار اي ما يؤدي اليها
من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال فيصرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار
كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والانسب ان يكون بمعنى خلقناهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى
نفس النار وقيل معنى جعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه
من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة
والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين وقيل الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون
وسواد الوجه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحا اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين
ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا
يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام
نوح وهود وصالح ولوط والتعرض لبيان ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه
من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس
معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدية الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد
بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل
ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اي انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق
والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر
نور العين الذي به تبصر وهدى اي هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبل الله ورحمة حيث نال من عمل به رحمة الله
تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم
التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
شروع في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر
بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة
او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم

او على حذف المضاف اي ذا البصائر او جعل
على العلة اي اتيناه الكتاب للبصائر
والهدى والرحمة صح

إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية أي وما كنت بجانب الجبل الغربي أو المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف
الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو بجانب الغربي على إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع إذ قضينا إلى موسى
الأمر أي عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة وما كنت من الشاهدين أي من جملة الشاهدين للوحي
وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الألواح فتخبره للناس ولكنا
أنشأنا قرونا أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا فتطاول عليهم العمر وتمادى الأمد فتغيرت
الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك
اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى وما كنت ثاويا في أهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها
أي وما كنت مقيما في أهل مدين من شعيب عليه السلام والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم أي تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم
آياتنا الناطقة بالقصة إما حال من المستكن في ثاويا أو خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين إياك وموحين
إليك تلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أي وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب
العالمين واستنبائنا إياه وإرسالنا له إلى فرعون ولكن رحمة من ربك ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر
وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات
إلى اسم الرب للإشعار بعلية الرحمة وتشريفه عليه السلام بالإضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته
تعالى كما اكتفي في الأول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود وإشعارا بأنه المراد
فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من إرساله بالقرآن
حتما لما أنه المعلل بالإنذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما أتاهم من نذير من
قبلك صفة لقوما أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك
وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل لعلهم يتذكرون أي يتعظون بإنذارك
وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على
أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوائه عليه السلام في أهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره
عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما في قصة البقرة ولولا أن
تصيبهم مصيبة أي عقوبة بما قدمت أيديهم أي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا بالعطف على تصيبهم داخل في
حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكر في حيز لولا
بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات
فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الأولى محذوف ثقة
بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا
لا محيد عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم أي أهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه السلام قالوا
تعنتا واقتراحا لولا أوتي يعنونه عليه السلام مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واليد والعصا فلا تعلق لها
بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا
لا طلبا لما يرشدهم إلى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى
قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر مبتدأ محذوف

أي يعنون

أي يعنون ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطا منهم
إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قال
اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا إنا بكل أي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم
المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا
عليهما السلام وهو الذي يستدعيه النظم الكريم فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى إلى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله
هو أهدى منهما مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فإنه نص فيما ذكر وقوله تعالى أتبعه جواب للأمر أي إن تأتوا
به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة
الكلام للتبكيت والإفحام إن كنتم صادقين أي في أنهما سحران مختلقان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم
بهم فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يفعلوا ما كلفتهم من الإتيان بكتاب أهدى منهما كقوله تعالى فإن لم تفعلوا
وإنما عبر عنه بالاستجابة إيذانا بأنه عليه السلام على كمال أمن من أمرهم كأن أمره عليه السلام لهم بالإتيان بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه و
الاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له
دعاءه فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلا إذ لو كان ذلك لأتوا به ومن أضل
ممن اتبع هواه استفهام إنكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أي هو أضل من كل ضال وإن كان ظاهر
السبك لنفي الأضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقبيح والتشنيع
في التشنيع والتضليل والإخفار بذلك إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف أي أنزلنا القرآن
عليهم متواصلا بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون
فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل إيتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل
أربعون من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام وإذا يتلى أي القرآن عليهم قالوا آمنا به
إنه الحق من ربنا أي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم وقوله تعالى إنا كنا من
قبله أي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون إيمانهم به أمرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين
الإسلام قبل نزول القرآن أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة
على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من
أهل دينهم والمشركين ويدرءون بالحسنة السيئة أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو من اللاغين أعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا
لهم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم
إنك لا تهدي هداية موصلة إلى البغية لا محالة من أحببت من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت
فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء أي يخلق فيه الاهتداء إلى الإسلام وهو
أعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال خرع عند الموت
ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك

فيه رد للبيضاوي

ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي عم فقال نحن نعلم انك على الحق نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تع اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم
حرما ذا امن بحرمة البيت الذي تتناحر العرب حولهم وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء
من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما واقعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم
عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تع من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
تع اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق وتخصيصها
بالاضافة ثم يعم الاول بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تع بقوله تع وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا من
اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم
معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير ذوات ايديهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت
وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال
تع في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته
ان لا يهلكها حتى يبعث في امها اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا
يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لو
لا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تع وما كنا
مهلكي القرى عطف على وما كان ربك الآية الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين
لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا
والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث
وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما
قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية
عن سمة التهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو
ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على الاقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن خطابهم افمن وعدناه
وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده
تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحقق النسبة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار
التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت التام يسوي بين الفريقين وقوله تع ثم هو
يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله

من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول
تعنيفا لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما
قال استيناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين
او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه
وتحقق مؤداه وهو قوله تع لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع
ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشير به قوله تع لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب
مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا
واما لان العبدة قد قالوا اعتذارا هؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة لظهوره ربنا
هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم
وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تع اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما
اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم
الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف
عليه وكذا قوله تع ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى
تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة
عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب لقد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب
او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله
سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت
كالعمى عنهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن انما يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا
اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما
اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عم يتفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام
الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك بالضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم
بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تع الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة
الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب
عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم
فيه الخير والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله عم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه
وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها

علي تجلي كمال قدرته للمؤمنين في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره
قل تقريرا لما ذكر ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص
من الدلاص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر
من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء
والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الا الله لابطال زعمهم
والالزام علي زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل
ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها علي مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تخصيص الضياء بالذكر لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما
به المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى علي من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل
ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها
ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل
من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وتعالى وقوله تعالى ونزعنا عطف علي يناديهم وصيغة الماضي للدلالة
علي التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وهو بلاه اي اخرجنا من كل امة
من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم
هاتوا برهانكم علي صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع
ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عم
ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق
السامري وقال اذا كانت لموسى الرسالة والمذبح والقربان لهارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة
والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست علي شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله
قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه
فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع
من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون علي بني اسرائيل
وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهارون وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه
وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما
وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء علي اعطاء المضاف حكم
المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك
الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء غير مقيد به وقيل بفرح وقيل هو ظرف البغي ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده
من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها
والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل
النهي ههنا بكونها مانعة من محبته تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى

الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا
وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل
احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحه انما اوتيته علي علم عندي كأنه يريد به الرد علي قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى
انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به علي الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال
والجاه وعلي علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل العلم
بكنوز الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله تعالى وجل علي اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة
في التورية وتلقيا من موسى عم وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه
من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به لا رد لادعائه العلم واعتداده به بنفيه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام بل يعذبون بغتة كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك
لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع علي كافة ذنوب المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج علي قومه عطف علي قال
وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بالمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج علي بغلة
شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف علي زيه وقيل عليهم وعلي خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه
ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي
المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا علي سنن الجبلة البشرية وحكي عنهم انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله
تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم
باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها علي ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض
عن الاولى والاقبال علي الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله
في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى
ولا يلقيها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في حكم السيرة
والطريقة الا الصابرون اي علي الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف علي واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عم
بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت
قال موسى عم ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا علي ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب
لي فاوحى الله ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه
فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عم بالله تعالى وبالرحم وهو لا
يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى ليستبد بداره

تعظيما ... لحفظ العلم فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلمه

من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون عم

وكنوزه فدعا الله عليه حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب
عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا
مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد
من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب من وي
للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك
اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان
من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف
به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا
ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا
ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد
تحذير منهما وعن علي رضه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة
للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها خير منها
ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول الظاهر موضع الضمير
لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون
مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اي اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد
يمتد اليه اعناق الهمم ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى
وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بفتح ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين
بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها
اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على
انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق
وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه
الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة
اي الا لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون
عن آيات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول
من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله
الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشناعة
بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه
ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق
والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق
ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا تمت الكتابة في الثاني من رمضان ١١٥٥

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس
الحسبان ونظائره لا تتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفائه عنه بحيث يتحصل منها
مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان
كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا
متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض
الشهوات ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ
في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود
في النار روي انها نزلت في اناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار وقد عذب
في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتل فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد
يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلعم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل بقوله احسب الخ او بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين
الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب
هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
الآيات وعن النبي عم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط
بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن
الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات
الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير اي والله ليتعلقن علمه بالامتحان
تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه
اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي ليعرفنهم الناس
او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام
منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما
هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا
نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان
ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي
يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله تعالى في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه
وقيل لقاؤه عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد

عبد قائم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر او بما يكره
لا محالة فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول
هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه لكن الجزاء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي
الى حسن الثواب ويحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل طلبا ورما لتحقيق امله وتصديق رجائه وما يوجب القرب به والزلفى وهو السميع
لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه
لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا
بايتائهما وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى
امر معنى ونصبه ... غير انه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد الى المأمور وغيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا
احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا
وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما
ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه
فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل وفي تعليق
النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم
اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا
فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح
الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف
وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث
اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش فقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب
ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك
على ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال له عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها
فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ
لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين
محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى
درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله والمرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس
من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه
من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فرجع عن الدين مع انه لا قدر لها عند ما يعقبه من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك

اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي
متابعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا
يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص
والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من
قوله وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان ذلك باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان
والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية
بالوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام
للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي
هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة
يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان
كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم
التي التزموا ان يحملوها عليهم من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال انهم
لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما
يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان
بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لتسببهم
له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت
عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان
المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء
عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا
وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه عاش الفا واربعين سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في
ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من
الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فأخذهم
الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام
وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام
من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عليه السلام واصحاب السفينة
اي ومن ركب معه فيها من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم
اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة او القصة آية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف على نوحا
وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه ظرف للارسال اي ارسلناه

حين تكامل عقله وتقرر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى للارشاد للخلق الى طريق الحق
وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى
خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما
من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما
تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون
من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث
تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق
بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب
واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا كاد
يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله
فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين
للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا
وان تكذبوا اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضرونني
بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم
شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرج عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني
تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث
مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة للانكار على رؤيتهم للوجب لتحققها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا
ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك
وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على
يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل
الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث
ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض
امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة
المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما حيث ان كلا منهما
اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة
ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فتنشأ النشأة الآخرة
كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم
الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ للايذان بمزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد

وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة
لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه
وهم المنكرون لها ضمنا ويرحم من يشاء اي يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب
انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له
تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء
التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله
التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة
به دخولا اوليا وتخصيصها بالآيات وجعلها تنبيها لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او
يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير
العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله
ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره
في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع
على العكس وقد مر ما فيه ونظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما
هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر
عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها
عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه منها
قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها
واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم
آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز
ان يكون مودة هو المفعول الثاني بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة وقرئ مودة منونة
منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او نفس المودة او سبب
مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت
مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم
ليس الا في الحياة الدنيا وقوله تعالى ثم يوم القيامة الخ بيان لعاقبة ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا لها كما ينبئ عنه قوله تعالى انصروا
آلهتكم ثم يوم القيامة ينقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم العبدة بعض
وهم الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الخ ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من
ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له

اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة صح

ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان صح

لوطا اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له اي انه رأى النار لم تحرقه
ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا اخص الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه
وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي اي حيث امرني به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة
ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة
حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة
وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء
والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوبا اما بالعطف على نوحا
او على ابراهيم والكلام في قوله تع اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم ع م انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية
في القبح وقرئ أئنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي
عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونه بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم
الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضه هو الخذف بالحصى والرمي
بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن
مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات
مواعظ لوط ع م وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تع فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي
صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه ع م وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف
قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار
عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت
رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم ع م في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة
هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها
كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا
فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط ع م فيها بل عن علم
بتوجه له ابراهيم ع م من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم
لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا
المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم ع م لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وكلمة ان
صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم
ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا

لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آل به الحال الى ان قال لو ان لي
بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك
واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل
الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
استيناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم
ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من
القرية آية بينة وهي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه
الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا معطوف على ارسلنا في قصة نوح
اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال
وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل ارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين
ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل ع م فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم
او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل
ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ وثمود اي ابنا وبلحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم
بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا
ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل ع م لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون
وهامان معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه والمراد انهم ادركهم امر الله عز وجل
اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد
من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من
خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك
محال من جهته تع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن
والخور بل ذلك اوهن من ذلك لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا
من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا
مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن
ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الآية وما استفهامية

منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للتمثيل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذا صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك لاية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة منتظمة للصلوة المكتوبة المؤداة بجماعة ولما كان امره عليه السلام باقامتها متضمنا للامر للامة بها علله بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة الله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم يامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله عليه السلام ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله عليه السلام وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الاية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالتي هي احسن فالذين اتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به

ابرهيم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله عليه السلام قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد باياتنا عبر عن الكتاب بالايات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحدها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصرون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب الله ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اباء غيرهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اي القرآن ايات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقطوها من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من الايات اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بحقية ما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشان الباقي على مر الدهور لرحمة اي لنعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله وخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله عليه السلام ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند حلول

اي وبالاتيان لهم العذاب عين لهم عند حلول الاجل بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك
انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسئولهم فان ذلك ابان به انهم وشعور منهم لا انه ياتيهم
وهم غارون آمنون لا يخطر وبه ببالهم كوقائع بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم
يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك بالعذاب والحال
ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم وانما جيء
بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها وتنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول
جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة [illegible] في سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب
الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت
ارجلهم اي من جميع جهاتهم ويقول اي الله عز وجل او بعض الملائكة بامره ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين
آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد
لهم الى الطريق الاسلم ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم
فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة
الموت اي النفس النافية حيوة جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة
مرارة الموت وكربه وراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد
وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة
وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف
الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها
اي الغرف او الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين
صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق
وعلى ربهم يتوكلون اي ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها روي ان النبي عليه السلام
لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم
من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها
واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سالتهم اي اهل مكة من
خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون الى انكار

والاستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده في الالوهية مع اقرارهم بتفرده
فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له من عباده ويقدر له اي يقتر لمن يشاء ان يقتر له منهم كائنا من كان
على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق
فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن
سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون
على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون
اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد
بتحميدك عند مقالتهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اي الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع
طريان الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت
الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا
المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اي لما آثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة
الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء
المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب
في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا
شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لكونهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله
لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجئوا المعاودة الى الشرك ليكفروا
بما آتيناهم وليتمتعوا اي يعاودون الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها فسوف
يعلمون اي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا
اي بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال
انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون
وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على نفي الاظلم من
غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب آثر ذي اثير اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها
كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب
بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في شأننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى

يؤمنون
اي بعد ظهور حق الذي لا ريب فيه
الباطل خاصة يؤمنون دون الحق
وبنعمة الله هم

سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمؤمنات

سورة الروم مكية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كما الذي في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض من المضاف اليه قال مجاهد هي ارض جزيرة وهي ادنى الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنه الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى الارض وهم الروم من بعد غلبهم

[illegible]

غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض
وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تع وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم
بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم وما لهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في
اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تع فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض
وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تع كانوا اشد منهم قوة بيان
لمبدأ احوالهم وما لها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي وعمروا الارض بفنون
العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة
هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها
مع ضعف حالهم فيها ... اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض باصناف
التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فما كان الله تع ليهلكهم من غير جرم
يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم [illegible] لما ان اهلاكه تع اياهم بلا جرم ليس
من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تع عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره
عنه تع وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما يوجب
من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار
بعلة الحكم السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث
الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوأى وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ
على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تع ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان
كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تع وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل
في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الكريم
وقد قيل ... الله يبدؤ الخلق اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف الحساب
والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه
يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ يبلس بفتح
اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تع كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع
لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اي جاحدين لهم وبشركتهم لله سبحانه تع حيث وقفوا
على كنه امرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة
يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تع يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق
يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بالمقام من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد
افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تع فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام
الحساب وقوله تع فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين

والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة والتنكير للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره
سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نغمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن
ابن عباس رضه يكرمون وعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن
وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلعم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع
قال صلى الله عليه وسلم نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق
بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة وقال الراوي فسألت ابا الدرداء رضه بم يتغنين فقال بالتسبيح وروي
ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تع ريحا من تحت العرش فتقع في تلك
الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا
التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بامره
وقوله تع فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تع ولقاء الآخرة للايذان
بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال
فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب ارشدوا الى ما ينجي
من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله تع عن كل ما لا يليق بشانه تع ومن حمده تع على النعم العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان
التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تع اي نزهوه عما ذكر سبحانه وتعالى
اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات والحمد فان الاخبار بثبوت الحمد له تع ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض
في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله
ونحن نسبح بحمدك وقوله تع فسبح بحمد ربك وقوله عم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه
وان كانت مثل زبد البحر وقوله عم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة افضل مما جاء به
الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته
واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تع واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تع وعشيا عطف على حين تمسون
وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لانه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة
ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي يختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها
والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة
فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها
عليها وقد روي عن ابن عباس رضه ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر
وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان
في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هن خمس صلوات كل يوم
وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عم من قال

حين تصبحون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك
ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من
البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الأرض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك
الإخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة
على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ومن دلالة
إحياء الأرض بعد موتها عليها أن خلقكم في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء إجماليا من
تراب لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم إذا أنتم بشر تنتشرون أي فاجأتم وقت
كونكم بشرا تنتشرون في الأرض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء أن خلق لكم أي لأجلكم من أنفسكم أزواجا
فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم على ما عرفته أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق بقوله تعالى
لتسكنوا إليها أي لتألفوها وتميلوا إليها وتطمئنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب
التفرق والتنافر وجعل بينكم أي بين الأزواج إما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور
أي جعل بينكم وبينهن كما في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقيل أي وبين الرسل والمراد بين الرجال والنساء مودة
ورحمة فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير أن يكون بينكم سابقة
معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة ورحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من قبل الشيطان وعن الحسن المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا إن في ذلك أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء
المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة
لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الأفاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها على أن
ما ذكر ليس آية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على ما ذكر من أمر البعث
وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والأرض إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة
لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حيا قبل ذلك وإما من حيث إن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاده كما ينص
عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا واختلاف ألسنتكم أي لغاتكم بأن علم كل صنف لغة أو ألهمه وضعها وأقدره عليها
أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه وألوانكم ببياض الجلد وسواده
وتوسطه فيما بينهما أو بتخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز بين الأشخاص حتى إن التوأمين مع توافق
موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه وإنما نظم
هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقية بالانتظام في سلك
ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم إن في ذلك أي فيما ذكر من
خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان لآيات عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها للعالمين أي المتصفين
بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق
كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله حسبما

من المقام وابتغاء الفضل يشيع في الملوين وإن كان الأغلب وقوع الأول في الأول والثاني في الثاني أو منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين
الأخيرين لأنهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي
شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان فيستدلون بذلك على شئونه
تعالى ومن آياته يريكم البرق الفعل مقدر بأن كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى أي أن أحضر وينزل منزلة المصدر
وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر
إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغي فيها أو ومن آياته شيء أو سحاب
يريكم البرق خوفا من الصاعقة أو للمسافر وطمعا في الغيث أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فإن إراءتهم البرق
مستلزمة لرؤيتهم إياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع
كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الأرض
بالنبات بعد موتها بيبسها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد
العقل عند استعماله في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أي بإرادته تعالى
والتعبير عنها بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاءهما لأنه
قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تمام
إنشائهما وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما
على ما هما عليه إلى أجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلقناهما وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث
في الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضا فقيل ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فإنه كلام مسوق
للإخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كأنه قيل ومن
آياته قيام السموات والأرض على هيئتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل من الأرض
وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي
ومن الأرض متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن ما بعد إذا
لا يعمل فيما قبلها وله من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك
بوجه من الوجوه كل له قانتون أي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شئونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو أهون عليه أي بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم
وإلا فهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أن ما له أن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق
وأما ما قيل من أن الإنشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من
فعله فكانت أقرب إلى الحصول من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فيجعل من قبيل التحصيل ليس المراد بأهونية الفعل أقربيته إلى
الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية للفاعل إلى إيجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته تعالى بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه عند تعلق إرادته
بوجوده وكونه واجبا بالغير والتفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار وله المثل
الأعلى أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا
عما يساويها ومن فسره بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية في السموات والأرض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى

تمامه: وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

قوله ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى

تعالى بحيث يصف به ما عرف جميعها على التجلي والسنة الدلائل وقيل مثلوه بالاعلام وقيل بحذوف منه أي من الأشياء من غيره
به الأعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم
مثلا يتبين به بطلان الشرك من أنفسكم أي منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما
ذكر من بطلان الشرك [illegible] لكونها بطريق الأولوية وقوله تعالى هل لكم الخ
تصوير للمثل أي هل لكم مما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء من شركاء فيما رزقناكم من الأموال وغيرها مما تتصرفون فيها
من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فأنتم فيه سواء جواب
لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم فيها وبين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا معطوفا
على أنتم لا أنه عام للفريقين بطريق التغليب أي فهل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم في البشرية وأحكامها
أن يشاركوكم فيما رزقناكم فأنتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر آخر
لأنتم داخل معه في حكم الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم أنفسكم
أي كخيفة كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمراد نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي لا ترضون
بأن يشارككم فيما هو معار لكم مما بأيديكم وهو أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية
التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه كذلك أي مثل ذلك
التفصيل الواضح نفصل الآيات أي نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز
لأوابد المدركات على هيئات المأنوس فيكون في غاية الإيضاح والبيان لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في تدبر
الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم إعراض عن مخاطبتهم وإرشادهم
إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات
المفصلة بل اتبعوا أهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء
في غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم أي جاهلين بطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما
يصرف العالم إذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من أضل الله أي خلق فيه الضلال بصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر على هدايته
أحد وما لهم من ناصرين أي ما لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من آفاته وإيراد على معنى لا واحد
منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فأقم وجهك للدين تمثيل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه
واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه أي فقوم
وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة ونصبها
على الإغراء أي الزموا فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والإفراد في أقم لما أن الرسول عليه السلام إمام الأمة فأمره
مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال بها باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أي
فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على
فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا
فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام
حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود
يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذين يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للأمر بلزوم فطرته أو لوجوب

الامتثال به أي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة
الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير
مصححة لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة
الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال بها بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان
ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير
بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا
منيبين إليه حال من الضمير في الناصب للمقدر لفطرة الله أو في أقم لعموم الأمة حسبما أشير إليه وما بينهما اعتراض أي
راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى واتقوه أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى
وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين بإعادة الجار
وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين
ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا أي فرقا تشايع كل منها إمامها
الذي أضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا
منهم أنه حق وأنى له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون
صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعني الذين من الذين فرقوا وإذا مس الناس ضر أي شدة دعوا
ربهم منيبين إليه راجعين من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة إذا فريق منهم بربهم الذي
كانوا دعوه منيبين إليه يشركون أي فاجأ فريق منهم الإشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك
كما في قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أي مقيم على الطريق القصد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون
عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض وفي الالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا إيذان بالإعراض عنهم
وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا أي حجة وقيل ذا سلطان أي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق بما كانوا به يشركون بإشراكهم به تعالى أو بالأمر الذي بسببه يشركون
وإذا أذقنا الناس رحمة أي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا وأشرا لا حمدا وشكرا وإن تصبهم سيئة شدة
بما قدمت أيديهم بشؤم معاصيهم إذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون أولم يروا أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا
أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات
والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير
للذين يريدون وجه الله ذاته أو جهته أي يقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصا أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى وأولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ أتيتم
بالقصر أي ما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا ليربوا في أموال الناس ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربوا
عند الله أي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله
أي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فأولئك هم المضعفون أي ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف

المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات
من به الى ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى
لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط له من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون
بالخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم
اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا
اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة
على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين
القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه
مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيمهدون
وقيل يمهدون اي يتفحون بثواب الله تعالى وتفصيل ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين بالذات لم يرد
في موضع الغاية وعبر عنه بالفضل لان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الغير بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين
فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها والروح الذي مع هبوبها واللام
متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او المحذوف يفهم من ذكر الارسال
تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها [illegible] ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله
تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا النعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
كما ارسلناك الى قومك فجاءوهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء
في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف
والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسط الآية
الكريمة بطريق الاعتراض [illegible] بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب
بقوله تعالى ولعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم ما حل بمن كان قبلهم من الانتقام الله الذي
يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها

كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى وقرئ بسكون
السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء
من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاءوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا وان مخففة من ان
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان
بطول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون
وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل للتنبيه على سرعة تقلب قلوبهم من الياس
الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا
الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار
وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد
موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وايا ما كان
فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد
الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في
مواد ابدانهم من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء
التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات
المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر وللريح بعده واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام
الجواب للقسم الساد مسد الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم
ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا
الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن
الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم وذلك فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه
وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اي اقبال فهم
مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف
اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك
عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفي [illegible]
اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر
غير المتقدم يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة

[illegible]

سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او صلة ... للمضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل

[illegible]

علي معنى الثبات اكثر بمعنى العمد وهو كثيرا ما يستعمل لهم ثبات ان تميد بكم وهو الذي لا يغلب معنى الممنوع من الجائز وعدة الوقوع عند الحكيم
الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل من عزته التي هي كمال
القدرة والحكمة التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد
كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجملة صفة للسموات وقوله ترونها
استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد
للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في السموات
اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها
واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع
من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات
الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور
المعدودة خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا
المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال المبين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة
ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للدلالة على انهم بالاشراك ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحق وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب
او ابن خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه
كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله
عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت
حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره
مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين
منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا وعن ان اشكر
لله اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استئناف مقرر لمضمون
ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واجتلاب المزيد
مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى شكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل
ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه قال عليه السلام
الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل ماثان وهو يعظه يا
بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف
على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه
الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله حملته امه الى

بيان حكمة لقمان

على ما بين الاغراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا
وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا يزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا
على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي
وعند ابي حنيفة رحمه الله ثلثون شهرا وقد بينا وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد
للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي
المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على
ان تشرك بي ما ليس لك به اي باستحقاقه لها في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي
مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير
والشر وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض
اي انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ
برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة
من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات
الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي والسفلي يأت بها الله اي يحضرها ويحاسب
عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي
عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث
الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما
اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول
وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان
بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر
وهو الصيد وهو داء يصيب البعير يلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه
واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل
المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة
الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت
وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق
وافراطهم في ذلك للتنفير عن رفع الصوت والترغيب عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد
هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في
السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم

لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما
يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون
سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا
ومعادا وإما جعله منقادا للأمر مذللا على أن معنى لكم لأجلكم فإن جميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة
لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه
الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في
توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول ولا كتاب منير أنزله الله تعالى بل بالتقليد وإذا قيل لهم
أي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الأصنام أولو كان الشيطان
يدعوهم أي آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار إنكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كونهم
كذلك أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك إلى عذاب السعير فهم متوجهون إليه حسب
دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة
البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه إلى الله بأن فوض إليه جميع أموره وأقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص
وقرئ بالتشديد وهو محسن أي في أعماله آتيا بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل
فقد استمسك بالعروة الوثقى أي تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة
بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه وإلى الله لا إلى أحد غيره عاقبة الأمور فيجازيه
أحسن جزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن
بكسر الزاي وليس بمستفيض إلينا مرجعهم لا إلى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في
الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الأول باعتبار لفظها إن الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة
المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا فإن ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل
ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف قل الحمد لله على أن جعل دلائل التوحيد
بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضا بل أكثرهم لا يعلمون شيئا من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون
أن ذلك يلزمهم لله ما في السموات والأرض فلا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق
للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أي ولو
ثبت كون الأشجار أقلاما وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة أبحر أي والحال أن البحر
المحيط بسعته يمده الأبحر السبعة مدا لا ينقطع أبدا وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات
الله ونفدت تلك الأقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الإمداد بالياء والتاء
والإسناد المجازي إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأتم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية
وإليها تنصب الأنهار العظام أولا ومنها تنصب إلى البحر المحيط ثانيا وإيثار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر
لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته وحكمته ما خلقكم

ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي إذ لا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما ينطق عنه قوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون إن الله سميع يسمع كل مسموع بصير
ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا
وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين
فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل كل يجري أي بحسب حركته الخاصة وحركته
القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جريا مستمرا إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم
القيامة كما روي عن الحسن فإنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق
الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز أن يكون حالا من الشمس والقمر فإن جريانهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته
عليه السلام وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى منتهى دورتهما وجعل مدة جريان الشمس سنة وللقمر
شهرا والجملة حينئذ بيان لحكم التسخير وتنبيه على كيفية إيلاج أحد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها
اليومية فكلما كان جريانها متوجها إلى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام
بعض أجزاء الليل إليه إلى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات إلى سمت الرأس وذلك عند بلوغها إلى رأس السرطان ثم ترجع
متوجهة إلى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الأرض تزداد صغرا فيزداد النهار
قصرا بانضمام بعض أجزائه إلى الليل إلى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها رأس الجدي
وقوله تعالى وأن الله بما تعملون خبير عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه
فإن من شاهد مثل هذا الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل أعماله ودقائقها ذلك
إشارة إلى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأن الله هو الحق
أي بسبب بيان أنه تعالى هو الحق إلهيته فقط ولأجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وأن ما يدعون من دونه الباطل أي ولأجل بيان
بطلان إلهية ما يدعون من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالياء والتصريح بذلك مع أن الدلالة
على اختصاص حقية الإلهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان إلهية ما عداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد والإيذان بأن
الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضا وأن الله هو العلي الكبير أي وبيان أنه تعالى هو المرتفع
عن كل شيء المتسلط عليه فإن ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أي بيان هذا وقيل ذلك
أي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى به بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع
جهاته أو الثابت إلهيته والتعبير بأن حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وإن كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الأحكام المعدودة لكن بطلان
إلهية الأصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الأسباب بل هو عكس للأمر ضرورة أن الأحكام المذكورة هي
المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد
آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول إنعامه والباء إما متعلقة بتجري أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسة بنعمة الله تعالى
وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته أي بعض دلائل وحدته
وعلمه وقدرته وقوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله أي إن فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها
لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الأنفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن
فكأنه قيل لكل مؤمن وإذا غشيهم أي علاهم وأحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالضلال

جميع خلقه وقتلاه دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من دواهي الخوف فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه
نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور مبالغ في كفران نعم الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزا اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود
عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلافه اصلا فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بان يزينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده
علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت
حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا
هذه الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى
او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء منها فتفعل خلافه
وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى
رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل
ثم قال الملك لسليمان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسب العلم الى
الله والدراية للعبد للايذان بانه ان اعمل حيلته وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته
فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله
عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي
من قرا سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وان اورد
على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول
مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى بالم تنزيل الكتاب
وقد عرفت ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه اذ لا عهد بالتسمية قبل تحقق الاخبار بها
لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين
متعلق بتنزيل وهو حال من الضمير في فيه لانه لا ينزل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه خبر ولا ريب فيه حال
من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب
العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون
مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم انكارهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة
انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو

الحق من ربك بالجملة واسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريف له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته
حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة
لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكد اصالته ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى
الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل عصرك او من قبل انذارك
والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتاتى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على
سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين
واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش قد مر بيانه فيما سبق ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد
ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن
الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا
تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني الى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر
من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت
في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد
ما بين تدبير الحوادث وحدوثها ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام
وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر
كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخالصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك
اشارة الى الله تعالى باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه
على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة
العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان
الذي احسن كل شيء خلقه خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب
على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وقرئ
خلقه على انه بدل الاشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي احسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي
حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل
مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني وخلقه بمعنى المخلوق وضميره لله تعالى على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل
شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى وبدا خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برا آدم عليه السلام على فطرة عجيبة
منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعدادها المتفاوت
قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اي ذريته سميت به لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين
هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه

خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما ينتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي
يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
تفصيل لما اجمل واللام متعلقة به على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب النظم
الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية
الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم
الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي
على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة
وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام
مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة ءاذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز عنه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بكسر اللام
من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا من جنس الصلة فقال القائل ابي بن خلف
وارتضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقا والهمزة لتذكير
الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر واياما كان فالمراد التأكيد الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على
ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من
بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال
جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة
للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يترك منكم احدا ولا يبقي منكم شيئا على ان التفعل ما يكون من الوجود والظهور
ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون
وهم القائلون ءاذا ضللنا في الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي
اقترفوها في الدنيا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات
المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء
منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا
وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد
في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له
مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حين يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فقد ابصروا
قبح اعمالهم وكانوا يرونها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد
قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم يكون باظهار ما لو اعجزوا به من الوعد والوعيد لا
بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل سمعنا قول الرسل اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون
منك رؤية في ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة
الواقع وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد
بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة

هذه الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علق عليهم الخطاب بالقصد الى بيان
ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب
فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما ينبئ عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق
المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا اي ونقول لو شئنا
اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح
لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس
عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول
لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا
لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه
من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة
سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما ذكر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية
من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا
بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريد بها هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها [illegible]
بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى لو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف
الذي لو كان منهم اختاره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والتفت
قوله تعالى فذوقوا الفاء لترتيب الامر بالذوق على ما يؤذن به ما قبله من نفي الرجوع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما
نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب
موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم
التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان
بل له اسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال
كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط
بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم
لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها
عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا
بها اي وعظوا خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا
على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين
بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة
الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم
خاضعون له لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع اي الفرش

وهو اطيب المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضه نزلت فينا معاشر الانصار
كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلعم
كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضه
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عم افضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي صلعم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله تعالى
في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تع يدعون ربهم حال من ضمير
جنوبهم اي داعين له تع على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون
في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك
الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عم يقول الله تع وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي
لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها
الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا
اعمالهم فاخفى الله تع ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي بعد ظهور ما بينهما من التباين البين ايتوهم كون المؤمن الذي حكيت
اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة
على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تع اما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى
لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من
تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية
بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم
ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار
مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون
الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا
عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا وهو عذاب
بهم من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة
يرجعون يتوبون عن الكفر وروي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضه يوم بدر فنزلت هذه الآية ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تع بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد
وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء
الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي
المساوي وقد تقرر ذلك انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل

ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على
على ان ايتاءه لرسول الله صلعم كايتائها لموسى عم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن
والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره
وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عم وعنه عم رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة
وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى عم هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك
او بتوفيقنا له لما صبروا وقرئ لما اي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك اذ جئتني والضمير للائمة وتقديره لما صبروا جعلناهم ائمة وهي
ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم
عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن
الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء
وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو
للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول او بمعنى التبيين
والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تع كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا
من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ضميره
تع يمشون قوله تع كم اهلكنا الخ اي فاعتبار الكيفية هدايته تع يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم و
بلادهم وينظرون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا
للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر و
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك
الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل
بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال
قدرته تع وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان
اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين
في ان الله تع ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله تع
يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا
عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه
قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظ واما على الاخيرين فالموصول
عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا
آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تع فتربصوا
انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تع هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية
ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب

المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو فإن الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله في ندائه بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد
منه فإن له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين أي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له أي فيما يعود بوهن في
الدين وإعطاء دنية فيما بين المسلمين روي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه عليه السلام
في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله عليه السلام ارفض ذكر آلهتنا
وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي عليه السلام والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ
الموادعة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك إن الله كان عليما حكيما مبالغا
في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة ولا يحكم إلا بما تقتضيه
الحكمة البالغة فالجملة تعليل للأمر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع ما يوحى إليك في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين ما يوحى إليك
من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية
لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر إن الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمؤمنين
وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون للكل على ضرب من التغليب وأيا ما كان فالجملة تعليل للأمر
وتأكيد لموجبه أما على الوجهين الأولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل
منهما جزاءه ثوابا أو عقابا وأما على الوجه الأخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل إن الله خبير بما يعمله الكفرة والمنافقون من كيدهم ومكرهم
إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك أن تعمله فلا بد
من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله أي فوض جميع أمورك إليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا
إليه كل الأمور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في إلقاء الوحي الذي أمر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وتنبيها على أن كون المظاهر منها أما
وكون الدعي ابنا أي بمنزلة الأم والابن في الآثار والأحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف
واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو لجميل بن أسد الفهري ذو القلبين
أي ما جمع الله قلبين في جوف وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وأمومة في
امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى
نفي الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين أحكام الدعوة والبنوة على الإطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الأمومة
ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لإبطال ما كانوا عليه من إجراء أحكام الأمومة على المظاهر منها وإجراء أحكام البنوة
على الدعي ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن
لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى
حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان

وتظاهرون

الزوجة وظهرها إلى السماء وقرئ اللائي وقرئ تظاهرون بحذف إحدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بإدغام التاء الثانية
في الظاء وتظاهرون من أظاهر وتظهرون من تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا والأدعياء جمع دعي وهو الذي
يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي وأتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء وأسراء ذلكم
إشارة إلى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو إلى الأخير الذي هو المقصود من سياق الكلام أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم
بأفواهكم فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة في الأعيان فإذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم والله
يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل أي سبيل الحق لا غير فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله هذا ادعوهم لآبائهم
أي انسبوهم إليهم وخصوصهم بهم وقوله تعالى هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى
وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى
فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم أي فهم إخوانكم في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه أي فادعوهم بالأخوة الدينية
والمولوية وليس عليكم جناح أي إثم فيما أخطأتم به أي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو أو النسيان أو سبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم بعد النهي أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم
التبني بقوله هو ابني إذا كان عبدا للقائل يعتق عليه في كل حال ولا يثبت نسبه منه إلا إذا كان مجهول النسب وكان بحيث
يولد مثله لمثله ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به
الإطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه السلام أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
أقدم من شفقتهم عليها روي أنه عليه السلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت
وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة
وأزواجه أمهاتهم أي منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات ولذلك قالت عائشة
رضي الله عنها لسنا أمهات النساء وأولو الأرحام أي ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما
كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية المواريث
أو فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث
من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من
النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا أي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا
في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم أي اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعاء إلى الدين الحق ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين [illegible]
للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه السلام لإبانة خطره الجليل
وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي عهدا عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الأول بعينه وأخذه هو أخذه والعطف
مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ إثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع
إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب
بالالتفات إلى الغيبة أي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للإيذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما
سئلوا عنه وإنما السؤال لحكمة تقتضيه أي ليسأل الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم إياهم تبكيتا لهم كما في قوله

تع يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من
ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكر ميثاق النبيين وقوله تع واعد
للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من الغرض لا على اخذنا كما قيل في التوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او
بان المعنى ان الله تع اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه محوج الى كون بيان اعداد العذاب الاليم
للكافرين من غير مقصود بالذات فتعين كون عطفه على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فعليكم متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم
جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل الاشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب
وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة
باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز
كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن
عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم
وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رض في نفر من
المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رض يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام فقال لا حاجة لي به فقال اني ادعوك الى النزال فقال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك
فقال له علي رض لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل
على علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رض ضربة قتلها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه
بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتلهما علي رض وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر
قوله تع فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي تفصيلها في القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة
وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد
وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمل الكفار
من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا لذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم
من فوقكم من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن
وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش
وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه في
حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها
وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو
مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تع وتظنون بالله الظنونا للمتظاهرين بالايمان
على الاطلاق اي تظنون به انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله ينجز وعده في اعلاء دينه كما نوه عنه

ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون
بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان
الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا
شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار
القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا
غرورا اي وعدا غرورا وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه قال يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز
فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب
هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى رسول الله صم ان تسمى بها لكراهة لفظها وسماها طيبة او طابة
كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صم وتذكيرا لهم بعنوان اهليتهم لها اشعارا بما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع
لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بضم الميم اي لا اقامة او لا موضع اقامة لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة او ارجعوا الى الكفر واعنوا بالرجوع
غروا بحالهم وايذانا بانه ليس من سبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد صم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك
او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليتمكن لكم المقام بها والاول هو الا
نسب بما بعده فان قوله ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة
وبنو سلمة استأذنوه صم في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تع يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على
السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة متعرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة
في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها وهو
الانسب بمقام الاعتذار كما ينصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون
بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها مطلقا
كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور لا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند اليهم من اقطارها اي من جميع
جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا
من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان
والطاعة لآتوها لاعطوها مباشرين بها من غير صارف لها من الواجبة الزهيدة والعارة الشنعاء وقرئ لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاءوا بها
وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوا بها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال
البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما
تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع
لما عرفت ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى
الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم اللائق بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاصرار المحتاجون
في الدعاء الى الكفر والضلال كما يهول من التهذيب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة
عاهدوا رسول الله صم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله تع اهل بدر

من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضيا حتى يوفى به
وقيل مسؤولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف
أو قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة
أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله صلعم وهم المنافقون والقائلين
لإخوانهم من منافقي المدينة هلم إلينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر أو قرب يستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز
وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر
متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا أي إتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا
فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا
قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلا وقيل من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب
ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على
الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم
في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم
أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كائنين
كالذي الخ أو تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عين الذي الخ أو تدور أعينهم كائنة كعينه فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بألسنة حداد ذربة وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم
عليه والسلق البسط بقهر باليد أو اللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع
أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم أي أظهر بطلانها إذ لم تثبت
لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا وكان ذلك الإحباط على
الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي
وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا
ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون
إلى البدو وحاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون
ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فإن
صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسند إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في أمثال المذكور
ونظائره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء
وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم
الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله ولمن كان صلة لحسنة أو صفة
لها وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله أي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا

فإن المبادرة على ذكره تعالى يؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلعم ولما رأى المؤمنون الأحزاب
بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا
لهم قالوا هذا مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ
كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله إشارة إلى الخطب والبلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر
نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم
بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء إلى قوله تعالى
ألا إن نصر الله قريب وقوله صلعم سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله صلعم إن الأحزاب سائرون إليكم
بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب
كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم أي ما رأوه إلا إيمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره
من المؤمنين أي المؤمنين بالإخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع رسول الله صلعم والمقاتلة لإعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حربا
مع رسول الله صلعم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
ابن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني إذا قال الصدق ومحل ما
عاهدوا النصب إما بنزع الخافض وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقني سن بكره أي في سنه وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقا
على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكم ما به تخزون الأعداء إن لقيتم حربي وقالوا له سنفي بك وحيث وفوا به فقد صدقوه
ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب
النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئا من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء
على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة
كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على
حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت
شهيدا أو كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتي ومنهم أي من بعضهم أو بعض منهم من ينتظر أي قضاء نحبه لكونه مؤقتا
كعثمان وطلحة وغيرهم ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو
الثبات مع رسول الله صلعم والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيدا
ويجوز أن يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزامه
نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأيا ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ
عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله
فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا أي تبديلا ما لا أصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما
يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للإيذان
بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روي أن طلحة
رضه ثبت مع رسول الله صلعم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عم أوجب طلحة وفي رواية جابر من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر

الى طلحة وهو ايسير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان
ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل
وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا
وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات
والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما
رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا
رحيما لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل
تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كأنه قيل
اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم
طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تاهت لها ... منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي
اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند ... وحفودهم و
ورودها بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول
او ملتبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف
وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا على كل
الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما
يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا
انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم
فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عم اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة
ووضعوا السلاح فقال أتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم
فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة مقاتل وقيل كان
واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام تفصيله و
تقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم
وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلعم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار في ذلك اما لكم منازلكم فقال عم انما جعلت هذه طعمة لي دون الناس قالوا رضينا
بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها اي ولم تطؤوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى
يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها
ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين
اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن
بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي

امهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة
ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزلت لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل
كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض
الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن لما روي عنه فتعالين امتعكن
واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا
اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا
ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رضي الله عنه وروي عن زيد بن ثابت
انها ان اختارت زوجها تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها تقع ثلث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك
وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان
اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم
يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وقطع المعاذير من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم
يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون
نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسول
الله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عنده تعالى والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات
منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى
عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح
بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه
عم لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة مبينة ظاهرة القبح من بين ... وقرئ بفتح الياء
بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلعم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لا
وقرئ تأت بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح
فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا
يؤاخذ به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلعم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء
اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضا رسول الله
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة
على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي
مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن
مخالفة حكم الله تعالى ورضاء رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي
لا تجئن بقولكن خاضعا على سنن المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل
فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب
وقلن قولا معروفا بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر

من قرب يقرب من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى ونقلت فتحتها الى ما قبلها كقولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع
وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى
رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل
تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم عم كانت المرأة
تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر وجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عم لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرهن بهما
لا انا فيهما على غيرهما لكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما [illegible]
ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك
عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت او ذويهم من حوالي بيت النبوة ويطهركم من
او ضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة
على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم
واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلعم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة رضه فادخلها فيه ثم جاء
علي رضه فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم
كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو سلمت دلالته على ذلك فالاعتداد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن
ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين كونه آيات الله البينة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار
فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل
البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبرئيل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن
وتعليمها وتعلمها ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح
ومن يستأهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله من الذكور والاناث
والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم
والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من
الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
الحميدة روي ان ازواج النبي صلعم ورضي الله عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما انزل في نساء النبي عم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين
فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعدادهما لهم لجمعهم بين هذه

النعوت الجليلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله
امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه عم قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة
بنت عبد المطلب خطبها رسول الله عم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها
للنبي عم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله عم فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي
يختاروا من امرهم ما شاءوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عم واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير لعموم مؤمن ومؤمنة
لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عم والجمع للتعظيم وقرئ يكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور
ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بالعتق وبما وفقك الله له من فنون
الاحسان الكثير حلتها الخيرة وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عم من اظهار خلاف ما في ضميره
اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب
وذلك انه عم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا انفكاك لبشر عنها فقال سبحان مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان
افارق صاحبتي فقال مالك اراابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو
للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عم او جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلعم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة
في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله عم اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه
عم وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور مفعولا مكونا لا محالة كما كان
تزويج زينب ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر
من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا و
جندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح
النكاح وغيره ولقد كانت لداود عم مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عم ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى
وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج
وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه
في كل ما يأتون وما يذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخشون منه فيه ولا يأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون
احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا
للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه ما كان محمد ابا احد من

تعريض بما صدر عنه عم من الاضمار بعد التصريح في قوله تعالى [illegible]

رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر و
والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له لا لهم ولكن رسول الله وكل رسول
ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وزيد واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم
وبينه فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقرب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي ختموا به
وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان نبيا ولا يقدح فيه
نزول عيسى بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد عم
مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه
[...] بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات
بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كما افراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا
الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم استيناف جار مجرى
التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه
تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة
الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي
عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له
او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب
ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب الرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتبار [...]
[...] الجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم [...]
المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما
على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته
تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية باصلاحهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى المفعول
يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة
او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى
واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل
ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب
والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه [...]
الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة
بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم
وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وسائر
ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لانه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا
بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن

عن القبلة المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى
بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس
وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق
التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة
في الانذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على
التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار و
وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عم بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب
يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا
وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حقق وقوبل الداعي اليه باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث
انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه [...]
وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من جانب الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد
الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم الآية وقرئ تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء او على انه
من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على
ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة
كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها المهر في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها
مستحبة عند نافي رواية وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق [...]
لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن
اي مهورهن فان المهر اجر الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد واياما كان فتقييد الاحلال له ليس لتوقف
الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له كتقييد
احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء
امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عم خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب
خطبني رسول الله عم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ
بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي احللناها لك ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر
ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لا مطلقا بل عند ارادته عم استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي
ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة
لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا وسلبا وخلف في [...]

لم يكن عنده ام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت
جابر وخولة بنت حكيم وايراده صلى الله عليه وسلم للايذان بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم
تخصيص به صلى الله عليه وسلم حسب اختصاصه به كما نطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة او خلوصا فان الفاعلة في المصادر
غير عزيز كالعاقبة والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله من دون المؤمنين
على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير محقق في حقهم وانما المحقق هناك الاحلال المطلق على الثاني ان احلال
الجميع على القيود المذكور غير محقق في حقهم بل المحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز للمؤمنين حيث لا تحل لهم بغير المهر
ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن الخ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من
خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه
صلى الله عليه وسلم تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي وجه
يجب ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج
اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له صلى الله عليه وسلم لا باعتبار اختصاصه به صلى الله عليه وسلم لان مدار
انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك
وسع الامر في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك
من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت
اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق
او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى
منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة
وام سلمة وزينب وارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت
ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تأكيد
لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه
حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث
الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل
والهجران ولا ان تبدل بهن من ازواج اي تتبدل بحذف احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن و
تنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن
وهن التسع اللاتي توفي صلى الله عليه وسلم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة
بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية

اسامي زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات
والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وبآية قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن
فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من وظائف
البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم قيل هي اسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه اي ممن اعجبه حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله
تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء
وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته
عليه صلى الله عليه وسلم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال
من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان
يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك ان
يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا يحسن
ان تدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال
من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا من تجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك ولكن
اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو
الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم
ولا مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من
قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا بانفسهم وما ذلك الا اخراجهم
ينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف
الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليهن بذكر بيوته صلى الله عليه وسلم متاعا اي شيئا
يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل
منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث
عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم
اي ما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من

بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وهو حجة من منع من بقي البعد للايذان
بمنزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما امرا عظيما وخطبا هايلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تع لشان رسوله عم وايجاب
حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تع في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء و
والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين
ولذلك سمي العم ابا في قوله تع واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بابناء الاخوة وابناء الاخوات
فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات
لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا
نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين
الله في كل ما تأتين وتذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا تتفاوت
في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر
ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضه
اراد ان الله يرحمه وملائكته يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تع عليه ثناؤه عليه عند الملائكة
وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بالصلوة في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون
بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم
او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه وقيل يجب في كل ما جرى ذكره لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عم من ذكرت عنده
فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عم قال وكل الله بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله تع وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملائكة لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عم كما قيل في آية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار
الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه عم ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه
في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد فليس بشرط
في جواز الصلوة عند ابي حنيفة لما روي عن ابرهيم النخعي ان الصحابة رضه كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي
واما الشافعي رح فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عم فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعار
ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يرتكبون
ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجاز لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تع وقيل في ايذائه تع هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون

في آياته وفي ايذاء الرسول عم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح
صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عم خاصة فبطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل للتعظيم والايذان بجلالة مقداره عنده تع وان ايذاءه
عم ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع
ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من
قول او فعل وتقييده بقوله تع بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله
ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين
كانوا يؤذون عليا رضه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء
ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من
اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي عم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع
ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل الملحفة وكل ما يتستر به اي
يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من المعهود والتلفع ببعضها وارخاء بعضها عن السدي
تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء
والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن
من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم امثال هذه الجزئيات لئن لم ينته عما هم عليه من النفاق واحكامه
الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة
عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف
التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصف به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم
واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول عم اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين
نصب على الشتم او حال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تع اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد الكلمة الشرطية لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية
وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عم وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت
قيامها كان المشركون يسألونه عم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تع عمى وقتها في التوراة
وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تع وما يدريك خطاب مستقل له عم غير
داخل تحت الامر مسوق لبيان ان الساعة مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها
اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه
على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار
في موضع الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم
من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين فيها ابدا

ولياً يحفظهم ولا نصيراً يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لـ الذين وقيل لـ نصيرا وقيل مفعول لاذكر أي
أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كاللحم يشوى في النار أي يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة أو من حال إلى
حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف إحدى التاءين من تتقلب ونقلب بإسناد الفعل
بنون العظمة ونصب وجوههم وتُقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفظيع للأمر و
للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة
كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول إلى
صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمراً كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشفي بمضاعفة

[illegible]

[illegible]

رحيماً مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ
سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر انتهت الكتابة في قبيل ظهر الخامس العشر من رمضان [illegible]

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد
داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتحقيق ما أفاده
تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده واستقلاله بما
يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الإنسان تحت ملكوته ليس لها في حد ذاته استحقاق الوجود فضلا
عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل
الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى
إثر بيان اختصاص الدنيوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود
عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضا
فيها بل ليعم النعم الأخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما
يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح والفرق بين
الحمدين مع كون متعلق الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد
ورد في الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير
ببواطن الأشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الأرض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي نيطت بها
مصالحهم الدينية والدنيوية أي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والأموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات
وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها
كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنفي إتيانها
نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود
الأمور الزمانية المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور وقيل هو استبطاء لإتيانها الموعود بطريق
الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها وقوله تعالى وربي لتأتينكم
تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها وقرئ ليأتينكم على أن الساعة بمعنى اليوم أو الوقت وقوله تعالى عالم الغيب
وتشديد له إثر تأكيد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فإن تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن
بفخامة شأن المقسم عليه وقوة إثباته وصحته لما أن ذلك في حكم الاستشهاد على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل
وأولى بالسيما إذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فإن وصفه بعالم الغيب الذي أشهر أفراده
وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الأمر باليمين
أن لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا فإنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وإنما لم يصدقوه
مكابرة وقرئ علام الغيوب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه أي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي
مثقال ذرة مقدار أصغر نملة في السموات ولا في الأرض أي كائنة فيهما ولا أصغر من ذلك أي من مثقال ذرة ولا أكبر
أي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى إلا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر
بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره للمطالعين له فيكون

المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضي
إتيانها أولئك إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الفضل
والشرف أي أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو
عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
أي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب [illegible]
ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى أليم بالرفع صفة عذاب أي
أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الإيلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين أوتوا
العلم أي يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله عم ومن تابعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب وأضرابهما رضي الله عنهم الذي أنزل إليك من ربك أي القرآن هو الحق بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول
الأول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى
استئناف مسوق للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي
أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة معاينة أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولي العلم
من لم يؤمن من الأحبار أي ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم
لأنه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك
وهاديا إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال من الذي أنزل على إضمار مبتدأ أي وهو
يهدي كما في قول من قال نجوت وأرهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي ينبئكم أي يحدثكم بأعجب
وقرئ ينبيكم من الأنباء إذا مزقتم كل ممزق أي مزقتم وفرقت أجسادكم كل تمزيق بحيث صرتم ترابا ورفاتا إنكم
لفي خلق جديد أي مستقرون فيه عدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا
للإشباع في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لأن ما بعد أن لا يعمل فيما
قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه ثم شاع
أفترى على الله كذبا فيما قاله أم به جنة أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل به على أن بين الصدق
والكذب واسطة هي ما لا يكون من الإخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريق الاستفهام بالإضراب على شقيه
وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عم كأنه قيل
ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي
إليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم
ويغيظهم والإشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال
للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشنيعة الفظيعة كفرهم بالآخرة
وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض
استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله واستعظام ما قالوا في حقه عم وأنه من العظائم الموجبة

لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشاء
الآية بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به
اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ان نشاء
بهم على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها
على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه
ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض
ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات
فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما
ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد
منيب شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على
التوبة والانابة وتأكيد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على
سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب
والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا
علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له
فاذا اورد ها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك
اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين
وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير
بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير
مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع
عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه
وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو
منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المنبئة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب
والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة
الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها
الباء وقد حملها على المفسرة بتكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الصافية
وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون
في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود
فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال
فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد
نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا [illegible]

لم يكن مستمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي
فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا خطاب له عليه السلام ولاهله اني بما تعملون بصير
تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها
شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستانفة او حال من الريح وقرئ غدوتها
وروحتها عن الحسن انه كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند
ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه مبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون ان شاء الله تعالى بالشام واسلنا له عين القطر اي النحاس المذاب اساله في معدنه كما الان
الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام
وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة باذن ربه بامره
تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ يزغ على البناء للمفعول
من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة روي عن السدي انه كان معه ملك بيده سوط من نار
كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب بيان لما اي
من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل صور
الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع
فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ بالياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر
لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او للفعل المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل
من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم يكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
عليه السلام ما دلهم اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال
ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته
اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة
وبابدالها وحذفها بين بين الوقف ومنسأته على مفعالة كميضاءة في ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة
القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء اذا علم بعد
التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء
اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر انهم لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت
على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن

في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس
بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فتوفي قبل تمامه فوصى به سليمان عم فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه
حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب فدخل [illegible] من قوارير
ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت
الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عم فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلوته الا احترق فمر به
شيطان فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا
بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف
كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعا مسيرة ثلث ليال آية
دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي بالاحسان والمسيء
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عم جنتان بدل من آية او خبر لمبتدا محذوف اي هي جنتان وقرئ
بالنصب على المدح وتؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله كل واحدة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او
نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين
لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لمن شكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل
بيدها وتسير بين الاشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر
بعد اتيان الآيات الواضحة لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمته وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا
عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة
بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه ثقبا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم
الجرذ الذي نقب عليهم السكر وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ
العرم بسكون الراء قالوا وكان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم
وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو كل شجر ذي شوك
من كل شيء وقيل ثمره شجرة يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وتخفيف الاكل واثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على
جنتين قيل وصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف

يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو
الثاني قاله قتادة وكان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك
اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول
النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر
او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل
وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ويجازى
على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهو اخبار بما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا
بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه
وتذكير وهو عطف على كان لسبا الخ لا على ما بعده من الجمل الناطقة باصناف النعم اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون
النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض
لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي
جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح
منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفير الها في الحضر والسفر سيروا فيها على
ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل
ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت
ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه
واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطرا وطغيانا وسئموا طيب العيش وملوا
العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر
ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها
على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد ربنا
بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا
وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم
ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم متجنون على الله تعالى ويتجاوزون عليه وظلموا
انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس
بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان
تفريق على انه اسم مكان وهي عبارة التفريق الخاص تفريق للمتصل وفيه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى
اي فرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى قالوا تفرقوا ايدي سبا فلحق غسان بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا وبينهما اثنا عشر ابا وهو
الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري
ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى
بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عم وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو

بن عامر يسائلهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا
معه اياما فانهزم منه جفنة وهم ولم يفلت منهم الا الشريد وتمكن ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد
رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج
ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو
لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عم فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان فروة بن مسيك الغطيفي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال عم هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن
وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان فلما هلكت
اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج يثرب
فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا
تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت
والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم
ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق
الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس
ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته
اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم
فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل وما موصولة اي وما كان
تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن
من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل
شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم
ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله
من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه اي ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم
او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية
والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى
منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد رأسا كما في قوله تعالى ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله

يع من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله الا لمن اذن له
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من
النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء
الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على
الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل
من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي
شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن
لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام والملائكة
اذ حين حرموها من جهة القادر على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا
للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمستشفع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع
بمعزل عن التفزيع عن قلوبهم بالمرة والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى
غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار
للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا
حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون
ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي
قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي
المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء
للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفى الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد
المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاد ما فيه فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء اصله
فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن
قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم
لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عم قل الله اذ لا جواب
سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق
والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة جمادا النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد
الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى
ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وانا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال
كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون
وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم

ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا
ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم
بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه اظهار خطئهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رأيهم اي اورنيها لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه
مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف
بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وجل
او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا
من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون
به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله والمؤمنين
قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم
لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما
لا يخفى حيث جعل الاستيخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام
غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا
بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله
... فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون
المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع اي يقول الاتباع للذين استكبروا اي للرؤساء الذين استتبعوهم
في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا
في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان
مثبتين انهم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف
اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرف اي بل
صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب
اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع
في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله
تعالى اذ تامروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي على ان المراد بمكرهم نفس امرهم
بما ذكر في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان المذكورين نعمة من الله تعالى واي
واما مؤداة مغايرة لا نعمة داعية للامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب

اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب
لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب
اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله عليه السلام مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما
جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم
من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل نذيرا الى اهل قرية من القرى الا قال مترفوهم مثل ما قال
مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه به عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا
انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم ذلك الآي ذلك
بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الآخروي راسا او على اعتقاد
انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه
يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من المرزوقين
داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق
عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس
على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق
الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف
من جهته عز وجل خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة
اموالكم ولا اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء او غير عقلاء في حكم التانيث او بالخصلة التي تقربكم
وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن
الصالح الذي انفق امواله في سبيله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف
المضاف اي الا اموال من آمن فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل
الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك او ما بعده مرتفع
على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى مفعوله اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على
فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من
جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وبسكونها وقرئ
في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يعجزوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته

يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر مثل ما يأتي تفصيله او
مفعول لمضمر متقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر
شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه
قيل فماذا يقول الملائكة فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى
صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم
من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت
فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب اليهم الكفرة
يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء
ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به ونسبة عدم
النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة
لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما
لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد الحكم
بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا
عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لما سيقول
الله عز وجل للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا و
يقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم
على لسان الرسول آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله عليه السلام الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة
الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى بنسبته
الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان
بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي
تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت
بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
ويدرسونها [illegible] ينقلون من الرسل وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب

ان لم يشركوا فحقا بان من حق ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وفيه غاية تجهيل لهم وتسفيه
لآرائهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين بطريق التفصيل والتفسير كقوله
كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الآية فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة
اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ
محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله عليه السلام او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى
وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار وفي تقديم
مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في امره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة
استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا
يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه
وقد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات
البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق
بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به
من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال
لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل الى الله منفعتهم الكبرى وقرباه قرباهم
ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي
يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف
او خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة
غائب قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ
من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله
عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما
استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه
بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما ولو ترى
اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا
البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا
من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم
والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محل لا فوت

عنا وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول
السهل اي من اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهو منهم بعيد وهو تمثيل حالهم في
الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على
قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته قال ابو عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت
وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل اي من قبل ذلك في اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان
بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب وان البعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء
من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان
بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا
على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل
اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة والاول منقول من المشكك
ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر والله تعالى اعلم
عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا [illegible]

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه والفاطر مشتق من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا
كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا وهو قليل
في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله رسلا منصوب على الوجه الثاني من الاضافة
بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي
لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذر
اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح
وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه كما ينبئ عنه كون الجعل
تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم
جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض جمع الخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات
لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها
ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم اربعة اجنحة [illegible] من الملائكة لهم ستة اجنحة جناحان منها يلفون بهما اجسامهم
وبآخرين يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى وعن رسول الله عليه السلام انه رأى جبريل عليه السلام

ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل
فخرج في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليه في صورته فغشي عليه عليه السلام ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح
منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف
مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان
حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف
وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض
المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته
تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة اي ما يطلق ويرسل
بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله تعالى
من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد
يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان
مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد
امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما
يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها
يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون
لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة
الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي
باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ
محذوف الخبر وزيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه
وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من
الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورة لان معناه
نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولذا
لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لان معناهما
نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما لا اله الا هو فانه استئناف
لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عن صورة الاستفهام صورة تحقيق كان هذا ناطقا بنفي الوجود
تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى
الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى التسلية صلى الله عليه وسلم بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا
على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم
من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه
الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من
الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالتوقيع مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من
المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم
وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم
عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ
في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك
وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في
الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم
لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا اي فكونوا على عداوته في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ
الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم
في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته
عذاب شديد لا يقادر قدره مؤبد لا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل
الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء
لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي أبعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه
واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحبابه الضلال
وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما
تمهيد لما يعقبه من نهيه صلى الله عليه وسلم عن التحسر لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يعرض عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي
ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف ما حذف لدلالة قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما ما قيل كونه
ذم عما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الحرص الشديد على اسلامهم من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه بقبول الهداية حتى تطمع في
اسلامه وتبخع نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما تم من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ على انه ممن يشاء الله ان يضله
ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك
نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه صلى الله عليه وسلم على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر
وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من

القبائح مثلث بما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي
ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسنده اليها
للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها
اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبي عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما
من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص
بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات يوم القيامة في صحة المقدورية
وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى
من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام
كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كقوله تعالى الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة وجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله
ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان
لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما ثم هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو
يوصله صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو
الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن
وعنه صلى الله عليه وسلم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يجيء بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات
بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات
على انه صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة
وتداورهم الرأي في احدى الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره
ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر
والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد
منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به صلى الله عليه وسلم هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة
لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم
الثلث التي اكتفوا في حقه صلى الله عليه وسلم بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم

ابتداء منه في ضمن خلق آدم ثم خلقا اجماليا لحما وحقيقة واراة ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من
معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اليه وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب
مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار ص بقوله الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب
تحت ذلك ذهب يوم وذهب يومان وهكذا حتى ياتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب
عن ابن عباس رضه انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه
محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل اي من كل
واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون اي من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو
المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوي الكافر والمؤمن وان شاركه
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصة العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته
لكماله اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك الفرات في منافع كثيرة والكافر
خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى
الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتاتى منه الرؤية مواخر
بالموج شقا مواخر تستوي للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد يجوز تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
اي وتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة
ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل واحد منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج
احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري
اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا
لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله تعالى وقيل جريانا عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما
في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما ومدته جريانا الشمس سنة والقمر شهر وقد مر تفسيره في سورة لقمان ذلكم اشارة
الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم
الشان الذي ابدع هذه الصنايع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب
ثبوت الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة

ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا
على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لانهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما
لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه تعالى فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به
من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم
وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر
الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال الله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة
او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منها وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها
من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه
ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول
نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون
ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين من عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم
واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك هؤلاء
من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتاثر من
هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما
يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا
او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن جزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات
ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا
الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين
بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت
الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا
ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا
بالوعد ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من
نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار
هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي يستمروا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم

المعاينة جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتوراة
والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها
الم تر استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به الالتفات
لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها
او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها
وهو الاوفق لما في قوله ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره
وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو
تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد
ونظيره في الصفة قول النابغة * والمؤمن العائذات الطير يمسحها * وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه على ما في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في
الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل
على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء
علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما
فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف
اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب
بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف
المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اي
انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة
المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك
عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول
لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان
المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه
ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله
تعالى القرآن او جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم [illegible]
صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل
وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل

بالقرآن

بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاستتباع في ذلك استتباعها لما ذكر من
الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لان الباقي
مشروعا ليس الا احكامها لكن لا من حيث انها احكامها بل من حيث انها احكام القرآن واما تلاوتها والعمل بها فمعزول من المشروعية واستتباع
الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية
في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة
للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار
برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه
ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله
من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو وانفقوا
والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق
مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة
لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتحققه وقيل اورثناه من الامم
السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم
او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء
الى افضل رسله عليه افضل الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وقيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم الملازمون
على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها
وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي
ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون طول المحشر ثم
يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله عليه السلام سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير
بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق
الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول
الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنة عدن وجنات عدن
على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ

يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية اي
يحلون بعض اساور من ذهب كأنه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب
اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا
اي ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة و
عن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش
وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله عليه السلام ليس على اهل لا اله
الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا
دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا
فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال والاول تعب بدني والثاني نفسي للمشقة والكلفة واللغوب ما
يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا اي يستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون
عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها
كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ
يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ
افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي
القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان
استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة
موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو
اربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم
قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية
لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد
بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار
على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير
وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير لتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب
غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور وقيل انه تعليل لما قبله لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة
وخليف والاول يجمع على خلائف والثاني على خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره

جمع خليف

وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله
تعالى اياه اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ليس بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه
على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما
او لانفسهم فيما يملكونه وقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم
كأنه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله
تعالى في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه
اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنهم بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال
الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم
حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله عليه السلام ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة
التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير اي محمد عليه السلام اشرف الرسل
ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ عطف عليه
وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة في الوصل لعله اختلاس ظن سكونا
او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين
اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد
لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان
التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من
قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى والجملة في محل النصب على
الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم
مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم
السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك

ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن
ابن مسعود رضي الله عنه ويعضده الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذه يس
او اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء
الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة
آل عمران ما كانت من سور القرآن مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل
وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هو حكاية كما في حيث وابن حماسة يؤيد
ذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للتجرد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه
يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقرآن
بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق
بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا بعد الجر فاستكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم
والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وعبارة الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته
عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من حيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق
مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر ثان لان او
حال من المستكن في الجار والمجرور وعلى انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته
عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز
الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر
بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته
الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث
على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشيء عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه مسوق لبيان ما ذكر
من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله على
المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين اي ارسلت لتنذر
قوما ما انذر آباؤهم اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية

احتياجهم الى الانذار او الذي انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا
لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم فهم غافلون
على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه
الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم على الوجه
على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى
لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من
قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في
العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول
قوله تعالى لابليس عند قوله لأغوينهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على
من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة
اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت
ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان
اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له
فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ذلك
من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على
ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث
لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين
عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان
من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف
لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله
تعالى بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك
اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء
او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي
انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي
الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته
ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان
عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر

بها على ما جبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم
بعد مماتهم ونحييهم احياء معنويا باخراجهم من الشرك الى الايمان فهو عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا
اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه
او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان
وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من
المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول
ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء
مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل
تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تع ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى
في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تع وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو
في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية
مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب
القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية
وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تع اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تع لتكميل التمثيل
وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي
قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان
المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان
تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا
من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب
وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني
انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال
من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت
لو سألت آلهتك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك ولها الشرف قال ليس لي عنك سر ان آلهتنا لا تبصر
ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر
الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية

من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال
الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل عم فهلكوا اهـ قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد
واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن آمن احد سوى حبيب النجار ولو ان الملك وقومه
آمنوا لكان الظاهر ان يحكى ذلك ويصدقوا الرسل ويساعدوهم ولم يقتلوا في ذلك وقتلوا النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه
اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتزلا بعزلة من الاعوان قالوا اي اهل انطاكية
الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي
المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تع وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تع وزادوا
اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي تبليغ رسالته تبليغا
ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء
نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبونه منا حتى تصدقونا بذلك قالوا انما
عليهم الجهل وعيث بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم
وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين
او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فنفروا
عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم
لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم
اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ
بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للتشؤم او مصححا
للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار
وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله عم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي غيره احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تع فلما بلغه خبره اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان
رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول النصيحة وقوله اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا
والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار
لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تع واليه ترجعون مبالغة في التهديد
ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تع ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف

سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء
على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه
النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز والجملة اني آمنت بربكم
خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا رجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار
صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم
الذي ارسلكم او الذي تدعونا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك
اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام
اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله
الى الجنة قاله الحسن وقتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل
له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة
وكذا قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال
عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثلها بالتوبة عن
الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم
في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا السعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة
يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول عم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا
ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم
بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك
وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اي ما
كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عم وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة
من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب
والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على
العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم المتحسرون
او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا عليهم من رحمة الله تعالى بطريق الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق

وما صح

وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا من
غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل الاشتمال وان
كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض
من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون
لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة
من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ
بالتشديد قوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها
والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض
الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة للآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر الآية و
وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة
هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون
التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
على رأي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي جعلنا فيها ذلك
ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بل والاعناب والضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة
لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ
منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد
الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من حذفه من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح
لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون
سبحان الذي خلق الازواج كلها استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام
ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك
وحالاتهم هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح
سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد
الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا
فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك
وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت

الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكور والاناث
ومما لا يعلمون اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من
مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على
عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ موخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال
تعليقه بجلده يقال سلخت الاهاب من الشاة وبالعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام
مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها
في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها
ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها
عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان
لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي
ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له منازل
وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم
البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون
كالشمراخ المعوج فعلول من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق
وهو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها اي يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر في سرعة السير فان ذلك يخل
بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره
وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد لها ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته و
لكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق
مكان الادراك لانه الملايم لسرعة سيره وكل وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه والضمير للشمس و
القمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى
الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم
الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لانهن مزارعها و
تخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملوء
وقيل فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص الذرية بالذكر دونهم لانه
ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها
سفاين البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد

كون

كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لزيادة اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا و
وحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير
شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم
ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ اعتراض في خلال
الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك كانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم
اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اي
ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة
اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيعنا بالحيوة مترتب عليهما
ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين
اي الى زمان قدرت فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم
عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق
الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره
من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقايع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء
ونوايب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون حال من واو اتقوا
او غاية له اي راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب
اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا اطلق الانذار
بالآية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بالطريق
الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن
الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم
لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل
اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله تعالى وسوابغ الآية الموجبة للاقبال
عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة
للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول
الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا
عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان
الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله
المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال
من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي
اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن

كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم
الله من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة
للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم
عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط
جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث
تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله عم وللمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات
ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون
الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم مفاجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم
شيء من مخايلها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها واصل
يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع
وبفتح الخاء بنقل حركة التاء اليه وقرئ بها مع الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان
لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما
بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور
هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث
اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار
لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا
من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما
وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه و
ابي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا
من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب
يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد
اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مرقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن
سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث
كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه
حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل عم فيجيبون به انفسهم او بعضهم
بعضا وقيل هو صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عم

في الصور

في الصور فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما
عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب
للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون
العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ
زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة و
في هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء
ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد
ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ
التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله
او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص
في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان
انه من جملة اشتغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو
خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم مستقرون في شغل اي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم
مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع
للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل
بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين
على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق
لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة
على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدما عليه لمراعاة الفواصل او هو
والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون
وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالنصب على الحال من المستكن
في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال
او هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده
قراءة ظلل والارائك جمع اريكة وهو السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون
عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية
والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة
اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن كل
عظيم الشأن معين او مبهم ابتداء بانه يحصل بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به رمزا لزيادة التقرير بالتخصيص بعد التنويع
كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره

وجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بالعطف ما يدعون على فاكهة ليدل على كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتمتها
في التلذذ ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وربما
نفيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا اشتوى
واجتمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي قاله
الزجاج فهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاشتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل
ولعصره القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التفسير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف
قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال
لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بغيرها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التفسير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد
السلف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبر والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعونه سالم لهم خالص
لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا
مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره
الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا
وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن
لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتحمل لتشاكل يصح عطفه عليه بل على عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية
عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك
لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان
كونهم في شغل عظيم وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون
الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا من كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل
من ان المضمر فليمتازوا فيجعل مدار الكلام المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال الرضية حتى يتسنى
الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي
نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة
الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة
الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخلالا بالنظم الكريم عن جزالته الم اعهد اليكم يا بني آدم ان
لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر ... بقوله تعالى اصلوها
اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي
التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين وغير ذلك من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم
واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد
بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة

بين الامر بالامتياز

عبادته عز وجل وقرئ اِعهد بكسر الهمزة واعهِد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واعد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا على ان ان
فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان
وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم
كأنه اشارة الى عبادته تعالى التي هي صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
واللام في قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع
ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية
بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم
والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون
والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي والله
لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل
ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لاضلاله لهم او فلم تكونوا
تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون
استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدون بها على
السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك
انت الخ اي ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على
افواههم اي نمنعها من الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم
الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية
وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون روي انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم و
واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة
اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار
المعاصي عليها وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ
ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول
المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان
المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام
كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى

الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الآن المكانة اخص كالمقامة و
المقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه لمراعاة الفاصلة قال ابن عباس رضه قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها والمعنى مساق الشرطيتين المجرد ببيان قدرته على ما ذكر من
عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار ما امثالهم احقاء
بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية
الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها
ولكنا لم نشاء جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه
على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة
شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس
افلا يعقلون اي أيرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم
تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه
عم من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال
مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر
المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه
عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتاتى له لو طلبه اي جعلناه
بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله
عم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات
الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ان هو اي ما القرآن الا
ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي
بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عم ويؤيده القراءة بالتاء لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من
الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان حيوة الابدية بالايمان
وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي تجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم
بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة
للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي ألم يتفكروا او ألم يلاحظوا ولم
يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به
انعاما مفعول خلقنا وتأخيره عن الجار والمجرور مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم متضمنا

كون

لكون المؤخر امرا خطيرا كما في النظم الكريم فان كلا من الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور
الخطيرة مما يزيد النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الآيات الثلث
اي تمليكنا اياها لهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية
لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون
على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تأسيسا للنعمة عليها لا تتمة لما
قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الزاج صبيا يطوع به قوله تعالى فمنها ركوبهم اي
فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل
لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم
ومنها يأكلون اي بعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود
والاصواف والاوبار وغيرها ومنافعه بالنيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة
النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اي متجاوزين
الله الذي شاهدوا انفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بتلك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام
واشركوها به في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى
لا يستطيعون نصرهم استيناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على
نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لآلهتهم جند محضرون يتبعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم
وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما
قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما
رتبوه رجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث التسلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك والنهي
وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله عم ونهي له عم عن التأثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى
المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن حضوره لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه
ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية
وغير ذلك مما يورث حزنه وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن منقولا من حزن اللازم وقوله تعالى انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم
للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخفية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية
لرسول الله عم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه
اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى وفي جو الملك لا يختلف حاله بين الاشياء البارزة
والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب
قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل

سنواجده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من
انه تسلية ثانية لرسول الله عم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف
على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه
من نطفة الخ او هي عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب كما ان المنكر هناك
عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه
اهم واحاطته بها اسهل واكمل فكان الانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقنا للاسباب
معايشهم ولم يعلموا خلقنا لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على ان المنكر الاول بعيد قبيح
والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون العطف لجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان
تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور وايراد الانسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية
داخل في حيز الانكار والتعجيب كأنه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر
يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها
روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك
فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله تعالى يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه
ولأخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر
على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات
شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار واما على التفسير
الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة
في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها
وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على
قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف
على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية ضربه للمثل كأنه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا له اشد
النكير مؤكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى
للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة علم العقول ببطلان الانكار
ووضوح المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد
استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما نبه عليه
من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث
الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة
من اثبت للعظام حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء

العظام

العظام رده الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال
وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة
على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة
المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق
فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما
في كيفية الدلالة اي جعل لاجلكم ومنفعتكم نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما
عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء بالنظر الى المعنى
وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فتنقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من الشجر
الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى
وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي
امر عم بان يخاطبهم بذلك والزامهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أليس الذي انشأها
اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق
الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته
تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة
الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق
والعلم كيفا وكما انما امره اي شأنه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث
من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الآمر المطاع للمطيع في سرعة حصول المأمور
من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له
تعالى عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى والفاء للاشارة الى ان ما فصل من
شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء
والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه
ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي
في فضائل سورة يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله عم ان لكل شيء قلبا
وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما
مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة

بشرها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء
حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس
الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها
المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلوة وقيل اجنحتها في الهوا فالزاجرات
زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه
يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما
سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا
فمفعول للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عم وغيرها من التسبيح
والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات
ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على
العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل
بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل
المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات
الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في
مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو للمعارك
طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف والدلالة على الترتب في الفضل
او غيره كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله . يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب . فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة
[illegible] وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات
كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل التاليات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال
ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التاكيد بالقسم [illegible]
من البرهان القاطع اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فانه [illegible]
على هذا الحق البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما [illegible]
آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما [illegible]
ومربيها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها
وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب في مغرب
منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما

انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به
لا المصدر فان الكواكب بانفسها وباوضاع بعضها مع بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة
مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل
بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها
واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو
للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز
الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على
زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة
يرمى به الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل هو معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب
كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ
مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب
ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى والا له للتخويف على ان
يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذف
ان واهدر عملها كما في قول من قال . الا ايهذا الزاجري احضر الوغى . لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده
فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى
الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتبة وعنه اشراف الملائكة وهم اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون
بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا
علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ
دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب
واصب اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا
لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلها اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب
مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم
او يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم بذلك لطمعهم في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر
مشركي مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء
والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه
بعد ذلك للاسماء قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم
وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم
والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم البعث

ويسخرون من تعجبك ومن تقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم
يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا اي ودأبهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به
لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر بها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ءانا لمبعوثون اي انبعث لا نفسه لان ما بعد [illegible] لكفى في الدلالة
وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ءانا للمبالغة والتشديد
في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة
الاولى وبطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا
مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى
ما اشركنا ولا آباؤنا والمعنى ايبعث آباؤنا ايضا على زيادة الاستبعاد بناء على تقادم زمانهم وبعد العهد عن عصرهم وقرئ او آباؤنا قل
تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم
مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره
او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي او لا تستصعبوه فانما هي
لها والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها فاذا هم ينظرون قائمون ينظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل
لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في
الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء
او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله تعالى للملائكة او من بعضهم لبعض
بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم من العصاة
عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم
اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل هو عام
مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين
اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما امروا به
من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس
للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل
الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون

في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع
عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم
مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم
مستسلم غير منتصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل
بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل
كيف يتساءلون فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء انكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه
وامتنها او عن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف
الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق
للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه
وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق
علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون
اي العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم
الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا
في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك
اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه
التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول
ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما
جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته انكم بما ظلمتم
من الاشراك وتكذيب الرسل عليهم السلام والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم
وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون
الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير
ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا
وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا
مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بشمول الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه بمعزل من الاقتضاء
فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين للتوحيد ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم
للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عما عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم
اما خبر له وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة
الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه بمعنى المبتدأ
وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت

كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت
لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل ان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون
في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي جنات
ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل
الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استيناف او في
احد الحالين ويجوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او خمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قوله
حال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمحذوف هو صفة للكاس اي كائنة من شراب
معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به خمر
الجنة لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا
للكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ
كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا
واهلكه ومنه الغول ولاهم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله
نزف فمات اذا فقد دمه كله افرده بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من عظم فساده كانه جنس براسه والغول
نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولاهم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاي من انزف
الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان
الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب
قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما
جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف
محاورتهم اني كان لي في الدنيا قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق
بالبعث ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء والمسوس يقال دانه اي ساسه ومنه
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل يتصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به
ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك
شيئا فيكون التخصيص لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما لتاكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل
بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه
فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم اي في
وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع
المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم

الاطلاع فقبلوا اما هو فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دأب
الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا
لقرينه تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من الثقيلة
الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك وقوله تعالى افما نحن
بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله لهم من الفضل العظيم والنعيم
المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما
في القبر بعد الاحياء للسؤال فانه تصديق لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة
اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن
بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل وهو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوا
من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ
السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله
اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل
فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر
ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج
مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر
كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة اي من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون
منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها
على الشجرة التي ملؤا منها بطونهم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم
ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم شرابا من غساق او صديد مشوبا بالحميم يقطع
امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقرئ لذلك لالى الجحيم اي الى دركاتها

اولي نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملؤوا ثم يسقون من الحميم
ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد
الآباء اي الذين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة
فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك
قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين
اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء
بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما انهم لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا
له راسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا
فظيعا استثني عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل الصالح بموجب
الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال
بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم
للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عم ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم
محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعدما دعاهم اليه احقابا ودهورا
فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه
والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين حيث
اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير ابنائه وازواجهم اوهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عم وكان
له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث
ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية
كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي
فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها
ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عم من
التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجليل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر
من زمرة المحسنين وقيل بالاحسان الآخرين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى
ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عم وما فيه من البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته
وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء
ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة
قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه

في اصول الدين لابراهيم وان اختلف فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه
وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عم وكان
بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى
المشايعة بقلب سليم اي من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه
اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف
لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك
فقدم المفعول له على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسره بقوله تعالى آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة
او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة
لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعدما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة
في النجوم قيل كانت له عم حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي في تلك الساعة فاذا هي
قد حضرت فقال اني سقيم وكان في ذلك صادقا فجعله عذرا في تخلفه من عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب
لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عم ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به
الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم
وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معبدهم وتركوه في بيت
الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية
واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه
ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه
بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ
عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك ان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تستدعي
قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة
وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم بعدما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة
فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عم فعله فقيل ائتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام
وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عم قال اي بعدما اتوا به عم وجرى بينهم وبينه من المحاورات ما نطق به
قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون
ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ
اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه

بإقداره تعالى إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب وما تعملون إما عبارة عن الأصنام فوضعه
موضع ضمير ما تنحتون للإيذان بأن مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر أحوالهم أيضا من الصور والمادة والهيئة
والقدرة ونحوها وإما على عمومه فيندرج الأصنام اندراجا أوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه
وقيل ما مصدرية أي عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى
بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم أي في النار الشديدة الاتقاد في الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف إليه
أي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم في سورة الأنبياء فأرادوا به كيدا فإنه لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا
قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الأسفلين الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل
النار عليه بردا وسلاما وقال إني ذاهب إلى ربي أي مهاجر إلى حيث أمرني ربي كما قال إني مهاجر إلى ربي وهو
الشام أو إلى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين أي إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي وبت القول لسبق وعده أو
لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل
ولذلك أتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين أي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة
يعني الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيدا بالأخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون
نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فإنه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه
غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني إن شاء الله تعالى من الصابرين وقيل ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه
عليهما السلام نعتهما به وحالهما المحكية بعد أعدل شاهد بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف
تعويلا على شهادة الحال وإيذانا بعدم الحاجة إلى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى
فلما رأينه أكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده أي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه
ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا به لأن صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لأن بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من
فقيل معه وتخصيصه لأن الأب أكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل أوانه أو لأنه استوهبه لذلك وكان
له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال أي إبراهيم عليه السلام يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك أي أرى هذه الصورة بعينها
أو ما هو عبارته وتأويله وقيل إنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما
أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك
فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين
بشرته بغلام حليم قال إذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك والأظهر الأشهر أن المخاطب
إسماعيل عليه السلام إذ هو الذي وهب إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله
عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا إن سهل الله
له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية
مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في أيام ابن الزبير ولم يكن إسحق ثمة ولأن
بشارة إسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الأمر بذبحه مراهقا وما روي أنه عليه السلام سئل أي النسب أشرف
فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله فالصحيح أنه عليه السلام قال يوسف بن يعقوب

بن إسحق بن إبراهيم والزوائد من الراوي وما روي من أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ إني بفتح الياء فيهما
فانظر ماذا ترى من الرأي وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه
إن سلم وليوطن نفسه عليه ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا
أبت افعل ما تؤمر أي ما تؤمر به فحذف الجار أولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد إلى الموصول بعد انقلابه منصوبا بإيصاله
إلى الفعل أو فافعل ما دهمته أو فافعل أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع
للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه إليه مستمر إلى حين الامتثال به ستجدني إن شاء الله من الصابرين على الذبح أو على قضاء
الله تعالى فلما أسلما أي استسلما لأمر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لأمر الله تعالى وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد
قرئ بهن جميعا وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم
منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له وعن قتادة في أسلما
أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوضع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه
بإشارة منه كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف
على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب
مقدماته وقد روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك
وقع النداء وجواب لما محذوف إيذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق
البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله وإظهار
فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج
تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل
إن هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها وفديناه
بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم أي عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لأنه يفدى به الله تعالى نبيا ابن نبي وأي نبي من نسله سيد المرسلين
وقيل كان كبشا من الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل الله منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل
وقيل فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وروي أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت
سنة في الرمي وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي أنه لما ذبحه قال جبرائيل عليه السلام
الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في
الحقيقة هو إبراهيم وإنما قيل وفديناه لأنه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد وتركنا عليه في الآخرين
سلام على إبراهيم قد سلف بيانه في قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين ذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل
فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بإنا للاكتفاء بما مر آنفا إنه من عبادنا المؤمنين الراسخين
في الإيمان على وجه الإيقان والاطمئنان وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين أي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار
وقعا حالين ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة فإن وجود ذي الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة تعلق الفعل به
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة إلى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود إسحق أي بأن يوجد إسحق نبيا
من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فإن الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول
وإسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام بإسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد

البنوة تعظيم لشأنه وايذانا الى انه لا غاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفضل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى
اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عم او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا و
من ذريتهما محسن في عمله او نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه
وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا
على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم
هو تملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بانواع العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق ونصرناهم
لانه لم يكن عليهم كربا ... ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة
لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب هذا
النتيجة وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخلص
عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان
حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب
المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل
الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا
فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا
عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون
اخي موسى عم بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ابليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال
لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام
وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه
اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي تتركون عبادته وقد اشير
الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين
وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا
فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اي في العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرينة على ان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين هو لغة
في الياس كسيناء وسينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام
وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان ذلك شاهد
على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار
... فان سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم

مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق من مقام الظفر روي انه عم لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت
فقالوا هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى نفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم
اي داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من
المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقيل من المصلين فانه عم كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث
على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه با
المكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ولم
يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف
في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقم فيه روي انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما
ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون
على انها الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل
هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة
وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى
والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت
هربه الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عم وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت
حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما تم تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال
كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون
اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فآمنوا اي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الى حين قدره الله لهم قيل ولعله عم
ختم بهذه القصة وقصة لوط ما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل اكتفاء بالتسليم الشامل
لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله عم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم
في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عنده
من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه
تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى
واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عم هنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء على وجه اخر منكر خارج عن العقول
بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزايغ حيث انهم كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة
وخزاعة وبني مليح الملئكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق

عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما تضمنه كونهم المذكورين الكسر مع
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كونهم المنطوي على جعلهم اولادا بين وهو نسبة الولد اليه سبحانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك
التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك استفتهم الربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما
فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء
السابق الى التبكيت بهذا لما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل
الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله
تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها
بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل
خلقنا اي بل خلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون ح او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد
ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون
في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان
الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم
فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله من الامن ولد الله ضعيف ونقدم العقول
اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ مالكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون
بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه
فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتطليبهم ما لا يدخل
تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد
له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها
وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم
وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكي
جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان
ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شانهم
فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة
ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين
يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا
وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان

واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات
الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذا الاقاويل
يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين
له تعالى او شركاء له في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله تعالى سبحان الله عما يصفون حكاية
لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله
المخلصين شهادة منهم براءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على
ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا
سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما
انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب
لاظهار كمال العناية بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عن عبادتهم
كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان
على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم
الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم
فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم براء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم
اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين
لحيزهم في موقف العبودية بعدما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين
عنه واظهار لقصور شانهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله تعالى مقصور
عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وروي
انه قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع
جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون المقدسون
لله تعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط
هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة وانحاء وجوه اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا
ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشان كانت قريش تقول
لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار
وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق
وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم
في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا لالتقاء الساكنين كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث
لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة
وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي يعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره
وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل
عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى
والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين
السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها
والذكر الشرف والنباهة كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من
الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع
والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به
حقيقا بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه
بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم
هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى
بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة
ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله عليه السلام ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه
الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي
الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون فنادوا عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا
من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس
الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث
للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت
عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص
حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج
لات اوان تشبيها باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعاقبة وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف
من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات
بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة
على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية
لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة
الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا

ذلك شوب من ابتلاء المحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا تضمين
سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وانقطاع بكلك حل بهم
من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور
وسوف للوعيد دون التبعيد أفبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل
بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله عليه السلام يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول
من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار
من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا
روي انه عليه السلام لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال
عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تسلية لرسول الله عليه السلام اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان
بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد
بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه
عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها
ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله عليه السلام كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية
والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك
ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه
استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان
بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه تعالى
بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي
من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف
النعم الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين
على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم
ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم
عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من
مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله عليه السلام من قرأ والصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضباً عليهم وايذاناً بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولون الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله من الارسال والانزال اجعل الآلهة الهاً واحداً بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما اتفقوا عليه آباؤهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابراً عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيباً بل محالاً واما جعل الحجة علمهم وقدرتهم علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علماً وقدرة ومدخلاً في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجّاب بالتشديد وهو ابلغ ككُرّام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله عن رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالاً من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائناً في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكراً منزلاً من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته

وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه به ما لا يخفى وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئاً ما وقيل للتعظيم على الهزؤ وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب ذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده واستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتاداً ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجهين وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه اي ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعاً لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب منهم الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع واياما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدأ اي ما كل احد منهم محكوماً عليه بحكم الا محكوماً عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبراً عنه بخبر الا مخبراً عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولاً والايذان بان كلا منهم حزب على رسوله ثانياً وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستئنافية ثالثاً فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اي ان كل منهم والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ او خبر و

والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فلذلك وأما ما قيل من أنه خبر والمبتدأ قوله
وعاد الخ أو قوله الخ وقوم لوط فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة
إثر بيان أخذ إخوانهم من الأحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع
وترقبه إلى بيانه قطعا وفي الإشارة إليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر
أو حضورهم في علم الله تعالى فليس في حيز الاحتمال أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب
على أعماله نتائجها بعد وقد بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة ولم يبق مما أريد بيانه من عقوبتهم أمر منتظر وإنما الذي في صدد
الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم الموجبة لأشد العقوبات في مثل ما ارتكب الأحزاب أو أشد منه ولما
يلاقوا بعد شيئا من غوائلها أي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب
إلا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم برها وفاجرها
بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم
بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلا لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها
إلا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا إليها بل يحل بهم من حين موتهم
ما لها من فواق أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق
الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة
والقط القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة
أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير
دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون
من أمثال هذه المقالات الباطلة واذكر عبدنا داود أي قصته تهويلا للمعصية في أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح
ما اجترؤوا عليه من المعاصي فإنه عليه السلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما أتى بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه
الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب
ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته عليه السلام
وصن نفسك أن تزل فيما طلبت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الأيد أي ذا القوة يقال
فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد
ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل إنا سخرنا الجبال معه استئناف
مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما مر في سورة الأنبياء من أن
تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء
به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أوفق بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء يسبحن أي يقدسن الله عز
وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع
مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير بالعشي والإشراق أي ووقت

الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية والطير
عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح
جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له أواب
استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح
ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب
الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أي كل من داود والجبال والطير
لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه أي قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان
يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحي إليه في المنام أن اقتل
المدعى عليه فتأنى فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت
أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب
وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب
أي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه
مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار ونحوها وإنما سمي به أما بعد لأنه
يفصل المقصود عما سيق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إطناب ممل كما
جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل أتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق
إلى استماع ما في حيزه للإيذان بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الأصل مصدر
ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعناه خصمان فريقان إذ تسوروا المحراب أي تصعدوا سوره
ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أي نبأ تحاكم
الخصم إذ تسوروا أو بالنبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن إسناد الإتيان إليه على حذف المضاف
أي قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لأن إتيانه الرسول عليه السلام لم يكن حينئذ وقوله تعالى إذ دخلوا
على داود بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا ففزع منهم روي أنه تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين قيل هما
جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما
من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة
والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية فزعه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا إزالة لفزعه لا تخف
خصمان أي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد
التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط
ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا إلى سواء الصراط إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما
سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل إن هذا أخي استئناف لبيان ما فيه الخصومة أي أخي في الدين أو في الصحبة

والتعريض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل مع صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال
اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في
مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا
اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب
كأنه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار
فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه
على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء
اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة
بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار
للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به دون غيره بتوجيه القصر
المستفاد من كلمة انما الى الفعل بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله
ثم بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية
الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل
من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة
فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا
وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور
بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته ومن ترك المجاهرة
والاستتار بانه او يستحيي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه الى التصريح بنسبته نفسه الى الظلم وتنبيهه على
ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا
لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اي مصليا كأنه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله بالتوبة واصل
القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته
فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع
مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة
ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا
تزوجها بل خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا وما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه و

بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطار
فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة
البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله
فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع
ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله
له فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة
لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه
دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له
ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة
بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به
مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين
له يا داود اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك
من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط فاحكم بين الناس
بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور
الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء
الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى
ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله يوم الحساب اما مفعول لنسوا
فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته لما يستتبعه وسيلته
اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم
اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله
فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعور به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام
البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين
والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار
ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية

ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بيّنا
فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك
اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم
قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب
ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار
لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر
البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية
بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه
عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين
لكن ذلك جعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى
ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق
الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين
مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار
التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب
خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ
او صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك
الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات
المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ لتدبروا على الخطاب
اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة
الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه
مفعولا صريحا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع للتعليل للمدح وهو من حاله لان الضمير
المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر
الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا يكاد يتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد
جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا ركضت كانت سراعا
خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه

من العمالقة

من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه
حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها
تقربا الى الله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهو الريح تجري بامره فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه
وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه
عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب
الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها
خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقرئ اني بفتح الياء حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله
احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى
توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل
الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من
تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان
فقيل قال ردوها علي والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي
بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا
بها وليس بذاك وقرئ بالسؤق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا للضمة السابقة منزلتها على الواو
وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان
يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله تعالى وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان
لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها
كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليها
تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها
خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة
قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى
السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر
آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها
فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص

وتخرقه في الجو وعلى هذا فالجسد عبارة عن جسم سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال
اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا ح وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما
صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عم لما نشأ
في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد
من بعدي لعظمته لا ان يعطي مثله فيكون منافسة فقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطي مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه وتقديم
الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين وجريا على سنن الانبياء عم والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة
وقرئ لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط لان المغفرة ايضا من احكام
وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عم الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري
بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب
اي حيث قصد واراد حكي الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ في الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه فصل الشياطين
الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفهم عن
الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد يجوز ان يكون الاقران في
الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شأن
ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما في
خاتمة قصة داود عم اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك
عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي
غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب
لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق
والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن
سليمان عم بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه
ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان
فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاء بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى
بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه
عم مع صاحبتها ما ذكر الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على
اذكر عبدنا داود وعدم تصديره بقصة سليمان عم بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عم وايوب هو
ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني اي باني مسني الشيطان
بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل
وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو
حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه وانما اسنده الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته

كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثة مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره
فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب
ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك
بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عم بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفي
ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك اما حكاية لما قيل له
او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد
وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان
حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه
القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم
وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل
رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا
الى الله تعالى فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا
بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد
الصحة فان امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عم ذهبت لحاجة
فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس
رضه قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله
سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من
المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال و
ليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في
الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره
الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري
ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه
نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل للمدح اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف على
اذكر عبدنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان
عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين
او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مبادئها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد
بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية
وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة جليلة الشأن لا شوب فيها هي ذكرى الدار بيان
للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح

افطارهم في كل ما يأتون وما يذرون بجوار الله عز وجل والفوز بلقائه والاستبشار ذلك في الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم
في اختيارها ويعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية وانما الدنيا معبر وقرئ بإضافة خالصة إلى
ذكرى أي بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر أصلا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا
كما هو شأن الأنبياء عم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين
الأخيار لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير والأخيار جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير مخفف عنه كأموات
في جمع ميت وميت واذكر إسمعيل فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو
ابن أخطوب بن العجوز استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ واللام فيه تعريف دخل على يسع كما في قول من قال
رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن أصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل على القراءتين علم أعجمي دخل
عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه وقيل فر إليه مائة نبي
من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل أي وكلهم من
الأخيار المشهورين بالخيرية هذا إشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر شرف لهم وذكر جميل
يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء وعن ابن عباس رضه هذا ذكر من مضى من الأنبياء
وقوله تعالى وإن للمتقين لحسن مآب شروع في بيان أجرهم في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب
آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين إما هم أو هم داخلون في الحكم دخولا أوليا وأما المتقين المذكورين
عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القصوى من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
عند من يجوز مخالفتهما تعريفا وتنكيرا فإن عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح أو
نعت مفتحة لهم الأبواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفعة
باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين أي الأبواب منها أو الألف واللام
القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين إذ الأصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران لمحذوف أي هي جنات
عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف
لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف أي على أزواجهن لا ينظرن
إلى غيرهم أتراب لدات لهم فإن التحاب بين الأقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية سميت أترابا لأن التراب مسهن في
وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب أي لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله
اليوم بمقام الامتنان والتكريم إن هذا أي ما ذكر من ألوان النعم والكرامات لرزقنا أي أعطيناكموه ما له من نفاد
انقطاع أبدا هذا أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا وقوله تعالى وإن للطاغين لشر مآب شروع في بيان أضدادهم
السابق جهنم إعرابه كما سلف يصلونها أي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه أي ليذوقوا هذا
فليذوقوه لقوله تعالى فإياي فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض
وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين إذا
دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب

ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من
شكله ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ وأخرى أي ومذوقات
أخر أو أنواع عذاب أخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع إلى الغساق أزواج
أي أجناس وهو خبر لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج
مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر و
الضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة
بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أي مقولا أو مقولا في حقهم لا مرحبا بهم أي لا أتيتم رحبا أو لا رحبتم
الدار مرحبا إنهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم
إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتشفيا من مصاحبتهم
وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الأتباع قالوا أي الأتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم
للرؤساء في قولهم بل أنتم لا مرحبا بكم بناء على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الأول فلعلهم إنما خاطبوهم مع أن
الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم قصدا منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء و
التحاكم إلى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أي بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله
تعالى أنتم قدمتموه لنا تعليل لأحقيتهم بذلك أي أنتم قدمتم العذاب أو الصلي أو قدمتموه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد
الزائغة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغوائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا فبئس القرار
أي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا أي الأتباع أيضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من
التباين البين ذاتا وخطابا أي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين إلى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي عذابا مضاعفا أي ذا ضعف وذلك
بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والأفاعي و
وقالوا أي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم أتخذناهم سخريا بهمزة الاستفهام سقطت لأجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها
من الإعراب قالوه إنكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم أم زاغت عنهم الأبصار متصل بقوله
بأتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وأن أبصارنا كانت
تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخا لها أو على أنها منقطعة والمعنى أتخذناهم سخريا بل
أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الإضراب
والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله
تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز
أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين إن ذلك أي الذي حكي من أحوالهم لحق لا بد
من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم أهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الإبهام أولا والتبيين ثانيا
تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل
من أنه صفة له فقد قيل عليه أن اسم الإشارة لا يوصف إلا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام

ان اجل قل امر رسول الله صلعم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تع انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد الذي
لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم
ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت
من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والقوة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية
مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا هو اي ما انبأتكم
به من اني منذر من جهته تع وانه تعالى لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل
دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رضه ومجاهد وقتادة رضه نبأ عظيم وارد من جهته تع وقوله تع
انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا
للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تع وما كان لي من علم بالملأ الاعلى اه استيناف مسوق
لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تع بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به والا ما يسره بسبب الملابسة
المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تع وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ
الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تع اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد
نفي علمه عم بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم
وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عم غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا
من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تع ان
يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال الاختصام وتفصيله لتقرير ثبوت علمه عم وتعيين سببه الا ان
بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عم شيئا من مباديه المعهودة تعين انه
ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود
اخبار ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تع انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عم بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل
ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور
الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تع فان كونه عم كذلك من دواعي الوحي اليه ومن موجباته حتما
واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا الانذار او
ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار
في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط
بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تع اذ قال ربك للملائكة
شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول ولما كان تكليمه تع اياهم بواسطة الملك
صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام
بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عم لتشريفه عم والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عم والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه
وحيا منزلا من عنده تع كما في قوله تع قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل
في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تع فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف

يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم
الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه
من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت
اجزاءه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمه
نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه
ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي فقعوا له
ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون
اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا
وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي
في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح
او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في
سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل
لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او منقطع وقوله تع استكبر على الاول استيناف
مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني
يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان
منهم في علم الله تع قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية
لابراز كمال الاعتناء بخلقه عم المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل
منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تع قال انا خير منه ادعاء منه لشيء
مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون وقوله تع خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عم ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل
بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تع لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تع ونفخت فيه
من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في
الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها
بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عم كان
بعد هذا الطرد وقد بين كيفيتها في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي انت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى
خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا وقوله تع فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي
مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة
وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تع وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تع وانهم يدعون
عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي
انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى

يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل اي لا يجري بالي فوله فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
وقوله تعالى فلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرني اي امهلني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني
رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره
وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما
سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به
وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم
من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين أخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم
الذي قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار
بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال • فان ترحموا فانتم لذاك اهل • فانه لا امكان لجعل الفاء
فيه لربط ما فيه من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التعرض
في سورة الاعراف لما ترك التوقيت والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك
ان لكل وجه من وجوه النظم الكريم لابد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام آخر وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه
لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال البالغ
الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فبمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد
حققه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون
الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته
وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر
اي فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم
الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اي
الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه
مفعول لما بعده وقدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لأملأن جهنم على ان الحق
اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لأملأن الخ جواب لقسم محذوف
اي والله لأملأن جهنم الخ وقوله تعالى والحق اقول على الوجهين اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى
الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه
لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق
اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم
ونصب الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم اي من ذرية
آدم اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لأملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم
لأملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فقط فليس في ذلك شائبة جبر فتدبر قل ما اسألكم

عليه اي على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله
حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه
اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند
ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغيرة او كبيرة والله تعالى اعلم

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم الاشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف
الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل
او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر
لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان
ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض
لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء
جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شان المنزل اليه وما يجب
عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد من الكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيم
ومزيد الاعتناء بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه
للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا
بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة
على انزال الكتب اليه بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين عن شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل
اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف
وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له
تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة له
لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق
لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول
عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملائكة وعيسى والاصنام
وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوصه
والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله
تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا ان الله يحكم بينهم اي وبين
خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين
احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين

جميعاً فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك
ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة
عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر يعول على دلالة السياق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون
اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة
شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة
يختلف فيها الفريقان اختلافاً محوجاً الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين
الباقي الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ
ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعاً للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق [النجاة]
عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر
من حكمه لو اراد الله ان يتخذ ولداً استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجاً اولياً اي لو اراد الله
ان يتخذ ولداً لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلق ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا
وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ
والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولداً فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع
الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيهاً على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه اي
لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلاً بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يلزم
من فرض وقوعه انتفاؤه فهو ممتنع قطعاً فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولداً لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق
الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما
ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان
السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحاً لائقاً به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحاً
حقيقاً بشأنه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية
الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقناً وكذا وصف القهارية
لما ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء
قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات
والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات
ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى
فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر
كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً
تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري

لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر
على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما
في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وعموم المنفعة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك العطف للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم
السفلي والبداءة بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان
الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي
من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت
ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى استمر امثالها حتى صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن
معتادة خارجة عن قياس الاولى كما ينبئ عنه التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت
على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل
اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم
تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه تعالى
توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب
من الانعام ثمانية ازواج ذكراً وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول
الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة
الى المنزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطوار خلقهم الدالة على القدرة الباهرة
وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقاً من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقاً كائناً من بعد خلق اي خلقاً
مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة
في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة
اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشأن
الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له
الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله لا اله الا هو
والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى
مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها
ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي
فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم و
دفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة
الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة
وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلاً اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي
يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة

واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخا لعلمه بانه بمعزل من القدرة
على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من
جنابه تعالى من التخويل وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار
اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى الى كشفه من قبل اي من قبل
التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون
ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرف من هو كما مر في قوله تعالى [illegible]
وجعل لله اندادا اي شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح اليا اي ليزداد
ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما
اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله
تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام
وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة
فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة
قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به أانت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم
بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك
ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى
العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استيناف وقع جوابا
عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه
فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير
الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط كدابك واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف
الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك
كما هو اللائح على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق
الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون اي ما ذكر او الذين لا يعلمون فيعملون بمقتضى جهلهم
وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر
من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون
والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المامور
وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم
في قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة
اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا
ربكم امر لرسول الله عم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيجيء
به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتنا بشان المامور به فان نقل عين

امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان
في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي
عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله عم حين سئل عن الاحسان بقوله عم
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل متعلق بحسنة
على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فلا بد ح من تفسير الحسنة بالصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر
على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط
اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المامور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة
في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقها
لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا
من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين اي من كل ما ينافيه من الشرك والريا وغير ذلك امر رسول الله عم ببيان ما امر به
من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا
لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اي امرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة
كما في اردت لان افعل بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل
زماني او من قومي او ان اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه قل اني اخاف ان عصيت ربي
بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ووصفه بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال
قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عم اولا ببيان كونه مامورا
بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على
ابلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم
ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به
كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه
الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون النار حيث
عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وقيل [illegible]
ذهاب ما لو آب لا ينتفع به الخاسرون وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين

لهم اسفل في الجحيم ... الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فخلس المراد ... الظالمين في خسران بلا ذكر
بل بيان انهم ... عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو
من استئناف ... التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلته في الشر وتوسيط ضمير الفصل
... الدالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم
من فوقهم ظلل من النار الخ بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف
... انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل
كثيرة متراكمة ... من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين
... ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه
بآيات الوعيد ... يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف
والرحمة ... والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني
للمبالغة في المصدر ... الملكوت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد بها الشيطان ان يعبدوها
... عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله تعالى واقبلوا اليه
... البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون
... فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب
والانابة باعيانهم ... موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين
... يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار
... وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
... اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق ... واولئك
هم اولو الالباب اي ... العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية ...
... على ان الهداية ... افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ
من في النار ... وتستعجل عليهم ... الهداية ...
... كلمة العذاب ... حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه
... الكلام ... العذاب فانت تنقذه
... الهمزة ...
... موضع الضمير ... من في النار ... الانكار
... الاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده ...
... تكرير الهمزة ...
... الانكار ...
... من في النار ...

في جهنم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ... لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم
بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية ... المنازل المبنية المؤسسة
على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو
والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد ...
عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب
الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها ... نظائر قوله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا الآية ... على تحقيق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف ...
من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته ... والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض
فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى فسلكه ينابيع في الارض اي
...

عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا ينتفع بها ولا يعتني بها فويل للقاسية قلوبهم من
اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت قلوبهم
قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب
في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضه وابي لهب وولده وقيل
في عمار بن ياسر رضه وابي جهل وذريته الله نزل احسن الحديث هو القرآن الكريم روي ان رسول الله عم ملوا ملة فقالوا
له لو حدثتنا فنزل ذلك وعن ابن مسعود رضه وابن عباس رضه قالوا حدثنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة
عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد
على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل
من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المضاف
اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها
متشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب
الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني
من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية
بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن
سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائله والمعنى متشابها مثانيه
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان
آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد
اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال
اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل
والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده
اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره
ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما
في تضاعيفه من شواهد الحقية وكونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه
عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذله فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلالة وقيل ذلك الذي
ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه
واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه شيئا افمن يتقي بوجهه استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي
المهتدي والضال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر والخبر محذوف كما حذف في نظائره اي اكل الناس سواء فمن شأنه ان يقي
نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيمة لكون يده التي بها كان
يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل لهم في
الحال وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل

هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع الظاهر في مقام الضمير للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون
اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة
من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب
المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي
اي الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب
الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا
عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال
فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة
على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي اذكر لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها
هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة
يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي
هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه
والجملة في حيز النصب على انه وصف رجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك
فيه جماعة متجاذبون ويتنازعون فيه لما بينهم من المنافسة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما
اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وكل
مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل
سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي
له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم
بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول ونصب
مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله
اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين
لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين
على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى فانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى
بضرب المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى
بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس
وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله
عم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك
بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة

لما لحق من حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول
هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام
الجاري في شأن الكفر والايمان لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد
وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي عم اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير
تدبر فيه ولا تأمل اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وتعالى وسارعوا الى التكذيب
بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة ويدخل هؤلاء
في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله عم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عم وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك المتقون الموصوفون
بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف
اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان ما جاء به من القرآن
معجزة دالة على صدقه عم وقرئ وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب
بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في
الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك
الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة قوله تعالى ليكفر
الله عنهم اسوأ الذي عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه
غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما يثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا
بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله
من قوله تعالى لهم غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال
المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة
الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من قبيل اضافة الشيء الى بعضه للقصد
الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين خاصة
كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان فلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر
الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان خفت واستصغار حسناتهم وان جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف
اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء
على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لا
يمكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة
الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده
انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر على ان يتفوه بعدمها احد
او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله عم او الجنس المنتظم له عم انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده

وفسره بالانبياء عم وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة
المبالغة فيها واما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذا تسلية لرسول الله عم كما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ويصيبك
معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى
والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من
هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفضله ولا معارض كما ينطق
به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
الدليل وسنوح السبيل قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني
ذلك الضر او ارادني برحمة اي بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عم للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان
ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عم لما سألهم
سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار
هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد
والاشعار بان حاله لا تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عم وقد اخزاهم الله تعالى واذاقهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق
حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل
عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي
بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد
منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها
عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الآخر لآيات
عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية
كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والاخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم
وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم
عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اي

اتخذوهم شفعاء، أو لو كانوا لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى أو هي للإنكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما جعلوا ليس من أهل
الشفاعة لا أنه في كون الأوثان شفعاء، وذلك الخطه للمحالات في المقترح غير ما قدروا ولا دعي أي نفذر بمان فالوا والعطف
على شرطية قد حذف لدلالة المذكورة عليها أي يشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون إلخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور
عليه وتحت تحقيقه سر أقل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا أي هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة إلا أن يكون
المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقودان هنا وقوله تعالى له ملك السموات والأرض تقرير له وتأكيد أي له ملكها
وما فيها من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون إذنه ورضاه ثم إليه ترجعون يوم القيامة لا إلى أحد
سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفصل يومئذ ما بينهم وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة أي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا وإذا ذكر
الذين من دونه فرادى أو مع ذكر الله تعالى إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان
حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فإن الاستبشار هو أن يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز
أن يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه والعامل في إذا الأولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في إذا المفاجأة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة
أي التجئ إلى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فإنه القادر على الأشياء
بجملتها والعالم بالأحوال برمتها أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد
وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي وقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي
استدعاه النبي عم وغاية شدته وفظاعته أي لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من
سوء العذاب يوم القيامة أي لجعلوا الكل فدية لأنفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى
وعيد شديد وإقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في
حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائف أعمالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون أي أحاط بهم جزاؤه
فإذا مس الإنسان ضر دعانا إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما
من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للإنكار عليهم أي أنهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة
فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره ثم إذا خولناه نعمة منا أعطيناه إياها تفضلا فإن
التخويل مختص به لا يطلق على ما أعطي جزاء قال إنما أوتيته على علم أي على علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لي من
الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فللنعمة والتذكير لما أن المراد شيء من النعم
بل هي فتنة أي محنة وابتلاء له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والإيذان بأن ذلك ليس من باب الإيتاء
المنبئ عن الكرامة وإنما هو أمر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالإنسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله إنما أوتيته على علم
لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وهم راضون به
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا أو يجمعون منه فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
أعمالهم أو جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها في مقابلة سيئاتهم أو لأنها سيئة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين

ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان أو للتبعيض أو ظلموا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر و
والمعاصي كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم أي إصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر
وما هم بمعجزين أي فائتين أولم يعلموا أي أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء أن يبسطه له
ويقدر لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا إن في ذلك
أي الذي ذكر لآيات دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون إذ هم المستدلون بها على مدلولها قل
يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو
عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا إن الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء
ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبعوده حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الإطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى إنه هو
الغفور الرحيم على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة
على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها
وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع
وما روي من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق
على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الأمر
بالتوبة والإخلاص في قوله تعالى وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون إذ ليس المدعى
أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أي القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون
بمجيئه فتتداركوا وتتأهبوا أن تقول نفس أي كراهة أن تقول والتنكير للتكثير كما في قوله علمت نفس ما أحضرت فإنه مسلك
ربما يسلكه عند إرادة التكثير والتعميم وقد تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالألف بدلا من ياء الإضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء
السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الأصل أي احضري فهذا أوان حضورك على ما
فرطت أي على تفريطي وتقصيري في جنب الله أي جانبه في حقه وطاعته وعليه قول من قال أما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وإن كنت لمن الساخرين أي المستهزئين بدين الله تعالى وأهله
ومحل الجملة النصب على الحال أي فرطت وأنا ساخر أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين من
الشرك والمعاصي أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين في العقيدة
والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بالأباطيل تحتة وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله
عنه لما أن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب
باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد

وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال وقد اكتفى فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية
بصرية او مفعول ثان لها على انها علمية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم
مرامهم من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة نجاتهم من العذاب
بنيل المطلوب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا
هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس
العذاب وحزن واما من مفازتهم اي نجاتهم والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم
اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم
بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو
التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما لا يخفى الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر
لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيف يشاء
له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضه انه سأل
النبي عم عن المقاليد فقال عم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا
ان هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله
اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيف يشاء بالاحياء
والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
والتنزيلية التي من جملتها تلك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقد
قيل متصل بقوله تعالى وينجي الله تعالى وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة
هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم
بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني و
يقولون لي اعبد على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار
النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عم لئن
اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والا
يذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف من عداه وافراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون
من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد ردا لما

او ... ولولا دلالة التقدم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب
الاختصاص وتقييده وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه
بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على
عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم
اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة
من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما اعلاه وما اعظم
من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى فصعق من في السموات
ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون
وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى اي نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون
من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم
في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه
نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف الاسم
اليه او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب
الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن
الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما وعد ووفيت كل
نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا الى التفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها اثر
بعض مترتبة حسب تطبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت
اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم
خزنتها تقريعا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان
الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل القول فبئس مثوى المتكبرين اللام
للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس مثواهم جهنم ولا ينافي ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن
الحق ما مر من ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد وقع في سورة
السجدة ... وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق
مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤوها وفتحت

أبوابها وقرئ بالتشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم حينئذ من الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات
وأنه يحل حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي
وطبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كائنا ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث
والثواب وأورثنا الأرض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم
من أعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء أي يتبوأ كل واحد منا
في أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم أجر العاملين الجنة
وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش أي حوله ومن مزيدة أو للابتداء والحفوف يسبحون بحمد
ربهم أي ينزهونه تعالى ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له
بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في
شئونه عز وجل وقضي بينهم بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة في
منازلهم حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته
التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع
الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرئ بإمالة الألف وبإخفائها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين ونصبها
بإضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وقد سبق الكلام فيه وفي قوله تعالى
تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كالذي في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ولعله
التخصيص لمعنى القوة والعلم لما ذكر بعد ذلك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول إنما
صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها
زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو إبدال
وجعله بدلا كما جعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك
لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك
العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا إله إلا هو فيجب الإقبال
الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه إليه المصير لا إلى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع
والعاصي ما يجادل في آيات الله أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق إلا الذين كفروا وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن
الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في
مضايق الأفهام ومزالق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام إن جدالا في القرآن

كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما
من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد
يعتد بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فإنهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسبما نطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح والأحزاب من بعدهم أي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم وهمت كل أمة من
تلك الأمم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ
بمعنى الأسر وجادلوا بالباطل الذي لا أصل له ولا حقيقة له أصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فأخذتهم بسبب
ذلك أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا
لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك أي كما وجب وثبت
حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضا
على الذين كفروا أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه إضافته لنصرته عليه السلام وتعذيب أعدائه
وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى أنهم أصحاب النار
في حيز النصب بحذف لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها
أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات
أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أي كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب
تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف الذين
يحملون العرش ومن حوله وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له
وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون
بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية
من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل
ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به إيمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا
لإظهار فضيلة الإيمان وإبراز شرف أهله والإشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعي إلى النصح والشفقة وفي
نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم إيذان بكمال اعتنائهم
به وإشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم
خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله
من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى
وقد مرق رأسه من سبع سماوات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث إن الله أمر جميع الملائكة
أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين
من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين

اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورآئهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على شمائلهم ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح
به الآخر ربنا على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء
رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما و
وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه
وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات
عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول
الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخل معهم هؤلاء ليتم سرورهم
وتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل ان الابلغ في العطف وجه بل بناء على الوعد
الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم وان يكونوا اعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول
اين ابي واين ولدي واين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال
ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاح لاستدعاء حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار
وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال
فيصح وفي الثاني ضميري وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
اي الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فلا حاجة للتسلل بدعائها وقهم السيئات
اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او
المعاصي في الدنيا يجعل قوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا اعظم ورآءه لظاهر ان الذين
كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من
مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم
بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها وهي الانكار وا
ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله انفسكم
الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون
اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء بآبائكم الضالين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول ان توسط بينهما الخبر لما في الكلام
من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين
في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من
مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي
اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين و
احياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بخلاف الزوائد او الفعلين دل عليهما المذكوران

فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة ضمنا كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين
اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا
مسحت او مجلف وقيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم
الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة بالاحياء
الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين
ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فوقوع لكن
لا باختيار عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف
بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا به
الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قالوه مرة اخرى حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو
الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق
القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد
الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم
نفعا واما ذكر الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصودهم
الاصلي الاعتراف بالاحيائين واما ذكر الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل
للابهام اي من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ذلكم الجواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم
السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا بقيد الخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله
في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا اي توحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وايراد
اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم
وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء
في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته
فلا نهاية لشقاوته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده
بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة
على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرة وما يتذكر بتلك الآيات
الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ
فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون
مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات
خبر بعد خبر على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع
ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم

العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة
به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم
المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها
واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره
فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي
الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال
كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي
ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي
اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول ع
او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة
لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من
شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق
اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او
اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في
من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف
على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فما
ذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه
لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في ارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما
يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من
تقطع الاسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء
بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت
من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ
لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه انه تعالى اذا اخذ
في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى فان كون ذلك اليوم بعينه
يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم
الآزفة اي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي
مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت
التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا

ولا تخرج فيتروحوا بالموت كاظمين على الغم من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف
وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال
مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي
لا شفيع مشفع على نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت
الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور
من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون من دونه تعالى لا يقضون
بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض
بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال
من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات
فانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ
اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله
ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام
الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي حجة قاهرة وهي ان خص الآيات والعطف لتغاير الوصفين او
واما بعض مشاهيرها كالعصا او ذات بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها كافراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في
الملائكة الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة
رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته
ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع
وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع
الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف
ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال
فرعون ذروني اقتل موسى كان ملؤه اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه فانه اقل
من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت
عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي
وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها

على قومه وإيهاماً أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى
وليدع ربه تجلد منه وإظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه إني أخاف إن لم أقتله أن يبدل دينكم
أي يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لقوله إلهه أو أن يظهر في الأرض فساداً
ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على أن يبدل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد
وقرئ يظّهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى أي لقومه حين سمع بما يقوله اللعين
من صرت قتله إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بأن تأكيداً له و
إظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنها الذي يستدعيه وأضافه إليه
وإليهم حثاً لهم على موافقته في العياذ به والتوكل عليه فإن في تظاهر النفوس تأثيراً قوياً في استجلاب الإجابة ولم يسم
فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاستعار بعلة القساوة والجرأة على الله
وقرئ عت بالإدغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى سراً
وقيل كان إسرائيلياً أو غريباً موحداً يكتم إيمانه أي من فرعون وملائه أتقتلون رجلاً أتقصدون قتله أن يقول
لأن يقول أو كراهة أن يقول ربي الله أي وحده من غير روية وتأمل في أمره وقد جاءكم بالبينات والحال أنه قد
جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم و[استنزالاً لهم]
عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذباً فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم أي إن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة بعضه
لا سيما إن تعرضتم له بسوء وهو كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذباً
أو يصبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلاً بقول لبيد
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما
أن من كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الأول
لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني إسرائيل في الأرض أي أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت فمن ينصرنا من
بأس الله من أخذه وعذابه إن جاءنا أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا
منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء
بأس الله تطييباً لقلوبهم وإيذاناً بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجدي بهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا
بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما أريكم إلا ما أرى ما أشير عليكم إلا بما أرى واستصوبه من قتله وما أهديكم بهذا الرأي إلا
سبيل الرشاد أي الصواب أو لا أعلمكم إلا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان
مستشعراً للخوف الشديد ولكنه يتجلد ولولاه لما استشار أحداً أبداً وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد
كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبتات
إلى فعل وقال الذي آمن مخاطباً لقومه يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل
يوم الأحزاب مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح

وعاد وثمود أي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلماً للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لأن المنفي فيه
إرادة ظلمهم فينتفي الظلم بطريق الأولوية ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الأخروي بعد
تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى
أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في سورة الأعراف وقرئ بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة
صفوفاً فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد
أي منصرفين عن الموقف إلى النار أو فارين منها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
والجملة حال أخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه إلى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعون فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وقيل سبطه يوسف
بن إبراهيم بن يوسف الصديق من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحات فما زلتم في شك مما
جاءكم به من الدين حتى إذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ضماً إلى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة من بعده أو جزماً بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضاً
بنفي البعث كذلك مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك
فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الأول
أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق
بيجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها في المجادلة أتاهم صفة سلطان كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب
من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود إلى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل إلى الجدال المستفاد من يجادلون
كذلك أي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف
والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحاً أي بناءً مكشوفاً عالياً من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ الأسباب أي الطرق
أسباب السموات بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها فأطلع
إلى إله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفاً على أبلغ ولعله أراد أن يبني له رصداً في موضع عال ليرصد منه أحوال
الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه أو أن يرى فساد
قول موسى بأن إخباره من إله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الإنسان وذلك لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه وإني لأظنه كاذباً في دعوى
الرسالة وكذلك أي ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكاً لا يرعوي عنه بحال
وصد عن السبيل أي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زَيَّن بالفتح وبالتوسط الشيطان
وقرئ وصَدّ على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى
وما كيد فرعون إلا في تباب أي خسار وهلاك أو على أنه من صد صدوداً أي أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة
الدال إليه وقرئ وصدٌّ على أنه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا أي هو وقومه وقال الذي آمن أي مؤمن من آل

فرعون وقيل موسى عم يا قوم اتبعون فيما دلكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه
تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل
لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى
سخط الله تع ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا
سيئة فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل
صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي
بغير تقدير وموازنة بالعمل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه
لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا
لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به
الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم
الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تع تدعونني
لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته له
تع في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله
قوله تع ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا
او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء
اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد
اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل
بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل
في حكمه وكذا قوله تع وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح
وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم مع موسى عم وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه
وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل
فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل
والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدا
محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب
ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحال ان يكون حائز ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه
بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة
على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على

السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي عن ابن مسعود رضه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تع اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او
اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون
اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا
وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر
مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا
او بمغنون على تضمينه معنى حاملين اي مغنون عنا حاملين نصيبا او نصب على المصدر كشيئا في قوله تع لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غنى فكذا نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه
ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم في قولك
كل يوم لك ثوب ولا لقول [illegible] ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب
لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم
لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم
ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة
لمزيد قربهم من الله تع ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف للمعيار
شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان
دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت
اماليهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم
في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تع الم ياتكم رسل منكم
يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء
وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تع بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تع قالوا فادعوا فصيحة كما في قوله تع فقال فقد جاءوا
اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم
عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع انه عري عن بيان ان المشفوع له من قبلهم كما نص عليه الفاضل رحه يوهم ان الاذن في حيز
الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم
حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تع انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا الخ كلام مستانف مسوق من جهته تع لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه
الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم في صورة الغلبة
امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار

بكيفية النصرة وانها تكون للحجج الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار
اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم
من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه
فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك حق وجميع مواعيده التي من جملة ذلك حق لا يحتمل
الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في
بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله
ويجادلون بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته وتقييد المجادلة به مع استحالة اتيانه للايذان بان المتكلم
في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين وهذا عام في كل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله ان في
صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا
ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لجدالهم
في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة
او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم
ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه
رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم
واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل
والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار
ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم
اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من

افضل

افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان
خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس ليستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول فيه [illegible] مرارا
والنهار مبصرا اي مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتميز بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على
الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه
تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك
الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له
وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم بان [illegible]
بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من نعوت الجلالة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب
العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع
فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته و
صفاته فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي
الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات
او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية
الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب
اي في ضمن خلق آدم منه حسبما تحقيقه ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على
علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا وتستأنسوا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام
في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من
قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا اجلا مسمى متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت
او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم هو الذي يحيي الاموات
ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون
من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير
لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها
من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم
الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد
على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله لبيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد

يدخل تحت الوجود وهو الامنية الفارغة فلا تكرير وعنه اي انظر الى هولاء المكابرين المجادلين في آياته الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة
عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية والذين
كذبوا بالكتاب اي بالقرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول
او في محل النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في
المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما
ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب
عند مشاهدتهم العقوبة اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة قدر الاول عليه وقيل خبره يسحبون بحذف العائد
اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسلَ يسحبون بالنصب وفتح الياء
على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسلِ بالجر حملا على المعنى لان قوله اذ الاغلال في اعناقهم في
معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملاه
بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من
باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق وقيل ضلوا عنا غابوا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى
شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون اي تتوسعون في البطر
والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا
خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى
ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة
لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك
قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب
وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل
اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول
ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته
المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب وتعذيبه في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت

منى عدد الانبيا

مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون
دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون
تفصيل لما دل عليه اللام ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي
لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل يختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه
به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب
ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم
من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب
والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمن
الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يختص ببعض معين كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ
الحاجة عليها تعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك
الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي
واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل
لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه
افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا
اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية
والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية
او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك
وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو
علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى
حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا
ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما رأوا بأسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم
الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم انهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا
فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة
ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان

الباس علينا انه اسم مكان ثم استعير للزمان كما سلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما تقرر او مبتدا خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر اخر او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر اخر او خبر لمحذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم للاشعار بانه مدار المصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة

اليها معا حاصلها ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض الكثيفة بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التي قدر
وجودها ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما
تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل
لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا لاثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
اي طائعتين او كارهتين قالتا اتينا طائعين اي منقادين وهو تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة
فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في موضع الخطاب والجواب كقوله
تعالى ساجدين فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على
تكوينها اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرها
فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواضع من التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على قضاهن اي خلق
في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين
مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم بما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه
المعهود مطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء
وانما التقديم في الايجاد واما على تقدير كون خلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وما في ثم
في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات للدلالة على تقدم
خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق
السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه
اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق
الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق آدم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات
لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه انه خلق الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في
موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها
بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه
من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على الوجه
المراد ويعضده قراءة آتينا وآتيتا من المؤاتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس خلق جرم
الارض فقط حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين
ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما على الوجه المذكور وليس من ضرورة ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم
حصول التراخي عنه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا انقلاع عن ذلك
الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف
على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها الى انفسها ويحمل البعدية اما على

انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة الباهرة كما قيل واما على انه داخل في الانام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض
اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيله اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تقدم دحو الارض
عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة في ذلك على الترتيب
قطعا ونحو ما نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله تعالى ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من
حمل الامر بالاتيان ايضا على ما ذكر من التواضع والمواتاة ولا انقلاع في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما
لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي
الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك يبنى الكلام في
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية واما لم يحمل خلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لنبو مقام
الامتنان عنه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات
الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الآفات ومن
المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذي ذكر بتفاصيله تقدير
العزيز العليم المبالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الآية اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم
الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار
المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة اي عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة
لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف للموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم
اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل
مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء
من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم بقوله تعالى الا تعبدوا
الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء ربنا اي ارسال الرسل لانزل
ملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما اريد من نفي رسالة البشر وقد قيل سلف لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن
لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما
انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام
عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك
الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به
ورسول الله عليه السلام ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا

فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر
ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل
واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا
فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظيم والولاية وقالوا مدلين بقوتهم وشوكتهم من اشد منا قوة
حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده
اولم يروا اي اغفلوا او الم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة اي قدرة فان الله قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى
والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة
وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرون وكانوا يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا
كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق
بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر
مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح واضافة العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه
وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال
الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ
ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة
على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف
به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير
عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين
ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله
وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد
تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها
واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة
عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية
ليحشر او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا ما اقترفوا بها

وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات
المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اي يسألونها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفي رواية
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل وصيغة العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان
الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء
وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال التعجب فالمعنى ح ليس نطقنا بعجب من قدرة
الله تعالى الذي انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم
ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان
المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على
تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون
في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة
الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء راسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح
المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى ح لا بانها كانت
عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان
وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا و
لا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي عم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي ح يكون خاصا
بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري
مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من حال جميع اصناف الكفرة وذلكم
اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم
الذي ظننتم بربكم خبر وقوله تعالى ارداكم خبر ثان ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم
ان يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غاية دركات النار
وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها
ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي
ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع
قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث
اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق

ولولاه لاغتنمتم ان يطلعوا على ما فعلتم بجملتها لاشتهارها بالجوارح يرجع الى الوجوه التي في ... منه عفي عنه

وقيل الثقفيان عبد ياليل وخنثه والقرشي ربيعة وصفوان بن امية منه عفي عنه

موجبها وصدقها وهي قوله تع لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تع اذهب فمن
تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين كما تقرر في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما
يشعر به ان المراد باعداء الله تع فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد
خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم اتباعهم
لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء
او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغي كلقي يلقى ولغا يلغو اذا
هذي لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع
الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء
اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقري الاضياف
لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله
تع جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء او جزاء معد لاعداء الله تع وقوله تع النار عطف بيان للجزاء او ذلك
خبر مبتدأ محذوف وهي اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها وقوله
تع لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد و
هو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على
معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون منصوب بفعل مضمر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تع فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون
بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي
بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه
اعطنا اللذين اضلانا وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا
والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا
على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الامر كله وملاكه وما روي عن
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة من جهته تع يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت
بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر
هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا
على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تع

كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ
لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم
توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تع نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا الا من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك
عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المثابرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تع وتأييده لهم بواسطة الملائكة
وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها
اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب
اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما
تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الامور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
اي الى توحيده تع وطاعته وعن ابن عباس رضي الله عنه هو رسول الله عم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله عم وقيل
نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه
وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي
مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت
لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله
عم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي وقوله تع ادفع بالتي هي احسن الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخرج
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تع فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب
وكان مؤذيا لرسول الله عم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ مثل النخس شبه به وسوسته
لانها تبعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي
وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه
ومن آياته الدالة على شئونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل
حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان
بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذواتها وهو السر في نظم الكل
في سلك آياته تع ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود

عند الشافعي وعندنا آخر الآية الأولى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار أي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت وربت أي تحركت
بالنبات وانتفخت لأن النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت
بالنبات وقرئ ربأت أي زادت إن الذي أحياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث إنه على كل شيء من الأشياء
التي من جملتها الإحياء قدير مبالغ في القدرة إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا
بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بإلحادهم وقوله أفمن يلقى في النار خير أم
من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار
والإتيان آمنا وفيه تهديد شديد إنه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى إن الذين كفروا بالذكر لما
جاءهم بدل من قوله تعالى إن الذين يلحدون إلخ وخبر إن هو خبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي
سد مسده خبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وإنه لكتاب عزيز أي كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا يتأتى معارضته
جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي لا يتطرق إليه الباطل
من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة
لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه إلخ اعتراض عند من لا يجوز تقدم
غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر وقوله تعالى ما يقال لك إلخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يصيبه من أذية الكفار أي ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل
من قبلك أي إلا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم
وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا ولو جعلناه قرآنا أعجميا
جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته أي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى
أأعجمي وعربي إنكار مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري والمعنى
أكلام أعجمي ورسول أو مرسل إليه عربي على أن الإفراد مع أن المرسل إليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام
وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمعا وقرئ أعجمي أي الكلام منسوب إلى أمة العجم وقرئ أعجمي على
الإخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام
العجم وبعضها عربيا لإفهام العرب وأيا ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها
متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم إلى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدأ خبره في آذانهم وقر على أن التقدير هو أي القرآن في آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من وقر وقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل للظرف وقيل وقر مبتدأ
والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف
الموصول على الموصول الأول أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء وللذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أولئك إشارة إلى الموصول
الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان
ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للمنزلة من بعيد أي أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم

عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم
واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال
لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك
في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق أمتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم
وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى لقضي بينهم
باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة وإنهم أي كفار قومك لفي شك منه أي من القرآن وجعل الضمير
الأول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه أي فلنفسه يعمله أو فنفعه
لا لغيره ومن أساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن
بعمله أو إثابة الغير بعمله وتنزيل العذاب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر تحقيق
ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأنفال إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها يقال الله يعلم
أو لا يعلمها إلا الله وما تخرج من ثمرات من أكمامها أي من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة
على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى ومن الثانية مزيدة للاستغراق واحتمال
أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه استثناء
مفرغ من أعم الأحوال أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الأشياء إلا ملابسا
بعلمه المحيط ويوم يناديهم أين شركائي أي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم
منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك إيذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك
أي أخبرناك ما منا من شهيد من أحد يشهد لهم بالشرك إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا أحد إلا وهو موحد لك أو ما منا
من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك
إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن
أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لأن معناه الإنشاء لا الإخبار بإيذان قد
كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون أي يعبدون من قبل أي غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم
وظنوا أيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الإنسان أي لا يمل ولا يفتر من دعاء
الخير من طلب السعة في النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر أي العسر والضيق فيؤوس قنوط
فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر أي مبالغ
في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمة الله تعالى
لا يتأتى إلا من الكافر وسيصرح به ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
أي حقي أستحقه لما لي من الفضل والعمل أو لي لا لغيري فلا يزول عني أبدا وما أظن الساعة قائمة أي تقوم فيما سيأتي
ولئن رجعت إلى ربي على تقدير قيامها إن لي عنده للحسنى أي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه
من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا أي لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين
أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله إنما بغيكم على أنفسكم

من سورة يونس عم ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض أي عن الشكر
ونأى بجانبه أي وتباعد عنه بنفسه بالكلية تكبراً وتعظماً والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله تع في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه
ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض أي كثير مستعار مما له عرض
متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات قل أرأيتم أي أخبروني إن
كان أي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الإيمان به من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع
الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما
أخبرهم النبي عم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تع له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا
والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضه في الآفاق أي منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما
يفتح الله من القرى على محمد عم والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أي في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر
والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار
وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات
الغريبة كقوله تع وفي أنفسكم أفلا تبصرون واعترض بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك
أنه تع سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً حتى يتبين لهم أنه
الحق أي القرآن أو الإسلام أو التوحيد أو لم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن
القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تع والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام أي ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى وقوله أنه على كل شيء
شهيد بدل منه أي ألم يغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تع شهيد
على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله تع في الآفاق وفي أنفسهم
سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع
يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة
ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تع على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك
بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة ففيه إشعار بما لا يليق بمنصبه عم من التردد فيما ذكر من
تحقيق الموعود به ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح في أن عدم
الكفاية معتبرة إليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها و
ظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله عم من قرأ سورة السجدة أعطاه
الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وهي ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم
سق فعلى الأول هو خبر المبتدأ المحذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكاف في كذلك يوحي إليك وإلى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة
على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيحاءها مثل إيحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على
فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على أنه مفعول يوحي على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك
على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثاني إلى إيحائها وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل
أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحي إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة
ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإشارة إلى الحق وما فيه من صلاح العباد في المعاش والمعاد أو مثل إيحائها أوحي إليك
عند إيحاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغاير له كما في قوله تع إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيذان باستمرار الوحي وأن
إيحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة أو إيحائها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تع بعنوان العزة والحكمة
وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره
المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي فقيل الله
والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تع له ما في
السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه السابق استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد
السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن
والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن
أي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من
تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض
حين أثرت من جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها في معنى الأرضين والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ينزهونه تع عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً في إيمان الكافر
وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم يعم الحيوان بل الجماد
وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تع ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم
إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تع وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه
عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته ففيها رمز إلى أنه تع يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه أولياء
شركاء وأنداداً الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول
إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف
النصب على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً
لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تع هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير
فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي بين لتنذر

ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تع يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء
وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل والتعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجتمعون فيه اولا ثم يتفرقون بعد
الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة
قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضه في قوله على دين واحد فمعنى قوله تع ولكن يدخل من يشاء
في رحمته انه تع يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته
تع لكل من الادخالين تابعة للاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته
تع كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام
كما في قوله تع ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى لو شاء الله
لجعلهم مؤمنين كلهم ولكن يدخل من يشاء في رحمته وهم المرادون بقوله تع من يشاء وترك
الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال
بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج البعض من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي
يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تع كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس وفترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال
فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر
بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون
ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير
ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء
ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع
ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء
في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام
وغيرها هيهات وقوله تع فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان
ارادوا اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق ان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله
صلعم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب

ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة
حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله صلعم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه
الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلعم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا يخفى ان هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام
فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف
للاسم الجليل في قوله تع الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر سره غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا
او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه اي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس
والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء في شأن من الشؤون التي من جملتها هذا
التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه
كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو
السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ في الاحاطة به فيفعل
كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان
نسبته الى المذكورين عليهم الصلوة تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عم اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء وامرهم به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم
ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عم وتفرد النصارى في حق عيسى عم
والا فما من نبي الا وهو مأمور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل
الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد
بايحائه عم اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تع وكذلك اوحينا الآية واما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع
التي من جملتها قوله تع ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عم بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله و
ما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عم القامع لانكار الكفرة والالتفات
الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عم للمسارعة
الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تع شرعه
لهم على لسانه عم ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تع وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر
ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ والمواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا
اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه
قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي

مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عم وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الظاهر انه
متوجه الى امته عم وانهم المتفرقون كما سيحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون
الفروع المختلفة بحسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر
على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد
ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتبي الى ما تدعوهم
اليه من يشاء اي يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب
اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب
الاشارة الاجمالية الى اهل الشرك قال ابن عباس رضه هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من
بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله عم والقرآن من دلائل حقيته حسبما وجدوه في كتابهم او العلم
بمبعثه عم وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ومن اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في
وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم
في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي
بينهم لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا
الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
اي وان الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن
مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب
اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا لامم الانبياء عم وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم
بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله
اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم
وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على
ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عم لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم
اجمع عليه اولئك الاعلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم
عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع
الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامته ذلك الدين والعمل بموجبه
فان كلا من الامرين من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين على رسول الله عم سبب للدعوة اليه
والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل الاشارة الى
نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم
عليه وعلى الدعوة كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب

اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف
لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع
والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما
انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زائدة
اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا
كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة
لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة ولا للمخالفة محل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا
وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجادلة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال
والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسول الله عم وايده بنصره او بعد ما استجاب له
اهل الكتاب بان اقروا بنبوته عم واستفتحوا به قبل مبعثه عم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا
وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم
عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره
او بالحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوى بين الناس وقيل العدل
بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب
الناطق بالحق قريب اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث
والمعنى ان الساعة على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي توزن
فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون
متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها
خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون
في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا
من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من
صنوف الطافه ما لا يكاد يناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيف ما يشاء فيخص كلا
من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة حرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع
الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة
من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه نضاعف له
ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها
نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة

على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء أم لهم شركاء اي بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا
لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها
اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تع واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تع انهن اضللن
كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون
يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح
عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم
غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للتهديد لا لان سوء حالهم غير مختص
برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا
او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
متنزهون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند
ربهم ظرف للاستقرار العامل وقيل ظرف ليشاؤون ذلك اشارة الى ما ذكر من احوال المؤمنين وما فيه من معنى البعد
للاشارة الى بعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله
عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تع أهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روي انه
اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا
منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة
ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقال النبي عم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل
القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة اي يكتسب حسنة [illegible] مودة ذي القربى [illegible] والاولياء على [illegible]
وقيل نزلت في الصديق رضه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد
الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام
يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي
كانه قيل أيتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو
اعظم الفرى وافحشها وقوله تع فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عم
على الله تع المنوه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء على الله تع قول منهم بانه تع لا يشاء صدوره عن النبي
بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تع لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ
ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل
تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تع هذا وقيل المعنى ان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ

على الافتراء عليه تع الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به
ذلك ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو
كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تع ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تع انه يمحق الباطل ويثبت الحق
بوحيه او بقضائه كقوله تع بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودفعه او عدة لرسول الله
صلعم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد
له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده التوبة الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضه ان اعرابيا دخل
مسجد رسول الله عم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ عن صلوته قال له علي رضه يا هذا
ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام
كما في قوله تع واذا كالوهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عم افضل الدعاء
الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال دعاكم فلم تجيبوه
ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب
شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد
فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيئته انه بعباده
خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر
ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي
ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال
من بعد ما قنطوا ايسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر
رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر
انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته
خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث
فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على
الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما

معنى التوبة

يخرج من الملح وقد يجوز أن يكون للملائكة عليهم مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله في السماء حيوانا يمشون
فيها مشي الأناسي على الأرض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي أن النبي عليه السلام قال فوق السماء السابعة
بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء
والأرض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم أي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى إذا يشاء
متعلق بجمع لا بقدير فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته وإذا كما [illegible] الوقت كما تدخل
الماضي تدخل المضارع وما أصابكم من مصيبة أي مصيبة كانت فبما كسبت أيديكم أي فهي بسبب
معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بما بغير الفاء بأن ما موصولة المبتدأة
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه
للثواب بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وإن هربتم من أقطارها
كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر
وقرئ الجواري كالأعلام أي كالجبال على الإطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة إن يشأ يسكن الريح
التي تجري وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات لا غير متحركات
أصلا إن في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي تجري تارة وتركد أخرى على حسب مشيئته لآيات جليلة
في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما
لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآيات أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر
ونصفه شكر أو يوبقهن بالإرسال عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن
بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل وإجراء حكمه على العفو في قوله تعالى
ويعف عن كثير لأن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى
ولنعلمه من تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون
المعنى أو إن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص أي من مهرب من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا أي فهو متاع تتمتعون
به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وأبقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره أصلا والموصول الأول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث إن
ما أوتوا سبب للتمتع بحياة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه أنه تصدق أبو بكر
رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الإثم أي الكبائر من هذا الجنس
والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء
يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس
رضي الله عنه كبير الإثم الشرك والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله عليه السلام إلى الإيمان
فاستجابوا له وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل
الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون أي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه

بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعل الله
لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران
فإن كلا منهما فضيلة محمودة في موقعه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعورات الكرام محمود وعن المتغلب
والعفو عن اللئام مذموم فإنه إغراء على البغي وعليه قول من قال إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم
تمردا ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
بيان لوجه الانتصار من خصال الحميدة مع كونه في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادي هو الذي فعله فإن الأفعال
مستتبعة لأجزيتها حتما إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثاني لأنها تسوء من تنزل به
فمن عفا عن المسيء إليه وأصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء كما في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وقد وضح عن الله أنه لا يحب الظالمين البادئين
بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ما ظلم وقرئ به فأولئك إشارة إلى من باعتبار المعنى
كما أن الضمير من لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاقبة والمعاتبة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس
يبتدئونهم بالإضرار ويعتدون في الانتقام ويبغون في الأرض بغير الحق أي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا أولئك الموصوفون
بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب أليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره
إلى الله تعالى إن ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في
قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو إلى الشر كما أشير إليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق يقولون هل إلى مرد أي رجعة إلى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها أي على
النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم
ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى
السيف وقال الذين آمنوا إن الخاسرين أي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد
يوم القيامة إما ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي
للدلالة على تحققه وقوله تعالى ألا إن الظالمين في عذاب مقيم إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم وما كان
لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل
الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه إلى النجاة استجيبوا لربكم إذ دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه من قبل
أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد وقيل أن يأتي من الله
يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ أي تلجؤون إليه وما لكم من نكير أي إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون
في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له
عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى الرسول أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما دعوتهم
إليه فما أرسلناك رقيبا أو محاسبا عليهم إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت وإنا إذا أذقنا الإنسان
منا رحمة أي نعمة من الصحة والغنى والأمن فرح بها أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى وإن تصبهم سيئة أي
بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية

ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص
المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال
النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة تعليلها
بما عملوا للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل من الانتظام في سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل
على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والأرض فحسب وتخصيصه أن يملك التصرف فيهما وفي كل ما
فيهما كيف يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريد يخلق ما يشاء مما يعلمه ومما لا يعلمه يهب لمن يشاء إناثا
من الأولاد ويهب لمن يشاء الذكور من غير أن يكون في ذلك مدخل للعبد أو يزوجهم أي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا
ذكرانا وإناثا وقيل معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأنثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما
يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو
أنثى وإما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن
الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء
والعرب تعدهن أعظم البلاء أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير
وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك
بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وهب لشعيب عليه السلام ولوط إناثا ولإبراهيم
ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين إنه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل
ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر أي ما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا وحيا أي إلا بأن يوحي
إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى عليه السلام وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد أوحى الله الزبور
إلى داود من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى أو من وراء حجاب فإنه مثل له بحال الملك المحتجب الذي
يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى عليه السلام وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن
يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى أو يرسل رسولا أي ملكا فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو
الرسول البشري بإذنه أي بأمره تعالى وتيسيره ما يشاء أن يوحيه إليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام في عامة الأوقات
من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف
واقع موقعها والمعنى وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرئ أو يرسل بالرفع على إضمار مبتدأ
وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله تعالى وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه
فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى عليه السلام إلى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من
زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي
متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة حكيم يجري أفعاله على
سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما إلهاما وإما خطابا وكذلك أي ومثل ذلك الإيحاء
البديع أوحينا إليك روحا من أمرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة
أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى إيحائه إليه عليهما السلام إرساله إليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب
أي أي شيء هو ولا الإيمان أي الإيمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليها العقول

لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه أي الروح الذي أوحيناه إليك
نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وإنك لتهدي تقرير
لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور أي وإنك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته
إلى صراط مستقيم هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ لتهدي أي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الأول
وإضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الأرض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد
وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم إيجاب ألا إلى الله
تصير الأمور أي أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره وفيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك
مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب المبين على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا بإضمار باء القسم
على أن مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية والمبين أي البين لمن
أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة
إنا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها
قوله تعالى لعلكم تعقلون فإنها المحتاجة إلى التأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة
أعذارهم أي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا
على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية وإنه
في أم الكتاب أي في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرئ إم الكتاب لدينا أي عندنا لعلي
رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لإن وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل
بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم
عليها داخلة في حكم الإقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيذان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج
في بيانه إلى الاستشهاد عليه بالإقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به
كما أنه كاف فيها من حيث الإعجاز وتلويح بأنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالإقسام وإما مستأنفة مقررة
لعلو شأنه الذي أنبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما
بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إنزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بإنكار
أن يكون الأمر بخلافه فقيل أفنضرب عنكم الذكر أي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض
وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف
يقتضيه المقام أي أنهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا أي إعراضا عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما
دل هو عليه فإن التنحية منبئة عن الصفح والإعراض قطعا كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب
على الظرفية أي أفننحيه عنكم جانبا أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم منهمكين في الإسراف مصرين عليه

على سوء حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتتبعوا في العذاب لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل
ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة الشرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم وجزاؤها محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تع وكم ارسلنا من نبي في
الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تمويه لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه
من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله عم عن استهزاء قومه به وقوله فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش
لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي
حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي لينسبن
خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لانهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة
للاشعار بان اتصافه تع بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر
بين لاريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تع الذي
جعل لكم الارض مهدا استئناف من جهته تع اي بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا
تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد
الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا
به بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى
البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره
كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى تخرجون
اي من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى تفخيم لشان الانبات
وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذي
خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنه الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض و
الابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تع فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه
واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما في سورة هود وقوله
تع اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام وجمع
الظهور باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا
عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي عم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده
قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تع اذ بدون اعتراف
المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون وفيه
ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله
تع فيبني امور مسيره في ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته

ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تع ولئن سألتهم الآية اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم
واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ
جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون
ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان
جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تع واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ
داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد
الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة
اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه
بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تع آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ استئناف
مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان
باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان
يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة
والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشأ في الحلية تكرير
للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا من شأنه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان
يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار
الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني اي
او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي في الجدال الذي لا يكاد يخلو الانسان منه في العادة
غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار
المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم
على الله تع واجلهم قدرا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن على التمثيل لزلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اي
احضروا خلق الله تع اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم
وتهكم بهم وقرئ اأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه
في ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم
وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المفاعلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك ان
ما فعلوه حق مرضي عنده تع وانهم انما يفعلونه بمشيئته تع لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تع اذ ليس منهم
اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم بمشيئته تع
والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تع ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض
الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الحسن والقبح في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تع ما لهم بذلك

أي بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما صدر عنهم بمشيئة الله تعالى الارتضاء لا مطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به الآيات
الكريمة من علم يستند إليه إن هم إلا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل الدعوى كأنه
لما أظهر وجوه فساده وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون
لهم سند من جهة النقل فقيل أم آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به
بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون أي لم يأتوا
بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التي تؤم أي تقصد
كالرحلة لما يرحل إليه وقرئ إمة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر إن
أو الظرف صلة لمهتدون وكذلك أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى
ما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون استئناف
مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند وتخصيص المترفين بتلك المقالة
للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر إلى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين و
أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أي قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم أولو جئتكم أي أتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم بأهدى بدين أهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وإنما عبر عنها بذلك
مجاراة معهم على مسلك الإنصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحي حينئذ إلى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول عليه السلام
كما قيل لقوله تعالى قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فإنه حكاية عن الأمم قطعا أي قالت كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلت
به لكافرون وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام
بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما في نظائر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم أي بالاستئصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين من الأمم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك وإذ قال إبراهيم أي واذكر لهم وقت قوله عليه السلام
لأبيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله إنني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا
مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به
مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام وما إما
مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي إنني بريء من عبادتكم أو معبودكم إلا الذي فطرني استثناء منقطع أو
متصل على أن ما تعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فإنه سيهدين أي سيثبتني على الهداية أو سيهدين إلى ما
وراء الذي هداني إليه إلى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه أي في ذريته
ووصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل أي جعلها باقية في عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك
منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء إضراب عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بأن
أوصى بها بنيه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين

على أمة صح

للرسول عليه السلام من أهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى
جاءهم أي هؤلاء الحق القرآن ورسول أي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد
بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا وقرئ متعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة
في تعييرهم فإن التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان فجعلوه
سببا لزيادة الكفران أو أقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا
كفرا وعتوا وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وإنا به كافرون فسموا القرآن
سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله عليه السلام وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين أي من إحدى القريتين مكة
والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم أي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله إلى الرسول
عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل على أحد هؤلاء
بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة
روحانية لا يترقى إليها إلا همم خواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الأنسية
وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى
أهم يقسمون رحمة ربك إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم
أي أسباب معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها إليهم علما
منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات
متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا
ويترافدوا ويصلوا إلى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
وإذا كان في تدبير أمر معيشتهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير
أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها ورحمة ربك
أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة
شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه
بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة أي متخذة منها
ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف
جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقوفا
اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة في سقف وسقوفا ومعارج أي وجعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون أي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم أي وجعلنا لبيوتهم
أبوابا وسررا من فضة عليها أي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا أي زينة عطفا
على سقفا أو ذهبا عطفا على محل من فضة وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة

بالصفات المفصلة الآتية يتمتع به في حيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما
على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو
متاع الحياة في قوله تماما على الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان خير عند ربك للمتقين
اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن
وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي
يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى
الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات
نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى
الرحمن ومن يعشو مجزومة ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض لكل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم
اي قرناءهم وانما جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضماير السابقة باعتبار لفظها عن السبيل
الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل المستقيم
المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم
لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما
لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان يكون غاية لامر ممتد كما عرفت واو افراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية
مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة
الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له
يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت ولن ينفعكم الحكاية بما سيقال لهم
من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا
باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم
انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل
كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم
ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم نفيه بل بمعنى لن يحصل لكم
التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا وقولكم وآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتشتفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة
في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن
فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وقد تمرنوا في الكفر
واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشاء عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على

العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء عنه لا توهم القصور
من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي
فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا
والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم
اي او ان اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا
وقهرنا ولقد اراه ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا
لك الموعود او اخرناه الى يوم الآخرة وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل
للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن
قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب
من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله اممهم
وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم السلام
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليه فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجأوا
وقت ضحكهم منها اي استهزأوا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها
اي الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات
والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك
الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر
وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم
الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد
عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك
العذاب بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون اي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا
بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجأوا
وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما
بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري
وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر
فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه
ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام
قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله

مع قدرته حيث سوّى له الآية وأم منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال أثبت ما عددت من أسباب فضلي ومبادي خيريتي أبقيت عندكم أم استقر
لديكم أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي أو متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلاله ووضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم
إذا قالوا أنت خير منه فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب
فإن البصارة هم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد
الملك إن كان صادقا لأنهم كانوا إذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوّقوه بطوق من الذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور
جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ بذلك وقرئ ألقي عليه أسورة
وأساور على البناء للفاعل وهو الله تع أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه
فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا أغضبونا
أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن
بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع
خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ
سُلَفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال
لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله عم في قوله تع إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال
اللعين خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا
أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تع إذا قومك منه من ذلك المثل
يصدون أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يصدون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا
عليه من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب [illegible]
وقالوا أآلهتنا خير أم هو حكاية لطرف من المثل المضروب [illegible] عليه من الباطل [illegible] السفه أي
ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها وعلم أن ما نقل عنهم من اللغط
ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عم سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تع إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية فإن ذلك مع إبهامه لما يجب تنزيه ساحته عم عنه من شائبة الإفحام من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد
روي أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي عم ما أجهلك بلغة قومك
أما فهمت أن ما لما لا يعقل وإنما لم يخص عم هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص
كلمة ما بغير العقلاء لأن اندراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم لاشتهر في عبادته في الجملة فقطع الطمع لكن لا بطريق عبارة النص
بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تع ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي
أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تع سبحانك أنت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد نحتني المقام عند قوله تع إن الذين سبقت لهم منا الحسنى [illegible] ما أظهروه من
الأحوال المنكرة كضحكهم وفرحهم وتهالكهم على المطالبة والعناد كما ينطق به قوله تع ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك
ذلك المثل الآية إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون أي لُدّ

شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تع إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى
من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو تفضيل على عيسى عم لأن المراد بهم الملائكة
ومعنى ما ضربوه إلا جدلا ما قالوا هذا القول إلا للجدال وقيل نزلت إن عيسى الآية لما قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل
أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه السلام
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به ويجوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله
تع ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله
وعبدوه ونحن أشف منهم قولا حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقوله تع إن هو إلا عبد
أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أي أمرا عجبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه
الأول استئناف مسوق لتنزيهه عم عن أن ينسب إليه ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا
قوله تع إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض
بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والثالث لبيان أنه في نفسه باطل وباطل على زعمهم
وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد فضلا عن أن يعبد أو أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن
خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة ما عرفه عبدته
حتى يتوهم عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الرابع
فلردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله عم ببيان أن عيسى عم في حقيقته وفيما أوحي إلى الرسول عم ليس إلا عبد
منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلوة والسلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضى بمعبوديته له وقوله تع
ولو نشاء الخ لتحقيق أن مثل عيسى عم ليس ببدع من قدرة الله تع وأنه تع قادر على أبدع من ذلك وأبدع مع التنبيه
على سقوط الملائكة أيضا عن درجة المعبودية أي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا أي لخلقنا بطريق التوالد منكم
وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الإبداع في الأرض مستقرين فيها كما جعلناهم
مستقرين في السماء يخلفون أي يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون
الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة
بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم إليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وإنه وإن عيسى لعلم للساعة أي إنه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو بإحياء
الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة وقرئ لعَلَم أي علامة
وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عم ينزل على ثنية
بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلوة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عم ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة فلا تمترن
بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون أي واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول الرسول مأمور من
جهته تع هذا أي الذي أدعوكم إليه أو القرآن على أن الضمير في إنه له صراط مستقيم موصل إلى الحق ولا يصدنكم
الشيطان عن اتباعي إنه لكم عدو مبين بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء

عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل
او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه المجيء بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تع ان الله هو
ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد والتعبد
بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استئناف من جهته تع مقرر لمقالة عيسى عم
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا
من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تأتيهم الا ان تأتيهم
الساعة بغتة اي فجاءة لكن لا لعدم كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك
قوله تع وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم
الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق المحبة والتجاذب لظهور كونها اسبابا للعذاب
الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب
ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادى
او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو
آمنوا اي مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها
الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة جميعا او وا به بصحاف من ذهب واكواب
كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من صنوف الملاذ وقرئ ما تشتهي
وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ تلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له
زوال بالآفة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها بما كنتم
تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة
والموصول مع صلته خبره وقيل هو الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما
في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد منها تأكلون اي بعضها
تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار
ابدا موقرة بها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين
في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايراده في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان
او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت
قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة و

وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب المخلد ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله اشعار بانهم لضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك ليمتنا من
من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال
انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رض انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة
وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة
الله تع مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تع ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا
يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا
مبتدأ انكار على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله عم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار
الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع والاستبعاد وان اريد الاحكام
صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله عم فانا مبرمون كيدنا
حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تع ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا
يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره عم ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به
انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الحفظة
يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم ابدا كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعها والحال ان رسلنا
يكتبونه قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة
ام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم
من كونهم بنات الله تع ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه عم اعلم الناس بشؤونه تع وبما
يجوز عليه وما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله عم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال
الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما ينبئ عنه ايراد ان مكان لو المنبئة على امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين له تع وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد
يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام
واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها
جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن الوصف فذرهم حيث لم يرعووا عن الغي بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي
يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم
في الفصل جواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبود بالحق
بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة
الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر

والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما والاله مبتدا لانه يؤدي الى خلو الجملة عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول
واله خبر المبتدا المحذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار
وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي
له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي
العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ يرجعون بالتاء
ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما زعمون الا من شهد بالحق
الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد باعتبار
لفظها والاستثناء متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم
اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته
الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على العطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم
قوله يا رب اي فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
جوابه وفي الاقسام به رفع شانه وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى وقرئ بالنصب اما بالعطف على سرهم او على محل
الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح
عنهم فاعرض عن دعوتهم وانقطع ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم المنتهى
تاتيهم وهو وعيد من الله تعالى وتسلية لرسول الله عم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القرآن
في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبرائيل
عم على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلعم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول
القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلعم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين
استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى
انا انزلناه معترض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور الحكيمة او
الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض
وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه
الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة
القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسوف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل
صاحب السماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على

على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا
الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز ان يكون حالا من كل امر
لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى
او لفعله المضمر لان الفرق به امر او حالا من احد ضميري انزلناه اي امرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين
وقيل جواب ثالث وقيل استئناف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال مفعول له على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد
وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب على العباد لاجل افاضة
رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها
واضافته الى ضميره عم لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك
فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا لا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق
وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي
تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض
وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استئناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سألتم
من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما
قبلها وقيل خبر لقوله تعالى رب السموات الاية وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم
الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع
الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم
يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في قوله فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به
على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان
الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار
او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله عم دعا عليهم فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عم فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز و
كان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله
تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه رسول الله عم ابو سفيان
ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس رضه وابن مسعود رضه وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو
دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله عم اول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية
وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الآية

لاطلاعهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني عن التذكر والاتعاظ بالاحترام من الراجفة اي كيف يتذكرون
او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال
انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق
باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه العظائم الموجبة
للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا اي في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى انه مجنون او يقول
بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كما قيل الكلب اذا جاع
واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او
زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك بلا مهلة الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين
للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه
من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وعوتوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتلبثون
يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان
ان مانعة عن ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتي الاية وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على
ان يبطشوا بهم البطشة او نجعلها ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عم اليهم او اوقعناهم في الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين
او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل
وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون
الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي الاية وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل
لذلك او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وقد صدقني بالمعجزات القاهرة
وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى
اني آتيكم اي من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او
او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم
اي التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني
قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فا
فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بشر ولا اذى فليس ذلك
جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن
يأباه المقام فدعا ربه بعدما تمادوا على تكذيبه ان هؤلاء قوم مجرمون اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر
ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه
باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال
ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله

تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا
مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم
جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
محسنة ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون واورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت
عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم
فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد
عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم منظرين
ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه
ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم
من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون
او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله
تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين
اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم
في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في
بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من
الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في
غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات
موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما
تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى
ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين
فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تقولونه من
قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب
ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي ليسوا خيرا في القوة
والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه
بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضه انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون

كما يقال لهم الاقبال لانهم منقبلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار
عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هولاء وقوله اهلكناهم استيناف لبيان غاية القوة
والشدة فلان يهلك هولاء وهم شركاء لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما
وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء
الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل
وفصل الرجل من اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من
الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينتصر منه لمن اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة
الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون
وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه صفة على ارادة القول والخطاب للزبانية
فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك
انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله
ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك او
عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم
ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله
في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو
ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في
جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته او اشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من
سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه
متقابلين في المجالس ليستانس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين
على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع حوراء وهي البيضاء والعين جمع عيناء وهي العظيمة العينين واختلف
في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص
شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون
على الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بالاستحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل

لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية
فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون فذلكة السورة الكريمة اي انا انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا
بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى
بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له
من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني
خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر
ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار
بها واما جعله خبرا بتقدير المضاف والابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع انه عن افادة ما
تستدعيه بمعزل على المحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف
مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانها مشحونة
من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله
تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون
المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة
على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ
آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث
من دابة آيات لقوم يوقنون اي من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على
اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل
الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية
من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعراها
عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال
وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي
الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد
كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع
على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم

ان والجار والمجرور المتقدم خبرها بناء على العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف
والنصب في آيات وتنكير آيات في المواضع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف العنوان لاختلاف مراتب الآيات في الدقة و
الجلاء تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله
بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوها ملتبسين او ملتبسة بالحق فبأي حديث بعد الله
وآياته اي بعد آياته وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما
نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون
بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك
وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان
شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصر الحمار
على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من الآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل
وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت
بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما فيهم من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع
الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها
كأن لم يسمعها اي كأنه لم يسمعها فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها
بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اي اذا بلغه من
آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان
يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الآيات كلها هزوا اي
لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث لانه بمعنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث
الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة
توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون
الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص
من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او
من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء
الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في
شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال
من الهداية كأنه نفسها والذين كفروا اي القرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع
حالهم لهم عذاب من رجز اي اشد عذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب
في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات

وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من السموات والارض او توكيد لما هو منه متعلق
بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او لسخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له او خبر لمحذوف
اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه
ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشأن كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم
يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة الجواب عليه فانه
جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين
لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه تعالى من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله
تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه
حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر
يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف
البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن
كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما ايما
قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون
سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلع الآية لا يلائم تعليل الامر بالمغفرة لتحققه
على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك
من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما
وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة
النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث
كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم
على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي
زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنه
هو العلم بمبعث النبي عليه السلام وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب
فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا
لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الامر اي امر الدين
فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى
دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء

بعض لا تواليهم ولا يتبع اهوآءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت تحدوهم فدم على ما انت عليه من
توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر
الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شأنهم الايقان في الامور
ام حسب الذين اجترحوا السيئات استيناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين
حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني لا لانكار الحسبان لكن بطريق
انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل
بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم
عليه من مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة
ورفع الدرجات وقوله تعالى سوآء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول
معا لاشتماله على ضميريهما على ان السوآء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا
ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز
الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانها
في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان ما بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الحيوة لان
المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة انما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم
الحاج وسوآء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه اخر من الاعراب
والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سوآء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ والجملة بدل من الكاف وقيل
حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار حسبان ان لهم
الفضل وتوبيخ عليه ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة
تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات
حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون
العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسميته ذلك
ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة
الظلم الذي يستحيل صدوره منه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة
الهوى فكأنه عبده اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن
حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله
وتبديله لفطرة الله التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات
وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه
من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون

في الممات كما استووا

وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة الا حيوتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض وقد يجوز ان يريدوا التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا
غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت فان
الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت
الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء
يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث
بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان
متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل
الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب
وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم
ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيامة للجزاء
لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات
دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مخالفا للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم
لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص
الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله تعالى وجعل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والامانة والبعث
والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية
باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو
وعن ابن عباس رضه جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ
كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم
ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام الكلام المقول حيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف
الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص
خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال
بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة
وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما
خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر
كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن
تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان
بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق

وقيل ... للارواح بامر الله تعالى ينقصون
الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر

قوله ... الى انه ... المعنى

استوفز في قعدته ...
او وضع ركبتيه ورفع اليتيه ...
على رجليه ...
للذنوب ...

وانه لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم
ان وقرئ بالرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا
ظنا اي ما نفعل الا ظنا وتحقيقه في قوله تعالى ان نتبع الا الظن الى وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا
ظنا ضعيفا ويؤيده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه
ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة
المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا
اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا اي مهزوا بها ولم
ترفعوا اليها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون
من خروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب
الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة
رب السموات والارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته
تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور
آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في كل ما
قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما من حيث جزئية منها ومن حيث الاستقرار فيها وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم
المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من
مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود
الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف
على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون
فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية
اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد
له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني
تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي
في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء
بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني

بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل
هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت
عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم تقم
عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل
تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم
مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة
من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم للمخطوب ومن اضل ممن يدعو من دون
الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب
لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع
القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة
وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار
لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة
والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام
القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي
الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى
ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل الضمير في
كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب
الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم
من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القرآن
قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف
اجترئ على ان افتري على الله كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه
من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي
بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع
كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك
في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة
فامر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم
بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون
الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا

من صنايا ه وعن الحسن معناه ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس معناه ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة و
قال هي منسوخة بقوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة
والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظايف النبوة من الحوادث والواقعات
الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظايف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين
هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي ع م قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز
ان تكون ما موصولة والاستفهامية انسب لحق المقام الذي هو الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده
وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تع ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى
قصر افعاله على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد حققه في سورة الانعام وقرئ
يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب وقيل عن استعجال
المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تع وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى
حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين اجزاء
الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تع قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به
لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم
فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تع ام لا وكذا الحال في قوله تع وشهد
شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله
تع واستكبار عنه او لا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم
الشان من بني اسرائيل الواقفين على شئونه تع واسرار الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القرآن من
المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه
في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تع وانه لفي زبر الاولين وقوله تع ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها
بعبارات أخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تع فامن للدلالة
على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله
صلعم بالمدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك
عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه
فقال صلعم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال
ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله

عليه الصلوة والسلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد
موسى وشهادته ما في التورية من بعثة النبي عليهما السلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام
فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم
عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فامن به من غير تلعثم
واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تع قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن
هو في شقاق بعيد وقوله تع ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم
بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تع لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة
في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قالوا للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به من القرآن
والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة
قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا
الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله
بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام
واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير
مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك
ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى قدم عليه والجملة حالية او مستأنفة واياما كان فهو راد
لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب
موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تع وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون
في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع
الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق
وفيه ضمير الكتاب او لله او للرسول ع م ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب
عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هي بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور
الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي
دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين
اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تع جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي
يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تع اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات
العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يحسن بهما احسانا اي فعلا

ذا حسن او كأنه في ذاته نفس حسن لفرط حسنه وقرئ بضم الحسين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا
او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي ومدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله
والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي
مستكمل مدة العمر مود اذا انتهى امده ثلثون شهرا مضى عليها بمقاساة الشدائد لاجله وهو
دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تع حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب
والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه
التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها
نصلي قال ابن عباس رضه اجاب الله تع دعاء ابي بكر رضه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم
يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تع عليه ودعا ايضا فقال اصلح لي في ذريتي فاجابه الله تع ولم يكن له ولد
الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله عم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر
وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلعم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضه اني تبت اليك عما
لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى
الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي
المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب
عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تع وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن
على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما ان قوله تع نتقبل ونتجاوز وعد من الله تع بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على لسان الرسل
والذي قال لوالديه عند دعوتهما الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام للبيان
الموقف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين والموصول
عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سيجيء قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضه
قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تع اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين
وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ
اخرج من خرج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسالانه ان يغيثه
ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على
الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه اليه تع تحقيقا للحق وتنبيها على
خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ انّ وعد الله اي آمن انّ وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه

وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه
المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تع لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ
عنه قوله في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم كانوا خاسرين
قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل بطريق الاستيناف
التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا اي مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر والدرجات
غالبة في المثوبة وايرادها هنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون
بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام
متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب
درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على
السيف اي قتلوا او قيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب
للظرف وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من
حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون
اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم
تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين
واذكر اي لكفار مكة اخا عاد هودا عم اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون
بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع
نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب
الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم
في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وان جعلت حالا من فاعل انذر على معنى انه عم انذرهم قائلا لهم لا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو انذاره فمعنى ما جاء من خلفه تعلقه بالاعلام لا بقدر في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا
اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في
وعدك من نزوله بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده
لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تع فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به
من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله
وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون حيث تقترحون على البشر من وظائف الرسل من الاتيان
بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تع فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تع عارضا اما تمييزا او حالا او راجع
الى ما تستعجلونه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم
اي متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تع قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا صفتين للنكرة

بل هو أي قال هود وقد قرئ كذلك ويؤيده قل وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب
ريح بدل من ما أو هو خبر مبتدأ محذوف فيها عذاب أليم صفة الريح وكذا قوله تعالى تدمر أي تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم
بأمر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فالعائد إلى الموصوف محذوف وهو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استئنافا
واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه ويكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر الأمر والرب
والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فصيحة أي فجاءتهم
الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية
تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم كذلك أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين
وقد مر تفصيل القصة في سورة الأعراف وقد روي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى
كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أن أول ما عرفوا
أنه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا
أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم
أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنه اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود
وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم أي قررنا عادا وأقدرناهم
وما في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة وإن نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول
الأعمار وسائر مبادي التصرف كما في قوله تعالى وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ومما حسن موقع
إن هاهنا التفصي عن تكرار لفظة ما وهو الداعي إلى قلب ألفها هاء وجعلها شرطية أو زائدة مما يأباه المقام وجعلنا
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا
بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكرها فما أغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ
الرسل ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله تعالى من شيء أي شيئا من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى إذ كانوا يجحدون بآيات الله
وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث أن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته إذ أكرمني في قوة قولك
أكرمته لإكرامه لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا
عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد
مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين
اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود
لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أي متقربا به مما لا صحة له
لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا

عنهم أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع
حضور الغائب عن المنصور وذلك أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم إفكهم أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة
شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ أفكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة إلى الاتخاذ أي
وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الإفعال أي جعلهم آفكين
وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا إلى ضميرهم أي قولهم الآفك أي ذو الإفك كما يقال قول كاذب
وما كانوا يفترون عطف على إفكهم أي وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك إفك
مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترونه من الإفك وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك وأقبلنا
بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما
بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أي واذكر لقومك وقت صرفنا إليك
نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن [illegible] فلما حضروه
أي القرآن عند تلاوته قالوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا لنستمعه فلما قضي أتم وفرغ عن تلاوته
وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه إليه عليه السلام ولوا إلى قومهم منذرين مقدرين إنذارهم
عند رجوعهم إليهم روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا
إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله عليه السلام وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا
لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله عليه السلام على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف
إليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه السلام إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى أعود
إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه السلام وغشيته أسودة كثيرة
حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله عليه السلام هل رأيت شيئا
قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة
التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا أي عند رجوعهم إلى قومهم يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد
موسى قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الجن لم تكن سمعت أمر عيسى مصدقا
لما بين يديه أرادوا به التوراة يهدي إلى الحق من العقائد الصحيحة وإلى طريق مستقيم موصل إليه وهو الشرائع
والأعمال الصالحة يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به أرادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة
إلى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والطريق المستقيم لتلازمهما دعوهم إلى ذلك بعد بيان
حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الإجابة ثم أكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما كان
في خالص حق الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان ويجركم من عذاب أليم معد للكفرة واختلف في أن
لهم أجرا غير هذا أو لا والأظهر أنهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الأرض إيجاب للإجابة بطريق الترهيب إثر إيجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار داعي الله

من غير انتفاء، باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وترتيبه وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض
للتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه
اولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من
من مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون
بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه
اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما
متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم
يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه
وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي
الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل اليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله
تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا
على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث
هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الانعام
وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى
وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا واني لهم ذلك قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا ومعنى الامر الاهانة والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما
صبر اولو العزم واولو الثبات والجزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي
العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد ولده والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب
على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب
وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه
قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ
بفتح الياء وكسر اللام وفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا [illegible]

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وقيل مكية وهي تسع وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن

ذلك من صد صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام و
يأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام
في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان
لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقري الاضياف وفك الاسارى
وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيله بنصر
رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى واحبط اعمالهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل عام للكل
وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين
سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته
بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق
وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل
الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات
واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك
كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه
للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا
الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه
لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ
ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ابطالها لبطلان مبناها وزواله
واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد اخص منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق الحصر
بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال
الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها
في الموضعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال
الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين
الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال
اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به
من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير عن القتل
بضرب الرقاب تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم و
الوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون

بعد ذلك منًّا او تفادون فداءً والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رح
وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم منٌّ
ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدًا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها
التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية
عند الشافعي رح لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين
حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم واما عند الحنفية فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية
للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى
انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلوا بعضكم ببعض فامركم
بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم
ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جا
جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ يُضَل اعمالهم على البناء للمفعول ويَضِل اعمالهم
من ضل وعن قتادة انها نزلت يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب او
سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم
بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فالجنة لكل منهم
محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله
ينصركم على اعدائكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا
لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب
حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول
ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد
وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي كانوا
عملوها من الاعمال لا يثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي أقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني
على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم
امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته
لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا
بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد المًا من الهلاك بسبب عام وقيل المراد
بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة

الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان
وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل
الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف
وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة
من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنها المضاف واجري
احكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين
كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك
لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها بالعقوبة لجنايتها على طريقة
قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم
خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما هو متفرع عليه
ذكرا بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي الفريقين المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها من المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن
عن النبي عم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عم وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتفسير بالاول
كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالكه امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات
والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك
التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن
حجة تدل عليها وجمع الضمير الآخرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون
استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير اليها بانها تجري من
تحتها وتعبيرهم عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات
باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل
زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الخ من ماء غير
آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان يصير قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث
لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين
وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر
من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى

من اتبعهم مستانف مجرور موصوفة بلفظه مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من اتبعهم وقوله تعالى كمن
هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق
به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة
كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع امعاءهم من فرط حرارته قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع
اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيستمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة
رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من
قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا
او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا
واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله هدى
بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة
اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر
احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة
بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور
الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي
اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عليه السلام وانشقاق
القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع
التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم
مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع
التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم والمعنى ان تأتهم
الساعة بغتة لانه قد ظهر امارتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان
مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا
الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين
والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض لهم على ما يستدعي غفرانها وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف
متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار
والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما
هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول
الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة

محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة
ذكر فيها القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا انزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال
رأيت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم
وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل [illegible]
واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند
العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضر لي طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوا الله
تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد وجروا على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من
قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم فيه السنتهم فهل عسيتم لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع
اي هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تهالكا على الملك
وتكالبا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امر بالجهاد الذي هو عبارة
عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون بشأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اعطيتم
الحكم وصرتم ولاة ما ذكر من الفساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من
الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه
ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون مما يترتب عليه ما يتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا
ريب ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد
وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جورة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد
وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطيع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم على نزع الجار اي في ارحامكم و
قرئ تقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة
الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة
لغيرهم وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى
ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي الا يلاحظونه
ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل
اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر
والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب
منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال
اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على
المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب
وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم

اليهود وقيل اهل الكتاب من حيث انهم كفروا به عم بعد ما وجدوا النعت عم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان
سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف
من السول لاستمرار القلب ومعنى سول له اجراه او حمله في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف
اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان
الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او الاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في
عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا
منها ليس مسببا من القول الاتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين
به عم بعد ما وجدوا النعت عم في التورية كما قيل فان الكفر به عم ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان
المقول لهم المنافقين او المشركين على راي القائل بل حين بعثته عم للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن
على رسول الله عم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في
بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم
وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من
ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم
لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في
الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها
وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف
يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم
وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم
او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يتوفى احد على معصية الا يضرب
الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي
وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود
فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها
حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة
وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار النعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فان مخففة من الثقيلة وان
الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد
وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج احقادهم ولن يبرزها لرسول الله عم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة وبل المعنى ان ذلك
مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة
للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي
ما خفي على رسول الله عم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها

تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام
لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب
قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم
بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء
ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن
نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى
بما شاهدوا نعته عم في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون
يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته
شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال
دينه تع ومشاقة رسوله فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق
والعجب والرياء والمن والاذى ونحو ذلك وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله
في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء
الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا
الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل مفيدة لمجاوزة الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه
عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى
وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم
الاعلين وكونه عز وعلا ناصرا من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تع لاجور الاعمال
حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة
شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف
بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وفي قوله
تع فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها
وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون
ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان
يسألكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي
استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه
سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي

ها انتم هؤلاء تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلفوا مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلعم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضه بشر به رسول الله صلعم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له صلعم في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حرب شديد بل تراموا بين القوم بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضه رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه صلعم حين بلغه ان رجلا قال ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي رضه نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلعم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر فظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلعم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل جاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له صلعم من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له صلعم من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضه واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه صلعم في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية

ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضه ان اول ما اتاهم به النبي صلعم التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف على ما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها للبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هاهنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلعم وللامة وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضه صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له

على طريق التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود
ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا به
الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي وفى وفي بعده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا وتثاقلوا
عن الخروج وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه انهم سيعتلون
ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغّلتنا بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما
ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم
اليك بالاباطيل فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء
من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضر عنهما
وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي
حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظها وهذا تعريض للجمع ورد لهم بموجب مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما
يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما
قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون
من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام
اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم
معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على
اهلات كارضات على تقدير تاء التأنيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين
ذلك في قلوبهم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل مسندا
الى الله تعالى او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء
او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر
من الاستئصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ
وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك
وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره
وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة

في استغفاره عليه السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته
ممن يؤمن به وبرسوله واما ما عداه من الطاغين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون
وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم
خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون
ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام
بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله
عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا
معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال
الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله
بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما
قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في
امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد
هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن ارتد بعد رسول الله عليه السلام او المشركين لقوله تقاتلونهم او يسلمون اي
يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي
بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك
كان في عهد النبوة فيختص وان نفى الاتباع بغزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور
على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع
الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن
يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر
شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة
المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث
جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت
لاطوف قبل ان يطوف رسول الله قبل ان يطوف رسول الله عليه السلام واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام
لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله عليه السلام انتم اليوم خير اهل الارض
وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك
لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص

عند جابية له م وقوله تع فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل
بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اي مغانم خيبر
والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا اي غالبا
حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة تاخذونها
في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح و
ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه عن الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة
ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق
علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول
اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الآية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تع والتوكل عليه في كل ما تاتون
وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه الغنائم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين
ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تع قد احاط الله بها صفة اخرى
لاخرى مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى قدرته تع بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى
واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بفعل يفسره قد احاط الله بها اي وقضى
الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تع وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تع ذاتية
لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا
يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة
قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار اهل
مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله م خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح
وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم
عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي نحر
الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تع معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تع ان يبلغ محله بدل اشتمال
من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة
على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه م كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك
نحرت هداياه م والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تع ان تطؤهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال
منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة
بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا

عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه
والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله
تع ليدخل الله في رحمته متعلق بما دل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف
المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية
التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة
لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية
وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه قوله تع لو تزيلوا الخ فان ما فيه من
التزييل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزييل حتما اي لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل [illegible] هو احسن الله
الحكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء وقوله تع في
قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة
في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تع فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول م والمؤمنين بتوفيق
الله تع وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما دل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم تزيلوا فلم نعذب فانزل الخ
وعلى الثالث على المضمر تعقيب له والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله م لما نزل الحديبية بعث قريش
سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلعم ان يرجع من عامه ذلك
على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا
لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال
صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا
والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد
والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد
استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستاهل لها وكان
الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله م قبل خروجه
الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا
وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه م في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة
وقوله تع بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين
الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تع او بنقيض الباطل وقوله تع لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم

محذوف اي والله لتدخلن الخ وقوله ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت
او غيبة او غير ذلك او حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله ص او لما قاله ص لاصحابه آمنين حال من فاعل
لتدخلن والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين
فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استيناف اي لا تخافون
بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم
اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يستشهد بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي
من دون تحقيق مصداق ما اراه من دخول المسجد آمنين فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير
تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا [illegible] كما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله ما لم تعلموا عبارة
عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل [illegible] الجمهور [illegible] الفاء فان علمه بذلك متقدم على اراءة الرؤيا
فتحا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره
على الدين كله [illegible] الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام

[illegible]

الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع
ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك [illegible] عن النبي ص من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا [illegible] للتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم
بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اي

[illegible]

وعن عمر رضه انه كان يكلمه عم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضه اذا قدم على رسول الله عم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم
كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عم قوله تع ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لان تحبط او لاخشية ان تحبط او
كراهة ان تحبط كما في قوله تع يبين الله لكم ان تضلوا وللنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط
لكانت صلح الاجلة على طريقة التمثيل كقوله تع ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاهانة
فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعتاده بعضهم مع بعض قوله تع كجهر بعضكم
لبعض حال ان رفع الصوت فوق صوته عم ما كان منكرا لكونه لم يقيد بشيء ولا ما يقع منها في حرب ومجادلة معاند او
ارهاب عدو او نحو ذلك عن ابن عباس رضه نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وربما كان يكلم رسول الله عم فيتأذى بصوته وعن انس رضه انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عم
فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملي قد حبط فقال له عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما روي
عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوت النبي عم فقد قيل محمله ان
نهيهم مندرج تحت نهي للمؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها
وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تع ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه
بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه
وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها
فان الامتحان سبب للمعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضه اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره
والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء
حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها او من خلفها او قدامها ومن
ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى
بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة
وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عم من ورائها او
بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عم فيها ولكنها جمعت اجلالا له عم وقيل ان الذي ناداه عيينة
بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا
يا محمد اخرج الينا واسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين

بين يديك بلغني فيما مضى وبلغوا انك فانهم تع تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بالخروج عم فانها مختصة بما
هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى
فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر
المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله
غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان من
لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع
وقال لرسول الله عم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق
المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم
في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من قوله تع لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها
او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عم رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد
والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله عم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عم لم يطع رأيهم
واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما
يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا
من طاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار
امتناع طاعته عم لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر
قوله تع ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق
بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر
تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه من الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد
وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان
فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد موادها الكثيرة التي ينبئ عنها قوله تع في كثير
من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حسبما
لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت
من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد
الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة

انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين
حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت ثم اعلم ان الاحق بالاعتبار والاولى
بالاعتبار هو الوجه الاول لانه ادخل للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاتصال
على صيغة المضارع المفيدة للتاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر
الجريان على موجب القياس او لم يكن عنه مندوحة كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث تحمل على الاستمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في
نفي استمراره نوع فائدة واما اذا انتظم الكلام مع رعاية موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى
وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف
الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا اليكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من
الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في
التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين
كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول
هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة
كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل
لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم
فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى
ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت واقلعت
عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون
بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك
حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية
نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي
عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح
والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل
واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق
الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا
الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا
على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال
لانهم القوام على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع
واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع

والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء
من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط
الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي يدور عليها امر السخرية غالبا
بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله
تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس
واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا
بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به غالبا وعرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم هيهنا بمعنى
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي
ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح
كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء
بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر
الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى
يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال
ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه
بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات في فنون شتى الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل
الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للآكل وميتا واخراج تماثلها مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا
بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل
كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه
والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب
كمن لا ذنب له ولا يختص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة

بعثا سلمان الى رسول الله عم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله عم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عم
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل
سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تأكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع
البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل
لا للتفاخر بالآباء والقبائل ادعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتعارفوا على الادغام ولتتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف كأنه قيل
ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل
لم لا تفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى
فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس
انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضه كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى
ان الله عليم بكم واعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله عم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عم ما فعلوه قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة
وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم علي ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام
انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به واختار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم
والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم
لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق
لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الألت وهي لغة
اسد وغطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم
ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان في حال انشائه فقط بل وفيما
يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على
تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون
بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤا
وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه
بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم
وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند

اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي
لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي
اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر
عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو
صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي
لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل
والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به
بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوجب شيء بالقبول اقربه الى التلقي بالقبول وقيل
التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك
والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجد كأنه قيل ليس
سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن ان لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان
لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عم منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار
بتعيينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا
اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان
بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل
من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واحق بان يكون كفرا أئذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل
في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي أنبعث اذا متنا وصرنا ترابا ذلك رجع كما نطق به النذير والمنذر به
مع كمال التباين بيننا وبين الحياة وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع
رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى الرجيع الذي هو الجواب فناصب الظرف ما ينبئ
عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى
انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء
كما كانوا عن النبي عم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها

بعلم من عنده وكتاب حفيظ تبلغ منه كل شيء او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من
بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم
من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار
بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن
افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها
بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظم بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب
وخلل ولعل تأخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من
رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان الرواسي لارساء الارض بها وانبتنا فيها
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل
الاخير او بفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه
متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر
من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به
جنات اي اشجارا كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شأنه ان يحصد من
البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها
بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها و
امتيازها من البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض
والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها
في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله
تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان
يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر
من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها
بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة
بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من
الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحيوة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها
وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث
وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب
منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل غيرهم كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود و
عاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة
هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما

ارسلوا

ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب
جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على عدمها وهو الاظهر
فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد
اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف مقرر
لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعيي به اذا لم يهتد
لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق الاول
فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنهم قيل هم غير منكرين
لقدرتنا على الخلق لتعظيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه
وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء
للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان يكتنفان صفحتي
العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان
منصوب باقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان
من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى
عليهما وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك
مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان
مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي
من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي بريا
ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول
ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان
كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما
معا على الصدر عنه لقوله تعالى عتيد اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان
وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل
انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يساره وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل
سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت
بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة

عليهم انتهى ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يترتب عليه من الاحوال والاهوال وقرئ بجري وقوع كل منها
بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وبحاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول
بخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل
الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او للملابسة كما في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة
والغاية الجميلة وقيل سكرة الحق بالموت والمعنى انها سكرة الحق التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق
الروح او تستتبعه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور يعني
النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع
الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل
على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس
من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا
اي ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال
من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل قوله تعالى لقد
كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة او حال او مستأنف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه
قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ والخطاب لكل نفس لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة
وقيل الخطاب للطاغي وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما
في قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرورة فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي
وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما هو من كتاب عمله هذا
مكتوب عندي عتيد لديها للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد
خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم
عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين
بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله
الها آخر مبتدا متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير
للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت استئناف
الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه منبئ عن سابقة
كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة

العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو
بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب
في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل
للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء زائدة او معدية على ان
قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف
هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا
ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله
وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد
ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك عنهم من جنايات بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم
على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة
في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم
هل امتلأت فتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها
تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او
انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب
باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من
الاحوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب
وقد تم تقديم حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف
ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي
مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر
الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة لما ان المشار اليه
هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير
الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اعتراض بين البدل والمبدل منه او
مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب
اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر
منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل المستودع الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره ادخلوها على تأويل

فيقال لهم ادخلوها وجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله اي خشيه وهو
اي خشيه ملتبسا بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار
بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وانهم عاملون بموجب قوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى
وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته
ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها
وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء
للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من
محيص اي هل لهم من محيص من امر الله والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص
او على ان التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش جرى مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل
ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا لانفسهم ويعضده القراءة
على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم
او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي
قلب مدرك لكنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع
عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر
فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد
اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه
عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا
من لغوب من اعياء ما والجملة واردة على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى
بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل
هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك
اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه بما يوجب
التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما
مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة
اذا انقضت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب
الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك

من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي اي اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي من مكان قريب بحيث يصل
نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة
ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل
في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من
القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا
ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول
من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص
اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار
بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت منذر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل
بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحب الحاملة
للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية
في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا
ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها
ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما
تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطة له وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت
الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال
القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري باسطة له الى
ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة
بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن
قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين
الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال
سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق
والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار في النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها
نجومها حيث تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ
الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل
انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم تارة شاعر واخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة
شعر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة

لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف ولعل النكتة في القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها
واختلاف غاياتها وليس من ذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول عم من صرف اذ لا صرف افظع
واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك
القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله
تع قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم اجري مجرى اللعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم
اصحاب القول المختلف كانه قيل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون
غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال
استهزاء به وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون
ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا محذوف اي هو يوم هم على النار والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ
بالرفع هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون
به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات
وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم
حسن مرضي متلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما
ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تع كانوا قليلا من الليل ما يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف
او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما زيدة في الوجهين ويجوز ان يكون موصوفة او موصولة وتفسيرا على
الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل
الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الفرار في النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل
قليلا بل يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم
حق اي نصيب واجب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي
يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تع على التفصيل
من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها ال
وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار ذات اصناف
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتبت كلها ودبرت لمنافع ساكنيها ومصالحهم في
واختلافهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما
انفرد من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع
المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب
رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة
في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدا خبره فوقوله فورب السماء والارض انه

لحق على ان الضمير لما واما على الاول فما ماله والما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم
تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون [illegible] ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن
في الحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت
عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده انه قرئ بالرفع هل اتاك حديث
ضيف ابرهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلعم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل
وملك آخر معهما عم وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه
كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تع او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث
او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابرهيم سلام
اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته عم احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين
وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من
الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لانه
خاطبهم به جهرا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل ولا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات
الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى ويبادر به حذرا
من ان يكفه او يعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تع فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة
الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به
فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم خيفة فاضمر في نفسه
خيفة لتوهم انهم جاءوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبرئيل عم العجل
بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بوساطتهم بغلام
هو اسحق عم عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان اول اقبلت باخذت كما يقال اقبل
يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء ولما اخذها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها
كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما
نحن معبرون نخبرك به عنه تع لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي
ان جبرئيل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع سارة
فقط بل مع ابرهيم عم ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكرها اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر سارة اكتفاء بما ذكر
هنا في سورة هود قال اي ابرهيم عم لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى
البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا
عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت الماشية
اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد
في الفجور وقوله تع فاخرجنا الخ حكاية من جهته تع لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابرهيم

م من الظلام والفاء فصيحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كأنه قيل فباشروا ما امروا به فأوجبنا بقولنا فأسر بأهلك اه
من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت
من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها آية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب
قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم
ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف على قوله وفي الارض
او على قوله تع وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو
المصراع الاول [illegible]
منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنا وقت ارسالنا وتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات
الباهرة فتولى بركنه اي فأعرض عن الايمان به وازور كقوله تع ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن
اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق
العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرها فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم الشأن
القدرة الربانية بحكاية ثم ما هذه وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في اخذناه
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقيم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر
او القاح شجر وهي الدبور او النكباء او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي مرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم
وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تع تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل
قال لهم صالح عم يصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر
ربهم فاستكبروا عن الامتثال به فأخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح ام من اصفرار وجوههم واحمرارها
واسودادها عمدوا الى قتله ام فنجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة
فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها والى ما بينوها فما استطاعوا من قيام كقوله تع فاصبحوا
في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز
ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده انه قرئ بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه او فنبذناهم من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بأيد اي بقوة وانا لمو
لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق
والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس
خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك
لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على
اعادة جميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تع ففروا الى الله مقدر بقيل خوطب به النبي ام بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر
على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك اي
فروا الى الله الذي على جملة مقدرة مترتبة على قوله تع لعلكم تذكرون كأنه قيل لهم فتذكروا ففروا الى الله وقوله تع اني لكم منه نذير
مبين تعليل للامر بالفرار اليه تع او لوجوب الامتثال به فان كونه ام منذرا منه تع موجب لان يأمرهم بالفرار
اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تع منذر بين كونه منذرا منه تع او مظهر الموجب للفرار من العذاب المنذر به وفي الحكم
تعالى للرسول ام بان يأمرهم بالهرب اليه تع من عقابه وتعليله بانه ام منذرهم من جهته تع لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم

من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تع ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من عقابه كما
يشعر به قوله تع اني لكم منه اي من جعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كل منهما بالانذار مع كون صلة الابانة بعينه يعني الانذار يقال فيه اي كما
هو واقع عقيب كل منهما بل وقوعه من ان يجعلوا مع الله شيئا اعتقادا وقولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه
تع لكن بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم ساحرا
او مجنونا وقوله تع ما اتى الذين من قبلهم تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل
الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة
الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى
بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع
منه من الطغيان الشامل للكل على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم
بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاباء فما انت بملوم
على التولي بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم
ووضع الظاهر موضع الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تع ايمانهم او الذين آمنوا استئناف مؤكد للامر مقرر
لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تع مما يدعوه ام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم
خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها
مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تع
لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض
وهو الطامن بالفعل من كل وجه واما بغي بغاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تع بل كلها جارية على ذلك المنهاج
وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تع بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق
مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف الارادة
فان تقوى البعض تخلف المراد عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية
كما في قوله تع كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بالعبادة
كما في قوله تع وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تع ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس اشقياؤهما ويعضده قوله تع وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه
الا ليعرفون ومداره قوله ام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة
بعبادته تع لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شأنه تع مع عباده متعاليا
عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد
ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من
عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين
بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الابد فان
للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب بالتكذيب رسول الله ام او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا

اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهي مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب
وهو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون اي لا يطلبون ان يعجل في المجيء يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب
وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء
الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل
يوم القيمة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وجل وكتاب مسطور على وجه الانتظام
فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح
او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار
بانهما ليسا مما يتعارف الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولعل في حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور
اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس اذ روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة
نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة
لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع منه على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها
امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره
التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته
والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها
تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما
للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي تمورا عجيبا وتسير سيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي
اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ وقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب
في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا
بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا
بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا
يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ
ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سكرت ابصاركم كما سكرت في الدنيا على
زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها
وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب

ولا تخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر
وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات
ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه
الخبر والظرف لغو متعلق به وقوله تعالى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على ما آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان
او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب
في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف وللتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا
او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف
الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق
او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن لما ان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين
آمنوا الآية كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم
في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله بايمان متعلق
بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان
الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا الآية وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من ثواب عملهم من شيء
بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم
بكسر اللام من الت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت
يولت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين
آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف
على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم
ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وايمان الذرية
كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقنا بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول
والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب
راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان
لا ينقص من ثواب شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي
التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم
بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها
اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن
الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك

مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلعم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسأل كل بعض سائلا او مسئولا الا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل نعبده اي نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون هو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصافهم في واحد وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون من الاكاذيب خارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلعم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخالق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا [illegible] اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاؤوا وقرئ [illegible] ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن [illegible] يقولون قولهم رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار

الغيبة والالتفات في الخطاب لتنبيههم على انهم المنقطعون من الانظار والتعنت ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه صلعم واعراض عنهم بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلعم في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا ولان قوله يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه وعملوه من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم اي من اي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضه معناه صل حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من آخر الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي صلعم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي احدى وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن القبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وهو في الاقسام شائع [illegible]

الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدي به الساري الى مسالك
الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة
وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شئ اصلا واما على الثاني
فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كأنه
قيل والقرآن الذي هو علم الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده
عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه
بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم
بوقت الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب
ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من التدلي من جبريل من الافق
الاعلى ودنوه عليه السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض
النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق
عن الهوى اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق
كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار
التجددي علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة
قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة
فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة
في عقله ودينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام
على صورته التي خلقه الله عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله عليه السلام احب
ان يراه في صورته التي جبل عليها من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام
في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غيره مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل
استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا
اي اراد الدنو من النبي عليه السلام فتدلى اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي عليه السلام يقال تدلت الثمرة
ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدار
القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبرائيل عليه السلام كما هو مني مقعد الازار او ادنى اي على
تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى
اي جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من
الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى الله تعالى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى
تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عليه السلام ما رأى اي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام
اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب
اي صدقه ولم يشك انه جبريل عليه السلام افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او انتهاء
ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهي الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا

من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال
غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده ولقد رآه نزلة اخرى اي وبالله لقد رآى جبريل
في صورته مرة اخرى من النزول نصب النزلة نصب الظرف الذي هو المرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند
سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من
اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء
او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح
الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها ينتهي العلوم
او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال الله تعالى الى ربك المنتهى
عندها جنة المأوى اي الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن ان يكون الحال
هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده
من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والتغشية بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي
او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل حين اي يأتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف
ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار
الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور
الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث
لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وروي
عن النبي عليه السلام انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام
يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله عليه السلام عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور
المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فاري من
عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف
اي شيئا عظيما من آيات ربه الكبرى وان يكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي
اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل
كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي
الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول
فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة

وقيل لثقيف وكانت سميت مناة لان دماء النسك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون الاولية والتقدم
عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتب الرؤية
على ما ذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب
ما سمعتم من آثار كمال عظمته تعالى في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى
وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها
شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في
الآية السابقة وقيل أظننتم هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم
هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ألكم الذكر وله الانثى
شهادة بينة فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول حيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم المذكور وجب ان يكون
مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر انه ليس في شيء من التقادير المذكورة
من تلك النسبة عين ولا اثر وأما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول
لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى
لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي
اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم على جناب الله عز وجل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة
الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى
اما انه مصدر وصف به كذكرى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي اي الاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها
الا اسماء محضة ليس تحتها ما ينبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة الاسماء وضميرها لها لا الاصنام
والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء لان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فمعناها جعلها مسمى للاسم وانما اختير
هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي سميتموها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات
قطعا كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء
الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين واستخبر بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام
فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات سميتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم
الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات من الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى
الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما
باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا ظل انفسهم الامارة بالسوء ولقد
جاءهم من ربهم الهدى قيل هو حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى

النفس وزيادة تقبيح حالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب
اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم
الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من
الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى
تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر
من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة
الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة
المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من
الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه
اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى من الشفاعة لهم بالف معزل
فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها
من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمونه
كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي
تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث
لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما
يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي
جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلتهم من الاوصاف
القبيحة وتعليل الحكم اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين
والآخرين المذكر للامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها
والمرهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض
عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا
على الباطل ذلك اي ما ادعاهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون
يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها
والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا
وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة
التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شأنه
الاهتداء في الجملة اي هو البالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك
في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين يقابل عليه مع اخر
الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا ولله ما في السموات

وما في الأرض أي خلقاً وملكاً لا لغيره أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه أعلم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبلها فإن كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر علمه بأحوالهم ألا يعلم من خلق فكأنه قيل فيعلم ضلال من ضل
واهتداء من اهتدى ويحفظها ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا أي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة بياناً
لحاله أو بسبب ما عملوا ويجزي الذين أحسنوا اهتدوا بالحسنى أي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى
وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض فكأنه قيل خلق ما فيهما ليجزي اه وقيل متعلق بضل
واهتدى على أن اللام للعاقبة أي هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره إلى أن يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول
إلى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين الذين
يجتنبون كبائر الإثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب
واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد
بخصوصه وقرئ كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصاً إلا اللمم أي إلا ما
قل وصغر فإنه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي خطرة من الذنب وقيل كل ذنب
لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع إن ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه
عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم
وجوب العقاب عليه تعالى هو أعلم بكم بأحوالكم يعلمها إذ أنشأكم أي أباكم آدم عليه السلام من الأرض إنشاء إجمالياً حسبما
تحقيقه مراراً وإذ أنتم أجنة ووقت كونكم أجنة في بطون أمهاتكم على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم
وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء
في قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم
كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة
عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو أعلم بمن اتقى المعاصي
جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون
صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة
من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر أفرأيت
الذي تولى أي عن اتباع الحق والثبات عليه وأعطى قليلاً أي شيئاً قليلاً أو إعطاء قليلاً وأكدى أي قطع العطاء
من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن
يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي
كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل في أبي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمر محمد
صلى الله عليه وسلم إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلاً وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى
أعنده علم الغيب فهو يرى أي أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة أم لم ينبأ بما في

في ضمن انشاء آدم

صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أي وفر وأتم ما ابتلي به من الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أتاه جبريل حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعلى ذبح
الولد ويروى أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة
أشهر عندهم وأكثر ألا تزر وازرة وزر أخرى أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل من صحف موسى أو الرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو ألا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه
ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره
وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان
عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات
وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يحصى من الأمور النافعة للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة
كل منها عمله الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وإن كان بانضمام عمل
غيره إليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة
في صحيفته وميزانه من أريته الشيء ثم يجزاه أي يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله على عمله وجزاه عمله بحذف الجار
وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم يفسره بقوله تعالى الجزاء الأوفى أو يبدل هو عنه كما في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا وأن
إلى ربك المنتهى أي انتهاء الخلائق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً وقرئ بكسر إن على الابتداء
وأنه هو أضحك وأبكى أي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وأنه هو أمات وأحيا لا يقدر على الإماتة والإحياء
غيره فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وأنه خلق الزوجين
الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وأن عليه النشأة الأخرى أي
الإحياء بعد الموت وفاء [illegible] بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي أيضاً مصدر نشأ وأنه هو أغنى
وأقنى وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال وإفرادها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا
له قنية وأنه هو رب الشعرى أي رب معبودهم وهي العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها
سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيهاً له صلى الله عليه وسلم
به لمخالفته إياهم في دينهم وأنه أهلك عاداً الأولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء
لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح وقرئ عاداً لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها إلى اللام وعاد لولى بإدغام
التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف وثمود عطف على عاداً لأن ما بعده لا يعمل
فيه وقرئ وثموداً بالتنوين فما أبقى أي أحداً من الفريقين وقوم نوح عطف عليه أيضاً من قبل أي من قبل إهلاك
عاد وثمود إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم
أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة والمؤتفكة
هي قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها أي انقلبت بهم أهوى أي أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام
إلى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فبأي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد والإسناد

فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فإن صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معاً لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها
المعنى الأول فقط كما في تداعوهم أي دعوهم وقد تجرد عنه أيضاً فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه
فإن المراد بتعدده تعدد متعلقه وتسمية الأمور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم من حيث أنها نصرة
للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الأولى هذا إما إشارة إلى القرآن
والنذير مصدر أو إلى الرسول صلعم والنذير بمعنى المنذر وأيا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير
مؤكد له ومتضمن للوعيد أي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول
منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله
تع أزفت الآزفة إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيمة أي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في قوله تع اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة أي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله تع لكنه لا يكشفها أو
ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير إلا الله تع فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تع كقوله تعا
لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها من غير الله تع كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية
أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون إنكاراً وتضحكون استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك ولا تبكون
تحزناً على ما فرطتم في شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة وأنتم سامدون أي لاهون أو مستكبرون
من سمد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون
جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد
شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للمنفي
والإنكار وارد على نفي البكاء والسمود معاً وعلى الوجوه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود
والأول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تع فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان
مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع أي وإذا كان الأمر كذلك
فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه عن النبي عم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق به وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله عم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضه انفلق فلقتين
فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان رضه ابن عطاء عن أبيه أن
معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فإنه ناطق بأنه قد
وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام أي وإن يروا آية من آيات الله يعرضوا
عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال
كسائر أنواع السحر أو قوي محكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو
الأنسب بتلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي ذكره وقرئ وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة

وكذبوا أي بالنبي عم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا أهواءهم التي زينها الشيطان
لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وقوله تع وكل أمر مستقر استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره
حيثما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي
عم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح
وقيل كل أمر من أمرهم وأمره عم مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة [illegible] خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة
أو سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على أنه اسم مكان أو مصدر أو اسم زمان أي ذو موضع استقرار أو ذو استقرار أو ذو زمان
استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ولقد جاءهم في القرآن
وقوله تع من الأنباء أي أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أي وبالله لقد جاءهم
كائنا من الأنباء ما فيه مزدجر أي ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه
موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وإدغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بالصفة
فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للإغناء أو إنكار له والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة
للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على
الوجه الثاني منصوبة أي فأي إغناء تغني النذر وهو جمع النذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار فتول عنهم لعلمك بأن الإنذار
لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون أو باذكر والداعي إسرافيل عم ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في
قوله تع كن فيكون وإسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا إلى شيء نكر أي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول
القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر خشعا أبصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لأن العامل متصرف أي يخرجون
من الأجداث أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ
خاشعة على الأصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق
مهطعين إلى الداع مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ من
وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر أي صعب شديد
وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع
في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله فما تغني النذر
أي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تع فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله
تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الآية وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا إثر تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم
وفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عم ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون أي
لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون وازدجر عطف على قالوا أي وزجر عن التبليغ بأنواع
الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه أني أي بأني وقرئ بالكسر على إرادة القول
مغلوب أي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر أي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا

والتي وفتنوا وبي ان الواحد منهم كان يلقيه فيخنقه حتى يغشى عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله
وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة في المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء المائين لم يكن
بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح
اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها
تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه كان نعمة كفروها
فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير
والاستتار في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها
من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل
هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام
فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر
جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الجملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار
كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن للعرب بان انزلناه
على لغتهم ووشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار
ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه
بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية
تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما
بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا
صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي
استمر شؤمه عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم
روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه
وقيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس وتذكير
صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم
في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت
ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم
على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او من
آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع

ولو قدم عليها لفات هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام
انا اذا اي على تقدير اتباعنا اياه وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من
مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران فعكسوا عليه ءالقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع
علينا بادعائه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه
والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من
الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او
على حكاية اجابتهم به صالحا وقرئ الاشر كقولهم حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي
الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على
تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي في صدر قصة عاد انا
ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبرائيل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي
يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح
الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير
منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من
شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبرائيل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر
اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب
ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم
حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر
صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد
جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل
فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم

ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا تصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا
وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات
ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون
نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم و
اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولوا حزم ورأي امرنا مجتمع
لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع
رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة
الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عم
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سنهزم الجمع اي الله عز وجل
بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر
اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها
لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في
ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يتعلق به في ضلال اي
اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا
مس سقر اي حر النار والمها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر
على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين
اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبر وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة وهو
الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي
مكتوب على التفصيل في الزبر اي في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ
بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكامل
الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن
ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس ومراعاة للفواصل وقرئ ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن النبي عم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر

سورة الرحمن مكية وهي ست وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله تعالى وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر
لتذكر الناس وتعاظمهم ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام

من فنون النعم الدنيوية والدينية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدأ بتعليم
القرآن فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شأنا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار السعادة الدينية والدنيوية
عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشأوه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو
منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وانما قدم على ذكره تنبيها
على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان
انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان
من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي عليه يدور تعليم القرآن وجمل الثلث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء
الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما
ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب
والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان لله تعالى فيما
يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا وكلتا الجملتين خبران آخران للرحمن وترك الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط
المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها
وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا
من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ
احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عم
بالعدل قامت السموات والارض وقيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم
الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك
فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم
واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان
او اي لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل
وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان
الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله
والحث عليه ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره وبفتح السين على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على
ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون
الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون
الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية التمر جمع كم بالكسر او كل ما
يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة

والحب ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين
التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعوم الناس وقرئ والحب ذا العصف
والريحان بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان
قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله الواحدي فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل
من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية
مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند
اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره
تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم
المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لها لا محالة
اي فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء المعدودة تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد
بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين
والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا
ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من
لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض
عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الذي
فعل ذلك من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون ربا لما بينهما من الموجودات قاطبة
وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من
اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في رأي العين
وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى
او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي
آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور
وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وانما قال منهما مع انهما تخرجان من الملح على ما قالوا لما انهما تخرجان من
ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر
مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ
والمرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول
من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر
كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على
الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك ويبقى وجه ربك اي

ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده
وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام
فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر
فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء ربكما
تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات
والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان
المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات
بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون
على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم كل يوم اي كل وقت
من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني
آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقيل فيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله تعالى لا يقضي يوم
السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم
وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى
الا شأن واحد هو جزاؤكم فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك اي
سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل
وللمفعول وقرئ سنفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من
جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر
الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة
فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم اي قدرتم على ان تنفذوا اي
من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا
منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانى لكم ذلك
وقيل يروى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا
الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب
يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظ
ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي
لا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف ونعمة واي نعمة
فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان

لكان ناضة اي حصلت سما اورده فيكون من باب التجريد كقولهم من فلان ولئن سألته لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت
كريم كالدهان جمع دهن او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم ما يدهن
به كالحزام والادام وقيل الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباي آلاء
ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم
يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما
قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد
من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فباي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم
عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم
من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ
مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ
ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول لهم بطريق التوبيخ على ان الجملة استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال
او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها
اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا
من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء
الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها
آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم
الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو
في شان من النعم الدنيوية والدينية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها
من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين
هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين اي قيامه على احواله من قام عليه
اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مقحم
للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائف منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى
يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد هذا فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان

صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ
والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها
بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان
صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل
من مسك وعن ابن عباس رضي الله عنه وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما
من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا
تجريان من مخافة الله عز وجل فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب
او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور
وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنه
تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من
الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور
وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس
ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون
وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة
فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها
اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من
كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فباي
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي ما جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر اي ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين
النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام

في جمع القصر كالتوى في قيام وخيرات مخففة من خيرات لأن خيرا الذي بمعنى أخير لا يجمع وقرئ على الأصل حسان أي حسان
الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة
قصيرة ومقصورة أي مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل إن الخيمة من درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان كالذي في نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب
على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة وهو ما تدلى من الأسرة من
عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال
لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب إلى عبقر تزعم
العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع على المعنى كما في رفرف على أحد
الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآيات الواضحة المفصلة
على الأنام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن إفاضة الآلاء
وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان اسمه بملابسته دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته
الأقدس الأعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال
والإكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة أي إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها
لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة
وانتصاب إذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال ما لا يفي به المقال
وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أي لا تكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب
في نفسها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر
لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعاقبة أي ليس لأجل وقعتها وفي حقها كذب أصلا بل كل ما ورد في شأنها
من الأخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين
وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء
إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن إزالة الأشباح وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب
وإسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة
رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى إذا رجت الأرض رجا أي زلزلت زلزالا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض
ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض أو بدل من إذا وقعت وبست الجبال بسا أي فتتت حتى صارت مثل
السويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله

تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست أي ارتجت وذهبت فكانت أي فصارت بسبب
ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط
أزواجا أصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فأصحاب الميمنة
ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية
إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية
مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر للأول والأصل ما هم أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت
في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب
فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة
والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال
وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلف في الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة
السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين
يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار
وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والأشقياء مشائيم
عليها بمعاصيهم وقوله والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير
ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم
بعنوان السبق مطلقا معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتطلبوا فيهم فقيل هم الذين سبقوا
إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم
السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وأياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون
هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان
بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون
إلى رحمته أو السابقون إلى الخير السابقون إلى الجنة وقوله تعالى أولئك إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أو أولئك
الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون أي الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت
مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر في إعراب هذه الجمل وأشهره والذي
تقتضيه جزالة النظم الكريم أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله
والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام وأما
أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب
المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخذ في بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة
بين القسمين منبئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباء إجماليا مشعرا بأن لأحوال كل منهما تفصيلا مترقبا
لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبره على ما رآه سيبويه في أمثاله بل على أنها خبر

خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امر بديع اصحاب الميمنة
كما يفيده كونها مبتدا، وكذا الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره
لم يحتج فيه الى تغيير الاسلوب فقوله تعالى والسابقون مبتدا والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم اولئك مبتدا ثان
او بدل من الاول وما بعده خبره او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو
حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار
بتقريبهم ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين
وهم الامم السالفة من لدن آدم عم وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالف
قوله عم ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي
هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان
كثرة كل من الفريقين في نفسها لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة
وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر
على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في حال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان
من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من
اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف
اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون
والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي
ذلك عن علي رضه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم
واباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكأس لانها
لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون
اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا ولا ينزفون اي
لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره
وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدا محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او
على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا
كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء
باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال
فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله
تع لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى
انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا
وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تع واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة

اثر تفصيل

اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدا وقوله تع ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم
وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تع في سدر مخضود وهو على
الاول خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشأن اي هم في سدر مخضود اي غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد
شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود
قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز وام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة
طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضه انه قرأ وطلع وما شأن
الطلح وقرأ قوله تع لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس رضه نحوه وظل
ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب
لهم اينما شاؤا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود وكأنه مثل حال السابقين
باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين
وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة
عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة
كقوله تع وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء
حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تع هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون ويدل عليه قوله تع انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع
عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث
هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تع بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تع فجعلناهن ابكارا وقوله تع عربا جمع عروب وهي المتحببة
الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة
وكذا ازواجهن واللام في قوله تع لاصحاب اليمين متعلقة بانشأناهن او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب
لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف
اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تع ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف خبر به
اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد والضحاك ثلة
من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضه في هذه الآية قال قال رسول الله عم هما جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل
احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تع ما اصحاب
الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تع في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سماه ظلا ثم نفى عنه
وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد
ولا كريم وقوله تع انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر

من سموم العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات
فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث
اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض
اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لانه ادخل في الاستبعاد لانقلابه من الاجزاء البادية واذا
متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن
على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار
لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على
رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في
المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعداده ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك
الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى أوآباؤنا الاولون لتأكيد
النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين
ابعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم
انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة
الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم
والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا
او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم
من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر
هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث
من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه
للزقوم او للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون
شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم
وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم
الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي
يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب
هذا الذي ذكر من الوان العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك
بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي
تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن
خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها
اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل والاعتقاد بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا

عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة وضعف الاول هو الوجه كما يستخطبه قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل
شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد
نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين
حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل
امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار
ولا تعهدون بمثلها قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما نحن بمسبوقين بل يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل
اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى المعنى الثاني صلة اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هي خلقهم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر
على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى
وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار أفرأيتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم
تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه
حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعدما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون
تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما
اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ
تفكنون اي تتندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في
حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا
او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب وتخصيص
هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به أأنتم انزلتموه من المزن اي من السحاب
واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا
ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق
بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان
ان عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا
تشكرون تحضيض على شكر الكل أفرأيتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم انشأتم
شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ
عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التي لا تخلو عن النار
حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وكان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه
خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم

حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم لما روي عن النبي عم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم
جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشجر الرطب ومتاعا ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين
الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما
يهمهم وتيسر غلاتهم فيما لا يوكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح
باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى
عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة
مع جلالة قدرها وظهور امرها وشكرا على تلك النعم السابغة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان
اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى
لئلا يعلم او فلانا اقسم بحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او فلا رد
لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به
وتفخيم شان المقسم به بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة
على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى او لان نزول الرحمة والرضوان
عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم
نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق
مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم
اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله
تعالى لو تعلمون بين الموصوف والصفة وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه
او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه
الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب والمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن
فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس
على طريقة قوله عم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم
بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه
وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن انتم مدهنون
اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تجعلون
التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق
المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الانواء
والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسباقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الآية
مبني على انكارهم القرآن وما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث
ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا

ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول
صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله
الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تدفعوا عنه ادنى شيء
منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا
فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن
خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها وهو العامل
في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم
فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من
المقربين الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله
من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها
سبب لحياة المرحوم وبحياة دائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين
عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للنوعين الآخرين
وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لانشاء سلام
بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من
المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد
اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك
ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها
فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من
جملتها الاشراك به والتكذيب باياته الناطقة بالحق عن النبي عم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض
والماء اذا ذهب وابعد فيهما واسناده هنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان
مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين
ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب
الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى
وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى خالصا لوجهه
ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حقه من شأنه التسبيح

الاختيار رقي السجدة تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب
الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله منبه
على علة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد
والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه (اي في الاشياء بجملتها) وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله
حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة
هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدؤها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر
عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة
فلا تحوم حوله العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار
الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة
علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن
الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع
الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى
بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
لهم في الانفاق فان من علم انها لله تعالى وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق
او جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم
الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغة
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل
وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك
عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على
توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا
اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار
الوقوع كما في اأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون
لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري ذلك الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا
قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر

في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان
من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما
فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات
ليخرجكم اي الله او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم
حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في
سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك
ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي
شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى
ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب
قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع السموات والارض
بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة
وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها
لله واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم
اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق
مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق
محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق وجمع
بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين
اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة
الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي عليه السلام لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا
بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من
الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل
وعده الله والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه
فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله بعد الامر به
والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان
يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم الاموال وافضل الجهات
فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له
اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس

فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه
ويضعّفه بالرفع وبالنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او لقوله فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر
تفخيما لذلك اليوم وقوله تع يسعى نورهم حال من مفعول ترى يسعى نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل
هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضه
يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام
رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون دليلا الى الجنة بشراكم
اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم
الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى
للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب
تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور
الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من
نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا
وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان
والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا
لهم وارادوا بالنور وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة
له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي
من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استيناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم
لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي
الموت وغركم بالله الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى
بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او
مكانكم عن قرب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استيناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين
ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعيم وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضه ان الله استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره
تع وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر
اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل

من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة
كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من
جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل
هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين
شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله تع ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال
اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي
كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث
للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون
كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين
والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين
وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا
وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين
بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين
آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن المضاعفة والاجر
كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصديق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عم امر النساء
بتصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا
والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف
لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ
على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم وقد مر ما فيه من الكلام
والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول
الذي هو مبتدا وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدا ثان وقوله تع هم مبتدا
ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك
والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا
الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله تع
ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تع لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات
ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على
الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية

الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون
والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للاخيرين بل بين تمام ما للاولين من الاصل
والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور
الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال
الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان
بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته
اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما
لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما
متكسرا ومحل الكاف النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا
بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى
فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر
العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة
عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى
الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله
وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من
ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك
فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله
ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك
يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع
والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق
الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى
منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه
بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ
الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او

او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله
غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق
لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل
روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة
والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان
اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحرب انما تتخذ منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف
على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي
وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل
او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم
الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر
فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله
تعالى لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم
اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم
برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح
وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ
بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة
على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي عليه السلام رحماء بينهم ورهبانية
منصوب اما بفعل يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا
في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة
في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب
ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل
فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها
عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فقوله تعالى فما رعوها

وهو ان يكون انتصاب رهبانية بفعل يفسره الظاهر منه

حتى رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله تعالى لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضا الله تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى فيه ذه
لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم للاتيان بها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها
رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم
فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض
وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع
وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الى غيره يؤتكم
كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل صلى الله عليهم لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة
بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة مما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة
لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله
يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي
يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة
واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو
الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان او حال او
خبر وحال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون
الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من
اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم
في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون
اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا يعلم بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون
الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا واحتمل فيحتمل الاخير ضمير لا يقدر للنبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة
عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى
ان الفضل بيد الله الآية عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في شأنه
وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع
اليه تعالى وقيل حال من فاعلها اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن ... ظاهر منها

عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك
فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد
حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله تعالى فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال حرمت
هتفت وشكت الى الله فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم حادثتهما
ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع رأسها
الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا
علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع
حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل
لما قبله فان الحاجها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته صلى الله عليه وسلم اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه
تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ
في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء
وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال
الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق
الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد فصل في الابواب
الفقهية تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر
الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويظاهرون من تظاهر ويتظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على
الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا
من الحقهن الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء
من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق
بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا
عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع
الكلي المنتظم لحكم حادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك
والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فعليهم او
فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير من قبل
ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع
شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف
عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات

تراجعون عن مثل الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم تحرير الرقبة الذي هو علم
في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما
يوجبه من جنايات التكفير خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد
اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطاء فمن لم يستطع اي الصيام
لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس
لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد
قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى
البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على
طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين
كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله
دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع بالاغاية وراء كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل
لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب
كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا
اي كبتوا لمحادتهم والحال انا انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وبما فعلنا بهم وقيل آيات
تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك
الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الكاينة او بمهين
او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة
فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما قبله من السؤال الناشي من
التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي امور متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يغب
منه شيء وقوله تعالى ونسوه حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم
بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قطعا والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى
كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينا متاخما للعيان
انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة
الخ استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث
النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلثة نفر اي مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على انهم صوروا بصورتها اما
بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلثة او جعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو

سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من
الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا
ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان
نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود و
المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عم ثم عادوا لمثل فعلهم
والخطاب للرسول عم والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودتهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة
وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول عم وذكره عم بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عم لزيادة تشنيعهم واستعظام
معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك
به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي
فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى
اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره
فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم
وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا
اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس
متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عم وكانوا يتضامون تنافسا
في القرب منه عم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى
مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام
متعلق بتفسحوا مطلقا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة
او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا
منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا
درجات عالية بما جمعوا من اثري العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك
شأوها العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون

بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عم فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول عم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال
والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله
تع أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها غيري كان
لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء
مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم
من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تع فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب
لانه رخص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من
تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم
ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كالتي في قوله
اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي فاذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات
فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام
بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين
كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تع من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا
لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه
وقوله تع وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب
في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه كان في حجرة
من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل
المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله عم على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال
ام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا
نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل واصروا
به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه
لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بالاظهار
بالفعل واما القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم الايمان الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها
ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية
والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تع فصدوا اي الناس
عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب
مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم

ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا
واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها
خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تع عذاب مهين فيحلفون له اي لله
تع يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على
شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون
بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب
بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان
اي استولى عليهم من حاذ الابل اذا استولى عليها وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق
اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح
حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية
وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق
واظهار الشيطان في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون
الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة
على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة
في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر
وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم
في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا
ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغالب عليه
في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي عم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى
يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة
اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي
الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا
اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اي آباء الموادين او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تع ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل اولئك
اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل
وهو مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت
في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى
وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تع ويدخلهم الخ
بيان لآثار رحمة الآخرة اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابد الآبدين وقوله تع رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة

خالدين فيه

وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً وقوله تعالى أولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم
به عز وجل وقوله تعالى ألا إن حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وتحلية الجملة بفنون التأكيد
لما في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم قد مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وتكرير الموصول
ههنا لزيادة التقرير على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود
من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه السلام وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا
هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً
إلى مكة فحالفوا أبا سفيان عند الكعبة عليه السلام فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من
الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه
إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم
إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء
على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل
أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات إلى قوله تعالى والله
على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته
إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه
تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الإشارة كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم
وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كأنه هو
المشهور كأنه قيل ذلك الموصوف بالعزة والحكمة الذي أخرج الخ وفيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى
لأول الحشر أي في أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام
أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام
ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا أنهم مانعتهم
حصونهم من الله أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم
للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع
في معارضتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرتفعاً بالفاعلية فأتاهم الله أي أمر الله وقدره المقدور لهم من حيث
لم يحتسبوا أو لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم
الأمن والطمأنينة وقيل الضمير في أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أي فآتاهم الله العذاب
أو النصر وقذف في قلوبهم الرعب أي أثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها يخربون بيوتهم بأيديهم
ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض
آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وأيدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعاً لمجال القتال

ونكاية لهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون
بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خراباً والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا
بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي أو انتقلوا من حال
الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس
كما فصل في موضعه ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء أي الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر
كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا
بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك أي ما حاق بهم وما سيحيق بهم بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا
مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام
وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له
أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإنه شديد العقاب وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله
وكل من يشاق الله كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة أي أي شيء
قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كالديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين
وهي النخلة الكريمة أو تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
قائمة على أصولها كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على أصلها إما على الاكتفاء من الواو بالضمة أو على أنه جمع أصل
وقرئ قائماً على أصوله ذهاباً إلى لفظ ما فبإذن الله فذاك أي قطعها وتركها بأمر الله وليخزي الفاسقين أي وليذل
اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا
من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة وندامة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم
وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كان من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام
النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى وما أفاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد
ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أي ما أعاده إليه من مالهم وفيه إشعار
بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه السلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به
إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين منهم أي من بني النضير فما أوجفتم عليه أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه
فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالاً شديداً
وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه السلام فافتتحها صلحاً
من غير أن يجري بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً وقد سلط النبي عليه السلام
على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في
أموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ما أفاء الله
على رسوله من أهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه السلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة

من العباد الاولى لزيادة التشهير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقار ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد
وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عم الى الامام على قول والى العسكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول
للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسر الميم وبالضم
في المال وبالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان
الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغنيمة اسم والدولة بالفتح
بمعنى فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى المتداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع
على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حل لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله
اي في مخالفته عم ان الله شديد العقاب فيعاقب من خالفه للفقراء المهاجرين بدل من
لذي القربى وما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بغير بني النضير فتعسف الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين
منه رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال
وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون اي حال
مقدرة اي ناوين لنصرة الله ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة
والتي النصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث
ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال
حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضاء والجملة ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوها
المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم
وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره
ومنشأه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول وقيل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل
اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره
واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا
واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم
لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك
اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره
ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان

ينزل

ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة
في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي عم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين
ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين
من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة
فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان
قوله تعالى والذين تبوؤا الدار مستأنف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك
مما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم
او حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة
فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب
المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق
بالتشديد والذين جاؤوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون
بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول
مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين
والسبق بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا
اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم
ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة
والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال
الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن المؤمنين واحوالهم على اختلاف طبقاتهم
والخطاب لرسول الله عم او لكل من له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه
وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله لئن اخرجتم اي
من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن
معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم
على ذلك التقدير ليس مجرد طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي
لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله عم والمسلمين حتى يدعوا
عدم طاعتهم فيها ضرورة انها كانت تكون عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عم
عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما خروجهم معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا انه
لوجهتهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون فيما وعدوه للمؤكد بالايمان
الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل

على الاجلاء ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك ثم اخلفوهم
وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون
بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم اوليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة
اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله
فانهم كانوا يدعون عندكم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم
بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار
وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم
ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما
قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها
ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا
الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت
قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفاوت فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فلا
من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل
اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اجلوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل اه ذاقوا
وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا
والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق به
قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين
اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين
ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب
بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اي اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء
منك وان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف
الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما
بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقوله تعالى خالدين فيها وقرئ خالدان
فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق
دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت
لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده
وتنكيره للتفخيم والتهويل كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن

لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول في اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون
اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره و
نواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي
اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل
تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من
مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي
الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص
بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه
التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف
مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه
لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة
وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا
تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون واريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي
لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر
من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم به او المعدوم والموجود او السر
والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر
وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم
اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله
عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها
شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل
المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المحاسن
حسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز
الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة
والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله
صلعم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل
جبريل عم فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت
فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله
ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلعم وقبل عذره تلقون اليهم
بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار
النبي صلعم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفة
جارية على غير من هي له انما اشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق
حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا او تحري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ما هو سبب الايمان سببا
للكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم
بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا
اعلم اي والحال اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم
مضارع والباء زائدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق
ودادتهم قبل ان يثقفوكم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون
اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام
والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر
المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول
ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بنون العظمة والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت
لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين معه اي من اصحابه
المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة
عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء

وقرئ برآء كظراف وبرآء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا
بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا
معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة ولاية والبغضاء محبة الا
قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عم لابيه الكافر وان كان
جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا لان المراد
به ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب
فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عم لابيه الكافر
مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فمما لا سداد له بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره
له او ابتنائه عن كونه مؤتسى به لولم يكن كذلك فطلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره
وقد عرفت ان استغفاره عم لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله
في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عم له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء
الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله وانه لابيه الآية لانها كانت هي الحاملة له عم على الاستغفار
وتخصيص هذه العدة بالمذكور دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوكيد
القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب النهي على تبين الامر فقد حقق في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك
لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك
وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير
لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
من تمام ما نقل عن ابرهيم عم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى
بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به
قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب
ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا
ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع وتجويز هذا ان ما جعل الاول تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى ان
يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير لمزيد
الحث على الايتساء به عم ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الايذان
بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخائل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم
المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد
في معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم
الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب

وتيسير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لما اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم
من قبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن
البر بهؤلاء فان قوله ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب
المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضه بهدايا فلم
تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله عم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد
بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله عم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل الاشتمال من الموصول اي انما ينهاكم
عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من
بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان يروى ان رسول الله
عم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت
التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن
بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد التتبع والتحري من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد
بالامارات والمخائل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما للتأكيد
والمبالغة او الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي و
اعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان
ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله عم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضه
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب
اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضه من كانت له امرأة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رضه هي المسلمة تلحق بدار الحرب
فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسّكوا بالتشديد ولا تمسكوا
بحذف احدى التاءين من تتمسكوا واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما
انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله
على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه
لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا
شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في

النعيم

النعيم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين
والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه
كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوا
زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم
وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها فجملة جميع ما لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين
ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت
ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه
عم لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من
الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك
كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك
في معروف اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
عم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها
فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة
من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعاير الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على
المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن
المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله
غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في
كيفية مبايعته عم لهن يومئذ فروي انه عم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه
فجعل عم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه عم كلف امرأة وقفت على الصفا فبا
يعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروي انه عم بايعهن وبين
يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضه والله ما اخذ رسول الله على النساء
قط الا بما امر الله وما مست كف رسول الله عم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الآية فاذا
اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني
عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من
ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد
بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال و
شاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا
من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه

قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة انتهت الكتابة بصا[illegible]

سورة الصف مكية بسم الله الرحمن الرحيم
وهي اربع عشرة آية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
بين الاحتمال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم
على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه الزام ان ترتيب الآيات
الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل كانت في المتبرع بما لم يفعل كان الرجل يقول قتلت
ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر
فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم ولم هي لام الجر دخلت على ما
الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما ومعناها
لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى
قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا
هو المخصوص بالذم وقصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان
قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال
لا على نفوله المتبرع او المنتحل وادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون
بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين
انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من
غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام
مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم بطريق التلوين
اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به
وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع
للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي
معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشادكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا

في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عم واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم
اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على
الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة و
الاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا
اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة
النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عم بانواع الاذى
من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب
الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا يلتفت اليه بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم اما معطوف على اذ الاولى
معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى التصديق في قوله
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية فان تصديقه عم اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه عم في
قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عم مثله من حيث ان البشارة به
واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى
الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن ياتي من بعدي
من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم
وتاخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا اشارة الى ما جاء به او اليه عم وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر مبين ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى
سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر
اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه
وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه
يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة
تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته
بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما بعد
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله اي ليعليه على
جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور
بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وهو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر
جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا

وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بعينه وما فيه من معنى البعد لما مر سره خير
لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم وان كنتم تعلمون انه خير
لكم كان خيرا لكم لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون
وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف
الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعمة العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفي تحبونها تعريض بانكم
تؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان
وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ بنصبهما او نصرا
وفتحا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نصرا وفتحا
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه بمعنى آمنوا كانه قيل آمنوا و
جاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقرئ انصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله
قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم
من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به
وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت
طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى
فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي عم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع
على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن من قبل بعث الكتاب بالخط
اتقنوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منه قراءة وتعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء
من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة
وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة
النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن الاول
تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة
لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية

وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما يتوهم من تعلمه عم من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين
منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد
الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عم وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
الحكيم المبالغ في القوة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر
ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا
بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من
العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو
في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي بئس مثلا
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم
والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول
بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود
الذين كذبوا بما في التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب
في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم
اولياء الله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة
ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله عم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت
اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه
اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها
من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار لما سيكون منهم والباء في قوله بما قدمت ايديهم
متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد
من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي
بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فيما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء
ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما ينبئ عنه قوله تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقوله عم لو تمنوا
لماتوا من ساعتهم وبقروا اهلي للتحرز اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف
وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم
بما كنتم تعملون اي من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي
اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في
الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب

تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا
يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول
جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء
والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك
البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد
بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون
كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا
اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا
جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو
وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا
اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير
من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه
اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله
اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وتوسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا او تعيينا لما نيط به التكذيب
من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم
اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم جنة الخ من جملة ما حكي عنهم من الكذب اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل
او السبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة
لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل
ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد
الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان

بها الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل
فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض
عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك
اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق و
والتكذيب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر من الاشعار
ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم
بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على
قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا
يدرون حقيقته اصلا واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها ... منظرهم لصباحة وجوههم
وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله
في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب
لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله عليه السلام مستندين
فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة
كبدن جمع بدنة وقيل هي جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد
بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار
الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم
الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المداخل الذي يكاشرك وتحت ضلوعه
الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى
فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعادي قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم
او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما
هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم اي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون اي يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام للقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم
كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق
ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين
في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم
دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فني زادهم وحقيقته
حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى

الى انفضاض الفقراء من حوله وهو بيان ان خزاين الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ
جهجاه سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون
من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن
ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين فقال النبي صلعم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى
لا ارينكم ههنا ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي
الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان
يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله
وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني
اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاصدق واكن من
الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ
واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان
اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات
واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التفاتا عن النبي صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية وقيل مكية وهي ثماني عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها
مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها
واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا جامعا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم
كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له
حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها
من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والا
بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم
المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر

والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في
احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات
مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال القوى والمشاعر فيما خلقت له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية
والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله
لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه
تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه
وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من
قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة
على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من
غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي
ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات
منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية
فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله
اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني
عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشأن
لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستأنفة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افادته كلمة بلى
من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث
والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة
بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن
فانه بالجارة بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بالانزال
والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال بالوعد
والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل
لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع
ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس
بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده

من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك
اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا التغابن في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا
يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي
لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب
من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة
على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن
ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على
البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء
التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن طاعة
الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عم وللاشعار
بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عم محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدأ وخبر
اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه
عز وجل خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار
بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين والدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق
على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني
اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن
ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب
والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من
المؤمنين ارادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا اتنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل
قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم
بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم
في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير
مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا مما رزقكم الله في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا
ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة

لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر ويغفر لكم ببركة
الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم البالغ في القدرة والحكمة عن النبي عم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة وقيل اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عم واظهار جلالة
منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عم اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه
كنداء جميعهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم
تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر
كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم
يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها و
اكملوها ثلثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة
في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد
النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج
وقيل لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من
الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم
او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم
الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله
اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى
فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يابان قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف
مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد
ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي
ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق
الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري
ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل
ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر
عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق
واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة او الفرقة قطعا للتنازع
[illegible] كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رح انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله

اي الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تع ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تع ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب
مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعدي حدود الله كما ان ما تقدم من قوله تع ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها
والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما
عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من
وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تع ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى
ومن يتق الله في كل ما ياتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي عم انه قراها
فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله عم فقال اسر
ابني وشكا اليه الفاقة فقال عم اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فذلك قوله تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع
امره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بالغ بالتنوين ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
وقرئ برفع امره على انه مبتدا وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا
امره على انه حال وخبر ان قوله تع قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل
عليه تع وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تع لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله
تع واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي
شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك
فحذف ثقة لدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا التراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضه من شاء باهلته ان سورة النساء
القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت
ذلك لرسول الله عم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره
يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما ينبئ عنه قوله تع امر الله انزله اليكم لما ان المراد
بين الحاضر والمنقضي لا تعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تع ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة
ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة
وقوله تع اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من الحث على التقوى كانه
قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تع
من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن اي في السكنى
لتضيقوا عليهن وتلجؤهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على
الارضاع وائتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من

ممسكة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه
معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق
كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تع لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر
يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو و
التمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها
عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في
قوله تع ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله
لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي
الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب
ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تع وكاين الذين
آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله
قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبرائيل سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تع رسولا منه
او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تع وانه لذكر لك ولقومك كانه
في نفسه شرف اما لانه ذو مجد وشرف عند الله تع لقوله تع عند ذي العرش مكين او هو النبي عم وعليه
الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب
عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر
المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تع يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت رسولا وآيات الله
ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى
لقوله قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تع ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل
يخرج على الاول ضمير الرسول عم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله تع
على ما هم عليه الآن من العمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة
الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تع خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلثة باعتبار لفظها وقوله تع قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من
الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله تع المؤمنين من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ
مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض فقال الجمهور على انها سبع ارضين
طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تع وقال
الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار
دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي عم لم ير قرية

بريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضه ان
نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى
هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم
الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون
السماء وان الله خلق لهم ضياء يستمدون به وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضه انها سبع ارضين منبسطة بالبحار
وتظل جميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض
من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله
شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد
احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان
ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من
عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا وعن النبي عم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان رسول الله عم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال
لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر رضه يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا
وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها
لمن نسائك في الجنة وروي انه عم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك
ريح المغافير وكان رسول الله عم يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته
لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك
محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حلها بالكفارة او بالاستثناء متصلا
حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في
افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي
حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ
انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي عم على افشائها عرف اي النبي عم حفصة بعضه اي بعض الحديث
الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عم قال لها الم اقل لك اكتمي علي والذي بعثك بالحق ما ملكت
نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها
به اي اخبر النبي عم حفصة بما افشته من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاءها للحديث قال نبأني العليم الخبير
الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة رضه على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما
الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما

من مخالصة رسول الله عم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وعلى الاصل
وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه
قال ابن عباس رضه اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضه وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي عم وبه قال عكرمة ومقاتل
وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عم فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عم
يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان
مظاهرتهما له عم اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل
وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من
هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى
وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيانا لفضيلة مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم كأنه
قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عم ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها
وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عم بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب
او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عم لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي
تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول عم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات
وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على
تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها
بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها
ملائكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد
الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم
على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر والتزامه ويفعلون ما يؤمرون اي ويؤدون ما يؤمرون به من غير
تثاقل وتوان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال
لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي
بعد ما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة
انفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها
عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا

ي على رسمه ان التوبة يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان
تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم
الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر
بمعنى النصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصحا لانفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على عادة الكرام
والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف
العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تع نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثاني خبر
آخر للموصول اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل
يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا وقيل
السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة وماواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله
مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة
لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومالا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى
امرأة نوح وامرأة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لها ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تع كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان
متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تع فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع
ما ينفعهما من صحبة النبي عم اي فخانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم الرسول
عم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تع فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اي
فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة
ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا
للذين امنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال هؤلاء المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا
تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تع اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله
مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين
روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله
السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية
للارامل اي وضرب مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين

مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط
اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه جميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه
اي بعيسى عم وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون
اخي موسى عم وعن النبي عم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة رضه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي عم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبته الى الله
عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة
في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تع من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه باعتبار غاياتها على ان في اعتبار
كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات في الصيغة يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا
فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها في غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تع واسنادها الى الموصول للاستشهاد
بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه
ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة
عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه
تع في جلائل الامور ودقائقها وقوله تع الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة
وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه
في حكم الشهادة بتعاليه تع والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضه من انه تع خلق
الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد
رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه تقديره او ازالة الحيوة واياما كان
فالاقرب ان المراد بالموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما نطق به قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا
فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت
لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحيوتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه
ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم
واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك حال عمله
في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تع الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تعالى
والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه
كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب

ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض. وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام
لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته
كالنظر ونظائره وكذلك ابلوكم اي اجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات
والمقصد الاصلي من الابتلاء انما هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الابتلاء بمعزل الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية لا
الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب. وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم
ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور
لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع
على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب
من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه مع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى
كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر
مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات
وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان
في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى
فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما
في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث
اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة والفطور
الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد
الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر
خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي
كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء
اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها
مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في فهمه الالباب
وطراز فائق يحار في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم
بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده
المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على
لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه

في الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا
الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح
فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب
عليهم فانه صريح في انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيق الناشئ من شدة ما يعانيه
من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها
بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع
ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما
وقع في سورة الزمر ويجوب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين
بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم
وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد
حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما انزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير
في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد
من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا
بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب
وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام
تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا
وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من
ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل
فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فينتظم كلا طرفي الخطاب في الجمعية
ومن الجنة بالجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم تخص اعتبارنا بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه السبيل واختلط به الظنون
وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ارادتهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او
عقاب ضلالهم تسمية له باسمه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا
ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم
ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم
تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم
بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله
الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا
اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي
لم يدع ولم يبق الا مسحت اه وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب
السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان
الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالخفي منهم وهو قلوبهم

لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كقوله تعالى
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه فقال بعضهم
لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه
بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة
اليه تعالى وان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق
علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه و
تجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها
وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء
التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول
العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع اي الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال
عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك
فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخير عنهما للاهتمام والتشويق الى ما اخر فان حق التقديم اذا اخر لا سيما عند كون
المقدم ما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في
قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب
البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها
لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر
نعمه والآية أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه
او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم
الارض بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها
كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف بكم فاذا هي تمور اي تضطرب
ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال
الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب
الفيل وقيل ريحا فيها الحجارة والحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هو سحاب فيها الحجارة فستعلمون
عن قريب كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب
الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي
لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا الى الطير

فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على الصافات
ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان برأهن على اشكال وخصائص
وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير
المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به
التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى
ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع و
تحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على
ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات
للتشديد في ذلك ولا سبيل لتقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع
صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده باعتبار هذا المخبر اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون
الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني
من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من
عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا
وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب
بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله تعالى الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك
شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موضع الاضمار
لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر
وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز
لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله
تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب
ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدولهم عن تدبر ما حق في مسلك المحاجة
الى الجهة بتوبيخهم فيها رشد في الجملة فكان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر
بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكببته
فكب على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى امن يمشي وهو يعثر في كل
ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط
والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر
الاول عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام
عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم اي انشأكم ابتداء وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها
من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى

والأفئدة لتتفكروا وتعتبروا بما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة قليلا
ما تشكرون أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد
القلة أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم
كثركم فيها وإليه تحشرون للجزاء لا إلى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك ويقولون
من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد أي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى وإليه تحشرون إن كنتم صادقين يخاطبون
به النبي عم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عم في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف
أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل إنما العلم أي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه
غيره تع كقوله تع قل إنما علمها عند ربي وإنما أنا نذير مبين أي أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقته وقوعه
فليس من وظائف الإنذار والفاء في قوله تع فلما رأوه فصيحة منبئة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية
عليهما كأنه قيل قد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه إلخ كما حقيقة في قوله تع فلما رأوه عارضا الآن المعلق
هناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تع زلفة
حال من مفعول رأوه إما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو على أنه
مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بأن غشيتها
الكآبة ورهقتها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل ثم توبيخا لهم وتشديدا
لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء
وقيل هو من الدعوى أي تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقرئ عن مجاهد أن الموعود عذاب
يوم بدر وهو بعيد قل أرأيتم أي أخبروني إن أهلكني الله أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون
عليه عم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون
لإحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به قل هو الرحمن أي الذي أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا أن
كل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء
التحتانية قل أرأيتم أي أخبروني إن أصبح ماؤكم غورا أي غائرا في الأرض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر
وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي عم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيى ليلة القدر

سورة ن مكية وهي اثنتان وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم
الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك منصوبا بإضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث
على أنه علم للسورة ثم جعل أسماء الحروف مسرودة على نمط التعديد للتحدي بأحد الطريقين المذكورين في موضعه وأسماء للسورة منصوبا على الوجه
المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله والقلم للقسم وإن جعل مقسما به فهي للعطف عليه وأيا ما كان فإن أريد به
قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاقه لما في أيدي الناس لذلك لكثرة
منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله تع وعلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بإدغام النون في الواو وما

وما يسطرون الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم
على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم
وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تع ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر
هو حال من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله تع التي هي النبوة والرياسة العامة
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره لتشريفه عم والإيذان بأنه تعالى
يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عم عما كانوا ينسبونه عم إليه من الجنون حسدا
وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عم في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي
وإن لك بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة لأجرا لثوابا لا يقادر قدره غير ممنون
مع عظمه كقوله تع عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم
لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحمل من جهتهم ما لا يطاق تحمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عم فقالت كان خلقه
القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي
فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام
واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين كما
قال يحكي بعداب يوم بدر بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون
مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا
الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تع سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد
والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية
وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو أعلم بالمهتدين
إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تع فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه
عم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه
من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عم استجلابا لقلوبهم لا عن
طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تع ودوا لو تدهن فإنه تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر
والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون أي فهم يدهنون ح أي فهم الآن يدهنون طمعا في إدهانك
وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى لو يدهنون عقيب إدهانك ويأباه ما سيأتي من بيان أن الإدهان
على أن إدهانهم محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وأيا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الإدهان الذي هو إظهار
الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه عم فالمعتبر بالنسبة إلى ودادهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في
حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتباره بالنسبة إليه عم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني
المفهوم من ودوا وأن ما بعده حكاية لودادهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها

وجوابه محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لكنه وابوا لك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الراي والتدبير هماز
عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية
مناع للخير اي بخيل او مناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل
جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمة وهي الهنة من جلد الماعزة
تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة
فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف
وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله لا تطع اي لا تطع من كان هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا
بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استيناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق
بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب باياتنا ووجهه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسابقه فيه
دخل في ذلك وقرئ أان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ
ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه كاشتراط
غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر
فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة
بالقحط بدعوة رسول الله صلعم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين
فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل
الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء
كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط
حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعل ابوهم وجملة مستأنفة فطاف عليها اي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف
من ربك مبتدئ منه وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم
ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت
سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح
ان اغدوا اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم و
تعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون
اي يتسارون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اي
الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين
عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولك لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم فادر

على نفسهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا
على محاورة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم
قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة
اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اي طريق
جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي رأيا وسنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه النية الخبيثة من فوركم وسارعوا
الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا
فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها
وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى
من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبرائيل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ
من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال
لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها
كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن
ان قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة
فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة
القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم
واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الآخرة او في جوار
القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه
نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة غب سماعهم
بحديث الآخرة وما وعد الله للمسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم
الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد
وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب
نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس
فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
وتخير الشيء واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اي عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب
على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ

ولعطيكم ما تحكمون او بالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم
بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه تعالى في هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء
يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يغني من الحق شيئا وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم من المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن
ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب
قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذي به
قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره
للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال وقرئ نكشف بالنون
وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر
يوم الخ او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود
توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه
دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني
عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون
على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم ذلة وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة
او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبونه
وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيك امره اي حسبك
في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب
الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي اذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام
منه وقوله تعالى سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة
بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار
لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير
بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسألهم على الارشاد
والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك
ام عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عم اذ نادى
في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك
لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه
من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير

الفعل

الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من موضوع بني عليها بعد
جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون
المنهي عنه امرا محذورا ومستتبعا للغائلة وقوله فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه
الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما يكون تركه اولى روي انها نزلت
باحد حين هم رسول الله عم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح اليا من زلقه بمعنى ازلقه وليزهقونك وان هي
هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون
قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله عم فنزلت وفي الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ
هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم بالقرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم
وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عم ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع
العلوم المحجوبة عن العقول المنهمكة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان حكمهم الباطل ما نحوه منه عم
رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية
بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين
اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بحقائقه
خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله عم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين
لا ريب فيه عن رسول الله عم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب
او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور
او لمن فيها من اولي العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى
الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي
اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في
اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها
فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها
مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك ما الحاقة اي اي شيء اعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة
علوم المخلوقات على معنى ان عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت

حالها فهي أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الإعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة
جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في
قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها
من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ أعني الحاقة مؤكدة لهولها كذبت ثمود وعاد بالقارعة أي بالحالة التي تقرع الناس بفنون
الأفزاع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها
موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لإعلام بعض أحوال الحاقة له عليه السلام
إثر تنبيهه أنه ما أدراه بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك نفس المسؤول عنها و
ههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة
القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها كأنه
قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة
أو الرجفة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة
العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم استئناف
جيء به بيانا لكيفية إهلاكهم بالريح أي سلطها الله عليهم بقدرته سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي متتابعات جمع حاسم
كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت
دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح
وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر وإنما سميت عجوزا لأن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها
الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل
ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم إن كنت حاضرا فيها أي في مهابها أو في تلك الليالي والأيام صرعى موتى
جمع صريع كأنهم أعجاز نخل أي أصول نخل خاوية متآكلة الأجواف فهل ترى لهم من باقية أي بقية أو نفس باقية أو بقاء
على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله أي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله أي ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه
قرئ ومن معه والمؤتفكات أي قرى قوم لوط أي أهلها بالخاطئة بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ التي من
جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم أي فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فأخذهم
أي الله عز وجل أخذة رابية أي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء إذا زاد إنا لما طغى الماء
بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في التكذيب فيما أوحي إليه عليه السلام من الأحكام التي من جملتها
أحوال القيامة حملناكم أي في أصلاب آبائكم في الجارية أي في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء
إلى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما ينبئ عنه كلمة في فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله أي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم
محض عصمته تعالى إنما السفينة سبب صوري لنجعلها أي الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين
لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها أي تحفظها والوعي أن تحفظ الشيء
في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف أذن
واعية أي أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل والتنكير للدلالة

على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وإدامة نسلهم وقرئ أذن بالتخفيف فإذا نفخ في الصور نفخة
واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر
لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم
وحملت الأرض والجبال أي قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة
أي فضربت الجملتان إثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة
واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولهم اندك السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه
الدكان فيومئذ وقعت الواقعة أي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي أي السماء يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك أي الجنس المتعارف بالملك على أرجائها أي جوانبها جمع رجا
بالقصر أي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون إلى أكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم أي فوق الملائكة
الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم
الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون
مسبحون وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر
وروي ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله
تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس
للقضاء العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال والأنسب أنه أجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والإشارة يومئذ
تعرضون أي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم روي أن في يوم القيامة ثلاث
عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك
بشماله وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون أي تعرضون غير خاف عليه تعالى
سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وإنما العرض لإفشاء الحال والمبالغة في العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى
يوم تبلى السرائر وقرئ لا يخفى بالياء التحتانية فأما من أوتي كتابه بيمينه تفصيل لأحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤوا
كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤم يا رجال
وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لأنه أقرب العاملين ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه
إذ الأولى إضماره حيث أمكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب
إيثارها لثباتها في الإمام إني ظننت أني ملاق حسابيه أي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للإشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد
ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة
كما يقال دارع ونابل نسبة إلى الدرع والنبل أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة
بالتعظيم في جنة عالية رفيعة المكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية والأشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة
والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا بإضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا أكلا وشربا هنيئا

او تشفيهم بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي
يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكلوا واشربوا
اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتي كتابه بشماله لما يرى من قبح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ها
للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي فانه وجدها امر من الموت
فتمناه عندها وقد يجوز ان يكون للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال
والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني
سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم
صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى ليكون جزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة
ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا
ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية
وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريق الاستيناف للمبالغة ووصفه تعالى
بالعظيم للاشعار بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين
ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة
فكيف بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان
اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم هاهنا حميم قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن
عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله
الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد وعن ابن عباس
هم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وقد يجوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات
والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
والاول منتظم للكل انه اي القرآن لقول رسول كريم يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي ص
او جبرائيل عم وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون
تارة اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا
تذكرون اصلا وقيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند
بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ص ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم
وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله
على لسان جبرائيل عم ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل
تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط
قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه باقطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف

ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال تعالى اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس
من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم
المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين
وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضاء
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحي اليك عن النبي صلعم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث فانه قال
انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل فانه
قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول الرسول عم في علي رضه من كنت
مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع
على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى
ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في
الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب
اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى
لعذاب او حال عنه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف
من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي
او هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبرئيل عم افرده بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل و
التخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تعرج الملئكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان
في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة
واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات واياما كان
فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روي ابو سعيد الخدري رضه انه قيل لرسول الله عم ما اطول هذا اليوم فقال عم
والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عم او كان عن تضجر
واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسالون به
ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل
للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع

أو بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل إلخ يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف أو بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا إذا
قالوا وأما على الأول أن قوله سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ونحوهما إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل العذري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في
قوله تعالى فاسأل به خبيراً وقوله تعالى ليس له دافع إلخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر
صبراً جميلاً مترتب عليه وقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً تعليل للأمر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون إلخ متعلق بليس له دافع أو
بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن
كالصوف المصبوغ ألواناً لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت
العهن المنفوش إذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميماً أي لا يسأل قريب قريباً عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك
وقرئ على البناء للمفعول أي لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله يبصرونهم أي يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من
التساؤل إلا اشتغالهم بحال أنفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والأول أدخل في التهويل وجمع الضمير
لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف يود المجرم أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ
أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة أن الناصبة
فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولاً ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه إلخ والجملة استئناف لبيان
أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلاً أن يهتم بحاله ويسأل
عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب وفصيلته
أي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه أي تضمه في النسب أو عند الشدائد ومن في الأرض جميعاً من الثقلين والخلائق ومن
للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء
جميعاً تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع الإنجاء والافتداء وضمير
إنها إما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهو علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب
نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لإن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعو أي تجذب
وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم إلي إلي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب
وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من أدبر عن الحق وتولى أعرض عن الطاعة وجمع فأوعى أي جمع المال فجعله في وعاء
وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه حرصاً وتأميلاً إن الإنسان خلق هلوعاً الهلع
سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى إذا مسه الشر أي الفقر والمرض ونحوهما
جزوعاً أي مبالغاً في الجزع مكثراً منه وإذا مسه الخير أي السعة والصحة منوعاً مبالغاً في المنع والإمساك والأوصاف الثلاثة
أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعاً والثانية لمنوعاً إلا المصلين استثناء
للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح المذكورة لإبائها عنهم الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق
على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة
الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين
في أموالهم حق معلوم أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس من الزكاة المفروضة و
الصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل فيظن أنه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين

للشوى نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس وقرئ نزاعة

بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية بمطامع المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة استقصاراً لها واستعظاماً
لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى إن عذاب ربهم غير مأمون
اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما
ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى أي طلب لنفسه وراء ذلك وراء
ما ذكر من الأزواج والمملوكات فأولئك المبتغون هم العادون المتعدون لحدود الله والذين هم لأماناتهم
وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون أي مقيمون لها بالعدل حياءً لحقوق الناس
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها وقرئ لأماناتهم وبشهاداتهم على إرادة الجنس والذين هم على
صلاتهم يحافظون أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة
ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال: إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة
في المزدحم إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة
حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات
أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه
لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين
مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي فرقاً شتى
جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً
حلقاً وفرقاً ويستهزئون بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت أيطمع كل
امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ إنا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع و
المعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى: أأزمعت من آل ليلى ابتكارا * وشطت على ذي هوى
أن تزارا أي لتكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ متبوأ الكاملين
فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة
فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فما لم تستكمل بالإيمان والطاعة ولم تتخلق بالأخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب
أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم
برسول الله ﷺ وبما نزل من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ما
يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا أقسم
برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم
ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية
على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا

والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب

في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تع يوم يخرجون
من الاجداث سراعا بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاجداث حال من ضمير يخرجون اي مسرعين
كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تع وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد والضاد
يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصف ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم
ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكره ما سبق من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سال سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل
حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تع وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة
الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منها عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال
كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما في
الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل و
والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجلا او آجلا لئلا يبقى
لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عم بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام
فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تع ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية كان الاسلام يجبه
ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تع لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على
تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح
في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تع ان اجل الله اي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على
الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه
الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب
المذكور في قوله تع من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام
كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء
الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون
شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح عم مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه
وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد
معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا
اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا اسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها

كما في قوله تع زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم
من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه
كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه مختلفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه
فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه
احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او بوصف لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه
وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يجب ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم
المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من المنافع العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله
عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تع الخصب ويدفع
عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدر والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم
لله تع وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان
الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تع وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق
بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تع عظمة موجبة
لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون
انه خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير
في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء
بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله تع اياكم في دار
الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل فان اللائق
بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تع وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما
عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير
من التعسف وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر
يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تع والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا
له تع وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تع وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضه ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال
قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تع الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي
متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء
الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل
كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة

الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس
القمر كذلك إنما هو نور في الجملة والله أنبتكم من الأرض نباتا أي أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على
الحدوث والتكون من الأرض ونباتا مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من معناه أي أنبتكم من
الأرض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض نباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل
اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما في قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وإن يمسسك
الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث وحشر
إخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل
ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير
ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا
منها سبلا فجاجا أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها
لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أي كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح أعيد لفظ الحكاية
لطول العهد بحكاية مناجاته أي قال مناجيا له رب إنهم عصوني أي ثبتوا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم
بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم
وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصار وأسوة لهم في خسار وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهة
حاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شائبة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون
على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها
مكرا كبارا أي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه
وتحريشهم لهم على أذية نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم أي لا تتركوا عبادتها إلى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا أي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت
أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال
إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا
يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد أضلوا
أي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين إلا
ضلالا عطف على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه أي قال رب إنهم عصوني
وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب
هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما في قوله تعالى إن المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده
ما سيأتي من دعائه مما خطيئاتهم أي من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها جعلها
نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم أي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فأدخلوا نارا المراد عذاب القبر وهو عقيب الإغراق وإن كانوا في الماء عن

الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاقترابه
وتحققه لا محالة وتنكير النار إما لتعظيمها أو لأن المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا
أي لم يجد أحد منهم واحدا من الأنصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبأنها غير قادرة على نصرهم تهكما بهم وقال
نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم إلخ اعتراض لبيان
دعائه للإنذار بأن أول الإغراق ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التي عددها نوح وإشارة إلى استحقاقهم
للإهلاك لأجلها إلا أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه وبينهم من الأحوال والأقوال
وإلا لأورد حكاية دعائه هذا ديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام فيعال من الدار أو ديار
كقيام وقيوم أي أحدا وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال وإلا لكان
دوارا إنك إن تذرهم عليها كلا أو بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أي إلا من
سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون
من أخلافهم من يؤمن منكر وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم ألف
سنة إلا خمسين عاما رب اغفر لي ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ و
لولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي أي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرج امرأته وابنه كنعان
ولكن لم يجزم بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات
عمهم بالدعاء إثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين إلا تبارا أي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن
لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم
قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم
بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن
معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلي وقرئ أحي أصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى إليه فقلبت الواو همزة لضمها كأعد وأزن
في وعد ووزن أنه بالفتح لأنه فاعل أوحي والضمير للشأن استمع نفر من الجن أي القرآن كما ذكر في الأحقاف وقد حذف
لدلالة ما بعده عليه والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية
وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه السلام ما رآهم
ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مرت القصة بتفصيله
في الأحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم إليهم إنا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم
ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي إلى الرشد إلى الحق والصواب فآمنا به أي بذلك القرآن
ولن نشرك بربنا أحدا على ما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وأنه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل
المصدرة بأن في اثني عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا
أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم مكانه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى

وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او سلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي
بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج ما تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما
يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما يستخط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ
جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا
للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه
تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد
او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان او التصديق بهذا القول ليس باعتبار
انهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى
كان شططا واما تعلقها بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فتوجيهه وهو اعتذار منهم عن تقليدهم
لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول
او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقوّل بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له
لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد
قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا
الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان
اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله
احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الانسيون فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاظهر انهما
كذلك على تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا
السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان ينبغي ان يكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه
قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك
قيل شديدا اي قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا
نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق
بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له
شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد
في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عم والصحيح انه كان قبل المبعث ايضا لكنه كثر بعد البعثة وزاد
زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قوله تعالى
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب
الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال
في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد
كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح
الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله

تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكي بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون
اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة
مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين
في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله
فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا
حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف
والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق
الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان
الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام
على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عم ولم يكفر
وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو
استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة
ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اي شاقا
صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله انه استمع اي
واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لا تعبدوا فيها مع الله احدا
غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض
كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلعم وقيل مواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود
السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشان لما قام
عبد الله اي النبي عم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه
عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر في سورة الاحقاف
كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته
واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام
عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد
بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا
بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره
على من ناواه قل انما ادعو اي اعبد ربي ولا اشرك به في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر
يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله عم للمتراكمين عليه والاول اظهر

والاوضح لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فذكر من كلا
المتقابلين ما ذكر في الآية قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ وهذا بيان
لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما
اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او ملتحدا اي لن اجد من دونه ملتجأ الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا حرف شرط ولا نافية
ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته
اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان
له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على حذفه او تقديره فان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم وجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية
وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم
لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من
اضعف ناصرا واقل عددا وقيل بما يوعدون على ما راوه يوم بدر ويأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له
واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربي
او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه
احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من
عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا
ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه
لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادي رسالته
بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفياتها
واجزيتها واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير
ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب
التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك
الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من
مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء
ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول
عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله
تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ
المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها
ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد
فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف
والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة

هو الابلاغ وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط
فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل
الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط
بما لديهم اي بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه
تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال
انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء
اي ما كان نفائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد
به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان
اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عددا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها
كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك
واحاط بما لديهم فمعزل من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل هو خطاب له عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا
للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة رضي الله عنها
وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب
فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى
يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمل والزمل الحمل وازدمله اي احتمله فالتخصيص للوصف للاشعار بعليته للقيام
او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل اي قم الى الصلاة وانتصاب الليل على
الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى
نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن
الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل
مع عراه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلا
اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره
عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء
الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبر
بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو
عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل الا قليلا

استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات
وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصف
او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل والذي يليق بالنظم الكريم هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن
اي في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر
رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن
العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه
رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضه كان اذا نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليتفصد عرقا ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا
نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان
ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ اشد وطأ اي هي خاصة
اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاحتياط بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس
او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من
الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار
سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل
وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا على اي وجه
كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق
الهمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عن العوائق الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه
قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى
فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي دعني
واياهم وكل امرهم الى فاني اكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا
انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب
في الحلقوم ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه
كل ذلك مقابلهم وضد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي
تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها
كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثره انا ارسلنا
اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والمعاصي كما ارسلنا الى فرعون رسولا
هو موسى عم وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف
النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله شاهدا عليكم

فانه عم مامور بحقها وتحملها الا انه والجملة معترضة بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم ح

او فصل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد النظر او ثقيل في الميزان او على الكفار ... رضه

صح

ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على
انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله و
الوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب
يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او
تمثيلا واصلها ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد يجوز ان يكون
ذلك وصفا لليوم بالطول وليس كذلك السماء منفطر اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف
مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه
بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت
العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى الفاعل او لليوم وهو مضاف الى المفعول
ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه
بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما
استعير له الادنى لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب
عطفا على ادنى وقرئ بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم اسمه الجليل مبتدأ ومبنيا يقدر عليه
موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات
ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه
فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من الصلوة عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن
بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية
علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض
يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون
في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا
الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل
آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة
على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا و
اعظم اجرا من الذي يؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين
فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في
كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي عم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت اوي

عن جابر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله عليه السلام وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل
سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما
متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة المفعول من دثره اي الذي دثر
هذا الامر العظيم وعصب به وقرئ يا ايها المتدثر على الاصل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر
اي افعل الانذار او احدثه وقيل انذر قومك كقوله وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا
وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله عليه السلام الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على
تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول من
الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه
وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة واولى واحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن
النجاسات وغسلها بعد تلطخها او بتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من
رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس عما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان
طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ودنس الاخلاق والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات
على هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما تعطيه
كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه
الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب
او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه
من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها
كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقد قرئ بالنصب باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها
كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك اي لوجهه او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض
فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا
ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ
بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير فذلك الوقوع
يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تأكيد
لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق الثانية اذ هي المختصة
عسرها بالكافرين والنفخة الاولى مختص حكمها الذي هو الاصعاق بمن كان حيا عند نفخها وفي

الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح
الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي
معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته
وحيدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه وصرفه
له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا
في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع و
التجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف
دينار وقال سفيان الثوري اربعة آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا
معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمتهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية
والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار
لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل
انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه وقوله تعالى
انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكونها في نفسها موجبة
مع سبوغ نعمه مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان
من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب
الصعب الذي لا يطاق وعن النبي عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت
واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه
كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لآياتنا اي فكر ماذا يقول في شأن القرآن
وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله
او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره
واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة
والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط
وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو
ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره

عن اهل بابل فان ثم النادي وجاء قومه معجبين بقوله ومتعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان
الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما
لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله ثم قطب
في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر
اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله ان هذا
الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر
اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته
من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هي في وصفها لما مر ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان
الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح
به ما ادريك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره
هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة
لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها
عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا
من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي حركات فيما هو في حكم
اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم
بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باسا عن النبي عليه السلام لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى
رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر
فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما
جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم
بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن كذلك وهو الحكم بان عليها
تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر
الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين
ايمانا قالوا المقتضي لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشرة
والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات
الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه
موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم

انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك
اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب
مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة
الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض
شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا
اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء
ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف والتقدير
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه
ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره
الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك
الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة
المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا
عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر
بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي
اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف
التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع
قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها في العظم لا نظير لها نذيرا
للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر
لان او لمبتدأ محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى
او يتخلف عنه فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل
نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة
والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم
كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين
كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر
لمبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم
فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد
بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل
وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا

حكاية كقولك تداعى القوم اي دعا واحد منهم الآخر لكنها جاءت على الجمع الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فذكر
للفصل في مفعول يجابي كقولك تداعيناه الهلال فيجوز يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وتحذف المسؤول لكونه عين
المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فان
ودعوى ذلك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك
نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر آنفا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي يوم
الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي
وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم
مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم
عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال
من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم
معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كأنهم حمر مستنفرة حال
من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر
والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم
عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم
ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء
اليك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع عن ذلك بل لا يخافون
الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة
فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى
فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل
او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى
اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبه انتهت الكتابة الى هنا قبيل المغرب من السابع عشر من ذي القعدة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى
لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام
لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم

انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق واياما كان ففي الاقسام
على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس
اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى بغاية الطرف من البراعة التي في القسم
السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة
وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون
مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل
بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة
وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا
نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض
والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما
اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام فنزلت بلى اي نجمعها حال كوننا
قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار
العظام على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان
ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة
اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره
وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوؤه
وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء
وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول
الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار ويجوز ان يكون
هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت
اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبأ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان
او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي
لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة او بما اخر من سنة
حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله
وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما ينبئ عنه كلمة
على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصف الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا

مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة وهي بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه
لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن
في بصيرة او من مرفوع ينبأ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبأ باعماله ولو
اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان
رسول الله صلعم اذا لقن الوحي نازع جبريل عم القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا بان ينفلت منه فامر صلعم
بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن
لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب
عليك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عم
واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن مقتفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه
اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة والتؤدة وذلك
بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم
عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار با
بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ
ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم
على ان وجوه مبتدأ وناظرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وقوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت
لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصح وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل الاعلى ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما
هو المشهور من ان حق الصفة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه
كذلك فحقها الخبرية ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده
تع بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بجملته خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن
يتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت
النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما
هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه
الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه والتوى
عليها عند علز الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في الكفن الى ربك
يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عم والقرآن الذي نزل عليه
او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان
الكفار يخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب
الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه
اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او ادناك الهلاك

وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى
اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا فلا يكلف ولا يجزى
وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استئناف وارد لابطال الحسبان
المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى
لقوله عز وجل ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان
الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا
الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل وروي ان النبي عم كان اذا قرأها قال
سبحانك بلى وعنه عم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة [illegible]

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

هل اي استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل اتى على الانسان حين من
الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر
والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة لحين بحذف العائد اليه
اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير
او آدم عم وهو المروي عن ابن عباس رضه وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس رضه في رواية ابي صالح عنه مرت به
اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام
اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة و
عشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضه ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته
وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة
فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فما كان من عصب
وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد
كاعشار واكياس وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه
حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روي عن ابن عباس رضه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية
ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه
قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه
اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او التفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما
يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل
اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف
الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة

الفوا أصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي
صدر بالسبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر
كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه
بذكر المؤمنين احسن على ان وصفهم تفصيلا ربما يخل بتناسب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار
شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة
السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل
من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كأس هي الزجاجة اذا كانت
فيها خمر ويطلق على نفس الخمر ايضا من على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به
كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى
عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه
وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف اي يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة
بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله
وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم
اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري بالقوة والاذعان والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف
مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا
يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجب الله تعالى عليهم ويخافون
يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما
كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلعم
يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلعم
الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال
من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة
المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا
فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا لوجه الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا
بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر
ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة
في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب

المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضه ان
الحسن والحسين رضه مرضا فعادهما النبي صلعم في ناس معه فقالوا لعلي رضه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضه وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضه من شمعون
الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضه صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد
الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضه فاقبلوا الى النبي صلعم
فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها
قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عم وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى
في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل
صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال
ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير
القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها
حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان
هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا
اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها
عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة
فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له
ولا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة
وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير
قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال
معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير
للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها
على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان العرب يستلذون الشراب الممزوج به لطيب رائحته وتلذعه عينا بدل
من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل يسقون
فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم
الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون

علي ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق
وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل
يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر
والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف
عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على
انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف
عليهم ولا ينافيه اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار
قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السابقين
كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذائذ الحسية
والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين
ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون
الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن
نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك
بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك
اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة
في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور
الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات
او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به
المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد
له من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم
لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله
بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا
اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب
فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة
وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن

شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى
وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر
الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى
تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء
وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى
انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى
يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها
وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج
نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا
لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحر

سورة والمرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من
الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره متتابعة فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف
اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل
بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع
ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من
الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو
جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسم برياح
عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات
ففرقن كل صنف منها من سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به
فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها
واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله
اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسم بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله عم فعصفن سائر الكتب بالنسخ
ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف
اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء
عم وللمؤمنين او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا
الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع
جواب للقسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او ذهب
بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف

ونحوه وبست الجبال بسّاً وقيل أخذت من مقارّها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمّست وفرّجت ونسّفت
مشددة وإذا الرسل أقّتت أي عيّن لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره
إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وُقّتت على الأصل وبالتخفيف فيهما لأي يوم أجّلت
مقدر بيقول هو جواب لإذا في قوله وإذا الرسل أقّتت أو حال من مرفوع أقّتت أي يقال لأي يوم أقّتت
الأمور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق وما أدراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وأدراك خبره أي أيّ شيء جعلك دارياً ما هو فوضع موضع
الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة
بيان كون الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده
عكسه ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم الهائل وويل في الأصل مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله لكن عدل به
إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ألم نهلك الأولين كقوم نوح وعاد
وثمود لتكذيبهم به وقرئ نَهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم
السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك
فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكاً من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عم كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع
نفعل بالمجرمين أي بكل من أجرم سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ أي يوم إذ أهلكناهم للمكذبين بآيات الله وأنبيائه
وليس فيه تكرير لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا للعذاب الدنيا ألم نخلقكم أي ألم نقدّركم من ماء مهين
أي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم إلى قدر معلوم أي إلى مقدار معلوم من الوقت قدّره الله للولادة
تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر فقدرنا أي فقدّرناه وقرئ مشدداً أو فقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدر
ما يقارن وجود الفعل وبالفعل فنعم القادرون أي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة ألم نجعل
الأرض كفاتاً الكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أي ألم نجعلها كفاتاً
تكفت أحياءً كثيرة على ظهرها وأمواتاً غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام
أو كفت وهو الوعاء أجري على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياءً وأمواتاً لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات
وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف أي كفاتاً تكفتكم أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي أي جبالاً ثوابت شامخات
طوالاً شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كقوله أيام معدودات وأشهر معلومات
وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن فيها ما لم يعرف وأسقيناكم ماءً فراتاً بأن خلقنا فيها أنهاراً ومنابع ويل يومئذ
للمكذبين بأمثال هذه النعم العظيمة انطلقوا أي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون
في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصاً إلى ظل أي ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ
الماضي إخباراً بعد الأمر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم إليه طوعاً أو كرهاً ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب
كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من
دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث لأن
حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم ولأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية
الشيطانية الحالّة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره

ولذلك قيل تظل شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل ولا
يغني من اللهب أي وغير مغن لهم من حر اللهب شيئاً إنها ترمي بشرر كالقصر أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها
وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصَر بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ
كالقُصُر بمعنى القصور كرهن ورُهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كأنه جمالة جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل
وجمال وجمالة وقيل الصفر جمع كالحجارة صفر فإن الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لأن سواد الإبل
يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع
جمال وجمالة وقرئ جُمالات جمع جُمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور تشبيه
في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون إشارة إلى وقت دخولهم النار أي هذا يوم
لا ينطقون فيه بشيء لأن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبّر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء لا ينفعهم فإن ذلك كلا نطق
وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي قصّ واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في
سلك النفي أي لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن كما لو نصب ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لأمة محمد عم والأولين من الأمم
وهذا تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون فإن جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا
تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون أي مستقرون في
فنون الترفه وأنواع التنعم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر أي مقولاً لهم
كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة إنا كذلك نجزي المحسنين أي في
عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال أعداؤهم هذا الثواب العظيم وهم بقوا في العذاب
المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم مقولاً لهم ذلك تذكيراً
لهم بحالهم في الدنيا وبما صنعوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قرب على النعيم الخالد وعلل ذلك بإجرامهم دلالة
على أن كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان حالهم وفي ذلك بقوله
ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع وإذا قيل لهم اركعوا أي أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه
من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلوة أو بالركوع لا يفعلون إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلعم ثقيفاً بالصلوة فقالوا
لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال صلعم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل يوم القيمة حين يدعون إلى السجود فلا
يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فبأي حديث بعده
أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون
إذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

ويل يومئذ للمكذبين حيث يظهر أن لا خلاص لهم من العذاب وأن المتقين من الخلود والتعذيب

سورة عم يتساءلون مكية وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عمّ أصله عما فحذف منه الألف لما مرّ في بم مما الاستفهامية وغيرها أو قصد الخفة لكثرة استعمالها وقرئ على

الاسم وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء
عظيم الشأن يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة
التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب
حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب
وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم والتحقيق ان صيغة التفاعل في الافعال
المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا لكنه يسند
الفعل اليه من جانب الفاعلية ويجعل المفعولية مدلولة عليه بدلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر
وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور
او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول
عم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك
تتمارى وقوله تعالى عن النبأ العظيم بيان لشأن المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم
منزلة المستفهمين لكن لا ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج
عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب
عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعده
مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل عن متعلقة بالمذكور وعم متعلقة
بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل
لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبأ العظيم والنبأ
الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا
بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم
راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن
بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعاد بالكلية
كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم
من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات
بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال
الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له
اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على اختلاف المؤمنين لهم وتخصيصها بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون
بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد
حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال
والتناضل الى غير ذلك يجري في كل واحد منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق
الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق

من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عم فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم
بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع
ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى الى قوله تعالى
ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن التهديد والوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي
والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد
والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني
للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد
لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا استئناف
مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح
ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي عم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة
للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له
فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي
بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا
اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا
اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لازاحة القوى الحيوانية
وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه
كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق
المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار
معاشا اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك
مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا
اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة
القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما
حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا الجعل بمعنى الانشاء
والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا
كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء
آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا
لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل
لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله

نفذت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو فضلة في الكلام حتى اذا انقضى الكلام الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجمل منعقدا الى اثنين هو ناتها
في قوله تعالى تحملون اصابهم في اذا لحكم ورب ما يشبه اللام فيظن انه عمدة فيه في الحقيقة خبر باعتبار الوجهين كما سلف في قوله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة قوله والوهاج الوقاد المتلالي من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به النيّر
والتعبير عنها بالسراج من ارداف التعبير عن خلق السموات بالبناء قوله وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي
شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحاب
او الرياح فهو كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد جعلت المعصرات بالرياح ذات الاعاصير ووجهه ان
الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلح ان يجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي
سال بكثرة وثجه اساله ومنه قوله عم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا
ثجاج بعد جيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف
كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الايجاد لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات
الجنة في الاصل المرة من جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن
ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل
والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف
وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء
وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على حقية البعث وحقيته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالى
فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار
علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط بديع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل
ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت
يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية
والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجب للايمان فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه
استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين وتنويع لتفصيل كيفيته واحواله وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان
يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا
وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في ان كونه
منها من التعذيب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل
او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدأه النفخة وفي بقيته الفصل
ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عم عن ابي هريرة رضه ان رسول الله عم قال لما فرغ الله تعالى من
خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش حتى يؤمر بالنفخ
فيه فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد الا من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون

والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتأتون الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما
كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا او جماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف
اعمالهم وتباينها عن معاذ رضه انه سأل رسول الله عم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال
تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع
وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة
الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون
باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم و
ارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين
هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت
بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة … والاخير معا حتى صارت
كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون منفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو
الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق
والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها
من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها
والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد
تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج • وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما
ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة
الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت
بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت
وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية
ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم حال الكفار
غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم
للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها …
مقطوع بعضهم هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا

قدّمت عليه لكونه نكرة ولو تأخّر لكان صفة وقد جوّز ان يتعلق بمآبا على انّ الحال مرصادا للفريقين مآبا للطاغين خاصة
والانحصار بعده فانّ المبادر من كونها مرصادا للطائفة كونها معدّة لهم وقيل الحال مرصادا لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عندها لانّ مجازهم عليها وهي مآبا للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدّة في ترصّد الكفار لئلا يشذ
منهم واحد وقرئ انّ بالفتح على تعليل قيام الساعة بانّ جهنم مرصادا للطاغين لابثين فيها حال مقدّرة من المستكن في للطاغين
وقرئ لبثين وقوله تعالى احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر اي الى غير نهاية فانّ
الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب
ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فالجملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم
لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفّس عنهم حرّ النار ولا من شراب يسكّن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما
وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء
وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفّاقا على انه فعّال من وفقه كذا
اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذّبوا
بآياتنا الناطقة بذلك كذّابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرّين على الكفر وفنون المعاصي وفعّال من فعّل
شايع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه
بكذّبوا اي وكذّبوا بآياتنا فكذّبوا كذّابا واما بنفس كذّبوا لتضمّنه معنى كذبوا فانّ كل مكذّب بالحق كاذب وقرئ كُذّابا
وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذّبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذّاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة
لمصدر كذّبوا اي تكذيبا كذّابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسّره احصيناه
اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه فانّ الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر
او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبّب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن الدالة على الصيرورة لكون ترك الزيادة من قبيل ما
لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عم انّ هذه الآية اشدّ ما في القرآن على اهل
النار انّ للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي انّ للذين يتقون
الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى
حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن
اترابا اي لدات وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في
الكاس لغوا ولا كذّابا اي لا ينطقون بلغو ولا يكذّب بعضهم بعضا وقرئ كِذابا بالتخفيف اي لا يكذبه ولا يكاذبه
جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى انّ للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم عطاء
اي تفضلا واحسانا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى انه مصدر اقيم مقام الوصف
او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حَسّابا بالتشديد على انه بمعنى
المُحسِب كالدرّاك بمعنى المدرك ربّ السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل
صفة للاول وايّا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا

استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء بحيث لا يكون لاحد
قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون
خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة
للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا
للاول ولا يملكون استئنافا على حاله حقّه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في القراءتين لما انّ المرفوع المنصوب
مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصّل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجرّ الاول
على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير
لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في
شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده
وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
وقيل هو ملك ما خلق الله تعالى عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رض انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا
والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي عم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل ياكلون
الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد فقالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله
البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عم وصفا حال اي مصطفين وقيل هما اي
الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل
يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون
العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء
ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى
لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى انّ اهل السموات والارض اذا لم يقدروا ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من
اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب الله عز وجل
مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه واذا لم يملك الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى ان يتكلموا
بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم وما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال
مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب
على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد
واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بانّ مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا انّ احدا يستحقه عليه تعالى ذلك اشارة الى
يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله
الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على
التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في
قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعه جوابا
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدّم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل

كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار بمآبا لما فيه من معنى الافضاء والايصال كأنه قيل فمن شاء اتخذ من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة الكريمة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة الى البعث وان رأوه بعيدا ويرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالكل او بما عداها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امرا من الامور الدينية والدنيوية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها

بعضا في السير لكمال حركتها خلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سميت الاولى نزعا والثانية نشطا او بالنفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهم وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابها والذي يلوح بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بجواب القسم والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى

[illegible]

وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام وفي اضافته الى الاولى [illegible] وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل يا رسول الله اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد تقرر ان حق الصفة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع للابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام والتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنه خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التأكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل

عليه ... ون اي أئنا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاطا لحرف الانكار
وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق
ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق
المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما
انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها
اي ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام
النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي
صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي
راجع الى الرادفة وقوله تعالى فاذا هم بالساهرة بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اي فاذا هم احياء على وجه
الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم للموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي
ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض
وقيل هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها
حينئذ وقيل ارض يجددها الله تعالى يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق
عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه
جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى كلام مستانف
وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر
هذا اول ما اتاه من حديثه ترغيب له في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر
اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص فالمعنى اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالوادي
المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر
منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين
او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو
على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او
لوجوب الامتثال به فقل بعدما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى
اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل
فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية
لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي
معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها
في السور الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما
من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها

ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها ادعى سحريتها انما كان ارادة
منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا
بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى
كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي
باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها
على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على
مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب على
تكذيبه عليه السلام فكذب موسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعدما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان
واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وجل
وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر
فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اي يجتهد في معارضة الآية او ادبر ثم اقبل اي
انشأ يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه لما القى
العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل
انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت
ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا ولا يخفى ان ذلك كان قبل الاصرار
على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر اي جمع السحرة لقوله فارسل في المداين
حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس
فنادى في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي فقال انا ربكم الاعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه
الله نكال الآخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه او سمعه
ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله تعالى
به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال
لها وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الآخرة والاولى
واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك
لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل
المراد بالآخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون
سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة فرعون وما
فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اي لمن من شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى أأنتم اشد
خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال
سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي أخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب
في تقديركم ام السماء اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها

كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها إلخ بيان لتفصيل كيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الأفعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعلها مظلماً يقال غطش الليل وأغطشه الله كما يقال ظلم وأظلمه الله ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد ذلك دحاها أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ومرعاها أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتكملة لدحاها فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتماً وإما لأنها حال من فاعله بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما في قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض وقرئ والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكراً مع تقدم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال وهذا الذي يدل على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم إن الدخان ارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب

والعجم لا في الوجود لما عرف من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم فحذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روي عن الحسن نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو وهي مجردة عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلاً إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعاً لكم ولأنعامكم إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك متاعاً أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وقيل التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعاً لكم ولأنعامكم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما قيل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الإنسان ما سعى قيل بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً لإضافته إلى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن يكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت أي أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد لمن يرى كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد أو على أنه خطاب لرسول الله عليه السلام أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فأما من طغى إلخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من طغى إلخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أي فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحياة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة فإن الجحيم التي ذكر شأنها هي المأوى أي هي مأواه واللام سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان وهي إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والعصيان وأما من خاف مقام ربه أي مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها فإن الجنة هي المأوى له لا لغيرها وقيل نزلت الآيتان

يه ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله ع م حتى استشهد رضه هذا وقد قيل جواب اذا
ما دل عليه قوله تع يوم يتذكر اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تع علمت نفس ما احضرت
وقوله تع علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تع وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا
من الانسان باضمار قد او يبرزونه على اختلاف الرايين ولمن يرى معرض عن العائد وقوله تع فاما من طغى الى تفصيلا لحال
الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تع ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها
كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تع فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين
عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين
وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به واني لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن جعل بصدد
التعليل فان ذكراها لا تزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل
للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت
خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة
من العلم فمعنى قوله تع الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تع يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت
وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك فما معنى سؤالهم
عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك
عنها وقوله تع انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تع فيم انت من ذكراها وتحقيق
لما هو المراد منه وبيان لوظيفته ع م في ذلك الشأن فان انكار كونه ع م في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس له ع م
ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه ع م ذكراها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها
فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا
لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير
لقوله تع انت من ذكراها ببيان ان ارساله ع م وهو خاتم الانبياء ع م منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله ع م بعثت انا والساعة
كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد
الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تع كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم
فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث
في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم
والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول المنذر كانه قيل تنذرهم مشبهين
الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة فالتشبيه
هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وما يخفى عنه في الاعتقاد فكانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها

في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنف لا محل لها من الاعراب عن رسول الله ع م
من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة تمت السورة الحمد لله

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم ام ابيه
اتى رسول الله ع م وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك
وهو لا يعلم تشاغله ع م بالقوم فكره رسول الله ع م قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ع م يكرمه ويقول اذا
رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه ع م على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان
جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرايين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على
قطع كلامه ع م بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كالالتفات
في قوله تع وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه
وقوله تع لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن
دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تع يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق
التزكي على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه ع م للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف
اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى
منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تع او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تع فتنفعه الذكرى بالنصب
على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله
للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك
ان ذلك مرجو الوقوع واما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن
فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له ع م عن
مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيمهم وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داعي الى
التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى اي وليس عليك بأس
في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية
للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما
عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تع وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى
الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت
عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى اي اتهمك بشأن الصناديد وفي تقديم ضميره ع م على الفعلين
تنبيه على مناط الانكار خصوصيته ع م اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب
للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه ع م بمضمونهما روي انه ع م ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى
لغني كلا ردع له ع م عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما

من القرآن الكريم مبالغة في الاهتمام بامره طمعا في اسلامه مع انه بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها تذكرة اي
موعظة اي يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتشنيع
ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به
ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضمير ان للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل
وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات
وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي
من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء
الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة
وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة
عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة
اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انها جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون
بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انها جمع سفير من السفارة وحملها على الانبياء بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه
وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملها على القراء لقراءتهم الاسفار او على الصحابة صلعم
وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة
قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان
المراد بقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم
ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه
قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه
والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه
له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية
وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من
فنون النعم الموجبة لان يقابلها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى
من نطفة خلقه تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي
ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما
وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا
على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه
وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره
على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير
متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي
لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما كذا

قالوا

قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآية الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط
الموجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال
عم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم
اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند
الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم واما على ان مصداق الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض
جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد
اصلا هذا وقد قيل كلا لما يقض ما امره حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع
في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرنا
وقوله تعالى انا صببنا الماء اي الغيث صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام فهو بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل
عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ اني بالامالة اي كيف صببنا الماء صبا عجيبا ثم شققنا الارض
اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على الكراب يجعل الاسناد
الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى السبب يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق
بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتب بين الامطار و
الشق بالنبات على ما اتى المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من
الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة
على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد
الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المكلف في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من
لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض
وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام
فيهما وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات
اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من ابه اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب
لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضه انه سئل عن الاب فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا
فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك
تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان
واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم
متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
من فنون النعم عن قريب كما يؤذن به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي

الى ان يصيح لها الخلائق اي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصف بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي
الصيحة التي تصخ الآذان اي تصمها لشدتها وقيل هي مأخوذة من صخه بحجر اي صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسير للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على راي الكوفيين وقيل
بدل من اذا جاءت كما في قوله تعالى يوم يتذكر اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال
نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بحذره من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب
يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه يفر قابيل من اخيه هابيل
ويفر النبي عم من امه ويفر ابراهيم عن ابيه ونوح عن ابنه ولوط عن امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما روي ان الرجل
يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه
الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل قوله
وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء
فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح
اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ذلك من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما
تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة ترهقها اي يعلوها ويغشاها
قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم
في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله
الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك رفعها وازالتها من مقرها
فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء او لف ضوءها المنبسط في الآفاق المنتشر
في الاقطار على انها عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم زوال الملزوم او القيت عن فلكها
كما وصف النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها
في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل الفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض
على الابتداء واذا النجوم انكدرت اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت اذ روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يبقى
يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور
فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان
الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت
اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة الى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى
على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت

تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات
وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت
للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي احميت
او مليت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم
لتعذيب اهل النار وعن الحسن تذهب مياهها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت
قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة
بالشياطين واذا الموؤدة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من
اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها
الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة
فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت
باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب
والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اي خاصمت او
سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين
سئلت ليقال قتلت على الخطاب والاخطاب لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها
وقد قرئ كذلك وبالتشديد والقضاء عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه
الآية واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلعم
انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة
قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها
عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السماء
كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت
واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل
سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين
كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين
وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص
وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمراد بها زمان
واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين
الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي
بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها
بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من خير وشر وبحضورها

اما حضور صحائفها فلما يوجب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصي
تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله في حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم
ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس
وقد روي عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
واما ما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما نطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكأنها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة
فان كانت صالحة تشاهدها على صورة احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو
فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هنالك لانها كانت مزينة
لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته
لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة
تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العلامة مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة
الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل
عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب
فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه
فانه في الاول كثيرا ما يؤدي وفي الثاني كثيرا ما وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل
للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصاره في مرتبة الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما نحو
فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه احتمال الكثير حتى
يقصد به المبالغة والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار
بانه اذا علمت نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي تلك التي
علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم
الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان الندامة محققة الوجود لا محالة او نادرة الوقوع بل تريد ان
العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم
بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من السيارات الخمسة وهي بهرام وزحل
وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى
تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد

كذلك سنتبع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا
وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس
لانه اول النهار وقيل ادباره اوفق لانه اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم
فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول
رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء
طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة
رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع ثمة اي فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن امره
ويرجعون الى رايه وثمة امين على الوحي وثمة ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا
لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله عليه السلام بمجنون كما تبهته الكفرة والتعبير عنه بعنوان المصاحبة
للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل
جبريل عليه السلام للتباين البالغ بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام افترى على الله
كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد راه اي وبالله لقد راى رسول الله عليه السلام جبريل بالافق المبين
بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله عليه السلام على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين
اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان
رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه
في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول
لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهبون ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم
وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة
بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة مشيئة مستتبعة
لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة
فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء
فكانت ابوابا والظلام في ارتفاع السماء كما في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت
متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت
البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن
وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج
موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت
جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى

علی ان ما الاستفهامیة خبر لیوم الدین لا بالعکس کما هو رأی سیبویه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ریب فی ان مناط افادة الهول والفخامة هنا ما لا یوم الدین ای ای شیء عجیب هو فی الهول والفظاعة لما مر مرارا ان کلمة ما قد یطلب بها الوصف وان کانت موضوعة لطلب الحقیقة وشرح الاسم کما قال ما زید فیقال فی جواب کاتب الطبیب وفی اظهار یوم الدین فی موقع الاضمار تاکید لهوله وفخامته وقوله تعالی یوم لا تملک نفس لنفس شیئا والامر یومئذ لله بیان اجمالی لشان یوم الدین اثر ابهامه وبیان خروجه عن علوم الخلق بطریق انجاز الوعد ... وما ادراک فقد ادراه ... یوم مرفوع علی انه خبر مبتدأ محذوف ... الفتح للاضافة ...

[illegible]

باضمار یدانون ... فانه عار عن افادة ما یفیده ما قبله ... ان ابدله من یوم الدین علی قراءة الرفع ...

بل ... علی انه خبر لمبتدأ محذوف عن النبی ... من قرأ سورة الانفطار کتب الله بعدد کل قطرة من السماء حسنة وبعدد کل قبر حسنة

سورة المطففین مختلف فیها وهی ست وثلثون آیة

بسم الله الرحمن الرحیم

ویل للمطففین قیل الویل شدة الشر وقیل العذاب الالیم وقیل هو واد فی جهنم یهوی فیه الکافر اربعین خریفا قبل ان یبلغ قعره ... ویل ... فهو مبتدأ وان کان نکرة لوقوعه فی موقع الدعاء والتطفیف البخس فی الکیل والوزن لان ما یبخس شیء حقیر طفیف وروی ان رسول الله صلعم قدم المدینة وکان اهلها من اخبث الناس کیلا فنزلت فاحسنوا الکیل وقیل قدمها ... ورجل ... صاعان یکیل باحدهما ویکتال بالآخر وقیل کان اهل المدینة ...

[illegible]

لما ذا كال الكيل عليك فكأنه قال احضرت ما عليك واذا كال الكيل منك كقوله استوفيت منك ويجوز
ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لخصوصيته اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور الذي يتعلق به فيقصد بالتقديم
قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو
عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث
واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا
لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد
جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجلالة التنزيل لعدم ذكر
الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين
من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام
لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطي وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه
موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير
فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها
اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون
بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدره عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذر
ويجزون فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف
بمن تيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون
او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح للاضافة الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين
ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع والجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه
لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وامثاله مما لا يحصى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب
الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان
الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن
وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان
مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم
او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادريك ما سجين
تهويل لامره اي هو بحيث لا تبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من
رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم للمكان والتقدير ما كتاب السجين اي محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل
يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون
بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد

اثيم اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه عن الاعادة مع مشاهدة
للمبدأ اثيم اي منهمك في الشهوات المخرجة الفانية بحيث شغلته عما وراءه من اللذات التامة الباقية
وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا تحوم
حوله اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة
وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا يتلى بالاستفهام
الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل تلك المقالة
الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة
فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء
حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه
النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه
بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي
الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به
تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين الخ
استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد
للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة و
صلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات
في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم كما في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون
بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار
على الارائك اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير الا عند كونه في الحجلة ينظرون
اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجبهم الحجال عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه
والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء
يسقون من رحيق اي شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين
ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم
به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون
واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفس

نفاسة والتنافس التفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء
النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على
ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان مزاجه
او بتسنيمه او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم
من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا
من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة قال الباء زائدة او
بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا
من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزءون بفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار
والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك
على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم
وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم
الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى
من المارين بهم ويكتفون ح بالتغامز وقرئ فكهين وقيل فاكهين اشرين وقيل فرحين فاكهين متفكهين
وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم
ومن غيرهم الى الضلال بطريق التوكيد وما ارسلوا عليهم حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة
الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤوا
عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف
ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من المعهودين وهو
الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة
والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون
لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم
مرارا فيضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك
المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ با
دغام اللام في الثاء عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضه تنشق من المجرة واذنت لربها
واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المامور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر
المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وتقرير لجملته ونظيرها الآتية بمنزلة قوله تعالى آتينا طائعين في الا

كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي
جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد ولكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به
والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المراد خصوصيته ذاتها من حيث هي بل خصوصية
القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها
لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت
ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه
كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شانها ذلك
بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع الحاق الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا في الوقت المنتظر الذي هو مدلولها
قد تقدم فيما يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي تلك
ملاقاة مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه
فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا الخ قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور العبارة عن بيانه او للتعويل
على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى
الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول وقوله يسيرا
سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضه هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله
مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور
والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي يتمنى الثبور
وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك واني له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها
وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ يصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا
مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب
ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين وجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى
انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق
وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى عليه منها خافية فلا بد
من رجعه وحسابه ومجازاته عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق
هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة
القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجمع بالليل
ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن

حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب
المنبي عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من
مواطن القيامة واهوالها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة
الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة
لطبقا مجاورا لطبق او حال من الضمير في لتركبن طبقا مجاورين او مجاوزا لطبق حسب اللفظ والمعنى فما
لهم لا يؤمنون لترتب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود
اي اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته
وقوله تع واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم
حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عم ذات يوم واسجد واقترب فسجد
هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رض
ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رضه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت النبي عم يسجد فيها
وعن انس رضه صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هي غير واجبة بل الذين كفروا
يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته
والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال
السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا تفصيليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تع بذلك على الوجه المذكور
موجب لتعذيبهم حتما الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة
ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تع لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف
مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره تمت السورة الكريمة

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور
واليوم الموعود اي يوم القيمة وشاهد ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب
وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلعم
والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم وامته لقوله تع وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وساير الامم وقيل يوم التروية
ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي
اني يوم جديد واني على ما يعمل فيّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم
وقيل الانبياء ومحمد عم قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من حلف
بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل والاظهر انها دعائية دالة على الجواب
كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه

من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا
بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله تع بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء
بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الشق في الارض ونحوه الخق والاخقوق
روي انه عم كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه ورأى في طريقه ذات
يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك
فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع
الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب
به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده
عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة
عمر بن الخطاب رضه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران
فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد
ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف
ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تع بقوله قتل اصحاب الاخدود
وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عم فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر
ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود
وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ بالوقود بالضم وقوله
تع اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع اي مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة
قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا
المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله تع المؤمنين منها سالمين والى
هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تع ولهم عذاب الحريق وما نقموا
منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ من اعم الاشياء وتنكيت بالكلية
على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه تع بكونه عزيزا غالبا يخشى
عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تع الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم

ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمالـ[هم]
الموجبين يستدعي توفيه جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد
بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب
على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الذين لا يتصور
من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة واقعة خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو
الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف الاخفش ولهم عذاب الحريق اي لهم في الآخرة عذاب
جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب آخر وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري
من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها
فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما ينبئ عنه اسم الجنة وقوله تعالى ذلك
اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لما ان ولها بما ذكر من الاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس
فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا
لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده
قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور
العظيم الشان الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر
والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد
استئناف خوطب به النبي عم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه
او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم في
ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال
لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث
الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله عم بالاشعار
بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي
في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون
الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان
لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب
العقاب فانهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او في تكذيب جنايتهم لتجدد عدم التذكر والاتعاظ بما

يا سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل
يكذبون ما نطق به قرآنا من عند الله مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم
من باس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر
كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي
قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح
وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن النبي عم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا

عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع وعشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء بالليل قال الماوردي واصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل
كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة
مدلج سدكا باردلنا لم يتعرج فالمراد هنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه
على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره
والثانية خبر والطارق مبتدا اي اي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب
خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشا مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء
في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا
لا محالة واما كوكب معهود قيل زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق
حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف
غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه ادراك الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال
محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة
المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ
مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله وكان الله على كل شيء رقيبا او قيل هو من يحفظ اعمالها ويحصي عليها ما
تكسب من خير او شر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة
وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على
ما تبين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل فيجب على الانسان ان يتفكر
في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته
بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء
دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل من ماء ذي دفق وهو صب فيه

دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها
مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك
تشبهه ويورث الافراط فيه الضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
وهي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه
اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي تتعرف وتميز ما اسر في القلوب من العقائد والنيات
وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان من
قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينتصر به والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان
السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان
الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول او هو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق
بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عن المطر بالرجع
وعن تشقق الارض بالنبات الحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا لتشققها بالعيون انه اي القرآن
الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل بين
الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض
لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره
واطفاء نوره كيدا حسبما يقدرون عليه واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون
فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا
وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم
امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة فقال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود
بالضم وانشد كانها ثمل يمشي على رود اي على تمهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجه
آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا او كونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل
التكثير وتفسيره برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه
ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه
وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون
في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح
على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
وقوله تعالى والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او
اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات
والحيوانات لرأيت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينيها
بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها وربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها
حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى ويروى ان
التمساح لا يكون له دبر وانما تخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك
فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه
فمه واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية
فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يحيط به الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب غضا
طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة
والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته
العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين
والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن
الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة
فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع
ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف
لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى
مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في جملة
القلة والندرة كما روي انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها وقيل نفي
النسيان رأسا فان القلة تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا لا ما فيه نسي
ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي
ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية
وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى
ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها
كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما
وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طرق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق
بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك

واسعدهم الى ما ينفعهم من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان
يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا او
نفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين
واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير الذكرى فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا
منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتعظ بتذكيرك من من شانه ان
يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكره فيقف على حقيقته فيؤمن به
وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها
لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل ههنا محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله
النحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي عليه السلام وقيل نزلت في الوليد
بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم و
الصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها حتى يستريح
ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلي قد افلح
اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى او
من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن
الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى
اي اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها و
الخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه
الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد
التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة وتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة
خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة
خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التنقص لبقا
تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل بالكلية ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد
افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابرهيم
وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي ان جميع
ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى
ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتورية والانجيل والزبور والفرقان وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اي قد جاءك
يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار
بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية
الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب
وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيرد
من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله تعالى مبثوثة
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها
ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها
فقال وجوه يومئذ الخ ووجوه مبتدا ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران
آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض
الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ ناصبة
منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر
لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند
السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب
الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا فيه وغاية عن مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة بحكم
بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر
كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك
ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام
يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين
لآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء
يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم
شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا
من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من
البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما
في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم
الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل و
استغناء به عن الغير او استفادة قوة وسمن فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه
في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفيه من غير ان يكون لهم التذاذ او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي
انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي

وجوههم وتقطع أمعاءهم وتنكير جوع للتحقير أي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الإغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح
بنفي كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس والمراد
كرر لتأكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل في تهويل
الغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في
إعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وإنما لم تعطف عليها إيذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله
تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة لسعيها راضية أي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة
عالية مرتفعة المحل أو علية المقدار لا تسمع أي أنت أو الوجوه فيها لاغية لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو
فإن كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية أي عيون كثيرة
تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك أو المقدار وأكواب جمع كوب وهو إناء
لا عروة له موضوعة أي بين أيديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها إلى بعض وزرابي أي بسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة أي مبسوطة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية
وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره والهمزة للإنكار والتوبيخ
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة
في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة
الله عز وجل فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به
عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها
من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش
حتى إن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه
سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء
ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وإلى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى
بلا عماد ولا إمساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك وإلى الجبال التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها
كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد وإلى الأرض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت
سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور أهلها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئ الأفعال
الأربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات
الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا للقائه بالإيمان والطاعة
والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبئ عنه الإنكار السابق من عدم النظر أي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا
يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى إنما أنت مذكر تعليل للأمر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق
لمعنى الإنذار أي لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الأصل وبالإشمام
وقرئ بفتح الطاء وهي لغة بني تميم فإن سيطر عندهم متعد ومنه قوله تعالى أم هم المسيطرون وقوله تعالى إلا من تولى وكفر استثناء
منقطع أي لكن من تولى منهم وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل
من قوله تعالى فذكر أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول

أنه قرئ ألا على التنبيه وقوله تعالى إن إلينا إيابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أي إن إلينا رجوعهم بالموت والبعث
لا إلى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها
وقرئ إيابهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الإياب أو فعال من أوب كقتال من قتل ثم قيل إيواب كديوان في دوان
ثم قلبت الواو ياء فأدغمت الياء الأولى في الثانية ثم إن علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان
فإن الترتيب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فإنهما أمران مستمران وفي تقديم الظرفين
بيان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلتها في الشدة من الإنباء عن غاية السخط الموجب لتشديد
العذاب ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح إذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال عشر هي عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الأواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام
والشفع والوتر أي الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالي ووترها وقد روي أن النبي عليه السلام فسرهما بيوم النحر
ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد
وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل إذا يسر أي يمضي كقوله تعالى والليل إذ أدبر والليل إذا عسعس
والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أي صلى فيه وحذف
الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ بإثباتها على الأصل وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر
والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الإطلاق هل في ذلك قسم أي تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها
وكونها أمورا جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن
يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك إشارة إما إلى الأمور المقسم بها والتذكير لتأويل
ما ذكر كما في تحقيقه أو إلى الإقسام بها وأياما كان فما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف
والفضل أي هل فيما ذكر من الأشياء قسم أي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بأن يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد
تحقيق أن الكل كذلك وإنما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وإيذانا بظهور الأمر أو هل في إقسامي بتلك
الأشياء إقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أي
يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصاة أيضا من الإحصاء وهو الضبط قال
الفراء يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه
قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلخ فإنه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم
المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الآية وقوله تعالى
ألم تر إلى الذين خرجوا إلخ كأنه قيل ألم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب
هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح
عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة
قال عماد الدين بن كثير كلما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف وقوله تعالى إرم

عطف بيان لعاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم وارضهم
التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ ارم
باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات
العماد الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله رميما
بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان
شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة
فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في
طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله
فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة
اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة
العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده
الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن
سام بن نوح عم وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين
جابوا الصخر بالواد اي قطعوا الصخر والجبال فاتخذوا بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد
وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله
فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك
الطوائف عقيب ما صدر منهم من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا تدرك
غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى
ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته
واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه
بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع
المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم
من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منها لغة فلا حاجة في تشبيهه بالمصبوب
الى اعتبار تعلقه بالمضروب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى

ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ
عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي
يترقب فيه الرصد جمع راصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما
الانسان الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه
ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار
والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه
والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه أيشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان
والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه
بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه
اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن
ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه أيصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين
والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن
بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلا الحالين قال
ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع و
التكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله
والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا
للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم
على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون
بحذف احدى التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون
من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم
اي جمع بين حلال وحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله
تعالى اذا دكت الارض دكا دكا استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اذا دكت الارض دكا متتابعا
حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك
حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء
وايا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند
حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا
اي مصطفين اي ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين
بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل
زمام معه سبعون الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير ورواه مسلم في صحيحه عن ابن
مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره

واحكامه او معاينة عينه علي ان الاعمال تجسم في النشاة الاخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصورة الحسنة
والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض يحقق انه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه
وانى خبر مقدم والذكرى مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل ثمه
مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى وقد استدل به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له
على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول
يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة
دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاده كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما
ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان
ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد
جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة
فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاهوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى
عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ
الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق
بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية
احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدا للموجودات
فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شئونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة
الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن
ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان
الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى
موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي
الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم وانتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية
كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي
وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه
والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مقاساة الشدائد ومعاناة
المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله به مناطا لاعظامه
بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال ببيان

انه صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بالاذية وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل
يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته صلى الله عليه وسلم بالوعد بفتحه
على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد
كان كذلك حيث احل له صلى الله عليه وسلم مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل له صلى الله عليه وسلم فيها ما شاء وحرم ما
شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال
العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ووالد عطف على البلد والمراد به ابراهيم
وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى عليهم اجمعين فانه عطف على المعطوف عليه فانهم حرمه ومنشا اسمعيل
ومسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كالتنكير والوالد ايراد هم بنو آدم والاولاد فانه مما يتضمن
الجواب واما الى انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله
للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا يتاتى فيه من اعتبار التغليب في قبيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان
في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد
الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى
أيحسب لبعضهم الذي كان صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي
وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه اي أيظن هذا المارد القوي المستضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة
من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي أيحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت
مالا لبدا اي كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر أيحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره و
وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير
والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة
وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام
العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي
مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه
الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان وتباعد
محله لاشتراط الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار القصة بما في حيز صلته وما عطف

من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإشعار ببعد درجتهم في الشرف والفضل أي أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة
المذكورة أصحاب الميمنة أي اليمين أو اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحاب
المشأمة أي الشمال أو الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة
من آصدته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها أي ضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تلاها إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها وقيل تلاها في الاستدارة وكمال
النور والنهار إذا جلاها أي جلى الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه أو الظلمة
أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل إذا يغشاها أي الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما
كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولهم
أقسم بالله حق أن يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها أي ومن بناها
وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية تخل بالنظم الكريم والكلام في قوله
والأرض وما طحاها أي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالها
والتنكير للتعظيم على أن المراد نفس آدم عم أو للتكثير وهو الأنسب للجواب فألهمها فجورها وتقواها أي أفهمها إياهما وعرفها
حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد أفلح من
زكاها أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام
وتكريره في قوله وقد خاب من دساها لإبراز الاعتناء بمضمونه والإيذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أي خسر من
نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها بطريق
الاستطراد وأما الجواب فمحذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسول الله عم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عم وهو على الأول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله وقد
خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني
بجراءته على الله أو صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها
بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالحسنى إذ انبعث أشقاها منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو
قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعل التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم أي لثمود رسول الله
أي صالح عم عبر عنه بعنوان الرسالة إيذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في إضافة
الناقة إليه تعالى في قوله ناقة الله أي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عن نوبتها فكذبوه أي في وعيده بقوله تعالى
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضميره للمنتقلين والابلائه ذكر سقياها فعقروها أي الأشقى
والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء
عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس فدمدم عليهم ربهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة

إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي عنهم والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب
فسواها أي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم صغير ولا كبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها في الهلاك ولا يخاف
عقباها أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الإبقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا
إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف والواو للحال أو للاستيناف وقرئ فلا يخاف
وقرئ لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل إذا يغشى أي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا يغشاها أو كل ما يواريه بظلامه والنهار إذا تجلى
ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والأنثى أي والقادر العظيم القدرة الذي
خلق صنفي الذكر والأنثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والأنثى وقرئ والذي خلق الذكر والأنثى وقيل
ما مصدرية إن سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت أي إن مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى فأما
من أعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لأحكامها أي فأما من
أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي
ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول
الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها وأما من بخل أي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى
أي زهد فيما عند الله تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى
أي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى أي للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته
لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى
والتيسير للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء
وتفسير الأول بإعطاء الطاعة والثاني بالبخل بها يرده مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله أي ولا
يغني عنه ماله الذي يبخل به إذا تردى أي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أو تردى في حفرة
القبر أو تردى في قعر جهنم إن علينا للهدى استيناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة
حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا
ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية
هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعا وإن لنا للآخرة والأولى أي التصرف الكلي فيهما
كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل إن
لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم للاهتداء فأنذرتكم نارا تلظى أي تتلهب
وقرئ على الأصل لا يصلاها صليا لازما إلا الأشقى إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلاها
صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة وسيجنبها
أي سيبعد عنها الأتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها أو صليها الأبدي
وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور

فلا يفعل في تحصيل السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر وحسنا وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة
لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما
لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها
ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع
على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم
المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاتقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضه
انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر بالنبي عم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضه ان
بلالا يعذب في الله فعرف مراده عم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني
بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر رضه الا ليد كانت عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف
يرضى جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضى
وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله عم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام لانها الساعة التي كلم فيها موسى عم والقي فيها
السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا
والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر
الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب
القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك وحذف المفعول استغناء
عنه بذكره من قبل والمقصود الى نفي صدور الفعل منه تعالى بالكلية مع ان فيه رعاية للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله عم
اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وتبشيرا له عم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما اشير به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق
الى صغره عم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه السلام بان ما سيؤتيه
في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق
وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه
لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه ما اعد له عم في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء
والرسل يوم يجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء
مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل
المراد بالآخرة عاقبة امره عم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور
الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عم وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة

والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد انبا ابن عباس رضه عن شمة منها
حيث قال عم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف
تقديره ولانت سوف يعطيك لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان
الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة عنها
احديها ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول
الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم
بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله
تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه عم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون
النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي
وتقرير للمنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة
ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن
ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو
اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق
كما اشير اليه والى المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرائع
التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة
فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى
الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا
بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عم قائم تحت شجرة يلعب
بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب
وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق
فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي
اليك من الكتاب الكريم المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي
فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة رضها او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك
من الغنائم قال عم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على
ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا
قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم
فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها
واشاعتها واظهار آثارها واريد بها ما افاض الله تعالى عليه عم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة
الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن
من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف
على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله تعالى كلها ويدخل تحتها نعمة

النبوة فقوآ انواع بحث الام بهدايته عم للضلال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله ثم فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان القصد بجملة احوال النفس وتحسينها من العلوم والادراكات والملكات والآراء
ونحوها تجربته صعب توسيع دايرة لقوابلها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى
حوى عالم الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس
انوار اللمعات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل
اتى رسول الله عم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او المؤدي جسماني مما يظهر
له عم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من
الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة لك والجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر
بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت
وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا
صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة
والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه تخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبأك
الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض
من ثقل الحمل مثل به حاله عم مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او
تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ
وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ حللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة
واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعة تعالى
وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والطلام في العطف وزيادة لك
كما في سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد له بتيسير كل عسير له عم وللمؤمنين كانه قيل خولناك
ما خولناك من جلايل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة
مجي اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون
الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ
وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب نفسك شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة فاذا فرغت من
صلوتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر
على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي رغب الناس في طلب ثوابه عن رسول الله عم من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون بما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين
فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل
ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن
ابن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى
اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ
بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عم يقول نعم السواك الزيتون
من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان
من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين
حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل
الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت
المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس
التين مسجد نوح عم الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون
المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت
وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى
عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز
الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين اي الآمن من
الرجال بانه فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا
بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بجانب البقاع
المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اي جنس الانسان في احسن تقويم
اي كاينا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب
الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات
من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى
قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن والخارج عنه متعلقة به
تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقته الى ما في القلب من الروح
الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها وابهاها وانورها لمناسبته الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه
بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك تحرك
من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك فبهذه الطريقة من عرف نفسه على هذه
الكيفية من صفاتها وافعالها تيسر له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة وسلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه
داخلا في العالم او خارجا منه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستولون على شئونهم بما
ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين

اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل
بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
واسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه
مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء
متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون اي غير منقطع على طاعتهم
وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهو
على الاول مقرر لما يفيده الاستثناء من مباينة حكم المؤمنين عن حكم اضدادهم ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك
بعد بالدين للرسول عليه السلام اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى
ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث
والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان أليس الله باحكم
الحاكمين اي أليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء حيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين
يستدعي الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله من العذاب عن النبي صلعم
انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى
خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة الشريفة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما
سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب انها اول سورة نزلت فانه عليه السلام اول ما نزل عليه هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم ثم ما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتحقق مقارنته
لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله الذي
خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات
العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق
واستاثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر
المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ
هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول
الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى
والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله السر في تخصيصه بالذكر
من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية
لما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته

تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب
وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ
يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم
الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما
وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر
بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه
والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره
للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اي يجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا
الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي ليطغى لان
رآه نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله
ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد
رأيتنا مع رسول الله عليه السلام وما لنا طعام الا الاسودان وفي تعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال
لرسول الله عليه السلام أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع
ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا
باصحاب المائدة فكف رسول الله عليه السلام عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى
تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى
وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر عليه اي الى مالكك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها
وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منه العجب روي ان ابا جهل
قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا
ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهي
وتأكيد التعجب منه والرؤية بصرية واما ما في قوله تعالى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى
ارأيت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري
الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في
سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس
في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من
عند الله ثم كفرتم به كما مر وللمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه
ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية
او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يأمر به من
عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى اي يطلع على احواله

فيجازيه بحسب حاله أعلى بأفعاله أمّا أمرُ التكذيب والتولّي بشرطيّة مستقلّة مقرونة بجواب مصدّرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الأول بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك تأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متولٍّ فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمراً بالتقوى أتنهاه وقيل هي في أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعاً بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبت في المصحف بالألف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وإنما جاز إبدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون روي أن أبا جهل مر برسول الله عليه السلام وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فنزلت سندع الزبانية ليجروه إلى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني كأنه نسب إلى الزبن ثم غير كإنسي وأصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً كلا ردع بعد ردع وزجر إثر زجر لا تطعه أي دم على ما أنت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها إلا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر فإنه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدراكها وفيه بيان كيفية إعراب الجملتين في إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء الدنيا كما روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها

كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل فيّ قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل فيّ قرآن فالأنسب أن يحمل الضمير للسورة التي هي من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روي أنه عليه السلام ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وكان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هو خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة من كل سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا بإذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين بإذن ربهم أي بأمره من كل أمر أي من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان وقيل لا يلقون فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه سلام هي أي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر أي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة القيمة مدنية وقيل مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلة ما نسب إليهم من الوعد باتباع الحق فإن مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وإيراد الصلة فعلاً لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم والمشركين أي عبدة الأصنام وقرئ والمشركون عطفاً على الموصول منفكين أي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى إنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله عليه السلام هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم أي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا إتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين أي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة

للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار
صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عم مع انه امي من حيث
ان تلاوة مثل المكتوب فيها تلاوة لها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضمير ما في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال
الجار والمجرور وحده وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك
لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب
المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي عم وذكرهم فيما
سبق بما هو جار مجرى الاسم الجنس للطائفتين وما كان هؤلاء المشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم
واحد عبر عن ... الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبار الاستقلال
كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف
القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات
الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا والجملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال
انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله
مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين
ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص
واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة
على تأويل الدين بالملة هذا وقيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله تعالى قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عم من
انهم لا ينفكون من دينهم حتى يبعث النبي الموعود فيعدون ان يتفقوا معه ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا
لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يغنيني الله
فيغنيني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست في الفسق الا بعد اليسار
وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال انفكاكهم عن الحق
مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجتمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم
فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما حرره القائل فلا وقوله تعالى ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم
اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم
يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم
لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة

بصور

بصورة صحبة وستخلعها في النشأة الاولى وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف
خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت
عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما فيه من القبائح
المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية
شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما
ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البرئة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن
احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترغيب بالترهيب اولئك
المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع
خير نحو جيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعة عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما
عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية
والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عند الله تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما
يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما تفضل
عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها
واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي
ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشئون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة
الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من
الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي زلزالها المخصوص بها على مقتضى المشيئة
الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او
زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم
ناقة بها خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند الشيخين انه
لغة وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض
في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان
اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة
من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو
وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ المؤمن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ

زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما
بلسان المقال حيث ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي عم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ
تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد
الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء
وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما في قوله تع فتأتون افواجا وقيل يصدرون
عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا
وقرئ ليروا بالفتح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة
النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وايا ما كان يحتمل رؤيته ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة
او جزاء فمن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات
المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تع وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه جزاء ولا عدمه بل يقتضي كل منهما الى غير
الدلائل القاطعة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته
بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا ويعاقب بسيئاته عن النبي عم من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تع ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع
موقع الحال اي يضبحن ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات
او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى
اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة
التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي وقت
الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون
وقوله تع فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن
به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا
ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ
فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او توسطن
ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة
المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تع ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب للقسم
والمراد بالانسان بعض افراده اذ روي ان رسول الله عم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر

بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطا عليه عم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا
للنبي عم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام
بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد اوجف هؤلاء في حق اربابها ما اوجفوا انهم
مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره
عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تع ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك
عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه
لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق
حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تع افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
لتهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الايلاحظ فلا يعلم حاله
اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث
على بنائها للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور
من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين
كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره
بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تع وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تع ثم سواه
ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم
وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر
ما علموا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه تع محيط بما كان وما سيكون
وقوله تع بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابو السمال ان ربهم يومئذ خبير عن النبي عم
من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد حيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها
فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال
وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار
والجبال بالدك والنسف وهو مبتدا خبره قوله تع ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدا لا
بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة
اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا للتهويل وقوله تع وما ادريك ما القارعة
تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على ان معنى عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا تكاد
تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادريك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا
وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تع ولا ادريكم به
فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة

الواقعة خبر للمبتدأ الاول اي واي شيء اعلمك ما شأن القارعة ولما كان منع الوعد الكريم باعلامها اخذ ذلك بقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركة الفتح للاضافة الى الفعل
وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر الساعة
وتشويقهم الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة
اي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي
كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض
ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق
لله تعالى لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب
الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنه انه ميزان له لسان وكفتان
لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن
عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية
وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن
والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع
اي في الميزان فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له
حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فمأواه هاوية هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان
اهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها
كما يأوي الولد الى الام وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول
هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم
والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف
وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا
وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم

بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء
حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى
ان متم وقبرتم منصبين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ
الهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة
سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني
ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين
اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولكنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب
قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان
بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه
فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين
ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان
ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال الى الغروب كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة
لظهور فضله على بقية الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران
في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات
الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ
بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن
آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق
اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا
التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما
يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك
بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز

الطعن كالهمز شاع في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك
اللعنة والضحكة وقرئ لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل
نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول
الله عم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه
مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتحقير والتكثير الوافي
لقوله وعدّده وقيل معنى عدّده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين
ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض فك الادغام يحسب
ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه
الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض
بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا مخلد
وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستأنفة او حال من
فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين
لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شأنها ان
تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله وما ادراك ما الحطمة لتهويل
امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله نار الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان
لشأن المسؤول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من
تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد
الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذية تمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال
السيئة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته في عمد ممددة
اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
او خبر مبتدأ محذوف مضمر اي هم في عمد ممددة او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد
على الابواب العمد استيثاقا في الاستيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي عم من قرأ سورة الهمزة اعطاه عشر حسنات

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله عم والهمزة لتقرير رؤيته عم بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل
الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة و
معاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك لتهويل الحادثة
والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسول الله عم
فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي عم وتفصيلها ان ابرهة
بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها بالليل فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة

فخرج مع جيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس
خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك
ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره و
حجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من
يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن
قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل
هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة
عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت
من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني
فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة
فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها
لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله
عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي عم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل
وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في
تضليل الخ بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية
ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم
طيرا ابابيل اي جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها
وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع
باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
كان سجينا علم للديوان الذي كتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا
منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير اليه بمأكول جاءت به عن النبي عم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوا
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل
بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم
من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم
فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون و
يتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته المعظم فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف

وقيل تقديره اعجبوا لايلاف

ومهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتا الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل وخوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم دفعا عنيفا وهو ابو جهل ووضع اسم الاشارة المتضمن لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله فويل للمصلين لربط ما بعدها بالشرط المحذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر عدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك ولذلك رتب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل به الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا وروي ان رهطا من عتاة قريش قالوا يا رسول الله هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان للحال والاوليان للاستقبال وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله لكم دينكم تقرير لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عا

ما عبدتم فكان قوله تعالى ولي دين تأكيدا لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على
الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به اماتكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني
الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي آلهتكم او
استلامي اياها وكان ما علقتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة
على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا
لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم بالسيف وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لا
دعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل عن النبي عم من قرأ
سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فانه
لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق امره عم بالتسبيح والحمد
والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه الصلوة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عم
عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان
ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع
النبي عم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف
على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله عم وقد كان
الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن
ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة
على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون
فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه
واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس
لنا به يدان وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من
غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له
اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من الغلب على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما
على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة
الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه
لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على
الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسه واستقصارا لعمله واستعظاما
لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضها انه كان عم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي عم على اصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال عم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عم انها لكما تقول فلم يلبث عم بعد ذلك
سنتين ... استبشروا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك لدلالته
على تمام الدعوة وكمال الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله عم فقال ان عبدا
خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه
عم انه دعا فاطمة رضها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضه
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار للامة انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول
توبتهم فليكن كل تائب منهم متوقعا للقبول عن النبي عم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه
لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله عم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا
دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عم به وتب اي هلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار بهلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني
اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض
بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح لان العزى اسم صنم وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب
وقرئ ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي
شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وكسبه من الارباح والنتائج والمنافع
والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي
عم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضه
ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه
وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله
عليه وسلم قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله
مخافة العدوى وكانت تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فحملوه ودفنوه
فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وبفتح اللام مخففا ومشددا والسين لتأكيد الوعيد
وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات
اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون
مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان
يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان
بجميع ما جاء به النبي عم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم الايمان المستمر وامرأته

عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك
والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي عم وكان عم يطأه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن
يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم
وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة
أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب على الشتم حتما وقرئ بالرفع
على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من
مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل
هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا
من ليف المقل وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى في عنقها
حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت
أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح
فجذبها من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره
كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء
خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الرابط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة
مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى
الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا
كهمزة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما في قوله عم ما أحلت الغنائم لأحد سود
الرؤس غيركم فإنها أصلية وقال مكي أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة واجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف
فحذفت إحداهما تخفيفا وقال ثعلب إن أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان
ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه
هو الله إذ روي أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله
خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ قل
هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أي هو السيد المصمود إليه في
الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل
الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف
بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولا ألوهيته عز وجل
المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة

في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها
وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا لهم إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة
فقيل لم يلد تنصيصا على إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أي لم يصدر
عنه ولد لأنه لا يجانسه شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه تعالى ولم يولد أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم
إليه سابقا أو لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود
أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو ضرب من عطف [illegible]
على [illegible] كمال تحقيقه ولم يكن له كفوا أحد أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا
قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا ويكون كفوا حالا
من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف
والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات
المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها ورد في الحديث النبوي أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد
والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وعن النبي عم أنه قال أسست السموات السبع والأرضون
السبع على قل هو الله أحد أي ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله
أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة [illegible]

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول فإن كلا من المفلوق والمفلوق عنه
مفلوق وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار
والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق
والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد
والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ
ما يخافه كما قيل فلا إذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها من شر ما خلق أي من شر ما خلقه
من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة
هنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا للإضافة
الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة
وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة
وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة
وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أي ومن شر ليل معتكر ظلامه
من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق
الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شموله

الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي اذا دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه
اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده لما
روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق
اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون
يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل
الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه
ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول
الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته
وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم
سحره فارسل صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر و
هي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر
فجاؤا بها النبي عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة
عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله
عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا
هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق
ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار
بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي عليه السلام من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تبارك وتعالى

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة
ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر
الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى
اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب
مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس
مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي
مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف
بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به

قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة
بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق من المضار البدنية فقد عرفت حاله
وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة
وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة
الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا
غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان
للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة او من جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على
الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط
الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان
حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره
قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد يا رب
البرية يا مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل جار ملهوف والمجير من
كل هائل مخوف الوذ بحماك المأمون من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز واوي الى ركنك
الوثيق واسألك من خزائن برك المخزون في كتاب سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين
واعوذ بك من صنوف الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان
بزخارفها وزينتها فاغثني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية ولوامع
الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية ويهذب نفسي الآبية عن دنس
الطبائع والاخلاق وينور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيأ للحضور
في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل اقصى مرامي ابتغاء
رضاك واشرف اياما يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين نقيا تقيا واحشرني
مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلثة وسبعين
وتسعماية حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين
والملائكة المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا

حمدا لله على آلائه الظاهرة وصلوة على نبيه ذي المعجزات الباهرة وعلى آله واصحابه الطاهرة وبعد فلما اوزع الله تعالى
النعامة علي واتم احسانه الي اذ وفقني لتبييض هذا التفسير الجليل المشتمل على تحقيق اسرار التنزيل وتسهيل
الوصول الى بعض النقط الخمس وتيسر به المسجح بقلم المؤلف المولى المرحوم ابو السعود عليه رحمة الودود وللمقروة عليه آوان درسه
وابان رياسته فاثبت في آخر كل سورة كريمة الى ما كتبته من ذلك البعض المخطوط بيد ولده ولده النجيب الفاضل
الفائق الكامل النحرير الاريب المتصف بالصلاح محمد افندي عمره الله تعالى ولم يتمكن لي نيل بعضها الا نجلا منه ولا صفة بل اخراجا

للنسخة ومتاعا علی منه وتحاشیا عن تطرق ایدی الزمان بنقلها من مکان الی مکان والمسئول من تفضل کل من طالعه
ان یترحم علی کاتبه ویسأله المغفرة له ولوالدیه واسأله تعالی ان یجعله خالصا لوجهه بمنه وکرمه وان یسعدنا بسعادة ابدیة
کلما حل به استار دقایق آیاته من آیاته السرمدیة علقه العبد الی رحمة ربه الملک الصمد عبد الباقی بن محمد اتاهما ربهما
بالنعیم المخلد وذلک بمدرسة [illegible] طیبة المحروسة حین کنت مبتلی بملازمة قضاء [illegible] ولعوق الانواع من کتابته بعید [illegible] الی الجمعة

من المحرم الحرام سنة ست وخمسین والف

تم تصحیح الروح بعد بحثه بتقیة القطع التی ضمن بحثها وضرب عنها صفحا فصرفت مدة من العمر لتصحیحه قدر الطاقة ومقابلته
حامدا لله علی نعمه الوافرة ومصلیا علی محمد وآله الطاهرة سیبقی خطوطی فی الدفاتر بعضه وانملتی تحت التراب رمیم